٢١٢
م.ط

مجمع البيان لعلوم القرآن ، تأليف الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، أمين الدولة (-٥٤٨ هـ) . كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا .

٥٦٣ ق ٢١ س ٣٠×١٩ سم

نسخة حسنة ، خطها نسخ حسن ناقصة الأول والآخر ، بعض الأوراق ممزقة ، طبع .

٤٠٩٢

الأعلام ٥ : ٣٥٢ ، كشف الظنون ٢ : ١٦٠٢

١- التفسير ، قرآن كريم وعلومه أ- الطبرسي ، الفضل بن الحسن -٥٤٨ هـ ب- تاريخ النسخ .

٢

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٤٠٩٢ ف ٨٤١ / ٧

العنوان: مجمع البيان لعلوم القرآن

المؤلف: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي

تاريخ النسخ: الثاني عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ٥٦٣ ق ٣٠×١٩ سم

ملاحظات: ٢١٢

ط٢

محمد الفارس

الهدى والفرقان نوراً يتوقد مصباحه وضياءً سبيلاً لو صباحه ودليلاً لا يخمد برهانه وحقاً لا يخذل اعوانه وحبلاً وثيقاً عروته وجبلاً منيعاً ذروته وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء ودواء للقلوب ليس مثله دواء واماماً يقتدى به المقتدون وعلماً يهتدى بهداية المهتدون جعله سبحانه لافئدة الائمة ربيعاً مرتعاً ولجيوب ذوى المجادب جناباً ممرعاً ففيه رياض الحكم وانوارها وينابيع العلوم بل بحارها واودية الحق وغيطانه ومرابع العدل وغدرانه وهو الكتاب العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وبعد فان احق الفضائل بالتعظيم واسبقها فى استحقاق التقديم هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه ولا كرم الا وهو ملاكه وقوامه ولا سيادة الا وهو ذروتها وسنامها ولا سعادة الا به صحتها وقوامها به يكتسب الانسان رفعة المنزلة وعلو الامر فى حيوته ويحرز جزيل الاجر وجميل الذكر بعد وفاته وهو صديق اذا خان كل صديق والشفيق اذا لم يوثق بكل ناصح وشفيق العلماء ورثة النبيين وسادة المسلمين والدعاة الى الدين وقد صح عن النبى صلى الله عليه واله فيما رواه لنا الثقات بالاسانيد الصحيحة مرفوعاً الى امام الهدى وكهف الورى ابى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلم عن ابائه سيد عن سيد واماماً عن امام الى ان اتصل به عليه واله السلم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم فى مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والوحدة والمحدث فى الخلوة ... لضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع

ت والبين المهملة دبعان
صحاح

ان النبى شود اذا اشتهروا رتبة ومنه حديث عبد الله اثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والاخرين ومنه الحديث فرايت للماء ثوورين من اطنابه اى يتبع لعقة وشبه ... نهايه

الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتبس اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى
اراءهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تبارك عليهم
يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه
ان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان
من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات
العلى في الاولى والاخرة الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام
يطاع الرب ويعبد وبه يوصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام
العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه
الله منه حظه وفي امثال هذا من الاخبار كثيرة لا اطول بذكرها ثم ان
اشرف العلوم واسناها وابهرها وابهاها واجلها وافضلها وانفعها واكملها علم
القران فانه لجميع العلوم الاصل منه يتفرع افانينها والعماد عليه تبنى قوانينها
وقد قال امير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب عليه السلم القران ظاهره
انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه وروي عن عبد الله بن
مسعود انه قال اذا اردتم العلم فاثيروا القران فان فيه علم الاولين و
الاخرين وعن سعيد وقتادة في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا قال هو القران وعن رجاء بن حيوة قال كنا يوما انا وابي عند معاذ
بن جبل فقال من هذا يا حيوة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القران
قال لا قال فعلمه القران فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول ما من رجل
علم ولده القران الا توج ابواه يوم القيمة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس
مثلهما ثم ضرب بيده على كتفي فقال يا بني اذا استطعت ان تكسي ابويك يوم
القيمة حلتين فافعل وروى عن ابن عباس عن النبي صلى

العام والخاص انه قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
اهلبيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وانما حذفت اسانيد هذه الاحاديث
ايثارا للتخفيف ولاشتهارها عند اصحاب الحديث وقد خاض العلماء قديما
وحديثا في علم تفسير القران واجتهدوا في ابراز مكنونه واظهار مصونه و
الفوا فيه كتبا جمة غاصوا في كثير منها الى اعماق لججه وشققوا الشعر في ايضاح محججه
وحققوا في تفتيح ابوابه وتغلغل شعابه الا ان اصحابنا رض لم يدونوا في ذلك
غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار ولم يعنوا ببسط
المعاني فيه وكشف الاسرار الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد ابو جعفر محمد بن
الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان فانه الكتاب الذي
يقتبس منه ضياء الحق ويلوح فيه رواء الصدق قد تضمن من المعاني
الاسرار البديعة واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة ولم تقنع بتدوينها
دون تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها وهو القدوة استضيء بانواره
واطأ مواقع اثاره غير انه خلط في اشياء مما ذكره في الاعراب والنحو الغث
بالسمين والخاثر بالزباد ولم يميز الصلاح مما ذكر فيه والفساد وادى
الالفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد واخل بحسن الترتيب و
جودة التهذيب فلم يقع لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي ولم
يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي وقد كنت في عهد ريعان الشباب و
حداثة السن وريان العيش ونضارة كثير النزاع فائق التشوق شديد
التشوق الى جمع كتاب في التفسير ينتظم اسرار النحو اللطيفة ولمع اللغو الشريفة
ويفي بفوائد القران من متوجهاته مع تبيان محجها الواردة من جميع جهاتها
ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من معادنها المستخرج كوامنها الى غير

ذلك من يلومه لجة مطلقة من الغلف والاكمة فيعترض لذلك جوائح الزمان وعوائق
الحدثان وارادات الهموم هفوات القدر المحتوم الى الان وقد ذرف سني على
الستين واشتعل الراس شيبا وامتلات العيبة عيبا فحداني على تصميم هذه
العزيمة ما رايت من عناية مولانا الامير السيد الاجل العالم ولي النعم جلال
الدين ركن الاسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرق وتاج امراء
السادة فخر آل رسول الله ابي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني ادام الله
علاه وكبت اعداه بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن وقصر همته على
تحصيل حقايقه والاجتزاء على جلايله ودقايقه والله عز اسمه المسؤول في ان
يحرس للاسلام والمسلمين ربع حضرته ويفيض على الفضل والفضلاء سجال
سيادته ويمد على العلم والعلماء امداد سعادته ويبقي اقباله في دولة شماء
السماء لا يرتقي هضباتها ورفعة سامية السناء لا تستعر خبياتها ويوفي آماله
في ظلال مجد محلول ظلاله مظلول جلاله وجلال فضل مزرور على حلله مضروب
له كلله ويديم جماله في غبطة رفيعة القلل وبسطة مريعة الظلل حتى يحوز
من المنى غاياتها متلقيا بيمينه راياتها ويفوز بالامال يعرفها متلوة عليه
سعده اياتها ويظل شمس المجد في ساحاته تجلو عليه محاسنها باياتها فكل
غاية في المجد ادنى درجات قدره وكل نهاية في الشرف ادون طبقات فخره
فاوجبت على نفسي اجابة الى مطلوبه واسعافه بمحبوبه واستخرت الله سبحانه
ثم قصرت وهمي وهمي على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة والاكتساب لهذه الفضيلة
النبيلة وشمرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد واسهرت
الناظر واتعبت الخاطر واطلت التفكر واحضرت التفاسير واستمددت
من الله سبحانه التوفيق والتيسير وابتدات بتاليف كتاب هو في غاية

التلخيص

التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب يجمع انواع هذا العلم وفنونه و
يحوي فصوصه وعيونه من علم قراآته واعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته و
معانيه وجهاته ونزوله واخباره وقصصه واثاره وحدوده واحكامه وحلاله
وحرامه والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما ينفرد به اصحابنا رض من الاستدلال
بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الاصول والفروع والمعقول و
المسموع على وجه الاعتدال والاختصار فوق الايجاز ودون الاكثار فان
الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل اعباء العلوم الكثيرة وتضعف عن الاجراء في
الحلبات الخطيرة اذ لم يبق من العلماء الا الاسماء ومن العلوم الا الذماء
وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها
ثم ذكر فضل تلاوتها ثم اقدم في كل آية الاختلاف في القراآت ثم ذكر العلل والاحتجاجات
ثم ذكر العربية واللغات ثم ذكر الاعراب والمشكلات ثم ذكر الاسباب والنزولات
ثم ذكر المعاني والاحكام والتاويلات والقصص والجهات ثم ذكر انتظام
الايات على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لايحة وفي اعرابه كل حجة واضحة وفي
معانيه كل قول متين وفي مشكلاته كل برهان مبين فهو بحمد الله للاديب عمدة
وللنحوي عدة وللمقرئ بصيرة وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث
محجة وللفقيه دلالة وللواعظ آلة وسميته كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن
وارجو ان شاء الله ان يكون كتابا كثير الدرر غزير الغرر متواصف السمات
متناصف الصفات سيارا في الانجاد والاغوار طيارا في الافاق والا
مهذب الترتيب مذهب التهذيب احكام الشريعة بمعانيه منوطة
واعلام الحقيقة بمبانيه مربوطة وبحول الله اعتصم وبقوته وعونه افتتح
واختتم واياه استميح الهداية للتي هي اقوم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

واليه انيب وقبل ان نشرع في تفسير السور والايات فنحن نضمن الكتاب بذكر
مقدمات لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه ويجمعها فنون سبعة **الفن الاول**
في اعداد آي القران والفايدة في معرفتها اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد و
اعلاها اسنادا لانه ماخوذ عن امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام وبعضده
الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات
احديهن بسم الله الرحمن الرحيم وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد ابن
القعقاع القاري وشيبة بن نصاح وهما المدني الاول والى اسمعيل بن جعفر
وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلم
وعبد الله بن عمرو والمدني الاخير ابو جعفر وشيبة واسمعيل والاول اشهر
وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم بن ابي الصباح الجحدري وايوب بن
المتوكل لا يختلفان الا في آية واحدة في ص قوله والحق فالحق اقول عدها
الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبر والى
اسمعيل المكي وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم على
راس كل آية ثلث نقط وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر و
الفايدة في معرفة آي القران ان القاري اذا عدها باصابعه كان اكثر ثوابا
لانه قد شغل يده بالقران مع قلبه ولسانه وبالحري ان تشهد له يوم
القيمة فانها مسئولة ولان ذلك اقرب الى التحفظ فان القاري لا يامن
السهو وقد روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال تعاهدوا القران فانه وحشي وقال لبعض النساء اعقدن بالانامل
فانهن مسئولات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو احد القراء
السبعة العدد مسامير القران **الفن الثاني** في ذكر اسامي القراء المشهورين

في الامصار ورواتهم اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه
قرا على عبد الله بن عباس وعلى مولاه عبد الله بن عياش ابن ابي ربيعة المخزومي وهما
قرا على ابي ابن كعب وقرا ابي على رسول الله صلى الله عليه وآله وله رواية واحدة و
نافع بن عبد الرحمن وقرا على ابي جعفر ومنه تعلم القران وعلى شيبة بن نصاح وعلى
عبد الرحمن ابن هرمز الاعرج وقرا على ابن عباس وله ثلث روايات رواية ورش
وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون عيسى بن مينا ورواية اسمعيل بن جعفر
واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرا على مجاهد وقرا مجاهد على ابن عباس
وله ثلث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسن القواس
واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي واما الكوفي فاولهم عاصم بن ابي
النجود بهدلة وله روايتان رواية حفص ابن سليمان البزاز ورواية ابي
بكر بن عياش ولابي بكر بن عياش ثلث روايات رواية ابي يوسف الاعشى
وابي صالح البرجمي ويحيى بن آدم ولحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس
وهبيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات
وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجاء بن
عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمرو الدوري
ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي
بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية
نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحرث ورواية ابي حمدون الزاهد
ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف بن هشام
البزاز وليس من السبعة وله اختيار فاما عاصم فانه قرا على ابي عبد الرحمن
السلمي وهو قرا على علي بن ابي طالب عليه السلم وقرا ايضا على زر بن

جيش وهو قرا على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرا على جعفر بن محمد الصادق
عليه السلم وقرا ايضا على الاعمش سليمن بن مهران وقرا الاعمش على يحيى بن
وثاب وهو قرا على علقمه ومسروق والاسود بن يزيد وقرا على عبد الله
بن مسعود وقرا حمزه على حمران بن اعين ايضا وهو قرا على ابى الاسود
الديلى وقرا على على بن ابى طالب عليه السلم واما الكسائى فقرا على
حمزه ولقى من مشايخ حمزة بن ابى ليلى وقرا عليه وعلى ابان بن تغلب
وعيسى بن عمرو وغيرهم واما البصرى فابو عمرو بن العلا وله ثلث روايات
رواية الشجاع بن ابى نصير ورواية العباس بن الفضل ورواية اليزيدى
بن يحيى بن المبارك ولليزيدى ست روايات رواية ابى حمدون
الزاهد وابى عمرو الدورى واوقيه وابى نعيم غلام سجاده وابى ايوب الخياط
وابى شعيب السوسى ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمى وابن حاتم
سهل بن محمد السجستانى وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلث روايات
رواية روح وزيد ودويس واذا اجتمع اهل الكوفه والبصره قيل عراقى
واما الشامى فهو عبد الله بن عامر يحصبى لاغير وقرا على المغيره بن ابى
شهاب المخزومى وقرا المغيره على عثمان بن عفان وله روايتان روايتا
بن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هولاء
واقتدوا بهم فيها لسببين احدهما انهم تجردوا للقراءة القرآن واشتد
بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او فى ازمنتهم ممن
نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم فى الشواذ لم يجرد للذلك
تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه او الحديث او غير ذلك
من العلوم والاخر ان قراءتهم وجدت مسندة لفظا وسماعا حرفا

حرفا من اول القرآن الى آخره مع ما عرف من فضايلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن
فاذ قد تبينت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة
بما يتداوله القراء بينهم من القرآت الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء
وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشايع فى اخبارهم ان القرآن نزل بحرف واحد
ما روته العامة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف
كلها شاف كاف اختلفت فى تاويله فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره
ثم حملوه على وجهين احدهما ان المراد سبع لغات مما لا يغير حكما فى تحليل و
تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا مخيرين فى مبتدى الاسلام فى ان يقرءوا
بما شاءوا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه مانعا
مما اعرضوا عنه والاخر ان المراد سبعة اوجه من القرآت وذكر ان الاختلاف
فى القرآت على سبعة اوجه احدها اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها
عن صورتها فى الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه ويضاعفه
بالرفع والنصب والثانى الاختلاف فى الاعراب مما يغير معناها ولا
يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقونه والثالث الاختلاف
فى حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله
كيف ننشزها وننشرها بالراء والزاء والرابع الاختلاف فى الكلمة مما
يغير معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة والا زقية والخامس الاختلاف
فى الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع والسادس
الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق
وسكرة الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان
نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم قال الشيخ السعيد ابو جعفر

الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه اصلح لما روى عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء
فيه وحمل جماعة من العلماء الاحرف على المعاني والاحكام التي ينتظمها القران دون
الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها فمنهم من قال انها وعد ووعيد وامر ونهي و
جدل وقصص ومثل وقد روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
نزل القران على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال و
روى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال نزل القران على سبعة احرف
امر ونهي وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وقال بعضهم
ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتاويل لا يعلمه الا الله عز وجل

الفن الثالث في ذكر التفسير والتاويل والمعنى ونحو بجملة موجزة اليهما
ينساق اكثر الكلام فيما ياتي من الكتاب التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل
والتاويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظا والعسر البيان وقال ابو العباس
المبرد التفسير والتاويل والمعنى واحد وقيل الفسر كشف المغطى والتاويل
انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول اليه امره والمعنى ماخوذ من قولهم عنيت
فلانا اي قصدته كان المراد بقولهم عني به كذا قصد بالكلام كذا وقيل هو
من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته واعلم ان الخبر قد صح عن النبي صلى
الله عليه وآله وعن الائمة القائمين مقامه عليهم السلام ان تفسير القران
لا يجوز الا بالاثر الصحيح والنص الصريح وروى العامة ايضا عن النبي صلى
الله عليه وآله انه قال من فسر القران برايه فاصاب الحق فقد اخطا
قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القران بالراي كسعيد بن المسيب وعبيدة
السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه
ندب الى الاستنباط واوضح السبيل اليه ومدح اقواما عليه فقال لعلمه

الذين يستنبطونه منهم وذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكر فيه
فقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وذكر ان القران منزل بلسان
العرب فقال انا جعلناه قرانا عربيا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا جاءكم
عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا
به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه
وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه
ان صح ان من حمل القران على رايه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق
فقد اخطا الدليل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان القران
ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه
قال قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير
تعرفه العرب بكلامها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله عز و
جل فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القران
وجمل دلائل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة
وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع
الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله عز وجل فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام
الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القران فان اليه يفتقر كل بيان
وهو الذي يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق اذ
الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها
وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ومقياسه
الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وآله انه قال اعربوا القران والتمسوا غرائبه واذا كان نظم الكلام طبقا

لمعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه وبعلم مراد الله تعالى به
قطعا هذا اذا كان اللفظ غير محمل لا يحتاج الى بيان ولا يحتمل لمعنيين او معان وذلك
مثل قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقوله الهكم اله واحد وقوله
ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك فاما ما كان مجملا لا ينبى ظاهره عن المراد
به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلوة واتوا الزكوة واتوا حقه يوم حصاده
فانه يحتاج فيه الى بيان النبى صلى الله عليه واله بوحى من الله سبحانه اليه فيتبين
تفصيل اعيان الصلوات واعداد الركعات ومقادير النصب فى الزكوات
وامثالها كثيرة والشروع فى بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن
ان يكون الخبر الذى تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لامور كثيرة او لامرين
فلا يجوز ان يكون الجمع مرادا بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد الا وجها
واحدا فهو من باب المتشابه المراد فيه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذى يوافق الدليل
وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين او اكثر ويمكن ان
يكون كل واحد من ذلك مرادا فلا ينبغى ان يقدم عليه بجسارة فيقال ان المراد
به كذا قطعا الا بقول نبى او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد
مرادا على التفصيل ولا نقطع عليه ولا يقلد احدا من المفسرين فيه الا ان يكون
التاويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لانعقاد الاجماع عليه فهذه الجملة التى لخصتها
اصل يجب ان يرجع اليه ويعول عليه ويعتبر به وجوه التفسير وما اختلف
فيه العلماء من نزول القران والمعانى والاحكام

الفن الرابع فى ذكر اسامى

القران ومعانيها القران معناه القراءة فى الاصل وهو مصدر قرات اى
تلوت وهو المروى عن ابن عباس وقيل هو مصدر قرات الشى اى جمعت بعضه
الى بعض قال عمرو بن كلثوم ذراعى عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرا جنينا

توقيف

اى لم تضم جنينها فى رحمها وهو المروى عن قتاده وانما سمى بالمصدر وهو فى
الحقيقة المقرو كما سمى المكتوب كتابا والمحسوب حسابا ومن اسمائه الكتاب
ايضا وهو ماخوذ من الجمع ايضا يقال كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز ومن اسمائه
الفرقان سمى بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق
وبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمى بذلك لانه يودى الى النجاة والمخرج
كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقانا ومن اسمائه الذكر قال سبحانه انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل امرين احدهما ان يريد به انه ذكر من الله تعالى
لعباده بالفرايض والاحكام والاخر انه شرف لمن امن به وصدق بما فيه كقوله
سبحانه وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع فى الخبر عن النبى ص
انه قال اعطيت مكان التورية السبع الطول ومكان الانجيل المثانى ومكان
الزبور المائين وفضلت بالمفصل وفى رواية واثله بن الاسقع واعطيت مكان
الانجيل المائين ومكان الزبور المثانى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم
البقرة من تحت العرش لم يعطها نبى قبلى واعطانى ربى المفصل نافلة فالسبع
الطول البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة
لانهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرحمن الرحيم
وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت هذه
السور الطول لطولها على سائر السور واما المثانى فهو السورة التالية للسبع الطول فاولها سورة يونس
واخرها السورة النحل وانما سميت مثانى لانها تثنت الطول اى تلتها فكان الطول
هى المبادى والمثانى لها ثوانى واحدها مثنى مثل المعنى والمعانى وقال الفراء واحدها
مثناة وقيل المثانى سور القران كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها
مثانى وهو قول ابن عباس وانما سميت مثانى لان الله سبحانه ثنى فيها الامثال

والحدود والفرائض وقيل ان المثانى فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى آيات
سورة الحمد وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وبه قال الحسن البصرى واما المائون
فهى كل سورة يكون نحو من مائة آية او فويق ذلك او دونه وهى سبع اولها سورة
بنى اسرائيل وآخرها المؤمنون وقيل ان المائين ما ولى السبع الطول ثم المثانى بعدها
وهى التى تقصر عن المائين وتزيد على المفصل وسميت مثانى لان المائين جاذها
واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن سميت مفصلا
لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم الفن الخامس فى اشياء
من علوم القرآن يحال فى شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها و
الكتب المؤلفة فيها من ذلك العلم بكون القرآن معجزا خارقا للعادة والاستدلال
به على صدق النبى صلى الله عليه وآله والكلام فى وجه اعجازه وهل هو ما فيه
من الفصاحة المفرطة او له من النظم المخصوص والاسلوب البديع او
الصرفة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذى
به يتمكنون من مماثلته فى نظمه وفصاحته فموضع ذلك اجمع كتب الاصول
وقد دونه مشايخ المتكلمين فى كتبهم لا سيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى
ذو المجدين ابو القاسم على بن الحسين الموسوى قدس الله روحه فى كتابه
الموضح عن وجه اعجاز القرآن فانه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع
ونهاه الى نهاية ما ينتهى فلا يشق غباره غاية الآباد اذ استولى فيه على الامد
ومن ذلك الكلام فى زيادة القرآن ونقصانه فانه لا يليق بالتفسير فاما
الزيادة فيه فمجمع على بطلانه واما النقصان منه فقد روى قوم من اصحابنا
وقوم من حشوية العامة ان فى القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب
اصحابنا خلافه وهو الذى نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام

فيه

فيه غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات وذكر فى مواضع ان العلم
بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب
المشهورة واشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعى توفرت
على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لان القرآن معجز النبوة
ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه
وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه
وآياته فكيف يجوز ان يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط
الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه فى
صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة
ككتاب سيبويه والمازنى فان اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما
ما يعلمونه من جملتهما حتى لو ان مدخلا ادخل فى كتاب سيبويه بابا فى النحو
ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب و
كذلك القول فى كتاب المزنى ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه
اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا
رض ان القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو
عليه الآن واستدل على ذلك بان القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك
الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له وانه كان يعرض على النبى
صلى الله عليه وآله ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن
مسعود وابى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلى الله عليه وآله عدة
ختمات وكل ذلك يدل بادنى تامل على انه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا
مبثوث وذكر ان من خالف فى ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم

فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة
ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ومن ذلك الكلام فى النسخ
والناسخ والمنسوخ وحدودها واقسام النسخ وشرايطه والفصل بينه وبين البدا
او التخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القران بالسنة
وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا فان ذلك اجمع وان كان من العلوم
المتعلقة بالقرآن فان موضعها الكتب المولفة فى اصول الفقه وسيأتى منه
ما يليق بالتفسير فى مظانه من الكتاب مستوفى ان شاء الله تعالى وحده **الفن
السادس** فى ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة فى فضل القرآن واهله انس
بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته
وعنه انه قال افضل العبادة قراءة القران وعنه انه قال صلى الله عليه وآله
القران غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده عبد الله بن عباس رضى الله عنه صلى الله
عليه وآله قال اشراف امتى حملة القران واصحاب الليل عبد الله بن مسعود عنه
صلى الله عليه وآله قال ان هذا القران مادبة الله تعالى فتعلموا من مادبته ما
استطعتم ان هذا القران حبل الله وهو نور المبين والشفاء النافع عصمة لمن
تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجايبه
ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات
اما انى لا اقول الم حرف ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحارث الاعور عن
امير المومنين على عليه السلم قال فى حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال
كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل
ليس بالهزل هو الذى لا يزيغ به الاهوا ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق

عن كثرة

عن كثرة رد ولا تنقضى عجايبه وهو الذى من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى
الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم فهو الذى من عمل
به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم عاصم بن حمزة عن على
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ القرآن حتى يستظهره و
يحفظه ادخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار
عبد الله بن عمر عنه عليه السلم قال يقال لصاحب القران اقرأ وارتق ورتل كما
كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها وعنه انه قال صلى الله عليه
وآله من قرأ القران فرأى ان احدا اعطى افضل مما اعطى فقد حقر ما عظم الله
وعظم ما حقره الله وعنه انه قال من قرأ القران فكانما ادرجت النبوة بين
جنبيه الا انه لا يوحى اليه ابو سعيد الخدرى عنه عليه السلم قال حملة القرآن
فى الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيمة وقال امير المومنين على عليه السلم من دخل
فى الاسلام وقرأ القران طايعا وقرأ القرآن ظاهرا فله فى كل سنة مائتا
دينار فى بيت مال المسلمين ان منع فى الدنيا اخذها يوم القيمة وافية احوج
ما يكون اليها وهذه الاخبار يسير من كثير وغيض من فيض ونزر من غمر
اقتصرنا عليها ايثارا للاختصار **الفن السابع** فى ذكر ما يستحب للقارى من
تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن البراء بن عازب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله زينوا القران باصواتكم حذيفة ابن اليمانى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن بلحون العرب واصواتها
واياكم ولحون اهل الفسوق واهل الكباير فسيجى قوم من بعدى يرجعون
بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم
وقلوب الذين يعجبهم شانهم علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقران

وكان عبد الله بن مسعود يرسل الى فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فداك ابي وامي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول ان حسن الصوت زينة القران انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه واله ان لكل شيء حلية وحلية القران الصوت الحسن عبد الرحمن ابن الثابت قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص فاتيته مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقران قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول ان القران نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقران فليس منا وتأول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتحزينه وههنا سياق الكلام في التفسير والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا واليه المصير فاتحة الكتاب مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل انزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة اسماؤها فاتحة الكتاب سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلوة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القران في الكتاب والقراءة الحمد سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد ام الكتاب سميت بذلك لانها متقدمة على سائر سور القران والعرب تسمي كل جامع امرا او متقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما فيقولون ام الراس للجلدة التي تجمع الدماغ وام القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها اما وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القران والام هي الاصل وانما صارت اصل القران لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقران

السبع

١٠

السبع سميت بذلك لانها سبع ايات لا خلاف في جملتها المثاني سميت بذلك لانها تثنى بقراءتها في كل صلوة فرض ونفل وقيل لانها انزلت مرتين هذه اسماؤها المشهودة وقد ذكر في اسمائها الوافية لانها لا تنتصف في الصلوة والكافية لانها تكفي عن ما سواها ولا يكفي ما سواها عنها ويؤيد ذلك رواية عبادة ابن الصامت عن النبي صلى الله عليه واله ام القران عوض من غيرها وليس غيرها عوضا عنها والاساس لما روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساسا وساق الحديث الى ان قال واساس القران الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم والشفاء لما روي عن النبي صلى الله عليه واله فاتحة الكتاب شفاء من كل داء والصلوة لما روي عن النبي صلى الله عليه واله قال قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدي واذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء فضلها ذكر الشيخ ابن الحسين الخبازي المقرئ في كتابه في القراات اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابرهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليم المدايني قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرأ ثلثي القران واعطي

من الاجر كانما تصدق على كل مومن ومومنة وروى من طريق اخر هذا الخبر
بعينه الا انه قال كانما قرا القران وروى عن ابى بن كعب انه قال قرات
على رسول الله صلى الله عليه واله فاتحة الكتاب فقال والذى نفسى بيده ما
انزل الله فى التورية ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى القران مثلها هى ام القران
وهى السبع المثانى وهى مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سال وفى
كتاب محمد بن مسعود العياشى باسناده عن النبى صلى الله عليه واله قال
لجابر بن عبد الله يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله فى كتابه قال فقال
له جابر بلى بابى وامى انت فاخبرنى فقال هى شفاء من كل داء الا السام والسام
الموت وعن سلمة بن محرز عن الصادق عليه السلم قال من لم يبراه الحمد لم يبراه
شئ وروى عن امير المؤمنين عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
ان الله عز وجل قال لى يا محمد ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم
فافرد الامتنان على بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القران وان فاتحة الكتاب
اشرف ما فى كنوز العرش وان الله تعالى اختص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها
احدا من الانبياء ما خلا سليمن عليه السلم فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم
الا تراه يحكى عن بلقيس حين قالت انى القى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه
بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قراها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لامرها
مومنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل واحدة
منها افضل من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى
قارى يقراها كان له قدر ثلث ما للقارى فليستكثر احدكم من هذا الخير
المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فتبقى فى قلوبكم الحسرة الاستعاذة
اتفق القراء على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وعاصم وابو عمرو

واعوذ

واعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونافع وابن عامر والكسائى اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ان الله هو السميع العليم وحمزة نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وابو حاتم
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللغة الاستعاذة الاستجارة
ومعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والعياذ هو الملجأ والشيطان فى اللغة
هو كل متمرد من الانس والجن والدواب ولذلك جاء فى القران شياطين
الانس والجن ووزنه فيعال من شطنت الدار اى بعدت وقيل هو فعلان
من شاط يشيط اذا بطل والاول اصح لانه قد جاء فى الشعر شاطن بمعناه
قال امية بن ابى الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى فى السجن والاغلال
والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمى المعنى امر الله تعالى بالاستعاذة
من الشيطان اذ لا يكاد يخلو من وسوسته الانسان فقال فاذا قرات القران
فاستعذ بالله ومعنى اعوذ الجا الى الله من شر الشيطان اى البعيد من الخير المفارق
اخلاق جميع جنسه وقيل المبعد من رحمة الله الرجيم اى المطرود من السماء المرمى
بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللعنة ان الله هو السميع لجميع المسموعات العليم
بجميع المعلومات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اتفق اصحابنا انها اية
من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها فى الصلوة بطلت صلوته سواء
كانت الصلوة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة
ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة فى جميع ما ذكرناه خلاف بين
الفقهاء لانه ولا خلاف فى انها بعض اية من سورة النمل وكل من عدها
اية جعل من قوله صراط الذين الى اخر السورة اية ومن لم يعدها اية جعل صراط
الذين انعمت عليهم اية وقال انها افتتاح للتيمن والتبرك واما القراءة فان
حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدى تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون

يفصلون بينهما بالتسمية الا بين الانفال والتوبة **فضلها** روى عن علي بن موسى
الرضا عليه السلام انه قال ان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى الله اسم الاعظم من سواد
العين الى بياضها وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اذا قال
المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب
الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان
ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقل بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة
عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروى عن الصادق عليه
السلام انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها
بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم **اللغة** الاسم مشتق
من السمو وهو الرفعة واصله سمو بالواو لان جمعه اسماء مثل قنو واقناء وحنو
واحناء وتصغيره سمي قال الراجز بسم الله الذي في كل سورة سمه وسمه نص
ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والاول اصح لان المحذوف
الفاء نحو صلة ووصل وعدة ووعد لا يدخله همزة الوصل ولانه كان يجب
ان يقال في تصغيره وسيم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة
والامر بخلافه الله اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله
قولين احدهما انه اله على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت
الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة
الموصلة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قولهم افالله
لتفعلن ويا الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل
كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق
به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه

الكبار

الكبار وانما ادخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انه
للتعريف فقد اخطأ لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة
عن ياء فاصله ليه لقولهم في معناه لهي ابوك قال سيبويه نقلت العين
الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت
العين ساكنة وتركوا اخر الاسم مفتوحا كما تركوا آخر اين مفتوحا وانما فعلوا
ذلك حيث غيروه ولكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه
دلالة قاطعة لظهور الياء في لهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي
القول الاول زائدة لانها الف فعال وتقول العرب ايضا لاه ابوك يريد
لله ابوك قال ذو الاصبع العدواني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا
انت دياني فتخزوني اي تسوسني قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام
الاخرى ولا ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم الله
لاخرجن يريدون والله ومثل ذا كثير يطول الكتاب بذكره فاما الكلام
في اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق ثم اختلفوا اذ
ليس يجب في كل لفظة ان يكون مشتقا لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا
قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه
فمنها انه مشتق من الالوهية التي هي العبادة والتعبد قال روبة لله در
الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي اي تعبدي وقرا ابن عباس
ويذرك والهتك اي عبادتك ويقال اله الله فلان الهة كما يقال عبده
عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولا يسمى به غيره ويوصف
فيما لم يزل بانه اله ومنها انه مشتق من الوله وهو التحير يقال اله يأله اذا
تحير عن ابي عمرو فمعناه انه الذي تحير العقول في كنه عظمته ومنها انه مشتق

من قولهم الهت الى فلان اى فزعت اليه لان الخلق يالهون اليه اى يفزعون اليه فى حوائجهم فقيل للمالوه اله كما يقال للمؤتم به امام ومنها انه من الهت اليه اى سكنت اليه عن المبرد ومعناه ان الخلق يسكنون الى ذكره و منها انه من لاه اى احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الاوهام الظاهرة بالدلايل والاعلام الرحمن الرحيم اسمان وضعا للمبالغة واشتقا من الرحمة وهى النعمة الا ان فعلان اشد مبالغة من فعيل وحكى ابى عبيدة انه قال الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التاكيد وامّا ما روى عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة فعبر عن ذلك بالرقة لانه تعالى قالوا وما الرحمن انكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لان هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة فى اشعارها قال الشنفرى الا ضربت تلك الفتاة هجينها الا قضب الرحمن ربى يمينها وقال سلامة بن جندل وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق الاعراب بسم الله الباء حرف جار اصله الالصاق والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعول الا ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدا اى اسم الله فالباء او قولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل الناصب لان دلالة الحال اغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدا محذوف تقديره ابتداى بسم الله فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذى قامت مقامه اى ابتداى

ثابت

ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فافضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد فى الدار ولا يجوز ان تتعلق الباء بابتداى المضمر لانه مصدر واذا تعلقت به صارت من صلته وبقى المبتدا بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان اصل الحروف البناء واصل البناء السكون فجوابه انه حرك للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه واذا الزم كاف التشبيه فى كزيد فجوابه ان الكاف لا يلزم الحرفيه وقد يكون اسما فى نحو قوله يضحكن عن كالبرد المنهم فخولف بينه وبين الحروف التى لا تفارق الحرفيه هذا قول ابى عمر الجرمى واصحابه فاما ابو الحسن بن عبد الغفار الفارسى فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لان الغرض التوصل الى الابتداء فباى حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذا الباء وهى لغة ضعيفة وانما حذفت الهمزة من بسم الله فى اللفظ لانها همزة الوصل تسقط فى الدرج وحذفت ههنا فى الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولوقوعها فى موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس ولا تحذف فى نحو قوله اقرا باسم ربك لقلة الاستعمال ولوقوعها وانما يغلظ لام الله اذا تقدمته الضمة او الفتحة تفخيما لذكره واجلالا لقدره وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات الله مجرور بالاضافة والرحمن الرحيم مجروران لانهما صفتان لله المعنى بسم الله قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينوا بان تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى وقيل المراد به استعينوا بالله ويلتفت اليه قول ابى عبيدة ان اسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اى ثم السلام عليكما والاسم

[illegible]

قد يوضع موضع المسمى لما كان المعلق على الاسم ذكرا او خطابا معلقا على المسمى
يقول رايت زيدا فتعلق الروية على الاسم وبالحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم
لا يرى فحسن اقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدى تسمية الله فوضع
الاسم موضع المصدر كما يقال اكرمته كرامة اى اكراما واهنته اهونا اى
اهانة ومنه قول الشاعر اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة
الرتاعا اى بعد اعطائك وقال آخر فان كان هذا البخل منك سجيته لقد
كنت فى طول رجائك اشعبا اراد فى اطالتى رجائك فعلى هذا يكون تقدير
الكلام ابتداء قراءتى بتسمية الله او اقرا مبتديا بتسمية الله وهذا القول
اولى بالصواب لانا انما امرنا بان نفتتح امورنا بتسمية الله لا بالخبر عن
كبريائه وعظمته كما امرنا بالتسمية على الاكل والشرب والذبائح الا ترى
ان الذابح لو قال بالله ولم يقل بسم الله لكان مخالفا لما امر به ومعنى الله
والاله انه يحق له العبادة وانما يحق له العبادة لانه قادر على خلق الاجسام
واحيائها والانعام عليها بما يستحق به العبادة وهو سبحانه آله الحيوان و
الجماد لانه قادر على ان ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فاما من
قال معنى الاله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون الها فى الازل لانه لم يفعل
الانعام الذى يستحق به العبادة وهذا خطا وانما قدم الرحمن على الرحيم فان
الرحمن بمنزلة العلم من حيث لا يوصف به الا الله تعالى فوجب لذلك
تقديمه على الرحيم لانه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدرى عن
النبى صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم
رحيم الاخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق الرحيم بالمؤمنين
خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم

هو

هو انشاؤه اياهم وخلقهم احياء قادرين ورزقه اياهم ووجه خصوص
الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم فى الدنيا من التوفيق وفى الاخرة من الجنة
والاكرام وغفران الذنوب والآثام والى هذا المعنى يؤل ما روى عن الصادق
عليه السلام انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عام والرحيم اسم عام بصفة خاصة
وعن عكرمه قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه
من قول الرسول صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل مائة رحمة وانه انزل
منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فيها يتعاطفون ويتراحمون واخر
تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة وروى ان الله قابض
هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيمة قوله عز وجل الحمد
لله رب العالمين آية القراءة اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام
من الله وروى فى الشواذ بكسر الدال واللام وبضم الدال واللام وبفتح الدال
وكسر اللام واجمعوا على كسر الباء من رب وروى عن زيد بن على نصب الباء
ويحمل على الله بين جوازه لا انه قراءة اللغة الحمد والمدح والشكر متقاربة
المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان المدح نقيض الهجاء
والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعم
الا ان الحمد يوضع موضع الشكر فيقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على المصدر
ولو لم يكن الحمد فى معنى الشكر لما نصبه فاذا كان الحمد يقع موقع الشكر
فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب
وهو الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان لنفى التهمة بالجحود
والكفران واما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد
اليه واما الرب فله معان منها السيد المطاع وكقول لبيد واهلكن

قومارب كندة وابنه ورب معد بن خبت وعمرا اى سيد كندة ومنها المالك
نحو قول النبى صلى الله عليه وآله لرجل ارب غنم انت ام رب ابل فقال من كل ما اتانى
الله فاكثر واطيب ومنها الصاحب نحو قول ابى دويب قدناله رب الكلاب
بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع اى صاحب الكلاب ومنها المربى ومنها
المصلح واشتقاقه من التربية تقول ربيته وربته بمعنى فلان يرب ضيعته
اذا كان ينميها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله تعالى ويقيد فى غيره فيقال رب الدار
ورب الضيعة والعالمين جمع العالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر
والجيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من
العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو فى عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء
لانهم يقولون جاءنى عالم من الناس ولا يقولون جاءنى عالم من البقر وفى
المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الاية قال
وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما وقيل انه اسم لكل
صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل
عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير
وقتاده وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل
هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقيل هم الانس لقوله
اتاتون الذكران من العالمين الاعراب الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل
مرفوع هو معنوى غير ملفوظ به وهو خلو الاسم عن العوامل اللفظية ليسند
اليه خبرا وخبره فى الاصل جملة هى فعل مسند الى ضمير المبتدا وتقديره الحمد حق
او استقر لله الا انه قد استغنى عن ذكرها للدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير
منها اليه حيث سد مسدها وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابى على

الفارسى واصل اللام للتحقيق والملك واما من نصب الدال فعلى المصدر وتقديره
احمد الحمد لله ولجعل الحمد لله الا ان الرفع فى الحمد اقوى وامدح لان معناه الحمد وجب لله
او استقر لله وهذا يقتضى العموم لجميع الخلق واذا نصبت الحمد كان تقديره احمد الله
الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة
المبنى حركة الاعراب والاول اتبع حركة المعرب حركة البناء واتبع الثانى الاول
وهو الاصل فى الاتباع والذى كسر اتبع الاول الثانى وهذا ليس باصل واكثر النحويين
ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع
فى الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف فى الكلمتين وقال ابو الفتح ابن جنى فى
كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدا بالخبر لانه اتبع فيهما
ما فى احد الجزئين ما فى الجزء الاول وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك
اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لا حظ له فى الاعراب
ولكنه يقع مبتدا فى الكلام ولا يبتدى بساكن فاختير له الفتح لانه اخف
الحركات تقول رايت زيدا وعمروا فالواو من وعمروا مفتوحة وكذلك الفاء
من فعمروا الا انهم كسروها لانهم ارادوا يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد
اذا قلت ان المال لهذا اى فى ملكه فان المال لهذا اى هو هو واذا ادخلوا هذه
اللام على مضمر ردوها الى اصلها وهو الفتح فالوا لك وله لان اللبس قد ارتفع
وذلك ان ضمير الجر مخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا لانت
الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لى لان هذه اليا لا يكون ما قبلها الا
مكسورا نحو غلامى وفرسى وهذا كله قول سيبويه وجميع النحويين المحققين
وليس من الحروف المبتداء مما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء
وحدها وقد مضى القول فيه واما لام الجزم فى ليفعل فانما كسرت ليفرق

بينها وبين اللام التوكيد نحو ليفعل فاعلم ورب العالمين مجرور على الصفة و
العامل في الصفة عند ابي الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه و
ينصبه ويجره وهو عامل معنوي كما ان المبتدا انما رفعه الابتدا وهو معنى
عمل فيه واستدل على ان الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف لانك تجد
في الصفات ما يخالف الموصوف في اعرابه نحو يا زيد العاقل لان المنادى
مبني والعاقل الذي هو صفته معرب ودليل ثان وهو ان في هذه التوابع ما
يعرب باعراب ما يتبعه ولا يصح ان يعمل فيه ما عمل في موصوفه وذلك نحو
اجمع وجمع وجمعا فلما صح وجوب هذا فيها دل ان الذي يعمل في الموصوف هو
العامل غير عامل في الصفة لاجتماعهما في انهما تابعان وقال غيره من النحويين العامل
في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما ينصبه
على المدح والثناء كانه لما قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على انه ذاكر ذكر الله
فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لو قرى في غير القرآن رب العالمين مرفوعا
على المدح ايضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر لا يبعدن قومي
الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد
الازر قد روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه في
ذلك ما ذكرناه والعالمين مجرور بالاضافة والياء فيه علامة الجر وحرف الاعراب
وعلامة الجمع والنون ههنا عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين
نون التثنية يقول هذان عالمان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين و
قيل انما فتحت نون الجمع وحقها الكسر لثقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء
من سوف والنون من اين ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء المعنى معنى
الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي يحق له العبادة لكونه

قادرا

قادرا على اصول النعم وفاعلا لها ولكونه منشئا للخلق ومربيا لهم ومصلحا
لشانهم وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف
يحمدونه قوله تعالى الرحمن الرحيم آية قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن الرحيم
للمبالغة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بشكر النعم
التي بها يستحق العبادة وههنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم
فليس فيه تكرار قوله تعالى مالك يوم الدين آية القراءة قرا عاصم والكسائي
وخلف ويعقوب الحضرمي مالك بالالف والباقون ملك بغير الف ولم يمل احد الف
مالك وجر جميعهم الكاف وروي في الشواذ عن الاعمش انه نصبها وربيعة بن
نزار يخفف فيقول ملك يوم الدين بتسكين اللام الحجة اختلفوا في ان
اي القراءتين امدح من قرا مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون
مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك
العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في الملك ما لا يصح دخوله
في الملك يقال فلان مالك الدراهم فالوصف بالمالك اعم من الوصف
بالملك والله تعالى مالك كل شيء وقد وصف نفسه بانه مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء فوصفه بالمالك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه
بالملك ومن قرا ملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم
والاحتواء على الجمع الكثير واختاره ابو بكر محمد بن السري السراج وقال ان
الملك الذي يملك الكثير من الاشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه
بالحكم عليه فكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك
الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا فمعناه انه يملك ملك
الدنيا فيؤتي الملك فيها من يشاء فاما يوم الدين فليس الا ملكه وهو ملك

الملوك يملكهم كلهم قد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير
الامراء يراد بذلك ان من دونه ملوكا وامراء ولا يقال ملك الملك ولا امير الامارة
لان امرا وملكا صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها الى المصدر فاما اضافة
ملك الى الزمان فكما يقال ملك عالم كذى وملوك الدهر الاول وملك فى زمانه
وسيد زمانه فهو فى المدح ابلغ والآية انما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى الا ترى
الى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو على الفارسى يشهد
لمن قرا مالك من التنزيل قوله والامر يومئذ لله لان قولك الامر له وهو
مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك
قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يقوى ذلك و
يشهد لقراءة من قرا ملك قوله لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك
الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو ملك ذلك اليوم
هذا مع قوله فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس وملك الناس
اللغة الملك القادر الواسع المقدور الذى له السياسة والتدبير والمالك
القادر على التصرف فى ماله وله ان يتصرف فيه على وجه ليس لاحد منعه منه
ويوصف العاجز بانه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم و
مالك بين الملك والملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت
مملكتهم الناس ومملكتهم بكسر اللام وفتحها ولى فى هذا الوادى ملك وملك
وملك ذكرها ابو على الفارسى وقال الملك للشىء اختصاص من المالك به
وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة فى الشىء كالاتساع فيه و
خلاف الحصر والقصر على الشىء الا تراهم قالوا باح السر وباحة الدار وقال
ابو بكر محمد بن السرى السراج الملك والملك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط

والشد

والشد كما قالوا ملكت العجين اى شددته قال الشاعر ملكت بها كفى فانهرت
فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها يقول شددت بهذه الطعنة كفى و
منه الاملاك ومعناه رباط الرجل بالمراة والدين معناه فى الآية الجزاء قال
الشاعر واعلم يقينا انك ما تدين تدان وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل
الدين الحساب وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وابن عباس والدين الطاعة
قال عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا والدين العادة
قال الشاعر يقول وقد درات لها وضينى اهذا دينه ابدا ودينى والدين
القهر والاستعلاء وقال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا
بغزوة وصيال ويدل على ان المراد به الجزاء والحساب قوله اليوم تجزى كل
نفس بما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون الاعراب قوله تعالى مالك
مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب
رب العالمين ويجوز ان ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على
النداء كانك قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن
قرا ملك يوم الدين باسكان اللام فاصله ملك فخفف كما يقال فخذ وفخذ و
من قرا ملك يوم الدين جعله فعلا ناصبا ويوم مجرور باضافة ملك او
مالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من
باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع فى الظرف فنصب نصب المفعول به
ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه ويوم شهدناه
سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله فكانه قال هو مالك ذلك اليوم
ولا يؤتى احدا الملك فيه كما اتاه فى الدنيا فلا مالك يومئذ غيره ومن قرا
مالك يوم الدين فانه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه و

تقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه وانما
خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق تضطرون
الى الاقرار والتسليم فاما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك ودون شاء
وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لان الساعة
مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولا بها على السعة لان الظرف اذا
جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كان الساعة ظرفا لكان
المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى
انه يعلم الساعة اى يعرفها المعنى انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا
بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الآخرة بقوله ملك يوم الدين واراد
باليوم الوقت وقيل اراد به استداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء
ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين
وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين وانما خص به يوم القيمة بذكر
الملك تعظيما لشانه وتفخيما لامره كما قال رب العرش وفي هذه الآية
دلالة على اثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لان المكلف اذا تصور
ذلك لا بد ان يرجو ويخاف قوله عز وجل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
آية اللغة العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطي
قال طرفة تباري عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد
وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران ويسمى العبد عبدا لذلته وانقياده
لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به الاعراب
قال الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في خفض
باضافة ايا اليها وايا اسم للمضمر المنصوب الا انه ظ يضاف الى سائر المضمرات

نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايا زيد حدثت
كان قبيحا لانه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه
وايا الشواب هذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا
ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر
وليس كذلك الاسم الظاهر الا ترى انه تعتقب عليه الحركات في آخره وتحل له بها
في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على انه مضمر و
ليس بمظهر قال وحكى السراج عن المبرد عن ابي الحسن الاخفش انه اسم مضمر مفرد
يتغير آخره كما يتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين والكاف في
اياك كالتي في ذلك وهي دلالة على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامة للمضمر فلا
محل لها من الاعراب واقول هذا الحكم في اياي وايانا واياه وبابها في انها
حروف تلحق ايا فاليا في اياي دليل على المتكلم والهاء في اياه تدل على الغيبة
لا على نفس الغائب ويجري التاكيد على ايا مضموما تقول اياك نفسك
رايت واياه نفسه ضربت واياهم كلهم عنيت فاعرفه ولا يجيز ابو الحسن اياك
وايا زيد ويستقبح روايتهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا
الشواب ويحمله على الشذوذ لان الغرض في الاضافة التخصيص والمضمر على
نهاية التخصيص فلا وجه اذا للاضافة والاصل في نستعين نستعون
لانه من المعونة والعون لكن الواو قلبت يا لتثقل الكسرة عليها فنقلت
كسرتها الى العين قبلها فبقي اليا ساكنة لان هذا من الاعلال الذي يتبع
بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام ورد عنا بابي مشروحا
فيما بعد ان شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح
للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابدك وانا مستعينك لقام مقامه فهذا

المعنى على فيه الرفع فاما الاعراب فى الفعل المضارع فلمضارعته الاسم لان
الاصل فى الفعل البنا وانما يعرب منه ما شابه الاسم او هو ما لحقت اول
زيادة من هذه الزيادات الاربع التى هى الهمزه والنون والتا والبا للمعجم
قوله اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان تقول نعبدك و نستعينك
لان معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا
قال الرجل اياك اعنى فمعناه لا اعنى غيرك ويكون ابلغ من ان يقول اعنيك و
العبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع
مع التعظيم باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التى هى خلق
الحيوة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه الا غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه
بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض
الشكر ويحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا يحسن العبادة لغيره وقول من قال
ان العبادة هى الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون
موافقا لامره ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا
يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه
والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور من
جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفق ونطلب المعونة
على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب
التى يحتاج اليها فى حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه
لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التى يحتاج اليها فى حصول الفعل و
اما تكرار قوله اياك فلانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا
يتقرب الى الله تعالى الا بالجمع بينهما ولا يمكنه ان يفصل بينهما اذا تفكر فى

عظمة الله تعالى كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتاكيد كما
يقال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان
جايزا قال عدى بن زيد وجاعل الشمس مصر الاخفاء به بين النهار وبين الليل
قد فصلا وقال اعشى همدان بين الاشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده و للمولود
وهذا القول فيه نظر لان التكرار انما يكون تاكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا
فى تجديد ذكره تعالى اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثانى فى الاية محمول
على نستعين ومفعول له فكيف يكون تاكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا فى تجديد
ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل ان عبادة الله تعالى لا يتاتى بغير اعانة
منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة
على الاستعانة لا على الاعانة وقد يتاتى بغير استعانة وايضا فان احدهما
اذا كان مرتبطا بالاخر لم يختلف التقديم والتاخير كما يقال قضيت حقى
فاحسنت الى واحسنت الى فقضيت حقى وقيل ان السوال للمعونة انما
يقع على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة
وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب
احكم بالحق ولانه ربما لا يكون اللطف فى ادامة التكليف ولا فى فعل المعونة
به الا بعد تقدم الدعاء من العبد وقد اخطا من استدل بهذه الاية على
ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان
لطلب المعونة وجه لان للرغبة الى الله تعالى فى طلب المعونة وجهين احدهما
ان يسال الله تعالى من الطافه وما يقوى دواعيه ويسهل الفعل عليه
ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه ان له فى فعله الثواب العظيم زاد
ذلك فى نشاطه ورغبته والثانى ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته

المستقبلة بان يجدد له العبودية حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها
وان لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها وان لا يفعل ما يضاد ما
اما العدول عن الخبر الى الخطاب فى قوله اياك نعبد الخ السورة فعلى عادة العرب
مشهودة واشعارهم من ذلك مملوة قال لبيد بانت تشكى الى النفس مجهشة
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا وقال ابو كثير الهذلى يا لهف نفسى كان
جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر فرجع من الاخبار عن النفس الى
مخاطبها فى البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه فى البيت الثانى
وقال الكسائى تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ولو
ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اى يقولون ربنا ابصرنا
وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اى يقولون **قوله عز وجل**
اهدنا الصراط المستقيم آية **القراءة** قرا حمزة باشمام الصاد الزاى الا
العجلى وبرواية خلاد وابن سعدان يشم ههنا فى موضعين فقط وقرا
الكسائى من طريق ابى حمدون باشمام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين
والباقون بالصاد **الحجة** الاصل فى الصراط السين لانه مشتق من السرط
ومسترط الطعام ممره ومنه سرطراط والاخذ سريط فمن قرا بالسين راعى
الاصل ومن قرا بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواخاة بالاستعلاء
والاطباق ولكراهة ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء فى سراط
واذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف فى صقب وصويق
ليجعلوها فى استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء
منها فان يبدلوا منها الصاد مع الطاء اقرب الا ترى انهما جميعا من حروف
طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم فى الصاد ومن قرا باشمام

الزاى

الزاى فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاى
من غير ابطال الاصل **اللغة** الهداية فى اللغة الارشاد والدلالة على الشئ
يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اى دال مرشد قال
طرفة للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه والهداية التوفيق
فلا تجعلن هداك المليك فان لكل مقام مقالا اى وفقك والصراط
الطريق الواضح المتسع وسمى بذلك لانه يسرط المارة اى يبتلعها والمستقيم
المستوى الذى لا اعوجاج فيه قال جرير امير المومنين على صراط اذا اعوج
الموارد مستقيم **الاعراب** اهد مبنى على الوقف وفاعله الضمير المستكن
فيه لله سبحانه والهمزة مكسورة لان الثالث المضارع منه مكسور وموضع
النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه
مفعول ثان **المعنى** قيل فى معنى اهدنا وجوه احدها ان معناه ثبتنا
على الدين الحق لان الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل
وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسال الله تعالى ان يثبته على دينه
ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التى هى احد اسباب الثبات
على الدين كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل
لغيره وهو يا كل كل اى دم على الاكل وثانيها ان الهداية هى الثواب كقوله تعالى
ان الهداية هو الثواب كقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا
طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا وثالثها ان المراد
دلنا على الدين الحق فى مستقبل العمر كما دللتنا عليه فى الماضى ويجوز الدعاء
بالشئ الذى يكون حاصلا كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية
عن ابراهيم ولا تخزنى يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار

الانقطاع الى الله تعالى فان قيل ما معنى المسئلة فى ذلك وقد فعل الله فحوابه
انه يجوز ان يكون لنا فى الدعاء به مصلحة فى ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر
التسبح والتحميد والاقرار لربنا عز وجل بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك
ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشيا كثيرة تكون اصلح لنا اذا سألناه
واذا لم نسئله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجها فى حسن المسئلة ويجوز
ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان ادامته ليس بواجب
بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل فى معنى الصراط
المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله وهو المروى عن النبى صلى الله عليه واله
وعن على عليه السلم وابن مسعود وثانيها انه الاسلام وهو المروى عن جابر
وابن عباس والثالث انه دين الله الذى لا يقبل عن العباد غيره عن محمد
بن الحنفية والرابع انه النبى والائمة القائمون مقامه وهو المروى فى
اخبارنا والاولى حمل الاية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لان الصراط
المستقيم هو الدين الذى امر الله تعالى به من التوحيد والعدل وولاية
من اوجب الله طاعته قوله تعالى صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ اية القراءة قرا حمزة عليهم بضم
الهاء واسكان الميم ولذلك لديهم واليهم وقرا يعقوب بضم كل هاء
قبلها ياء ساكنة فى التثنية وجمع المذكر والمونث نحو عليهما وفيهما وعليهم
وفيهم وعليهن وفيهن وقرا الباقون عليهم واخواتها بالكسر وقرى فى
الشواذ عليهمو قراءة ابن ابى اسحق وعيسى الثقفى وعليهم قراءة الحسن
البصرى وعمرو بن فايد وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو وعليهم
مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو ومرويتان عن الاعرج فهذه سبع

قرآت ثم اختلف القراء فى الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها
او انكسرت قالوا عليهمو وعلى قلوبهمو وعلى سمعهم وسمعهمو وابصارهمو الا ان نافعا سمعهم
اختلف عنه فيه والباقون يسكنون الميم فاما اذا القى الميم حرف ساكن فان
القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يمضون على كسر الهاء ويضمون
الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين وابو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة و
الكسائى يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف فى الهاء التى قبلها
كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن فى الهاء الا الضم وقرى
صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير وروى ذلك عن اهل
البيت عليهم السلام وقرى فى الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقراء
وغير الضالين عمر بن الخطاب وروى ذلك عن على عليه السلم الحجة من قرا
عليهم بضم الهاء فانه رده الى الاصل لانه اذا انفرد من حروف يتصل بها قيل
هم فعلوا بضم الهاء قال الزجاج وهى القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز
ومن حولهم من فصحاء اليمن وانما خص حمزة هذه الحروف الثلثة بالضم لان
الياء قبلها كانت الفا مثل على القوم ولدى القوم والى القوم ولا يجوز كسر الهاء
اذا كان قبلها الف ومن قرا عليهمو فانه اتبع الهاء ما اشبهها وهو الياء
وترك ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الميم ومن قرا عليهم فكسر
الهاء واسكن الميم فلانه امن من اللبس اذا كانت الالف فى التثنية قد دلت
على الاثنين ولا ميم فى الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم
طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل وانما كسر الهاء مع ان الاصل الضم
للياء التى قبلها ومن قرا عليهمو فلانه الاصل لان هذه الواو فى الجمع

وسيلة الالف في التثنية اعني ان اثبات الواو كثبات الالف ومن قرا عليهمي
فانه كسر الهاء لوقوع اليا قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسرة الهاء
الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء
وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة اذا كانت
الف التثنية تفتحها لكنه حذف الواو تفاديا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن
قرا عليهم فانه حذف الواو واستخفافا واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها
واما من ضم الميم اذ الفها ساكن وكسر الهاء فانما يحتج بان يقول لما احتجت
الى الحركة رددت الحرف الى الاصل فضممت وتركت الهاء على كسرها لانه لم تات
ضرورة تحوج الى ردها الى الاصل ولان الهاء انما تبعت اليا لانها شبهت بها
ولم يتبعها الميم لبعدها منه واحتج من كسر الميم والهاء بان يقول اتبعت
الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر اذا كان قبلها ياء
او كسرة لانها خفيفة وهي من حروف الزيادة كما ان اليا من حروف الزيادة
وهي من موضع الالف وهي اشبه من الحروف باليا كما امالوا الالف في
مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا الواو يا لانه لا يثبت
واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مررت بهي ومررت بدارهي مثل
الاعراب صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا
عنه والفصل بين الصفة والبدل ان البدل في تقدير تكرير العامل بدلالة
تكرير حرف الجر في قوله تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
لمن امن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم
فكذلك العامل الرافع او الناصب في تقدير التكرير فكانه قال اهدنا

الصراط الذين وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين للاول
كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يجز سيبويه بي المسكين كان الامر ولا بك المسكين
كما اجاز ذلك في الغايب نحو مررت به المسكين والذي موصول وانعمت عليهم
صلة وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يقال في
الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد يحكى اللذون شاذا كما حكى الشياطون
في حال الرفع واما غير المغضوب عليهم ففي الجر فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون
بدلا من الهاء في عليهم وثانيها ان يكون بدلا من الذين وثالثها ان يكون صفة
للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مررت برجل غيرك كانك
قلت مررت برجل اخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لان الذين
ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لامر بالرجل مثلك فاكرمه
وقال علي بن عيسى الرماني انما جاز ذلك ان يكون نعتا للذين لان الذين
بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما هي كالنكرات
اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك
ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما
جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج
والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لان حكم
كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما
الى المعارف من اجل معناهما وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شي
ترى سوى المخاطب هو غيره وكذلك اذا قلت رايت مثلك فما هو
مثلك لا يحصى فاما اذا كان شي معرفة له ضد واحد واردت اثباته و
نفي ضده وعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة

وليس في عليهم كقول الشاعر على حالة ... لو ان في القوم ... ما بالها حاتم ... البدل من الهاء

ويكون غير زيدا ... الاستثناء ... يحسب العوامل فتقول
جاءني غير زيد ... ومارايت غير زيد ... فالقاعدة ... زيد اذا
رفعتها ... غير ... بالاعراب الذي يحسب الاسم الواقع
بعد الا ... بالنصب على ... فتقول
زيد ... الرفع والنصب على ... الاستثناء
... غير زيد بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء
الا زيد و ... مصباح المنير
... شبهه

وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركه
فكانك كررت الحركة تاكيدا فكذلك قوله تعالى الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم فغير المغضوب هم الذين انعم عليهم فمتى كانت غير بهذه الصفة
فهي معرفة وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل
فيه قد جاء مثلك كان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن
جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لان النكرة قد تبدل من المعرفة
وفي نصب غير ثلثة اوجه ايضا احدها ان يكون نصبا على الحال من المضمر
في عليهم والعامل في الحال انعمت فكانه قال صراط الذين انعمت عليهم لا
مغضوبا عليهم وثانيها ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لان
المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم وثالثها ان يكون نصبا
على اعني كانه قال اعني غير المغضوب ولم يجز ان يقال غير المغضوبين
عليهم لان الضمير قد خرج في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب و
هذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رايت القوم غير مذهوب بهم اي استغنيت
بالضمير المجرور في بهم عن جميع المذهوب واما لا من قوله ولا الضالين
فذهب البصريون الى انها زايدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون الى
انها بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو
احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت
ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغيره متضمن معنى النفي ولهذا اجاز
النحويون انت زيدا غير ضارب لانه بمنزلة قولك انت زيدا لا ضارب
ولا يجيزون انت زيدا مثل ضارب لان زيدا من صلة ضارب فلا
يتقدم عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل

لاصلة

لا صلة كما انشد ابو عبيدة في بئر لا حور سرى وما شعر في بئر هلكه وتقديره غير
المغضوب عليهم ولا الضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد المعنى
واللغة معنى الاية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك
وهم الذين ذكرهم الله تعالى في ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة المبالغة
والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في
اللفظ فالكلام يدل عليها لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد
بذلك بين ان اهل الصراط من انعم عليهم به ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة
كانك من جمال بني اقيش يقعقع خلف رجليه بشن اي كانك من جمالهم جمل
يقعقع خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص
والعام ويدل عليه قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا
لهم كونوا قردة خاسئين واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل
وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرئ اليهود عن الضلالة باضافة
الضلالة الى النصارى ولم يبرئ النصارى عن الغضب باضافة الغضب الى
اليهود بل كل واحدة من الطايفتين مغضوب عليهم وهم ضالون الا ان
الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا
مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار
وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفايدتين واختار الامام عبد القاهر
الجرجاني قولا اخر قال ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول
نعوذ بالله ان تكون حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد به قوما

باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت
عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد ان ههنا قوما باعيانهم قد
اجمعوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام
ان العقلاء يقولون اجعلني ممن تديم له النعمة وهم يريدون ان يقولوا
ادم علي النعمة فلا يشك عاقل اذا نظر الى قول عنترة ولقد نزلت فلا تظني
غيره مني بمنزلة المحب المكرم انه لم يرد ان يشبهها بانسان هو محب مكرم
عنده او عند غيره ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرمة عندي واما
الغضب من الله تعالى فهو ارادة انزال العقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته
منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة الصخرة الصلبة الشديدة
المركبة في الجبل والغضوب الحية الخبيثة والناقة العبوس واصل الضلال
الهلاك ومنه قوله ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله واضل
اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين
انعمت عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختيارا
لحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم
عن ابي عبد الله عليه السلم قال سألته عن قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثنى فيها القول قال وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كنز
الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله تعالى فيها واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم دعوى اهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب ومالك يوم الدين
قال جبرئيل عليه السلم ما قالها مسلم الا صدقه الله واهل سماواته اياك نعبد اخلاص

للعبادة

للعبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط
المستقيم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود
ولا الضالين النصارى وروى محمد بن الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام انه
كان يقرأ ملك يوم الدين ويقرأ اهدنا الصراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني
يعني امير المؤمنين عليه السلم وروى جميل عن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا كنت
خلف امام وفرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين
وروى فضيل بن يسار عنه عليه السلم قال اذا قرأت الفاتحة ففرغت
من قراءتها وانت في الصلوة فقل الحمد لله رب العالمين النظم وانما نظم
هذه السورة فاقول فيه ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة
وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد واصدق رائد ابتدأ باية التسمية
استفتاحا باسم المنعم واعترافا بالهيته واسترواحا الى ذكر فضله ورحمته
ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولما راى
نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد اثارها على نفسه لائحة عرف انه
رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين فلما راى شموله فضله للمربوبين
وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما راى تقصيرهم في واجب شكره
وتعذيرهم في الانزجار عند زجره واجتناب نهيه وامتثال امره وانه
تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولا يؤاخذهم عاجلا بالعصيان ولا يسلبهم
نعمه بالكفران قال الرحيم ولما راى ما بين العباد من التباغي والتظالم
والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم من شر بعض بسالم علم ان وراءهم
يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا
عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقا رازقا رحيما يحيي ويميت ويبدئ

ويعبد وهو الحى لا يشبهه شى والاله الذى لا يستحق العبادة سواه ولما صار
الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن
لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف
الملك بصفاته فاذا راه عدل عن الوصف الى الخطاب ولما راى اعراض الاهواء
والشبهات وتعاور الاهواء المختلفات ولم يجد معينا غير الله تعالى ساله
الاعانة على الطاعات بجمع الاسباب لها والوصلات فقال واياك نستعين
وتعاور لما عرف هذه الجملة وتبين انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام
على منهج الهدى ولم يامن العثرة لارتفاع العصمة سال الله تعالى التوفيق
للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم
وهذا لفظ جامع يشتمل على مسئلة معرفة الاحكام والتوفيق فانه يتراى
الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتناب
المحادم فى الانام واذا علم ذلك علم ان الله سبحانه عبادا خصهم بنعمته
واصطفاهم على بريته وجعلهم حججا على خليقته فساله ان يلحقه بهم
ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال الزالين المولين والضالين
المضلين ممن غالب الحق وعمى عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد
فغضب الله عليه ولعنه واعدّ له الخزى المقيم والعذاب الاليم او شك
فى واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين سورة البقرة مدنية كلها الا آية منها
وهى قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانها نزلت فى حجة الوداع
بمنى عدد آياتها مائتان وست وثمانون آية فى العدد الكوفى وهو العدد
المروى عن امير المؤمنين عليه السلام وسبع فى العدد البصرى وخمس حجازى

واربع

واربع شامى خلافها احدى عشرة آية عد الكوفى الم آية وعد البصرى الا خائفين
وقولا معروفا عذاب اليم مصلحون غيرهم يا اولى الالباب عراقى والمدنى
الاخير من خلاف الثانى غير المدنى الاخير يسالونك ماذا ينفقون مكى والمدنى
الاول تتفكرون كوفى شامى والمدنى الاخير الحى القيوم مكى بصرى والمدنى
الاخير الظلمات الى النور المدنى الاول وروى عن اهل مكة ولا يضار كاتب
ولا شهيد فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله قال ومن قراها
فصلوات الله عليه ورحمته واعطى من الاجر كالمرابط فى سبيل الله سنة
لا تسكن روعته وقال لى يا ابى مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان
تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة
قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله ص
ان لكل شى سناما وسنام القران سورة البقرة من قراها فى بيته نهارا
لم يدخل بيته شيطان ثلثة ايام ومن قراها فى بيته ليلا لم يدخله
شيطان ثلث ليال وروى ان النبى صلى الله عليه واله بعث بعثا ثم
تبعهم يستقريهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القران
حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ماذا معك من القران قال كذا وكذا
وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله هو احدثنا
سنا قال معه من القران سورة البقرة وسئل النبى صلى الله عليه واله
اى سور القران افضل قال البقرة قال اى البقرة افضل قال آية الكرسى
وقال الصادق عليه السلام من قرا البقرة وآل عمران جاءا يوم القيمة
تظلانه على راسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين تفسيرها
بسم الله الرحمن الرحيم الم آية كوفى اختلف العلماء

في حروف المعجمة المفتتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من المتشابهات
التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها الا هو وهذا هو المروي
عن ائمتنا عليهم السلام وروي عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال لكل
كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي
قال لله في كل كتاب سر وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة
في اوايل السور وفسرها الآخرون على وجوه احدها انها اسماء السور
ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم وثانيها ان المراد بها الدلالة على
اسماء الله تعالى فقوله الم معناه انا الله اعلم واري والمص معناه انا
الله اعلم وافصل والكاف في كهيعص من كاف والهاء من هاد والياء
من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه
ايضا ان الالف لام منه يدل على اسم الله واللام يدل على اسم جبرئيل والميم
يدل على اسم محمد وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن
موسى الرضا عليه السلم قال سئل جعفر الصادق عليه السلم عن قوله
الم فقال في الالف ست صفات من صفات الله عز وجل الابتداء
فان الله تعالى ابتدا جميع الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء
فهو عادل غير جاير والالف مستو في ذاته والانفراد فالله فرد والالف
فرد واتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلهم يحتاجون الى الله
والله غني عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة
به وهو منقطع من غيره والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه
ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك
الالف علة بالفة الحروف وهو سبب الفتها وثالثها انها اسماء الله

تعالى

تعالى منقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم يقول الر و
حم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها والجمع
بينها عن سعيد بن جبير ورابعها انها اسماء القرآن عن قتادة وخامسها
انها اقسام اقسم الله تعالى بها وهي من اسمائه عن ابن عباس وعكرمة
قال الاخفش وانما اقسم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها
ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته
العلى واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه
ويوحدونه فكانه اقسم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه وسادسها
ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وليس فيها حرف الا وهو
في آلائه وبلائه وليس فيها حرف الا وهو في مدة قوم وآجال آخرين عن
ابي العالية وقد ورد ايضا مثل ذلك في اخبارنا وسابعها ان المراد
بها مدة بقاء هذه قال علي بن فضال الامة عن مقاتل بن سليمان قال
مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في اوايل السور باسقاط المكرر فبلغت
سبع مائة واربعا واربعين سنة وهي بقية هذه الامة قال علي بن فضال
المجاشعي النحوي وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة
الاف وخمسا وستين فحذفت المكررات فبقي ستمائة وثلث وتسعون
والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا فوجدتها كذلك ويروى
ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد قصيرة انما يبلغ احدى و
سبعين سنة فلما نزلت المر والر والمص وكهيعص اتسع
عليهم الامر هذه اقوال اهل التفسير وثامنها ان المراد بها حروف
المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في اوايل السور عن ذكر بواقيها التي هي

هي تمام الثمانية والعشرين حرفا كما يستغنى بذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال انني في ابجد في اب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز لما رايت انها في حطي اخذت منها بقرون شمط وانما اراد الخبر عن المرأة بانها في ابجد فاقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه وتاسعها انها تسكيت للكفار لان المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يسمعوا لهذا القران وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الاية فربما صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليغلطوا النبي صلى الله عليه فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه و تفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القران في مسامعهم و يكون ذلك سببا موصلا لهم الى درك منافعهم وعاشرها ان المراد بها ان هذا القران الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لان العادة لم تجر بان الناس يتفاوتون في القدرة هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المحكي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني **اللغة** اجود هذه الاقوال القول الاول المحكي عن الحسن لان اسماء الاعلام منقولة الى التسمية عن اصولها للتفرقة بين المسميات فيكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب نظير قالوا اوس ابن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمل نحو تابط شرا وبرق نحره وكل كلمة لم تكن على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن الا منقولا الى العلمية وكذلك

اشباهه ولو سميت بالم لحكيت جميع ذلك واما قول ابن عباس انه اختصار من اسماء يعلم النبي صلى الله عليه واله تمامها فنحوه قول الشاعر نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الاخر قلنا لها قفي لنا قالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف يريد قالت انا واقفة **الاعراب** اما موضع الم من الاعراب فيختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فموضعها رفع على اضمار مبتدى محذوف كانه قال هذه الم واجاز الرماني ان يكون الم مبتدا وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لان حكم المبتدا ان يكون هو الخبر في المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع النصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب من جعلها قسما فموضعها نصب باضمار فعل لان الحرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى المقسم به فينصبه فان معنى قولك بالله اقسم بالله ثم حذفت اقسم فبقي بالله فلو حذفت الباء لقلت الله لا فعلن واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لانها بمنزلة قولك زيد قائم في ان موضعه لا حظ له في الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد كقوله زيد ابوه قائم وان زيدا ابوه قائم لانه بمنزلة قولك زيد قائم وان زيدا قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لانها مبنية على السكت كما ان العدد مبني على السكت يدل على ذلك جمعك بين الساكنين في قولك لام ميم ويقول في العدد واحد اثنان ثلثة بالتاء ويدل عليه قول الشاعر

اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف تكتبان في الطريق

لَامَ الالف كانه قال لام الِف ولكنه الغى حركة همزة الالف على الميم ففتحها واذا
اخبرت عن حروف الهجاء او اسماء الاعداد اذا عربتها لانك ادخلتها بالاخبار
عنها في جملة الاسماء المتمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال
الشاعر كما بُيِّنَتْ كافٌ تلوحُ وميمُها وقال اخر اذا اجتمعوا على الف وباء
وواو هاج بينهم جدال وتقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من
ذكره فعلى معنى الحرف ومن انث فعلى معنى الكلمة قوله تعالى ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ اية القراءة قرا
ابن كثير فيهي هدى بوصل الهاء بياء في اللفظ وهاء كناية قبلها ياء ساكنة
فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص في قوله فيهي
مهانا وقتيبة في قوله فملاقيه وساصليه والباقون لا يشبعون واذا
تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على اشباعه الحجة اعلم انه يجوز
في العربية في فيه اربعة اوجه فيهو وفيهي وفيهُ وفيهِ والاصل فيهو كما قيل
لهو مال الفتى كسر من فيه ونحوه مع ان الاصل الضم لاجل الياء او الكسر ما قبلها
قبل الهاء والهاء تشبه الالف لكونها من حروف الحلق ولما فيها من الخفاء
فكما نحوا بالالف نحو الياء بالامالة لاجل الكسرة او الياء كذلك كسروا الهاء
للكسرة او الياء ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكراهة اجتماع
المتشابهة فان الهاء حرف خفي فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين
كان كان الساكنين التقيا لخفاء الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا
في نحو فيهي وخذه وهو كما لم يعتدوا بها في نحو ردّه من اتبع الضم الضم اذا
وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم
وجعل الدال كانها لازقة بالالف واما من اسبع واتبعها الياء قال

قال الهاء وان كانت خفيفة فليس يخرجها ذلك من ان يكون كغيرها
من حروف المعجم التي لا خفاء فيها فاذا كان كذلك كان نجرها بين الساكنين
كجرها من الحروف التي لا خفاء فيها اللغة ذلك لفظ يشار به الى
ما بعد وهذا الى ما قرب والاسم المذكور من ذلك ذا والكاف زيدت
للخطاب ولاحظ لها من الاعراب واللام تزاد للتوكيد وكسرت لالتقاء
الساكنين وتسقط مع هاء تقول ذلك وذاك وهذاك ولا تقول
هذالك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر
بشرت عيالي اذ رايت صحيفة اتتك من الحجاج يتلى كتابها اي
مكتوبها واصله الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خرزتها والكتبة
الخرزة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه قيل للجند
كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو اسوء الشك
وهو مصدر رابني الشيء من فلان يريبني اذا كنت مستيقنا منه
بالريبة فاذا اساءت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابني
من فلان امر ارابه واراب الرجل اي صار صاحب ريبة كما قيل الامر
يستحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وفعل قليل في المصادر
قال ابو علي يجوز ان يكون فعل مصدرا اختص به المعتل وان لم يكن في الصحاح
كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين
يتعدى الى الثاني منهما باحد حرفي جر الى واللام كقوله واهدنا الى سواء
الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منه حرف الجر فيصل
الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلك بنا
فيه وكانه استنجاز لما وعدوا به في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه

سبل السلام اى سبل دار السلام والاصل فى المتقين الموتقيين مفتعلين من
الوقاية فقلبت الواو تاء وادغمتها فى التاء التى بعدها وحذفت الكسرة عن
الياء استثقالا لها ثم حذفتها لالتقاء الساكنين فبقى متقين والتقوى
اصله وقوى فقلبت الواو تاء كالتراث اصله وراث واصل الاتقاء
الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بالترس اى جعله حاجزا بينه وبينه قال
الشاعر فالقت قناعا دونها الشمس واتقت باحسن موصلين كف و
معصم ومنه الوقاية لانها تمنع رؤية الشعر الاعراب ذلك فى موضع
رفع من وجوه احدها ان تجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه وثانيها
ان يكون مبتدا والكتاب خبره وثالثها ان يكون مبتدا والكتاب
عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة فى موضع الخبر
ورابعها ان يكون مبتدا وخبره هدى ويكون لا ريب فيه فى موضع الحال
والعامل فى الحال معنى الاشارة وخامسها ان يكون لا ريب فيه وهدى
جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حلو حامض اى جمع الطعمين ومنه قول
الشاعر من يك ذا بت فهذا بتى مقيظ مصيف مشتى وسادسها
ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب واذا حملت
على هذا الوجه او على انه مبتدا ولا ريب الخبر او على انه خبر الم اى على ان
الكتاب خبر عنه كان قوله هدى فى موضع نصب على الحال اى هاديا
للمتقين والعامل فيه معنى الاشاره او الاستقرار الذى يتعلق به فيه
وقوله لا ريب فيه قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين
وقال غيره من حذاق النحويين جعل لا مع النكرة الشايعة مركبا
فهو اوكد من تضمين الاسم معنى الحرف لانه جعل جزءا من الاسم بدلالة

انك

انك تضيف اليه مجموعا وتدخل عليه حرف الجر فتقول جئتك بلا مال
ولا زاد فلما صار كذلك بنى على الفتح وهما جميعا فى موضع الرفع على الابتداء
فموضع خبره موضع خبر المبتدا وعلى هذا فيجوز ان يجعل فيه خبرا ويجوز ان
يجعله صفة واضمرت الخبر وان تجعله خبرا كان موضعه رفعا فى قياس
قول سيبويه من حيث يرتفع خبر الابتداء وعلى قول ابى الحسن الاخفش
موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لان الحكم
له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به فى الاصل الا ترى ان
الضمير قد صار فى الظرف واما قوله هدى فيجوز ان يكون فى موضع رفع
من ثلاثة اوجه غير الوجه الذى ذكرناه قبل وهو ان يكون خبرا عن ذلك
احدها ان يكون مبتدا وفيه الخبر على ان تضمر لا ريب خبرا كانك قلت
لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون على قوله لا ريب ويبتدى
فيه هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبرا عن لا ريب
واضمرت لهدى خبرا كانك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على
هذا الوجه على قوله والوجه الثالث ان يكون خبر المبتدى محذوف تقديره
هو هدى المعنى المراد بالكتاب القران وقال الاخفش ذلك بمعنى
هذا لان الكتاب كان حاضرا وانشد لخفاف بن ندبة اقول له والرمح
يأطر متنه تامل خفافا اننى انا ذلكا اى انا هذا وهذا البيت يمكن اجراؤه
على ظاهره اى اننى ذلك الرجل الذى سمعت شجاعته واذا جرى للشىء
ذكر يجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت وتقول انفقت
ثلثة وثلثة فهذا ستة وانما هذا القرية بالاخبار عنه وتقول ذلك
لكونه ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء

فان تجعله

ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا القران ذلك الكتاب الذي
وعدتك عن الفراء وابي علي الجبائي وقيل معناه هذا القران ذلك الكتاب
الذي وعدتك به في الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب
التورية والانجيل فقوله فاسد لانه وصف الكتاب بانه لا ريب فيه وانه
هدى ووصف ما في ايدي اليهود والنصارى بانه محرف بقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه اي انه بيان وهدى وحق
ومعجز فمن ههنا استحق الوصف بانه لا شك فيه لا على جهة الاخبار
بنفي شك الشاكين وقيل انه على الحذف كانه قال لا سبب شك فيه
لان الاسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبيس والتعقيد
والتناقض والدعاوي العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن
كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهي وان كان لفظه الخبر اي لا
ترتابوا ولا تشكوا فيه كقوله تعالى لا رفث ولا فسوق واما تخصيص
المتقين بان القران هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلانهم
هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال انما انت منذر من يخشيها
وان كان عليه السلم منذر الكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره من
يخشى نار جهنم على انه ليس في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على
انه ليس بهدى لغيرهم وبين في اية اخرى انه هدى للناس فصل في
التقوى والمتقي روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال جمع التقوى في
قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي الذي
اتقى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي يتقي بصالح
اعماله عذاب الله وسال عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى

فقال

فقال هل اخذت طريقا ذا شوك فقال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت
وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال خل
الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقوى واصنع كماش فوق ارض الشوك
يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله انما سمي المتقون لتركهم ما لا باس به حذرا للوقوع
فيما به باس وقال عمر بن عبد العزيز التقي ملجم كالمحرم في الحرم وقال
بعضهم التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك
قوله تعالى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ آية القراءة قرا ابو جعفر وعاصم
في رواية الاعشى عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يومنون ويا كلون
ويوتون وبيس ونحوها ويترك كثيرا من المتحركة مثل يود ولا يواخذكم
ويويد بنصره ولمذهب ابي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما ابو عمرو
فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل ننساها
ويسؤكم ويهي لكم ومن يشا وانبئهم واقرا كتابك ونحوها فانه لا
يترك الهمزة فيها وروي عنه الهمزة ايضا في الساكنة واما نافع فيترك
كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يومنون ولا
يواخذكم واختلف قراءة الكسائي وحمزة ولكل واحد منهم مذهب
فيه يطول ذكره فالهمزة على الاصل وتركه للتخفيف اللغة والاعراب
الذين جمع الذي واللائي واللاتي جمع التي وتثنيتهما اللذان واللتان
في حال الرفع واللذين واللتين في حال الجر والنصب وهي من الاسماء
التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما واي وصلاتها لا تكون الا جملا

خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول
فاذا استوفت الموصولات صلاتها كانت فى تاويل اسم مفرد مثل زيد و
عمرو يحتاج الى جزء آخر تصير به جملة فقوله الذين موصول و يؤمنون صلة
ويحتمل ان يكون محله نصبا وجرا ورفعا فالنصب على المدح تقديره اعنى
الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا
كانه لما قيل هدى للمتقين قيل من هم فقيل هم الذين يؤمنون بالغيب
فيكون خبر مبتدا محذوف و يؤمنون معناه يصدقون والواو فى موضع
الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل فى يفعل يؤفعل
ولكن الهمزة حذفت لانك اذا ابنات عن نفسك قلت انا ايفعل
فكانت تجتمع همزتان فاستثقلت فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعل
ثم حذفت من الصيغ الاخر نحو يفعل و تفعل و نفعل كما ان باب يعد
حذفت منه الواو ولوقوعها بين ياء وكسرة اذ الاصل يوعد ثم حذفت
فى تعد واعد ونعد ليجرى الباب على سنن واحد قال الازهرى اتفق
العلماء على ان الايمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن
لنا اى ما انت بمصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما امنت ان اجد صحابة
اى ما وثقت فالايمان هو الثقة والتصديق قال الله تعالى الذين
آمنوا باياتنا اى صدقوا ووثقوا به وقال الشاعر انشده ابن الانبارى
ومن قبل آمنا وقد كان قومنا يصلون للاوثان قبل محمدا معناه
آمنا محمدا اى صدقناه ويجوز ان يكون آمن من قياس فعلته فافعل
تقول آمنته فامن مثل كببته فكب والامن خلاف الخوف والامانة
خلاف الخيانة والامون الناقة القوية كانها يؤمن عثارها اى كلالها

ويجوز

ويجوز ان يكون آمن بمعنى صار ذا امن على نفسه باظهار التصديق نحو اجرب
واجاه واصح واسلم صار ذا سلم اى خرج عن ان يكون حربا هذا فى اصل اللغة
اما فى الشريعة فالايمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله و
انبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا
فى وصف القديم تعالى المؤمن فانه يحتمل تاويلين احدهما ان يكون من
آمنت المتعدى الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدى الى مفعولين فصار من
امن زيد العذاب وامنته العذاب فمعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه
من اوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط و
هذا الوجه مروى فى اخبارنا والاخر ان يكون معناه المصدق اى
يصدق الموحدين على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله
الا هو لان الشاهد مصدق لما يشهد به كما انه مصدق من يشهد له
و قوله فاذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدين واما الغيب فهو ما غاب
عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كانه اجمال لما فصل فى قوله كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله اى يؤمنون بما كفر به الكفار من وحدانية
الله وانزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار و
المجرور فى موضع نصب بانه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون المراد
يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين ومثله قوله وخشى الرحمن
بالغيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور فى موضع الحال اى يؤمنون غائبين
عن مراءاة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لاحد ولكن يخلصونه
لله ويقيمون الصلوة يؤدونها بحدودها وفرائضها يقال اقام القوم
سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء وقال الشاعر اقامت غزالة

سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا وقال ابو مسلم يقيمون اى يديمون
اداء فرضها يقال للشئ الراتب قايم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند و
الصلوة فى اللغة الدعاء قال الاعشى واقبلها الريح فى ظلها وصلى على دنها
وارتسم اى دعا لها ومنه الحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان
صائما فليصل اى فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلا فى الركوع
وهو عظم فى العجز وقوله ومما رزقناهم ما هذه حرف موصول ورزقناهم
صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن رزقناهم فى موضع جر من
الجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطاء
الجارى وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال ويقال انفق ماله
اى اخرجه عن ملكه ونفقت الدابة اذا خرج روحها والنافقا جحر
اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق لان المنافق يخرج الى المؤمن بالايمان
والى الكافر بالكفر المعنى لما وصف القران بانه هدى للمتقين بين صفة
المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب اى يصدقون بجميع ما اوجبه الله
تعالى او ندب اليه او اباحه وقيل يصدقون بالقيمة والجنة والنار
عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن
العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابه وهذا اولى لعمومه ويدخل
فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدى عليه السلم ووقت خروجه
وقيل الغيب هو القران عن زر بن حبيش وقال الرمانى الغيب خفا الشئ
عن الحس قرب او بعد الا انه كثرت صفة غائب على البعيد الذى لا
يظهر للحس وقال البلخى الغيب كل ما ادرك بالدلايل والايات مما يلزم
معرفته وقالت المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا

فمنهم

فمنهم من اعتبر الفرايض والنوافل ومنهم من اعتبر الفرايض حسب واعتبروا
اجتناب الكبائر كلها وقد روى الخاص والعام عن على بن موسى الرضا عليه
السلم ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان
وقد روى ذلك على لفظ اخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان
بالعقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان هو المعرفة بالله وبرسله
وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشئ فهو مصدق به ويدل عليه
هذه الاية فانه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق
للمخبر فيما اخبر به من الغيب على معرفة وثقة ثم افرده بالذكر عن ساير الطاعات
البدنية والمالية وعطفهما عليه فقال ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون والشئ لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه
ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافه الى القلب فقال وقلبه مطمئن
بالايمان وقال اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وقال النبى صلى الله
عليه واله الايمان سر واشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى
الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه متى صدر عن شك او جهل كان ايمانا
لفظيا لا حقيقيا وقد يسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا
كما يسمى تصديقا كذلك فيقال فلان تصدق افعاله مقاله ولا خير
فى قول لا تصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقى فاتفاق اهل اللغة
وانما استعير له هذا الاسم على الوجه الذى ذكرناه فقد آل الامر مع
تسليم صحة الخبر وقبول الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والتصديق
به على نحو ما تقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل
فى الاقرار باللسان والعمل بالاركان مجازا واتساعا وبالله التوفيق

وقد ذكرنا فى قوله الذين يقيمون الصلوة وجهين اقتضاهما اللغة وقيل
ايضا انه مشتق من القيام فى الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلوة
وانما ذكر القيام لانه اول اركان الصلوة وامدها وان كان المراد به هو
وغيره والصلوة فى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة وهذا يدل على
ان الاسم ينقل من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس بنقل بل هو تخصيص
لانه يطلق على الذكر والدعاء فى مواضع مخصوصة وقوله تعالى ومما
رزقناهم ينفقون يريد ومما اعطيناهم وملكناهم يخرجون على وجه
الطاعة وحكى عن ابن عباس انه الزكوة المفروضة وعن ابن مسعود
انه نفقة الرجل على اهله لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة وعن الضحاك
هو التطوع بالنفقة وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلم ان معناه
ومما علمناهم يبثون والاولى حمل الاية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح
ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الاية تدل على ان الحرام
لا يكون رزقا لانه تعالى مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام
لا يستحق المدح على الانفاق بالانفاق فلا يكون رزقا النزول قال
بعضهم هذه الاية تناولت مؤمنى العرب خاصة بدلالة قوله فيما بعد
والذين يؤمنون بما انزل اليك الاية فهذا فى مؤمنى اهل الكتاب اذ لم
يكن للعرب كتاب قبل القرآن وهذا غير صحيح لانه لا يمتنع ان تكون الاية
الاولى عامة فى جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة فى قوم منهم
ويجوز ان يكون المراد بالايات قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بان جمع
بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة فى المزدحم قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل

اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون آية

القراءة اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يمدون حرفا لحرف وهو ان يكون
المدة من كلمة والهمزة من اخرى نحو بما انزل اليك ونحوه اما اهل الكوفة وابن عامر
وورش من نافع فانهم يمدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية
الاعشى والباقون يمدون مدا وسطا من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه
للتخفيف واما السكتة بين المد والهمزة فعن حمزة ووافقه عاصم والكسائى
على الخلاف عنهما وكان يقف حمزة قبل الهمزة ايضا فيسكت على اللام شيئا
من قوله بالآخرة ثم يبتدى بالهمزة وكذلك يقطع على اليا من شىء كانه يقف
ثم يهمز والباقون بغير سكتة اللغة اليك وعليك ولديك الاصل
فيها الاك وعلاك ولداك الا ان الالف غيرت مع المضمر فابدلت ياء
ليفصل بين الالف فى آخر الاسم المتمكن وبينها فى آخر غير المتمكن الذى الاضافة
لازمة له الا ترى ان الى وعلى ولدى لا تنفرد من الاضافة وشبهت بها
كلا اذا اضيفت الى المضمر لانها لا تنفرد ولا يكون كلاما الا بالاضافة وما
موصولة وانزل صلته وفيه ضمير يعود الى ما والموصول مع صلته فى موضع
جر بالباء والجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول يؤمنون ويؤمنون
صلة للذين والذين يؤمنون فى موضع جر بالعطف والعطف فيه على
وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الآخر والآخر ان
يكون جمع الاوصاف لموصوف واحد المعنى ثم بين تعالى تمام
صفة المتقين فقال والذين يؤمنون بما انزل اليك يعنى القرآن وما
انزل من قبلك يعنى الكتب المتقدمة وقوله وبالآخرة اى بالدار
الآخرة لان الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد بها الكرة

الآخرة وانما وصفت بالاخرة لتاخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا
لدنوها من الخلق وقيل لدنا نهاهم يوقنون يعلمون وسمى العلم يقينا
لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه فكل يقين علم وليس كل علم
يقينا وذلك ان اليقين كانه علم يحصل بعد الاستدلال والنظر لغموض
المعلوم المنظور فيه او لاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال فى صفة
الله تعالى موقن لان الاشياء كلها فى الجلاء عنده على السواء وانما
خصهم بالايقان بالاخرة وان كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان
من كفر المشركين بها وجحدهم اياها فى نحو ما حكى عنهم فى قوله وقالوا ما هى
الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى فكان فى تخصيصهم بذلك مدح لهم
قوله تعالى أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اية
اللغة اولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك
فى المعنى ومن قصر قال اولا واولاك واولالك واذا مد لم يجز زيادة اللام
لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل الهمزة قال الشاعر الا ولك قوم لم يكونوا
اشابه وهل يعظ الضليل الا اولالكا والمفلحون والمنجحون الفائزون
والفلاح النجاح قال الشاعر اعقلى ان كنت لما تعقلى فلقد افلح من
كان عقل اى ظفر بحاجته والفلاح ايضا البقا قال لبيد نحل بلادا كلها
حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وتبعا واصل الفلح القطع ومنه قيل
الفلاح للاكار لانه يشق الارض وفى المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على
هذا كانه قطع له بالخير الاعراب موضع اولئك رفع بالابتداء والخبر على
هدى من ربهم وهو اسم مبنى والكاف حرف الخطاب لا محل له من الاعراب
وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين وكذلك قوله واولئك هم المفلحون

الآن

الآن قوله هم فيه وجهان احدهما انه فصل يدخل بين المبتدا والخبر او ما كان
فى الاصل مبتدا وخبره للتاكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون
يسمونه عمادا وانما يدخل ليوذن ان الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما
يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة نحو قوله تعالى تجدوه
عند الله هو خيرا والوجه الاخر ان يكون هم مبتدا ثانيا والمفلحون خبره
والجملة فى موضع رفع بكونها خبرا اولئك المعنى لما وصف المتقين بهذه
الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال اولئك اشارة الى الموصوفين
بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المومنين على هدى من ربهم اى من
دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم لان كل خير
وهدى فمن الله تعالى اما لانه فعل واما لانه عرض له بالدلالة عليه والدعا
اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى
وان كان من فعل العبد ثم كرر تفخيما وقال اولئك هم المفلحون اى الظافرون
بالبغية والباقون فى الجنة النزول قال مجاهد اربع ايات من اول السورة
نزلت فى المومنين وايتان بعدها نزلت فى الكافرين وثلثة عشر اية
بعدها نزلت فى المنافقين قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ اية القراءة قوله ءانذرتهم
فيه ثلث قراآت قرا عاصم وحمزه والكسائى اذا حقق بهمزتين وقرا اهل
الحجاز وابو عمرو بالهمزة والمدة وتليين الهمزة الثانية يجعلونها بين وبين و
كذلك قراءة الكسائى اذا خفف وابو عمرو اطول مدا من ابن كثير واختلف
فى المد عن نافع وقرا ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز فى العربية ثلثة
اوجه غير هذا اانذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بجعلها

بن بن واندرتهم بهمزة واحدة وعليهم انذرتهم على القاء حركة الهمزة
على الميم نحو قد افلح فيما روى عن نافع **الحجة** اما وجه الهمزتين فهو ان الاصل
لان الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل واما ادخال الالف بين
الهمزتين فمن قراه اراد ان يفصل بين الهمزتين استثقالا لاجتماع المثلين
كما فصل بين النونين في نحو اضربنان استثقالا لاجتماع النونات ومنه
ذى الرمه فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آانت ام ام
سالم واما من فصل بين الهمزتين ولين الثانية فوجهه التخفيف من
جهتين الفصل والتليين لانك اذا لينتها فقد امتها وصار اللفظ كانه
لا استفهام فيه ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق الهمزة
واما من حقق الاولى ولين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس
لانه جعل التليين عوضا عن الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة
فانه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي
ربيعه لعمرك ما ادرى وان كنت داريا بسبع رمين الجمار ام بثمان واما
من القى حركة الهمزة على الميم فانه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب
اذا لينوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن القوا حركتها على ما قبلها فالوا من
بوك ومن مك وكم ابلك **اللغة** الكفر خلاف الشكر كما ان الحمد خلاف
الذم فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها وكل ما ستر
شيئا فقد كفره قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها اى سترها وسواء
مصدر اقيم مقامه الفاعل كقولك رجل صوم ومعناه مستو الا
الاعتدال والسواء العدل قال زهير ارونى خطة لا خسف فيها يسوى
بيننا فيها السواء وقالوا سى بمعنى سواء كما قالوا قى وقواء وسيان اى
مثلان

مثلان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا
ويوصف القديم تعالى بانه منذر لان الاعلام يجوز وصفه به والتخويف
ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين
جاز وصفه بما يشتمل عليهما وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرنا
كم عذابا قريبا وقد ورد متعدى الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل انما
انذركم بالوحى وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز
منه فان لم يتسع فهو اشعار **الاعراب** ان حرف توكيد وهى تنصب الاسم
وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها تشبه الفعل لكونها على وزنه
ولانها توكيد والتوكيد من معانى الفعل وتشبهه فى اتصال ضمير المتكلم
نحو انني وهى مبنية على الفتح كالفعل الماضى وانما الزمت تقديم المنصوب
على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله
على فاعله والذين كفروا فى موضع نصب لكونه اسم ان وكفروا صلة
الذين واما خبرها ففيه وجهان احدهما ان يكون جملة التى هى سواء عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده
مما دخل عليه حرف الاستفهام فى موضع الخبر والجملة فى موضع رفع بانها
خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حالا من الضمير المنصوب على حد
معه صقر صائدا به غدا وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضا استئنافا
والوجه الثانى ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم اانذرتهم
ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الاعراب
كما حكم على موضعه بالرفع فى الوجه الاول فاما اذا اوردت هذا الكلام
على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدا

لانه يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه مرتفع
بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في الكلام
مخبر عنه واذا لم يكن مخبر عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه
مبتدأ وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون داخلا
في حيز الاستفهام فلا يجوز اذاً ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما
على الاستفهام ونظيره ما في الاية من ان خبر المبتدأ ليس المبتدأ ولا اشار
ذكر ما انشده ابو زيد فان حراما لا ادري الدهر باكيا على شجوه الا بكيت
على عمرو وقوله اانذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه
الخبر وهذه الهمزة تسمى الف التسوية والتسوية انها همزة الاستفهام
وام تقول ازيد عندك ام عمرو تريد ايهما عندك ولا يجوز في مكانها او لان
او لا يكون معادلة الهمزة وتفسير المعادلة ان تكون ام مع الهمزة بمنزلة
اي فاذا قلت ازيد عندك او عمرو كان معناه احدهذين عندك ويدلك
على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتعيين ومع ازيد او عمرو يقع
بنعم او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لان فيه التسوية
التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء علي اقمت ام قعدت
فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد
ام قعد فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم
احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام
لمشاركته له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية
استفهاما وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقمت
ام ادبرت لانه وقع موقع اي فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك

وما ادري احسنت ام اساءت وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان
ما ابالي انب بالحزن تيس ام لحاني بظهر غيب لئيم ومثله في انه في صورة
الاستفهام وهو خبر قول جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين
بطون راح ولو كان استفهاما لم يكن مدحا وقول الاخر سواء عليه
اي حين اتيته اساعة نحس تتقى ام باسعد **النزول** قيل نزلت في ابي جهل
وخمسة من اهل بيته فقتلوا يوم بدر عن الربيع ابن انس واختاره البلخي
وقيل نزلت في قوم باعيانهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبي عليه السلم
عنادا وكتم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الختم والطبع
الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي
العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون
ويكون كقول القايل لا يقدم جميع اخوتك فلا ينكر ان يقدم بعضهم و
اختار الشيخ ابو جعفر قدس سره ان يكون على الاختصاص ويجوز كل واحد
من الاقوال وهذا اظهر واسبق الى الفهم **المعنى** لما بين تعالى حال المؤمنين
وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد شيء من ذلك
ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به
من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الاية تدل
على ان في المكلفين من لا لطف له لانه لو كان لفعل ولآمنوا فلما اخبر
انهم لا يؤمنون علم انهم لا لطف لهم ويدل على صدق النبي صلى الله
عليه واله لانه اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وتدل ايضا على
انه يجوز ان يخاطب الله بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الاية
عامة لانا نعلم ان من الكفار من آمن وانتفع بالانذار **سؤال** ان قال

تمايل اذا علم الله تعالى ان هؤلاء لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم
فما انكرتم ان يكونوا قادرين على ابطال ما علم الله بانهم لا يؤمنون الجواب
انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ان يكونوا مأمورين
بابطال علم الله وكما لا يجب اذا كان الله تعالى قادرا على ان يقيم القيمة
الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمه الساعة والصحيح ان يقول
ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يمتنع ان يعلم
حصول الشيء بعينه وان كان غيره مقدورا قوله تعالى ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم آية القراءة القراءة الظاهرة غشاوة بكسر الغين ورفع الهاء
وروى عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم الغين و
عن بعضهم بفتح الغين وعن بعضهم غشوة بغير الف وقرا ابو عمرو والكسائي
على ابصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم وللقراء في الامالة مذاهب يطول
شرحها الحجة حجة من رفع غشاوة انه لم يحمله على ختم كما في الاية الاخرى
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يحملها عليه قطعها
عنه وكانت مرفوعة اما بالظرف واما بالابتداء وكذلك قوله ولهم
عذاب عظيم اليم فان عند سيبويه يرتفع غشاوة وعذاب بانه مبتدا
فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش يرتفع
بالظرف لان الظرف يضمر فيه فعل وستعرف فائدة اختلافهما في
هذه المسئلة بعد ان شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فاما ان
يحملها على ختم كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر
وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لانه فصل بين حرف العطف

والمعطوف

والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر واما ان يحملها على فعل مضمر كانه
قال جعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا
اي وسقيتها وقول الآخر ياليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اي و
حاملا رمحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى
ويكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلث لغات فتح الغين
وضمها وكسرها وكذلك الغشوة فيه ثلث لغات اللغة الختم نظير
الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال الطبعة ايضا بغير حرف ولا
يمتنع في ختم ذلك قال كانك قرادي زوده طبعتهما بطين من الجولان
كتاب اعجم وقوله ختامه مسك اي آخره ومنه ختم الكتاب لانه
آخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر
تقول يعجبني ضربكم فوحد لانه مصدر ويجوز ان يريد على مواضع سمعهم
فحذف مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اي ذو عدل
ويجوز ان يكون لما اضاف السمع اليهم دل على معنى اسماعهم قال بها
جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وقال الآخر
في حلقكم عظم وقد شجينا اي في حلوقكم والغشاوة الغطاء وكل ما اشتمل
على الشيء بني على فعالة نحو العمامة والقلادة والعصابة وكذلك اسماء
الصناعات كالخياطة والقصارة والصياغة لان معنى الصناعة
الاشتمال على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى
على شيء عليه الفعالة كالامارة والخلافة وغير ذلك وسمي القلب
قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه والرأي
يعزب والانسان اطوار والفؤاد محل القلب والصدر محل الفؤاد وقد

يعبر عن القلب بمحله كقوله ليثبت به فوادك وقال الم نشرح لك صدرك
يعنى به القلب فى الموضعين والعذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا
وعذابا ويقال عذب الماء اى استمر فى الحلق وحمار عاذب وعذوب
اذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل
ذلك واعذبته عن الشئ بمعنى فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم
الجثة وعظيم الشان ومن الثانى سمى سبحانه عظيما وعظمت كبرياؤه
المعنى قيل فى معنى الختم وجوه احدها ان المراد بالختم العلامة واذا
انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على
قلبه علامة وقيل هى نكتة سوداء تشاهدها الملئكة فيعلمون بها انه
لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب فى قلب
المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه
ويستغفرونه وكما طبع على قلب الكافر وختم وسمه بسمة تعرف بها
الملائكة كفره وكذلك وهم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملئكة
بها وقد تاول على مثل هذا مناولة الكتاب باليمين والشمال فى انها
علامة ان المناول باليمين من اهل الجنة والمناول بالشمال من اهل
النار وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع عليها
جزاء للكفر وعقوبة عليه والاخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول
طبع عليه بالطين وختم عليه بالشرح وثانيها ان المراد بالختم على القلوب
ان الله شهد عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على كل
ما يقوله فلان اى تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تفلح
اى شهدت وذلك استعارة وثالثها ان المراد بذلك انه تعالى
ذمهم بانها كالمختوم عليها فى انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر

كقوله

كقوله صم بكم عمى وكقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول الاخر لقد اسمعت
لو ناديت حيا ولكن لا حيوة لمن تنادى والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم
فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن
الاصم وابى مسلم الاصفهانى ورابعها ان الله وصف من ذمه بهذا
الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف
من ذكر فى قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل
قوله ام على قلوب اقفالها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا فى اكنة
ويقوى ذلك ان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما يسمع من اجل
الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال طبع
على قلوبهم فهم لا يفقهون فبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذه
السمع والبصر فدل هذا على ان الختم على القلوب هو ان يصير على وصف
لا ينتفع به فيما يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما
يكون ضيقه بان لا يتسع لما يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل
بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بان لا قلب له اذا بولغ
فى وصفه بالجبن لان الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذى
هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفة فالهبيت
لا فواد له والثبيت ثبته فهمه وكما وصف الجبان بانه لا فواد له في
الثبيت انه يراعه وانه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام
بعد الدعاء اليه واقامة الحجة عليه بانه مختوم على قلبه ومطبوع عليه
وضيق صدره وقلبه فى كنان وفى غلاف وهذا من كلام الشيخ ابى

ذا الهاف مع النون المشددة الكن السترة ... فالله تم وجعل لكم من الجبال اكنانا والاكنة الاغطية صح

الفعل كانه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكميت وذكر حمارا اراد الورود
بذكر من اتى ومن اين شربه يوامر نفسه كذى الهجمة الابل يجعل ما يكون منه من
وروده الماء او ترك الورود والتمثيل بينهما بمنزلة انفسين اللغة اصل
الخدع الاخفاء والايهام بخلاف الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخدعه خدعا
بالكسر وخديعة وقالوا انك لاخدع من ضب حرشته وخادعت فلانا
فخدعته والنفس في الكلام ثلثة اوجه النفس غير الروح ويقال هما اسمان
بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق
ومن هذا اشتقاق الشعر لان الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن
ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتخيل الاعراب
يخادعون فعل وفاعلون والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها
حالا وذو الحال الضمير الذي في قوله آمنا العايد الى من والله نصب بيخادعون
والذين آمنوا عطف وما نفي والا ايجاب وانفسهم نصب لانه مفعول
يخادعون الثانية وما نفي ويشعرون فعل وفاعل وكل موضع ياتي فيه
الا بعد نفي فهو ايجاب ونقض المعنى معنى قوله يخادعون الله اي يعملون
عمل المخادع لان الله تعالى لا يصح ان يخادعه من يعرفه ويعلم انه لا يخفى
عليه خافية وهذا كما يقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالريا في معاملته
ما اجهل يخادع الله وهو اعلم به من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون
من العارف وغير العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لان طاعته
طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعلة قد يقع من واحد
كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل فكذلك يخادعون

بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد تقول جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل ويقال النفس

انما

انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهرون غير ما في نفوسهم وقوله والذين
آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا راوهم آمنا وهم غير مؤمنين ويجا
ويخالطهم اياهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والتقية ايضا لسنهم
يسمى خداعا فكانهم لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا
من حيث انهم نجوا بها من اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون
الا انفسهم انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون انفسهم
كما لو قاتل انسان انسانا لانهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمنت وهم
يوردونها العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون
اي ما يعلمون انه يرجع عليهم ما العذاب فهم في الحقيقة انما خدعوا انفسهم
كما لو قاتل انسان غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل
الا نفسه وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لانه
تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبانهم لا يعلمون ذلك قوله تعالى في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون
اية القراءة قرا ابن عامر وحمزه فزادهم الله بامالة الزاي وكذلك شاء
وجاء وقرا اهل الكوفة يكذبون بفتح اليا مخففا والباقون يكذبون
الحجة حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان يدل بالامالة على ان
العين يا كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين وبيض جمع اعين وابيض
لتصح اليا ولا تنقلب الى الواو وحجة من قرا يكذبون ان يقول ان
ذلك اشبه بما قبل الكلمة وبما بعدها لان قولهم آمنا بالله كذب
ولهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وقولهم فيما بعد
اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيما ادعوه من

من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولى وحجة من قرا
يكذبون بالتشديد قوله ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لي
عملي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من
من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لان كل من كذب
صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكانه قال ولهم
عذاب اليم بتكذيبهم وادخل كان ليدل على ان ذلك كان فيما مضى
اللغة المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه وامرضته
جعلته مريضا ومرضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى الى
مفعولين قال الله تعالى وزدناهم هدى وزاده بسطة ومصدره الزيادة
والزيد قال كذلك زيد المرء بعد انتقاصه والاليم الموجع فعيل بمعنى
مفعل كالسميع بمعنى المسمع والنذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال
ذو الرمة يصك وجوهها وهج اليم والكذب ضد الصدق وهو الاخبار
عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز
في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله قد قالت الانساع
للبطن الحق جاز ايضا في الكذب ان يجعل غير نطق في نحو قوله وذبيانية
وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف فيكون في ذلك انتفاء
لها كما انه اذا اخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق
اي كذب القراطف فاوجدها بالغارة المعنى المراد بالمرض في الاية
الشك والنفاق بلا خلاف وانما سمي الشك في الدين مرضا لان
المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون
صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم تصبه آفة من الشك يكون صحيحا

وقيل

وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما انه في البدن فتور
الاعضاء وتقدير الاية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسوله
مرض اي شك وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله
فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه احدها ان معناه ازدادوا شكا عند
ما زاده الله من البيان بالايات والحجج الا انه لما حصل ذلك عند فعله
نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح لم يزدهم دعائي الا فرارا لما ازدادوا
فرارا عند دعاء نوح عليه السلم نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والايات لم تزدهم رجسا
انما ازدادوا رجسا عندها وثانيها قال ابو علي الجبائي انه اراد في قلوبهم
غم بنزول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وبتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم
الله غما بما زاده من التمكين والقوة وامده به من التاييد والنصرة وثالثها
ما قال السدي ان معناه زادهم عداوة الله مرضا وهذا في حذف المضاف
مثل قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله
ورابعها ان المراد به في قلوبهم حزن بنزول القران بفضائحهم ومخازيهم قلوبهم
فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مقابحهم ومساوئهم والاخبار عن
خبث اسرارهم وسوء ضمايرهم وسمي الغم مرضا لانه يضيق الصدر
كما يضيقه المرض وخامسها ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك
على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه
دعاء عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق
والالطاف ما يعطي المؤمن فيكون خذلانا لهم وهو في الحقيقة اخبار
عن خذلان الله اياهم وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم

الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله
الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه
فسادا هو عندنا صلاح لانا انما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين والاخر
انهم جحدوا ذلك وقالوا انا لا نعمل بالمعاصي ولا نمايل الى الكفار ولا
نحرف الكتاب وكان ذلك نفاقا منهم كما قالوا امنا بالله ولم يؤمنوا
ثم قال الا انهم اي اعلموا ان هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد
صلاحا هم المفسدون وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون
اي لا يعلمون ان ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي
صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الاية
تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز
تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لان لهم طريقا الى العلم بذلك
قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا
آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ آية
القراءة السفهاء الا اهل الكوفة وابن عامر حققوا الهمزتين واهل الحجاز
وابو عمرو همزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين
وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في واحدة وهو قوله
ءانذرتهم اللغة السفهاء جمع سفيه والسفيه اي الضعيف الراي الجاهل
القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان والنساء
سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال
قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق وقال مؤرج السفيه
الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة

الجهل

الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وسفهته الرياح اي طيرته
وقد جاء في الاضداد ان شارب الخمر سفيه والالف واللام في الناس وفي
السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي صلى الله
عليه وآله وانما سموا الناس لان الغلبة كانت لهم الاعراب قوله كما آمن
الكاف في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى
المصدر اي امنوا ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه والهمزة في انؤمن للانكار واصلها الاستفهام ومثله انطعم
من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه
المعنى المراد بالاية واذا قيل للمنافقين صدقوا محمدا وما انزل عليه كما
صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن امن معه من
اليهود قالوا انصدق كما صدق الجهالة ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم
بانهم هم الجهال في الحقيقة لان الجاهل انما يسمى سفيها لانه يضيع من حيث
يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيعه
ويكفر به من حيث يظن انه يؤمن به قوله تعالى وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِئُونَ آية القراءة بعض القراء ترك الهمزة من مستهزون
وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلوا لى حذفوا الهمزة والقوا حركتها على الواو
قبلها وكذلك امثاله والباقون اسكنوا الواو وحققوا الهمزة الحجة
قال سيبويه الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها تجعلها اذا خففتها
بين بين وكذلك الهمزة المكسورة اذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع
ابلك تجعلها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهمزة ياء في مستهزون

فلنا صحيحًا من اجل الكسرة التي قبلها ولا جعلها بين بين ولم يقلبها
واوامع تحركها بالضمة لخروجه الى ما لا نظير له الا ترى انه واو مضمومة
قبلها كسرة وذلك مرفوض عندهم **اللغة** اللقاء نقيض الحجاب
قال الخليل كل شيء استقبل شيئًا اوصادف فقد لقيه واصل اللقاء
الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة
كاجتماع العرضين في محل والخلاء نقيض الملاء ويقال خلوت اليه و
خلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه و
الاخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة
ويستهزئون اى يهزءون ومثله يستسخرون اى يسخرون وقرؤا يستهزئون
وعلا قرنه واستعلى قرنه ورجل هزاة يهزأ بالناس وهزأة يهزأ به
الناس وهذا قياس **الاعراب** انا اصله اننا لكن حذفت لكثرة النونات
والمحذوفة النون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو ان كل لما
جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب انتصاب
الظروف نحو انا خلفكم اى انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين
ويجوز للشاعر اسكان العين قال وريشي منكم وهواى معكم وان
كانت زيارتكم لماما **المعنى** ان المنافقين اذا راوا المؤمنين قالوا
امنا اى صدقنا نحن بما انزل على محمد صلى الله عليه واله كما صدقتم انتم
واذا خلوا الى شياطينهم قيل رؤساءهم من الكفار عن ابن عباس
وقيل هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وروى عن ابي جعفر
الباقر عليه السلام انهم كهانهم قالوا انا معكم اى على دينكم
انما نحن مستهزءون اى نستهزئ باصحاب محمد صلى الله عليه واله

ونسخر بهم

ونسخر بهم في قولنا امنا **قوله تعالى** الله يستهزئ بهم ويمدهم
في طغيانهم يعمهون اية **اللغة** المد اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب
لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مددًا لغيره وقال بعضهم كل
زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الالف كما تقول مد النهر
ومده نهر اخر وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف كما
يقال امد الجرح لان المدة من غير الجرح وامددت الجيش والطغيان من قولك
طغى الماء يطغى اذا تجاوز الحد والطاغية الجبار العنيد والعمه التحير يقال عمه
يعمه وعامه قال روبة ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالحائرين العمه
الاعراب يعمهون جملة في موضع الحال **المعنى** قيل في معنى الاية وتاويلها
وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم والعرب
تسمى الجزاء على الفعل باسمه وفي التنزيل جزاء سيئة سيئة مثلها وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما جاز ذلك لان حكم الجزاء ان يكون على المساواة
وثانيها ان يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تخطئته اياهم وتجهيله لهم
في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم مقام ما يقاربه
في معناه قال الشاعر ان دهرًا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان و
قال اخر كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق سكت الدهر زمانا
عنهم ثم ابكاهم دمًا حين نطق والدهر يوصف بالسكوت والنطق و
انما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه وثالثها ان يكون معنى الاستهزاء
المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد
روى عن ابن عباس انه قال في معنى الاستدراج انهم كلما احدثوا خطيئة

جدد الله لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء لان ذلك فى الظاهر نعمة والمراد به
استدراجهم الى الهلاك والعقاب الذى استحقوه بما تقدم من كفرهم ورابعها
ان معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان
ظاهر احكامهم من الموارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك من الاحكام و
ان كان قد اعد لهم فى الاخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق فهو سبحانه
كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم احكام المومنين ظاهرا ثم ميزهم منهم فى
الاخرة وخامسها ما روى عن ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم فى النار باب من
الجنة فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك
المومنون منهم فلذلك قال الله عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
وهذه الوجوه التى ذكرناها يمكن ان تذكر فى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله
ويخادعون الله وهو خادعهم واما قوله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ففيه وجهان
احدهما ان يريد ان يملى لهم ليومنوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم و
الاخر ان يريد ان يتركهم من فوايده ومنحه التى يوتيها المومنين ثوابا لهم
ويمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم فى طغيانهم اى
كفرهم وضلالهم يعمهون اى يتحيرون لانهم قد اعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين آية القراءة قرا جميع القراء اشتروا الضلالة بضم
الواو وفى الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو ولو فى قوله لو استطعنا
وروى عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو وا تشبيها بواو الجمع الحجة الواو
فى اشتروا ساكنة فاذا سقطت همزة الوصل التقت مع الساكن المبدل
من لام المعرفة فالتقى ساكنان فحرك الاول منهما لالتقائهما وصار الضم

اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو وا ويدل على ذلك اتفاقهم على
التحريك بالضم فى نحو قوله لتبلون ولترون الجحيم ومصطفوا الله للدلالة على
الجمع ويدل على تقرير ذلك فى هذه الواو انهم شبهوا بها الواو التى فى او ولو
فحركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا التى فى او بالتى تدل على الجمع كذلك
شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم فى لو استطعنا
تشبيها بالتى للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر فى الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه
واجازتهم النصب فى الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل اللغة حقيقة
الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشىء وترك غيره قد اشتراه
وليس ثم شراء ولا بيع قال الشاعر اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
والربح الزيادة على راس المال ومنه ومن تجر براسه فقد ربح والتجارة التعرض
للربح فى البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اى فما ربحوا فى تجارتهم والعرب
تقول ربح بيعك وخسر بيعك وخاب سعيك على معنى ربحت فى
بيعك وانما اضافوا الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها الاعراب
اولئك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى
وما حرف نفى وكان صورته صورة الفعل ويستعمل على نحوين احدهما
ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قايما فاذا
استعمل على هذا فلا بد له من خبر لان الجملة غير مكتفية بنفسها فيراد
خبر حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره فى الاصل مبتدا وخبرا فيجب
لذلك ان يكون خبره هو الاسم او فيه ذكر منه كما ان فى الاية الواو
فى موضع الرفع لانه اسم كان ومهتدين منصوب بانه خبره والنافيه

علامة النصب والجر وعرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتنوين
فى الواحد وكان فى الاصل مهتديين سكنت الياء الاولى التى هى لام الفعل
استثقالا للحركة عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وفتحت النون
فرقا بينها وبين النون التثنية والاخر من نحوى كان ما هو فعل حقيقى يدل
على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اى تحدث فاذا استعمل
هكذا فهى جملة مستقلة لا يحتاج الى خبر **المعنى** اشار الى من تقدم ذكرهم
من المنافقين فقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال
ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر
بالايمان ومتى قيل كيف قال ذلك وانما كانوا منافقين ولم يتقدم
نفاقهم ايمان فنقول للعلماء فيه وجوه احدها ان المراد باشتروا
استحبوا واختاروا لان كل مشترى مختار ما فى يدى صاحبه على ما
فى يديه عن قتادة والاخر انهم ولدوا على الفطرة كما جاء فى الخبر فتركوا ذلك
الى الكفر فكانهم استبدلوه وثالثها انهم استبدلوا الكفر بالايمان الذى
كانوا عليه قبل البعثة كفرا لانهم كانوا يبشرون بمحمد ويؤمنون به فلما
بعث كفروا به فكانهم استبدلوا الكفر بالايمان عن الكلبى ومقاتل
وقوله فما ربحت تجارتهم اى خسروا فى استبدالهم الكفر بالايمان
والعذاب بالثواب وما كانوا مهتدين اى مصيبين فى تجارتهم
كاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انه اراد سبحانه ان
ينفى عنهم الربح والهداية فان التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى
فان قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم فى موضع ذهبت فيه رؤس
اموالهم فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكانه قال طلبوا الربح فلم يربحوا

وهلكوا والمعنى فيه انه ذهب رؤس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك
على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا
الهدى بالضلالة ربحوا **قوله تعالى** مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ
آية **اللغة** المثل والمثل والشبه والشبه نظاير وحقيقة المثل ما جعل كالعلم
على معنى سائر يشبه فيه الثانى بالاول ومثاله قول كعب بن زهير كانت
مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده الا الاباطيل فمواعيد عرقوب علم
فى كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لانه يشبه الصورة والذى قد
يوضع موضع الجمع كقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ثم قال
اولئك هم المتقون قال الشاعر وان الذى حانت بفلج دماؤهم هم
القوم كل القوم يا ام خالد واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب
وقيل استوقد اى طلب الوقود والوقود بفتح الواو الحطب والنار جوهر
مضى حار محرق واصله من النور يقال نار وانار واستنار بمعنى والمنار
العلامات واضاء يكون لازما ومتعديا يقال اضاء الشئ بنفسه واضاءه
غيره والذى فى الآية متعد والترك للشئ والكف عنه والامساك نظاير
والظلمات جمع ظلمة واصلها انتقاص الحق من قوله ولم تظلم منه شيئا
اى لم تنقص ومن اشبه اباه فما ظلم اى ما انتقص حق الشبه والابصار
ادراك الشئ بحاسة البصر يقال ابصر بعينه والابصار بالقلب مشبه به
الاعراب مثلهم مبتدأ وكمثل الذى خبره والكاف زايدة تقديره مثلهم
مثل الذى استوقد نارا ونحوه قوله ليس كمثله اى ليس مثله واستوقد
نارا وما اتصل به من صلة الذى والعايد الى الذى المضمر الذى فى استوقد

اولئك القوم قبل مضى العلامات عينه

ولما يدل على وقوع البنى لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه
وتقديره فلما اضاءت ما حوله طفيت اى طفيت حين اضاءت وملخص
قوله ما حوله اسم موصولة منصوب بوقوع الاضاءة عليه وحوله صلته نصب
على الظرف وهو صلة ما يقال هم حوله وحوليه وحواليه وحواله وقوله ذهب
الله بنورهم اى اذهب الله نورهم والفعل الذى لا يتعدى يتعدى الى المفعول
بحرف الجر وبهمزة النقل والباء فى قوله بنورهم يتعلق بذهب وفى ظلمات
يتعلق بتركهم وقوله لا يبصرون نصب على الحال والعامل فيه تركهم اى
تركهم غير مبصرين المعنى مثل هولاء المنافقين لما اظهروا الايمان و
ابطنوا الكفر كمثل الذى اوقد نارا او كمثل الذى طلب الضياء بايقاد النار
فى ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفا ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر
ويخاف وامن فبينا هو كذلك اذا طفيت ناره بقى مظلما خايفا متحيرا
كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان واستنادوا بنورها واعتزوا
بعزها فناكحوا المسلمين واورثوهم وامنوا على اموالهم واولادهم فلما ماتوا
عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا فى العذاب فذلك معنى قوله ذهب الله
بنورهم وهذا هو المروى عن ابن عباس وقتاده والضحاك والسدى
وكان يجب بحسب حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت ما حوله اطفا
الله ناره لبينا ولكل جواب لما معنى هذه القضية ولكن لما كان اطفا
النار مثلا لاذهاب نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاطفا وجعل
جواب لما ايجازا واختصارا لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذويب
عصانى اليها القلب انى لامرها مطيع فما ادرى ارشد طلابها و
تقديره ارشد ام غى طلابها فحذف للايجاز ومعنى اذهاب الله نورهم

هو ان الله

هو ان الله تعالى يسلبهم ما اعطوا من النور مع المومنين فى الاخرة و
ذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا وقيل فى معنى اذهاب نور المنافقين وجه اخر وهو اطلاع
الله المومنين على كفرهم فقد ذهب عنهم نور الاسلام بما اظهر الله من
كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء الاية نزلت فى اليهود
وانتظارهم خروج النبى صلى الله عليه واله وايمانهم وذلك ان قريظة و
النضير وبنى قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من
بنى اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صلى الله
عليه واله بالنبوة وان امته خير الامم وكان يغشاهم رجل من بنى اسرائيل
يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى النبى صلى الله عليه واله كل
سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التورية والايمان بمحمد
صلى الله عليه واله ويقول اذا خرج فلا تفرقوا عليه وانصروه وقد كنت
اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبى صلى الله عليه واله كفروا به فضرب
الله لهم هذا المثل سوال كيف شبه المنافقين او اليهود وهم جماعة
بالذى استوقد نارا وهو واحد الجواب على وجوه احدها ان الذى فى
معنى الجمع كما قيل فى الاية الاخرى والذى جاء بالصدق وصدق به
وثانيها ان يقال النون محذوفة من الذى كما جاء فى قول الاخطل
ابنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا وثالثها
ان يكون الكلام على حذف كانه قال مثلهم كمثل اتباع الذى استوقد
نارا ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال الجعدى
وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابى مرحب يريد كخلالة ابى مرحب

ورابعها ان يقال اراد بالمستوقد الجنس لما في الذي من الابهام اذ ليس
يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب لما اضاءت ما حوله
محذوفا كانه قال طفيت والضمير في قوله ذهب الله بنورهم يعود الى المنافقين
وخامسها ان يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هؤلاء المنافقين
في جهلهم كحال المستوقد النار وتشبيه الحال بالحال جائز كما يقال بلادة
هؤلاء كبلادة الحمار ولو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم
في ظلمات لا يبصرون معناه لم يفعل الله لهم النور اذ الترك اذا جاء في
صفات الله عز وجل فالمعنى ان لا يفعل لان الترك هو الكف عن الفعل
بالفعل وهذا انما يصح في من حله فعله فمعناه انه لم يفعل لهم النور حتى
صاروا في ظلمة اشد مما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون اي لا يبصرون
الطريق قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يرجعون آية اللغة الاصم هو الذي
ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذي ولد اخرس واصل الصم السد فالصم
سد الاذن بما لا يقع منه سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسد جوفها
بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صماء شديدة والصمام ما يسد به راس
القارورة واصل البكم الاعتقال بين اللسان وهو آفة تمنع من الكلام واصل
العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى في القلب مثل العمى في العين بآفة تمنع
من الفهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وانما يقال
ما اشد عماه وما جرى مجراه والعماية الغواية والعماء السحاب الكثيف المطبق
والرجوع قد يكون عن الشيء والى الشيء فالرجوع عن الشيء هو الانصراف
عنه بعد الذهاب اليه والرجوع الى الشيء هو الانصراف اليه بعد الذهاب
عنه الاعراب صم بكم عمي رفع على خبر مبتدا محذوف اي هؤلاء الذين قصتهم

هذه

هذه صم بكم عمي المعنى قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم عمي لا ينطقون به
عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وانما شبههم الله
تعالى بالصم لانهم لا يحسنون الاصغاء الى ادلة الله تعالى فكانهم صم واذا لم
يقروا بالله وبرسوله فكانهم بكم واذا لم ينظروا في ملكوت السموات والارض
فكانهم لم تتصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانهم بكم ليس لهم هذه الاعضاء
وهذا يدل على ان معنى الختم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان
لانه جعل الفهم بالكفر واستثقالهم للحق بمنزلة الصم والبكم والعمي مع صحة
حواسهم فكذلك قوله تعالى طبع الله على قلوبهم واضلهم واصمهم واعمى
ابصارهم وازاغ الله قلوبهم فان جميع ذلك اخبار عما احدثوه عند
امتحان الله اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان لا انه فعل بهم ما منعهم
به من الايمان وهذا كما قيل في المثل حبك الشيء يعمي ويصم قال مسكين الدارمي
اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما اذني
وما بي سمعها وقر وفي التنزيل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون و
قوله لا يرجعون يحتمل امرين احدهما انه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس
والثاني انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود قوله تعالى او كصيب من
السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم
من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين آية القراءة
ظلمات اجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع وروي في الشواذ عن الحسن وابي
السمال بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وابو عمرو يميل الكاف من الكافرين
في موضع النصب والخفض وروى ذلك عن الكسائي والباقون لا يميلون
الحجة الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا الى الفتح فقالوا

ظلمات وتارة السكون فقالوا ظلمات وكلا الامرين حسن في اللغة وانما امالوا
الكاف من الكافرين في الموضعين للزوم الكسرة الرا بعد الفا المكسورة والراد
لما فيهما من التكرير مجرى الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة
مذاهب ولختلافات يطول استقصاؤها وابو علي الفارسي قد بلغ الغاية
وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما يخفو عنه
فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابوابها وحججها والعوض الى حججها لا
يليق بتفسير القران وكذلك ما يتعلق بفن القراءة من علوم الهمز والادغام
والمد فان لذلك كتبا مؤلفة يرجع اليها ويعول عليها فالراى ان نلم باطرافها
ونقتصر على بعض اوصافها فيما ياتى من الكتاب ان شاء الله تعالى اللغة
الصيب المطر اصله صيوب فيعل من الصوب لكن اجتمعت الواو والياء
واولاهما ساكنة فصارتا يا مشددة ومثله سيد وجيد والسما المعروف
وكل ما علاك فاظلك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء اى
مطر واصله سماو من سموت فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد الف
زايدة وجعل يكون على وجوه احدها ان يتعدى الى مفعولين نحو جعلت
الطين خزفا اى صيرت وثانيها ان ياتى بمعنى التسمية ضع يتعدى الى
مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور وثالثها ان ياتى بمعنى
التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اى سموا له ورابعها ان ياتى بمعنى
افعال المقاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهي الواقع
الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة العذاب و
الحذر طلب السلامة مما يخاف الاعراب او ههنا للاباحة اذا قيل لك
جالس الفقهاء او المحدثين فكلا الفريقين اهل ان تجالس فان جالست احدهما

فانت

فانت مطيع وان جالست الاخر فانت مطيع وان جالستهما فانت مطيع فكذلك
ههنا ان مثلت المنافقين بالمستوقد كنت مصيبا وان مثلتهم باصحاب
الصيب فانت مصيب وان مثلتهم بكلي الفريقين فانت مصيب وتقديره
او كاصحاب صيب حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لان هذا
عطف على قوله كمثل الذي استوقد نارا والصيب ليس بعاقل فلا يعطف
على العاقل ويجعلون في موضع الحال من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات
جملة في موضع الجر بانها صفة صيب والضمير المتصل يعني بلا عايد الى الصيب او
الى السماء وحذر الموت منصوب بانه مفعول له لان المعنى يفعلون ذلك
لحذر الموت قال الزجاج وانما نصبه الفعل لانه في تاويل مصدره لان
جعلهم اصابعهم في اذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ ابو علي
المفعول له لا يكون الا مصدرا لانه يدل على انه فعل لاجل ذلك الحدث و
الحدث مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل اخر المعنى
مثل هولاء المنافقين في جهلهم وشدة تحيرهم كاصحاب مطر من السماء
اى منزل من السماء فيه اى في هذا المطر او في السماء لان المراد بالسماء السحاب
فهو مذكر ظلمات لان السحاب يغشى الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم
الجو ورعد قيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب وقيل الرعد هو ملك
موكل بالسحاب يسبح وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي
عن ائمتنا عليهم السلم وقيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه ابو الجلد
عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال
انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روى
انه يزعق كما يزعق الراعي بغنمه وقوله وبرق قيل انه مخاريق الملائكة

من حديد تضرب به السحاب فتقدح عنه النار عن على عليه السلام وقيل
انه صوت من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو
ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاعشى اذا هن
نازلن اقرانهن كان المصاع بما فى الجون وقيل انه نار تنقدح من اصطكاك
الاجرام وفى تاويل الآية وتشبيه المثل اقوال احدها انه شبه المطر المنزل
من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما فى القرآن من الابتلاء وما
فيه من الرعد بما فى القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من الصواعق
بما فى القرآن من الوعيد آجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا عن ابن عباس و
ثانيها انه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذى يجمع نفعا
وضرا وان المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع وثالثها انه
مثل للاسلام لان فيه الحيوة كما فى الغيث الحيوة وشبه ما فيه من الظلمات
بما فى اسلامهم من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما فى الاسلام من فرض
الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم فى دينهم و
ما فيه من البرق بما فى اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم و
موارثتهم وما فيه من الصواعق بما فى الاسلام من الزواجر بالعقاب
فى الآجل والعاجل ويقوى ذلك ما روى عن الحسن انه قال مثل اسلام
المنافق كصيب هذا وصفه ورابعها ما روى عن ابن مسعود وجماعة من
الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا عن رسول الله
صلى الله عليه وآله فاصابهما المطر الذى ذكره الله تعالى فيه رعد شديد
وصواعق وبرق فكلما اضاء لهما الصواعق جعلا اصابعهما فى آذانهما
مخافة ان يدخل الصواعق فى آذانهما فيقتلهما واذا لمع البرق مشيا

فى ضوءه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما فجعلا يقولان ليتنا قد اصبحنا فناتى
محمدا فنضع ايدينا فى يده فاصبحا فاتياه فاسلما وحسن اسلامهما فضرب
الله شان هذين الرجلين مثلا لمنافقى المدينة وانهم اذا حضروا النبى
صلى الله عليه وآله جعلوا اصابعهم فى آذانهم فرقا من كلام النبى صلى الله
عليه وآله ان ينزل فيهم شئ كما كان ذلك الرجلان يجعلان اصابعهما
فى آذانهما كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة
او فتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا يعنى اذا هلكت
اموالهم واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام
ذانك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله والله محيط بالكافرين يحتمل
وجوها احدها انه عالم بهم فيعلم سرائرهم ويطلع نبيه على ضمائرهم عن الاصم
والثانى انه تعالى قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال
الشاعر احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قد رأوا اماتوا جميعا الى السلم اى قدرنا
عليهم والثالث ما روى عن مجاهد انه جامعهم يوم القيمة يقال احاط
بكذا اذا لم يشذ منه شئ ومنه احاط بكل شئ علما اى لم يشذ عن علمه
شئ والرابع انه مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه
قال سبحانه واحيط بثمره اى اصابه ما اهلكه وقوله الا ان يحاط بكم معناه ان
يهلكوا جميعا قوله تعالى يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا
أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية اللغة الخطف الاخذ
فى استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف لغتان والثانى افصح
وعليه القراء ومنه الخطاف ويقال للذى يخرج الدلو من البئر خطاف

لاختطافه قال النابغة خطاطيف حجن وقاموا في حبال المشية تمد فيها ايد اليك
نوازع اى وقفوا والمشية الارادة والشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال
سيبويه هو اول الاسماء واعمها وابهمها لانه يقع على الموجود والمعدوم
وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح ان يعلم ويخبر عنه الاول وهو مذهب
المحققين من المتكلمين ويؤيده قوله تعالى في هذه الآية ان الله على كل شيء
قدير فان كل شيء سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة
وجود واذا وجد خرج عن ان يكون مقدورا للقادر لان من المعلوم ضرورة
ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا انه انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه
من العدم الى الوجود وعلى هذه المسئلة يدور اكثر مسائل التوحيد **الاعراب**
كاد من افعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج الى الخبر وخبره الفعل
المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بانه اسم يكاد وفاعله ويخطف
ابصارهم في موضع نصب بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء
وهو منصوب بالظرف والعامل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا
فيه واضاء في موضع جزم بالشرط ومشوا فيه في موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم
اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشيء لامتناع غيره واذا وقع الفعل
بعده وهو منفي كان مثبتا كان منفيا في المعنى واذا وقع فقوله ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب
انتفاء المشية **المعنى** يكاد ما في القرآن من الحجج يخطف قلوبهم من شدة
ازعاجها الى النظر في امور دينهم كما ان البرق يكاد يخطف ابصار اولئك
كلما اضاء لهم مشوا فيه لاهتدائهم الى الطريق بضوء البرق كذلك
المنافقون كلما دعوا الى خير وغنيمة اسرعوا واذا اوردت شدة على

المسلمين

المسلمين تحيروا لكفرهم ووقفوا كما وقفت اولئك في الظلمات متحيرين
وقيل اذا آمنوا صار الايمان لهم نورا فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة العقاب
وقيل هم اليهود لما نصر المسلمين ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى فلما
نكبوا باحد وقفوا وشكوا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
انما خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الآيتين فقال ولو شاء
الله اذهبهما من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد
لهم بالعقاب كما قال في الآية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمعهم
مصدر يدل على الجمع او الواحد موضع الجمع كقول الشاعر كلوا في بعض بطنكم
تعيشوا فان زمانكم زمن خميص اى بطونكم والمعنى ولو شاء الله لاطفر
على كفرهم فاهلكهم ودمر عليهم لانه على كل شيء قدير وهو مبالغة القادر
وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل شيء قدير عام فهو قادر على الاشياء
كلها على ثلثة وجوه على المعدومات بان يوجدها وعلى الموجودات بان
يفنيها وعلى مقدور غيره بان يقدر عليه ويمنع منه وقيل هو خاص في
مقدوراته دون مقدور غيره فان مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن
ان يكون لانه يؤدي الى ان يكون الشيء الواحد موجودا معدوما ولفظة كل قد
يستعمل في غير عموم نحو قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها **قوله تعالى** يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون آية **اللغة** الخلق الفعل على تقدير وخلق السموات
فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان والخلق الطبع
والخليقة الطبيعة والخلاق النصيب **الاعراب** يا حرف النداء واي
اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لكنه انما يتم بان يوصف وصفته تكون

باسم الجنس لانه لما كان لا يتم الا بصفة وهى لفظة داله على ما دل اى فى
الاشارة عليه مخصصة له وكان التخصيص يقع بالجنس ثم بالوصف و صف
باسماء الاجناس كالناس فى قوله يا ايها الناس فاى مناد مفرد معرفة
مبنى لانه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بنى على الحركة مع
ان الاصل فى البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق فى البناء والبناء عارض
فيه وانما حرك بالضم لانه كان فى اصله التنوين فلما سقط التنوين فى
البناء اشبه قبل وبعد الذى قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه
وجوه اخر توجد فى مظانها والناس رفع لانه صفة لاى فتبعه على حركة
لفظة ولا يجوز ههنا النصب وان كانت الاسماء المناداة المفردة
المعرفة يجوز فى صفاتها النصب والرفع لان هنا الصفة هو المنادى
فى الحقيقة واى وصلة اليه ويدل على ذلك لزومها ها وهو حرف التنبيه
قبل الناس وبناتها وامتناعهم من حذفها فصاد ذلك كالايذان
باستيناف نداء والعلم لان لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز
فى ساير المناداة واجاز المازنى فى يا ايها الرجل النصب وذلك فاسد
لما ذكرناه ولانه لا مجاز لذلك فى كلام العرب ولم يرو عنها غير الرفع
والذين من قبلكم فى موضع نصب لانه عطف على الكاف والميم فى قوله
خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من
اخوات ان وقد ذكرنا القول فى مشابهته الفعل وعمله النصب والرفع
فيما تقدم وكذلك حكم لعل وشبه لعل بالفعل اظهر لان معناه الترجى
وكم فى موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة فى موضع الرفع بانه
خبره المعنى هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم

الامن

الامن ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروى عن ابن عباس والحسن
ان ما فى القران من يا ايها الناس فانه نزل بمكه وما فيه من يا ايها الذين
امنوا فانه نزل بالمدينة اعبدوا ربكم اى تقربوا اليه بفعل العبادة عن ابن
عباس انه قال معناه وحدوه وقوله الذى خلقكم اى اوجدكم بعد ان
لم تكونوا موجودين واوجد من تقدم زمانكم من الخلايق والبشر بين سبحانه
نعمه عليهم وعلى ابائهم لان نعمه عليهم لا يتم الا بنعمة على ابائهم لعلكم
تتقون اى خلقكم اى اوجدكم لتتقوه وتعبدوه لقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه اعبدوه لتتقوا وقيل معناه
لعلكم تتقون المحرمات بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل
اقبل قول لعلك ترشد فليس انه من ذلك على شك وانما يريد اقبله
ترشد وانما ادخل الكلام لعل ترقيقا للموعظة وتقريبا لها من قلب
الموعوظ ويقول القائل لاجيره اعمل لعلك تاخذ الاجرة وليس يريد
بذلك الشك انما يريد لتاخذ اجرتك ومثله قول الشاعر وقلتم لنا
كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق وقال سيبويه انما وردت بيت
لفظة لعل على انه يرجح للمخاطبين كما قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او
يخشى واراد بذلك الابهام على موسى وهرون فكانه لفظة لعل هى ان
لا يحل العبد ابدا محل الامن المدل بعمله بل يزداد ابدا لا بعد حال حرصا
على العمل وحذرا من تركه واكثر ما جاءت لفظة لعل وغيرها من معانى
الشك فيما يتعلق بالاخرة فى دار الدنيا فاذا ذكرت الاخرة مفردة
جاء اليقين وقيل معناه توقوا النار فى ظنكم ورجائكم واجرى
لعل على العباد دون نفسه وهذا قريب مما قاله سيبويه قوله تعالى

الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا و
انتم تعلمون اية القراءة ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم فقالوا جعلكم
والباقون يظهرون فمن ادغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات
ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلانهما منفصلان من كلمتين وفى الادغام وا[خلاف]
القراءة والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القران
فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه اللغة الجعل والخلق و
الاحداث نظاير والارض هى المعرفة والارض قوايم الدابة ومنه قول الشاعر
واحمر كالديباج اما سماؤه • فريا واما ارضه فمحول والارض الرعدة وفى كلام
ابن عباس ازلزلت الارض ام بى ارض والفراش والبساط والمهاد نظاير وسمى السماء
سماء لعلوها على الارض وكل شئ كان فوق شئ فهو لما تحته سماء وسما فلان
لفلان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق • سمونا لنجران اليمانى واهله • و
نجران ارض لم يديث مقاوله قال الزجاج كلما على الارض فهو بناء والماء اصله
موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء اى من ناحية السماء قال
الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا اى من ناحيتك والند المثل والعدل قال
حسان بن ثابت اتهجوه ولست له بند • فشركما لخيركما الفداء • وقال جرير اتيما
تجعلون الى ندا • وما تيم لذى حسب نديدا وقيل الند الضد المعنى معنى هذا
الاية يتعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد
لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب
لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه الذى جعل لكم الارض فراشا اى بساطا
يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان

تكون

تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون والسماء بناء اى سقفا مرفوعا مبنيا
وانزل من نحو السماء اى من السحاب ماء فاخرج به اى بالماء من الثمرات رزقا
لكم اى عطاء لكم وملكا لكم وغذاء لكم وهذه تنبيه على انه هو الذى خلقهم و[الذى]
رزقهم دون من جعلوه ندا لهم من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا
مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به وقوله وانتم تعلمون يحتمل وجوها احدها ان
يريد انكم تعلمون ان الاصنام التى تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التى عددنا[ها]
ولا بامثالها فانها لا تضر ولا تنفع وثانيها ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن
كان بهذه الصفة فقد استوفى شرايط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره
فى التخلف عن النظر واصابة الحق وثالثها ما قاله مجاهد وغيره ان المراد بذلك
اهل التورية والانجيل اى تعلمون ذلك فى الكتابين قال الشريف الاجل المرتضى
قدس سره استدل ابو على الجبائى بقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا وفى
اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل قال
وهذا المستدل لا يدل لانه يكفى فى النعمة علينا ان يكون فى الارض بسايط ومواضع
مفروشة ومسطوحة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة
ان جميع ليس مسطوحا وان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون
لا يدفعون ان يكون فى الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون
الى ان جملتها كرية الشكل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين
اية اللغة ان دخلت هيهنا لغير شك لان الله تعالى علم انهم مرتابون ولكن
هذا على عادة العرب فى خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت
ابى فاطعنى وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على

عادتهم فى الخطاب والرتيب الشك مع تممة والعبد المملوك من جنس ما يعقل
ونقيضه الحر من التعبيد وهو التذليل لان العبد يذل لمولاه والعبودية من احكام
الشرع لانه بمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك
يسترق المومن والصبى والسورة غير مهموزة ماخوذة من سور البناء وكل
منزلة رفيعة فهى سورة ومنه قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى
كل ملك دونها يتذبذب هذا قول ابى عبيدة وابن الاعرابى فى تفسير السورة
فكل سورة من القران بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال رفيع يرتفع القارى
منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القران وقيل السورة مهموزة والمراد بها
القطعة من القران انفصلت عما سواها وابقيت وسوركل شى بقيته و
اسارت فى الاناء بقيت فيه قال الاعشى يصف امراة فبانت وقد اسارت
فى الفواد صدعا على نايها مستطيرا الاعراب ان حرف شرط يجزم الفعل
المضارع ويدخل على الفعل الماضى فيصرفه الى معنى الاستقبال ولا بد للشرط
من جزاء وهما جملتان ربطت احديهما بالاخرى نحو ان تفعل افعل فقولك
ان تفعل شرط وهو مجزوم بان وقولك افعل جزاء وهو مجزوم بالشرط لا بان
وحدها ولا بالفعل فان كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كان مجزوما وان
كان الجزاء كان مجزوما وان كان جملة من مبتدا وخبر فلا بد من الفاء وكانت
الجملة فى موضع الجزم فقوله كنتم فى موضع الجزم بانه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل
فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه احدها ان يكون بمعنى ابتداء الشى من مكان
ما كقولك خرجت من البصرة وثانيها بمعنى التبعيض كقولك اخذت من الطعام
قفيزا وثالثها بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهى
فى التبيين تخصيص الجملة التى قبلها كما انها فى التبعيض تخصيص الجملة التى

بعدها

وقوله [illegible] وما بعده فى موضع الجزم ٥٥٥٥

بعدها ورابعها ان تقع مزيدة نحو ما جاءنى من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله
تعالى من مثله قال بعضهم ان من بمعنى التبعيض وتقديره فاتوا ببعض ما هو
مثل له وهو سورة وقيل هو لتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة فى موضع اخر
بسورة مثله اى مثل القران وتعود الهاء فى مثله الى ما من قوله مما نزلنا على
عبدنا فى الاقوال الثلثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والهاء فى من مثله
الى ما من قوله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول اقوى
لما نذكره بعد المعنى لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوة
بما قطع عذرهم فقال وان كنتم فى شك من صدق هذا الكتاب الذى
انزلناه على محمد صلى الله عليه واله وقلتم لا ندرى هل هو من عند الله ام لا
فاتوا بسورة مثله اى من مثل هذا القران وعلى قول من يقول الضمير فى من
مثله عايد الى عبدنا فالمعنى فاتوا بسورة من بشر اى مثله لا يحسن الخط و
الكتابة ولا يدرى الكتب والصحيح هو الاول لقوله تعالى فى سورة اخرى
فليأتوا بحديث مثله وقوله فاتوا بسورة مثله وقوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله يعنى فاتوا بسورة مثل ما اتى به
محمد فى الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التى اختصت به
وغاية كون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله وادعوا شهداءكم قال
ابن عباس يعنى اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وسمى اعوانهم
شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد
كالجليس والاكيل ويسمى الشاهد على الشى لغيره بما يحقق دعواه بانه
شهيد ايضا وقوله من دون الله اى من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق
يريد ادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله ان كنتم صادقين فى ان هذا

الكتاب بقوله محمد من نفسه وقال الفراء اراد وادعوا الهتكم وقال مجاهد و ابن
جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى لان
معناه واستنصروا اعوانكم على ان ياتوا بمثله لان الدعاء بمعنى الاستغاثة
كما قال الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالنا دعوا يال كعب واعتزينا لعامر
وقال الاخر وقبلك رب خصم قد تمالوا علي فما هلعت ولا دعوت واما قول مجاهد
فلا وجه له لان الشاهد لا يخ اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا فالمؤمنون لا يكونون
شهداء الكفار والكفار لا بد ان يسارعوا الى ابطال الحق وتحقيق الباطل اذا دعوا اليه
فمن اي الفريقين تكون شهداؤهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جايز ايضا صحته لان العقلاء لا يجوزون
يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به من كلام انه مثل القران فلا يكون مثله كما لا يجوز
ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الاية تدل على صحة نبوة
نبينا محمد صلى الله عليه واله وان الله تعالى تحدى بالقران وببعضه ووجه الاستدلال
بها انه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا
الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم بالاتيان بمثله
او ببعضه بقوله فاتوا بعشر سور مثله وبسورة من مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم
ودلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه واله وهم اهل الحمية والانفة فبذلوا اموالهم و
نفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا في معارضة القران سورة ولا خطبة فعلمنا ان المعارضة
كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على ان القران معجز دال على صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله

قوله تعالى فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ آية الاعراب ان حرف الشرط ولم حرف يدخل

على الفعل

على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا
فعل وفاعل وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا في موضع
الجزم ايضا بان ولن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصصه بالاستقبال
وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون ايضا وقال
سيبويه في لن زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا
ويلمه وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هي هل ولا
قال وهذا ليس بجيد لانه لو كان كذلك لم يجز زيدا لن اضرب واقول ان مغني
هذا القول هو انه لو كان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز
تقديم معمول ما في الصلة على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيدا
على ولن كما لم يجز تقديم معمول ما على ان فلا تقول زيدا ان اضرب زيدا
لا ان اضرب ولا خلاف بين النحويين في جواز تقديمه هناك وقوله ولن تفعلوا
لا موضع له من الاعراب لانه اعتراض غير واقع ويقع بين الشرط والجزاء
كما يقع بين المبتدا والخبر في قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض
غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع اعراب المعنى فان لم تفعلوا
اي فان لم تاتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه و
اعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عند الله فلا تقيموا
على التكذيب به ومعنى ولن تفعلوا اي ولن تاتوا بسورة مثله ابدا لان لن
تنفي على التابيد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا عليه السلام لانه
يتضمن الاخبار عن حالهم في مستقبل الاوقات بانهم لا ياتون بمثله فوافق
المخبر عنه الخبر وقوله فاتقوا النار اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم
وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار

كيف تصرفت الحال لانه لا يلزم الانقياد الا بعد التصديق بالنبوة ولا
يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجز فكانه قيل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي وقودها الناس والحجارة وهي
جمع حجر وقيل انها حجارة الكبريت لانها احر شي اذا احميت عن ابن مسعود
وابن عباس والظاهر ان الناس والحجارة وقودها اي حطبها يريد بها اصنامهم
المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تاكل الحجارة الا
وهي في غاية الفظاعة والهول وقيل معناه ان اجسادهم تبقى على النار
بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله اياها ويؤيده ذلك قوله كلما
نضجت جلودهم الاية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار
وقوله تعالى اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لانهم
الذين يخلدون فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيفت اليهم وانما خص
النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا
لانه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار وهذه الاية تدل على بطلان قول من حرم
النظر والحجاج العقلي لان الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه
الاية والزمهم به تصديق نبيه ع وقررهم بان القران كلامه اذ قال
ان كان هذا القران كلام محمد فاتوا بسورة من مثله لانه لو كان كلام
البشر لتهيا لكم مع تقدمكم في البلاغة والفصاحة الاتيان بمثله
او بسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فاذا لم يتات لكم فاعلموا بعقولكم
انه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت

الكافرين

للكافرين على ان النار مخلوقة الان لان المعد لا يكون الا موجودا
وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفايدة في ذلك انا وان لم
نشاهدهما فان الملائكة يشاهدونهما وهم من اهل التكليف و
الاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين قوله تعالى
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا
الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية اللغة البشارة وهي الاخبار بما يسر المخبر به
اذا كان سابقا لكل خبر سواه لان الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل للاخبار حباد
بما يغم ايضا بشارة كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وذلك على
سبيل التوسيع وهي ماخوذة من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها باول
خبر وتباشير الصبح اوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة
ما في الجنة من اشجارها وثمارها دون ارضها فلذلك قال تجري من
تحتها الانهار لان من المعلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها بانه جار
تحت الاشجار لان الماء اذا كانت تحت الارض فلا حظ فيها للعيون
على انه روي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخدود رواه عنه
ابو عبيدة وغيره واصلها من الجن وهو الستر ومنه الجن لتسترها
عن عيون الناس والجنون لانه يستر العقل والجنة لانه يستر البدن
والجنين لتستره بالرحم قال المفضل اذا كان فيه الكرم فهو فردوس
كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان نخل فيه وان لم يكن فيه
غيره والازواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمراة ويقال للمراة

زوجة ايضا وكل شى شكله والخلود الدوام والبقاء الاعراب موضع ان
مع اسمه وخبره نصب معناه بشر المومنين بان لهم جنات فلما سقطت
الباء افضى الفعل الى ان فنصبه على قول الخليل يكون ان فى موضع جر وان
سقطت الباء وجنات منصوب بانه اسم ان ولهم الجار والمجرور فى موضع
خبره والتاء تاء الجماعة المونث تكون فى حالة النصب والجر على صورة واحدة
كما ان يا الجماعة المذكور فى الزيدين ونحوه يكون فى حال النصب والجر على
صورة واحدة وقوله تجرى مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها
صفة لجنات وكلما ضم كل الى ما الجزاء فصار اداة للتكرار وهو منصوب
على الظرف والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من مزيدة اى ثمرة من مزيدة
اى ثمرة وقال على بن عيسى هى بمعنى التبعيض لانهم يرزقون بعض الثمرات
فى كل وقت ويجوز ان يكون بمعنى التبيين الصفة وهو ان يبين الرزق
من اى جنس هو ومن قبل تقديره من قبل هذا الزمان او هذا الوقت
فحذف المضاف اليه منه لفظا مع ان الاضافة مرادة معنى فبنى
لاجل مشابهته الحرف وانما بنى على الحركة ليدلوا على تمكنه فى الاصل
وانما خص بالضم لان اعرابه عند الاضافة كان بالفتح او الجر نحو من قبلك
وقبلك لكونه ظرفا فبنى على حركة لم تكن تدخلها فى الاعراب وهى الضمة
وموضعه نصب على الظرف ومتشابها نصب على الحال وازواج رفع اما
بالابتداء او بالظرف المعنى قرن الله تعالى الوعد فى هذه الاية بالوعيد
فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال وبشر اى اخبر يا بشر الذين
امنوا اى صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم عن ابن عباس
بان لهم جنات تجرى من تحتها اى من تحت اشجارها ومساكنها

الانهار

الانهار والنهر لا يجرى وانما يجرى الماء فيه ويستعمل الجرى فيه توسعا لانه
موضع الجرى وقوله كلما رزقوا منها اى من الجنات فالمعنى من اشجارها
وتقديرها كلما رزقوا من اشجار البساتين التى اعدها الله للمومنين ثمرة
رزقا اى اعطوا من ثمارها عطاء واطعموا منها طعاما لان الرزق عبارة عما
يصح الانتفاع به ولا يكون لاحد المنع منه قالوا هذا الذى رزقنا من قبل
فيه وجوه احدها ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها مثلها
فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل هذا قول ابى عبيدة ويحيى
ابن ابى كثير وثانيها ان معناه هذا الذى رزقناه فى الدنيا عن ابن عباس
وابن مسعود وقيل هذا الذى وعدناه فى الدنيا وثالثها معناه هذا الذى
رزقناه من قبل فى الجنة اى كالذى رزقنا وهم يعلمون انه غيره ولكنهم
شبهوه به فى طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال
الشيخ ابو جعفر رحمه الله واقوى الاقوال قول ابن عباس لانه تعالى قال
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فعم ولم يخص
فاول ما اتوا به لا يتقدر فيه هذا القول الا بان يكون اشارة الى ما تقدم
رزقه فى الدنيا ويكون هذا مثل الذى رزقناه فى الدنيا لان ما رزقوه فى
الدنيا قد عدمه فاقام المضاف اليه مقام المضاف كما ان القايل اذا قال
لغيره اعددت لك طعاما ووصفه له يحسن ان يقول هذا طعامى فى
منزلى يريد مثله من جنسه وقوله واتوا به اى جيئوا به وليس معناه
واعطوه وقوله متشابها فيه وجوه احدها انه اراد متشابها فى اللون
مختلفا فى الطعم عن ابن عباس ومجاهد وثانيها ان كلها متشابه فى الجودة
خيار لا رذل فيه عن الحسن وقتادة واختاره الاخفش قال وهذا كما تقول

القايل وقد جي باشياء فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل لا ادري مما
اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري يعني انهم قد تساووا في الفضل
وثالثها انه يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة اطيب عن عكرمه ورابعها
ان يشبه بعضه بعضا في اللذة وجميع الصفات عن ابي مسلم وخامسها
ان التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن والمسكن يوافق
العرش وكذلك جميع ما يليق به قوله ولهم فيها ازواج قيل هن حور العين
وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن عن عجايزكم الغمص الرمص العمش طهرن
من قذرات الدنيا مطهرة قيل في الابدان والاخلاق والاعمال فلا يحضن
ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهرن من الاقذار والآثام وهو قول
جماعة المفسرين وهم فيها اي في الجنة خالدون يعني دايمون يبقون ببقاء
الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد لان النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنقص
بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتدا ولهذا لا يقال الله تعالى
خالد قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وما يضل به الا الفاسقين آية القراءة يستحيي بيائين وروي عن
ابن كثير يستحي بياء واحدة ووجه هذه القراءة انه استثقل اجتماع اليائين
فحذف احدهما وهي لغة تميم اللغة الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة
والضرب يقع على جميع الاقوال الا قليلا يقال ضرب في التجارة وضرب في الأعمال
الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد

فلان

فلان اذا افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما هو جعلها تسير
في البلاد يقال ضربت القول مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك والبعوض
القرقس وهو صغار البق واحده بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه
قال كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده الا الا باطيل
والفسق والفسوق الترك لامر الله وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة
تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت ولذلك سميت الفارة
فويسقة لخروجها من جحرها الاعراب في قوله ما بعوضة بالنصب فيه وجوه
احدها ان يكون ما مزيدة ومعناها التوكيد كما في قوله فبما رحمة من الله
لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحيي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا
بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب وثانيها ان يكون ما نكرة
مفسرة ببعوضة كما تكون نكرة موصوفة في قوله تعالى هذا ما لدي
عتيد فيكون تقديره لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشياء
بعوضة فيكون بعوضة بدلا من شيئا وثالثها ما يحكى عن الفراء ان
معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زبالة الى الثعلبية
وله عشرون ما ناقة فجملا وهي احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين
في جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه
لان ضرب هنا بمعنى جعل فجاز ان يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدا
والخبر وفي التنزيل ما يدل عليه وهو قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
فمثل الحيوة مبتدا وكماء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
كماء فدخل اضرب على المبتدا والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا كعمرو
ويجوز في الاعراب الرفع في بعوضة وان لم تجز القراءة به وفيه وجهان احدهما

ان يكون خبر المبتدا محذوف فى صلة ما فكانه قال الذى هو بعوضة
كقراءة من قرا على الذى احسن بالرفع وهذا عند سيبويه ضعيف وهو فى
الذى اقوى لان الذى اطول وليس للذى مذهب غير الاسماء والثانى على
الجواب كانه لما قيل ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما قيل ما هو فقيل
بعوضة اى هو بعوضة كما يقال مررت برجل زيد اى هو زيد فيكون ما على
هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله فاما الذين آمنوا لغة
العرب جميعا بالتشديد وكثير من بنى تميم يقولون ايما فلان فيفعل
كذا وانشد لبعضهم مبتلة هيفاء ايما وشاحها فيجرى وايما الحجل منها
فلا يجرى وهى كلمة تجى فى شيئين او اشياء تفصل القول بينهما كقولك
اما زيد فمحسن واما عمرو فمسى فزيد مبتدا ومحسن خبره وفيها معنى الشرط
والجزاء وتقديره مهما يكن من شى فزيد محسن ثم اقيم اما مقام الشرط فحصل
اما فزيد محسن ثم اخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولكراهة ان يقع الفا
التى للتعقيب فى اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا يكون مبتدا
ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدا ويقولون خبره وقوله ماذا
اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم فى موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى
الذى وصلته ما بعده وهو فى موضع رفع بانه خبر المبتدا تقديره اى
شى الذى اراد الله تعالى فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان
لحال الذى ضرب له المثل ويحتمل ان يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره
اى شى اراد الله فيكون فى موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون
الجواب نصبا كقولك البيان لحال من ضرب له المثل ومثال الاول
كقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثانى ما

ذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل
على التفسير **النزول** روى عن ابن عباس وابن مسعود ان الله تعالى لما
ضرب المثلين قبل هذه الاية للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى
استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل
من ان يضرب هذه الامثال فانزل هذه الاية وعن قتادة والحسن لما
ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره
فانزل الله هذه الاية **المعنى** ان الله لا يستحيى اى لا يدع وقيل لا يمتنع لان
احدنا اذا استحيا من شى تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب
المثل بالاشياء الحقير لحقارتها اذا راى الصلاح فى ضرب المثل بها وقيل
معناه هو الذى يستحيى منه ما يكون قبيحا فى نفسه ويكون لفاعله عيب
فى فعله فاخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيى منه
وقيل معناه انه لا يخشى ان يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه اى تستحيى الناس والله احق ان تستحييه فالاستحياء
بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحياء هناك واصل الاستحياء
الانقباض عن الشى والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح وقال
على بن عيسى معناه انه ليس فى ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحيى منه
فكانه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيى منه فوضع قوله
ان الله لا يستحيى موضعه ما بعوضة فما فوقها اى ما هو اعظم منها
عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها فى الصغر والقلة لان الغرض هاهنا
الصغر قال الربيع بن انس ان البعوضة تحيى ما جاعت فاذا سمنت ماتت
فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلاوا من الدنيا ريا
اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى

عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله سبحانه ان ينبه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صنعته وقد استشهدوا على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير في كلام العرب بقول الفرزدق وضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل وبقوله ايضا وهل شيء يكون اذل بيتا من اليربوع يحتفر الترابا وقوله فاما الذين آمنوا اي صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام فيعلمون انه الحق من ربهم مدحهم الله تعالى بانهم تدبروا حتى علموا انه من ربهم وان المثل وقع في حقه واما الذين كفروا بالقرآن فيقولون اي فلاعراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اي ماذا اراد بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيه وجهان احدهما حكي عن الفراء انه قال حكاية عمن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اي يضل به قوم ويهتدي به قوم ثم قال الله تعالى وما يضل به الا الفاسقين فبين الله تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا وجه حسن والآخر انه كلام تعالى ابتداء وكلاهما محتمل واذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه فاضيف اليه فمعنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال وذلك بان ضرب لهم الامثال لان المحنة اذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت اضلالا فاذا سهلت فاهتدى عندها سميت هداية

فالمعنى

فالمعنى ان الله تعالى يمتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير و ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس اي ضلوا عندها وهذا كما يقال للرجل اذا ادخل الفضة النار ليظهر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل فيها الفساد وانما يراد ان فسادها ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل وانما يريدون ضلت منه لا من غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهي ربما لم يعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التي يفعل بالمؤمنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيها الاصلاح في كل وقت بالصيقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال واكفره اذا نسبه الى الكفر قال الكميت

فطايفة قد اكفروني بحبكم ... وطايفة قالوا مسيء ومذنب

وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنه قوله أئذا ضللنا في الارض اي هلكنا وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اي لن يبطل سعيهم ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بان يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي الى الثواب وطريق الجنة بالايمان به كثيرا

عن ابى على الجبائى قال ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين
لانه لا يحسن ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد
به التحير والتشكيك فان اراد الحيرة فقد ذكر انه لا يفعل الا بالفاسق
المتحير الشاك فيجب ان لا يكون الحيرة المتقدمة التى بها صار فاسقا
من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود ما لا نهاية
له من حيرة قبل حيرة لا الى اول وثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان
ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله وما يضل
به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه فيجوز ان يكون حكم الله تعالى عليهم
بالكفر وبرائته منهم ولعنته عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكه اضلالا
وكل ما فى القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من
الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى سبحانه الاضلال الذى اضافه
الى الشيطان والى فرعون والسامرى بقوله ولقد اضل منكم جبلا
كثيرا وقوله واضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامرى وهو ان
يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والايقاع فى الفساد و
الضلال وغير ذلك مما يؤدى الى التظلم والتجوير على ما يذهب اليه المجبرة
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فصل** فى حقيقة الهداية والهدى واذ
قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز
فلنذكر اقسام الهداية التى هى ضده اعلم ان الهداية فى القرآن تقع على وجوه
احدها ان تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق
والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فان الله تعالى هدى
كل مكلف الى الحق بان دله عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه

فلو

فلو لم يدله عليه لكان قد كلفه ما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد
جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن
هدى للناس وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى و
قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله وهديناه النجدين وما اشبه
ذلك من الآيات وثانيها ان يكون بمعنى زيادة الالطاف التى بها يثبت
على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اى شرح صدورهم
وثبتها وثالثها ان يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم
بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم وقوله والذين قتلوا
فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم والهداية التى
تكون بعد قتلهم هى اثابتهم لا محالة لانه ليس بعد الموت تكليف ورابعها
الحكم بالهداية كقوله تعالى ومن يهدى الله فهو المهتد وهذه الوجوه الثلثة
خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لانه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة
وهم المؤمنون ويزيدهم الطافا بايمانهم وطاعاتهم ويحكم لهم بالهداية
لذلك ايضا وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا
بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشىء متحركا بخلق الحركة فيه والله تعالى
يفعل العلوم الضرورية فى القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا
الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التى كلف
الله تعالى العباد فعلها كالايمان به وبانبيائه وغير ذلك فانها
من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان
الله سبحانه قد انعم عليهم بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه و
دعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة

سبحانه عليهم ومنته منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم
فهو مشكور على ذلك محمود اذ فعل بتمكينه والطافه وضروب تسهيلاته
ومعوناته قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و
يقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
اولئك هم الخاسرون اية اللغة النقض نقيض الابرام والعهد
العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا و
عهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان كذا اى امره و
اوصاه به ومنه قوله الم اعهد اليكم يا بني ادم والميثاق ما وقع التوثيق
به كما ان الميقات ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوي فيه
الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال ثقات في الرجال والنساء والقطع
الفصل بين الشيئين واصل ذلك في الاجسام ويستعمل ذلك في الاعراض
ايضا تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والامر هو قول القايل
لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير امرا بارادة الآمر المامور به وصيغة
الامر يستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي التهديد نحو قوله اعملوا
ما شئتم وفي التحدي نحو قوله فاتوا بسورة من مثله وفي التكوين نحو
قوله كن فيكون والاصل في الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو
جمع الشيئين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك واصل
الخسران ذهاب راس المال الاعراب الذين ينقضون في موضع
النصب لانه صفة للفاسقين واولئك مبتدا والخاسرون خبره
وهم فصل ويجوز ان يكون مبتدا والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك
وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه ابتداء الغاية والهاء

في ميثاقه

في ميثاقه عايد الى العهد ويجوز ان يكون عايدا الى اسم الله وقوله ان يوصل
بدل من الهاء التي في به اى ما امر الله بان يوصل فهو في موضع جر المعنى
ثم وصف سبحانه الفاسقين المذكورين في الاية فقال هم الذين ينقضون
عهد الله اى يهدمونه اى لا يفون به وقيل في عهد الله وجوه احدها
انه ما ركب في عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل
وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم
لذلك تركهم الاقرار بما قد بينت لهم صحته بالادلة وثانيها ان المراد
به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه من بعد ميثاقه هو ما
اخذه عليهم في التورية من اتباع محمد صلى الله عليه وآله والتصديق
بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم
بحقيقته وكتمانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم ليبيننه
للناس ولا يكتمونه وانه ان جاءهم نذير امنوا به فلما جاءهم النذير
ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
واختار الوجه الطبري ورابعها انه العهد الذي اخذه عليهم حين
اخرجهم من صلب ادم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف
لانه لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا
يكون عليه دليل وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل معناه
امروا بصلة الرحم والقرابة فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايمان
بجميع الانبياء والكتب ففرقوا وقطعوا عن ذلك وقيل امروا بان يصلوا
القول بالعمل ففرقوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر
يوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من اعدائه

النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين فقطعوهم عن الحسن وقيل امروا بصلة

وهذا اقوى لانه اعم ويدخل فيه الجميع وقوله ويفسدون في الارض قال
قوم استدعاؤهم الى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السبيل
وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى
ضررها الى غير فاعلها والاولى حمله على العموم اولئك هم الخاسرون اي
اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من هلك راس ماله وروى عن ابن عباس ان
كل ما نسبه الله تعالى من الخسار الى غير المسلمين فانه عنى به الكفر وما نسبه
الى المسلمين فانه عنى به الدنيا قوله تعـ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ آية
القراءة قرا يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون
بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله الاعراب كيف في الاصل سؤال عن
الحال ويتضح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فتقول مسرورا
او مهموما وما اشبه ذلك فيجب باحواله فكيف تنتظم جميع العدد وما
ينتظم جميع الجنس واين ينتظم جميع الاماكن ومن ينتظم جميع العقلاء
ومعناه في الآية التوبيخ وتقديره امتغلقين بحجة يكفرون فيكون
منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام
في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق وللمؤمنين اي اعجبوا من هؤلاء
كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو
واو الحال واضمار قد جائز اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى
او جاؤكم حصرت صدورهم اي قد حصرت وهي جملة في موضع الحال وانما
وجب اظهار قد في مثل هذا او تقديرها لان الماضي لا يكون حالا وقد
انما يكون لتقريب العهد ولتقريب الحال فبدخوله يصلح ان يكون الفعل

الماضي حالا المعنى ثم عاد الله سبحانه الى الاحتجاج على الكفار في انكارهم
البعث وجحودهم لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال كيف تكفرون
بالله من قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف
تكفر فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجب قال تقديره عجبا منكم
على اي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته و
المعجزات القاهرة على صدق من اختص برسالته وقيام الحجج الباهرة
على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه عليهم فقال وكنتم امواتا
فاحياكم اي وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه احدها انهم كانوا امواتا
في اصلاب آبائهم يعني نطفا ثم احياهم الله ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة
عن ابن عباس وابن مسعود وثانيها ان معناه كنتم امواتا يعني خاملي
الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند نقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث
والعرب تسمي كل امر مشهور حيا كما قال ابو نخيلة السعدي فاحييت
من ذكرى وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض
ورابعها ان معناه كنتم نطفا في اصلاب آبائكم وبطون امهاتكم
والنطفة موات فاخرجكم الى دار الدنيا احياء ثم يميتكم ثم يحييكم
في القبر للمسائلة ثم اليه ترجعون اي يبعثكم يوم الحشر للحساب و
المجازاة على الاعمال وسمي الحشر رجوعا الى الله تعالى لانه رجوع الى حيث
لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال راجع صار من القوم
الى الامير ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر
له خاصة وانما بدا الله تعالى بذكر الحيوة من بين سائر النعم التي
انعم بها على العبد لان اقل نعمه انعم بها عليه خلقه اياه محيا

لينفعه وبالحيوة يتمكن الانسان من الانتفاع والالتذاذ والمتاعة
من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل
المكلف بعده الى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر
الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى
لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم او خلقه
فيهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز
ان يقول لهم كيف اولم كنتم طوالا او قصارا او ما اشبه ذلك
مما هو من فعله تعالى فيهم قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات
وهو بكل شيء عليم آية اللغة اصل الخلق التقدير والجمع الضم
ونقيضه الفرق وسميت الجمعة لاجتماع الناس والاستواء
الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للمؤنث
والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لانه مضاعف القوى
كانه ضوعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيبويه اذا
ارادوا المبالغة عدلوا الى فعيل نحو عليم ورحيم المعنى قال المفسرون
لما استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم الله تعالى خلق السموات
والارض ليدلهم بذلك على قدرته فقال هو الذي خلق لكم اي
لاجلكم ما في الارض جميعا ما في موضع نصب بانه مفعول به
او معناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله سبحانه مخلوقة لكم
اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنياوية فتنتفعون
منها بضروب النفع عاجلا وقوله ثم استوى الى السماء فيه وجوه احدها

ان

ان معناه قصد للسماء ليسويها كقول القائل كان الامير يدبر امر
الشام ثم استوى الى اهل الحجاز اي تحول فعله وتدبيره اليهم وثانيها
انه بمعنى استولى اي تمكن من امره وقهر هواه بعقله فعلى هذا يكون
معناه ثم استوى الى السماء في تفرده وتملكها ولم يجعلها كالارض
ملكا لخلقه ومنه قول الشاعر فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم
صرعى لنسر وكاسر وقال آخر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف
ودم مهراق وثالثها ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء
لان اوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الارض عن ابن عباس
ورابعها ما روي عن احمد بن يحيى بن ثعلب انه سئل عن معنى الاستوى
في صفة الله عز وجل فقال الاستواء الاقبال على الشيء ويقال كان
مقبلا على فلان ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل علي والي
فهذا معنى قوله ثم استوى الى السماء فقوله فسويهن سبع سموات
التسوية جعل الشيئين لجمع الضمير العايد الى السماء لان السماء اسم جنس
يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل
السماء جمع سماوة وسماوه ولذلك يؤنث مرة ويذكر اخرى فقيل
السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الهاء
نحو نخل ونخلة وبقر وبقرة وقيل ان السموات كانت سماء فوق سماء
فهي في التقدير واحدة وتكون الواحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق
واسمال وبرمة اعشار وارض اعقال والمعنى ان كل ناحية منها كذلك
فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا
امت قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لان الافلاك متحركة

وتدور السموات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لان قوله ان تزولا
معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكه لزالت
عنها سوال ظ قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق
الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى
والارض بعد ذلك دحيها خلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه
ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق السماء دحيها
بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها عن الحسن وعمرو ابن عبيد وقد
يجوز ان لا يكون معنى ثم وبعده في هذه الآية الترتيب في الاوقات
وانما هو على جهة تعداد النعم والتنبيه عليها والاذكار لها كما يقول
القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد
هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما في
اللفظ كان متاخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما
المراد التذكير كما ذكرناه وقوله تعالى وهو بكل شيء عليم ولم يقل قدير لانه
لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء وصل ذلك بالعلم اذ بهما
يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فانه سبحانه اراد
ان يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله وحال المنعم به عليه فيتحقق بذلك
بذلك النعمة وفي هذه الآية دلالة على ان صانع السماء والارض قادر
عالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وان له تعالى على الكفار نعما فيجب
شكره بها عليهم وفيها ايضا دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة
لانه ذكر انه خلق ما في الارض لمنفعة العباد ثم صار حظا لكل واحد

منهم

الآيات

منهم فيما ينفرد كل منهم بالتصرف به يحتاج الى دليل قوله تعالى واذ
قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك و
نقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون آية اللغة القول
موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب
السيد رب الدار ورب العرش ولا يقال الرب بالالف واللام
الا لله تعالى واصله من ربته اذا قمت بامره ومنه قيل للعالم رباني
لانه يقوم بامر الامة والملئكة جمع ملك واختلف في اشتقاقه فذهب
اكثر العلماء الى انه من الالوكة وهي الرسالة وقال الخليل الالوك الرسالة
وهي المالكة والمالكة على مفعلة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكا
لانها تولك في الفم اي تمضغ والفرس يالك اللجام ويعلك قال
عدي بن زيد ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري
ويروى ملاكا وقال لبيد وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما
سال وقال الهذلي الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر
فالملئكة على هذا وزنها مفاعلة لانها مقلوبة جمع ملاك في معنى مالك
قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب فوزن
ملاك مقلوب مالك مفعل ومن العرب من يستعمله مهموزا و
الجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فيقال ملك و
ذهب ابو عبيدة الى ان اصله من لاك اذا ارسل فملاك على هذا
المقول مفعل وملئكة مفاعلة غير مقلوبة والميم في هذين الوجهين
زائدة وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان وزن ملاك فعال

ملكة

مثل شمال وملئكة فعايلة فالميم على هذا القول اصلية والهمزة زايدة
والملك وان كان الرسالة فقد صار صفة غالبة على صنف من رسل
الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على
السموات المعروفة وقال اصحابنا رضي الله عنه ان جميع الملائكة ليسوا
برسل الله بدلالة قوله تعالى يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس
فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك
اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجعل والخلق والفعل والاحداث
نظاير الا ان الجعل يتعلق بالشي لا على سبيل الايجاد بخلاف الفعل
والاحداث تقول جعلته متحركا وحقيقة الجعل تغيير الشي عما كان
عليه وحقيقة الفعل والاحداث الايجاد والخليفة والامام واحد
في الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من استخلف في الامر مكان
من قبله فهو ماخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام ماخوذ
من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته
فيما تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في وزنه فقال
بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان
بالخبر اليقين وقيل اصله دمي على وزن فعل والشاعر لما رد اليا
في التثنية لقلة الاسم حركه ليعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التنزيه
لله تعالى عن السوء وعن ما لا يليق به والسبوح المستحق للتنزيه والتعظيم
والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس
القدس السطل الذي يتطهر منه وقد حكى سيبويه ان منهم من يقول
سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح اقيس لانه ليس في

الكلام

الكلام فعول الا ذروح وسبحان اسم المصدر قال سيبويه اسم المصدر
سبحان الله معناه براءة الله من كل سوء وتنزيه الله قال الاعشى اقول
اقول لما جاني فخره سبحان من علقمة الفاخر اي براءة منه قال وهو
معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر
فنونه قال امية سبحانه ثم سبحانا نعوذ له وقبله سبح الجودي والجمد
وهو من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان
منزها لانه صار علما في الدين كالعلم على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها
سواه كما ان العبادة وهي غاية في الشكر لا يستحقها سواه الاعراب قال
ابو عبيدة اذ ههنا زايدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا
ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاوه وقال الزجاج ومعناها
الوقت ولما ذكر الله خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتدا خلقكم اذ
قال ربك للملئكة وقال علي بن عيسى تقديره اذكر اذ قال ربك فموضع
اذ نصب على اضمار فعل والواو عاطفة جملة على جملة واني جاعل في الارض
خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك
في موضع نصب بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال وتسمى واو القطع
وواو الاستيناف وواو الابتداء وواو اذ كذا كان يمثلها سيبويه
ومثله الواو في قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم
اي اذ طائفة وكذا ههنا اذ نسبح والعامل في الحال ههنا اتجعل فيها
من يفسد فيها وهذه حال النا والبا في بحمدك يتعلق بنسبح واللام
من لك يتعلق بنقدس وما موصول وصلته لا تعلمون والعايد
ضمير المفعول حذف لطول الكلام اي لا تعلمونه وهو في موضع النصب ما علم

المعنى اذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة قيل انه خطاب لجميع الملائكة
وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس
انى جاعل اى خالق فى الارض خليفة اراد بالخليفة آدم عليه السلام
فهو خليفة الله فى ارضه يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم ملائكته
انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود
وقال انما سمى الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفاء
للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان فى الارض
الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم
عن ابن عباس وقيل عنى بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا
وهم خلفوا اباهم آدم فى اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصرى
وقيل اراد بالارض مكة لان النبى صلى الله عليه وآله قال دحيت الارض
من مكة ولذلك سميت ام القرى وروى ان قبر نوح وهود وصالح
وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الارض المعروفة
وهو الصحيح وقوله قالوا يعنى الملائكة لله تعالى اتجعل فيها اى فى الارض
من يفسد فيها بالكفر والمعاصى ويسفك الدماء بغير حق وذكر
فيه وجوه احدها ان خلقا يقال لهم الجان كانوا فى الارض فافسدوا
فيها فبعث الله ملائكة اجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة سكان
الارض من بعدهم فقالوا يا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل
بنو الجان فقاسوا بالشاهد على الغايب وهو قول كثير من المفسرين و
ثانيها ان الملائكة انما قال ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه
الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار

ولا على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا
ما وجه الحكمة فيه وثالثها ان الله تعالى اخبر الملائكة بانه سيكون
من ذرية الخليفة من يعصى ويسفك الدماء على ما روى عن ابن
عباس وابن مسعود والغرض فى اعلامه اياهم ان يزيدهم يقينا على
علمه بالغيب لانه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل ليعلم آدم انه
خلق للارض لا للجنة فقالت الملائكة اتجعل فيها الكذا وكذا على وجه
التعرف لما فى هذا من التدبير والاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا
الوجه يقتضى ان يكون فى اول الكلام حذف ويكون التقدير انى جاعل
فى الارض خليفة وانى عالم بانه سيكون فى ذريته من يفسد فيها
ويسفك الدماء فحذف اختصارا وكذلك قوله اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فى ضمنه اختصار
شديد اى فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بالخلافة فى الارض
لانا نطيع وغيرنا يعصى وفى قوله انى اعلم ما لا تعلمون اختصار ايضا
لانه يتضمن انى اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون بخلاف
ما تظنونه على ظواهر الامور ومثل هذه الحذوف العجيبة والاختصارات
البديعة كثير فى القرآن والحذف معدود فى انواع الفصاحة اذا كان
فيما ابقى دليل على ما القى ومما جاء منه فى الشعر قول الشنفرى لا تقبرونى
ان قبرى محرم عليكم ولكن خامرى ام عامر اى لا تدفنونى بل دعونى
تاكلنى التى يقال لها خامرى ام عامر يعنى الضبع وقول ابى داود ان من
شيمتى لبذل تلادى دون عرضى فان رضيت فكونى على ما استنت
عليه وان سخطت فبينى فحذف وقال عنترة هل تبلغنى دارها شدنية

لعنت بمجروم التراب مصرم اى دعى عليها بانقطاع لبنها وجفاف
ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على
السير وانما ارادت الملئكة بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ولد ادم
الذين ليسوا بالانبياء ولا معصومين لا ادم بنفسه ومن يجرى مجراه
من الانبياء والمعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك نتكلم بالحمد
لك والنطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى والملئكة يسبحون بحمد
ربهم وانما يكون حمد الحامد لله تسبيحا لان معنى الحمد لله الثناء عليه
والشكر له وهذا تنزيه له واعتراف بانه اهل لان ينزه ويعظم و
يثنى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلى لك كقوله تعالى فلولا
انه كان من المسبحين اى من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود
وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل ومنه قول جرير قبح الاله
وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقوله ونقدس لك اى نزهك
عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبايح فاللام
على هذا زايدة اى نقدسك وقيل نقدس لك اى نصلى لاجلك وقيل
نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصى قال انى اعلم ما لا تعلمون قيل اراد
ما اضمره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لما امره الله تعالى بالسجود
عن ادم عليه السلم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من فى
ذرية ادم من الانبياء والصالحين عن قتاده وقيل اراد به ما اختص تعالى
بعلمه من تدبير المصالح وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال ان الملئكة
سالت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك
ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر فى القرآن علموا انهم تجاوزوا

ما لهم

ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى ادم بعد هبوطه ان
يبنى له فى الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملئكة المقربون
فقال الله تعالى للملئكة انى اعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله اعلم ما
لا تعلمون وهذا يدل على انه تعالى لا يفعل القبيح لانه لو كان يحسن منه
كل شى لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد بالجواب متى حمل على انه
اراد انى اعلم بالمصالح فافعل ما هو الاصلح النظم واتصال هذه الاية
بما قبلها ان الله تعالى ذكر اقدار النعم علينا وهى نعمة الحيوة ثم ذكر بعده
انعامه علينا بخلق الارض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر
نعمته علينا بخلق ابينا ادم عليه السلم وما اعطاه من الفضيلة فكانه
قال اذكر لهم كيف يكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا
وكذا قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة
فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اية القراءة قراء
اهل المدينة واهل البصرة هؤلاء بمدة واحدة ولا يمدونها
الا على قدر خروج الالف ويمدون اولاء كانهم يجعلونه كلمتين والباقون
يمدون مدتين فى كل القران فاما الهمزتان من كلمتين نحو هؤلاء ان
كنتم صادقين ونحوها فابو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية
القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون
بالكسر اليها وكذلك يفعلون فى كل همزتين متفقتين يلتقيان من كلمتين
مكسورتين كانتا او مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على
البغاء ان اردن والمضمومتان اوليا اولئك ليس فى القران غيره
والمفتوحتان جاء احدكم وشاء انشره وابو عمرو والبزى بهمزة واحدة

فيتركان احدهما اصلاً اذا كانتا متفقتين ونافع برواية اسمعيل وابن
كثير برواية ابن فليح بتليين الاولى وتحقيق الثانية واذا اختلفتا
فاتفقوا على همز الاولى وتليين فالتخفيف واما الهمز فللحمد على الاصل
اللغة في اشتقاق آدم قولان احدهما انه ماخوذ من اديم الارض فاذا
سميت به في هذا الوجه ثم نكرته صرفته والثاني انه ماخوذ من الادمة
على معنى اللون والصفة فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه
والادمة والسمرة والدكنة والورقة متقاربة المعنى وآدم ابو البشر
قال صاحب العين الادمة في الناس شربة من سواد وهي السمرة وفي
الابل والظبا بياض وكل لفظة عموم على وجه الاستيعاب وحقيقته
الاحاطة بالابعاض يقال البعض القوم جاءك ام كلهم ويكون تاكيدا
مثل اجمعون الا انه يبدا في الذكر بكل كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم
اجمعون لان كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا تابعا والعرض
من قولهم عرضت الشيء عليه وعرضت الجند قال الزجاج اصله في اللغة
الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل
ما يمدح به او يذم ويقال عرضه خليقته المحمودة ويقال عرضه حسبه
وقال علي بن عيسى هو ناحية التي يصونها عن المكروه والسب والعرض
ما يعرض في الجسم ويغير صفته ويقال عرضت المتاع على البيع عرضا
اي اظهرته حتى عرفت جهته والانباء والاخبار والاعلام واحد النبأ
الخبر ويقال منه انباته ونباته وانبئوني باسماء هؤلاء اي اخبروني
بها واما المتعدي الى ثلثة مفاعيل نحو انبات زيدا عمرا خير الناس
وكذلك نبات فهو هذا في الاصل الا انه حمل على المعنى فعدي الى ثلثة مفعولين

احدهما

احدهما بالبناء او بعض نحو نبئهم عن ضيف ابرهيم والنبوة اذا اخذت
من الانباء فهي مهموزة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا تنبئن باسمي لرجل قال له يا نبي الله مهموزا والنبي بغير همزة الطريق
الواضح ياخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام
قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم
بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة على الشيء والاخبار هو اظهار
للخبر علم به او لم تعلم ولا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم في القلب كما
يكون معلما بذلك **المعنى** ثم ابان الله سبحانه وتعالى للملائكة فضل
آدم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وعلم
آدم الاسماء كلها اي علمه معاني الاسماء اذ الاسماء بلا معان لا فائدة
فيها ولا وجه لاشارة الفضيلة بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما
من لطيف الحكمة فاقروا عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها انه
لا علم لهم بها فقال الله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم عن قتادة وقيل
انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارضين والاطعمة
والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما
يتعلق بعمارة الدين والدنيا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن
جبير وعن اكثر المتاخرين وقيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما
خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي
الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما
تفرقوا تكلم كل قوم بلسان القوه واعتادوه وتطاول الزمان على
ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات

الى زمن نوح عليه السلم فلما اهلك الله الناس الا نوحا ومن تبعه كانوا
هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وافترقوا اختار كل قوم منهم
لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه وقد روى عن الصادق عليه
السلم انه سئل عن هذه الآية فقال الارضين والجبال والشعاب و
الاودية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه وقيل
انه علمه اسماء الملئكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب
الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس تصلح لماذا والحمار يصلح لما
ذا وهذا ابلغ لان المعانى الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الازمنة
والاوقات والقاب الاشياء تتغير بتغير الازمنة وقال بعضهم انه تعالى
لم يعلمه اللغة العربية فان اول من تكلم بالعربية اسمعيل عليه السلم وقالوا
ان الله تعالى جعل الكلام معجزة لثلثة من الانبياء آدم واسمعيل ومحمد
صلى الله عليه واله ثم اختلف فى كيفية تعليم الله تعالى آدم الاسماء
فقيل علمه بان اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم
بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزا له لكونه ناقضا للعادة وقيل
علمه اياها بان اضطره الى العلم بها وقيل علمه لغة الملئكة ثم علمه بتلك
اللغة ساير اللغات وقيل انما علمه اسماء الاشخاص بان احضر تلك
الاشياء وعلمه اسماءها فى كل لغة وانه لاى شى يصلح واى نفع
فيه واى ضرر وقوله ثم عرضهم على الملائكة روى عن ابن عباس انه
قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون
معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل وفيهم من لا
يعقل فقال عرضهم غلب العقلاء فاجرى على الجميع كناية من يعقل

كقوله

كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم
من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع اجرى عليهم كناية من
يعقل وفى قراءة ابى ثم عرضها وفى قراءة ابن مسعود ثم عرضهن
وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات
واختلف فى كيفية العرض على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بان
خلق المعانى الاسماء التى علمها آدم حتى شاهدتها الملئكة وقيل صور
فى قلوبهم هذه الاشياء فصارت كانهم شاهدوها وقيل عرض
عليهم من كل جنس واحدا واراد بذلك تعجيزهم فان الانسان اذا قيل
له ما اسم شى صفته كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ عذرا ممن عرض عليه
شى بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان آدم عليه السلم
اصلح لكدخدائية الارض وعمارتها لاهتدائه الى ما لا يهتدى الملئكة
اليه من الصناعات المختلفة وحرث الارض وزراعتها وانباط الماء
واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار بلطايف الحكمة وهذا يقوى
قول من قال انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة
هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فانتم عن معرفة الامور المغيبة عنكم
اعجز فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان سئل فقيل ما
الذى ادعت الملئكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه
ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان للعلماء فيه وجوها من الكلام
احدها ان الله تعالى لما اخبر الملئكة بانه جاعل فى الارض خليفة هجس
فى نفوسها انه ان كان الخليفة منهم بدلا من آدم وذريته لم يكن فى الارض
فساد ولا سفك دم كما يكون فى ولد آدم وان كان لا يفعل الا ما هو الاصلح

في التدبير والاصوب في الحكمة فقال تعالى انبؤني باسماء هؤلاء ان
كنتم صادقين فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم اذا لم يعلموا باطن
ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد وثانيها انه
خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وافضل في سائر العلم
فقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء وثالثها
ان المراد ان كنتم صادقين في انكم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فا
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين لان كل واحد من الامرين من علم الغيب
فكما لم يعلموا احدهما لا تعلمون الآخر عن ابن عباس ورابعها ما قاله الاخفش
والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان المراد ان كنتم صادقين فيما تخبرون
به من اسمائهم فاخبروا بها وهذا كقول القائل لغيره اخبر عما في يدي
ان كنت صادقا اي ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق
في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الا مع
العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشرط هذا
الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الامر ومعناه التنبيه او يكون امرا مشروطا
كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه
ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبر بذلك ان كنت تعلم او
ان كنت صادقا لكان حسنا فاذا تنبه على انه لا يمكن الجواب اجابه
فيكون جوابه بهذا التدريج اثبت في قلبه واوقع في نفسه ولا يجوز ان
يكون ذلك تكليفا لانه لو كان تكليفا لم يكن تبينا لهم ان آدم يعرف
اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا
يعرفونه هم فلما اراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا انه ليس

بتكليف

تكليف وفي هذه الاية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه
لما اراد تشريف آدم عليه السلام اختص بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من
سواه **قوله تعالى** قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم آية **اللغة** الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان
والحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد
قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا اي
امنعوهم والحكمة هي التي تقف بك على مر الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق
الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شانه
وكانت معه اصول من العلم والمعرفة ويقال حكيم يحكم في الحكم بين الناس
حكم يحكم اذا صار حكيما والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل
الاعراب سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه سبحت الله تسبيحا و
سبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا
يتعلق بمحذوف فيكون جملة ظرفية في موضع رفع الخبر لان علم في موضع رفع
بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير من علمتنا العائد اليه محذوف
تقديره ما علمتناه وهو في موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون
فصلا فيكون لا موضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويجوز ان يكون
مبتدا والجملة خبر ان **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم
لامره فقال قالوا سبحانك اي تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد
سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل
انهم ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح و
ان كان لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب لسؤالهم عما لا

كنا

يعلمونه وقوله لا علم لنا الا ما علمتنا معناه انا لا نعلم الا بتعليمك وليس هذا
فى ما علمتنا ولو انهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا كان كافيا فى الجواب لكن ارادوا
ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما
يعلمونه انما يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وانما سالهم سبحانه
عما علم انهم لا يعلمونه ليقررهم على انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله وليرفع
درجة ادم عليه السلم عندهم بانه علمه ما لا يعلمون وقوله انك انت العليم اى العالم
بجميع المعلومات لانه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل انهم ابتلوه
ما نفوا عن انفسهم اى انت العالم من غير تعليم ونحن المعلمون وقوله الحكيم
يحتمل امرين احدهما انه بمعنى العالم لان العالم بالشى يسمى بانه حكيم فعلى هذا
يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بهما فيما لم يزل لان ذلك
واجب فى العالم لنفسه والثانى ان معناه المحكم لافعاله ويكون فعيلا بمعنى
مفعول وعلى هذا فلا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة
وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه القبح وعلى هذا فلا يوصف
فيما لم يزل وروى عن ابن عباس انه قال العليم الذى كمل فى علمه والحكيم الذى كمل
فى حكمته وفى هذه الاية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وانما كان كذلك
لان العلوم لا تخ اما ان تكون ضرورية فهو الذى فعلها واما ان تكون استدلالية
فهو الذى اقام الادلة عليها فلا علم لاحد الا ما علمه الله تعالى **قوله تعالى** قال يا
ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
اية **القراءة** روى عن ابن عامر انبئهم بالهمزة وكسر الهاء والباقون بضم الهاء
الحجة من ضم الهاء حملها على الاصل لان الاصل ان تكون هاء الضمير مضمومة وانما

تكسر

تكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضمه قوم حملا على الاصل
ومن كسر الهاء التى قبلها همزة مخففة فان لذلك وجها من القياس وهو انه اتبع
كسرة الهاء الكسرة التى قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء ورايت
المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اتبعوا فى اللغة الاخرى هذا امرؤ
ورايت امرا ومررت بامرئ وحكى ابو زيد عن بعض العرب اخذت هذا منه
ومنهما فكسر المضمر فى الادراج والوقف ولم اعرفه ولم اصنه **اللغة** الابداء
والاظهار والاعلان بمعنى واحد وضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان
وضد الاعلان الاسرار ويقال بدا يبدو بدوا من الظهور وبدا يبدا بدءا بالهمزة
بمعنى استانف وقال على بن عيسى حد الظهور الحصول على حقيقة يمكن ان تعلم
بسهولة والله سبحانه ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما
هو ليظهر شى بظهور غيره **الاعراب** ادم منادى مفرد معرفة مبنى على الضم
ومحله نصب لان المنادى مدعو والمدعو مفعول **المعنى** ثم خاطب الله تعالى
ادم فقال يا ادم انبئهم اى اخبر الملائكة باسمائهم يعنى باسماء الذين عرضهم عليهم
وهم كناية عن المرادين بقوله اسماء هؤلاء وقد مضى بيانه فلما انباهم يعنى اخبرهم
ادم باسمائهم اى باسم كل شى ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملئكة
الم اقل لكم الالف للتنبيه وان كان اصلها الاستفهام كقول القائل اما ترى
اليوم ما اطيبه لمن يعلم ذلك وحكى سيبويه اما ترى اى برق ههنا ومن الناس
من قال ان هذا الالف معناها التوبيخ ومن لم يجز على الملائكة المعصية منع
ذلك انى اعلم غيب السموات والارض اى اعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه
كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قيل فيه
اقوال احدها انه اراد اعلم سركم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما

بحلمهم عليه من الاستدلال لان الاصول الاول التي يستدل بها انما تذكر
على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على انه خلق عباده
على ما خلقهم عليه للاستصلاح في التكليف وما توجب الحكمة وثانيها
انه اراد اعلم ما تبدون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون
من اضمار ابليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى وهذا ليس بالوجه لان
الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولانه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان
ابليس لما دخل معهم في الامر بالسجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد رويت روايات
تؤيد هذا القول واختاره الطبري وثالثها ان الله تعالى لما خلق ادم مرت به
الملائكة قبل ان ينفخ فيه الروح ولم تكن رات مثله فقالوا لن يخلق الله خلقا
الا كنا اكرم منه وافضل عنده فهذا ما اخفوه وكتموه واما ما ابدوه فقولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها روى ذلك عن الحسن والاول اقوى لانه اعم
ومما يسأل في هذه الآية ان يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الا انه من علم
الغيب والجواب انه على معنى الجواب فيما سالوا عنه من خلق من يفسد و
يسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لانه لو صرح بذلك لقال
خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لعبادي
فيما كلفتهم اياه فدل سبحانه بالاحالة في الجواب على العلم بباطن الامور و
ظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة في ذلك ودلهم بذلك على ان عليهم
الرضا بامر الله والتسليم لقضاء الله لانه يعلم من الغيب ما لا يعلمون ويعلم
من مصالحهم في دينهم ودنياهم ما لا يطلعون عليه فان قيل فاي شيء
في تعليم الله اياه فبان ذلك تعالى آدم الاسماء كلها مما يدل على علمه بالغيب قيل
انه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه

بذلك

بذلك والهامه اياها فهي معجزة اقامها الله للملائكة تدل على نبوته وجلالة
قدره وارتفاع شانه بما اختصه به من العلم الذي لا يوصل اليه الا بتعليم
الله عز وجل ودلهم على ذلك بان قررهم اولا فاقروا ان لا علم لهم به ثم
اظهر لهم ان ادم يعلمه بتعليم الله اياه فبان ذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا
سبيل الى علمه الا من علام الغيوب وفيه من المعجزات انه فتق لسانه على خلاف
مجرى العادة وانه علمه من لطايف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها
وانها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكدا لما يعلمونه
من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض اي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد
افتتح الله تعالى الدلالة على الاعجاز بالكلام في ادم ثم ختم به في محمد صلى الله
عليه وآله قال السيد المرتضى قدس الله وفي هذه الآية سؤال لم اجد
احدا من مفسري القرآن تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة
صحة قول ادم ومطابقة الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك
من قبل والكلام يقتضي انهم لما انباهم آدم بالاسماء علموا صحتها ولولا
ذلك لم يكن لقوله تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
معنى ولا كانوا ايضا مستفيدين نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم
لان كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله تعالى
فعل لهم العلم الضروري بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق
او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس في علمهم بصحة
ما اخبر ضرورة ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة بل بعده درجات ومراتب
لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ووجه آخر وهو انه

لايمتنع ان يكون للملئكة لغات مختلفة فكل منهم يعرف اسماء الاجناس في
لغته دون لغة غيره الا انه يكون احاطة عالم واحد باسماء الاجناس في
جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة ادم عليه السلم
علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به
من الاسماء للغته وعلم مطابقته ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل و
على هذا الجواب فيكون معنى انبئوني باسماء هؤلاء ليخبرني كل قبيل
منكم بجميع الاسماء وهذان الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم
بنبوة ادم وان اخباره بالاسماء كان مفتتح معجزاته لانه لو كان نبيا
قبل ذلك وكانوا قد علموا بنبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يديه لم
يحتج الى هذين الجوابين لانهم يعلمون مطابقة الاسماء للمسميات بعد
ان لم يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق **وقوله تعالى** واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وكان من الكافرين اية **القراءة** قرا ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا
لادم بضم التاء حيث وقع وكذلك قل رب احكم بالحق بضم الباء
الحجة اتبع التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهمزة حيث لو ابتدا بها
والاول اقوى لان الهمزة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل
اللغة السجود والخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة عن
عمل مخصوص في الصلوة كالركوع والقنوت وغيرها وهو وضع الجبهة
على الارض ويقال سجد واسجد اذا خضع قال الاعشى من يرهوذة يسجد
غير متيب اذا تعمم فوق الراس او وضعا وقال اخر فكلتاهما خرت و
اسجد راسها كما سجدت نصرانة لم تحنف وقنا سجدا اذا كن فاوات

الاعشى

الاعشى قال ولهوى الى حور المدامع سجد والاسجاد الاطراق وادامة النظر
في فتور وسكون قال اغرك مني ان ذلك عندنا واسجاد عينيك الصيود دين
ذابح وابى معناه ترك الطاعة وامتنع والاباء والترك والامتناع بمعنى
ونقيض ابى اجاب ورجل ابى من قوم اباة وليس الاباء بمعنى الكراهة
لان العرب تتمدح بانها تابى الضيم ولا مدح في كراهية الضيم وانما
المدح في الامتناع منه كقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون اي يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر
والتعظم والتجبر نظائر وضده التواضع وحقيقة الاستكبار الا نفه
مما لا ينبغي ان يؤنف منه وقيل حده الرفع للنفس الى منزلة لا تستحقها
فاصل الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وكبر
الشان والله سبحانه الكبير من كبر الشان وذلك يرجع الى سعة مقدوراته
ومعلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس المقدورات و
العالم بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي لا ينصرف في المعرفة للتعريف
والعجمة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم اعجمي معرب واستدلوا
على ذلك بامتناع صرفه وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس
ووزنه افعيل وانشدوا للعجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا
قال نعم اعرفه وابلسا وزعموا انه لم يصرف استثقالا له من حيث
انه اسم لا نظير له في اسماء العرب فشبهته العرب باسماء العجم التي
لا تنصرف وزعموا ان اسحق من اسحقه الله اسحاقا وايوب من آب
يؤوب وادريس من الدرس في اشباه وغلطوا في جميع ذلك لان هذه
الالفاظ معربة وافقت الفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يمثل ذلك

على جهة التبعيد عن زعم ان الطير ولد الحوت وغلطوا ايضا فى انه لا نظير
له فى اسماء العرب لانهم يقولون ازميل للشفرة واغريض للطلع واحريض
لصبغ احمر ويقال هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب
اضرج مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة ومثل هذا كثير وسبيل
ابليس سبيل الخيل فى انه معرب غير مشتق **الاعراب** قوله واذ فى موضع
النصب لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لآدم آدم فى موضع جر باللام
لا ينصرف لانه على وزن افعل فاذا قلت مررت بادم وآدم اخر فان
سيبويه والخليل يقولان انه لا ينصرف فى النكرة لانك اذ انكرته
فقد اعدته الى حال كان فيها لا ينصرف قال الاخفش اذا سميت به فقد
اخرجته من باب الصفة فيجب اذا انكرته بان تصرف فتقول وآدم آخر
وقوله اسجدوا الاصل فى همزة الوصل ان تكسر لالتقاء الساكنين ولكنها
ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثا مضموما فى
الفعل المستقبل نحو قوله انظر فينا اقتلوا يوسف وليس فى كلام العرب
فعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء المتصل من
الكلام الموجب وهو مذهب من جعله من الملئكة والاستثناء المنقطع
على مذهب من جعله من غير الملئكة **المعنى** ثم بين سبحانه ما اتاه آدم عليه السلم
من الاعظام والاجلال والاكرام فقال واذكر يا محمد اذ قلنا للملئكة اسجدوا
لادم والظ يقتضى ان الامر بالسجود له كان لجميع الملئكة حتى جبرئيل وميكائل
لقوله فسجد الملئكة كلهم اجمعون وفى هذا تاكيد للعموم وقال قوم ان
الامر كان خاصا لطايفة من الملئكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الارض
من الجان واختلف فى سجود الملئكة لادم على اى وجه كان والمروى

عن ائمتنا عليهم السلام انه على وجه التكرمة لادم والتعظيم لشانه
وتقديمه عليهم وهو قول قتاده وجماعة من اهل العلم واختاره على بن
عيسى الرمانى ولهذا جعل اصحابنا رض هذه الاية دلالة على ان الانبياء
افضل من الملئكة من حيث انه سبحانه امرهم بالسجود لادم وذلك
يقتضى تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان المفضول لا يجوز تقديمه
على الفاضل علمنا انه افضل من الملئكة وقال الجبائى وابو القسم البلخى
وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من
التعظيم وهذا غير صحيح لانه لو كان على هذا الوجه لما امتنع ابليس من ذلك
ولما استعظمته الملئكة وقد نطق القران بان امتناع ابليس عن السجود
انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله ارايتك هذا الذى
كرمت على لئن اخرتنى وقوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين
ولو لم يكن الامر على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله بانه لم يامره بالسجود
على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الاخر الذى لا تفضيل
فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع
ذلك علمنا ان الامر بالسجود له لم يكن الا على وجه التعظيم والتفضيل
والاكرام والتبجيل ثم اختلف فى ابليس هل كان من الملئكة ام لا فذهب
قوم انه كان منهم وهو المروى عن ابن عباس وابن مسعود وقتاده و
اختاره الشيخ ابو جعفر الطوسى قدس الله قال وهو المروى عن ابى عبد الله
عليه السلم والظ فى تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه كان من الملائكة
فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان
سماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يوسوس ما بين

السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد النعمان قدس
الله سره انه كان من الجن ولم يكن من الملئكة قال وقد جاءت الاخبار
بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب الامامية وهو المروي عن
الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيره واحتجوا على صحة
هذا القول باشياء احدها قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق
لفظ الجن لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من
ذكر الجن مع الانس يدل عليه وثانيها قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما وثالثها ان ابليس
له نسل وذرية قال الله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني و
هم لكم عدو وقال الحسن ابليس ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وابليس مخلوق
من النار والملئكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور
في قول الحسن لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون ورابعها قوله تعالى
جاعل الملئكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز
عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وقالوا ان استثناء الله تعالى اياه منهم
لا يدل على كونه من جملتهم وانما استثناه منهم لانه كان مامورا بالسجود
معهم فلما دخل معهم في الامر جاز اخراجه بالاستثناء منهم وقيل ايضا
ان الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن
وانشد سيبويه والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار
في النجدات والفرس الوقاح وقول النابغة وما بالربع من احد الا
الاواري ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله
في كتاب النبوة باسناده عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله

عليه السلام

عليه السلام قال سألته عن ابليس اكان من الملئكة او كان يلي شيئا من
امر السماء فقال لم يكن من الملئكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان
من الجن وكان مع الملئكة وكانت الملئكة ترى انه منها وكان الله سبحانه
يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان منه الذي كان وكذا رواه
العياشي في تفسيره واما من قال انه من الملئكة فانه احتج بانه لو كان
من غير الملئكة لما كان ملوما بترك السجود فان الامر انما تناول
الملئكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذه ويزيده بيانا قوله تعالى
ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فعلمنا انه من جملة المامورين بالسجود
وان لم يكن من جملتهم وهذا كما قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فد خلوا
الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير اهل البصرة كان مامورا
بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوا بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك
القول في الآية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله تعالى
كان من الجن بان الجن جنس من الملئكة سموا بذلك لاجتنانهم عن
العيون قال اعشى قيس بن ثعلبة لو كان شيء خالدا او معمرا لكان
سليمن بن برى من الدهر براه الهي واصطفاه عباده وملكه ما بين ثريا
الى مصر وسخر من جن الملئكة تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر وقد قال
الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لانهم قالوا الملئكة بنات
الله واجابوا عن الثاني وهو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم الآية
بانه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملئكة فلا يوجب عصمة لغيرهم
من الملائكة واجابوا عن الثالث بانه يجوز ان يكون الله تعالى ركب
في ابليس شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك

فی باقی الملئکة ویجوز ان یکون الله لما اهبطه الی الارض تغیرت حاله عن
حال الملئکة قالوا واما قولکم ان الملئکة خلقوا من الریح وهو مخلوق من
النار فان الحسن قال خلقوا من النور والنار والنور سواء وقولکم ان الجن
یطعمون ویشربون فقد جاء عن العرب ما یدل علی انهم لا یطعمون
ولا یشربون انشد ابن درید قال انشد ابو حاتم ونار قد حضأت بعید
وهن بدار ما ارید بها مقاما سوی ترحیل راحلة وعین اکالئها مخافة
ان ینا ما اتو ناری فقلت منون انتم فقالوا الجن عموا ظلاما فقلت
الی الطعام فقال منهم زعیم نحسد الانس الطعاما لقد فضلتم
بالاکل فینا ولکن ذاک یعقبکم سقاما فهذا یدل علی انهم لا یاکلون
ولا یشربون لانهم روحانیون وقد جاء فی الاخبار النهی عن التمسح
بالعظم والروث لان ذلک طعام الجن وطعام دوابهم وقد قیل
انهم یتشممون ذلک ولا یاکلون واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل
الملئکة رسلا بان هذه الایة معارضة بقوله تعالی یصطفی من
الملئکة رسلا ومن الناس لان من للتبعیض وکلا القولین مروی عن ابن
عباس فروی عنه انه قال ان الملئکة کانت تقاتل الجن فسبی ابلیس و
کان صغیرا فکان مع الملئکة فتعبد معها بالامر بالسجود لادم فسجدوا
وابی ابلیس فلذلک قال الله تعالی الا ابلیس کان من الجن وروی
مجاهد وطاوس عنه ایضا انه قال کان ابلیس قبل ان یرتکب المعصیة
ملکا من الملئکة اسمه عزازیل وکان من سکان الارض وکان سکان
الارض من الملئکة یسمون الجن ولم یکن من الملئکة اشد اجتهادا
ولا اکثر علما منه فلما تکبر علی الله وابی السجود لادم وعصیه لعنه و

جعله

جعله شیطانا وسماه ابلیس واما قوله تعالی وکان من الکافرین
فمعناه کان کافرا فی الاصل صح وهذا القول یوافق مذهبنا فی الموافاة و
قیل اراد کان فی علم الله تعالی من الکافرین وقیل معناه صار من الکافرین
کقوله تعالی فکان من المغرقین واستدل بعضهم بهذه الایة علی ان
افعال الجوارح من الایمان فقال لو لم یکن کذلک لوجب ان یکون
ابلیس مؤمنا بما معه من المعرفة بالله تعالی وان فسق بابائه وهذا
ضعیف لانا اذا علمنا کفره بالاجماع علمنا انه لم یکن معه ایمان اصلا
کما انا اذا راینا من یسجد للصنم علمنا انه کافر وان کان نفس السجود لیس
بکفر واختلفوا فی صفة امر الله سبحانه الملئکة بالسجود فقیل کان
بخطاب من الله تعالی للملائکة ولابلیس وقیل بوحی من الله الی من
بعثه الیهم من رسله لان کلام الرسول کلام المرسل وقیل ان الله تعالی
اظهر فعلا دلهم به علی انه امرهم بالسجود فان قیل لم حکم الله بکفره مع
ان من ترک السجود الان لا یکفر قلنا لانه جمع الی ترک السجود خصالا
من الکفر منها انه اعتقد ان الله تعالی امره بالقبیح ولم یر امره بالسجود
حکمة ومنها انه امتنع من السجود تکبرا وردا علی الله تعالی امره ومن ترکه
الان کذلک یکفر ایضا ومنها انه استخف بنبی الله وازدراه وهذا لا
یصدر الا عن معتقد الکفر وفی هذه الایة دلالة علی بطلان مذهب المجبر
من وجوه منها قوله ابی فدل علی قدرته علی السجود الذی اباه وترکه و
الا لم یصح وصفه بالاباء ومنها قوله فسجدوا فدل علی ان السجود فعلهم
ومنها انه مدح الملئکة بالسجود وذم ابلیس بترک السجود وعندهم انما
لم یسجد لانه لم یخلق فیه السجود ولا القدرة الموجبة له قوله تعالی

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ آية

اللغة السكون والاطمئنان والهدوء نظاير والسكن بسكون الكاف العيال واهل البيت والسكن بالفتح المنزل والسكن الرحمة والبركة فى قوله ان صلوتك سكن لهم والزوج بطرح الهاء قال الاصمعى هو اكثر كلام العرب والاكل والمضغ واللقم متقارب وضد الاكل الازم وسال عمر بن الخطاب الحرث بن كلده طبيب العرب فقال يا حارث ما الدواء قال الازم اى ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذى ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة فى العيش والمشية من قبيل الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار وان كان لها شروط ذكرت فى اصول الكلام والقرب الدنو قرب الشئ يقرب قربا وقرب فلان اهله يقرب قربانا اذا غشيها وما قربت هذا الامر قربانا وقربا والشجرة ما قام على ساق وجمعها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذ من الشجر لاشتباك اغصانه والظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال الله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وقيل اصله وضع الشئ غير موضعه من قولهم من اشبه اباه فما ظلم اى فما وضع الشبه فى غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمعصومين

الاعراب قوله اسكن انت وزوجك الجنة يستقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن والمتصل فقال اسكن انت وزوجك فانت تاكيد للضمير المستكن فى اسكن الذى هو فاعله وزوجك معطوف على موضع انت ولو

عطفه

عطفه على الضمير المستكن لكان يشبه فى اللفظ عطف الاسم على الفعل فاتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه ورغدا منصوب لانه صفة لمصدر محذوف كانه قال اكلا رغدا اى واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا قال الخليل يقال قوم رغد ونساء رغد وعيش رغد ورغيد قال امرء القيس بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث فى عيش رغد فعلى هذا يكون تقديره وكلا منها متوسعين فى العيش وحيث مبنى على الضم كما بنى الغاية نحو من قبل ومن بعد لانه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الغاية من الاضافة وانما ياتى بعده جملة اسمية او فعلية فى تقدير المضاف اليه ولا تقربا مجزوم بالنهى والالف ضمير الفاعلين وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون جوابا للنهى فيكون منصوبا باضمار ان وان مع الفعل فى تاويل اسم مفرد واذا قدرنا اضمار ان بعد الفاء كان ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لان المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه وانما سميناه جوابا لمشابهته الجزاء فى ان الثانى سببه الاول لان معنى الكلام ان تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين والثانى ان يكون معطوفا على النهى فيكون مجزوما وتكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال ولا تكونا من الظالمين

المعنى ثم ذكر الله سبحانه ما امر به آدم عليه السلام بعد ان انعم عليه بما اختصه من العلوم بما اوجب له به الاعظام واسجد له الملئكة الكرام فقال عز اسمه وقلنا وهذه نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اى اتخذ انت وامراتك الجنة سكنا وماوى

لتاوى اليه وتسكن فيه انت وامراتك واختلف فى هذه الامر فقيل انه
امر تعبد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله
وكلا اباحة وقوله ولا تقربا تعبد بالاتفاق وروى عن ابن عباس وابن
مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن بقى آدم وحده فاستوحش
اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء ليسكن اليها وروى ان الله
تعالى القى على آدم النوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم
فاذا عند راسه امراة فسألها من انت قالت امراة قال لم خلقت قالت
لتسكن الى فقالت الملئكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالت ولم سميت حواء
قال لانها خلقت من حى فعندها قال الله تعالى اسكن انت وزوجك
الجنة وقيل انها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معا الجنة
وفى كتاب النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم
فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع
ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد ان لا يكون مما لا يتم حيا
الا معه لان ما هذه صفة لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه شخص
حى آخر من حيث يؤدى الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لان
المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لانها خلقت من حى
على ما ذكرناه قبل وقيل لانها ام كل حى واختلف فى الجنة التى اسكن
فيها آدم عليه السلم فقال ابو هاشم هى جنة من جنات السماء غير الخلد
لان جنة الخلد اكلها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هى جنة من
جنات الدنيا فى الارض وقال ان قوله اهبطوا لا يقتضى كونها فى السماء
لانه مثل قوله اهبطوا مصرا واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله

تعالى حكاية

تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد
لكان آدم عالما بذلك ولم يحتج الى دلالة وقال اكثر المفسرين والحسن البصرى
وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا وكثير من المعتزلة كالجبائى والرمانى
وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا
كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من
حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها
لا يخرج منها غير صحيح لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها
للثواب فاما قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه
وقوله وكلا منها رغدا اى كلا من الجنة كثيرا واسعا لا عناء فيه حيث
شئتما من بقاع الجنة وقيل منها اى من ثمارها الا ما استثناه ولا تقربا
هذه الشجرة اى لا تاكلا منها وهو المروى عن الباقر عليه السلم فمعناه
لا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا
بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف
فى هذا النهى فقيل انه نهى التحريم وقيل انه نهى التنزيه دون التحريم كمن
يقول لغيره لا تجلس على الطرق وهو قريب من مذهبنا فان عندنا
ان آدم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول منها
تاركا نفلا ولم يكن فاعلا لقبيح فان الانبياء عم لا يجوز عليهم القبائح لا
صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم عليه
السلم على اختلاف بينهم فى انه وقع منه على سبيل العمد والسهو والتاويل
وانما قلنا انه لا يجوز مواقعة الكبائر على الانبياء عم من حيث ان القبيح
يستحق فاعله به الذم والعقاب لان المعاصى عندنا كلها كبائر وانما تسمى

صغيرة باضافتها الى ما هو اكبر عقابا منها لان الاحباط قد دل الدليل
عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم
والعقاب واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء ع وجب ان ينفي
عنهم سائر الذنوب ولانهم لو جاز عليهم شيء من ذلك لنفر عن قبول
قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول قول من لا يجوز عليه شيئا
من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم
كل ما يكون منفرا عنهم من الخلق المشوهة والهيئات المستنكرة واذا صح
ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم ع لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه
واختلف في الشجرة التي نهي عنها آدم فقيل هي السنبلة عن ابن عباس
وقيل هي الكرمة عن ابن مسعود والسدي وقيل هي التينة عن ابن
جريج وقيل هي شجرة الكافور يروى عن علي عليه السلام وقيل هي شجرة
العلم علم الشر والخير عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تأكل
منها الملائكة عن ابن جدعان وقوله فتكونا من الظالمين اي تكونا
باكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال لمن بخس نفسه الثواب
انه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب اني كنت من الظالمين
حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه واختلفوا هل كان
يجوز ابتداء الخلق في الجنة مؤبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب
لان ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال
ابو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لانه لو فعل ذلك لا يخ ان يكونوا متعبدين
بالمعرفة او لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب
ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون

وان

وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتدا
خلقهم في الجنة لكان يضطرهم الى معرفته ويلجئهم الى فعل الحسن وترك
القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدي الى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة
الاطفال في غير المكلفين لا على وجه الثواب قوله تعالى فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ آية القراءة قرا حمزة فازالهما
بالالف والباقون فازلهما الحجة من قرا ازالهما قال ان قوله اسكن
انت وزوجك معناه اثبتا فاثبتا فازالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال
الذي هو خلافه وحجة من قرا فازلهما انه يحتمل تأويلين احدهما كسبهما الزلة
والآخر ازل من زل اي عثر ويدل على الوجه الاول ما جاء في التنزيل من قوله
انما كان ذلك لكما الى قوله لمن الناصحين وقوله فوسوس لهما الشيطان الآية
وقد كسب الشيطان الزلة الى الشيطان في قوله انما استزلهما الشيطان
واستزل وازل بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فاخرجهما مما كانا
فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه الى غيره
كذلك عثاره وزلله اللغة الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى
واحد وضد الخطيئة الاصابة يقال زلت قدمه زلا وزل في مقالته زلة و
والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل في الدحض وازللت الى فلان نعمة
اي اسديت وفي الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها قال كثير
اني وان صدت لمثن وصادق عليها بما كانت الينا وازلت والاصل في ذلك
الزوال والزلة بزوال عن الحق وازله الشيطان اذا ازاله عن الحق و
الهبوط والنزول والوقوع نظاير وهو التحرك من علو الى اسفل ويقال

هبطته واهبطته والهبوط كالحدور وهو الموضع الذي يهبط من اعلى
الى اسفل وقد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى
اهبطوا مصرا ويقول القايل هبطنا بلد كذا اي حللنا قال الدهر ما زلت
ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي الركاب بهم من راكس فلقا والعدو نقيض
الولي والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقاء و
ضد القرار الانزعاج وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار
الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار
ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة
والتلذذ متقاربة المعنى وكل شيء تمتعت به فهو متاع والحين والمدة
والزمان متقاربة والحين في غير هذا الموضع ستة اشهر يدل عليه قوله
تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها والحين يصلح للاوقات كلها الا
انه في الاستعمال في الكثير منها اكثر المعنى ثم بين سبحانه حال آدم عليه
السلم قال فازلهما الشيطان اي حملهما على الزلة نسب الازلال الى الشيطان
اي حملهما لما وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها اي عن الجنة وما
كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد ابليس فاخرجهما مما كانا
فيه من النعمة والدعة ويحتمل ان يكون اراد اخرجهما من الجنة حتى اهبطا
ويحتمل ان يكون اراد من الطاعة الى المعصية واضاف الاخراج اليه لانه
كان السبب فيه كما قال صرفني فلان عن هذا الامر ولم يكن اخراجهما من
الجنة واهباطهما الى الارض على وجه العقوبة لان الدليل قد دل على ان
الانبياء ع لا يجوز عليهم القبائح على حال ومن اجاز العقاب على الانبياء
فقد اساء عليهم الثناء واعظم الفرية على الله سبحانه واذا صح ما قلناه

فانما

فانما اخرج الله آدم من الجنة لان المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة
فاقتضت الحكمة والتدبير الالهي اهباطه الى الارض وابتلاءه بالتكليف
والمشقة وسلبه ما البسه اياه من ثياب الجنة لان انعامه عليه بذلك
كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا للبلوى والا منحاد
كما له ان يفقر بعد الاغناء ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب
المحنة بعد المحنة واختلف في كيفية وصول ابليس الى آدم وحوا حتى
وسوس لهما وابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود وهما في الجنة
فقيل ان ادم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه
فكان يكلمه وكان هذا قبل ان اهبط الى الارض وبعد ان اخرج من الجنة
عن ابي علي الجبائي وقيل انه كلمهما من الارض بكلام عرفاه وفهماه منه
وقيل انه دخل في فم الحية وخاطبهما من فقمها والفقم جانب الشدق
وقيل انه راسلهما بالخطاب وظاهر القرآن يدل على انه شافههما بالخطاب
وقوله وقلنا اهبطوا خاطب بخطاب الجمع وفيه وجوه احدها انه خاطب
آدم وحواء وابليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا
غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها
فانك رجيم فجمع الخبر للنبي عليه السلم لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت
اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع من في الحبس وان اخرجوا متفرقين
والثاني انه اراد آدم وحواء والحية وفي هذا الوجه بعد لان خطاب من لا
يفهم الخطاب لا يحسن ولانه لم يتقدم للحية ذكر وقد الكناية عن غير مذكور
لا يحسن الا بحيث لا يقع لبس مثل قوله حتى توارت بالحجاب وقوله ما
ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا

خرجت بوما وضاق بها الصدد والثالث انه ابا دادم وحواء فذريتهما
لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما والرابع ان يكون الخطاب
يختص آدم وحواء عم وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك
لان الاثنين اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين ارادحكم داود وسليمن وقد تا قل قوله تعالى فان
كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان والخامس آدم وحواء والوسوسة
عن الحسن وهذا ضعيف وقوله بعضكم لبعض عدو يعنى ادم وذريته
وابليس وذريته ولم يكن من آدم اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن
حسده الملعون وخالفه فنشأت بينهما العداوة ثم ان عداوة آدم له
ايمان وعداوة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بنى آدم وبنى ابليس وليس
ذلك بامر بل هو تحذير يعنى ان الله تعالى لا يامر بالعداوة فالامر مختص
بالهبوط والمعادات تجرى مجرى الحال لان الظاهر يقتضى انه امرهما بالهبوط
فى حال تعاوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذى يتضمن ان الخطاب يختص
بآدم وحوا فالمراد به ان ذريتهما يعادى بعضهم بعضا وعلق الخطاب
بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلهما وقوله ولكم فى الارض مستقر
اى مقر ومقام وثبوت بان جعل الارض قرارا لكم ومتاع اى استمتاع
الى حين الى وقت الموت وقيل الى يوم القيمة وقيل الى فناء الاجال اى كل
امرء مستقر الى فناء اجله وقال ابو بكر السراج لو قال ولكم فى الارض
مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع فقال الى حين اى الى حين انقطاعه
والفرق بين قول القائل ان هذا لكم حينا وبين قوله الى حين ان الى يدل
على الانتهاء ولا بد ان يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الاخر وفى

هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احدا عن الطاعة
ولا يخرجه عنها ولا يسبب المعصية لانه نسب ذلك الى الشيطان جل ربنا
وتقدس عما نسبه الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان الوسوسة ابليس
تاثير فى المعاصى قوله تعالى فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ
التَّوّابُ الرَّحيمُ آية القراءة قرا ابن كثير ادم بالنصب كلمات بالرفع وقرا
الباقون برفع ادم ونصب كلمات الحجة حجة ابن كثير فى نصب ادم انه فى
المعنى كالقراءة الاخرى فان الافعال المتعدية على ثلثة اضرب منها ما يجوز
فيه ان يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول فاعلا نحو ضرب زيد عمروا ومنها
ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل
فى المعنى كاسناده الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالنى خير
ونلت خيرا واصابنى شئ واصبت شيئا وتلقانى زيد وتلقيت زيدا و
مثل هذه الاية قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين وفى حرف عبد الله فيما قيل
لا ينال عهدى الظالمون اللغة التلقى نظير التلقن يقال تلقيت منه اى
اى اخذت وقبلت واصله من لقيت خيرا فتعدى الى مفعول واحد ثم تعدى
الى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا كقوله ولقيهم نضرة
وسرورا او مطاوعة تلقيته بالقبول اى قبلته منه ومن ذلك قولى ابى
مهدية فى ايات من القران تلقيتها من عمى تلقاها من ابى هريرة تلقاها
من رسول الله صلى الله عليه واله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقانى
استقبلنى وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم الجنس لوقوعها على الكثير من ذلك
والقليل قالوا قال امرئ القيس فى كلمة يعنون قصيدته وقال قس فى
كلمة يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم

الثلث كلمة فوقعت على القليل من الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف
المفرد واما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذه
الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله
يعني به قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا الا ترى الى قوله كذلكم قال الله من قبل يقال كلمه
تكليما وكلاما وتكلم تكلما والكلم الجرح يقول كلمه اكلمه واصل الباب
التاثير فالكلم اثر دال على الجارح والكلام اثر دال على المعنى التي تحته و
الذي حوزه المتكلمون في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعدا
من هذه الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة
وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسموعة المتميزة ليتميز من الكتابة
التي ليست بمسموعة ويتميز من اصوات كثيرة من الطيور لانها ليست
بمتميزة وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيبويه بقوله ان
المهمل لا يكون كلاما انه لا يكون مفيدا اذ الكلام عنده لا يقع الا على
المفيد وبه قال ابو القسم البلخي والتوبة والاقلاع والانابة في اللغة
نظاير وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتواب ومعناه
انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على
ما فرط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله
بندمه على معصيته المعنى قوله فتلقى ادم اي قبل واخذ وتناول
على سبيل الطاعة من ربه وقد بتكل شي كلمات واغنى قوله فتلقى
عن ان يقول فرغب الى الله بهن او ساله بحقهن لان معنى تلقى يفيد
ذلك ويبنى على ما حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى

فتاب عليه لانه لا يتوب عليه الا بان سال بتلك الكلمات وعلى
قراءة من قرا فتلقى ادم كلمات لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه
ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات ما هي فقيل
هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن
جبير وان في ذلك اعترافا بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم و
حقيقة الانابة وقيل هي قوله اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب اني ظلمت نفسي فارحمني انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب
الرحيم عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وقيل بل هي
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل وهي رواية تختص
باهل البيت ع ان ادم راى مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة
فسال الله عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق عند الله منزلة والاسماء
محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم الى ربه بهم في قبول
توبته ورفع منزلته قوله فتاب عليه فيه حذف اي تاب ادم فتاب
الله عليه اي قبل توبته وقيل تاب عليه اي وفقه للتوبة وهداه اليها
بان لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته انه هو التواب
اي كثير القبول للتوبة يقبل مرة وهو في صفة العباد الكثير التوبة
وقيل ان معناه هو يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها
وقوله الرحيم انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به
وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل
عليهما لانه اختصر وحذف للايجاز والتغليب كقوله سبحانه والله

ورسوله احق ان يرضوه ومعناه ان يرضوهما وقوله واذا راوا تجارة او
لهوا انفضوا اليها وكقول الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا و
من جول الطوى رماني وقول الآخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
والراي مختلف فكذلك معنى الآية فتاب عليهما وقال الحسن البصري
لم يخلق الله ادم الا للارض ولو لم يعص لاخرجه الى الارض على غير تلك
الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للارض ان عصى ولغيرها ان لم يعص
وهو الاقوى فصل مختصر في التوبة وشروطها والاختلاف فيها اعلم
ان شروط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله
في القبيح فان هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا
فيما عداها وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها والطاعة لا تصح
التوبة منها وعندنا تصح التوبة اذا كانت من ترك الندب ويكون ذلك
على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا نحمل توبة الانبياء ع في جميع ما نطق به
القران وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى
غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى
بذلك وان كان تفضلا وعلمنا انه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح
مع الاقامة على قبيح آخر يعلما ويعتقد قبحه فعند اكثر المتكلمين هي صحيحة
وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان
يمتنع عن قبيح لقبحه مع انه يفعل قبيحا آخر وان علم قبحه كذلك يجوز ان يندم
من قبيح مع المقام على قبيح اخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط
الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن يحجب عنها عند الايات الست وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال بادروا بالاعمال ستا
طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة

احدكم يعني الموت وامر العامة يعني القيمة وقيل لا شك ان التوبة
عند بعض هذه الايات تحجب وعند بعضها يجوز ان تحجب والله اعلم قوله تعم
قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداى
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اية القراءة قرا يعقوب فلا
خوف بنصب الفاء في جميع القرآن فالباقون بالرفع والتنوين واجمعوا
على اثبات الالف في هداى ولا تحريك الياء وروى عن الاعرج بسكون
الياء وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف وروى بعضهم هدي وهي لغة
هذيل يقلبون الالف الى الياء للياء بعدها لان شان ياء الاضافة ان
تكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها اذ الالف لا تتحرك فهو مثل
علي والدي وقالوا هوي قال ابو ذويب سبقوا هوي واعنقوا لسبيلهم
فتخرموا ولكل جنب مضجع اللغة الهبوط النزول من عال الى استفال
وقد يستعمل في هبوط المنزلة قال لبيد كل بني حرة مصيرهم قل وان
اكثروا من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما فهم للفناء والفند
والاتيان والمجي والاقبال نظاير ونقيضه الذهاب والانصراف و
الاتباع والاقتداء والاحتذاء نظاير والتابع التالي وفي الحديث القادة
والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبيع ولد
البقر وثلثة اتبعة والجمع اتابيع والتبع الظل والخوف والجزع والفزع
نظاير ونقيض الخوف الامن وطريق مخوف يخافه الناس ومخيف
يخيف الناس والحزن والغم والهم نظاير ونقيضه السرور يقال حزن
حزنا وحزنه واحزنه وهو محزون ومحزن وقال قوم لا يقولون حزنه
الامر ويقولون يحزنه فاذا صاروا الى الماضي قالوا احزنه وهذا شاذ

نادر لأنه قد استعمل احزن واهل يحزن واستعمل يحزن واهل حزن واصل
الباب غلظ الهم مأخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الارض الاعراب أمّا
هو ان الجزاء دخلت عليها ما ليصح دخول نون التاكيد في الفعل ولو اسقطت
ما لم يجز دخول النون لانها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما اشبه
القسم كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام لم يجز وكذلك تقول
بعين ما ارينك وبجهد ما تبلغن وفي غصته ما ينبتن شكيرها ولو
قلت بعين اربتك بغير ما لم يجز فدخول ما هنا كدخول اللام في انها توكد
اذ كان
اول الكلام وتوكيد النون اخره والامر والنهي والاستفهام مشبه به
معناه اخبرني والنون انما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال
الله ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا قال الزجاج وانما فتح قبل النون في
قوله يأتينكم لسكون الياء وسكون النون الاولى قال ابو علي وان كان
كذلك لما حرك به في نحو هل تضربن ونحوه من الصحيح لان الساكنين لا
يلتقيان في هذا النحو وفي هذا ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره
من التقاء الساكنين وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجوابه
لان الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بخبره
فكذلك الشرط لا يتم الا بجزائه ولك ان تجعل خبر المبتدا جملة هي مبتدا
وخبر كقولك زيد ابوه منطلق فكذلك ان التي للجزاء اذا كان جوابه
بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفا صلح ان يكون جزاء وغير جزاء
تقول ان تأتني فانت مكرم ولك ان تقول ان تأتني فمن يكرمك
اكرمه فقوله اما يأتينكم شرط ويأتينكم في موضع الجزم بان وجوابه
بتداء
الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداي الاية ومن في موضع الرفع بالا

ويتبع في موضع الجزم بالشرط وجوابه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف
عليهم ولا خوف عليهم جملة اسمية ولا هم يحزنون جملة اسمية ولا هم معطوفة
على الجملة التي قبلها والفاء مع ما بعده في موضع جزم بالجزاء لقوله من تبع
هداي والشرط والجزاء مع معنى حرف الشرط الذي تضمنه من في موضع الرفع
بانها خبر المبتدا الذي هو من ثم الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداي
الاية في موضع جزم بانه جزاء لقوله اما يأتينكم وهذا في المقدمات القياسية
تسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي
المركب عليه المعنى ثم بين تعالى اهباطهم الى الارض فقال اهبطوا اي
انزلوا والخطاب لآدم وحواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم
واختلف في تكرار الهبوط فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا
الهبوط من السماء الى الارض عن ابي علي وقيل انما كرر للتاكيد وقيل انما
كرر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض
عدو ان الاهباط انما كان في حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله وقلنا
اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى ان الاهباط انما كان للابتلاء
والتكليف كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحبا وان كان
الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فاما يأتينكم مني هدى اي بيان ودلالة
وقيل انبياء ورسل وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا
لآدم وحواء وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين اي اتينا بما فينا من الخلق طائعين فمن تبع
هداي اي اقتدى برسلي واحتذى ادلتي فلا يلحقهم خوف في اهوال
يوم القيمة من العقاب ولا هم يحزنون على فوات الثواب فاما الخوف

والحزن فى الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المؤمنين
لا ينفكون منه وفى هذه الآية دلالة على ان الهدى قد يثبت ولا اهتدا
وان الاهتداء انما يقع بالاتباع والقبول **قوله تعالى** وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آية
اللغة الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والآيات جمع
آية ومعنى الآية فى اللغة العلامة ومنه قوله تعالى عيداً لاولنا واخرنا
وآية منك اى علامة لاجابتك دعانا وكل آية من كتاب الله علامة
ودلالة على المضمون فيها وقال معنى الآية علامة وقال ابو عبيدة معنى الآية
انها علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها وانقطاعه من الذى بعدها
قيل ان الآية القصة والرسالة قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض
آية ايقظان قال القول اذ قال ام حلم اى رسالة فعلى هذا يكون معنى
الآيات القصص اى قصة تتلوا قصة وقال ابن السكيت خرج القوم
بآيتهم اى بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً وعلى هذا يكون معنى الآية
من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص والاصحاب
جمع الصاحب وهو القرين واصل الصحبة المقارنة فالصاحب هو
الحاصل مع آخر مدة لانه اذا اجتمع معه وقتاً واحداً لم يكن يقال
صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه **الاعراب** موضع اولئك يحتمل
ثلثة اشياء احدها ان يكون بدلا من الذين او عطف بيان واصحاب
النار بيان عن اولئك مجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون
والثانى ان يكون ابتداء وخبرا فى موضع الخبر الاول والثالث ان يكون
على خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك حلو حامض فان قيل فلم دخلت
الفاء فى موضع آخر مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين ولم يدخل
ههنا قلنا لان ما دخل فيه الفاء من خبر الذى واخواته مشبه بالجزاء

وما لم

وما لم يكن فيه فاء فهو على اصل الخبر واذا قلت ما لى فهو لك ان اردت
ما بمعنى الذى جاز وان اردت به المال لم يجز **المعنى** الذين كفروا
اى جحدوا وكذبوا بآياتنا اى دلالاتنا وما انزلنا على الانبياء فاولئك
اصحاب النار اى الملازمون للنار هم فيها خالدون اى دائمون وفى
هذه الآية دلالة على ان من مات مصرا على كفره غير تائب منه وكذب
بآيات ربه فهو مخلد فى نار جهنم وآيات الله دلائله وكتبه المنزلة على رسله
والآية مثل الحجة والدلالة وان كان بينهما فرق فى الاصل يقال دلالة
هذا الكلام كذا ولا يقال آيته ومن استدل بهذه الآية على ان عمل الجوارح
قد يكون من الكفر بقوله وكذبوا بآياتنا فقوله يفسد بان التكذيب نفسه
وان لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لانه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره
قوله تعالى يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا
بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ آية **القراءة** القراءة
المشهورة اسرائيل مهموزة كذلك وحكى عن الاعمش اسرائل بكسر الهمزة من
غير ياء وحكى قطرب اسرال من غير همز ولا ياء واسرائين بالنون قال
ابو على العرب اذا نطقت بالاعجمى خلطت فيه وانشد هل تعرف الدار
لام الخزرج منها وظلت اليوم كالمزدوج يريد المزدجن وهو الخمس الزوجون
اصل كالسين من قرنوس فاذا جاز للعرب ان تخلط فيما هو لغتها
فكيف فيما ليس من لغتها واختير تحريك الياء فى قوله نعمتى التى انعمت
لانه لقيها الف الوصل واللام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها
فكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلحق اللام فى الا ستيناف
من فتح الف الوصل واسكان الياء فى قوله يا عبادى الذين اسرفوا

اذ الاسقاط ههنا اجود لان من حق ياء الاضافة الا تثبت فى النداء و
اذا لم تثبت فلا طريق الى تحريكها فكان التحريك اولى والاختيار فى قوله
فبشر عبادى الذين يستمعون القول حذف اليا لانه راس اية ورؤس
الاى لا يثبت فيها اليا لانها فواصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك
فى القوافى واجمعوا على اسقاط اليا من قوله فارهبون الا ابن كثير
فانه اثبتها فى الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف
على اليا وفى كسر النون دلالة على ذهاب اليا اللغة الابن والولد و
النسل والذرية متقاربة المعنى الا ان الابن للذكر والولد يقع على
الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع واصله من البناء وهو
وضع الشئ على الشئ فالابن مبنى على الاب لان الاب اصل والابن
فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من اليا كالفتوة مصدر الفتى
وتثنيه فتيان واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقيل اصله
مضاف لان اسر معناه عبد وايل هو الله بالعبرانية فصار مثل
عبدالله وكذلك جبرئيل وميكائيل والذكر الحفظ للشئ تذكره وضده
النسيان والذكر جرى الشئ على لسانك والذكر الشرف فى قوله وانه
لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذى فيه تفصيل الدين فكل
كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلوة والدعاء وفى الاثر كانت
الانبياء اذا حزنهم امر فزعوا الى الذكر اى الى الصلوة واصل الباب التنبيه
على الشئ قال صاحب العين تقول وفيت بعهدك وفاء وفا وفيت
لغة تهامة قال الشاعر فى الجمع بين اللغتين اما ابن عوف فقد اوفى بذمته
كما وفى بقلاص النجم حاديها يعنى به الدبران وهو التالى والعهد الامر

الوصية والرهبة الخوف وضدها الرغبة وفى المثل رهبوت خير من
رحموت اى لان ترهب خير من ان ترحم   يا حرف النداء وبنى
فى موضع نصب منادى مضاف واسرائل فى موضع جر لانه مضاف
اليه وفتح لانه غير منصرف وفيه سببان العجمة والتعريف وقوله
واياى ضمير منصوب ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله فارهبون
لانه مشغول كما لا يجوز ان يقول زيدا فى قولك زيدا فاضربه
منصوب باضربه لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو
مذكور فى اللفظ تقديره واياى ارهبوا فارهبونى ولا يظهر
ذلك لانه استغنى عنه بما يفسره وان صح تقديره ولا يجوز فى
مثل ذلك الرفع على ان يكون الخبر فارهبون الا على تقدير
محذوف كما انشد سيبويه وقائلة خولان فانكح فتاتهم و
اكرومة الحيين خلو كما هيا تقديره هؤلاء خولان فانكح فتاتهم و
على ذلك حمل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما تقديره وفيما يتلى
عليكم السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وفيما فرض عليكم
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما   لما اعم الله نعم
جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيده وذكرهم ما انعم به عليهم فى
ابيهم آدم ثم خص بنى اسرائيل بالحجج وذكرهم ما اسدى اليهم والى
ابائهم من النعم فقال يا بنى اسرائيل يعنى يا بنى يعقوب نسبهم
الى الاب الاعلى كما قال يا بنى ادم والخطاب لليهود والنصارى
وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن

عباس اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اراد بذلك النعم التي انعم بها
على اسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون
ومن الغرق على اعجب الوجوه وانزال المن والسلوى عليهم وكون
الملك فيهم في زمن سليمان ع وغير ذلك وعد النعمة على ابائهم
نعمة عليهم لان الاولاد يتشرفون بفضيلة الاباء وهذا كما يقول
في المفاخرة قتلناكم يوم الفجار وهزمناكم يوم ذي قار وغلبناكم
يوم النسار وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحد لا عدد وقيل المراد بها
النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون ابائهم او اشتركوا فيه
مع ابائهم فكان نعمة على الجميع فمن ذلك تبقية ابائهم حتى تناسلوا
فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقة اباهم على وجه يمكنهم
معه الاستدلال على توحيده والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه
ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من الرزق
ويدفع عنهم من المكاره والاسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين
والدنيا فعلى القول الاول تكون الاية تذكيرا بالنعم عليهم في
اسلافهم وعلى القول الثاني تكون تذكيرا بالنعم عليهم من
نعم الدين على اسلافهم ما ذكره في قوله واذ قال موسى لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
واتيكم ما لم يوت احدا من العالمين وقال ابن الانباري
اراد بالذكر واما انعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التورية
وبينت لكم من صفة محمد صلى الله عليه واله والزمتكم من تصديقه

واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة
وقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قيل فيه وجوه احدها ان هذا
العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التورية انه باعث نبيا يقال
له محمد فمن يتبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه
بالتورية واجر باتباعه محمدا وايمانه بالقران ومن كفر به تكاملت
اوزاره وكانت النار جزاوه فقال واوفوا بعهدي في محمد اوف
بعهدكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس وسمي ذلك عهدا لانه تقدم
به اليهم في الكتاب السابق وقيل انما جعله عهد التاكيده بمنزلة
العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وثانيها انه العهد
الذي عاهدهم عليه حيث قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد
واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب عن الحسن وثالثها انه ما عاهد
اليهم في سورة المايدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة و
اتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية عن قتادة ورابعها انه اراد جميع
الاوامر والنواهي وخامسها انه جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم
وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يامرهم به من شكر هذه النعم كما
يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يوخذ عليهم والاول اقوى
لان عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القران وقوله واياي فارهبون
اي خافوا في نقض العهد وفي هذا الاية دلالة على وجوب شكر نعمة

وفي الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية
في جحود النعم وكفرانها ولحوق الوعيد الشديد بكتمانها وتدل ايضاً
على ثبوت افعال العباد اذ لو لم تكن افعالهم لما صح العهد والامر والنهي
والوعد والوعيد ولادى الى بطلان الرسل والكتب
وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ
كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ آية
قوله اول كافر به قال الزجاج يعني اول الكافرين وفيه قولان
قال الاخفش معناه اول من كفر به وقال غيره من البصريين معناه اول
فريق كافر به اي بالنبي صلى الله عليه واله قال وكلا القولين صواب حسن
ونظير قوله اول كافر به قول الشاعر واذا هم طعموا فالأم طاعم واذا هم
جاعوا فشر جياع والثمن والعوض والبدل نظاير وبينها فروق فالثمن
هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان
تشبيهاً بهما ومجازاً والعوض هو البدل الذي ينتفع به كاينا ما كان
والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن
والثمين الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا
وقد يكون بخسا وقد يكون زايدا والقيمة لا تكون الا مساوية
للمقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة مصدقا نصب
لانه حال من الهاء المحذوفة من انزلت كانه قال انزلته مصدقا
ويصلح ان ينتصب بآمنوا كانه قال آمنوا بالقران مصدقا ومعكم
صلة لما والعامل فيه الاستقرار اي الذي استقر معكم فالهاء في به
عايدة الى ما في قوله بما انزلت او الى ما من قوله لما معكم ونصب اول

كافر لانه خبر كان ثم قال مخاطبا لليهود وآمنوا اي صدقوا
بما انزلت على محمد صلى الله عليه وآله من القران لانه منزل من السماء
الى الارض مصدقا لما معكم من التورية امرهم بالتصديق بالقران
واخبرهم ان في تصديقهم بالقران تصديقا منهم للتورية لان الذي
في القران من الامر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله تصديقه
نظير الذي في التورية والانجيل فان فيهما البشارة لمحمد صلى الله عليه
وآله وبيان صفته فالقران مصدق لهما وقيل معناه انه تصديق
بالتورية لان فيها الدلالة على انه حق وانه من عند الله نعم والاول
اوجه لانه يكون حجة عليهم بان جاء القران بالصفة التي تقدمت
بها بشارة موسى ع وعيسى ع وقوله ولا تكونوا اول كافر به اي
بالقران من اهل الكتاب لان قريشا قد كانت كفرت به بمكة
قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر اي جاحد ان صفة
النبي في كتابكم السابقين الى الكفر فيتبعكم الناس اي لا تكونوا
ائمة في الكفر به عن ابي العالية وقيل المعنى ولا تكونوا اول جاحد
ان صفة النبي في كتابكم فعلى هذا يعود الهاء في به الى النبي ع عن ابي
جريج وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم
اذا جحدتم ما فيه من صفة النبي ص فقد كفرتم به قال الزجاج
وقواه بان الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر
معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به قال ولو
كان الهاء في به للقران فلا فايدة فيه لانهم كانوا يظهرون انهم
كافرون بالقران وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكون اول كافر بالقران

انه حق فى كتابكم وانما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا ائمة لهم و
قدوة فى الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روى عن النبى
صلى الله عليه وآله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيمة وليس فى نهيه عن ان يكونوا اول كافر به دلالة
على انه يجوز ان يكونوا اخر كافر به لان المقصد النهى عن الكفر على كل حال
وخص اول بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر من اناس
ليس فى اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع وليس يريد ان فيهم
فحشا آجلا وقوله ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا روى عن ابى جعفر ع
فى هذه الاية قال كان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف واخوة
من اليهود لهم ماكلة على اليهود فى كل سنة فكرهوا بطلانها بامر النبى
فحرفوا لذلك آيات من التورية فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذى
اريد فى الاية قال الفراء انما ادخل الباء فى الايات دون الثمن وفى
سورة يوسف ادخل فى الثمن فى قوله وشروه بثمن بخس دراهم
معدودة لان العروض كلها انت مخير فيها ان شئت قلت
اشتريت بالثوب كساء ايهما جعلت ثمنا لصاحبه جاز فاذا
جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء فى الثمن كقوله وشروه
بثمن بخس دراهم لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا باياتى
اى بما فى التورية بيان صفة محمد ونعته ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا
من الدنيا واياى فاتقون فاخشونى فى امر محمد صلى الله عليه وآله
لا مر يفوته من الماكل والرياسة وتقييده الثمن بالقلة لا يدل على انه

اذا

اذا كثيرا يجوز شراؤه به لان المقصد منه ان اى شىء باعوا به ايات الله
كان قليلا وانه لا يجوز ان يكون ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به وانما اراد بذلك نفى البرهان عنه على كل حال
وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير
حق وانما اراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق وانما اراد ان قتلهم
لا يكون الا بغير حق ونظاير ذلك كثيرة ومنه قول امرئ القيس على
لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود الديافى جرجرا وانما اراد
به انه لا منار هنالك فيهتدى به وفى هذه الاية دلالة على تحريم
اخذ الرشى فى الدين لانه لا يخ اما ان يكون امرا يجب اظهاره او
يحرم اظهاره فالاخذ على مخالفة كلا الوجهين وهذا الخطاب يتوجه ايضا
على علماء السوء من هذه الاية اذا اختاروا الدنيا على الدين فيدخل فيه
الشهادات والقضايا والفتاوى وغير ذلك ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون اية اللبس و
التغطية والتعمية نظاير والفرق بين التغطيه والتعمية ان التغطية
تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزياده وضد اللبس
الايضاح واللباس وارتبه حسبك ولباس التقوى الحيا
واللبس خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يلبسه
لبسا ولبس الثوب يلبسه لبسا والفرق بين اللبس والاخفاء
ان الاخفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك
المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لاجل
التعقيد وقال امير المؤمنين عليه السلم للحرث بن حوط يا حارانه

ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف
اهله والباطل والبطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد
والكذب والزور والبهتان نظاير وابطلت الشيء جعلته باطلا
وابطل الرجل جاء بباطل   قوله وتكتموا يحتمل وجهين من
الاعراب احدهما الجزم على النهي كانه قال لا تلبسوا الحق ولا تكتموا
فيكون عطف جملة على جملة والاخر النصب على الصرف باضمار ان
فيكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يكن
منكم لبس الحق وكتمانه ودل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب كان
شرا له فكذب يدل على الكذب فكانه قال من كذب كان الكذب
شرا له قال الشاعر في مثله لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك
اذا فعلت عظيم   اي لا تجمع النهي عن خلق والاتيان بمثله
ولا تلبسوا اي لا تخلطوا الحق بالباطل ومعنى لبسهم الحق بالباطل
انهم امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض لانهم جحدوا صفة النبي
صلى الله عليه وآله فذلك الباطل واقروا بغيره مما في الكتاب و
قيل معناه لا تحرفوا الكلم عن مواضعه والتحريف هو الباطل و
تركهم ما في الكتاب على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس
لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل الحق التورية التي انزلها الله
على موسى والباطل ما كتبوه بايديهم وقيل الحق اقرارهم ان
محمدا مبعوث الى غيرهم والباطل انكارهم ان يكون بعث اليهم
وقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا صفة النبي صلى الله عليه
وآله في التورية وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رؤساء

اهل

اهل الكتاب كما وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه
للتلبيس على اتباعهم وهذا تقبيح لما يفعلونه اي يجحدون ما
يعلمون وجحد العالم اعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وانتم
تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل و
سينزل بمن كذب على الله تعالى وقيل معناه وانتم تعلمون
ما نزل ببني اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف يجوز ان
يكون هؤلاء عارفين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وذلك مبني
على معرفة الله وعندكم ان من عرف الله لا يجوز ان يكفر وهؤلاء
صاروا كفارا وماتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا
الله على وجه لا يستحق به الثواب لان الثواب انما يستحق بان
ينظروا من الوجه الذي يستحق به الثواب فاذا نظروا على
غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا
عارفين بالله وبالتورية وبصفات النبي ع وان لم يستحقوا الثواب
ولا يمتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم الثواب
على ايمانهم مشروط بالموافاة فاذا لم يوافوا بالايمان لم يستحقوا
الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين وان لم يكونوا ...
لثواب يبطل بالكفر والمعتمد الاول   واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين آية   اصل الصلوة
عند اهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قيل ومنه قول الاعشى
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا   يا رب جنب ابي الاوصاب
والوجعا عليك مثل الذي صليت فاغتمضي يوما فان لجنب المرء

مضطجعًا اى دعوت وقيل اصلها اللزوم من قول الشاعر لم اكن
من جناتها علم الله وانى بجرها اليوم صال اى ملازم لحرها فكان
معنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذى امر الله تعالى به
وقيل اصلها من الصلا وهو عظم العجز لرفعه فى الركوع والسجود
ومنه قول النابغة فآب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان
حزم ونائل اى الذين جاؤا فى صلا السابق وعلى القول الاول
اكثر العلماء وقد بينا معنى اقامة الصلوة فيما مضى والزكوة
والنماء والزيادة نظاير فى اللغة وقال صاحب العين الزكوة
زكوة المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكاء ممدود
اى نمى وازداد وهذا لا يزكو بفلان والزكا الشفع والخسا الوتر
واصله تثمير المال بالبركة التى يجعلها الله فيه والركوع والانحناء
والانخفاض نظاير فى اللغة قال ابن دريد الراكع الذى يكب
على وجهه ومنه الركوع فى الصلوة قال الشاعر فافلت حاجب
فوق العوالى على شقاء تركع فى الضراب وقال صاحب العين كل
شىء ينكب لوجهه فيمس ركبته الارض او لا يمس بعد ان يطاطا
راسه فهو راكع قال الشاعر ولكنى تدمى اباطلها ويركع بالحزون
وقال لبيد اخبر اخبار القرون التى مضت ادب كانى كلما
قمت راكع وقيل انه ماخوذ من الخضوع قال الشاعر لا تهين
الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والاول اقوى
وانما يستعمل فى الخضوع توسعا ومجازا واقيموا الصلوة
اى ادوها باركانها وحدودها وشرايطها كما بينها النبى صلى الله

عليه

عليه وآله واتوا الزكوة اى اعطوا ما فرض الله عليكم فى اموالكم
على ما بينه الرسول ع لكم وهذا حكم جميع ما ورد فى القرآن مجملا
فان بيانه يكون موكولا الى النبى صلى الله عليه وآله كما قال سبحانه
وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلذلك امرهم
بالصلوة والزكوة على طريق الاجمال واحال فى التفصيل على بيانه ع
وقوله واركعوا مع الراكعين انما خص الركوع بالذكر وهو من افعال
الصلوة بعد قوله واقيموا الصلوة لاحد وجوه احدها ان الخطاب
لليهود ولم يكن فى صلوتهم ركوع وكان الاحسن ذكر المختص دون
المشترك لانه ابعد من اللبس وثانيها انه عبر بالركوع عن الصلوة
يقول القايل فرغت من ركوعى اى صلوتى وانما قيل ذلك لان
الركوع اول ما يشاهد من الافعال التى يستدل بها على ان الانسان
يصلى فكانه كرر ذكر الصلوة تاكيدا عن ابى مسلم ويمكن ان يكون
فيه فائدة تزيد على التاكيد وهو ان قوله اقيموا الصلوة انما يفيد
وجوب اقامتها ويحتمل ان يكون اشارة الى الصلوة التى يعرفونها
ان يكون الصلوة اشارة الى الصلوة الشرعية وقوله واركعوا مع
الراكعين يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون
متخصصا بالصلوة والمتقررة فى الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون
بيانا وثالثها انه حث على صلوة الجماعة لتقدم ذكر الصلوة فى اول الآية

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ آية

البر فى اللغة والاحسان والصلة نظاير يقال فلان بار وصول محسن

وضد البر العقوق ورجل بر وبار وبرت يمينه صدقت وبر حجه
وبر لغتان وقولهم فلان لا يعرف الهر من البر قال الاخفش معناه
لا يعرف من يهر عليه ممن يبره وقال المازني الهر السنور والبر
الفارة او دويبة تشبهها والفرق بين البر والخير ان البر يدل
على القصد والخير قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو
الغفلة والفرق بين البر نظاير وضد النسيان الذكر وحقيقته
عزوب الشي عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضروري من
فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الانسان عالما به وعما لم
يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله
فنسيهم اى تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة القراءة تلا يتلو تلاوة
اى قرا وتلا يتلو تلوا اى تبع واصل التلاوة منه لاتباع بعض
الحروف بها بعضا والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل
القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف والعقل
والفهم والمعرفة واللب نظاير ورجل عاقل فهم لبيب ذو
معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشي عقلا واعقله غيره
وقيل لابن عباس انى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان
سؤل وقال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال
عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعد ان اهجر وعقل المعتوه
ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت
يده بالعقال والعقل مجموع علوم لاجلها يمتنع الحي من كثير من
المقبحات ويفعل كثيرا من الواجبات وانما سمى تلك العلوم

عقلا لانها تعقل عن فعل القبيح وانما لاختاره لعلمه بقبحه وبانه
غني عنه ولانه لا يكتسب علما بشي فيثبت بعض علومه ببعض
وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن
كان زاجره اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين الحسن
والقبيح في الجملة وقيل هو التمييز الذي به فارق الانسان جميع الحيوان
وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العلم
والعقل ان العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن
فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز
ان يستشهد به قلنا ان الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب
الاختلاف في قضاياه الا ترى ان الاختلاف في ما العقل حق
ان بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا توجب الاختلاف
في ان المائة اكثر من واحد وان الكل اعظم من الجزء وغير ذلك
من قضايا العقول هذه الآية خطاب لعلماء اليهود
وكانوا يقولون لاقربائهم من المسلمين اثبتوا على ما انتم عليه ولا
يؤمنون هم والالف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر
الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وبخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون
من امر الناس بالايمان بمحمد صلى الله عليه واله وترك انفسهم
عن ذلك قال ابو مسلم كانوا يامرون العرب بالايمان بمحمد
صلى الله عليه وآله اذا بعث فلما بعث كفروا به وروى عن ابن
عباس ان المراد انهم كانوا يامرون اتباعهم بالتمسك بالتورية

وتركوا هم التمسك لان محمدهم النبي صلى الله عليه وآله وصفته فيه
ترك التمسك به وعن قتاده كانوا يامرون الناس بطاعة الله وهم
بخالفونه وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
مررت ليلة اسرى بي على اناس تقرض شفاههم بمقاريض من
نار فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هم خطباء من اهل الدنيا ممن
كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال بعضهم اتامرون
الناس بالصدقة وتتركونها انتم واذا اتتكم الضعفاء بالصدقة
لتفرقوها على المساكين خنتم فيها وقوله وانتم تتلون الكتاب
معناه وانتم تقرؤن التورية وفيه صفته ونعته عن ابن عباس
وقوله افلا تعقلون اي افلا تفقهون ان ما تفعلونه قبيح في العقول
وعن ابي مسلم معناه ان هذا ليس بفعل من يعقل وقيل معناه
افلا تعلمون ان الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل افلا تعلمون
ان ما في التورية حق فتصدقوا محمدا وتتبعوه فان قيل اذا كان
فعل البر واجبا والامر به واجبا فلماذا وبخهم الله تعالى على
الامر بالبر ممن يامر به قبيح من تركه ممن لا يامر به فهو كقول الشاعر
لا تنه عن خلق وتاتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم ومعلوم
انه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وانما نهى عن اتيان مثله
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلوٰةِ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ اية   الصبر منع النفس
محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف
الصابر نفسه عن الجزع ومنه جاء في الحديث وهو شهر الصبر
لشهر

رمضان لان الصايم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام
وقتل فلان صبرا وهو ان ينصب للقتل ويحبس عليه حتى يقتل
وكل من حبسته لقتل ويمين يقال فيه قتل صبر ويمين صبر
وصبرته اي حلفته بالله جهد القسم وفي الحديث اقتلوا القاتل
واصبروا الصابر وذلك فيمن امسكه حتى قتله اخر فامر بقتل
القاتل وحبس الممسك والخشوع والخضوع والتذلل والاخبات
نظاير وضد الخشوع الاستكبار وخشع الرجل اذا رمى ببصره
الى الارض واختشع اذا طاطا راسه كالمتواضع والخشوع قريب
المعنى من الخضوع الا ان الخضوع في البدن والاقرار بالاستخدام
والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت
الاصوات للرحمن اي سكنت واصل الباب من اللين والسهولة
والخاشع والمتواضع والمتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر
لما اتى خبر الزبير تواضعت   سور المدينة والجبال الخشع
قوله وانها لكبيرة اللام يدخل في خبر ان ولا تدخل
في خبر اخواتها لانها لام التاكيد فهي شبيهة بان في انها تدخل في
المبتدا وخبره كما تدخل ان وتدخل بمعنى القسم كما تدخل ان تقول
والله لتخرجن كما تقول والله انك خارج فاذا كان بينهما هذه
المجانسة فاذا دخلت على ان في نحو لانها كبيرة كرهوا ان يجمعوا
بين حرفين متشاكلين متفقين في المعنى فاخر اللام الى الخبر
ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم نحو انها لكبيرة فاما ساير
اخوات ان فمتى تركبت مع المبتدا وخبره خرج المبتدا من صورة

كما قال سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولانها تنقض النواقض لله تعالى فيضعف حب الرياسة

المبتدا ويصير قسما اخر فلا يدخل اللام عليه واذا لم يدخل عليه كان
بالحرى ان لا يدخل على خبره قال الجبائى انه خطاب للمسلمين
دون اهل الكتاب وقال الرمانى وغيره هو خطاب لاهل
الكتاب ويتناول المؤمنين على وجه التاديب والاولى ان يكون
خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول
من قال انه خطاب لاهل الكتاب ان ما قبل الاية وما بعدها
خطاب لهم من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة
كان يمنع علماء اليهود عن اتباع النبى صلى الله عليه واله لانهم خافوا
زوال الرياسة اذا اتبعوه فامرهم الله تعالى فقال واستعينوا
على الوفاء بعهدى الذى عاهدتكم فى كتابكم عليه من طاعتى واتباع
امرى وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامرى واتباع رسولى
محمد بالصبر على ما انتم فيه من ضيق المعاش الذى تاخذون
الاموال من عوامكم بسببه وروى عن ائمتنا عليهم السلام ان المراد
بالصبر الصوم فيكون فايدة الاستعانة بالصلوة انه يتلى
فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى ويزهد فى الدنيا وحب الرياسة
وكان النبى صلى الله عليه واله اذا احزنه امر استعان بالصلوة
والصوم ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا
على تنجزها وعدته لمن اتبع النبى صلى الله عليه واله او على مشقة
التكليف بالصبر اى بحبس النفس على الطاعات وحبسها
عن المعاصى والشهوات وبالصلوة لما فيها من تلاوة القران
والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظ والايتمار باوامره والانزجار

عن نواهيه

عن نواهيه ووجه اخر انه ليس فى افعال القلوب اعظم من الصبر
ولا فى افعال الجوارح اعظم من الصلوة فامر بالاستعانة بهما و
روى عن الصادق عليه السلام انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه
غم من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو
الله فيها اما سمعت الله تعالى يقول واستعينوا بالصبر والصلوة
وقوله تعالى وانها لكبيرة وقيل فى الضمير العايد فى وانها وجوه
احدها انه عائد الى الصلوة لانها الاغلب والافضل وهو قول
اكثر المفسرين وعلى هذا فى عود الضمير الى واحد وقد تقدم ذكر اثنين
قولان احدهما ان المراد بهما الصلوة دون غيرها وخصها بالذكر
لقربها منه ولانها الاهم والافضل ولتاكيد حالها وتفخيم شانها
وعموم فرضها والاخر ان المراد الاثنان وان كان اللفظ واحدا
ويشهد لذلك قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر ان شرخ الشباب
والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ولم يقل يعاصيا وقول
الاخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف
وقول الاخر واما الوسامة او حسن النساء فقد اوتيت منه
او ان العقل محتنك ونحو ذا كثير فى الكلام وثانيها ان الضمير عائد
الى الاستعانة يعنى ان الاستعانة بهما لكبيرة وقوله استعينوا
يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر اذا نهى السفيه جرى اليه
وخالف والسفيه الى خلاف اى جرى الى السفه ودل السفيه على السفه

وثالثها ان الضمير عايد الى محذوف وهو الاجابة للنبي عليه السلام عن
الاصم او مواخذة النفس بهما او تادية ما تقدم او تادية الصلوة
وضروب الصبر عن القاضي او هذه الخطبة عن ابي مسلم وهذه
الوجوه الاخيرة كلها ضعيفة لانه لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي
ثقيلة عن الحسن وغيره والاصل فيه اي كلما يكبر يثقل على الانسان
حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل
يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله الا على الخاشعين اي على المتواضعين
لله تعالى فانهم قد وطنوا انفسهم على فعلها وعودوها اياها
فلا يثقل عليهم وايض فان المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة
اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين
فانهم اذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم
ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوا به من نيل
الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اية

الظن المذكور في الاية بمعنى العلم واليقين كما قال
دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي
المسرد قال ابو داود رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها
بظنون وقال المبرد ليس من كلام العرب اظن عند زيد مالا
بمعنى اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد افصح
عن ذلك اوس بن حجر في قول الالمعي الذي يظن بك الظن كان
قد راى وقد سمعا وقال اخر فالا يا تكم خبر يقين فان الظن ينقص

او يزيد

او يزيد وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر
الذي يغلب على القلب كانه حديث النفس بالشيء وتاول جميع
ما في القران من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز
نظاير الا ان الظن فيه قوة على احد الامرين دون الاخر وحده
ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون
على خلافه فبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك
والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند ابي هاشم
وجنس براسه سوى الاعتقاد عند ابي علي والقاضي وذهب
اليه المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين
المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد
والظنون البئر الذي يظن بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث
يالفه ويكون فيه واصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى
الختانان اذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان اذا تحاذيا
ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته انا لازم ومتعد
واصل الرجوع العود الى الحال الاول الذين يظنون
في موضع الجر صفة للخاشعين وانهم بفتح الالف لا يجوز غيره
لان الظن فعل واقع على معنى انه متعد يتعلق بالغير فما يليه
يكون مفعولا له وان مفتوحة الهمزة يكون مع الاسم والخبر
في تاويل اسم مفرد وههنا قد سد مسد مفعولي يظن ويكون
المفعول الثاني مستغنى عنه مختزلا من الكلام وغير مضمر كما
ان الفاعل في اقايم الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والا ستغناء

به عنه وهذا القول هو المختار عند ابى على وفيه قول اخر وهو ان
ان مع الاسم والخبر فى موضع المفعول الاول والمفعول الثانى مضمر
محذوف لعلم المخاطب به فكانه قال الذين يظنون ملاقاة
ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقوا ربهم تخفيفا عند البصريين
والمعنى على اثباتها فان المضاف اليه هنا وان كان مجرورا فى
اللفظ فهو منصوب فى المعنى فهو اضافة لفظية غير حقيقية و
مثله قوله انا مرسلوا الناقة كل نفس ذائقة الموت وقال الشاعر
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
ولو اوردت معنى الماضى لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز فيه
اظهار النون البتة وقوله وانهم اليه راجعون فى موضع النصب
عطفا على الاول لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم
فقال الذين يظنون اى يوقنون انهم ملاقوا ما وعدهم
ربهم عن الحسن ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله انى ظننت
انى ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى
انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم
من الاقامة على معصية الله قال الرمانى وفيه بعد لكثرة الحذف
وقيل الذين يظنون انقضاء اجالهم وسرعة موتهم فيكونون
ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات
لقى الله ويدل على ان المراد بقوله ملاقوا ربهم ملاقون جزاء
ربهم قوله تعالى فى صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم
الى يوم يلقونه ولا خلاف فى ان المنافق لا يجوز ان يرى ربه

وكذلك

وكذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وجاء
فى الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقى الله وهو عليه
غضبان وليس اللقاء من الرؤية فى شىء يقال لقاك الله محابك
ولا يراد به ان يرى اشخاصا وانما يراد لقاء ما يسره وقوله وانهم
اليه راجعون يسال هنا فيقال ما معنى الرجوع فى الاية وهم ما كانوا
قط فى الاخرة فيعودوا اليها وجوابه من وجوه احدها انهم
راجعون بالاعادة فى الاخرة عن ابى العالية وثانيها انهم
يرجعون بالموت كما كانوا فى الحال المتقدمة لانهم كانوا امواتا
فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا وثالثها انهم يرجعون
الى موضع لا يملك لهم احد ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا فى بدو
الخلق لانهم فى ايام حيوتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير
لنفعهم وضرهم وبين ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى
الاية انهم يقرون بالنشاة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت
الى الحشر رجوعا اليه يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين اية
قد مضى تفسير اول الاية فيما تقدم وقوله وانى فضلتكم
على العالمين قال ابن عباس اراد به عالمى اهل زمانهم لان امتنا
افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا عليه السلام افضل الانبياء وبدليل
قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم
فى اشياء مخصوصة وهو انزال المن والسلوى وما انزل الله

فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم
العظيمة من تغريق فرعون والايات الكبيرة التي يخف معها
الاستدلال ويسهل بها الميثاق وتفضيل الله تعالى اياهم في
اشياء مخصوصة لا يوجب ان يكونوا افضل الناس على الاطلاق
كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الاية قوله واذ
نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب الى قوله وانتم
تنظرون فان قيل فما الفايدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لانه لما كانت نعم الله هي الاصل
فيما يجب شكره احتيج الى تاكيدها كما يقول القايل اذهب اذهب
عجل عجل وقيل ايضا ان التذكير الاول ورد مجملا والثاني ورد
مفصلا وقيل انه في الاول ذكرهم نعمه على انفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه
على ابايهم وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ اية قرا اهل مكة والبصرة لا تقبل
بالتاء والباقون بالياء فمن قرا بالتاء الحق علامة
التانيث لتوذن بان الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو
الشفاعة مونث ومن قرا بالياء فلان التانيث في الاسم ليس
بحقيقي فحمل على المعنى فذكر لان الشفاعة والشفع بمنزلة كما ان الوعظ
والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال تعالى فمن جاءه
موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضا انه
فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل

كما يقال

كما يقال في التانيث الحقيقي في حضر القاضي اليوم امراة
الجزاء والمكافاة والمقابلة نظاير يقال جزى يجزي جزاء وجازاه ومجازاة
وفلان ذو جزاء اي ذو غناء فكان قوله ولا تجزي نفس عن نفس
شيئا اي لا تقابل مكروهها بشيء ويدراه عنها ومنه الحديث
انه عليه السلم قال لابي بردة في الجذعة التي امره ان يضحي بها ولا
تجزي عن احد بعدك وقال عليه السلم البقرة تجزي عن سبعة
اي تقضي وتكفي قال ابو عبيدة هو ماخوذ من قولك جزى عني
هذا الامر فاما قولهم اجزاني الشيء اي كفاني فمهموز وقبول
الشيء هو تلقيه والاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل
لتجاه الشيء قبالته وقالوا اقبلت المكواة الداء اي جعلتها
قبالته قال واقبلت افواه العروق المكاويا والقبول والا نقياد
والطاعة والاجابة نظاير ونقيضه الامتناع والشفاعة ماخوذة
من الشفع فكانه سوال من الشفيع يشفع سوال المشفوع له و
الشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظاير والشفعة
في الدار وغيرها معروفة وانما سميت شفعة لان صاحبها
يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه والعدل والحق والانصاف
نظاير ونقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر
والانثى والجمع والواحد والعدل الفدية في الاية والفرق بين
العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل
الشيء وقد يكون من غير جنسه وقال سبحانه او عدل ذلك صياما
والنصرة والمعونة والتقوية نظاير وفي الحديث انصر اخاك ظالما

او مظلوما اى امنعه من الظلم ان كان ظالما وامنع منه الظلم
ان كان مظلوما وانصار الرجل اعوانه ونصرت السماء اذا مطرت
يوما انتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظرف
لان معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا فى هذا
اليوم لان ذلك اليوم لا يؤمر فيه بالاتقاء انما يؤمر فى غيره من
اجله وموضع لا تجزى نصب لانه صفة يوم والعائد الى الموصوف
فيه اختلاف ذهب سيبويه الى ان فيه محذوفا من الكلام
اى لا تجزى فيه وقال آخرون لا يجوز اضمار فيه لانك لا تقول
هذا رجل قصدت او رغبت وانت تريد اليه او فيه فهو
محمول على المفعول على السعة كانه قيل واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف
الهاء كما يقال رايت رجلا احب اى احبه وهو قول السراج قال
ابو على حذف الهاء من الصفة كما تحذف من الصلة لما بينهما
من المشابهة فان الصفة تخصص الموصوف كما ان الصلة تخصص
الموصول ولا يعمل فى الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا تعمل الصلة
فى الموصول ومرتبتها ان تكون بعد الموصوف كما ان مرتبة
الصلة ان تكون بعد الموصول وقد تلزم الصفة فى اماكن كما
تلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف الا بها ولا يعمل فيما
قبل الموصوف كما لا يعمل الصلة فيما قبل الموصول فاذا كان كذلك
حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة نحو قوله هذا الذى
بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا فى موضع المصدر كانه
قال لا تجزى جزاء ولا تغنى غناء وقال الرمانى الاقرب ان يكون

شيئا

شيئا فى موضع حقا كانه قال لا يؤدى عنها حقا وجب عليها وقوله
لا تقبل منها شفاعة موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التى
هى وصف قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل
الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه فى لا تقبل
ايضا مثله ومما حذف منه الراجع الى الصفة قول الشاعر وما شىء
حميت بمستباح والضمير فى منها عائد الى نفس على اللفظ وفى قوله
ولا هم ينصرون على المعنى لانه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع
لما بين سبحانه نعمه العظام عليهم انذرهم فى كفرانها بيوم
القيمة فقال واتقوا اى احذروا واخشوا يوما لا تجزى اى لا
تغنى او لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئا ولا يدفع عنها مكروها
وقيل لا يؤدى احد عن احد حقا وجب عليه لله ولغيره وانما
نكر النفس ليبين ان كل نفس هذا حكمها وهذا مثل قوله
سبحانه واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو
جاز عن والده شيئا وقوله ولا يقبل منها شفاعة قال المفسرون
حكم هذه الآية مختص باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء
وآباؤنا يشفعون لنا فآيسهم الله عن ذلك فخرج الكلام
مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة
اجمعت على ان للنبى صلى الله عليه وآله شفاعة مقبولة وان
اختلفوا فى كيفيتها فعندنا هى مختصة بدفع المضار واسقاط
العقاب عن مستحقه من مذنبى المؤمنين وقالت المعتزلة
هى فى زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهى

ثابتة عندنا للنبى ولاصحابه المنتجبين وللائمة من اهل بيته الطاهرين
ولصالحى المؤمنين وينجى الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين
ويؤيده الخبر الذى تلقته الامة بالقبول وهو قوله ع ادخرت شفاعتى
لاهل الكبائر من امتى وما جاء فى روايات اصحابنا رض عنهم
مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وآله انه قال انى اشفع يوم القيمة
فاشفع ويشفع على فيشفع ويشفع اهل بيتى فيشفعون وان ادنى
المؤمنين شفاعة ليشفع فى اربعين من اخوانه كل قد استوجب
النار وقوله تعالى مخبرا عن الكفار عند حسراتهم على الفائت
لهم مما حصل لاهل الايمان من الشفاعة فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم وقوله ولا يؤخذ منها عدل اى فدية وانما سمى
الفداء عدلا لانه يعادل المفدى ويماثله وهو قول ابن عباس
ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكفر عن ذنوبه وقيل لا يؤخذ
منه بدل بذنوبه واما ما جاء فى الحديث لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا واختلف فى معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل
الفدية وقال الاصمعى الصرف التطوع والعدل الفريضة وقال
ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال الكلبى الصرف
الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ولا هم ينصرون اى لا
يعاونون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله
اذا عاقبهم   وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ
كُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ آية

فى الشواذ

فى الشواذ وقرا ابن محيص يذبحون ابناءكم   قال ابن جنى
وجه ذلك ان فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك
لدلالة الفعل على مصدره وللمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس
سعة وعموما وانشد ابو الحسن انت الفداء لقبلة هدمتها
ونقرتها بيديك كل منقر فكانه قال ونقرتها لان قوله كل منقر
عليه جاء ولما فى الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم
يجز تثنيته ولا جمعه لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع فى
الجنس   الانجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة
والسلامة والخلاص والتخلص واحد ويقال للمكان المرتفع
نجوة لان الصائر اليه ينجو من كثير من المضار وفرق بعضهم
بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل فى الخلاص قبل
وقوعه فى المهلكة والتنجيه يستعمل فى الخلاص بعد وقوعه
فى المهلكة والال والاهل واحد وقيل اصل آل اهل لان
تصغيره اهيل وحكى الكسائى اويل فزعموا انها ابدلت
كما قالوا هيهات وايهات وقيل لا بل هو اصل بنفسه والفرق
بين الال والاهل ان الاهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا
يقال آل البصرة ويقال آل الرجل قومه وكل من يؤل اليه بنسب
او قرابة ماخوذ من الاول وهو الرجوع واهله كل من يضمه
بيته وقيل آل الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وآل
الخيمة عمده وآل الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد آل
كل شىء شخصه وآل الرجل اهله وقرابته قال الشاعر ولا تبك

بيتا بعد بيت احبه علي وعباس وآل ابي بكر قال ابو عبيده
سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك
قال اليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال وانما يقال آل فلان للرئيس
المتبع وفي شبه مكه لانها ام القرى ومثل فرعون في الضلال
واتباع قومه فاذا جاوزت هذا قال الرجل اهل بيته خاصة
فقلنا له افتقول لقبيلته آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة
وفرعون اسم لملك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك
الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع فهو
على هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون مصعب بن الريان
وقال محمد بن اسحق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم
من قولهم سامه خطه خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم
سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه ذلا قال الشاعر
ان سيم خسفا وجهه تربدا وقيل يجشمونكم وقيل يعذبونكم
واصل الباب السوم الذي هو ارسال الابل في الرعي وسوء
العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظاير قال
صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للافات والداء
يقال سؤت فلانا اسوءه مساءة ومسايه واستا فلان
عن السوء مثل اهتم من الهم والسوءة الفعلة القبيحة والسوءة
الفرج والسوءة ايضا كل عمل شين وتقول في النكرة كل رجل
سوء كما يقال رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل السوء
فلا تضيفه ولا تقول الرجل الصدق وقوله ابناء من غير

سوء اي من غير برص والذبح والنحر والشق نظاير والذبح فري
الاوداج والتذبيح التكثير منه واصله الشق تقول ذبحت
المسك اذا افتقت عنه قال كان بين فكها والفك فارة مسك
ذبحت في سك والذبح الشي المذبوح والذباح والذبحة بفتح
البا وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون
اي يستبقون ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله اقتلوا
شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم
والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء
والاحسان والنعمة نظاير في اللغة والبلاء يستعمل في الخير
والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير والابلاء في الانعام
قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال زهير جزى الله
بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو فالبلاء
يكون بالانعام كما يكون بالانتقام واصل البلاء الامتحان
والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الثناء — العامل
في اذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز ان يكون
في موضع النصب على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم
ويجوز ان يكون للاستيناف والابناء جمع ابن واصل ابن بنو
بفتح الفاء والعين ويدل على ان الفاء كانت مفتوحة قولهم
في جمعه ابناء على وزن افعال وافعال بابه ان يكون الفعل
نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه افعل نحو فرخ

وافرخ والمحذوف من الابن الواو وعلى ما قلناه لانها اثقل فهى
بالحذف اولى واليه ذهب الاخفش وابو على الفسوى
ثم فصل سبحانه فى هذه الاية النعمة التى اجملها فيما قبل فقال
واذ نجيناكم اى خلصناكم من قوم فرعون واهل دينه
يسومونكم يلزمونكم سوء العذاب وقيل يذيقونكم ويكلفونكم
ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا فى العذاب الذى
نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر فى الاية من قوله
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسيره وقيل
اراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فمنها انهم
جعلوهم اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون
لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية وكانوا
ويذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل
عليه قوله تعالى فى سورة ابرهيم يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم فعطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم معناه يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم يستبقونهن ويدعونهن احياء ليستعبدن
وينكحن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح وانما
لم يقل بناتكم لانه سماهن بالاسم الذى يؤل حالهن اليه
وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يستبقون
الصغار والكبار يقال اقبل الرجال وان كان فيهم صبيان
ويجوز ايضا ان يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالابناء

دقوله

وقوله وفى ذلكم اى فى سومكم العذاب وذبحكم الابناء ابتلاء
عظيم من ربكم لما خلى بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافاعيل
وقيل وفى نجاتكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم
والسبب فى قتل الابناء ان فرعون راى فى منامه كان
نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر
فاحرقتها واحترقت القبط وتركت بنى اسرائيل فهاله ذلك و
دعا السحرة والكهنة والقافة فسالهم عن رؤياه فقالوا انه يولد
فى بنى اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك و
تبديل دينك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل
وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لهن لا يسقط على ايديكن
غلام من بنى اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بهن
فكن يفعلن ذلك واسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل
رؤس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت قد وقع فى بنى
اسرائيل فيذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل
علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون
فى السنة التى لا يذبحون فيها فترك وولد موسى فى السنة التى
يذبحون فيها وَاِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَاَنْجَيْنَاكُمْ
وَاَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ قراءة فى الشواذ
قرا الزهرى واذ فرّقنا بكم مشددة قال ابن جنى فرّقنا اشد
تفريقا من فرقنا فمعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى قولنا
فرقنا شققنا بكم البحر الفرق هو الفصل بين شيئين

اذا كانت بينهما فرجة والفرق الطايفة من كل شى ومن الماء
اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طايفة من ذلك فرق ومنه
كل فرق كالطود والفرق الخوف وفى الحديث ما اسكر الفرق
فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف بالمدينة والبحر سمى بحرا
لاستبحاره وهو سعته وانبساطه يقال استبحر فى العلم وتبحر
فيه وتبقر اذا اتسع وتمكن والباحر الاحمق الذى اذا كلم بقى
كالمبهوت والعرب تسمى الماء الملح والعذب بحرا اذا كثر
ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعنى الملح والعذب واصل
الباب الاتساع واما اللج فهو الذى لا يرى حافتيه من فى
وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى الساقية
بحر وبالاضافة الى جده ونحوها ليست ببحر والغرق الرسوب
فى الماء والنجاة ضد الغرق كما انها ضد الهلاك واغرق فى
الامر اذا جاوز الحد فيه واصله من نزع السهم حتى يخرج
عن كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر
النظر بالعين يقال نظرت الى كذى ونظرت فى الكتاب
وفى الامر وقول القايل انظر الى الله ثم انظر اليك معناه
اتوقع فضل الله ثم فضلك ونظرته وانتظرته بمعنى واحد
والنظر التفكر واصل الباب كله الاقبال نحو الشى بوجه من
الوجوه فالنظر بالعين الاقبال نحو المبصر والنظر بالقلب الاقبال
بالفكر به نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة وحقيقة النظر هو
تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلبا لرؤيته ثم ذكر

سبحانه

سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا اذ فرقنا بكم البحر اى فرقنا
بين المائين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون فى طريق
يبس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوقع بين كل فريقين
من البحر طايفة منكم يسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بكم و
قيل فرقنا بكم اى بسببكم البحر لتمروا فيه فانجيناكم يعنى من البحر
والغرق قوله واغرقنا ال فرعون ولم يذكر غرق فرعون لانه قد
ذكره فى مواضع كقوله فاغرقناه ومن معه فاختصر لدلالة الكلام
عليه لان الغرض مبنى على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول
القايل دخل جيش الامير البادية ويكون الظان الامير معهم ويجوز
ان يريد بال فرعون نفسه كقوله مما ترك ال موسى وال هرون
يعنى موسى وهرون وقوله وانتم تنظرون معناه وانتم
تشاهدون انهم يغرقون وهذا ابلغ فى الشماتة واظهار
المعجزة وقيل معناه وانتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتم اليه
لامكنكم ذلك لانهم كانوا فى شغل من ان يروهم كما يقال دور
بنى فلان تنظر الى دور ال فلان اى هى بازائها وبحيث لو كان
مكانها ما ينظر لامكنه ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب
مما قال الفراء والاول اصح لانهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الرؤية
فانهم كانوا قد جاوزوا البحر وتظاهرت اقوال المفسرين على
ان اصحاب موسى عليه السلم راوا انفراق البحر والتطام امواجه
بال فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظ وجملة
قصة فرعون مع بنى اسرايل فى البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تع

اوحى الى موسى ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر فسرى موسى ببنى
اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون فى الف الف حصان سوى الاناث
وكان موسى فى ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون
قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع
حذرون فسرى موسى ببنى اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا
فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا من قبل
ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد
رهقنا بمن معه فقال موسى عليه السلم عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع
بن نون بم امرت قال امرت ان اضرب بعصاى البحر قال اضرب
وكان الله تعالى اوحى الى البحر ان اطع موسى اذا ضربك قال
فبات البحر له افكل اى رعدة لا يدرى فى اى جوانبه يضربه فضرب
بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم
طريق ياخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فارسل الله
ريح الصبا حتى جففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا فى البحر
يبسا فخرجوا فيه فلما اخذوا فى الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا
نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال فى طريق مثل طريقكم
فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى عليه السلم اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا
وشمالا فاشار بعصاه يمينا وشمالا فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم
الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم

فهاب دخول الماء تمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق وتقحم البحر
فلما راها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج اخر
من كان مع موسى من البحر ودخل اخر من كان مع فرعون البحر اطبق
الله عليهم الماء فغرقوا جميعا ونجا موسى ومن معه ويسال عن هذا
ان يقال كيف لم يعط الله تعالى لكل نبى مثل ما اعطى موسى من
الايات الباهرات لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعد والجواب
ان الله تعالى ينصب الاعلام الباهرة والمعجزات القاهرة
لاستصلاح الخلق على حسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كانوا
فى قوم موسى عليه السلم من بلادة النفس وكلالة الحدس ما لم
يمكنهم معه الاستدلال بالايات الخفية الا ترى انهم لما عبروا
النهر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوه
من هذه الايات اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون
وكان فى العرب وامة نبينا صلى الله عليه وآله من جودة القريحة
وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه
الاستدلال بما يحتاج فيه من التامل والتدبر والاستضاءة
بنور العقل فى التفكر فجاءت اياتهم متشاكلة لطباعهم المتوقدة
ومجانسة لما ركب فى اذهانهم من الدقة والحدة على ان فى
جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الظاهرة ما ينفى خلاج الشك
عن قلب الناظر المستبين ويفضى به الى فضاء العلم اليقين و
يوضح له مناهج الصدق ويولجه مولج الحق وما يستوى الاعمى والبصير
ولا ينبئك مثل خبير   وإذ واعدنا

مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ
ظَالِمُونَ الآية قرا اهل البصرة وابو جعفر ههنا وعدنا
بغير الالف وفى الاعراف وطه وقرا الباقون واعدنا بالالف
وقرا ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما
جاء منه باظهار الذال ووافقهم الاعشى فيما كان افتعلت
والباقون يدغمون حجة من قرا باثبات الالف انه قال
لا يخ ان يكون قد كان من موسى وعد او لم يكن فان كان
منه وعد فلا اشكال فى وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن
منه وعد فان ما كان منه من قبول موسى ولانه حسن فى
الوعد والتحري لانجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد والقراءة
بواعدنا دلالة من الله تعالى على وعده وقبول موسى ولانه حسن
فى مثل قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم لله
تعالى كان هنا الاخبار واعدنا ومن قرا وعدنا بغير الف قال
هو اشد مطابقة للمعنى اذ كان القبول ليس بوعد فى الحقيقة اذ
الوعد انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير وعلى هذا فيكون
قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه مجاز لحقيقته بما اخبروا انهم
فاعلوه وقال بعضهم ان المواعدة فى الحقيقة لا يكون الا بين البشر
والله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد كما قال وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
والقراءتان جميعا قريبتان وحجة من ادغم الذال فى التاء من
اتخذتم ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم

ان مخرجهما

ان مخرجهما لتغايران الوعد والوعيد والعدة والموعدة
مصادر وعدته اعده وعدت يتعدى الى مفعولين يجوز فيه
الاقتصار على احدهما كاعطيت قال ووعدناكم جانب الطور الايمن
فجانب مفعول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين ايضا والوعد
فى الخير والوعيد فى الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد
والموعد قد يكون موضعا ووقتا ومصدرا والميعاد لا يكون الا
وقتا او موضعا وقد يقال وعدته فى الشر ولا تقول اوعدته فى الشر
كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واوعدته لا يكون
الا فى الشر والمكاره وتقول اوعدته بالشر ولا تقول اوعدته الشر
وحقيقة الوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر فى المستقبل او شر وموسى
اسم مركب من اسمين بالقبطية هو الماء وسى الشجر وسمى بذلك
لان التابوت الذى كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجده
جوارى آسية امراة فرعون وقد خرجن ليغتسلن بالمكان الذى
وجد فيه عن السدي وهو موسى ابن عمران بن يصهر ابن قاهث
لاوى بن يعقوب بن اسحق ابن ابرهيم عن محمد بن اسحق بن يسار
وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالى للايام
عن قول المبرد يعنى بذلك انك اذا ذكرت الليالى دخل فيها الايام
واذا ذكرت الايام لا يدخل فيها الليالى والصحيح ان العرب كانت
تراعى فى حسابها الشهور والايام الاهلة فاول الشهر الليالى فلذلك
ارخت بالليالى وغلبتها على الايام واكتفت بذكر الليالى عن الايام
فقال لعشر خلون ولخمس بقين جريا على الليالى والليلة الوقت

من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى واليوم من طلوع الفجر
الثانى الى غروب الشمس وليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها
ولُيَيْلِيَة تصغير ليلة اخرجوا الياء الاخيرة مخرجها فى الليالى وقال
بعضهم اصل ليلة ليلاة فقصروا واتخذ افتعل وفعلت فيه تخذت
قال وقد تخذت رجلى الى جنب غرزها نسيفا كافحوص القطاة
المطرق قال ابو على وليس اتخذت من اخذت لان الهمزة لا تبدل
من التاء ولا تبدل منها التاء والعجل البقرة الصغيرة يقال
عجل وعجول وهو من العجلة لان قصر المدة كالعجل فى الشئ وقال
بعضهم انما سمى عجلا لانهم عجلوا فاتخذوه الها قبل ان ياتيهم موسى
قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لا يخ تعلق الاربعين
بالوعد من ان يكون على انه ظرف او مفعول ثان فلا يجوز ان
يكون ظرفا لان الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم ولا فى
بعضها فكان يكون جوابا لمتى وانما الموعد تقتضى الاربعين
فاذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثانى
والتقدير وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة او تمة اربعين
ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر اى تمام
خمسة عشر فاما انتصاب اربعين فى قوله فتم ميقات ربه
اربعين ليلة فالميقات هو الاربعون وانما هو ميقات وموعد
فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين
هذا العدد وتم الميقات معدودا هذا العدد وقد جاء الميقات
فى موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد فى قوله الى يوم الوقت

المعلوم

المعلوم وفى موضع اخر واليوم الموعود ويبين ذلك قوله فتم ميقات
ربه اربعين ليلة وفى الاية واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
وليلة تنتصب على التمييز والتبيين للعدد والاصل فى بيان
العدد ان يبين بذكر المعدود وانما انتصب بالاسم التام الذى
هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام الذى ينتصب بعده ما يكون
فضلة بعده ومعنى تمام الاسم هنا تركيب هذه النون الذى
تتمه معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة انه متم
بشئ اخر وبينهما شبه اخر وهو ان فى الجملة التى من فعل وفاعل
معنى يقتضى المفعول وهو ذكر الفعل وفى العدد ابهام يقتضى
التفسير والبيان ليفيد اى نوع من الانواع هو فينصب على
هذا المعنى ولذلك قال سيبويه ان فى هذا الضرب وهو تمام
الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يجى بعد التمام فى النون فى
اربعين هو بمنزلة الفاعل الذى يحجز من ان يسند الفعل الى المفعول
فيسند الى الفاعل وينتصب المفعول لذلك والنون يتم الاسم الاول
فينتصب الاسم الذى بعده واما قوله اتخذتم فان اتخذت
على ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا
من دون الله آلهة وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات والاخر
يتعدى الى مفعولين كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فاتخذ عدوهم
سخريا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء فقوله اتخذتم العجل من
بعده تقديره اتخذتم العجل الها فحذف المفعول الثانى لان من
صاغ عجلا او عمله لا يستحق الوعيد والغضب من الله تعالى

واذكروا اذ واعدنا موسى ان نؤتيه الالواح فيها التورية والبيان
والشفا على راس اربعين ليلة او عند انقضاء اربعين ليلة
او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذ كر مضمر فيه لان
الله تعالى قال قبل هذا يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم فاذ هنا معطوف على الايات المتقدمة وهذه الاربعون
ليلة هى التى ذكرها الله عز وجل فى سورة الاعراف فقال وواعدنا
موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر وهى ذو القعدة وعشر من
ذى الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم
من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم الله انزال التورية و
الشرايع فخلف موسى اصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على
الطور اربعين ليلة وانزل عليه التورية فى الالواح وقوله ثم
اتخذتم العجل لا يكونون اى اتخذتموه الها لان بنفس فعلهم
لصورة العجل لا يكونون ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما
هو مكروه واما الخبر الذى روى انه عليه السلام لعن المصورين
فالمراد به من شبه الله بخلقه او اعتقد انه صورة وقوله من
بعده اى من بعد موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله اياكم
بالتورية وقيل من بعد غرق فرعون وما رايتم من الايات
والكل محتمل وانتم ظالمون اى مضرون بانفسكم بما استحققتم
من العقاب على اتخاذكم العجل الها روى عن ابن
عباس قال كان السامرى رجلا من اهل باجرمى قيل كان اسمه
ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان من قوم يعبدون

البقر وكان حب عبادة البقر فى نفسه وقد كان اظهر الاسلام
فى بنى اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هرون فى بنى اسرائيل
قال هرون لقومه قد حملتم اوزارا من زينة القوم الى فرعون فتطهروا
منها فانها نجس يعنى انهم استعاروا من القبط حليا واستبدوا
بها فقال هرون طهروا انفسكم منها فانها نجسة واوقد لهم
نارا فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا ياتون بما كان معهم
من تلك الامتعة والحلى فيقذفون به فيها قال وكان السامرى
راى اثر فرس جبرئيل عليه السلم فاخذ ترابا من اثرها فره ثم اقبل
الى النار فقال لهرون يا نبى الله القى ما فى يدى قال نعم وهو لا
يدرى ما فى يده ويظن انه مما يجى غيره من الحلى والامتعة فقذف
فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة فقال
هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا
قط قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة ولم يزد على هذا و
قال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لانه
من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر
الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اى صورة
كانت حييت فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامرى فيه سبيل
غيره ومن لم يجز انقلابه حيا تاول الخوار على ان السامرى صاغ
عجلا وجعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار
ودعاهم الى عبادته فاجابوه وعبدوه عن ابى على الجبائى
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك

لعلكم تشكرون آية العفو والصفح والمغفرة
والتجاوز نظاير قال ابن الانبارى عفا الله عنك معناه محا الله
عنك مأخوذ من قولهم عفت الريح الاثر اذا درسته ومحته فعفو
الله محوه الذنوب عن العبد وقال الرمانى اصل العفو الترك
ومنه قوله تعالى فمن عفى له من اخيه شىء اى ترك فالعفو
ترك العقوبة والعفو احل المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة
والمعفون طلاب المعروف والعافية من الطير والدواب
طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مثمرة فما
اكلت العافية منها الا كتب له صدقة والعافية دفاع الله
عن العبد والعفا التراب قال زهير على آثار من ذهب العفا
والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرمانى
الشكر هو الاظهار للنعمة ثم عفونا عنكم اى وضعنا عنكم
العقاب الذى استحققتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من
بعد ذلك اى من بعد اتخاذكم اياه الها وقيل معناه تركنا معاجلتكم
من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم تشكرون لكى تشكروا
الله على عفوه عنكم وساير نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اى
عرضناكم للشكر وفى هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى
ان العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده
ليشكروه ومعنى قولنا فى الله انه غفور شكور انه يجازى
العبد على طاعاته من غير ان ينتقصه شيئا من حقه فجعل
المجازاة على الطاعة شكرا فى مجاز اللغة ولا يستحق الانسان

الشكر

الشكر على نفسه لانه لا يكون منعما على نفسه فالنعمة تقتضى منعما
غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضى مستقرضا غير المقرض وقد
يصح ان يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسىء اليها لان الاحسان
من المحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا اليها
بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا تستضر به كان مسيئا اليه
اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذى يستحقه المؤمن لان
المؤمن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا
يستحقه كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضا دينه
على وجه الخروج منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر
والمكافاة ان المكافاة من التكافى وهو التساوى وليس كذلك
الشكر ففى المكافاة للنعمة دلالة على انه قد استوفى حقها وقد يكون
الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه
كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لان الواجب
لا يكون الا متناهيا وذلك كالشكر لنعمة الله لو استكثر به غاية
الاستكثار لم يكن لينتهى الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم نعمة
الله سبحانه وصغر شكر العبد واذ آتينا موسى
الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون آية
الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين افرق فرقا وفرقانا
ويسمى كل فارق فرقانا كما سمى كتاب الله الفرقان لفصله
بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لانه فرق
فى ذلك اليوم بين الحق والباطل وسمى الله تعالى وقال ان

تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا اى يفرق بينكم وبين ذنوبكم
واذكروا اتينا اى اعطينا موسى الكتاب وهو التورية والفرقان
اختلفوا فيه على وجوه احدها وهو قول ابن عباس ان المراد
به التورية ايض وانما عطفه عليه لاختلاف اللفظين كقول
عنترة اقوى واقفر بعد ام الهيثم وقول عدى بن زيد
وقدمت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبًا ومينا والمين
الكذب وثانيها ان الكتاب عبارة عن التورية والفرقان
انفراق البحر الذى اتاه موسى ع وثالثها ان المراد بالفرقان
الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى ع واصحابه
المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين باشياء كثيرة
منها انه نجى هؤلاء واغرق هؤلاء ورابعها ان المراد بالفرقان
القران ويكون تقديره واتينا موسى التورية واتينا محمد
الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف
الشاعر فى قوله تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان
له وفر يريد وتفقا عينيه لان الجدع لا يكون للعين فاكتفى بجدع
من تفقا وقال اخر ياليت بعلك قد غدا متقلدا سيفًا ورمحا
اراد وحاملا رمحا وهو قول الفراء وقطرب وثعلب وضعف
قوم هذا الوجه لان فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة
مع انه تعالى اخبر انه اتى موسى الفرقان فى قوله ولقد
اتينا موسى وهرون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون
اى لكى تهتدوا بما فى التورية من البشارة بمحمد صلى الله عليه

واله

واله وبيان صفته وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يَا قَوْمِ
اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلٰى بَارِئِكُمْ
فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية قرا ابو عمرو
بارئكم ويأمركم وينصركم باختلاس الحركة وروى عنه السكون
ايض والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف قال ابو على
حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين احدهما
ما اصله السكون فى الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فما
اصله الحركة يسكن على ضربين احدهما ان تكون حركة بناء والاخر
ان تكون حركة اعراب وحركة البناء يسكن على ضربين احدهما
ان يكون الحركة المسكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسبع وابل و
ضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسبع وابل وضرب وعلم
والاخر ان تكون من كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل
نحو قراءة من قرا ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج فبات
منتصبا وما تكوسا الا ترى ان تقه من يتقه مثل كتف
ومنه قول الشاعر قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولا خلاف فى تجويز
اسكان حركة البناء فى نحو ما ذكرنا من قول العرب والنحويين
واما حركة الاعراب فمختلف فى تجويز اسكانها فمن الناس من
من يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كان علما للاعراب و
اما سيبويه فيجوز ذلك ولا يفصل بين القبيلين وروى قول
امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله

ولا واغل وقول الآخر وقد بدا هنك من المئزر ومن هذا النحو
قول جرير سيروا بني العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى ولا
تعرفكم العرب فشبه ما يدخل على المبني كما شبهوا حركات المبني
بحركات الاعراب فمن ثم ادغم نحو رد وفر وعض كما ادغموا
نحو يرد ويفر ويعض واعلم ان الحركات التي تكون للبناء و
الاعراب قد يستعملون في الضمة والكسرة منها الاختلاس
والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتمطيط فاما الفتحة و
ليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جبل كما خفف نحو
سبع وكتف وعلى هذا المذهب حمل سيبويه قول ابي عمرو
الى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبعها فهو
بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا
النحو فلعله سمعه يختلس فحسبها اسكانا لضعف الصوت
به والخفاء وعلى هذا قوله ولا يامركم وغيره البارئ
هو الخالق الصانع وبرأ الله الخلق يبرأهم برءا اي خلقهم
قال امية ابن الصلت الخالق البارئ المصور في الارحام
ماء حتى يصير دما والفرق بين البارئ والخالق ان البارئ
هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال
وبرأ وبرئ من المرض يبرأ برءا فهو بارئ والبراءة من العيب
والمكروه لا يقال منه الا برئ بالكسر وفاعله برئ ورجل
براء بمعناه وامرأة براء ونسوة براء واما قوله انا براء فهو جمع
برئ واصل الباب انفصال الشيء من الشيء ومنه برأ الله

من الخلق

من الخلق اي فطرهم كانهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية
فعيلة بمعنى مفعول ولا تهمز كما لا يهمز ملك وان كان اصله
الهمزة وقيل البرية مشتقة من البرى وهو التراب فلذلك لم يهمز
وقيل ماخوذة من بريت العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح
والموت نظاير والفرق بينها ان القتل نقض بنية الحيوة والذبح
فري الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحيوة
والقتل العدو وجمعه اقتال والقتال النفس وناقة ذات قتال
اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء علما اذا ايقنته وتحققته
وفي المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها وتقتلت
الجارية للفتى حتى عشقها كانها خضعت له قال تقتلت لي حتى
اذا ما قتلتني تنسكت ما هذا بفعل النواسك يا قوم
القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لانه منادى مضاف والنداء
باب حذف فحذف الياء لانه حرف واحد وهو في آخر الاسم
كما ان التنوين في آخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولما كانت ياء
الاضافة قد تحذف في غير النداء لزم حذفه في النداء ويجوز
في الكلام اربعة وجوه يا قوم كما قرئ ولا يجوز غيره في القرآن
لان القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكم باثبات الياء و
اسكانه ويجوز يا قومي باثبات الياء وتحريكه فهذه ثلثة اوجه
في الاضافة ويجوز يا قوم على انه منادى مفرد واما قوله يا ليت
قومي فان الياء تثبت فيه لانه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما
لحق في النداء واذ قال موسى لقومه الذين عبدوا

العجل عند رجوعه اليهم يا قوم انكم ظلمتم انفسكم اى اضررتم
بانفسكم و وضعتم العبادة غير موضعها باتخاذكم العجل
معبودا وظلمهم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم ان يفعلوه
مما يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه فتوبوا الى باريكم اى ارجعوا
الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد وجعل توبتهم الندم
مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضمار واختصار كانه لما قال
لهم فتوبوا الى باريكم قالوا كيف قال فاقتلوا انفسكم اى ليقتل
بعضكم بعضا بقتل البرئ المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه استسلموا
للقتل بجعل استسلامهم للقتل منهم لانفسهم على وجه التوسع
عن ابن اسحق واختاره الجبائي واختلفوا في المامور بالقتل
فروى ان موسى ع امرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا
اكفانهم وجاء هرون باثنى عشر الفا ممن لم يعبدوا العجل
ومعهم الشفا والمرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين
الفا تاب الله على الباقين وجعل قتل الماضين شهادة لهم
وقيل ان السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين
قتلوا ممن عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفين
فجعل يطعن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين الفا وقيل
غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلت الظلمة
فاجلوا عن سبعين الف قتيل وروى ان موسى وهرون

وقفا

وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضا حتى
نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب
في امرهم بقتل انفسهم ان الله تعالى علم ان ناسا منهم ممن لم
يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بان العجل
باطل فلذلك ابتلاهم الله بان يقتل بعضهم بعضا وانما امتحنهم
الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والايات
العظام قال الرماني لا بد ان يكون في الامر بالقتل لطف لهم
ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره فان قيل
كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم
بعد القتل واللطف لا يكون لطفا فيما مضى ولا فيما يقارنه
فالجواب ان القوم اذا كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا فكل واحد
منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفا
له فيما بعد ولو كان يمتد زمانا يفعل فيه واجبا واحدا او
يمتنع عن قبيح وهذا كما يقول في عبادتنا بقتال المشركين وان الله
تعبدنا بان نقاتل او نقتل ويمدحنا على ذلك وكذلك روى
اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بان يصبروا على
القتل حتى يقتلوا بعضهم بعضا فكان القتل شهادة لمن بقي و
انما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا نفوسهم بايديهم
ولو صح ذلك لم يمتنع ان يكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم
الجراح التي تفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فيبقى زمانا
واما على القول الآخر وهو انهم امروا بالاستسلام للقتل و

والصبر عليه فلا مسئلة لانهم ما امروا بقتل نفوسهم فعلى هذا
يكون قتلهم حسنا لانه كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له و
لذلك نقول لا يجوز ان تتعبد نبى ولا امام بان يستسلم للقتل
مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه لان فى ذلك استسلاما
للقبح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل
الانبياء والائمة عليهم السلام على وجه الظلم وارتفاع التمكن
من المنع غير انه لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة
فى ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان قبيحا بحكم العقل
فهو مما يجوز بغيره بان يصير حسنا لانه جار مجرى ساير الالام
وليس يجرى مجرى الجهل والكذب فى انه لا يصير حسنا قط
ووجه الحسن فى القتل انه لطف على ما قلنا وايض فكما يجوز
من الله تعالى ان يميت الحى فكذلك يجوز ان يامرنا باماتة
ويعوضه على الالام التى تدخل عليه ويكون فيه لطف على ما
ذكرناه وقوله ذلكم خير لكم عند بارئكم اشارة التوبة مع
القتل لانفسهم على ما امرهم الله به بدلالة قوله فتوبوا الى
بارئكم فاقتلوا انفسكم فقوله توبوا دال على التوبة فكانها
مذكورة وقوله واقتلوا انفسكم دال على القتل فكانه قال
ان التوبة وقتل النفس فى مرضات الله تعالى كما امركم به
وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عند خالقكم من ايثار
الحيوة الدنيا لان الحيوة الدنيا لا تبقى بل تفنى وتحصلون
بعد الحيوة على عذاب شديد واذا قتلتم انفسكم كما امركم الله

تعالى

تعالى به زالت مشقة القتل عن قريب وبقيتم فى نعيم دائم
لا يزول ولا يبيد وكرر ذكر بارئكم تعظيما لما اتوبه مع كونه خالقا
لهم وقوله فتاب عليكم هنا اضمار تقديره ففعلتم ما امرتم به
فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اى قبل توبتكم
انه هو التواب اى القابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة و
قيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام الرحيم يرحمكم اذا تبتم
ويدخلكم الجنة وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى
نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ
آية لن نؤمن لك اى لن نصدقك يقال آمن به و
آمن له بدلالة قوله قال فرعون آمنتم به وفى موضع آخر آمنتم
له والرؤية الادراك بالبصر ثم تستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره
رؤية ورأى من الرأى رأيا ورأيت رؤيا حسنة والرواء
المنظر فى البهاء والجمال والمراة التى ينظر فيها وجمعها المراءى
وترائيت بالمراة اذا نظرت فيها وجاء فى الحديث لا يتراءى
احدكم بالماء اى لا ينظر فيه ويتراءى القوم اذا راى بعضهم
بعضا وتراءى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون
الهمزة من رأيت فى كل كلمة تكون راؤها ساكنة تقول رأيت
ارى والا اراى وارأيته فلانا اريه فانا مرى وهو مرى
والاصل ارأى وارأيته واثبتوها فى موضعين مرأى وارأت
الناقة او الشاة اذا عرف فى لون ضرعها انها قد اقربت
والرأى حسن الشارة والهيئة قال جرير وكل قوم لهم رئى ومختبر

وليس في نغلب رأى ولا خبر والجهر والعلانية والمعاينة
نظاير يقال جهر بكلامه وبقراءته جهرًا اذا اعلن ورجل جهير
ذو رواء وكلام جهير وصوت جهير اى عال والفعل منه جهر
جهارة وجهرني الرجل اى راعني جماله وضد الجهر السر واصل
الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشئ معاينة والفرق
بين الجهرة والمعاينة ان المعاينة ترجع الى حال المدرك والجهرة
ترجع الى حال المدرك وقد يكون الرؤية غير جهرة كالرؤية
في النوم والرؤية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الا رؤية
العين على التحقيق دون التخييل والصاعقة على وجهين
احدهما نار تسقط من السماء كقوله ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء والثاني الموت في قوله فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود حتى نرى حتى بمعنى الى وهي
الجارة للاسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل
بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تاويل المصدر وفي موضع
جر بحتى ثم ان الجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول
لن نؤمن وجهرة مصدر وضع موضع الحال واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك اى لن نصدقك فيما تخبر به من صفات
الله تعالى وما يجوز عليه جهرة اى علانية فيخبرنا بانك نبي
مبعوث وقيل معناه انا نصدقك في قولك انك نبي مبعوث
حتى نرى الله جهرة اى علانية فيخبرنا بانك نبي مبعوث وقيل معناه
انا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه

حتى

حتى نرى الله جهرة وعيانا فيخبرنا بذلك وقيل انه لما جاءهم
بالالواح وفيها التورية قالوا لن نؤمن بان هذا من عند الله
حتى نراه عيانا وقال بعضهم ان قوله جهرة صفة لخطابهم
لموسى انهم جهروا به واعلنوه وتقديره واذ قلتم جهرة لن نؤمن
لك حتى نرى الله والاول اقوى فاخذتكم الصاعقة اى الموت
وانتم تنظرون الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما فرّع
الله سبحانه اليهود لسؤال اسلافهم الرؤية من حيث انهم
سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه و
التصديق بجميع ما اتى به وجروا على عادة اسلافهم الذين كانوا
يسالون تارة نبيهم ان يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون
العجل من دون الله وطورًا يقولون لن نؤمن لك حتى نرى الله
واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان الرؤية لا تجوز
على الله تعالى قال لانها انكار تضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويز
الرؤية على ربهم ويؤيد ذلك قوله فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين
وتدل هذه الآية ايضا على ان قول موسى عليه السلم رب ارني
انظر اليك كان سؤالا لقومه لانه لا خلاف بين اهل التورية
ان موسى ع لم يسال الرؤية الا دفعة واحدة وهي التي سالها لقومه

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

آية البعث اثارة الشئ من محله ومنه يقال بعث
فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير وبعثت فلانا

لحاجتي اذا اقمته من مكانه الذى هو فيه للتوجيه اليها ومنه
يقال ليوم القيمة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم
لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اى نبهته فانتبه
والبعث الجند يبعثون الى وجه او فى امر واصل البعث الارسال
ثم بعثناكم اى ثم احييناكم من بعد موتكم لاستكمال
اجالكم عن الحسن وقتاده وقيل انهم سألوا بعد الافاقة
ان يبعثوا انبياء فبعثهم الله انبياء عن السدى فيكون معناه
بعثناكم انبياء واجمع المفسرون الا شرذمة يسيرة ان الله
تعالى لم يكن امات موسى ع كما امات قومه ولكن غشى عليه
بدلالة قوله تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك
والافاقة انما تكون من الغشيان وقوله لعلكم تشكرون
اى لكى تشكروا الله على نعمة التى منها رده الحيوة اليكم وفى هذا
اثبات المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وآله واحتجاج على مشركى
العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكر
لهم من اخبار الذين بعثهم الله تعالى فى الدنيا فكان
يوافقه على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب
ان يكون هؤلاء القوم وان اماتهم الله سبحانه ثم احياهم
غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم
الى معرفته عند الموت بدليل ان الله تعالى اعادهم الى التكليف
والمعرفة فى دار التكليف لا تكون ضرورية بل تكون مكتسبة
ولكن موتهم انما كان فى حكم النوم فاذهب الله عنهم الروح

من غير مشاهدة منهم لاحوال الآخرة وليس فى الاحياء بعد
الاماتة ما يوجب الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه
الاية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز الا فى
زمن النبى ليكون معجزا له ودلالة على نبوته باطل لان عندنا
بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات على ايدى الائمة والاولياء
والادلة على ذلك مذكورة فى كتب الاصول وقال ابو القاسم
البلخى لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها لان فيها اغراء بالمعاصى من
جهة الاتكال على التوبة فيها فى الكرة الثانية وجوابه ان من يقول
بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء
بان يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز
ان لا يرجع وذلك يكفى فى باب الزجر وظللنا
عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من
طيبات الرزق ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون اية الظلة والغمام والسترة نظاير
يقال ظلله تظليلا والظل ضد الضحى ونقيضه وظل الشجرة سترها
ولا ازال الله عنا ظل فلان اى ستره ويقال لسواد الليل ظل لانه
يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام
السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمى غماما لانه يغم السماء
اى يسترها وكل ما ستر شيئا فقد غمه وقيل هو ما ابيض من
السحاب والغمة الغطاء على القلب من الغم وفلان فى غمة من امره
اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا يستثيبه والاسم المنة

والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه اجر
غير ممنون اى مقطوع والمنه قوة القلب وفلان ضعيف المنه
واصل الباب الاحسان فالمن الذى كان يسقط على بنى اسرائيل
هو مما من الله عليهم اى احسن به اليهم والسلوى طاير كالسمانى
قال الاخفش هو للواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده
سلواة قال كما انتقض السلواة من بلل القطر قال الزجاج غلط
خالد بن زهير فى قوله وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى
اذا ما نشورها فظن ان السلوى العسل وانما هو طاير قال
ابو على الفارسى وقرى على الزجاج فى مصنف ابى عبيد انه
العسل قال والذى عندى فيه ان السلوى كانه ما يسلى على
غيره لفضيلة فيه من قرطبيه او قلة معاناة وعلاج فى اقتنائه
فالعسل لا يمتنع ان يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمى الطاير
الذى كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان
يسلو سلوا اذا تسلى عنه وفلان فى سلوة من العيش اذا
كان فى رغد يسليه الهم والسلوان ما من شربه ذهب
غمه فيما زعموا قال لو اشرب السلوان ما سليت
موضع
كلوا نصب بمحذوف كانه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى
نصب لانه معطوف على المن وقوله وما ظلمونا
ق
ظللنا عليكم الغمام اى جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة تقيكم
حر الشمس فى التيه عن جماعة المفسرين وانزلنا عليكم المن فيه
وجوه احدها انه المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن

عباس

عباس وثانيها انه شى كالصمغ كان يقع على الاشجار طعمه
كالشهد والعسل عن مجاهد وثالثها انه الخبز المرقق عن وهب
ورابعها انه جميع النعم التى اتتهم مما من الله تعالى به عليهم مما
لا تعب فيه ولا نصب وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والسلوى قيل هذا السمانى
وقيل هو طاير ابيض يشبه السمانى عن ابن عباس وقوله كلوا
من طيبات ما رزقناكم اى اعطيناكم وجعلناه رزقا لكم
وقوله وما ظلمونا اى فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم
انعمنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ينقصون وقيل معناه ما
ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون وهذا يدل على ان الله تعالى
لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وانما
يعود منفعة الطاعة الى المطيع ومضرة المعصية الى العاصى
وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه
اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله
ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا فى التيه صاروا كلما ساروا
تاهوا فى قدر خمسة فراسخ او ستة وكلما اصبحوا وساروا غادين
فامسوا فاذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه كذلك حتى تمت
المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفى التيه توفى موسى وهرون
ثم خرج يوشع ابن نون وقيل وكان الله تعالى يرد الجانب الذى
انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذى ساروا منه فكانوا

يضلون عن الطريق لأنهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا
كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقدار من الارض
ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالغمام
لما شكوا حر الشمس وانزل عليهم المن والسلوى فكان يسقط عليهم
المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك فكانوا
ياخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلم
كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس
فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم
في ذلك الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جريج وكان الرجل
منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد
فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا ليوم الجمعة والسبت لانه
لو كان لا ياتيهم يوم السبت وكانوا يخبزونه مثل القرصة
ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان الله تعالى يبعث
لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم
بالليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج واذا
ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد
وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ آية
قراء ابو جعفر ونافع يغفر بالياء مضمومة وقراء
ابن عامر تغفر بالتاء مضمومة والباقون نغفر لكم بالنون

وهو

وهو الاختيار لانه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا
ولان اكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام
الا ما روي عن ابي عمرو وفي رواية اليزيدي الاستجادة من
ادغامه الراء في اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا وان
اختلفوا في الاعراف ونوح فقراء بعضهم هناك خطيئاتكم
وذلك لان الياءين في الاعراف ونوح كتبتا في المصحف بغير
الالف وههنا كتبت بالالف
الدخول والولوج
والاقتحام نظاير والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام
دخول على صعوبة وفي الامر دخل اي فساد ودخل امره
اذا فسد وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم و
اطلعته على دخلة امري اذا بينته مكنونك وفلان مدخول
اذا كان في عقله او حسبه دخل والقرية والمدينة والبلدة
نظاير قال ابو العباس اصله الجمع وقريت الماء في الحوض اقريه
قريا وقريت الضيف اقريه قرى والمقراة الجفنة التي يعد
فيها الطعام للاضياف قال عظام المقاري جارهم لا يفزع
وقال الخليل القرية والقرية لغتان والكسر لغة يمانية و
القري الطهر من كل شيء وجمعه الاقرى والسجود شدة الانحنا
ومنه السجد من النساء وهي الفاترات الاعين قال الشاعر
ولهوى الى حور المدامع سجد وقال الاخر ترى الاكم فيها
سجدا للحوافر وحطة مصدر مثل ردة وحدة من رددت
وحددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب و الحط

والوضع والخفض نظاير والحط الحدر من العلو قال امرؤ القيس
كجلمود صخر حطه السيل من عل وجارية محطوطة المتنين
ممدودة حسنة والغفران والعفو والصفح نظاير يقال غفر الله
له غفرانا اى ستر الله على ذنوبه فالغفر التغطية وثوب ذو غفر
اذا كان له زئبر يستر نسجه ويقال المغفر لتغطية العنق و
الغفير والمغفرة بمعنى والغفارة خرقة تلف على سية القوس
والمغفور والمغفار صمغ العرفط واغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه
ومنه الحديث انه عليه السلم دخل على عايشة فقالت يا
رسول الله اكلت مغافير يعنى هذا الصمغ ومنهم من يقول
مغاثير كما قيل جدث وجدف ويقال جاء الجماء الغفير
وجاء واجما غفيرا وجماء الغفير اى مجتمعون جميعا يغطى الارض
والغفر ولد الاروى لانه ياوى الجبال ويستتر عن الناس
ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اى استر له واصل
الباب الستر وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة
والزلة والمعصية نظاير يقال خطئ الشيء خطأ اذا لم يرده
اصابه واخطأه اخطاء اذا اراده فلم يصبه والاول خاطئ
والثانى مخطئ والخطيئات جمع خطية مثل صحيفات جمع
صحيفة وسفينات جمع سفينة والخطايا ايضا جمع خطيئة و
المحسن الفاعل للاحسان او الفاعل للحسن يقال احسن الى
غيره واحسن فى فعله والفرق بينهما ان احسن اليه لا يقال
الا فى النفع فلا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال

احسن

احسن فى تعذيبهم بالنار بمعنى احسن فى فعله وتدبيره ويقال
امراة حسنا ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة
هو الفعل الذى يدعو اليه العقل وضده القبيح وهو الفعل
الذى يزجر عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد
الاساءة هو الضرر القبيح وهذا انما يصح على مذهب من يقول
ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب
اليه يزيد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى
فى حد الحسن ان يقال هو الفعل الذى اذا فعله العالم به على
وجه لم يستحق الذم   حيث ظرف مكان مبنى على الضم
وذكرنا الوجه فى بنائه فيما قبل والجملة بعده فى تقدير المضاف
اليه ومما يسئل فيه ان يقال كيف بنى على الضم وهو مضاف
الى الجملة على التشبيه بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد
وجوابه ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يمتنع ان يكون شبه
قبل ونحوه قايما فيه لانه قد منع الاضافة الى المفرد وان كان
قد اضيف الى الجملة وحق الاضافة ان يقع الى المفرد واذا كان
كذلك وكان المضاف اليه محذوف منه كقبل وبعد هذا
على قول من بناه على الضم ومن بناه على غير الضم فقال حيث
فلا يدخل عليه هذا السؤال ولا يجوز فى القرآن الا الضم واما
حطة فانما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسئلتنا
حطة اى حط ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب
سجدا حطة لذنوبنا ولو جاز قراته بالنصب لكان وجها فى العربية

حُطّ عنا ذنوبنا حطة كما يقال سمعًا وطاعة اى اسمع سمعًا واطيع
طاعة ومعاذ الله اى نعوذ بالله معاذا وقوله نغفر لكم مجزوم
لانه جواب لامر وانما الجزم بالشرط فان المعنى ان تقول نغفر
لكم فحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه ووقوع الامر فى الكلام و
طوله به وحسن حذفه معه لانه صار كالمعاقب له من حيث
اجتمعا فى انهما غير موجبين وغير خبرين وهذا كما يحذف المبتدا
لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضا لدلالة الشرط عليه فى
نحو قولهم انت ظالم ان فعلت كما يحذف المبتداء لدلالة المبتدا
عليه قال سيبويه كان اصل خطايا خطائى مثل خطايع فابدل
من الياء همزة فصار خطائى مثل خطاعع فيجتمع همزتان فقلبت
الثانية فصار خطائى مثل خطايع فابدل من الياء همزة ثم
قلبت الياء والكسرة الى الالف والفتحة فقيل خطااا مثل
خطاعى كما فعل بمدارى فقيل مدارى ثم استثقل همزة بين
الفين لان الهمزة مجانسة للالفات فكان كانما اجتمعت
ثلثة الفات فابدلت الهمزة ياء فقيل خطايا وقال الخليل
اصل خطايا فعايل فقلبت الى فعالى ثم قلب بعد على ما
تبينت فى المذهب الاول وانما اعل هذه الاعلال لان
الهمزة التى بعد الالف عارضة غير اصلية ويقول فى جمع
مرآة مرائى فلا تعل لان الهمزة عين الفعل   اجمع
المفسرون على ان المراد بالقرية ههنا بيت المقدس ويؤيده
قوله فى موضع اخر ادخلوا الارض المقدسة وقال ابن زيد

انها

انها اريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها بقايا من
قوم عاد وهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق يعود اذ كروا
اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم اى اين
شئتم رغدا اى موسعًا عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام
القرية بعد المن والسلوى وقد قيل ان هذه اباحة لهم منه
لغنايمها وتملك اموالها تماما للنعمة عليهم وادخلوا الباب
يعنى الباب الذى امروا بدخوله وقيل هو باب حطة من بيت
المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة
التى كان يصلى اليها موسى ع وبنوا اسرائيل وقال قوم هو باب
القرية التى امروا بدخولها قال ابو على الجبائى والاية على قوم
من يزعم انها باب القبة اول منها على قول من يزعم انه
باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية فى حيوة موسى واخر الاية
يدل على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امروا به
فى ايام موسى لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل
لهم والعطف بالفاء التى هى للتعقيب من غير تراخى يدل على ان
هذا التبديل منهم كان فى اثنى الامر فدل ذلك على انه كان فى
حيوة موسى وقوله سجدا قيل معناه ركعا وهو شدة الانحناء
عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متوا   ضعين
يدل عليه قول الاعشى يراوح من صلوات المليك طودا
سجودا وطورا جوارا وقيل معناه ادخلوا الباب فاذا
دخلتموه فاسجدوا الله سبحانه شكرا عن وهب وقوله حطة

قال الحسن وقتاده واكثر اهل العلم معناه حطة عنا ذنوبنا
وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امروا ان يقولوا هذا
الامر حق وقال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط
الذنوب وكل واحد من هذه الاقوال مما يحط الذنوب فيصح
ان يترجم عنه بحطه وروى عن الباقر عليه السلام انه قال نحن
باب حطتكم وقوله نغفر لكم خطاياكم اى نصفح ونعف عن
ذنوبكم وسنزيد المحسنين اى وسنزيدهم على ما يستحقونه
من الثواب تفضلا كقوله تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله وقيل ان المراد به ان يزيدهم الاحسان على ما سلف
من الاحسان بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

اية   التبديل تغيير الشيء الى غير حاله والرجز بكسر الراء
العذاب فى لغة اهل الحجاز وهو غير الرجس والرجز لغتان
لان الرجس النتن وقال النبي صلى الله عليه واله فى الطاعون
انه رجز عذب به بعض الامم قبلكم وقال ابو عبيده الرجس و
الرجز لغتان مثل البزاق والبساق والزدغ والسدغ والرجز
بضم الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق ويفسق والضم اشهر
وعليه القراءة ومعنى الفسق فى اللغة الخروج من العقيدة و
كل من خرج عن شيء فقد فسق الا انه فى الشرع مخصوص
بالخروج عن امر الله تعالى او طاعته   غير الذي انتصب

غير بانه صفة لقول واصل غير ان يكون صفة تجري مجرى مثل
واذا اضيفا الى المعارف لم يتعرفا لما فيهما من الابهام لان مثل
الشيء يكون على وجوه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون شيئا كثيرة
مختلفة   ثم تبين سبحانه وتعالى انهم قد عصوا فيما امروا
به فقال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اى بخلاف الذين
عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه وغيروا ما امروا
به فقالوا غير ذلك واختلف فى ذلك الغير فقيل انهم قالوا
بالسريانية هطا سمقاتا ومعناه حنطة حمراء فيها شعرة وكان
قصدهم فى ذلك الاستهزاء وقال بعضهم حنطا سمقاتا ومخالفة
الامر وقيل انهم قالوا حنطة تجاهلا واستهزاء وكانوا قد
امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطئ لهم الباب ليدخلوه
كذلك فدخلوه زاحفين على استاههم فخالفوا فى الدخول
ايضا وقوله فانزلنا على الذين ظلموا اى فعلوا ما لم يكن لهم
فعله من تبديلهم ما امرهم الله به بالقول والفعل رجزا اى
عذابا من السماء عن ابن عباس وقتاده والحسن بما كانوا
يفسقون اى بكونهم فاسقين اى بفسقهم كقولك ذلك بما
عصوا اى بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات
منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبرائهم و
شيوخهم وبقي الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كانه
يشير الى انهم عوقبوا باخراج الافاضل من بينهم

اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من
رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين اية
الاستسقا طلب السقيا ويقال سقيته واسقيته بمعنى وقيل
سقيته من سقي الشفه واسقيته دللته على الماء ويقال عصا و
عصوان وثلث اعص وجمعه عصي والانفجار الانشقاق و
الانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاسا ثم تصير انفجارا
والعين من الاسماء المشتركه فالعين من الماء مشبهه بالعين
من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من تيك وبلد
قليل العين اى قليل الناس وما بالدار عين متحركه اليا
والعين مطر ايام لا يقلع والعين الذهب والعين للميزان
وعين الشمس والعين المتجسس للاخبار وتقدم ذكر ناس
وانه لا واحد له من لفظه ولا تعثوا اى ولا تفسدوا
ولا تطغوا والعثاء شدة الفساد يقال عثا يعثو عثوا وعثى
عثا وعاث يعيث عثا وعيوثا وعيثانا قال ذوبة وعاث
فينا مستحل عايث اذ متعلق بكلام محذوف فكانه
قال واذكروا اذ استسقى ويجوز ان يكون معطوفا على ما
تقدم ذكره في الايات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة عينا
الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة
والكسر لغة ربيعة وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز قال ابن
جنى ان الفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات وذلك ان

لغة

لغة اهل الحجاز في غير العدد في نظير عشرة عشرة فيقولون نبقه
وفخذ يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنون فيقولون نبقة وفخذ
فلما ركب الاسمان استحال الوضع فقال بنو تميم احدى عشرة
وثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا
منصوب على التمييز والاسم الثاني من اثنتا عشرة قام مقام
النون في عشرون بدلالة سقوط النون من اثنان وان عشرة
يعاقبها وكذلك التقدير في جميع ذلك وهو الثلثة والثلث
من ثلثة عشر وثلث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون
فيها نون فقام عشر مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين واذا
لم يدخلها تنوين لم يبنى ومفسدين منصوب على الحال
ثم عد سبحانه وتعالى على بنى اسرائيل نعمة اخرى
اضافة الى نعمه الاولى فقال واذ استسقى موسى اى سال
موسى ان يسقى قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكر
المسؤول ذلك اذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى
ما ترك وكذلك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
لان معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب
موسى الحجر لان فيما ابقاه من الكلام دلالة على ما القاه
وهذا كما يقال امرت فلانا بالتجارة فاكتسب مالا اى فاتجر فكسب
مالا وقوم موسى هم بنى اسرائيل وانما استسقى لهم ربهم
الماء في الحال التي ناهو فيها في التيه فشكوا اليه الظما فاوحى
الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفه

وكان من آس الجنة دفعه اليه شعيب وكان آدم عليه السلم
حمله من الجنة معه الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول
موسى وله شعبتان يتقدان فى الظلمة نورًا وبه ضرب البحر
فانفلق وهو الذى صار ثعبانا واما الحجر فاختلف فيه قيل
كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجارة فينفجر عيونا لكل سبط عينا
وكانوا اثنا عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول الى السبط الذى
امر بسقيهم عن وهب بن منبه وقيل كان حجرا بعينه خفيفا
اذا رحلوا حمل فى مخلاة فاذا نزلوا ضربه موسى عليه السلم بعصاه
فانفجر منه الماء عن ابن عباس وهذا اولى الدلالة الالف
واللام للعهد عليه وقيل كانت حجرة فيها اثنتا عشرة حفرة و
كان الحجر من الكذان وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب
فرات فياخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه
فيذهب الماء وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت منه فى كل
يسقى كل يوم ستمائة الف عن روق وروى انه كان حجرا مربعا
وروى انه كان مثل شكل الراس وكان موسى اذا ضربه بعصاه
انفجرت منه فى كل ناحية ثلث عيون لكل سبط عين وكانوا
لا يرتحلون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذى
كان به منهم فى المنزل الاول وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا الاينافى قوله قوله سبحانه فى سورة الاعراف فانبجست
لان الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اقل وقيل
انه اول ما يضرب عليه العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير
انفجار

انفجارا وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان
ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله قد علم كل اناس مشربهم
اى علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله كلوا واشربوا اي
قلنا لهم كلوا واشربوا وهذا كلام مبتداء وقوله من رزق الله اي
كلوا من النعم التى من الله تعالى لها عليكم من المن والسلوى وغير
ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى ياتيكم بلا
مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما للمرزوق ان ينتفع به
وليس لاحد منعه منه لا تعثوا فى الارض فسادا وانما قال لا تعثوا
فى الارض مفسدين وان كان العثى لا يكون الا فسادا الا انه يجوز
ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين ان فعلهم
هو العبث الذى هو الفساد ظاهرا وباطنا ومتى سئل فقيل
كيف يجتمع ذلك الماء الكثير فى ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك
الجواب ان ذلك من ايات الله الباهرة والاعاجيب الظاهره
الدالة على انها من فعل الله تعالى المنشئ للاشياء القادر على
ما يشاء الذى تذل له الصعاب ويتسبب له الاسباب
فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع خلق المياه
الكثيرة ابتداء معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن
استبعد ذلك من الملحدة الذين ما قدروا الله حق قدره
ولم يعرفوه حقيقة معرفته فالكلام عليهم انما يكون فى وجود
الصانع واثبات صفاته واتساع مقدوراته ولا معنى
للتشاغل بالكلام معهم فى الفرع مع خلافهم فى الاصل

وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ
فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي
هُوَ اَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُا بِغَضَبٍ
مِنَ اللّٰهِ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ آية

قراء اهل المدينة النبيين بالهمز والباقون بغير همز

قال ابو على الحجة لمن همز النبى ان يقول هو اصل الكلمة الا
ترى ان ناسا من اهل الحجاز حققوا الهمزة فى الكلام ولم يبدلوه
فلم يكن كماصى يدع ونحوه مما رفض استعماله فاما ما روى
فى الحديث من ان بعضهم قال يا نبئ الله فقال صلى الله عليه
واله لست بنبئ الله ولكن نبى الله فاظن ان من اهل النقل من
ضعف اسناد الحديث ويقوى ضعفه ان من مدح النبى صلى الله عليه وآله
فقال يا خاتم النبآء انك مرسل بالحق خير هدى الاله
هدا كا لم يؤثر عليه انكار عليه فيما علمنا ولو كان فى واحده
نكير عنده لكان الجمع كالواحد وحجة من ابدل ولم يحقق مجئ
الجمع فى التنزيل على انبياء الذى هو فى اكثر الامر للمعتل اللام
نحو صفى واصفياء وغنى واغنياء فدل على ان الواحد قد
الزم فيه البدل فاذا الزم فيه البدل ضعف فيه التحقيق ولا
يجوز ان يكون اشتقاق النبى من النبوة التى هى الارتفاع

اومن النباوة لان سيبويه حكى ان جميع العرب يقولون تنبّأ
مسيلمة بالهمز فدل على ان اصله الهمز وقال الزجاج يجوز ان
يكون نبى من انبات فترك همزه لكثرة الاستعمال ويجوز ان
يكون من نبا ينبو اذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة
الطعام ما يتغذى به والطعم بضم الطاء الاكل والطعم بفتحها
الذوق والطعام من قبيل الاجناس والواحد اول عدد الحساب
وحده ما لا يتجزى والله عز اسمه واحد لتفرده بصفات الحسنى
والدعاء اصله النداء عن ابن السراج وكل من يدعو ربه فهو
يناديه وحقيقة الدعاء قول القائل لمن فوقه فعل والفرق بينه
وبين الامر نظيره بالرتبة والانبات اخراج النبات واصله
من الظهور فكانه ظهر اذا نبت والبقل ما ينبته الربيع يقال
بقلت الارض وابقلت لغتان فصيحتان اذا انبتت البقل
فالبقل كل نبات ليس له ساق والقثاء فيه لغتان ضم القاف
وكسرها والكسر اجود وهى لغة القرآن وقد روى عن عيسى الثقفى
فى الشواذ بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقتاده و
السدى وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم وانشد ابن
عباس قول احيحه ابن الجلاح قد كنت اغنى الناس شخصا
واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفراء والازهرى
هو الحنطة والخبز يقول العرب فوّموا لنا اى اختبزوا لنا
وقال قوم هو الحبوب التى تختبز وقال الكسائى هو الثوم ابدل
من الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف وقال الفراء وهذا اشبه

بما ذكره بعده من البصل قال الزجاج وهذا بعيد لانه لا يعرف
الثوم بمعنى الفوم ولان الفوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون
الخبز الذى هو الاصل وهذا ضعيف لانه قد روى فى الشواذ
عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف
وقوله ادنى اى اقرب وادون كما تقول هذا شئ مقارب
او دون ويجوز ان يكون ادنى من الدناءة وهو الخسة يقال
دنو دناءة فهو دنئ وهو ادنى منه فترك همزها وهو اختيار الفرا
وحكى الازهرى عن ابى زيد الدنى بلا همز الخسيس والدنئ بالهمز
الماجن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه
بالعمارة عما سواه ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين
غيره قال عدى بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين
النهار وبين الليل قد فصلا وضربت عليهم الذلة اى فرضت
ووضعت عليهم الذلة والزموها من قولهم ضرب الامام الجزية
على اهل الذمة وضرب الامير على عبيده الخراج وقيل ضربت عليهم
اى حلوا بمنزل الذل والمسكنة ماخوذ من ضرب القباب
قال الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك
به الكتاب المنزل واما الذلة فمشتقة عن قولهم ذل فلان
يذل ذلا وذلة والمسكنة ههنا مسكنة الفاقة والحاجة
وهى خشوعها وذلها وقوله باؤا بغضب اى انصرفوا ورجعوا
ولا يقال باء الا موصولا اما بخير او بشر واكثر ما يستعمل فى
الشر ويقال باء بذنبه يبوء به قال المبرد واصله المنزلة اى نزلوا
منزلة

منزلة غضب الله وروى ان رجلا جاء برجل الى رسول الله صلى الله
عليه واله فقال هذا قاتل اخى وهو بواء به اى مقتول به ومنه قول
ليلى الاخيلية فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ما قتلتم آل عوف
ابن عامر وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روى عن
عبادة ابن الصامت قال جعل الله تعالى الانفال الى نبيه فقسمها
بينهم على بواء اى على سواء بينهم فى القسم ومنه قول الشاعر
الى ابوء فيقتل جبرا بامرء لم يكن له بواء لا تكايل بالدم وقال
قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب غضب الله
ومنه قول الشاعر انى ابوء بعثرتى وخطيئتى ربى وهل الا اليك
المهرب والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا
اضيف الى الله تعالى فالمراد به انه يريد انزال العقوبة بالمغضوب
عليه نعوذ بالله من غضبه والنبى اشتقاقه من النباء الذى
هو الخبر كانه المخبر عن الله سبحانه فان قلت لم لا يكون من
النباوة ومما انشده ابو عثمان قال انشدنى كيسان محض الضريبة
فى البيت الذى وضعت فيه النباوة حلوا غير ممذوق فالقول
فيه انه لا يكون منها لان سيبويه زعم انهم يقولون فى تحقير
النبوة كان مسيلمة نبيئة سوء وكلهم يقولون تنباء مسيلمة
فلو كان يحتمل الامرين لما اجمعوا على ذلك قال ابو على ومما يقوى
انه من النباء الذى هو الخبر ان النباوة الرفعة مكانه قال فى
البيت الذى وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد تكون
فى البيت رفعة ليس بنبوة والمخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبى

ورسول فهذا الاسم اخص به واشد مطابقة للمعنى المقصود اذا
اخذ من البناء والاعتداء تجاوز الحد الذى حده الله تعالى لعباده
الى غيره وكل مجاوز حد شى الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه
قوله يخرج لنا نحو قوله قل لعبادى الذين امنوا يقيموا
الصلوة مجزوم لانه جواب امر محذوف لان تقديره ادع لنا
ربك وقل له اخرج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيما قبل ان الاصل فيه
انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لان الكلام يدل عليه وقيل ان
تقديره ان تكون يخرج مجزوما باضمار اللام اى ليخرج لنا نحو قوله
قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة اى ليقيموا فحذف اللام
وانشد ابو زيد فيضحى صريعا ما يقوم لحاجة ولا يسمع الداعى و
يسمعك من دعاء وانشد غيره فقلت ادعى وادع فان ابدى
لصوت ان ينادى داعيان اى لادع وقال اخر محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا اى لتفد قال المبرد حدثنى
المازنى قال جلست فى حلقة الفراء فسمعته يقول لاصحابه لا يجوز
حذف لام الامر فى شعر وانشد من كان لا يزعم انى شاعر فيدن
منى ينهه الزاجر فقلت له لم جاز فى الشعر ولم يجز فى الكلام قال
لان الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال قلت فما اضطره ههنا
وهو يمكنه ان يقول فليدن قال فسال عنى فقيل المازنى فاوسع
لى وقوله مما تنبت الارض من بقلها من هنا للتبعيض لان المراد
يخرج لنا بعض ما تنبته الارض وقال بعضهم ان من ههنا
زايدة نحو قوله ما جاءنى من احد والصحيح الاول لان من لا يزاد

فى الايجاب

فى الايجاب وانما يزاد فى النفى ولان من المعلوم انهم لم يريدوا
جميع ما تنبته الارض ونون جميع القراء مصرا لانه اراد مصرا
من الامصار بغير تعيين لانهم كونوا فى تيه ويجوز ان يكون
المراد مصرا بعينها البلدة المعروفة وصرفه لانه مذكر وروى
عن ابن مسعود انه قراء بغير الالف ويجوز ان يكون اراد مصر
هذه بعينها كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله تعالى امنين وانما
لم يصرفه لانه اسم المدينة فهو مذكر وسمى به مؤنث ويمكن ان
يكون انما نونه من نونه اتباعا للمصحف لانه مكتوب فى المصحف
بالف وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه
والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم واقول فى بيانه ان ذلك
اشارة الى الغضب فى قوله وباؤا بغضب فهو فى موضع الرفع
بالابتداء وان مع صلته من الاسم والخبر فى موضع جر بالباء
والجار يتعلق بخبر المبتدا وهى جملة من الفعل والفاعل حذفت
لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك بما عصوا فان
ما مع صلته فى تاويل المصدر لما عدد سبحانه فى
ما قبل ما اسداه اليهم من النعم والاحسان ذكر ما قابلوا به
تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان
فقال واذ قلتم اى قال اسلافكم من بنى اسرائيل يا موسى لن
نصبر على طعام واحد اى لن نطيق حبس انفسنا على طعام
واحد وان كان طعامهم المن والسلوى وهما شيئان لانه
اراد به ان طعامهم فى كل يوم واحد اى ياكلون فى اليوم

ما كانوا ياكلونه فى الامس كما يقال ان طعام فلان فى كل يوم واحد
وان كان ياكل الوانا اذا حبس نفسه على الوان من الطعام لا
يعدوها الى غيرها وقيل انه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه
فقالوا ذلك فانزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله فادع
لنا ربك اى فسال ربك وادعه لاجلنا يخرج لنا مما تنبته الارض
من البقل والقثاء وما سماه الله مع ذلك وكان سبب سؤالهم
ذلك ما رواه قتاده قال كان القوم فى البريه قد ظلل عليهم
الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك وذكروا عيشا
كان لهم بمصر فسالوه موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان
لكم ما سالتم وتقديره فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم
اهبطوا مصرا وقيل انهم قالوا لا نصبر على الغنى بان يكون جميعا
اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج
لنا مما تنبت الارض ليحتاجوا فيه الى اعوان فيكون الفقير عونا
للغنى وقوله اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير قال
لهم موسى وقيل بل قال الله لهم اتتركون ما اختار الله لكم وتوثرون
ما هو دون واردى على ذلك وقيل انه اراد اتستبدلون ما
تبدلون فى زراعته وصناعته مما اعطاه الله اياكم عفوا من
المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذى هو اقرب اى اقل
قيمة على الذى هو اكثر قيمة واختلف فى سؤالهم هذا هل
كان معصية فقيل لم يكن معصية لان الاول كان مباحا فسالوا
مباحا اخر وقيل بل كان معصية لانهم لم يرضوا بما اختاره الله

لهم

لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو اوجه وقوله اهبطوا مصرا اختلفوا
فيه فقال الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذى خرجوا منه وقال
ابو مسلم اراد بيت المقدس وروى ذلك عن ابن زيد وقال
قتاده والسدى ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعنى ان ما
يسئلونه انما يكون فى الامصار ولا يكون فى المفاوز اى اذا
نزلتهم مدينة ذات طول وعرض فان لكم ما سالتم من نبات
الارض وقد تم الكلام ههنا ثم استانف حكم الذين اعتدوا
فى السبت ومن قتل الانبياء فقال وضربت عليهم الذلة والمسكنة
اى الزموا الذلة الزاما لا تبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشئ فيلزمه
وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
عن الحسن وقتاده وقيل هو الكستيج وزى اليهود عن عطا وقوله
المسكنة يعنى ذى الفقر فترى المثرى منهم يتباءس مخافة ان
تضاعف عليهم الجزية وقال قوم هذه الاية تدل على فضل الغنى
لانه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لان المراد به فقر القلب
لانه قد يكون فى اليهود مياسير ولا يوجد يهودى غنى النفس
وقال النبى صلى الله عليه واله الغنى غنى النفس قال ابن زيد ابدل
الله اليهود بالعز ذلا وبالنعمة بوسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء
لهم بما كفروا باياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما
وباؤا بغضب من الله اى رجعوا منصرفين متحملين غضب الله
وقد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال
قوم الغضب هو ما حل بهم فى الدنيا من البلاء والنقمة بدلا

من الرخاء والنعمة وقال الاخرون هو ما بينا لهم في الاخرة من
العقاب على معاصيهم ثم اشار الى ما تقدم ذكره فقال ذلك
اى ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لاجل انهم
كانوا يكفرون بايات الله اى يجحدون حجة الله تعالى وبيناته
وقيل اراد بايات الله الانجيل والقران ولذلك قال فباؤا
بغضب الاول لكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بكفرهم بمحمد
والقران وقيل ايات الله صفة محمد صلى الله عليه واله وقوله
ويقتلون النبيين بغير الحق اى بغير جرم كزكريا ويحيى و
غيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتل النبيون
بحق لان هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلما
بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به
ومعناه ان ذلك لا يمكن ان يكون عليه برهان وكقول الشاعر
على لاحب لا يهتدى بمناره ومعناه ليس هناك منار يهتدى
به وفى امثاله كثرة وقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ذلك اشارة الى ما تقدم ايضا بعصيانهم فى قتل الانبياء
وتعدوهم فى السبت وقيل بنقضهم العهد واعتدائهم فى
قتل الانبياء والمراد انى فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعصيانهم
امرى وتجاوزهم حدى الى ما نهيتهم عنه سؤال ان قيل
كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء فالجواب
انما جاز ذلك لينال انبياء الله سبحانه من رفع المنازل والدرجات
ما لا ينالونه بغير القتل وليس ذلك بخذلان لهم كما ان التخلية

بين

بين المؤمنين والاولياء والمطيعين وبين قاتليهم ليست بخذلان
لهم وقال الحسن ان الله تعالى لم يامر نبيا بالقتال فقتل فيه
وانما قتل من الانبياء من قتل فى غير قتال والصحيح ان النبى ان
كان لم يؤد الشرع الذى امر بتادية لم يجز ان يمكن الله سبحانه
من قتله لانه لو مكن من ذلك لادى الى ان يكون المكلفين
غير مزاحى العلة فى التكليف وفيما لهم من الالطاف والمصالح
فاما اذا ادى الشرع فيجوز ان يخلى الله بينه وبين قاتليه ولم
يجب عليه المنع من قتله وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه
واله انه قال اختلف بنوا اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة
حتى كثر فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمائتين سنة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آية

قرا نافع بترك الهمزة من الصابين والصابون
فى كل القران والباقون يهمزون ترك الهمزة يحتمل
وجهين احدهما ان يكون من صبا يصبوا اى مال الى الشئ والاخر
قلب الهمزة قال ابو على ولا يسهل ان ياخذه من صبا يصبوا لانه
قد يصبوا الانسان الى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبوه
اليه فاذا بعد هذا وكان الصابئون منتقلين من دينهم
الذى اخذ عليهم الى سواه لم يستقم ان لا يكون من صبات
الذى معناه انتقال من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون

على قلب الهمزة وقلب الهمزة على هذا الحد لا يجيزه سيبويه
الا في الشعر فدل على ان القايل لذلك غير فصيح وانه مخلط
في لغة فالاختيار الهمز ولانه قراءة الاكثر والى التفسير اقرب
هادوا اى صاروا يهودا ودانوا باليهودية وهاد يهود هودا
اى تاب واختلف في اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من الهود
اى التوبة ومنه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسموا بذلك
لتوبتهم من عبادة العجل وقال زهير سوى مربع لم يات
فيه مخافة ولا رهقا من عايذ متهود اى تايب وقيل انما سموا
يهودا لانهم نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب فعربت الدال
دالا وقيل انما سموا يهودا لانهم هادوا اى مالوا عن الاسلام
وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لانهم يتهودون اى
يتحركون عند قراءة التورية ويقولون ان السموات والارض
تحركت حتى اتى الله موسى عليه السلام التورية واليهود اسم جمع
واحدهم يهودى كالزنجى والزنج والرومى والروم والنصارى
جمع نصران كقولهم سكران وسكارى وندمان وندامى
هذا قول سيبويه قال الشاعر تراه اذا كان العشى محنفا
يضحى لديه وهو نصران شامس وهو المثلى نصرانا كما ان الغضبان
هو المثلى غضبا وقيل في مونثه نصرانية قال كما سجدت نصرانة
لم تحنف وقيل ان واحد النصارى نصرى مثل مهرى ومهارى
واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من
ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام فنسبوا اليها وقيل

سموا

سموا بذلك لتناصرهم اى نصرة بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك
لقوله عليه السلام من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار
الله والصابيون جمع صابى وهو من انتقل من دين الى دين اخر
وكل خارج من دين كان عليه الى اخر غيره سمى في اللغة صابيا قال
ابو على قال ابو زيد صبا الرجل في دينه يصبو صبوا اذا كان صابيا
وصبا ناب الصبى يصبا صبا اذا طلع وصبات عليهم تصبا
صبا وصبوا اذا طلعت عليهم مثله فكان معنى الصابى التارك
دينه الذى شرع له الى دين غيره كما ان الصابى على القوم تارك
لارضه ومنتقل الى سواها والدين الذى فارقوه هو تركهم
التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون
ولهم مذهب ينفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم
يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء وقال مجاهد و
الحسن الصابيون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدى
هم طايفة من اهل الكتاب يقرون الزبور وقال الخليل هم
قوم دينهم يشبه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب
حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد
هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون
لا اله الا الله ولم يومنوا برسول الله صلى الله عليه واله فمن اجل
ذلك كان المشركون يقولون للنبى صلى الله عليه واله ولاصحابه
هولاء هم الصابيون يشبهونهم بهم وقال اخرون هم
طايفة من اهل الكتاب والفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية

منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا باهل كتاب
خبر ان جملة قوله من امن بالله الاية لان معناه من امن منهم
بالله واليوم الاخر وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم
اجرهم عند ربهم الى الاية فى موضع الجزاء وانما رفع ولا خوف
لتكرر لا كقول الشاعر وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة
لى فى هذا ولا جمل وهذا كانه جواب لمن قال اناقة لك فى هذا
ام جمل فاما النكرة المفردة ففيه الفتح لا غير نحو لا رجل فى الدار وهو
جواب هل من رجل فى الدار وانما قال من امن فوحد ثم قال فلهم
اجرهم فجمع لان من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه
ان الذين امنوا اختلف فى هؤلاء المؤمنين من هم
فقال قوم هم الذين امنوا بعيسى عليه السلم ثم لم يتهودوا ولم
يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه واله
وقيل طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة
وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشنى وابوذر
الغفارى وسلمان الفارسى وبحيرا الراهب ووفد النجاشى
امنوا بالنبى صلى الله عليه واله قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه
ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنوا الامم الماضية وقيل هم
المؤمنون من هذه الامة قال السدى هو سلمان الفارسى و
واصحابه النصارى الذى كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه واله وكانوا قد اخبروه بانه سيبعث
وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختلفوا فى قوله من امن

بالله

بالله واليوم الاخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى
والصابئين والضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين امنوا
ومن امن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الاخر
فلهم بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والاستقامة وترك التبديل
والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استيناف الايمان
بالنبى صلى الله عليه واله وما جاء به وقال بعضهم اراد من امن بمحمد
بعد الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لانه لا يتم احدها الا بالاخر
ونظيره قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل
على محمد وروى عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهذا بعيد لان النسخ لا يجوز
ان يدخل الخبر الذى هو متضمن للوعد وانما يجوز دخوله فى الاحكام
الشرعية التى يجوز تغيرها وتبدلها بتغير المصلحة فالاولى ان
يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها
ثابت والمراد بها ان الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا امنوا بعد
النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن امن
فى اول استدعائه الى الايمان من غير نفاق ولا عناد لان
قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان
ثوابه انقص واجره اقل فاخبر الله بهذه الاية انهم سواء
فى الاجر والثواب وقوله بالله اى بتوحيد الله وصفاته وعدله
واليوم الاخر يعنى يوم القيمة والبعث والنشور والجنة والنار

يرجع اليهم لان الذين امنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى لان يثبت فيهم استيناف الايمان فكانه قال الضمير م م م

وعمل صالحًا اى عمل بما امر الله من الطاعات وانما لم يذكر ترك
المعاصى لان تركها من الاعمال الصالحة فلهم اجرهم اى جزاؤهم
وثوابهم عند ربهم اى معد عنده قوله ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا
ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم فى العقبى ولا
يحزنون على الدنيا وفى هذه الاية دلالة على ان الايمان وهو
التصديق والاعتقاد بالقلب لانه تعالى قال من امن بالله
ثم عطف عليه بقوله وعمل صالحًا ومن حمل ذلك على التاكيد
او الفضل فقد ترك الظ وكل شيء يذكرونه مما عطف على الاول
بعد دخوله فيه مثل قوله فيها فاكهة ونخل ورمان وقوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فان جميع ذلك
على سبيل المجاز والاتساع ولو خلينا والظ لقلنا انه ليس
بداخل فى الاول وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا اٰتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا
مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اية الميثاق فعال من
الوثيقة اما بيمين او بعهد او غير ذلك من الوثايق والطور
الجبل فى اللغة قال العجاج داني جناحيه من الطور فمر تقضى
البازى اذا البازى كسر وقيل انه اسم جبل بعينه ناجى الله
عليه موسى عليه السلم عن ابن عباس والقوة القدرة وهى
عرض يصير به الحى قادرا وكل جسم قادر بقدرة لا يصح منه
فعل الجسم والاخذ ضد العطاء واصل خذ اوخذ وكذا كل اصله

اوكل

اوكل وانما لزم الحذف فيهما تخفيفًا لكثرة الاستعمال وكذلك
مر وقد جاء فيه اومر على الاصل خذوا ما اتيناكم محله
نصب على تقدير وقلنا لكم خذوا كما تقول اوجبت عليه قم اى
اوجبت عليه فقلت قم قال الفراء اخذ الميثاق قول فلا حاجة
بالكلام الى اضمار القول فيه غير انه ينبغى لكل ما خالف القول من الكلام
الذى هو بمعنى القول ان يكون معه ان قوله تعالى انا ارسلنا نوحا
الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز حذف ان وموضع ما ههنا
نصب ثم عاد الى الخطاب بنى اسرائيل فقال واذكروا
اذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم والعهد هو الذى فطر الله الخلق عليه
من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين
الساطعة الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل
انه اراد الميثاق الذى اخذه الله على الرسل فى قوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الاية وقيل هو اخذ التورية عن موسى عليه السلم
ورفعنا فوقكم الطور قال ابن عباس هذا حين رجع موسى من الطور
فاتى بالالواح فقال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التورية و الحلال
والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فارسل الله عز وجل
الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤسهم فقال موسى عليه السلم
ان قبلتم ما اتيتكم به والا ارسلوا الجبل عليكم فاخذوا التورية
وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على
احد شقى وجوههم وقيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان
فى حال وقع الجبل فوقهم لان فى هذه الحال قيل لهم خذوا ما

نتقوا

اتيناكم يعني التورية بقوة اى بجد ويقين لا شك فيه وهو
قول ابن عباس وقتاده والسدى وقريب منه ما روى العياشى
انه سئل عن الصادق عليه السلم عن قول الله خذوا ما
اتيناكم بقوة بالابدان ام بقوة بالقلوب فقال بهما جميعا
وقيل اخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدرة
وانتم قادرون على اخذه عن ابى على والاصم واذكروا ما فيه
الضمير من فيه يعود الى ما من قوله ما اتيناكم وهو التورية
يعنى احفظوا ما فى التورية من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل
معناه اذكروا ما فى تركه من العقوبة وهو المروى عن ابى عبد الله
عليه السلم وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى
فى ذلك ان ما اتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب
تدبروه اعتبروا به واقبلوه لعلكم تتقون اى كى تتقوا اذا
تعلمتم ذلك وتخافوا عقابى وتنتهوا الى طاعتى وتورعوا عما انتم
عليه من المعصية   ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ اية
توليتم اعرضتم وهو مطاوع قولهم ولاه فلان دبره
اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم تستعمل ذلك فى كل
تارك طاعة امر ومعرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن
طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما اتيهم من
فضله بخلوا به وتولوا اى خالفوا ما وعدوا الله من قولهم
لنصدقن ولنكونن من الصالحين والخاسر هو الذى ذهب

راس ماله وراس مال الانسان نفسه وما سواها مما يحصل له
من المنافع وهو كله ربح   معنى الاية ثم نبذتم العهد الذى
اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وراء ظهوركم واعرضتم عنه
فلولا فضل الله عليكم اى فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد
نكثكم الميثاق الذى واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور وانعم عليكم
بالاسلام ورحمته التى رحمكم بها فتجاوز عنكم خطيئتكم بمراجعتكم
طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين وقال ابو العالية فضل الله الاسلام
ورحمته القران فيكون معناه لولا اقدارى لكم على الايمان وازاحة
عليكم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان
فضلا وتوبته التى فيها نجوا ولم يكونوا بها خاسرين فضلا منه
من حيث كان هو الداعى اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل
ان يكون المعنى فلولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم
عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته
لكنتم من الخاسرين ويحتمل ان يريد فلولا فضلى عليكم فى رفع
الجبل فوقكم للتوفيق واللطف الذى تبتم عنده حتى زال العذاب
عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين   وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ
الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِئِينَ اية   علمتم اى عرفتم هنا تقول علمت اخاك
ولم اكن اعلمه اى عرفته ولم اكن اعرفه كقوله تعالى واخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اى لا تعرفونهم الله يعرفهم
والذين اعتدوا فى موضع نصب لانه مفعول به والفرق بينه

وبين ما يتعدى الى مفعولين ان المعرفة تنصرف الى ذات
المسمّى والعلم ينصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدًا فالمراد
عرفت شخصه واذا قلت علمت زيدًا كريمًا او لئيمًا فالعلم يتعلق
باحواله من فضل واعتدوا اى ظلموا وجاوزوا ما حد لهم و في السبت
من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمى بذلك
اليوم وقال ابو عبيده سمى بذلك لانه يوم سبت فيه خلق
كل شئ اى قطع وفرغ وقال قوم انما سمى بذلك لان اليهود يستوف
فيه اى يقطعون فيه الاعمال وقال اخرون سمى بذلك لما لهم فيه من الراحة
لان اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتًا
ويقال للنايم سبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة جمع قرد والا
قردة والخاسئ المبعد والمطرود يقال خسأت الكلب اخسأه خسأ
وخسأ الكلب يخسأ خسوا تقول خسأته فخسأ وانخسأ قال
الزاجر كالكلب ان قلت له اخسأ انخسأ اى ان طردته انطرد
خاطب اليهود فقال ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت
اى الذين جاوزوا ما امروا به من ترك الصيد يوم السبت وكان
الحيتان تجتمع في يوم السبت لامنها فحبسوها في السبت واخذوها
في الاحد فاعتدوا في السبت اى ظلموا وتجاوزوا ما حد لهم لان
صيدها هو حبسها وروى عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت
مستحلين بعد ما نهوا عنه فقلنا لهم كونوا قردة هذا اخبار عن
سرعة فعله ومسخه اياهم لا ان هناك امرا ومعناه وجعلناهم
قردة كقوله فقال لها وللارض ايتيا طوعًا او كرهًا قالتا اتينا
طايعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهل الفعل عليه

ويكونه

ويكونه بلا مشقة قال ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم و
كانوا يتعاوون وبقوا ثلثة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا
ثم اهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في الماء
وما مسخ الله امة الا اهلكها فهذه القردة والخنازير ليست من نسل
اولئك ولكن مسخ اولئك على صورة هؤلاء يدل عليه اجماع المسلمين
على انه ليس في القردة والخنازير من هو من اولاد ادم ولو كانت
من اولاد الممسوخين لكانت من بنى ادم وقال مجاهد لم يمسخوا
قردة وانما هو مثل ضربه الله كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارًا وحكى عنه
ايضًا انه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا
ولا تتقى زجرًا وهذان القولان يخالفان الظ الذى اكثر المفسرين عليه
من غير ضرورة تدعو اليه وقوله خاسئين اى مبعدين عن الخير
وقيل اذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد وفى هذه الاية احتجاجات
من الله تعالى على اليهود بنعمة المترادفة على ابائهم واخبار الرسول
صلى الله عليه واله عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى وكفرانهم و
عصيانهم ثانية بعد اولى مع ظهور الايات اللايحة والمعجزات
الواضحة تعزية له ص وتثبيتًا لفواده وتسلية اياه عما يقاسيه من
مخالفة اليهود وكيادهم وبراءة من جحودهم وكفرهم وعنادهم وليكون
وقوفه على ما وقف عليه من اخبار سلفهم تنبيهًا لهم وحجة عليهم
فى اخلادهم الى الهوى والحادهم وتحذيرًا لهم من ان يحل بهم ما حل
بابائهم واجدادهم فجعلناها نكالًا لما بين
يديها وما خلفها وموعظة للمتقين اية النكال

الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل وهو القيد وهو ايض
اللجام وسميت العقوبة نكالا لانها تمنع عن ارتكاب مثل ارتكبه من
نزلت به و نكل فلان بفلان تنكيلا ونكالا والموعظة الوعظ واصله
التخفيف يقال وعظت فلانا موعظة وعظة   فجعلناه الضمير التخويف ل
يعود الى الامة التي مسخت وهم اهل ايلة قرية على شاطئ البحر وهو المروي
عن ابي جعفر عليه السلم او الى المسخة عن الزجاج او الى العقوبة اي جعلنا
تلك العقوبة عن ابن عباس او الى القرية التي اعتدى اهلها فيها نكالا
اي عقوبة وفضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله لما بين يديها وما
خلفها ذكر فيه وجوه احدها ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك
عنه لما بين يديها اي لما معها ينظر اليها للامم التي يراها وما خلفها
ما يكون بعدها وهو يقارب الماثور المروي عن الباقر والصادق
عليهما السلم انهما قالا لما بين يديها اي لما معها ينظر اليها من
القرى وما خلفها ذكو فيه نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون معنى
من اي نكالا للخلق الذين كانوا معهم ولجميع من ياتي بعدهم الى يوم
القيمة لئلا يفعلو مثل فعلهم وثانيها ان يكون معناه جعلناها
عقوبة للذنوب التي تقدمت على الاصطياد والذنوب التي تاخرت
عنه وهذا يقتضي ان يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب
الاصطياد عن ابن عباس ايض فيكون اللام بمعنى السبب اي بسبب
ذلك وثالثها ان يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها
من القرى عن عكرمه ورابعها ان يكون المراد لما بين يديها ما مضى
من خطاياهم و بما خلفها خطاياهم التي اهلكو

بها

بها عن مجاهد وموعظة للمتقين وفي هذه الاية دلالة على ان من
فعل مثل افعال هؤلاء ممن تقدمهم او تاخر عنهم يستحق من العذاب
مثل ما حل من التشوية وتغيير الخلقة اذا كان نكالا لهم جميعا ق
تحذيرا وتنبيها للمتقين لكي لا يواقعوا من المعاصي ما واقع اولئك
فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه   وَاِذْ قَالَ مُوسٰى
لِقَوْمِهِ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا
قَالَ اَعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ اِنَّهُ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ
بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ
لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ اِنَّهُ يَقُولُ اِنَّهَا صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اِنَّ الْبَقَرَ
تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَاِنَّا اِنْ شَاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ اِنَّهُ يَقُولُ
اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْاَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ
لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْاٰنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ
خمس ايات   قرا حمزه واسمعيل عن نافع وعباس عن ابي عمرو
هزوا وكفوا بالتخفيف والهمز في كل القران وقرا حفص عن عاصم بضم
الزاي والفاء غير مهموز وقرا يعقوب هزوا بضم الزاي كفوا بسكون
الفاء والباقون بالتثقيل والهمز   قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل
اسم على ثلثة احرف اوله مضموم فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه
نحو العسر واليسر والحكم وما يقوي هذه الحكاية ان ما كان على فعل من
المجموع مثل كتب ورسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في المعتل العين

الواوي نحو سوك الاسحل قال وفي الالف اللامعات سود وحكى ابو زيد
قوم قول واما فعل في جمع افعل نحو احمر وحمر فكانهم الزموه الاسكان
للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك في الشعر فاذا كان الامر على
هذا وجب ان يكون ذلك مستمرا في نحو الكفؤ والهزؤ فاذا خففت
الهمزة وثقل العين قال هزوا فابقى الواو التي انقلبت عن الهمزة لانضمام
ما قبلها وان لم تكن ضمة العين في اللفظ لانها مرادة في المعنى كما قالوا
لقضو الرجل فابقوا الواو ولم يردوا الواو التي هي ياء من قضيت لان
الضمير مرادة في المعنى وكذلك قالوا رضى دنبه فيمن قال علم زيد
فلم يردوا الواو التي هي لام لزوال الكسرة لانها مقدرة مرادة وان
كانت محذوفة من اللفظ فكذلك تقول هزوا وكفوا فتثبت الواو
وان كنت حذفت الضمة الموجبة لاجتلابها واذا كان الامر على هذا
فقراءة من قرا بالضم وتحقيق الهمزة في الجواز والحسن كقراءة من قرا
بالاسكان وقلب الهمزة واوا لانه تخفيف قياسي وقد روى ابو زيد
عن ابي عمرو انه خير بين التخفيف والتثقيل البقرة اسم
للمؤنث من هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا مما يخالف صيغة
الذكر منه صيغة الانثى كالجمل والناقة والرجل والمراة والجدي و
العناق واصل البقر الشق يقال بقرت بطنه اي شققته وسمي
البقر لان من شانه شق الارض بالكراب والهزو اللعب والسخرية
يقال هزئت به هزوا ومهزاة واعوذ بالله الجاء الى الله عوذا وعياذا
وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه
والجهل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء

على

على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد الشيء على ما هو به والتبيين
التعريف واصله من البين وهو الفراق فكل من بين شيئا فقد
ميزه عما يلتبس به حتى يعرف غيره قال سيبويه بان الشيء وابنته و
استبان واستبنته والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة يقال
فرضت البقرة تفرض فروضا اذا اسنت قال الشاعر لعمري لقد
اعطيت جارك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وقيل ان الفارض
التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها لان معنى الفارض
في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتاخرين واستشهد بقول
الراجز يا رب ذي ضغن على فارض له قرو كقرو الحايض ويقال
لحية فارضة اي عظيمة والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من بني
ادم ومن البهايم ما لم يفتحله الفحل والبكر من كل شيء اوله والبكر
التي ولدت واحدا وبكرها اول اولادها قال يا بكر بكرين ويا خلب
الكبد اصبحت مني كذراع من عضد وضربة بكر اي قاطعة لا تثنى
وحدث ابن عايشه عن ابيه عن جده قال كانت ضربات علي بن
ابي طالب عليه السلم ابكارا اذا اعتلى قد واذا اعترض قط
ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتي من الابل
والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة هي النصف التي ولدت بطنا
او بطنين قال الفراء يقال من العوان عونت المراة تعوينا اذا
بلغت ثلثين سنة ومنه قيل للحرب عوان اذا لم يكن اول
حرب بين القوم وكانوا قد قاتلوا قبله وبين اسم يستعمل على ضربين
مصدر وظرف يقال ابو علي وهما عندي وجميع بابهما يرجعان

الى اصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسيأتيك بيانه في
الاعراف ان شاء الله تعالى واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب
المتضاد وهو عبارة عما اذا وجدت حصلت به الجواهر على هيئته
مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور
العباد فاقع لونها اى شديد الصفرة يقال اصفر فاقع واحمر ناصع و
اخضر ناضر واحمر قانى وابيض يقق ويقق ولهق ولهق ولهاق
واسود حالك وحلوك وحلكوك وغربيب ودجوجى فهذه كلها
صفات مبالغة فى الالوان وقيل انه اراد بصفراء ههنا سوداء
شديدة السواد كما يقال ناقة صفراء اى سوداء قال الشاعر تلك
خيلى منه وتلك ركابى هن صفر ولادها كالزبيب والاول اصح
فان الابل وان وصفت به فلا يوصف البقر به وايضا فان السواد
لا يوصف بالفقوع وانما يوصف الحلوكة وغيرها على ما ذكرناه
والبقر جمع بقرة وكذلك الباقر جمع كالجامل جمع جمل قال الاعشى و
ما ذنبه ان عافت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتضربا وقال
اخر لهم جامل لا يهدا الليل سامره اى جمال ونحو هذا عندهم اسم مفرد
موضوع للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكليب والضئين في
جمع عبد وكلب وضان وقوله لا ذلول يقال للدابة التي قد ذللها
الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال في مثله
من بني ادم رجل ذليل بين الذل بضم الذال والذلة بكسرها والمذلة
والاثارة اظهار الشئ بالكشف واثار الارض اى قلبها وقلبها
والحرث كل ارض ذللته للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر

في الارض للازدراع والزرع والانبات والاثمار قال عز اسمه
افرايتم ما تحرثون ء انتم تزرعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبراة
من العيوب مفعلة من السلامة الشية لون في الشئ يخالف عامة
لونه والوشى خلط اللون باللون ولا شية فيها اى ولا وضح فيها
يخالف لون جلدها ويقال وشيت الثوب اشيه شية ووشيا
ومنه قيل لمن يسعى بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه عنده و
تحسينه كذبه بالاباطيل ويقال ومنه شيت الثوب به وشاية
قال كعب بن زهير تسعى الوشاة بجنبيهما وقولهم انك يا ابن ابي
سلمى لمقتول يعني انهم يتقولون بالاباطيل ويقولون انه ان
لحق بالنبي صلى الله عليه واله قتله والذبح فرى الاوداج وذلك في
البقر والغنم والنحر في الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه
خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلام ان اهل مكة يذبحون
البقرة في اللبة فما ترى في اكل لحومها فسكت هنيهة ثم قال
قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تاكل الا ما ذبح من
مذبحه حذفت الفاء من قوله قالوا اتتخذنا هزوا ولا ستغناء
ما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبحوا بقرة كما
حسن اسقاطها من قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو قيل بالفاء لكان حسنا ولو قلت
قمت فقعلت لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام
يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخ من احد امرين احدهما
ان يكون المضاف محذوفا لان الهزو حدث والمفعول الثاني

من تخذ يكون الأول نحو قوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء والثاني ان يكون الهزؤ به مثل الصيد في قوله تعالى احل
لكم صيد البحر وطعامه ونحوه وكما يقال رجل رضي اي مرضي اقيم المصدر
مقام المفعول واما قوله لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
فلا يحتاج فيه الى تقدير محذوف مضاف لأن الدين ليس بعين
وقوله اعوذ اصله اعوذ نقلت الضمة من الواو الى الساكن قبلها
من غير استثقال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضي لتحركها و
انفتاح ما قبلها اعلت عين المضارع ايض ليجري الباب على سنن
واحد وكذلك القول في اعاذ يعيذ واستعاذ يستعيذ وقوله لا
فارض ولا بكر قال الاخفش ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفي
لانه صفة البقرة وقوله عوان مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف
كانه قال هي عوان وقال الزجاج ارتفع فارض باضمار هي اي هي لا
فارض ولا بكر قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع
اثنين او اكثر فيما ذكره من قولهم ظننت لان ذلك ينوب عن الجمل
تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذلك وظننت
ذلك قال ابو علي لا يخ ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من ان
يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيبويه او يكون اشارة
الى احد مفعولي ظننت او تكون نائبة عن الجملة كما قال ابو اسحق
ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لانه لو كان كذلك
للزم ان يذكر الآخر كما انك لو ذكرت اسم المشار اليه للزم فيه ذلك
وكما انك اذا ذكرت المبتدا لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال ما يقوم

مقام

مقام ذكرك له ولا يجوز ان يكون نائبة عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما
لم ينب عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي يقع فيها الجمل نحو صلة
وصفة النكرات فثبت ان ذلك في قولهم ظننت ذاك اشارة الى المصدر
الذي هو الظن ولا يجوز ان يقع اسم مفرد موضع جملة ولو كان
سائغا ان ينوب ذلك عن الجمل لما جاز وقوعه هنا لان هذا
الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم
مما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فانما
فانما ذلك عليها فلو كان واقعا موقع الجملة مما دل عليهما لان الجملة
يسند فيها الحديث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض
والبكارة يسند الى الخبر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين
وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي يضاف اليه بين لا يخ من ان
يكون دالا على واحد او على اكثر من الواحد فاذا كان دالا على الواحد
او اكثر من الواحد فاذا كان دالا على الواحد غير دال على اكثر منه
عطف عليه اسم اخر لما ذكرنا من ان اصله الافتراق فكما يمتنع ان يقول
افتراق زيد واجتماع زيد حتى تضيف اليه ما تريد به على الافراد
كذلك لا يقول بين زيد حتى تضيف اليه اخر بالواو دون غيرها
من الحروف العاطفة واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان
مفردا جاز ان يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فانما
اضيف فيه بين الى ذلك من حيث جاز الى القوم وما اشبه ذلك
من الاسماء الذي تدل على الكثرة وانما جاز ان يكون قولنا ذلك
يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهة الموصول له كالذي

بعينه
وما الا ترى ان البابين يشتبهان فى دلالة كل واحد منهما على غير شى
فجاز ان يراد به الواحد مرة واكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه
من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان رؤبة لما قال له
ابو عبيده فى قوله فيه خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توقيع البهق
ان اردت الخطوط فيجب ان يقول كانها وان اردت السواد و
البلق وجب ان يقول كانهما قال اردت كان ذلك فعلم به انهم
يقصدون بذلك غير المفرد ويدل عليه ايضا قول القايل ان للخير
والشر مدى وكلا ذلك وجه وعمل الا ترى ان كلا لا يضاف الى المفرد
فلولا ان المراد بذلك غير الافراد ما اضيف كلا اليه فكذلك القول
فى عوان بين ذلك المراد بذلك الزيادة على الواحد الا ترى انه
اشارة الى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة وموضع
ما من قوله ما هى وما لونها رفع لانه خبر المبتدا لان تاويله الاستفهام
اى اى شى هو واى شى لونها قال انه يقول انها ما بعد القول
من باب ان مكسور ابدا كانك لم تذكر القول فى صدر كلامك
وانما وقعت قلت فى كلام العرب على ان تحكى بها كان كلاما يقوم
بنفسه قبل دخولها فيؤدى مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد
منطلق كانك حكيت زيد منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا
حكيته تقول قلت ان زيدا منطلق وقوم من العرب وهم بنو سليم
يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا
وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بانه فاعل فاقع وهو صفة لبقرة
مثل صفراء وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة الموضع بكونها صفة

لبقرة يقال فقع لونه يفقع فقوعا وفقع يفقع اذا خلصت صفرته
وقوله ان البقرة تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالهاء نحو البقر
والنخل والسحاب فانه يذكر ويونث قال الله تعالى كانهم اعجاز
نخل خاوية فى موضع اخر فى نخل منقعر والتذكير الغالب وقوله تثير
الارض فى موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل فى معنى النفى
اى بقرة ليست بذلول مثيرة للارض ولا ساقية للحرث ومسلمة
صفة ايضا لبقرة ولا شية فيها جملة فى موضع رفع ايضا بانها صفة
لبقرة وشية مصدر من وشيت واصلها وشية فلما اسقطت الواو
منها عوضت الهاء فى اخرها قالوا وشيت شية كما قالوا وزنته زنة
ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الان فيه وجوه اجودها اسكان اللام من الان
وحذف الواو من اللفظ ويجوز قالوا الان باظهار قال الان على القا الهمزة
وفتح اللام من الان وترك الواو محذوف لالتقاء الساكنين ولا يعتد
بفتح اللام ويجوز قالوا الان باظهار الواو لحركة اللام لانهم انما احذفوا
الواو لسكونها فلما تحركت ردوها والاجود فى العربية حذفها ولا
ينبغى ان يقرا الا بما وردت به رواية صحيحة فان القراة سنة
متبعة قال ابو على انما بنى الان لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى
التعريف لان التعريف حكمه ان يكون بحرف وليس تعرفه بما فيه
من الالف واللام وليس تعرف الاسم بهما انما تعرف بغيرهما وهو كونه
موصولا مخصوصا ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون سائر
الموصولات المتعرفة بالصلات نحو من وما غير متعرفة ويقوى
زيادة اللام ما رواه المبرد عن المازنى قال سالت الاصمعى عن قول

الشاعر ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات
الاوبر لم ادخل اللام فقال ادخله زيادة للضرورة كقول الاخر يا علام
العمرو عن اسيرها وانشد ابن الاعرابي ياليت ام العمرو كانت صاحبي
مكان من انشا على الركايب فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية
زايدة كذلك هو في الآن زايدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد
يدل على مقاربة مباشرة ويفعلون في موضع نصب بانه خبر كاد
والفصيح ان لا يدخل عليه ان لان ان حرف يركب مع الفعل فيقوم
مقام المصدر وانما يسند الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل
الطمع والرجاء نحو عسى ان يفعل ودليل ذلك ان ان لا يدخل على
فعل الحال بل على ما يتوقع في المستانف فلهذا كانت ان لازمة لعسى
ولا يلزم كاد لان كاد قرب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في
الشعر انشد الاصمعي كادت النفس ان تفيض عليه اذ ثوى حشو ريطة
وبرود كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه
العياشي مرفوعا الى الرضا عليه السلام ان رجلا من بني اسرائيل
قتل قرابة ثم اخذه فطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني
اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقال لموسى عليه السلم سبط آل فلان
قتل فاخبرنا من قتله قال ايتوني ببقرة قالوا اتتخذنا هزوا الاية
ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك لا صغيرة ولا كبيرة ولو انهم عمدوا الى
الى بقرة لاجزتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا
ربك

يقول

ربك الاية فلو انهم عمدوا الى بقرة لاجزتهم ولكن شددوا فشدد الله
عليهم قالوا ادع لنا ربك الى قوله الآن جئت بالحق فطلبوها و
وجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيعها الا بملء مسكها
ذهبا فجاؤا الى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال وقال
لرسول الله صلى الله عليه واله بعض اصحابه ان هذه البقرة ما شانها
فقال ان فتى من بني اسرائيل كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة
فجاء الى ابيه فوجده نائما والاقليد تحت راسه فكره ان يوقظه
فترك ذلك واستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه
البقرة فهي لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله صلى الله
عليه واله انظروا الى البر ما بلغ باهله قال ابن عباس كان القتيل
شيخا مثريا قتله بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم
ادعوا القتل عليهم فاحتكموا الى موسى عليه السلم فقال من عنده في
ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فاوحى الله تعالى
اليه ان يامرهم بذبح بقرة فامرهم موسى ان يذبحوا بقرة ويضرب
القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين من قتله وقيل قتله ابن
عمه استبطاء موته فقتله ليرثه وقيل انما قتله ليتزوج بنته و
قد خطبها غيره من خيار بني اسرائيل فانعم له فحسده ابن عمه
الذي لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حمله الى موسى فقال يا نبي الله
هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قال لا ادري فكان
القتيل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى وهذا هو
المروي عن الصادق عليه السلم هذه الايات معطوفة

على ما تقدمها من الايات الواردة فى البيان لنعم الله تعالى على بنى اسرائيل
ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا من نكثكم
ميثاق الذى اخذته عليكم بالطاعة اذ قال موسى لقومه ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال قوم موسى له اتسخر
بنا حيث سالناك عن القتيل تامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك
لتباعد ما بين الامرين فى الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما امرهم
به لان موسى ع امرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لاى معنى
فقالوا اى اتصال لذبح البقرة بما نازعنا فيه اليك فهذا استهزاء
بنا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اى معاذ الله ان اكون
من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء
لا يصدر الا عن جاهل فان من الاستهزاء بغيره لا يخ اما ان يستهزئ
بخلقته او بفعل من افعاله فاما الخلقة فلا معنى للاستهزاء بها
واما الفعل فاذا كان قبيحا فالواجب ان ينبه فاعله على قبحه لينزجر
عنه فاما ان يستهزأ به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا يقع
الا عن جاهل او محتاج اليه واذا قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها
فقد قيل فيه لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما
كانوا يرونه من تعظيمه ويزول ما كان فى نفوسهم من عبادته
وانما احيا الله تعالى القتيل بقتل حى ليكون اظهر لقدرته فى اختراع
الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى
سالوا عنها فبدوا بسنها فقالوا ادع لنا ربك اى سل من اجلنا
ربك يبين لنا ما هى ولم يظهر فى السؤال ان المسؤول عنه سن

البقرة وانما ظهر ذلك فى الجواب قال موسى عليه السلام انه يقول
اى ان الله عز اسمه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى ليست بكبيرة
هرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك اى هى وسط بين الصغيرة
والكبيرة وهى اقوى ما يكون واحسن من البقر والدواب وهى
اقوى ما يكون واحسن عن ابن عباس وقيل وسط ولدت بطنا
او بطنين عن مجاهد فافعلوا ما تؤمرون اى اذبحوا ما امرتم
بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة سالوا عن لونها قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها اى سل ربك يبين لنا ما لون البقرة
التى امرنا بذبحها قال موسى ع انه سبحانه وتعالى يقول انها
بقرة صفراء حتى قرنها وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن
جبير فاقع لونها اى شديدة صفرة لونها وقيل خالص الصفرة
وقيل حسن الصفرة وقوله تسر الناظرين اى تعجب الناظرين
وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروى عن الصادق عليه السلام
انه قال من لبس نعلا صفراء حتى قرنها لم يزل مسرورا حتى يبليها كما
قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولما بين سبحانه سن
البقرة ولونها سالوا عن صفتها قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما
هى اى امن العوامل هى ام من السوائم ان البقرة تشابه علينا اى اشتبه
علينا صفة البقرة التى امرنا الله بذبحها وانا ان شاء الله لمهتدون الى
صفة البقرة بتعريف الله ايانا وبما يشاء لنا من اللطف والزيادة فى
البيان وروى ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه
واله انهم امروا بادنى بقرة ولكنهم لما شددوا على انفسهم شدد الله

عليهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم الى اخر الابد فقال يعنى موسى ع
انه يعنى الله تعالى يقول انها بقرة اى البقرة التى امرتم بذبحها لا ذلول
اى لم يذللها العمل باثارة الارض باظلافها ولا تسقى الحرث اى لا يستقى
عليها الماء فتسقى الزرع مسلمة اى برية من العيوب عن قتادة وعطا
وقيل مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل
سليمة من اثار العمل لان ما كان من العوامل لا يخ من اثار العمل فى
قوايمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية لا شية فيها قال اهل
اللغة لا وضح فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها
عن قتادة ومجاهد قالوا الان جئت بالحق اى ظهر لنا الحق الان
وهى بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا انه قبل ذلك لم يجئ
بالحق على التفصيل وانما اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الان ثبت
الحق وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك فى ان موسى عليه السلم
بين الحق فذبحوها يعنى ذبحوا البقرة على ما امروا به وما كادوا يفعلون
اى قرب ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل وقيل كادوا
لا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها فقد حكى عن ابن عباس انهم اشتروها
بملء جلدها ذهبا من مال المقتول وعن السدى بوزنها عشر مرات
ذهبا قال عكرمة وما كان ثمنها الا ثلثة دنانير ونذكر ههنا
فصلا موجزا يجذب الى الكلام فى اصول الفقه اختلف العلماء
فى هذه الايات فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متغاير ولما قيل
لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد الا ذبح اى بقرة شاؤا من غير تعيين
صفة ولو انهم ذبحوا اى بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر
فلما

فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا
المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء
من وجه اخر فمنهم من قال فى التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا
لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثانى والثالث
ضم تكليف الى تكليف زيادة فى التشديد عليهم لما فيه من المصلحة
ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما
تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثانى نسخا للاول والتكليف
الثالث نسخا للثانى وقد يجوز نسخ الشئ قبل الفعل لان المصلحة يجوز
ان تتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشئ قبل وقت الفعل
لان ذلك يؤدى الى البداء وذهب اخرون الى ان التكليف واحد
وان الاوصاف المتاخرة هى للبقرة المتقدمة وانما تاخر البيان
وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الاية على
جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال انه
تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا لموسى ادع لنا ربك يبين لنا ما
هى فلا يخ قولهم ما هى من ان يكون كناية عن البقر المتقدم ذكرها
او عن التى امروا بها ثانيا والظ من قولهم ما هى يقتضى ان يكون
السؤال عن صفة البقرة المامور بذبحها لانه لا علم لهم بتكليف ذبح
بقرة اخرى فيستفهموا عنها واذا صح ذلك فليس يخ قوله انها
بقرة لا فارض ولا بكر من ان تكون الهاء فيه كناية عن البقرة
الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية
لان الظ يقتضى ان يكون الكناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم و

ولانه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جوابا لهم وقول القايل في جواب
من ساله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية
عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا
ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على
ما ذهب اليه القوم فلم لم يقل لهم واى تشابه عليكم وانما امرتم في
الابتداء بذبح بقرة اى بقرة كانت وفي الثاني بما يختص بالسن
المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصوص من اى البقر كان
قال واما قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فالظاهر ان ذمهم مصروف
الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام وهو غير
مقتض ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فلا دلالة في
الاية على ذلك وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ
اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ
يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ايتان
ادارأتم اختلفتم واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال
بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن
واصل الدرء الدفع ومنه الحديث ادرؤوا الحدود بالشبهات و
منه قوله ويدرؤا عنها العذاب وقال رؤبه ادركتها قدام كل
مدرة بالدفع عنى درء كل عنجه وقيل الدرء العوج ومنه قول الشاعر
فنكب عنهم درء الاعادى وداووا بالجنون من الجنون وبالجنون
ثم بين الله سبحانه المقصود من الامر بالذبح فبدا بذكر القتل
وقال واذ قتلتم نفسا ذكر فيه وجهان احدهما انه متقدم في المعنى
على

على الايات المتقدمة في اللفظ فعلى هذا يكون تاويله واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها فسالتم موسى فقال لكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فقدم المؤخر واخر المقدم ونحو ذا كثير في القران والشعر قال سبحانه
الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا وقال
الشاعر الفرزدق صخرة ململمة طالت فلبس ينالها الاوعال اى
طالت الاوعال والوجه الثاني ان الاية قد تعلقت بما هو متاخر
في الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها الاية فكانه قال فذبحوها
وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم بان
تضربوه ببعضها ليكشف امره والمراد واذكروا اذ قتلتم نفسا وهذا
خطاب لمن كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله والمراد به اسلافهم
على عادة العرب في خطاب الابناء والاحفاد بخطاب الاسلاف
والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فقالت فعلت
بنو تميم كذا وان كان الفاعل واحدا ويحتمل ان يكون خطابا لمن كان
في زمن موسى عليه السلم وتقديره وقلنا لهم واذ قتلتم نفسا وقيل
ان اسم المقتول عاميل فادارأتم فيها الهاء من فيها يعود الى النفس اى
كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل انها تعود الى القتلة اى
اختلفتم في القتلة لان قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها الى النفس
اولى واشبه بالظاهر والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كنتم تسترون
من القتل وقيل معناه انه مخرج من غامض اخباركم ومطلع من
معايبكم ومعايب اسلافكم على ما تكتمونه انتم وهو خطاب لليهود
في زمن النبي صلى الله عليه واله فقلنا اضربوه ببعضها اى قلنا لهم

اضربوا القتيل ببعض البقرة واختلفوا فى البعض من البقرة المضروب
به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقرة فقام حيا وقال قتلنى فلان ثم
عاد ميتا عن مجاهد وقتاده وعكرمه وقيل ضرب بذنبها عن سعيد
بن جبير وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها
عن ابى العاليه وقيل بالبضعة التى بين الكتفين عن السدى وقيل
ضرب ببعض ارابها عن ابى ابن زيد وهذه الاقاويل كلها محتملة
الظ والمعلوم ان الله سبحانه امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة
ليحيى القتيل اذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلنى ليزول الخلف و
التدارؤ بين القوم والصانع عز اسمه وان كان قادرا على احيائه
من دون ذلك وانما امرهم بذلك لانهم سالوا موسى ان يبين
لهم القتيل وهم كانوا يعدون القربان من اعظم القربات وكانوا
جعلوا له بيتا على حدة لا يدخله الا احبارهم فامرهم الله بتقديم
هذه القربة تعليما منه لكل من اعتاص عليه امر من الامور ان
يقدم نوعا من القرب قبل ان يسأل الله تعالى كشف ذلك عنه
ليكون اقرب الى الاجابة وانما امرهم بضرب القتيل ببعضها بعد
ان جعل اختيار وقت الاحياء اليهم ليعلموا ان الله سبحانه وتعالى
قادر على احياء الاموات فى كل وقت من الاوقات والتقدير فى
الاية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فيحيى كما قال سبحانه اضرب بعصاك
البحر تقديره فضرب فانفلق وقوله كذلك يحيى الله الموتى يحتمل
ان يكون حكاية عن قول موسى ع لقومه اى اعلموا بما عاينتموه
ان الله تعالى قادر على احياء الموتى للجزاء ويحتمل ان يكون خطابا من الله

تعالى لمشركى القريش والاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه
ببعض اعضاء البقرة لانه روى انه قام حيا واوداجه تشخب دما
قال قتلنى فلان ابن عمى ثم قبض ويريكم اياته يعنى المعجزات الباهرة
الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام
الظاهرة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه واله لعلكم تعقلون
اى لكى تستعملوا عقولكم فان من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده
فهو كمن لا عقل له وقيل لكى تعقلوا ما يجب عليكم من امور دينكم
الايات واحتج الله تعالى بهذه الاية على مشركى العرب فيما استبعدوه
من البعث وقيام الاموات بقولهم ائذا كنا عظاما ورفاتا اءنا
لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله سبحانه بان الذى انكروه
واستبعدوه لا يتعذر عليه فى اتساع قدرته وينبههم على ذلك بذكر
المقتول واحيائه بعد خروجه من الحيوة وابطاء خبر قتله وكيفيته
وقيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته موذنا لهم ان احياء جميع
الاموات بعد ان صاروا عظاما باليات لا يصعب عليه ولا
يتعذر بل يهون عنده وفيها دلالة على صدق النبوة ونبينا محمد ص ع
حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم التى لا يجوز ان يعلمها الا من قرا
كتب الاولين واوحى اليه من عند رب العالمين وقد صدقه
مخالفوه من اليهود فيما اخبر به من هذه الاقاصيص وقد علموا
انه امى لم يقرا كتابا ولم يرتابوا فى ذلك وهذه اية صادعة وحجة
ساطعة بتثبيت نبوته صلى الله عليه واله وسلم
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله و
ما الله بغافل عما تعملون اية قرا ابن كثير وحده ههنا
عما يعملون بالياء والباقون بالتاء واختلفوا في قوله تعالى وما الله
بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما تعملون فقراهما ابو جعفر وحده
بالتاء في كل القران الا في الانعام وقرا ابن عامر بالتاء كل القران و
قرا حمزة والكسائي الاول بالتاء والثاني بالياء كل القران واختلف
عن ابن كثير ونافع وعاصم وابي عمرو قال ابو علي القول في
ذلك ان ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفا
على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالتاء ولو كان
بالياء على لفظ الغيبة اي وما الله بغافل عما يعملون هولاء لكان حسنا
وان كان الذي قبله غيبة حسن ان يجعل على لفظ الغيبة ويجوز
فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك ان يجمع بين الغيبة والخطاب فيغلب
الخطاب على الغيبة كتغليب المذكر على المونث الا ترى انهم قدموا
الخطاب على الغيبة في باب الضمير وهو موضع يرد الاشياء فيه الى
اصولها نحو لك ونحو قوله فلا بك ما اسال ولا اغاما فلما قدموا
الخطاب على الغايب فقالوا اعطاكه ولم يقولوا اعطاهوك علم انه اقدم
في الرتبة واذا كان الامر على هذا فالخطاب في هذا النحو يعني به الغيب
والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة ويجوز فيه وجه اخر وهو
ان يراد به وقل لهم ايها النبي وما الله بغافل عما تعملون والله اعلم
القسو ذهاب اللين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه

يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شيء ونقيضه
الرقة والشدة القوة في الجسم والشدة الصعوبة في الامر والشد العقد
والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء والجدول والسري دون ذلك
يقال نهر ونهر والفتح افصح قال سبحانه في جنات ونهر وجمعه نهر
وانهار والتفجر التفعل من فجر الماء وذلك اذا تنزل خارجا من منبعه
وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان او
دما او غير ذلك قال عمرو بن لجا ولما ان قرنت الى جرير ابى ذو بطنه
الا انفجارا اي خروجا وسيلانا واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء
في الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين والغفلة السهو عن الشيء
وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلت على
عمد اي عملت عمل الساهي لمافقه سبحانه ذكر
المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين لما فعلوا بعدها من العصيان
والطغيان فقال عز اسمه ثم قست قلوبكم اي غلظت ويبست و
عتت وقست من بعد ذلك اي من بعد ايات الله كلها التي اظهرها
على يد موسى ع وقيل انه اراد بني اخي المقتول حين انكروا قتله بعد
ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى اياه انه قتله فلان عن ابن عباس
فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اي من بعد احياء الميت لكم ببعض
من اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم فيه فاخبركم بقاتله و السبب
الذي من اجله قتله وكان يجب ممن شاهد هذه الايات العجيبة
والمعجزة الخارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون
ذلك اشارة ايضا الى الايات الاخر التي تقدمت كمسخ القردة

والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير
ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة
في معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب مفرد في معنى الجمع ولو قال ذلكم
لجاز وقوله فهي كالحجارة شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس
والغلظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فان كثرة الكلام بغير ذلك يقسي القلب
وان ابعد الناس من الله القاسي القلب او اشد قسوة اي او هي
اشد قسوة ويجوز ان يكون عطفا على موضع الكاف فكانه قال فهي
مثل الحجارة او اشد قسوة اي اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار
اللازم بقيام حجته والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة
الآيات وقيل في تأويل او ههنا وجوه احدها ما ذكره الزجاج ان
معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست
احدهما او جمعت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان
قلوبهم قاسية فان شبهت قسوتها بالحجر اصبت وان شبهتها
بما هو اشد اصبت وان شبهتها بهما جميعا اصبت كما مر نحو هذا في قوله
او كصيب من السماء وثانيها ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز
فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها كالحجارة وبعضها
اشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء
هذا الوجه ايض وثالثها ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما
يرجع الخطاب الى المخاطب وان كان تعالى عالما بذلك غير شاك
فيه فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها

كاحد هذين لا يخرج عنهما كما يقال اكلت بسرة او تمرة وهو يعلم ما اكله على
التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وقال لبيد تمنى ابنتاي ان يعيش
ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين
فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان غرضه الذي نحاه هو ان
يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولم يخل بقصده الذي اجرى اليه اجمال
ما اجمل من كلامه وكذلك هنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم
وانها مما لا يصغي الى وعظ ولا يعرض على خير فسواء كانت كالحجارة
او اشد منها في انه لا يحتاج الى ذكر تفصيله ورابعها ان يكون او بمعنى
بل كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومعناه بل
يزيدون وروي عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا و
اربعين الفا وانشد الفراء بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى
وصورتها او انت في العين املح كما يكون ام المنقطعة في الاستفهام
بمعنى بل بقول القايل اضربت عبد الله ام انت متعنت اي بل
انت وقال الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل
الي حبيب ومعناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف
يجوز ان يخاطبنا الله تعالى عز اسمه بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك
والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وهذا غير سديد لان
الاستدراك ان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما
فلا يصح وان اريد به الاخذ في الكلام واستيناف زيادة عليه و
اتمام فهو صحيح فالقائل اذا قال اعطيته الفا او بل الفين لم ينقض الاول
وكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون

ناقضاً للثاني لو قال لقيت رجلاً بل حماراً لان الاول لا يدخل في الثاني
على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانها لا تزيد على
الحجارة الا بان يساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان
تكون بمعنى الواو كقوله تعالى او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم ومعناه
وبيوت ابائكم وقال جرير أثعلبة الفوارس او رياحاً عدلت بهم
طهية والخشابا اراد ورياحا وقال ايضا قال الخلافة اذ كانت له قدرا
كما اتى ربه موسى على قدر وقال توبة الحميري وقد زعمت ليلى باني فاجر
لنفسي تقاها او عليها فجورها فان قيل كيف تكون او في الآية بمعنى
الواو والواو للجمع والشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها
اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حالة و
اشد من الحجارة في حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفائدة هذا الجواب
ان قلوب هؤلاء مع قسوتها ربما لانت بعض اللين وكادت تصغى
الى الحق فيكون في هذه الحال كالحجارة التي ربما لانت وتكون في حال
اخرى في نهاية البعد عن الخير فتكون اشد من الحجارة وجواب اخر
وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة
كالحجارة لان قولنا فلان ابعد من فلان اخبار بانه زايد عليه في العلم
الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافي ههنا
ثم فضل الله سبحانه الحجارة على القلب القاسي فقال وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية
فيتفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد
منه الحجر الذي كان يتفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام وان منها

لما يشقق فيخرج منه الماء يعني من الحجارة ما يخرج منه الماء فيكون
عينا نابعة لا انهارا جارية حتى يكون مخالفا للاول وقال الحسين
وعلي المغربي الحجارة الاولى حجارة الجبال منها يتفجر الانهار والثانية
حجر موسى ع كان يضربه فيخرج منه العيون فلا يكون تكرارا وقوله وان
منها لما يهبط من خشية الله وعليه اكثر الضمير في منها يعود الى الحجارة
اي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل
يرجع الى القلوب اي ومن القلوب ما يهبط من خشية الله اي تخشع وهي
قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية
قلوبهم عن ابي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا
في تاويله على وجوه احدها ما روي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر
يتردى من راس جبل فهو من خشية الله فمعناه ان الحجارة قد تصير
الى الحال التي ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشع ولا تخشى و
لا تلين لانهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى
من الحجارة وثانيها ما قاله الزجاج ان الله تعالى اعطى بعض الجبال
المعرفة فعقل طاعة الله نحو الجبل الذي تجلى الله عز وجل له حين كلم
موسى فصار دكا وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
ان حجرا كان يسلم علي في الجاهلية واني لاعرفه الآن وهذا الوجه
ضعيف لان الجبل اذا كان جمادا فمحال ان يكون فيه معرفة الله تعالى
وان كان بنيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا وانما العرفان صح فان معناه
انه سبحانه احياه فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ثم اعاده حجرا
ويكون معجزا له عليه السلام وثالثها انه يبعث التفكر فيه الى خشية

الله او يوجب الخشية له بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والعجائب
واضاف الخشية اليه لان التفكر فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جرير بن عطيه واعور
من نبهان اما نهاره فاعمى واما ليله فبصير فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد
صاحب النبهاني الذي يهجوه بذلك من اجل انه كان فيهما على ما وصفه به و
رابعها انه انما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل اى كانه يخشى الله سبحانه في
المثل لانقياده لامره ولو وجد منه ما لو وجد من حي عاقل لكان دليلا على
خشية الله كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه اى كانه
يريد لانه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر من حي لدل على ارادته الانقضاض
ومثله قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل بجمع تضل البلق
في حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فجعل ما ظهر في الاكم من اثار الحوافر
وقلة مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها ولو كانت الاكم في صلابة
الحديد حتى تمتنع على الحوافر لم يقل انها تسجد للحوافر وقال جرير لما اتى خبر الزبير
تواضعت سور المدينة والجبال الخشع اى كانها كذلك وقال ايضا والشمس
طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وكما قال سبحانه
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اى
لو كانت الجبال مما يخشع لشيء ما لرايته خاشعا ويؤيد هذا الوجه قوله
سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وخامسها ان هبط يجوز ان
يكون متعديا قال الشاعر ما راعني الا جناح هابطا على البيوت قوطه
العلابطا فاعمله في القوط كما ترى ويكون على هبطت الشيء فهبط
فمعناه يهبط غيره من خشية الله اى اذا راه الانسان خشع لطاعة
خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل

الى الحجر

الى الحجر لان طاعة رايه لخالقه سببها النظر اليه اى منها ما يهبط الناظر
اليه اى يخضعه ويخشعه وقوله وما الله بغافل عما تعملون ايها المكذبون
باياته الجاحدون نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرنا قبل

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ
اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اية

الطمع تعلق النفس بما تظنه من النفع ونظيره الامل والرجاء ونقيضه الياس
والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من التفرق كما سميت
الجماعة الحزب من التحزب قال الاعشى ابن ثعلبه اجدوا فلما خفت ان
يتفرقوا فريقين منهم مصعد ومصوب والتحريف في الكلام تغيير الكلام
عن معناه افتطمعون الف استخبار يجري في كثير من المواضع
مجرى الانكار اذا لم يكن معها نفي فاذا جاءت مع النفي فانكار النفي
يثبت ويكون بمعنى الاستدعاء الى الاقرار نحو اليس الله بكاف عبده فجوابه
بلى كقوله الم ياتكم نذير قالوا بلى وجواب افتطمعون لا على ما ذكرناه
هذا خطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول افتطمعون ايها
المؤمنون ان يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاختيار
وقد كان فريق منهم اى ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون
كلام الله ويعلمون انه حق ويعاندون فيحرفونه ويتاولونه على غير
تاويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يحرفون التورية فيجعلون الحلال
حراما والحرام حلالا اتباعا لاهوائهم واعانة لمن يرشوهم عن مجاهد
والسدي وقيل انهم السبعون رجلا الذين اختارهم موسى من
قومه فسمعوا كلام الله فلم يقبلوا امره وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم

حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا الكلام الله
معناه كلام الله لموسى ع وقت المناجات وقيل المراد بكلام الله صفة محمد
صلى الله عليه وآله في التورية وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
قيل فيه وجهان احدهما ان يكون معناه انهم غيروه من بعد ما فهموه
فانكروه عنادا وهم يعلمون انهم يحرفونه اى يغيرونه والثاني
ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب
والاول اليق بمذهبنا في الموافات وانما اراد الله سبحانه بالاية ان
هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله ان لم يؤمنوا
به وكذبوه وجحدوا نبوته فلهم باباتهم واسلافهم الذين كذبوا موسى ع
اسوة اذ جروا على طريقهم في الجحد والعناد وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا
معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق في كتمان الحق وان كان يمتنع
ذلك على الجم الكثير والجم الغفير لامر يرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول
من قال انهم كانوا كلهم عارفين معاندين لان الله سبحانه انما نسب فريقا
منهم الى المعاندة وان كانوا باجمعهم كافرين وفي هذه الاية دلالة على عظم
الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا
وجميع امور الدين وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ
إِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ اية الحديث
والخبر والنبأ نظاير مشتق من الحدوث كانه اخبار عن حوادث الزمان
والفتح في الاصل فتح المغلق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فمنها الحكم يقال
اللهم افتح بيني وبين فلان اى احكم ومنه ويقولون متى هذا الوعد

الفتح

الفتح اى متى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضا وقال الشاعر الا ابلغ
بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني ويقال للقاضي الفتاح ومنها
العلم يقال افتح على هذا اى علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتحه
اى اطلب منه النصر ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل
في فتح البلد ان يقال فتح المسلمين ارض كذا والمحاجة والمجادلة والمناظرة
نظاير فالمحاجة ان يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة اوجه الذي
به يكون الظفر عند الحجاج ويقال حاججته فحججته وفي الحديث فحج ادم موسى
اى غلبه بالحجة واصله من القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام
على وجه مخصوص فالحجة هي النكتة المقصودة في تصحيح الامور
روى عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا
من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التورية من
صفة محمد صلى الله عليه وآله فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت الاية وقال
مجاهد نزلت في بني قريظة لما قال لهم النبي ص يا اخوة القردة والخنازير
قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي هؤلاء ناس من اليهود
امنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به
اسلافهم فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب
ليحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم ذكر سبحانه ثم
خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وهم الذين اذا لقوا الذين
امنوا اى راوهم قالوا امنا اى صدقنا بمحمد صلى الله عليه وآله انه نبي صادق
نجده في كتابنا بنعته وصفته وبما صدقتم به واقررنا بذلك اخبر الله
تعالى عنهم انهم تخلقوا باخلاق الله المنافقين وتحلوا بتحليتهم واستنوا و

بسنتهم واذا خلا بعضهم الى بعض اى اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين
وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا فى خلاء وهو الموضع الذى ليس فيه
غيرهم يعنى قال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال الكلبى
بما قضى الله عليكم فى كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم
تستفتحون به عليهم اى لا تقروا بانه نبى وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق
عليكم باتباعه وانه النبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا اجحدوه
ولا تقروا لهم به وقال الكسائى اتحدثونهم بما بينه الله لكم فى كتابكم
من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به وبعض الاقوال
فيه ذكرناه فى النزول واقوى التاويلات قول من قال اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم اى حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ
به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته الموصوفة لكم
فى التورية ومن قضائه فيكم انه جعل منكم القردة والخنازير وقوله
ليحاجوكم به عند ربكم اى ليكون لهم الحجة عليكم عند الله فى الدنيا و
الآخرة فى ايمانهم بالنبى ع اذ كنتم مقرين به ومخبرين بصحة امره
من كتابكم فيهذا يبين حجتهم عليكم عند الله وقيل معناه ليجادلوكم و
يقولوا لكم قد اقررتم انه نبى حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله عند
ربكم قال ابن الانبارى معناه فى حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعى
اى فى حكمه وهذا يحل عند الله اى فى حكمه وقوله افلا تعقلون اى افلا
تفقهون ايها القوم ان اخباركم محمدا واصحابه بما تجدونهم من وجود
نعت محمد فى كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا

تعقلون

تعقلون ايها المؤمنين انهم لا يؤمنون فلا تطمعوا فى ذلك عن الحسن و
قيل انه خطاب لليهود اى افلا تعقلون ايها اليهود اذ تقبلون من رؤسائكم
مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى قول رؤسائهم اوَلا
يَعْلَمُونَ اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ آيه اولا
يعلمون يعنى اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان
يسروا الى اخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير
جاحدين بان الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين منهم فى هذه الجهة
اللوم والمذمة لهم الزم عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولا يعلمون ان الله يعلم
ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون
من قولهم امنا اذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتاده وابى العاليه
وَمِنْهُمْ اُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ اِلَّا اَمَانِىَّ وَاِنْ
هُمْ اِلَّا يَظُنُّونَ آيه قرا ابو جعفر وشيبه والحسن امانى مخففة
والباقون بالتشديد وكذلك قوله ليس امانيكم ولا امانى اهل الكتاب
قال ابن جنى الاصل فيه التثقيل امانى امنية والتخفيف فى هذا النحو
كثير والمحذوف منه اليا الاولى التى هى نظيره يا المدمغ غير الادغام نحو
يا قراطيس وحوامين واداحى جمع حوامانة وادحية الا انها قد حذفت
فى نحو قوله والبكرات الفسج العطامسا وقوله وغير سفع مثل يحامم بويد غطامس
ويحاميم وعلى ان حذف اليا مع الادغام اسهل من حذفه ولا ادغام معه
وذلك ان هذه اليا لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك واذا انت حذفتها
فكانك انما حذفت شيئا هو فى حال وجوده فى حكم المحذوف
الامى الذى لا يحسن الكتابة وانما سمى اميا لاحد وجوه احدها ان الامة

للخلقة تسمى امينا لانه باق على خلقته ومنه قول الاعشى وان معونة
الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم وثانيها انه ماخوذ من الامة التى هى
الجماعة اى هو على اصله ما عليه الامة فى انه لا يكتب لانه يستفيد الكتابة
بعد ان لم يكن يكتب وثالثها انه ماخوذ من الام اى على ما ولدته امه
فى انه لا يكتب وقيل انما نسب الى امه لان الكتابة يكون فى الرجال دون
النساء والامية ذكر فيها وجوه احدها ان معناه التلاوة فقال تمنى
كتاب الله اى قرا وتلا وقال كعب بن مالك تمنى كتاب الله اول
ليله واخره لاقى حمام المقادر وقال الاخر تمنى كتاب الله بالليل خاليا تمنى
داود الزبور على رسل وثانيها ان المراد بالامانى الاحاديث المختلفة
عن الفراء والعرب تقول انت انما تمنى هذا القول اى تختلقه وقال
بعضهم ما تمنيت مذ اسلمت اى ما كذبت وثالثها ان المراد بالامانى
انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه قال الزجاج اذا قال القايل ما لا يعلمه فكانه
انما يتمنى وهذا مستعمل فى كلام الناس تقول للذى يقول ما لا حقيقة له
وهو يحبه هذا امنى وهذه امنية والظن ترجح احد الجايزين على الاخر
لامارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب
وفى الناس من قال هو اعتقاده قال الزجاج يرتفع الاميون
بالابتداء ومنهم الخبر وفى قول الاخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى
واستقر منهم اميون قال على ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم
وانما يرتفع بالظرف الذى هو مذهب سيبويه انه يرتفع بالابتداء
ففى منهم عنده ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه
موقع

موقع خبر الابتداء فاما على مذهب الاخفش فلا ضمير لقوله اميون
فى منهم ولا موضع له عنده كما لا موضع لذهب فى قولك ذهب زيد
وانما رفع الاخفش فلا ضمير لقوله اميون الاسم بالظرف لانه نظر
الى هذه الظروف فوجدها تجرى مجرى الفعل فى مواضع وفى انها تحمل
الضمير كما يحمل الفعل وما قام مقامه من اسماء الفاعلين وما اشبه به
ويؤكد ما فيها كما يؤكد ما فى الفعل وما قام مقامه فى نحو مررت بقوم
لك اجمعون وينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل ويوصف بها الاسماء
الموصولة كما يوصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصير
ضميره فى الفعل ويوصف به النكرة كما يوصف بالفعل والفاعل فلما
راها فى هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتدا مجرى الفعل
فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل اذ قامت هذه الظروف مقام الفعل
فى هذه المواضع فقال فى عندك زيد وفى الدار عمرو ومنهم اميون
ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف اذا كان الظرف قد اقيم مقام الفعل
فى غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم ههنا مرتفع بالظرف دون
الفعل الذى هو استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قايما
فى الدار زيد كما يجوز قايما استقر زيد فامتناع تقديم الحال ههنا يدل
على انه لا عمل للفعل ههنا وقوله الا امانى نصب على الاستثناء المنقطع
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر ليس بينى
وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب وقول النابغة
حلفت يمينا غير ذى مثنوية ولا علم الا حسن ظن بصاحب وان
فى قوله ان هم بمعنى ما هم اى ما هم الا ظانون فهم مبتداء ويظنون خبره

يوصل

ومنهم اميون يعنى من هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم
فى هذه الايات وقطع الطمع عن ايمانهم اميون اى غير عالمين بمعانى
الكتاب لا يعلمونها حفظا وتلاوة لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن
ابن عباس وقتادة قال ابو عبيده الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم
كتاب والنبى الامى الذى لا يكتب وانشد لتبع له امة سميت فى التورية
امية هى خير الامم وقوله لا يعلمون الكتاب اى لا يعلمون ما فى الكتاب
الذى انزل الله تعالى عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله اياه من الحدود
والاحكام والفرايض فهم كهيئة البهايم مقلدة لا يعرفون ما يقولون
والكتاب المعنى به التورية ادخل عليه لام التعريف الا امانى اى الا امانى
اى قولا يقولونه بافواه كذبا عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها
علماؤهم عن الكلبى وقيل تلاوة يتلونها ولا يدرونها عن الكسائى
والفراء وقيل امانى يتمنون على الله الرحمة ويحظر الشيطان ببالهم ان
لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول صلى الله عليه
وآله او عود الرياسة اليهم وقيل امانى يخرصون الكذب ويقولون
الباطل والتمنى فى هذا الموضع وهو تخلق الكذب وتخرصه ويقوى
ذلك قولهم وان هم الا يظنون بين انهم يختلفون ما يختلقون
من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظالمين
وكذلك لو كانوا يتمنونه لان الذى يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال
للتمنى فى حال وجود تمنيه انه يظن تمنيه ولا شاك فيما هو عالم به و
واليهود الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وآله لم يشكوا فى ان التورية
من عند الله تعالى وقوله وان هم الا يظنون معناه انهم يشكون وفى

هذه

هذه الاية دلالة على ان التقليد فى معانى الكتاب وفيما طريقه العلم
غير جايز وان الاقتصار على الظن فى ابواب الديانات لا يجوز وان الحجة
بالكتاب قايمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالمين اذا امكنوا من العلم
وان من الواجب ان يكون التعويل على معرفة معانى الكتاب لا على مجرد
تلاوته فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم
يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم
مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اية الويل فى
اللغة كلمة يستعملها كل واقع فى هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح
والويس وقال الاصمعى هو التقبيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال المفضل
معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والخزى ومنه قول الشاعر يا زبرقان اخا
بنى خلف ما انت ويل ابيك والفخر واصل الكسب العمل الذى يجلب به نفع
او يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة منه له ومعاناة فهو كاسب له وقال ومعاناة
لبيد لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها وقيل
الكسب عبارة عن كل عمل لجارحة يجتلب به نفع او يدفع به ضرر ومنه يقال
للجوارح من الطير كواسب وويل رفع بالابتداء وخبره للذين
قال الزجاج ولو كان فى غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا
للذين والرفع على معنى الثبوت الويل للذين وقال غيره اذا اضفت ويل وويح
نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد وويل زيد واما التعس والبعد
وما اشبههما فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وانما يقال
فى نحوها تعسا له وبعدا له وتبا له وقد نصب ايضا ويل وويح مع اللام
فقالوا ويلا لزيد وويحا له قال الشاعر كسا اللوم تيما خضرة فى جلودها

فويلا ليتم من سرابيلها الخضر ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء اليهود
فقال فويل للذين يكتبون الكتاب قال ابن عباس الويل فى الاية العذاب
وقيل جبل فى النار وروى الخدرى عن النبى صلى الله عليه واله واذى جهنم
يهوى والكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه ماذكرناه من
انه كلمة التحسر والتفجع والتلهف والتوجع يهوى كل مكروب هالك وفى
التنزيل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب وقوله للذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله معناه يتولون كتبته ثم يضيفونه الى الله تعالى
سبحانه كقوله مما عملت ايدينا اى نحن تولينا ذلك لم نكله الى احد من
عبادنا ومثله خلقت بيدى ويقال رايته بعينى وسمعته باذنى و
لقيته بنفسى والمعنى فى جميع ذلك التاكيد وايضا قد يضيف الانسان
الكتابة الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت الى فلان
وهذا كتابى الى فلان وكقوله سبحانه يذبح ابناءهم وانما امر به فاعلمنا
الله سبحانه انهم يكتبونه بايديهم ويقولون هو من عند الله وقد علموا
يقينا انه ليس من عنده وقيل معناه انهم فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم
كالرجل اذا اخترع مذهبا او قولا لم يسبق اليه يقال له هذا مذهبك
وهذا قولك وان كان جميع ما يوخذ عنه من الاقوال قوله والمراد ان
هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بايديهم انهم
عمدوا الى التورية وحرفوا صفة النبى صلى الله عليه واله ليوقعوا الشك
بذلك للمستضعفين من اليهود وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه
السلام وعن جماعة من اهل التفسير وقيل كانت صفته فى التورية اسمر
ربعة حسن الوجه فمحوه من التورية حسدا وبغيا فاتاهم نفر من قريش

فقالوا تجدون فى التورية نبيا منا قالوا نعم نجده طويلا ازرق سبط الشعر
ذكره الواحدى باسناده فى الوسيط وقيل المراد بالاية كاتب كان يكتب
للنبى عليه السلام فيغير ما يملى عليه ثم ارتد ومات فلفظته الارض و
الاول اوجه لانه اليق بنسق الكلام وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا يريد
لياخذوا به ما كانوا ياخذونه من عوامهم من الاموال وانما ذكر لفظ
الاشتراء توسعا والمراد انهم تركوا الحق واظهروا الباطل لياخذوا على
ذلك شيئا كمن يشترى السلعة بما يعطيه والفايدة فى قوله ثمنا قليلا
ان كل ثمن له لا يكون الا قليلا وللعرب فى ذلك طريقة معروفة يعرفها
من تصفح كلامهم وقيل انما وصفه بالقلة لانه عرض الدنيا وهو قليل
المدة كقوله قل متاع الدنيا قليل عن ابى العالية وقيل انما قال قليل لانه
حرام وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم اى عذاب لهم وخزى لهم وقبح لهم مما
فعلوا من تحريف الكتاب وويل لهم مما يكسبون من المعاصى وقيل مما
يجمعون من المال الحرام والرشى التى ياخذونها عن العوام

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ اية

المس نظير اللمس والفرق بينهما ان مع
اللمس احساسا واصله اللصوق وحده الجمع بين الشيئين على نهاية القرب
والاخلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل اياما انتصب
على الظرف واصل اتخذتم اتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة
الوصل فسقطت همزة الوصل وفى القراء من ادغم الذال بالتاء من
اتخذتم ومنهم من لم يدغم وام ههنا يحتمل ان يكون متصلة على المعادلة

لهمزة الاستفهام كانه قال على اى الحالين انتم اتقولون على الله ما تعلمون
ام تقولون على الله ما لا تعلمون ويحتمل ان يكون منقطعة على تقدير تمام الكلام
قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كانه استأنف فقال بل اتقولون
قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه واله المدينة واليهود تزعم
ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما يعذب بكل الف سنة يوما واحدا
ثم ينقطع العذاب فانزل الله هذه الاية وقال ابو العالية وعكرمه وقتادة
هى اربعون يوما لانها عدد الايام التى عبدوا فيها العجل وقالوا
اى قالت اليهود لن تمسنا النار اى لن يصيبنا الا اياما معدودة معناه
ايام قلايل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاه والمعدودة ان
اطلقت كان معناها القليل فقال الله سبحانه قل يا محمد لهم اتخذتم عند الله
عهدا اى موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله
فان كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه ام تقولون على الله
الباطل جهلا منكم وجراة عليه بلى من كسب سيئة واحاطت
به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ايتان
قرا اهل المدينة خطيئاته على الجمع والباقون على التوحيد
قال ابو على يجوز ان يكون من للجزاء الجازم ويجوز ان يكون للجزاء
غير الجازم فتكون السيئة وان كانت مفردة يراد بها الكثرة كما قال الله
تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ان يفرد لانه مضاف الى ضمير
مفرد وان كان يراد بها الكثرة كما قال فله اجره عند ربه فافرد الوجه والاجر
وان كان فى المعنى جمعا فى الموضعين فكذلك المضاف اليه الخطيئة لما لم يكن
جمعا

جمعا لم يجمع كما جمعت فى قوله نغفر لكم خطاياكم ولنغفر لنا خطايانا لان ذلك
مضاف الى الجمع ومن قال خطيئاته فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل
عليه قوله فاولئك اصحاب النار فاولئك خبر المبتداء الذى هو من فى قوله
من جعله جزاء مجزوما وفى كلا الوجهين يراد به من فى قوله بلى من كسب سيئة
ومما يدل على ان من يراد به الكثرة فيجوز لذلك ان يجمع خطيئته لانها مضافة
الى الجمع فى المعنى قوله بعد هذه والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادل به
فكذلك المعادل به يكون جمعا مثل ما عودل بلى جواب
لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى
ونعم ان بلى جواب النفى ونعم جواب الايجاب قال الفراء انما امتنعوا من
استعمال نعم فى جواب الجحد لانه اذا قال لغيره ما لك على شئ فقال له نعم
فقد صدقه وكانه قال نعم ليس لى عليك شئ واذا قال بلى فانما هو
رد لكلامه اى بلى لى عليك شئ وقوله هم فيها خالدون عطف هذه الجملة
على الاولى بغير حرف العطف لان فى الجملة الثانية ذكرا ممن فى الاولى
والضمير يربط الكلام الثانى بالاول كما ان حرف العطف يربط به ومثله
قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وقال فى موضع اخر وكانوا يصرون بالواو وقال سيقولون ثلثة
رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم فحذفت الواو من قوله رابعهم وسادسهم
استغناء عنها بما فى الجملة من ذكر ما فى الاول لان الحرف يدل على
الاتصال وما فى الجملة ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فاستغنى به عنه

رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
فقال بلى اى ليس الامر كما قالوا ولكن من كسب سيئة واختلف فى السيئة
فقال ابن عباس ومجاهد وقتاده وغيرهم السيئة ههنا الشرك وقال
الحسن هى الكبيرة الموجبة وقال السدى هى الذنوب التى وعد الله
عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لان ما عدا الشرك لا يستحق
به الخلود فى النار عندنا وقوله واحاطت به خطيئته يحتمل امرين
احدهما انها احدقت به من كل جانب كقوله تعالى وان جهنم لمحيطة
بالكافرين والثانى ان المعنى اهلكته من قوله الا ان يحاط بكم و
قوله فظنوا انهم احيط بهم وقوله واحيط بثمره فهذا كله بمعنى البوار
والهلكة فالمراد انها سدت عليه طريق النجاة وروى عن ابن عباس
والضحاك وابى العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن
الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنوب وانما قال
من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به
سيئته خالف بين اللفظين ليكون ابلغ وافصح فاولئك اصحاب
النار اى يصحبون النار ويلازمونها فيها هم خالدون اى دائمون
ابدا عن ابن عباس وغيره والذى يليق بمذهبنا من تفسير هذه
الاية قول ابن عباس لان اهل الايمان لا يدخلون فى حكم هذه
الاية وقوله واحاطت به خطيئته يقوى ذلك لان المعنى ان
خطاياه قد اشتملت عليه واحدقت حتى لا يجد عنها مخلصا
ولا مخرجا ولو كان معه شئ من الطاعات لم تكن السيئة محيطة
من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان التحابط ولان قوله والذين

امنوا

امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فيه وعد
لاهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم
مع العقاب الدائم ويدل ايضا على ان المراد بالسيئة فى الاية الشرك
على ما ذكره اهل التفسير ان سيئة واحدة لا تحبط جميع الاعمال عند اكثر
الخصوم فلا يمكن اذا اجراء الاية على العموم فيجب ان يحمل على اكبر السيئات
واعظم الخطيئات وهو الشرك ليمكن الجمع بين الايتين وإذ
أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين
إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم
إلا قليلا منكم وأنتم معرضون اية قرأ ابن كثير
وحمزة والكسائى وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين والباقون حسنا
بضم الحاء واسكان السين حجة من قرا لا تعبدون بالتاء على
الخطاب قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
الاية ويقويه قوله وقولوا وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون
فاذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدمه وجب ان يكون المعطوف
عليه فى حكمه وحجة من قرا بالياء قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف فحمله على لفظ الغيبة واما قوله حسنا فمن قرا بضم الحاء
ففيه ثلثة اوجه احدها ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالبخل والبخل
والرشد والرشد وجاز ذلك فى الصفة كما جاز فى الاسم قالوا العرب
والعرب وهو صفة بدلالة قولهم مررت بقوم عرب اجمعون فعلى هذا
يكون الحسن صفة كالحلو والمر وثانيها ان يكون الحسن مصدرا كا

الشكو والكفوء

وحذف المضاف معه اى قولوا قولا ذا حسن وثالثها ان يكون منصوبا على انه
مصدر الفعل الذى دل عليه الكلام اى ليحسن قولكم حسنا ومن قراه حسنا
جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولا حسنا كقوله تعالى فامتعه قليلا
اى متاعا قليلا   الاخذ ضد الاعطاء والقربى مصدر قولهم قربت
منى رحم فلان قرابة وقربى وقربا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم
الذى مات ابوه الى ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن مات امه يتيم يقال يتم ييتم
يتما اذا فقد اباه هذا فى الانسان فاما غير الانسان فيتمه من قبل امه
قال الاصمعى ان اليتيم فى الناس من قبل الاب وفى غير الناس من قبل
الام والمسكين هو المتخشع المتذلل من الحاجة ماخوذ من السكون
كانه قد اسكنه الفقر   قوله لا تعبدون الا الخ اما ان يكون
حالا او يكون تلقى القسم او يكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الامر او يكون
على تقدير ان لا تعبد وفحذف ان فيرتفع الفعل فان جعلته حالا
فالاولى ان يكون بالياء ليكون فى الحال ذكر من ذى الحال فكانه قال
اخذنا ميثاقهم موحدين وان جعلته تلقى قسم وعطفت عليه الامر
وهو قوله وقولوا كنت جمعت بين امرين لا يجمع بينهما فان لم تحمل الامر
على القسم واضمرت القول كانه قال واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل
لا تعبدون وقلنا واحسنوا بالوالدين احسانا فيكون وقلنا
على هذا معطوفا على اخذنا جاز لان اخذ الميثاق قول فكانه قال
قلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمعنى معنى
الامر يكون مثل قوله يؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك
قوله نغفر لكم ويؤكد ذلك انه قد عطف عليه بالامر وهو قوله

بالوالدين

بالوالدين احسانا وقولوا واقيموا وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم
بان لا تعبدوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفة الا ايهذا
اللائمى احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدى فان
هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيبويه
ان حذف ان مع هذا النحو قليل وقوله وبالوالدين احسانا الحرف
الجار يتعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لان ما
تعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه واحسن يصل الى المفعول بالباء
كما يصل بالى يدل على ذلك قوله واحسن بى اذ اخرجنى من السجن
فيعدى بالباء كما تعدى بالى فى قوله واحسن كما احسن الله اليك
وقوله توليتم الا قليلا منكم قال الزجاج نصب قليلا على الاستثناء
المعنى استثنى قليلا منكم قال ابو على ان فى هذا التمثيل ايهاما ان
الاسم ينتصب على معنى استثنى او بالا وليس كذلك بل ينتصب الاسم
المستثنى عن الجملة التى قبل الا بتوسط الا كما ينتصب الطيالسة
ونحوها فى قولك جاء البرد والطيالسة وما صنعت واياك عن الجملة
التى قبل الواو بتوسط الواو ويدل على ذلك قولهم ما جاءنى الا زيد
فلو كان لالا او لما يدل عليه عمل فى المستثنى لجاز نصب هذا كما انك
لو قلت استثنى النصبه فان قيل لا يجوز النصب هنا لان الفعل
يبقى فارغا بلا فاعل قيل فهلا دلك امتناع هذا من الجواز على ان
ما بعد الا متصل بما قبلها وانه ليس لالا فيه عمل ولا انه الا ما
يدل عليه من معنى الاستثناء   ثم عاد سبحانه الى ذكر
بنى اسرائيل فقال واذكروا اذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى عهدهم

وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو مواثيق الانبياء على
اممهم والعهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكانه قال امرناهم ووصيناهم
واكدنا عليهم وقلنا لهم والله لا تعبدون اذا حملناه على جواب القسم واذا
حملناه على الحال او على ان معناه الامر فكما قلناه قبل واذا حملناه على
حذف ان فتقديره واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله
وحده دون ما سواه من الانداد بان يحسنوا الى الوالدين احسانا و
الاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بان يفعلوه الى الوالدين هو ما
فرض على امتنا ايض من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح
الذل لهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما وما اشبه
ذلك وقوله وذى القربى اى وبذى القربى ان يصلوا قرابته ورحمه
واليتامى اى وباليتامى ان يعطفوا عليهم بالرافة والرحمة وبالمساكين
ان يؤتوهم حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقوله وقولوا
للناس حسنا فيه عدول الخطاب بعد الخبر وانما استجادت العرب
ذلك لان الخبر انما يكون عمن خاطبوه بعينه لا عن غيره وقد
يخاطبون ايض ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر فمثال الاول
قول عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا على طلابك ابنة
مخرم ومثال الثاني قول كثير عزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف
في معنى قوله حسنا فقيل هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو
مما ارتضاه الله واحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا

للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب
الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويحب الحليم
العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل هو عام في المؤمن
والكافر لما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن و
اختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ باية
السيف وبقوله عليه السلم قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقروا
بالجزية وقد روي ايض عن الصادق عليه السلم وقال الاكثرون انها
ليست بمنسوخة لانه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم الى الايمان
كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و
جادلهم بالتي هي احسن وقال في اية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله واقيموا الصلوة اى
ادوها بحدودها الواجبة عليكم واتوا الزكوة اى اعطوها اهلها
كما اوجبها الله تعالى عليكم وروي عن ابن عباس ان الزكوة التي
فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء
فتحمله فكان ذلك تقبله ومتى لم تفعل النار به ذلك كان غير
متقبل وروي عنه ايض ان المعنى به طاعة الله والاخلاص وقوله
ثم توليتم اى اعرضتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اخبر الله تعالى
سبحانه عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالفوا
امره وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده و
ميثاقه ووصف هؤلاء بانهم قليل بالاضافة الى اولئك واختلف
فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه

من يهود بني اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق وخالفوا اخذ عليهم في
التورية وبتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه وقيل انه خطاب
لاسلافهم المذكورين في اول الآية وانما جمع بين التولي والاعراض
وان كان معناهما واحدا وقيل معنى تولوا فعلوا الاعراض وهم
معرضون اي مستمرون على ذلك وفي هذه الآية دلالة على ترتيب
الحقوق فبدا الله سبحانه بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق
المنعم باصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين وخصهما بالمزية لكونهما
سببا للوجود وانعامهما بالتربية ثم ذكر ذوي القربى لانهم
اقرب الى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء
لفقرهم وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ
وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ اية السفك والصب سفكت
الدم اسفكه سفكا وواحد الدماء دم واصله دمي في قول اكثر
النحويين ودليل من قال ان اصله دما قول الشاعر فلو انا على
حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقال قوم اصله دمي في
قول اكثر النحويين الا انه لما حذف ورد اليه ما حذف حركت الميم
لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس ماخوذة من النفاسة
وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل
الذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقال الخليل
كل موضع حله قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار
والاعتراف والشهادة اخذ من المشاهدة وهو الاخبار عن الشيء

بما

بما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة تقدير الاعراب في هذه
الآية مثل الذي قلناه في الآية الاولى على السواء ثم عطف سبحانه
على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق والعهود بقوله واذ اخذنا
ميثاقكم اي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى ع والانبياء
الماضين ع وانما اضاف الميثاق اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما سبق
الكلام فيه وقوله لا تسفكون دماءكم معناه لا يقتل بعضكم بعضا
لان في قتل الرجل منهم قتل نفسه اذا كانت ملتهما واحدة
ودينهما واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية
بعضهم بعضا لقول النبي صلى الله عليه واله انما المومنون في تراحمهم و
تعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ساير
الجسد والسهر هذا قول قتادة وابي العالية وقيل معناه لا تقتل الرجل
منكم غيره فيقاد به قصاصا فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كالسبب فيه
وقوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه لا يخرج بعضكم بعضا
من دياركم بان تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون
به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله ثم اقررتم وانتم
تشهدون اي اقررتم بذلك ايضا وانتم شاهدون على ما تقدم كم بما خذنا
منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم من القبول والالتزام وقيل
معنى اقرارهم هو الرضا به والصبر عليه كما قال الشاعر الستكليبيا
اذا سيم خطة اقركاقرار الحليلة للبعل واختلف في المخاطب بقوله
وانتم تشهدون فقيل هم اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر
رسول الله صلى الله عليه واله ايام هجرته اليهم ونجهم الله تعالى على

تضييعهم احكام ما فى التورية التى كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله
صلى الله عليه وآله يقراون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعنى اقرباكم وسلفكم
وانتم تشهدون على اقرارهم باخذى الميثاق عليهم بان لا تسفكوا دماءكم
ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وتصدقون بذلك عن ابن عباس وقيل
انه خبر من الله عن اوايلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم
على النحو الذى تقدم فى الايات وانتم تشهدون اى وانتم شهود عن ابى
العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون لامرين احدهما ان معناه وانتم
تشهدون على انفسكم بالاقرار والثانى ان معناه وانتم تحضرون
سفك دماءكم واخراج انفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين نزلت
الاية فى بنى قريظة والنضير وقيل نزلت فى اسلاف اليهود

ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان
ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما
جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل
عما تعملون آية   قرا اهل كوفة تظاهرون بتخفيف الظاء
ههنا وفى التحريم والباقون بالتشديد فيهما وقرا ابو جعفر ونافع
وعاصم والكسائى ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيهما و
قراءة حمزة وحده اسرى تفدوهم بغير الالف فيهما وقرا ابن كثير و
ابن عامر وابو عمرو اسارى بالالف تفدوهم بغير الالف وكان ابو عمرو

وحمزة

وحمزة والكسائى يميلون الراء من اسارى ونافع يقرا بين بين والباقون
يفتحون   من قرا تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون
فحذف التاء الثانية لاجتماع التائين ومن قرا تظاهرون بالتشديد
فالاصل فيه ايضا تتظاهرون فادغم التاء فى الظاء لقرب المخرجين
فكل واحد من الفريقين اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام
وفريق خفف بالحذف فالتاء التى اعتلت بالادغام هى التى اعتلت
بالحذف ووجه قول من قرا اسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول
نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى وهو اقيس من اسارى ووجه قول
من قال انه اسارى يشبهه بكسالى وذلك ان الاسير كان محبوسا
عن كثير من تصرفه للاسر كما ان الكسلان محتبس عن ذلك بعادته
السيئة شبه به فاجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى وموتى وهلكى
لما كانوا مبتلين بهذه الاشياء مصابين بها فاشبه فى المعنى فعيلا
بمعنى المفعول فاجرى عليه فى الجمع اللفظ الذى لفعيل بمعنى مفعول وكما
شبه اسارى بكسالى شبه كسلى باسرى ومن قرا تفادوهم فلان
كل واحد من الفريقين يفعل ضمن الاسر دفع الاسير ومن المأسور منهم المأسور
دفع فدائه فوجه تفادوهم على هذا ومن قرا تفدوهم فالمعنى فيه مثل
المعنى فى تفادوهم وهذا الفعل يتعدى الى مفعولين والى الثانى بالجار
كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر يودون لو يفدوننى
بنفوسهم ومثنى الاواقى والقيان النواهد وقال الاعشى فى فادى
عند ذى تاج اذا قيل له فاد بالمال تراخى ومزح المفعول الاول محذوف
والتقدير فاد الاسرى بالمال وفى الاية المفعول الثانى الذى يصل اليه

٣٦١

تظاهرون تعاونون والظهير المعين
الفعل بالحرف محذوف
وقوله والملئكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد و
مثله قول رؤبة دعها فما النحوى من صديقها اى من اصدقها وظاهر
بين درعين ليس احدهما فوق الاخرى والاثم الفعل القبيح الذى
يستحق بها اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم ما هو تنفر منه
النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله
لنواس بن سمعان حين سأله عن البر والاثم فقال البر ما اطمانت
اليه نفسك والاثم ما حاك فى صدرك والعدوان الافراط فى الظلم
يقال عدا فلان فى ظلمه عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وقيل العدو
ان مجاوزة الحد والاسر الاخذ بالقهر واصله الشد والحبس واسره
اذا شده وقال ابو عمرو بن العلاء الاسارى الذين هم فى الوثاق
والاسرى الذين فى اليد وان لم يكونوا فى الوثاق والخزى السوء و
الذل يقال خزى الرجل خزيا ويقال فى الحيا خزى خزاية قوله
ثم انتم هؤلاء فيه ثلثة اقوال احدها ان انتم مبتدا وهؤلاء منادى
مفرد تقديره يا هؤلاء وتقتلون خبر المبتدا وثانيها ان هؤلاء تاكيد
لانتم وثالثها ان بمعنى الذين وتقتلون صلة له اى انتم الذين تقتلون
انفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع لهم من الاعراب ومثله
الصلة قوله وما تلك بيمينك يا موسى اى ما التى بيمينك وانشد
النحويون فى ذلك عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين
طليق وقوله تظاهرون عليهم فى موضع نصب على الحال من تخرجون
وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين احدها ان يكون ضميرا

لاخراج

لاخراج الذى تقدم ذكره فى قوله وتخرجون فريقا منكم ثم بين ذلك
بقوله اخراجهم توكيدا لتراخى الكلام والاخراج يكون ضمير القصة
والحديث فكانه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله تعالى
قل هو الله احد اى الامر الذى هو الحق الله احد ثم انتم يا
معشر يهود بنى اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذى اخذته عليكم
ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم
على انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به تقتلون
انفسكم اى يقتل بعضكم بعضا كقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه تتعرضون للقتل
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم اى تتعاونون
عليهم فى اخراجكم اياهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسرى تفدوهم
اى وانتم مع قتلكم من تقتلون منكم اذا وجدتموه اسيرا فى ايدى
غيركم من اعدائكم تفدونهم وقتلكم اياهم واخراجكموهم من ديارهم
حرام عليكم كما ان تركهم اسرى فى ايدى عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون
ترك فداهم من عدوهم وهما جميعا فى الحكم اللازم لكم فيهم سواء
لان الذى حرمت عليكم اذا وجدتم اسيرا من تركهم اسرى فى ايدى
عدوهم افتؤمنون ببعض الكتاب الذى فرضت عليكم فيه فرايضى
وبينت لكم فيه حدودى واخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى فتصدقون
به فتفادون اسراكم من ايدى عدوهم وتكفرون ببعضه فتجحدونه
فتقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم وقومكم وتخرجونهم
من دياركم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم عهدى وميثاقى

واختلف فيمن عنى بهذه الاية فروى عكرمه عن ابن عباس ان قريظه
والنضير كانا اخوين كالاوس والخزرج فافترقوا فكانت الخزرج مع النضير
وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا
وضعت الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التورية فالاوس
والخزرج اهل الشرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا
قيامة ولا كتابا فانب الله اليهود بما فعلوه وقال ابو العاليه كان بنوا
اسرائيل اذا استضعف قوم قوما اخرجوهم من ديارهم وقد اخذ عليهم
الميثاق الا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم واخذ عليهم
الميثاق ان اسر بعضهم بعضا ان يفادوهم فاخرجوهم الذين فودوا
ولكنهم قوم اخرون على ملتهم فانبهم الله تعالى على ذلك وقال ابو
مسلم الاصفهاني ليس المراد بقوله افتؤمنون الاية انهم يخرجون
وهو محرم ويفدون وهو واجب وانما يرجع الى بيان صفة محمد صلى الله
عليه واله وغيره وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة
الدنيا اختلف في الخزي الذي خزاهم الله اياه بما سلف منهم من المعصية
فقيل هو حكم الله الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه واله من اخذ القاتل
بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو
اخذ الجزية منهم ما اقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل
الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه واله
بني النضير من ديارهم لاول الحشر وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم
وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مكفر
عنهم ذنوبهم وانهم صائرون بعده الى عذاب عظيم فقال ويوم القيمة

الذل بل

يردون

يردون الى اشد العذاب اى الى اشد العذاب الذى اعده الله لاعدائه
وهو العذاب الذى لا روح فيه مع الياس من التخلص وما الله بغافل عما
تعملون اى وما الله بساه عن اعمالهم الخبيثه بل هو حافظ لها ومجازي عليها
ومن قرا بالتاء رده الى المواجهين بالخطاب في قوله افتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض ومما يسال في هذه الاية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتماع
الايمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى
انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ويحتمل ان
يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون
بعض فكانكم امنتم ببعضه دون بعض وهذا يدل على انهم لا ينفعهم الايمان
بالبعض مع الكفر بالبعض الاخر وفي هذه الاية تسلية لنبينا صلى الله
عليه واله في ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الايمان به فكانه
يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لامرك ويؤمنون بك وهم لا
يعملون بكتابهم مع اقرارهم به وبانه من عند الله تعالى

**اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** اية

الخفة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظاير واختلف
في الخفة والثقل فقيل انه يرجع الى تناقص الجواهر وتزايدها وقيل
ان الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد اللازم المختص بجهة
العلو يسمى خفة اشار الى الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون
ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة اى ابتاعوا رياسة الدنيا بالاخرة اى رضوا بها

عوضا من نعيم الاخرة التى اعده الله تعالى للمومنين جعل الله سبحانه
تركهم حظوظهم من نعيم الاخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه من خسيس
الدنيا ثم اخبر انهم لا حظ لهم فى نعيم الاخرة بقوله فلا يخفف عنهم
العذاب اى لا ينقص من عذابهم ولا يهون عنهم ولا هم ينصرون
اى لا ينصرهم احد فى الاخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعـ

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ
وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ آية

قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال فى جميع القران والباقون بضم القاف
والدال وروى فى الشواذ عن ابى عمرو وايدناه على وزن افعلناه والقراءة
ايدناه بالتشديد التخفيف والتثقيل فى القدس حسنان وكذلك
فيما كان فيه مثله نحو الحلم والعنق وايدناه انما كانت القراءة
المشهورة فيه فعلناه لما يعرض من تصحيح العين مخافة توالى اعلالين
فى ايدناه على افعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما يجب اعلال
عين افعلت من الاجوف كما قمت وابعت لتتابع فيه اعلالان لان
اصل آيدت أأيدت كما ان اصل آمن أأمن فانقلبت الهمزة الثانية
الفا لاجتماع همزتين فى كلمة واحدة والاولى منهما مفتوحة والثانية
ساكنة وكان يجب ايضا ان تلقى حركة العين على الفاء وتحذف العين
كما القيت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها فصار اقمت وكان
يجب على هذا ان يقلب الفاء هنا واوا لانها قد تحركت وانفتح ما قبلها

ولابد

ولابد من قبلها لوقوع الهمزة الاولى قبلها كما قلبت فى تكسير ادم اوادم
فكان يجب ان يقول اودته كاقمته فتحذف العين كما ترى وتقلب الفاء
التى هى فى الاصل همزة واوا فيعتل الفا والعين جميعا واذا كان يودى
القياس الى هذا رفض وكثر فيه فعلت ليومن الاعلالان وجاء ايدت
قليلا شاذا على الاصل واذا كانوا قد اخرجوا عين افعلت وهى حرف
علة على الصحة فى نحو قوله صددت فاطولت الصدود واعود القوم
واغيمت السماء ولو اعلت لم يخف فيه توالى اعلالين كان خروج ايدت
على الصحة لئلا يجتمع اعلالان اولى واحرى قفينا اى اردفنا
واتبعنا بعضهم خلف بعض واصله من القفا تقول قفوت فلانا اذا
صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس وقفى على آثارهن
بحاصب وغيبته شؤبوب من الشد ملهب والرسل جمع رسول
كالصبر والشكر فى جمع صبور وشكور وايدناه قويناه من الايد
والآد وهما القوة ومثلهما فى البناء على فعل وفعل الذيم والذام
والعيب والعاب قال العجاج من ان تبدلت بآدى آدا اى بقوة
شبابى قوة الشيب والقدس الطهر والتقديس التطهير وقولنا فى
صفة الله تعالى القدوس اى الطاهر المنزه عن ان يكون له ولد او يكون
فى فعله وحكمه ما ليس بعدل وبيت المقدس لا يخلو المقدس فيه اما
ان يكون مكانا او مصدرا فان كان مكانا فالمعنى بيت المكان
الذى يفعل فيه الطهارة واضيف الى الطهارة لانه منسك كما جاء ان
طهرا بيتى للطائفين وتطهيره اخلاؤه من الصنم وابعاده منه
فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهارة وان كان مصدرا مقصورا

كقوله الى مرجعكم ونحوه من المصادر التى جارت على هذا المثال والهوى
مقصود والشهوة نظيران هوى يهوى هوى ثم ذكر سبحانه
انعامه عليهم بارسال رسله اليهم وما قابلوه به من تكذيبهم فقال
ولقد اتينا موسى الكتاب اى اعطيناه التورية وانزلناه اليه و
قفينا من بعده اى اتبعنا من بعد موسى بالرسل رسولا بعد رسول
يتبع الآخر الاول فى الدعاء الى وحدانية الله تعالى والقيام بشرايعه
على منهاج واحد لان كل واحد من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن
عيسى ع فانما بعثه باقامة التورية والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك
واتينا عيسى بن مريم البينات اى اعطيناه المعجزات والدلالات
على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من الايات
الدالة على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم اراد بالبينات الانجيل
وما فيه من الاحكام والايات الفاصلة بين الحلال والحرام وايدناه
بروح القدس اى قويناه واعناه بجبرئيل ع عن قتاده والسدى و
الضحاك والربيع واختلف فى سبب تسمية جبرئيل ع روحا على وجوه
احدها انه يحيى بما ياتى به من البينات الاديان كما يحيى بالارواح
الابدان وثانيها انه سمى بذلك لان الغالب عليه الروحانية وكذلك
ساير الملئكة وانما خص بهذا الاسم تشريفا له وثالثها انه سمى به
واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله تعالى اياه روحا من عنده
من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل
كما سمى الله تعالى القران روحا وقال وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا فكذلك سمى الانجيل روحا وروى الضحاك عن ابن عباس

ان الروح

ان الروح الاسم الذى كان عيسى عليه السلام يحيى به الموتى وقال
الربيع هو الروح الذى نفخ فيه فاضافه الى نفسه تشريفا كما قال بيت الله
وناقة الله واقوى الاقوال والوجوه قول من قال هو جبرئيل ع واذا قيل
لم خص عيسى ع من بين الانبياء بانه مؤيد بجبرئيل ع وكل نبى مؤيد به
والقول فيه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره الى كبره
فكان يسير معه حيث سار ولما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى
صعد به الى السماء وكان تمثل لمريم ع عند حملها به وبشرها به ونفخ
فيها واختلف فى معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن
السدى وحكى قطرب انهم يقولون قدس عليه الانبياء اى بركوا
على هذا فانه كدعاء ابراهيم ع للحرم رب اجعل هذا بلدا امنا وكقول
زكرياء واجعله رب رضيا وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن
والربيع وابن زيد وقالوا القدس والقدوس واحد وقوله افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم خطاب لليهود فكانه
قال يا معشر يهود بنى اسرائيل كلما جاءكم رسول من رسلى بغير الذى
تهواه انفسكم تعظمتم وتجبرتم وانفتم من قبول قوله ففريقا كذبتم
وفريقا تقتلون اى فكذبتم منهم بعضا ممن لم تقدروا على قتله
مثل عيسى ع ومحمد صلى الله عليه واله وقتلتم بعضا مثل يحيى وزكريا
وغيرهما ولفظ الخطاب وان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر وانما
اضاف هذا الفعل اليهم وان لم يباشروه بنفوسهم لانهم رضوا
بفعل اسلافهم فاضيف الفعل اليهم وان فعله اسلافهم
وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ

القراءة المشهورة غلف بسكون اللام وروى في الشواذ غلف
بضم اللام عن ابي عمرو من قرا بتسكين اللام فهو جمع الاغلف مثل
احمر وحمر يقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف وقوس غلفاء وجمعها
غلف ولا يجوز تثقيله الا في ضرورة الشعر فمن قرا غلف مثقلا نحو
قول طرفة ايها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر نحرك الضرورة
الشعر فمن قرا غلف مثقلا فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمار و
حمر فيكون معناه ان قلوبنا غلف اوعية للعلم فما بالها لا تفهم و يجوز
ان يكون التسكين عن التثقيل مثل رسل ورسل اللعن هو
الاقصاء والابعاد يقال لعن فلان فلانا فهو ملعون ثم يصرف
ملعون منه الى فعيل فقيل لعين قال الشماخ وماء قد وردت
لوصل اروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت به القطا ونفيت
عنه مقام الذئب كالرجل اللعين قليلا منصوب بانه صفة
لمصدر محذوف وانما حذف لان الصفة تقوم مقامه وتدل عليه
اي فايمانا قليلا ما يومنون وقيل انه منصوب على الحال اي يومنون
وهم قليل وقيل تقديره تقليلا ما يومنون حذف الجار بوصل
الفعل اليه فنصبه وما ههنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما في قوله
فبما رحمة من الله لنت لهم وتقدير الكلام فقليلا يومنون وكما في قول
الشاعر لونا ما من حيا يخطبها خضب ما انف خاطبا بدم وقيل
ان معنى ما ههنا هو ان يدل على غاية التنكير في الاسم وفرط الابهام
فيه كما يقال امر ما وشيء ما اذا اريد المبالغة في الابهام
رجع الكلام الى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقالهم وفعالهم فالمعنى

على القراءة الاولى انهم ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول فقالوا
اي فائدة في انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول اذ ما تقول ليس مما
يفهم كقوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر وقال ابو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها
من الاعضاء اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بان عليه مانعا من ذلك
دونه حائلا من ذلك قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على
قلوب اقفالها لما كان القفل حاجزا بين المقفل عليه وحائلا من ان
يدخله ما يدخل اذا لم يكن مقفلا جعل مثالا للقلوب في انها لا تعي
ولا تفقه وكذلك قوله تعالى لقالوا انما سكرت ابصارنا والذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وقوله بل هم منها عمون كان شدة
عنادهم يحملهم على الشك في المشاهدات ودفع المعلومات واما
المعنى على القراءة الثانية من تحريك العين في غلف فهو على ان المراد
ان قلوبنا اوعية للعلم ونحن علماء فلو كان ما تقوله شيئا يفهم او له
طائل لفهمناه او يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان
ما تقوله شيئا يفهم او له علما لكان فيها وقوله بل لعنهم الله بكفرهم
رد الله عليهم قولهم اي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد اقصاهم
وابعدهم من رحمته وطردهم عنها بجحودهم وبرسله وقيل معنى لعنهم الله
طبع على قلوبهم على سبيل المجازاة لهم بكفرهم وقوله فقليلا ما
يومنون معناه ان هولاء الذين وصفهم قليل الايمان بما انزل
على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وان كان معهم بعض الايمان
من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضا عليهم

وذلك قليل بالاضافة الى ما جحدوه من التصديق بنبيّنا عم وبما
جاء به والذي يليق بمذهبنا ان يكون المراد به لا ايمان لهم اصلاً و
انما وصفهم بالقليل كما يقال قلّ ما رايت هذا قط اي ما رايت هذا
قط وان جعلت قليلاً نصباً على الحال اي يؤمنون قليلاً فمعناه لا
يؤمن منهم الا نفر قليل كعبد الله بن سلام واصحابه وفي هذه الآية
ردٌّ على المجبرة لان هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من ان على
قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى
في ذلك بان لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين في ذلك لما
استحقوا اللعن والطرد ولكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكَافِرِينَ
آية

مصدق رفع لانه صفة لكتاب ولو نصب على الحال
لكان جايزا لكنه لم يقرا به في المشهور وقيل ضم على الغاية وقد
ذكرنا الوجه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبل و
اما جواب لما في قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله فعند الزجاج
والاخفش محذوف لان معناه معروف يدل عليه قوله فلما جاء
هم ما عرفوا كفروا به كما حذف جواب من نحو قوله ولو ان قرانا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وتقديره
ولو ان قرانا سوى هذا القران سيرت به الجبال لسيرت بهذا
القران وقيل ان قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من

عند

عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا وانما كرّر لما طول الكلام عن
المبرد قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون اي يستنصرون
على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فلما بعثه
الله من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا
يقولونه فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يا معشر
اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه
وآله ونحن اهل الشرك وتصفونه وتذكرون انه مبعوث فقال
سلام بن مشكم اخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي
كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى هذه الآية وروى العياشي باسناده
رفعه الى ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال كانت اليهود تجد
في كتبها ان مهاجر محمد صلى الله عليه وآله ما بين عير واحد فخرجوا
يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا احداد واحد سواء
فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيما وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر
فاشتاق الذين بتيما الى بعض اخوانهم فمر بهم اعرابي من قيس
فتكاروا منه وقال لهم امر بكم ما بين عير واحد فقالوا له اذا
مررت بهما فآذنا بهما فلما توسط بهم ارض المدينة قال ذلك عير
وهذا احد فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا قد اصبنا بغيتنا فلا حاجة
بنا الى ابلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين
بفدك وخيبر انا قد اصبنا الموضع فهلموا الينا فكتبوا اليهم
انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقربنا
منكم فاذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم واتخذوا بارض المدينة

اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم
ثم امنهم فنزلوا عليه فقال لهم انى قد استطبت بلادكم ولا ارانى الا
مقيما فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انها مهاجر نبى وليس ذلك لاحد
حتى يكون ذلك فقال لهم فانى مخلف فيكم من اسرتى من اذا كان
ذلك ساعده ونصره فخلف حيين تراهم الاوس والخزرج فلما كثروا
بها كانوا يتناولون اموال اليهود تقول لهم اما لو قد بعث محمد لنخرجنكم
من ديارنا واموالنا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله امنت به
الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى وكانوا يستفتحون
على الذين كفروا الاية ولما جاءهم اى جاء اليهود من بنى
اسرائيل الذين وصفهم الله تعالى كتاب من عند الله يعنى القران
الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله مصدق لما معهم
اى الذى معهم من الكتب التى انزلها الله تعالى قبل القران من
التورية والانجيل وغيرهما وفيه وجهان احدهما ان معناه انه
مصدق لما تقدم به الاخبار فى التورية والانجيل فهو مصدق
لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به والاخر انه مصدق
لهما اى بانهما من عند الله تعالى وانهما حق وكانوا يعنى اليهود من
قبل اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وآله ونزول القران يستفتحون
فيه وجوه احدها ان معناه يستنصرون اى يقولون فى الحروب
اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبى الامى اللهم انصرنا بحق
النبى المبعوث الينا فهم يسالون الفتح الذى هو النصر وثانيها
انهم كانوا يقولون لمن ينابذهم هذا نبى قد اظل زمانه ينصرنا

عليكم

عليكم وثالثها ان معنى يستفتحون يستعلمون من علمائهم صفة
نبى يبعث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه ورابعها ان
معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال الا ابلغ بنى
عصم رسولا فانى عن فتاحتكم غنى اى عن محاكمتكم به وقوله على الذين
كفروا اى على مشركى العرب فلما جاءهم ما عرفوا صفته ومبعثه كفروا
به حسدا وبغيا وطلبا للرياسة فلعنة الله اى غضبه وعقابه على
الكافرين وقد فسرنا معنى اللعنة والكفر فيما مضى بئسما
اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل
الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على
غضب وللكافرين عذاب مهين اية قرا ابو عمرو
ان ينزل خفيفة كل القران الا فى الانعام ان ينزل اية فانه شددها
وقرا ابن كثير بالتخفيف كل القران الا فى سبحان وينزل من القران
وحتى ينزل فانه شددهما وقرا حمزه والكسائى كل القران بالتشديد
الا فى الم وعسق ينزل الغيث فانهما قراهما بالتخفيف وقرا الباقون
بالتشديد كل القران واتفقوا فى الحجر وما ينزله انه مشدد
نزل فعل غير متعدى ويعدى بالاضراب الثلثة وهى النقل بالهمزة
وتضعيف العين وحرف الجر فانزل ونزل لغتان وهما عدى بالحرف
قوله تعالى نزل به الروح الامين فيمن رفع الروح وقد كثر مجى التنزيل
فى القران فهذا يقوى نزل ولم نعلم فيه الانزال وكثر فيه مجى انزل
بئس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن فعل و
فيهما اربع لغات نعم وبئس مثل حمد ونعم وبأس بسكون العين

ونعم وبئس بكسر الفاء ونعم وبئس واشتروا افتعلوا من الشراء
والاكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت والاكثر
ما تقدم والبغي اصله الفساد ماخوذ من قولهم بغى الجرح اذا فسد
وقيل اصله الطلب لان الباغي يطلب التطاول الذي ليس له ذلك
وسميت الزانية بغيا لانها تطلب والاهانة الاذلاله
قال الزجاج بئس اذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزلة اسم
منكور وانما كان ذلك في نعم وبئس لانهما لا يعملان في اسم علم
انما يعملان في اسم منكور دال على جنس او اسم فيه الف ولام يدل
على جنس وانما كانت كذلك لان نعم مستوفية لجميع المدح و
بئس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت
استحق زيد المدح الذي يكون في ساير جنسه وكذلك اذا قلت
بئس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذي يكون في
ساير جنسه فلم يجز اذ كان يستوفي مدح الاجناس ان يعمل من
غير لفظ جنس فاذا كان معهما اسم جنس بغير الف ولام
فهو نصب ابدا واذا كانت فيه الف ولام فهو رفع ابدا نحو نعم
الرجل زيد ونعم رجلا زيد وانما نصبت رجلا للتمييز وفي نعم
اسم مضمر على شريطة التفسير ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة
لان الصلة توضح وتخصص والقصد في نعم ان يليها اسم منكور
او اسم جنس فقوله بئسما اشتروا به انفسهم تقديره بئس شيئا
اشتروا به انفسهم قال ابو علي قوله ولذلك كانت ما في نعم
بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة لم يجز عنده ان تكون

فاعلة

فاعلة نعم وبئس وذلك عندنا لا يمتنع ووجه جوازه ان مبهم
يقع على الكثرة ولا تخصص واحدا بعينه كما ان اسماء الاجناس تكون
للكثرة وذلك في نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فالقصد به
ههنا الكثرة وان كان في اللفظ مفردا بدلالة قوله تعالى ويقولون
هؤلاء وتكون معرفة ونكرة كما ان اسماء الاجناس تكون معرفة
ونكرة وقد اجاز ابو العباس المبرد في الذي ان يلي نعم وبئس اذا
كان عاما غير مخصوص كما جاء في قوله والذي جاء بالصدق واذا
جاز في الذي كان في ما اجوز فقوله بئسما اشتروا به انفسهم يجوز
عندي ان تكون ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعله لبئس ويجوز
ان تكون منكورة فتكون اشتروا صفة غير صلة ويدل على صحة ما
رايته قول الشاعر وكيف اذهب امرا او اذاع به وقد ذكات الى
بشر بن مروان فنعم مزكاء من ضاقت مذاهبه ونعم من هو في سر
واعلان الا ترى انه جعل مزكاء فاعل نعم لما كان مضافا الى من
وهي تكون عامة غير معينة واما قوله ان تكفروا بما انزل الله فموضعه
رفع وهو المخصوص بالذم وان شئت رفعته على انه مبتدا مؤخر و
ان شئت على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا الشيء المذموم كفرهم
بما انزل الله وقوله بغيا نصب بانه مفعول له كقول حاتم واغفر
داء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما المعنى اغفر عوراه
لادخاره واعرض عن شتم اللئيم للتكرم وموضع ان الثانية نصب
على حذف حرف الجر يعني بغيا لان ينزل الله اي من اجل ان ينزل الله

ثم ذم الله تعالى اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال
بئسما اشتروا به انفسهم اى بئس شيا باعوا به انفسهم او بئس الشئ
باعوا به انفسهم ان يكفروا اى كفرهم بما انزل الله يعنى القران ودين
الاسلام المنزل على محمد صلى الله عليه واله فاذا سئل كيف باعت اليهود
انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشرا ازالة ملك المالك الى غيره
بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك فى كل معتاض من عمله عوضا خيرا
كان او شرا فاليهود لما اوبقوا نفوسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه واله
واهلكوها خاطبهم الله تعالى بما كانوا يعرفونه فقال بئس الشئ رضوا
به عوضا من ثواب الله وما اعده لهم لو كانوا امنوا بالله وما انزل
على نبيه النار وما اعد لهم بكفرهم ونظير ذلك الايات فى سورة
النسا من قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت الى قوله واتيناهم ملكا عظيما وقوله بغيا اى
حسدا لمحمد صلى الله عليه واله اذ كان من ولد اسمعيل وكانت الرسل
قبل من بنى اسرايل وقيل طلبا الشئ ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله ان
ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وهو النبوة والوحى وقوله
فباؤا بغضب على غضب معناه رجعت اليهود من بنى اسرايل بعد
ما كانوا عليه من الاستنصار بمحمد والاستفتاح به والاخبار بانه
نبى مبعوث مرتدين ناكصين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب
من الله استحقوه منه بكفرهم وقال مورج معنى باؤا بغضب استوجبوا
اللعنة جرهم ولا يقال باء مفردة حتى يقال اما بخير واما بشر
وقال ابو عبيدة فباؤا بغضب احتملوه واقروا به واصل البوء التقرير

والاستقرار

والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال احدها ان الغضب الاول
حين غيروا التورية قبل مبعث النبى صلى الله عليه واله والغضب الثانى
حين كفروا بمحمد صلى الله عليه واله عن عطا وغيره وثانيها ان الغضب الاول
حين عبدوا العجل والثانى حين كفروا بمحمد عن السدى وثالثها ان الاول
حين كفروا بعيسى عليه السلم والثانى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه واله
عن الحسن وعكرمه وقتاده ورابعها ان ذلك على التوكيد والمبالغة
اذ كان الغضب لازما لهم فيتكرر عليهم عن ابى مسلم والاصم وللكافرين
عذاب مهين معناه للجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه واله عذاب مهين
من الله اما فى الدنيا واما فى الاخرة والمهين هو الذى يذل صاحبه و
يخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين الذى لا ينتقل منه الى اعزاز واكرام
وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصا وتكفيرا ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم
فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ
تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ آية
ما وراءه اى ما بعده قال الشاعر يمنى الامانى ليس شى وراها
كموعد عرقوب اخاه بيثرب قال الفراء معنى وراءه سواه كما يقال
للرجل يتكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شى يراد ليس عند
المتكلم به شى سوى ذلك الكلام قوله مصدقا نصب
على الحال وهذه حال مؤكدة قال الزجاج زعم سيبويه والخليل و
جميع النحويين الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قايما خطا لان قولك

هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس فى الحال فايدة لان الحال يوجب ههنا
انه اذا كان قايما فهو زيد واذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطاء فاما
قولك هو زيد معروفا وهو الحق مصدقا ففى الحال هنا فايدة كانك
قلت اثبته له معروفا وكانه بمنزلة قولك هو زيد حقا معروف حال
لانه انما يكون زيدا بانه يعرف بزيد وكذلك القران هو الحق اذا كان
مصدقا لكتب الرسل ع وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال
فالمراد به الماضى وانما جاز لقوله من قبل وان بمعنى الشرط ويدل على جوابه
ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم قتلتم انبياء الله وقيل ان بمعنى
ماء النافيه اى ما كنتم مؤمنين   واذا قيل لهم يعنى اليهود الذين
تقدم ذكرهم امنوا اى صدقوا بما انزل الله من القران على محمد صلى الله
عليه واله والشرايع التى جاء بها قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنى التورية
ويكفرون بما وراءه اى يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقران او
بما سواه التورية من الكتب المنزلة كقوله سبحانه واحل لكم ما وراء
ذلك وقال ابن الانبارى تم الكلام عند قوله بما انزل علينا ثم ابتداء
الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراءه اى بما سواه وهو
الحق يعنى القران مصدقا لما معهم يعنى التورية لان تصديق محمد ع
وما انزل معه من القران مكتوب عندهم فى التورية قال الزجاج
وفى هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما يصدق
ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم نؤمن بما انزل علينا فقال قل
فلم تقتلون انبياء الله من قبل اى قل يا محمد لهم فلم قتلتم انبياء الله
وقد حرم الله فى الكتاب الذى انزل عليكم قتلهم وامركم فيه باتباعهم

وفرض

وفرض عليكم طاعتهم وتصديقهم ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم وقال
الزجاج ان بمعنى ما هنا كانه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد لانما
قال تقتلون بمعنى قتلتم لان لفظ المستقبل يطلق على الماضى اذا كان
ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت تسرق وتقتل اذا صار
ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذمه وتوبيخه على ذلك الفعل فى المستقبل
وانما يراد توبيخه على ما مضى وانما اضاف اليهم فعل ابائهم واسلا فهم
لاحد الامرين احدهما ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة ومن
غاب منهم واحد فاذا قتل اسلافهم الانبياء وهم مقيمون على مذهبهم
طريقتهم فقد شركوهم فى ذلك والاخر انهم رضوا بافعالهم والراضى
بفعل قوم كالداخل فيه معهم وهذا المعنى قريب من الاول وفى هذه
الاية دليل على ان الايمان بكتاب من كتب الله لا يصح اذا لم يحصل
الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التى هى مثله فى اقتران المعجزة
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ اية   ثم حكى سبحانه
عنهم ما يدل على قلة بصيرتهم فى الدين وضعفهم فى اليقين فقال
ولقد جاءكم موسى بالبينات الدالة على صدقه والمعجزات المؤيدة
لنبوته كاليد البيضاء وانبجاس الماء من الحجر وفلق البحر وقلب العصا
حية والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وسماها بينات
لظهورها وتبيانها للناظرين اليها انها معجزة يتعذر الاتيان بها
على كل بشر وقوله ثم اتخذتم العجل يعنى اتخذتم العجل الها وعبدتموه
من بعده موسى لما فارقكم ومضى الى الميقات دبره ويجوز ان يكون

الهاء كناية عن المجئ فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجئ بالبينات
وانتم ظالمون لانفسكم بكفركم وعبادتكم العجل لان العبادة لا تكون
لغير الله تعالى وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ خُذُوْا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوْا قَالُوْا سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَاُشْرِبُوْا فِي قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ
بِهِ اِيْمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ آية اسمعوا معناه اقبلوا ومنه
قولهم سمع الله لمن حمده اى قبل الله حمد من حمده وقوله واشربوا اصله
من الشرب يقال شرب واشرب غيره اذا حمله على الشرب واشرب
الزرع سقى واشرب قلبه حب هذا قال زهير فصحوت عنها بعد
حب داخل والحب يشربه فؤادك داء قوله العجل اى حب
العجل حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ومثله قول الشاعر
حسبت بغام راحلتى عناقا وما هى ويب غيرك بالعناق اى حسبت
بغام راحلتى بغام عناق وقال طرفة الا اننى سقيت اسود حالكا
الا بجلى من الشراب الا بجلى يريد سقيت اسم اسود وقال اخر وشر المنايا
ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحى حاضره اى منية ميت
وقوله بئسما يامركم به ايمانكم قد تقدم ذكر اعرابه وان يجوز ان يكون
بمعنى ما اى ما كنتم مؤمنين وجائز ان يكون تقديره ان كنتم مؤمنين
فبئس ما يامركم ايمانكم به هذا قوله واذ اخذنا ميثاقكم و
رفعنا فوقكم الطور وقد فسرنا فيما مضى والفايدة فى تكرير هذا وامثاله
التاكيد وايجاب الحجة عليهم على عادة العرب فى مخاطبتها وقيل انه
سبحانه لما عدد فضايح اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل انه تعالى انما ذكر

الاول

الاول للاعتبار باخبار من مضى والثانى للاحتجاج عليهم وقوله واسمعوا
اى اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى
عليكم اى استمعوا لتسمعوا وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول ولا ثانى
بينهما فيحمل عليهما فكانه قيل استمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا واطيعوا ويدل
عليه انه قال فى الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان احدهما
انهم قالوا هذا القول فى الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك
وعصينا امرك والثانى ان حالهم كحال من قال ذلك اذ فعلوا ما
دل عليه كما قال الشاعر قالت جناحاه لرجليه الحقى وان كان الجناح
لا يقول ذلك وانما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب الى الخبر عن الغايب
على العادة المالوفة واختلف فى هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود
الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وآله بانهم قالوا ذلك له ثم
رجع الى الحديث اوايلهم فقال واشربوا وقيل الى اليهود الذين كانوا فى عصر
موسى عليه السلام اذ ردوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله واشربوا
فى قلوبهم فمعناه دخل قلوبهم حب العجل وانما عبر عن حب العجل بالشرب
دون الاكل لان شرب الماء يتغلغل حيث لم فى الاعضاء حتى يصل
الى بواطنها والطعام يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر
يتغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور وليس المعنى فى
قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول
القايل انسيت ذلك من النسيان وليس يريد ان غيره فعل ذلك
به ويقال اوتى فلان علما جما وان كان هو المكتسب له وقوله بكفرهم
لبس معناه انهم اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لان محبة العجل

كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر فى العبد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه
انهم اشربوا حب العجل جزاء كفروا بالله تعالى بما اشربوه من محبة العجل
وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم من زينه عندهم ودعاهم اليه
كالسامرى وشياطين الجن والانس فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم
التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجويزهم العبادة لغيره اشربوا فى قلوبهم
حب العجل لانهم صاروا الى ذلك لهذه المعانى التى هى كفر وقول من
قال فعل الله تعالى ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لان حب
العجل لانهم صاروا الى ذلك لهذه المعانى التى هى كفر وقول من قال
فعل الله تعالى ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لان حب العجل
ليس من العقوبة فى شئ ولا صنو فيه وقوله قل بئس ما يامركم به
ايمانكم معناه قل يا محمد لهولاء اليهود بئس الشئ يامركم به ايمانكم
ان كان يامركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه ومحمد ما
جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم بالذى زعموا انهم مصدقون
به من كتاب الله بقولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين
اى مصدقين كما زعمتم بالتورية وفى هذا نفى عن التورية ان يكون
يامر بشئ يكرهه الله من افعالهم واعلام بان الذى يامرهم كذلك بذلك
اهواءهم ويحملهم عليه آراؤهم قل ان كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين اية الخالصة الصافية
يقال خلص لى هذا الامر اى صار لى وحدى وصفا لى يخلص خلوصا
وخالصة فالخالصة مصدر كالعافية واصل الخلوص ان يصفو

التى

الشئ من كل شائبة ودون يستعمل على ثلثة اوجه ان يكون الشئ
دون الشئ فى المكان وفى الشرف وفى الاختصاص وهو المراد فى الاية
والتمنى من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لما
كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى فى القلب
ولا خلاف فى انه ليس من قبيل الشهوة خالصة نصب على
الحال ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضح به
احبارهم وعلماءهم ودعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل
يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون
محمد واصحابه كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى وكنتم صادقين فى قولكم نحن ابناء الله واحباؤه وان الله
لا يعذبنا فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعا كان الموت
احب اليه من حيوة الدنيا التى فيها انواع المشاق والهموم والآلام و
الغموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم
فانه يؤثر الموت على الحيوة الا ترى الى قول امير المؤمنين عليه السلم
لما وهو يطوف بين الصفين بصفين فى غلالة لما قال له الحسن ابنه ما
هذا زى الحرب فقال يا بنى ان اباك لا يبالى وقع على الموت او وقع
الموت عليه وقول عمار بن ياسر بصفين ايضا الآن الاقى الاحبة محمدا
صلى الله عليه وآله وحزبه واما ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم
احينى ما دامت الحيوة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى فانها
نهى عن تمنى الموت فانه يدل على الجزع والمامور به الصبر وتفويض الامور

اليه ولانا لانامن وقوع التقصير فيما امرنا به و نرجوا فى البقاء التلافى
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
آية ابدا نصب على الظرف اى طول عمرهم يقول القائل
لا اكلمك ابدا اريد ماعشت وما بمعنى الذى اى بالذى قدمت ايديهم
ويجوز ان يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمه ايديهم
اخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
بانهم لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموه من المعاصى والقبايح وتكذيب
الكتاب والرسول عن الحسن وابى مسلم وقيل بما كتموا من صفة النبى
صلى الله عليه وآله عن ابن جريج واضاف ذلك الى اليد وان كانوا
انما فعلوا ذلك باللسان لان العرب تقول هذا ما كسبت يداك وان
كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه ان الغالب ان تحصل الجناية
باليد فيضاف لذلك اليها ما تحصل بغيرها وقوله والله عليم بالظالمين
خص الظالمين بذلك وان كان عليما بهم وبغيرهم لان الغرض بذلك
الزجر والتهديد كما يقول الانسان لغيره انا عارف بك بصير بعملك
وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التى منعتهم عن تمنى الموت
وبما اضمروه واسروه من كتمان الحق عنادا مع علم كثير منهم انهم
مبطلون وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لو ان اليهود تمنوا
الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه انهم لن
يتمنوه ابدا تحقيقا لكذبهم وفى ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا
محمد صلى الله عليه وآله وصحة نبوة النبى ع لانه اخبر بالشئ قبل كونه فكان
كما اخبر وايضا فانهم كفوا عن التمنى للموت لعلمهم بانه حق ولو

انهم

انهم تمنوا الموت لماتوا وروى الكلبى عن ابن عباس انه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لهم ان كنتم صادقين فى مقالتكم و
قولوا اللهم امتنا فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه فمات
مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة وان النبى لما دعا
النصارى الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق
النبى صلى الله عليه وآله فى قوله لو باهلونى لرجعوا لا يجدون اهلا
ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما ان النصارى لما احجموا عن
المباهلة افتضحوا وظهر الحق فان قيل من اين علمتم انهم لن يتمنوا
الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال ان التمنى هو القول فالسؤال
ساقط عنه ومن قال هو معنى فى القلب قال لو تمنوه بقلوبهم لاظهروا
بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه فى اخباره ولان تحديهم بتمنى الموت
انما وقع بما يظهر على اللسان وكان يسهل عليهم ان يقولوا ليت الموت
نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه وصحت حجته ع
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ
الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ آية
وجدته وصادفته والفاه نظاير يقال وجدت الشئ وجدانا اذا اصبته
ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم
حراص والمودة والمحبة ويقال وددت الرجل اوده ودا وودا وودا
وودادة ومودة والتعمير طول العمر والعمر والعمر لغتان واصله من
العمارة التى هو ضد الخراب والعمر المدة التى يعمر فيها البدن بالحيوة

والالف من التاليف سمى بذلك العدد ولانه ضم مائة عشر مرات والزحزحة
التنحية يقال زحزحته فتزحزح وقال الشاعر وقالوا تزحزح لابنا فضل
حاجة اليك ولا منا لوهيك رافع والبصير بمعنى المبصر كما ان السميع بمعنى
المسمع ولكنه صرف الى فعيل ومثله بديع السموات بمعنى المبدع والعذاب
الاليم بمعنى المولم هذا فى اللغة وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات
والبصير هو الحى الذى لا افة به فهو ممن يجب ان يبصر المبصرات اذا
وجدت وليس احدهما هو الاخر وكذلك القول فى السميع والسامع
لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتاكيد وتقديره والله
لتجدنهم قال سيبويه سالت الخليل عن قوله لتفعلن اذا جاءت
مبتداة فقال هى على نية القسم وهذه اللام اذا دخلت على المستقبل
لزمته فى الامر الاكثر النون واذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة
تعدى الى مفعول واحد كفقدت الذى هو ضده فينتصب احرص
على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين ثانيهما عبارة عن
الاول فيكون احرص هو المفعول الثانى وهو الاصح وقوله ومن
الذين اشركوا قال الفراء يريد واحرص من الذين اشركوا ايضا
كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لان تاويل قولك
اسخى الناس انما هو اسخى من الناس وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم
احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من فى قوله ومن الذين
اشركوا ولم تدخل فى احرص الناس لانهم بعض الناس والاضافة
فى باب افعل لا يكون الا كذلك تقول الياقوت افضل الحجارة
ولا تقول الياقوت افضل الزجاج بل تقول افضل من الزجاج

فلذلك

فلذلك قال ومن الذين اشركوا لان اليهود ليسوا هم بعض المجوس
وهم بعض الناس وفى قوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان
يعمر فيه وجوه احدها ان هو كناية عن احدهم الذى جرى ذكره
وان يعمر فى موضع رفع بانه فاعل تقديره وما احدهم بمزحزحه
من العذاب تعميره كما تقول مررت برجل معجب قيامه وثانيها
ان هو كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو
وتقديره وما تعميره بمزحزحه من العذاب وكانه قيل وما هو الذى
ليس بمزحزحه فقيل هو التعمير وثالثها ان هو عماد وان يعمر فى موضع
الرفع بانه مبتدا وبمزحزحه ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال لا
يجيز البصريون ما هو قائما زيد وما هو بقائم زيد بمعنى الامر والشان
وقال غيره اذا كانت ما غير عاملة فى الباء جاز كقولهم ما بهذا باس
ثم اخبر سبحانه عن احوال اليهود فقال ولتجدنهم اى ولتعلمن
يا محمد هولاء اليهود وقيل يعنى علماء اليهود احرص الناس على حيوة
اى حرصهم على البقاء فى الدنيا اشد من حرص ساير الناس ومن الذين
اشركوا اى ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن
لا يؤمن بالبعث وقال ابو على الجبائى ان الكلام تم عند قوله
على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا تقديره ومن الذين اشركوا
من يود احدهم لو يعمر الف سنة فحذف من وقال على بن عيسى
هذا غير صحيح لان حذف من لا يجوز فى مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم
الاصفهانى ان فى الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره ولتجدنهم وطائفة
من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة واقول اذا جاز ههنا ان يحذف

الموصول الذى هو طائفة ويقام الصفة مقامه وهو قوله ومن الذين
اشركوا فليحمل على ما ذهب اليه الجبائى ان يكون تقديره ومن الذين
اشركوا طائفة يود احدهم لو يعمر الف سنة مقامه فيصح على هذا تقدير
الحذف ويستوى القولان من حيث الصورة والصفة ويختلفان
من حيث المعنى ويكون من ههنا هى الموصوفة لا الموصولة كما قدّره
الجبائى وقوله يودّ احدهم لو يعمّر الف سنة ذكر الالف سنة لانها
نهاية ما كانت المجوس تدعو به بعضهم لبعض ويحيى به الملوك يقولون
عش الف نوروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن
عطس هزار سال بزى يقول فهولاء الذين يدّعون ان لهم الجنة
لا يتمنون الموت وهم احرص ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب
ان يكون هؤلاء لعلمهم بما اعدّ الله لهم فى الاخرة من الجحيم والعذاب
الاليم على كفرهم وعنادهم مما لا يقرّ به اهل الشرك فهم للموت اكره
من اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحيوة احرص لهذه
العلة وقوله وما هو بمزحزحه اى وما احدهم بمنجيه من عذاب الله
ولا مبعده منه تعميره وهو ان يطول له البقاء لانه لا بدّ للعمر من الفناء
هذا هو احسن الوجوه التى تقدّم ذكرها والله بصير بما يعملون اى عليم
باعمالهم لا يخفى عليه شئ منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم
بها العذاب وفى هذه الاية دلالة على ان الحرص على طول البقاء
لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للازدياد
فى الطاعة وتلافى الفائت بالتوبة والانابة ودرك السعادة با
الاخلاص فى العبادة والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلم

في قوله

فى قوله بقية عمر المؤمن لا قيمة له يدرك بها ما فات ويحيى بها ما
امات قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ
بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ايتان قرا ابن كثير
جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرا حمزة والكسائى وابو بكر
الا يحيى جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا على زنة جبرعيل وروى يحيى
كذلك الا انه حذف الياء بعد الهمزة فصار مثل جبرعل والباقون
بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقراء اهل المدينة ميكائل
بهمزة مكسورة بعد الالف على زنة ميكاعل وقراء اهل البصرة ميكال
بغير همز ولا ياء والباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة
ميكاعيل قال ابو على روينا عن ابى الحسن انه قال فى
جبرئيل ست لغات جبرائل وجبرائيل وجبرال وجبرال وجبريل
وجبرئل فمن قال جبرئيل كان على لفظ قنديل وبرطيل ومن قال جبرئيل
على وزن عندليب ومن قال جبرئل كان على وزن جحمرش ومن قال
ميكال كان على وزن قنطار وميكائيل وجبرئيل خارج عن كلام العرب
وهذه الاسماء معرّبة فاذا اتى بها على ما فى ابنية العرب مثله كان
اذهب فى باب التعريب وقد جاء فى اشعارهم ما هو على لفظ التعريب
وما هو خارج عن ذلك قال عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل
وكذبوا ميكالا وقال حسان وجبريل رسول الله منا وروح القدس
ليس له كفاء جبرئيل وميكائيل اسمان اعجميان عرّبا وقيل

جبر في لغة السريانية هو العبد وايل هو الله وميك عبيد فمعنى جبريل
عبد الله وميكائيل عبيد الله وقال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من
وجهين احدهما ان ايل لا يعرف من اسماء الله تعالى في اللغة العربية
والاخر انه لو كان كذلك لكان اخر الاسم مجرورا كقولهم عبد الله
والبشرى والبشارة الخبر السار اول ما يرد فيظهر ذلك في بشرة الوجه
جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل
فلمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك باذن الله والهاء في قوله فانه
يعود الى جبريل والهاء في نزله يعود الى القران وان لم يجر له ذكر كما ان هاء
في قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة يعود الى الارض ويجوز ان
يكون على فان الله نزل جبريل على قلبك الا انه نزل بنفسه والاول
الاصح ونصب مصدقا على الحال من الهاء في نزله وهو ضمير القران
او جبريل ع ابن عباس قال سبب نزول هذه الاية ما روي
ان ابن صوريا وجماعة من يهود اهل فدك لما قدم النبي صلى الله عليه و
اله المدينة سالوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي
الذي ياتي في اخر الزمان فقال تنام عيناي وقلبي يقظان قالوا صدقت
يا محمد فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل او المراة فقال اما العظام
والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن
المراة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس من فيه
شبه اخواله شيء او يشبه اخواله شيء وليس فيه من شبه اعمامه
شيء فقال ايهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد
قالوا فاخبرنا عن ربك ما هو فانزل الله سبحانه قل هو الله احد الخ

السورة

السورة فقال له ابن صوريا خصلة واحدة ان قلتها امنت بك
واتبعتك اي ملك ياتيك بما ينزل الله عليك قال فقال جبريل
قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل ينزل با ليسر
والرخا فلو كان ميكائيل هو الذي ياتيك لامنا بك فانزل الله
هذه الاية جوابا لليهود وردا عليهم فقال لهم قل يا محمد من كان
عدوا لجبريل اذ كان هو المنزل عليك الكتاب فانه انما انزله على
قلبك باذن الله لا من تلقاء نفسه وانما اضافه الى قلبه لانه اذا
نزل عليه كان يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى قوله باذن الله بامر الله
وقيل اراد بعلمه او باعلام الله اياه ما ينزله على قلبك وقوله مصدقا
لما بين يديه معناه موافقا لما بين يديه من الكتب ومصدقا له بانه
حق وبانه من عند الله لا مكذبا لها وهدى وبشرى للمومنين معناه
ان كان فيما انزله الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى و
بشرى للمومنين وانما خص الهدى بالمومنين من حيث كانوا هم
المهتدين به العاملين بما فيه وان كان هدى لغيرهم ايضا وقيل اراد
بالهدى الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمومنين ومعنى البشرى
فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم وان جعلت مصدقا وهدى وبشرى
حالا لجبريل فالمعنى انه يصدق بكتب الله الاولى وياتي بالهدى
والبشرى وانما قال سبحانه في الاية على قلبك ولم يقل على قلبي على
العرف المالوف كما تقول لمن تخاطبه لا تقل للقوم ان الخبر عندك
ويجوز ان تقول لا تقل لهم ان الخبر عندي وكما تقول قال القوم عد ونا
ويجوز ان تقول قالوا جبريل عدوهم واما قوله تعالى من كان عدوا

الله وملئكته ورسله فمعناه من كان معاديا لله اى يفعل فعل المعادى
من المخالفة والعصيان فان حقيقة العداوة طلب الاضرار به وهذا
يستحيل على الله تعالى وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين
يؤذون الله وقوله وملئكته اى معاديا للملئكة ورسله وجبرئيل
وميكائيل وانما اعاد ذكرهما لفضلهما ومنزلتهما كقوله سبحانه فيهما
فاكهة ونخل ورمان وقيل انما اعاد ذكرهما لان اليهود قالت
جبرئيل عدونا وميكائيل ولينا فخصهم الله بالذكر لان النزاع جرى
فيهما فكان ذكرهما اهم ولئلا تزعم اليهود انهما مخصوصان من
جملة الملئكة وليسا بداخلين فنص الله تعالى عليهما ليبطل ما تاولونه
من التخصيص ثم قال فان الله عدو للكافرين ولم يقل فانه وكرر
اسم الله تعالى لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرئيل او ميكائيل
ولم يقل لهم لانه يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان وقد طعن
بعض الملحدة فى هذا فقال كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو جبرئيل
وليس هذا القول من اليهود بمستنكر ولا عجب مع ما اخبر الله تعالى
عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والايات الخارقة للعادة اجعل
لنا الها كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة وعبادتهم العجل وغير ذلك
من جهالاتهم   وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ آية   الاية العلامة التى
فيها عبرة وقيل العلامة التى فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة
بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابانة احد الشيئين
من الاخر ليزول التباسه به   قد دخل فى الكلام لاحد الامرين

احدهما

احدهما لقوم يتوقعون الخبر والاخر لتقريب الماضى من الحال تقول
خرجت وقد ركب الامير وهى ههنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون
الخبر لان الكلام اذا خرج ذلك المخرج كان اوكد وابلغ   قال ابن
عباس ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد ما جئتنا
بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك لها فانزل الله
تعالى هذه الاية   يقول ولقد انزلنا اليك يا محمد ايات
يعنى سائر المعجزات التى اعطيها النبى صلى الله عليه وآله عن البلخى
وقيل هى القرآن وما فيها من الدلالات عن ابى مسلم وابى على وقيل
هى علم التورية والانجيل والاخبار عما غمض مما فى كتب الله السالفة
من الامم كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب بينات
اى واضحات تفصل بين الحق والباطل وما يكفر بها الا الفاسقون
معناه الكافرون وانما سمى الكفر فسقا لان الفسق خروج من شئ
الى شئ واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبى صلى
صلى الله عليه وآله وانما لم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق
لاحد امرين احدهما ان المراد انهم خرجوا عن امر الله تعالى الى ما يعظم
من معاصيه والثانى ان المراد به الفاسقون المتمردون فى كفرهم لان
الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان فى الكفر فهو اعظم الكفر
وان كان فيما دون الكفر فهو اعظم المعاصى   أَوَكُلَّمَا
عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
آية   النبذ طرحك الشئ عن يدك امامك او خلفك والمنابذة
انتباذ الفريقين للحرب والمنبوذون هم الاولاد الذين يطرحون

له
والمنابذة فی البیع منهی عنها وهو کالرمی کانه اذا رمی به وجب البیع
وسمی النبیذ نبیذا لان التمر کان یلقی فی الجرة وغیرها وقیل معنی نبذه
ترکه وقیل القاه قال ابو الاسود الدیلی نظرت الی عنوانه فنبذته کنبذک
نعلا اخلقت من نعالکا الواو فی قوله اوکلما عند سیبویه
واکثر النحویین واو العطف الا ان الف الاستفهام دخلت علیها لان
لها صدر الکلام وهی ام حروف الاستفهام بدلالة ان هذه الواو
تدخل علی هل تقول وهل زید عالم لان الالف اقوی منها وقال
بعضهم یحتمل ان تکون زایدة کزیادة الفاء فی قولک افاء الله لتفعلن
والاول اصح لانه لا یحکم علی الحرف بالزیادة مع وجود معنی من غیر
ضرورة ونصب کلما علی الظرف والعامل فیه نبذه ولا یجوز ان یعمل
فیه عاهدوا لانه متمم لما اما صلة واما صفة اخبر الله تعالی
سبحانه عن الیهود ایض فقال اوکلما عاهدوا عهدا اراد به العهد
الذی اخذه الانبیاء علیهم ان یؤمنوا بالنبی الامی عن ابن عباس
وکلما لفظ یقتضی التکرار فیقتضی تکرار النقض منهم وقال عطا هی العهود
التی کانت بین رسول الله وبین الیهود فنقضوها کفعل قریظة و
النضیر عاهدوا ان لا یعینوا علیه احدا فنقضوا ذلک واعانوا
علیه قریشا یوم الخندق نبذه فریق منهم ای نقضه جماعة منهم بل
اکثرهم ای اکثر المعاهدین لا یؤمنون ولا یعود الهاء والمیم الی فریق
اذ کانوا کلهم غیر مؤمنین فاما المعاهدون فمنهم من امن کعبد الله
بن سلام وکعب الاحبار وغیرهما فاما وجه دخول بل علی قوله بل
اکثرهم لامرین احدهما انه لما نبذه فریق منهم دل علی ان ذلک الفریق

كفروا

کفروا بالنقض فقال بل اکثرهم کفار بالنقض الذی فعلوه وان کان
بعضهم نقضه جهلا وبعضهم نقضه عنادا او الثانی اراد کفر فریق
منهم بالنقض وکفر اکثرهم بالجحد للحق وهو امر النبی صلی الله علیه و آله
وما یلزم من اتباعه والتصدیق به ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فریق من الذین
اوتوا الکتاب کتاب الله وراء ظهورهم کانهم لا یعلمون آیة
لما فی موضع النصب بانه ظرف ویقع به الشیء لوقوع
غیره والعامل فیه نبذ ومصدق رفع لانه صفة لرسول لانهما نکرتان
ولو نصب لکان جایزا لان رسول قد وصف بقوله من عند الله
فلذلک یحسن نصبه علی الحال الا انه لا یجوز فی القراءة الا الرفع لان
القراءة سنة متبعة وموضع ما جر باللام ومع صلتها والناصب
لمع معنی الاستقرار المعنی لما استقر معهم ولما جاء الیهود
الذین کانوا فی عصر النبی صلی الله علیه واله رسول من عند الله تعالی
یعنی محمد صلی الله علیه واله عن اکثر المفسرین وقیل اراد بالرسول
الرسالة کما قال کثیر فقد کذب الواشون ما بحت عندهم بلیلی و
ما ارسلتهم برسول قال علی بن عیسی وهذا ضعیف لانه خلاف
الظاهر قلیل فی الاستعمال وقوله مصدق لما معهم یحتمل امرین
احدهما انه مصدق لکتبهم من التوریة والانجیل لانه جاء علی
الصفة التی تقدمت بها البشارة والثانی انه مصدق للتوریة
بانها حق من عند الله لان الاخبار ههنا انما هو عن الیهود دون
النصاری والاول احسن لان فیه حجة علیهم وقوله نبذ فریق من

الذين اوتوا الكتاب اى ترك والقى طايفه منهم وانما قال من الذين
اوتوا الكتاب ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لانه يريد علماء اليهود
فاعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن عنهم للبيان لما طال
الكلام وقوله كتاب الله يحتمل ان يريد به التورية ويحتمل ان يريد
به القران وقوله وراء ظهورهم كناية عن تركهم العمل به قال الشعبى هو
بين ايديهم يقراونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينه
ادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله
ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا حمل الكتاب على التورية وا
وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا
نابذين للكتاب الاول ايضا الذى فيه البشارة وقال السدى نبذوا
التورية واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت يعنى
انهم تركوا ما يدل عليه التورية من صفة النبى صلى الله عليه وآله
وقال قتاده وجماعة من اهل العلم ان ذلك الفريق كانوا معاندين
وانما ذكر فريقا منهم لان الجمع العظيم والجم الغفير والعدد الكثير لا
يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف الهمم وتشتت الاراء وتباعد
الاهواء لانه خلاف المالوف من العادات الا اذا كانوا عددا
يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان وقوله كانهم لا يعلمون اى لا يعلمون
انه صدق وحق والمراد انهم علموا وكتموا بغيا وعنادا وقيل المراد
كانهم لا يعلمون ما عليهم فى ذلك من العقاب وقيل المراد كانهم
لا يعلمون ما فى كتابهم اى حلوا محل الجاهل بالكتاب
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا

كفر

كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ آية   قرا ابن عامر وحمزه والكسائى و
لكن الشياطين كفروا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف
النون من لكن ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروى
فى الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس والحسن
قال ابو على اعلم ان لكن لا يعلم شيئا على مثاله فى الاسماء والافعال
وهو مثل ان فى انها مثقلة ثم يخفف الا ان ان وان اذا خففتا
فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلين وان كان غير
الاعمال اكثر ولم نعلم احدا حكى النصب فى لكن اذا خففت فيشبه
ان النصب لم يجئ فى هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دلالة على
ان الاصل فى هذه الحروف ان لا تعمل اذا خففت لزوال اللفظ
الذى به شابه الفعل فى التخفيف ولكن وان لم يشابه الفعل
فان فيه ما يشابه الفعل اذا فصلته كقولهم اراك منتفخا
اريد ان تخ مثل كتف فقد منفصلا ثم خففت كذلك يقدر
فى لكن الانفصال فيشبه ليت وان   اشبه افتقده

وتتلوا معناه تتبع لأن التالى تابع وقيل معناه تقرأ من تلوت الكتاب
اى قراته قال تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت اى تتبع وقال
حسان بن ثابت نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله
فى كل مشهد والسحر والكهانة والحيلة نظاير يقال سحره يسحره سحرا
وقال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشياطين ومن السحر الاخذة
التى تاخذ العين حتى تظن ان الامر كما ترى والجمع الاخذ فالسحر عمل
خفى لخفاء سببه يصور الشى بخلاف صورته ويقلبه عن جنسه
فى الظ ولا يقلبه عن جنسه فى الحقيقة الا ترى الى قول الله تعالى يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى والسحر الغذاء قال امرؤ القيس ارانا
موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب والسحر ابيض الرؤية يقال
للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان والاختبار نظاير يقال فتنة
فتنة وافتنة قال اعشى همدان لجاء باللعنين لقد فتننى فهى
بالامس افتنت سعيدا فامسى قد قلا كل مسلم وفتنت الذهب
فى النار اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشوب فقيل لكل ما
احميته فى النار فتنته وفتنت الخبزة فى النار انضجتها ومنه قوله
تعالى يومهم على النار يفتنون اى يشوون ويعلم قد يكون بمعنى
اعلم كما قيل علمت واعلمت بمعنى وكذلك فهمت وافهمت قال
كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركى وان وعيدا منك
كالاخذ باليد وقيل ان بينهما فرقا فمعنى تعلم تنبه الى ما به من
النظر فى الادلة وليس فى اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يبق
يعلم بلا تامل كقولك اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وان ما لم

المحدث

المحدث محدث وتقول فى الاول تعلم النحو والفقه والمراة الثانية
المراة ويقال مرة بلا الف والضر والالم والاذى نظاير والضر
نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرارا واضطره اليه اضطرارا
قال صاحب العين الضر والضر لغتان فاذا ضممت اليه النفع فتحت الضاد
والضرير الذاهب البصر من الناس يقال رجل ضرير بين الضرارة و
فى الحديث لا ضرر ولا ضرار وضريرا الوادى جانباه وكل شى دنا
منك حتى يزحمك فقد اضر بك واصل الباب الانتقاص والاذن
فى اللغة على ثلثة اقسام احدها بمعنى العلم كقوله فاذنوا بحرب من
الله اى فاعلموا وقال الحطيئة يا هند ان جددت وصلا والافاد — ينى
عاجلا بانصرام والثانى بمعنى الاباحة والاطلاق كقوله سبحانه
فانكحوهن باذن اهلهن والثالث بمعنى الامر كقوله نزله على قلبك
باذن الله والنفع والمنفعة واللذة نظاير وحد النفع هو كل ما يكون
به الحيوان ملتذا اما لانه لذة او يودى الى لذة وحد الضرر كل ما
يكون به الحيوان آلما اما لانه الم او يودى الى الم والخلاق النصب — النصيب بدل
من الخير قال امية ابن ابى الصلت يدعون بالويل فيها لا خلاق
لهم الا سرابيل من قطر واغلال قوله ما تتلوا فيه وجهان
احدهما ان يكون تتلوا بمعنى تلت وانما جاز ذلك لما علم من اتصال
الكلام بعهد سليمن فيمن قال ان المراد على عهد ملك سليمن او
فى زمن ملك سليمن او على ملك سليمن فيمن يقدر حذف المضاف
فدل ذلك على ان مثال المضارع اريد به الماضى قال سيبويه
قد يقع يفعل فى موضع فعلنا كقول الشاعر ولقد امر على اللئيم — يسبنى

فضيت تمت قلت لا يعنيني والوجه الاخران يكون بفعل على بابه
لا يريد به فعل ولكنه حكاية حال وان كان ماضيا كقوله واذ نجيناكم
من ال فرعون يسومونكم فيسومونكم حكاية للحال في الوقت الذي
كانت فيه وان كان ال فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب
او من هذا ما انشده ابن الاعرابي جارية في رمضان الماضي تقطع
الحديث بالايماض وقوله وما انزل ذكر فيها ثلثة اقوال احدها انه
بمعنى الذي وانزل صلته وموضعه نصب بكونه معطوفا على السحر و
قيل انه معطوف على قوله ما تتلوا الشياطين وثانيها انه بمعنى
الذي ايضا وموضعه جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمن
وثالثها انه بمعنى الجحد والنفي وتقديره وما كفر سليمن ولم ينزل
الله السحر على الملكين وبابل اسم بلد لا ينصرف للتعريف والتانيث
وقوله فيتعلمون لا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل معطوفا
بالفاء على فعل قبله او يكون خبر مبتدا محذوف والفعل الذي قبله
لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله ولكن الشياطين كفروا فيجوز
ان يكون فيتعلمون معطوفا عليه لان كفروا في موضع رفع بكونه
خبر لكن فعطف عليه بالمرفوع وهو قول سيبويه فاما يعلمون فيجوز
ان يكون في موضع نصب على الحال من كفروا اي كفروا في حال
تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لان تعليم الشياطين كفر
في المعنى واذا كان كذلك جاز البدل فيه اذا تاه في المعنى كما كان
مضاعفة العذاب لما كان لقي الاثام في قوله ومن يفعل
ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب جاز ابداله منه و

اما

اما ان يكون الفعل الذي عطف عليه يتعلمون قوله يعلمون وهو قول
الفرا وانكر الزجاج هذا القول لان قوله منهما دليل على التعلم من
الملكين خاصة قال ابو علي فهذا يدل على قول سيبويه كما يدخل على قول
الفرا لانهما جميعا قالا بعطفه على فعل الشياطين قال وهذا الاعتراض
ساقط من جهتين احديهما ان التعلم وان من الملكين خاصة
فلا يمتنع ان يكون قوله فيتعلمون عطفا على كفروا وعلى يعلمون
وان كان متعلقا بهما وان كان الضمير في منهما راجعا الى الملكين
فان قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان يقدر هذا التقدير ويلزم مك
ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر و
يتعلمون منهما فتضمر الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير
جايز واذا الزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير
جايز لزم ان لا يجيز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما
كفروا ويعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب
اليه ابو اسحق الزجاج فانه عطف على ما يوجبه معنى الكلام عند قوله
فلا تكفر اي فيابون فيتعلمون او على يعلمان من قوله وما يعلمان
من احد لانهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب اما النظم
فانه على ما ذكرته وهو صحيح فاما الاضمار قبل الذكر وهذا بين جدا
فالاعتراض بذلك على سيبويه والفرا ساقط واما الجهة الاخرى
التي يسقط منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله تعالى وما يعلمان
حما من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ثلثة اقوال بالنحو
في المعنى فولان منهما تعلم السحر فيهما من الملكين وقول منها تعلمه

من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين
هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما
وما انزل على الملكين ببابل اى لم ينزل وما يعلمان من احد
اى ما يعلم هاروت وماروت من احد فهما على هذا القول لا
يرجع الى الملكين انما يرجع الى هاروت وماروت اللذين هما الشياطين
في المعنى فاما حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فسائغ يجوز
ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هاروت وماروت فيثنى ونظيره
قوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا
بينهما فان بغت احديهما على الاخرى ويجوز ان يكون يتعلمون
معطوفا على يعلمان من قوله وما يعلمان فيكون الضمير الذي في
يتعلمون لاحد الا انه جمعه لما حمل على المعنى فيجمع كقوله فما منكم من
احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله
وقيل ان يتعلمون عطف على ما يوجبه معنى الكلام لان المعنى انما
نحن فتنة فلا تكفر فيابون فيتعلمون وهذا قول حسن فهو قول الفراء
قال ابو علي وهو عندي جائز لانه من المضمر الذي فهم للدلالة عليه
واما كونه خبر المبتدا المحذوف فعلى ان تقديره فهم يتعلمون منهما
وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منهما ان الضمير عايد الى السحر والكفر
قال ابو مسلم قال لانه تقدم الدليل عليهما في قوله كفروا وهذا
كقوله سبحانه وتعالى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى
الذي اى يتجنب الذكرى وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال
الزجاج دخول اللام على لقد على جهة القسم والتوكيد وقال النحويون

في قوله لمن اشتريه قولين جعل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب
ما له في الاخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى
ولقد علموا للذي اشتريه ما له في الاخرة من خلاق كما تقول والله
لقد علمت الذي جاءك ما له من عقل اشهى كلام الزجاج واقول
موضع من رفع بالابتداء وموضع ما له في الاخرة من خلاق رفع
على انه خبر الابتداء وهذا قول سيبويه فاللام في قوله لمن اشتريه
لام الابتداء دون القسم لان هذه اللام قد تكون تاكيدا لغير القسم
واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب بعلموا كما ان الاستفهام
كذلك في نحو علمت ازيد في الدار ام عمرو وهذا هو المسمى تعليقا
قال ابو علي قول من قال ان من جزاء بعيد لانه اذا كان جزاء فاللام
في لمن اشتريه سبب دخول القسم كالتي في قوله ولقد لئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك ولئن شئنا
لنذهبن فيقتضي ذلك قسما والقسم الذي يقتضي قوله لمن اشتريه
اذا حملت من على انه جزاء لا يخ من ان يكون علموا لان العلم والظن
قد يقامان مقام القسم كما في قوله ولقد علمت لتاتين وقوله وظنوا
ما لهم من محيص او يكون مضمرا بين قوله لمن اشتريه وبعد
ان يكون علموا قسما وقوله لمن اشتريه جوابه ههنا لانه في هذا الموضع
محلوف عليه مقسم والمقسم عليه لا يكون قسما لانه يلزم من هذا
ان يدخل قسم على قسم لان في الاول كلام قسما وهو المضمر الجالب
للام في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدخل عليه
هذا القسم الاول المضمر وهو قد علموا اذا اجبته باللام فمن جعله

سبعد عند
ابتدا، وبالنفي فيمن جعل من جزاء، ودخول القسم على القسم
سيبويه ولا يسوغ فمن اجل هذا يبعد عنده ان يكون علموا هنا بمنزله
القسم وان يجاب بجوابه قال سيبويه والخليل لا يقوى ان يقول
وحقك وحق زيد لافعلن والواو الثاني واو قسم لا يجوز الا ان
تستكره لانه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضم الاخر الى الاول
ويحلف بهما على المحلوف عليه ولهذا جعل هو والخليل الحرف
في قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى
للعطف دون القسم فلهذا حمل اللام في لمن اشتريه على انها لام
الابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى في انها يقتضي قسما
لا محالة في نحو قولهم لعمرك لافعلن فلا يلزم على ما تاوله دخول
قسم على قسم ويبعد ايضا ان يكون القسم مضمرا بين قوله ولقد
علموا ولمن اشتريه لان علموا يقتضي مفعولية واذا وقع قسم
بينه وبين مفعوليه لم يجب وكان لغوا كما انه في نحو قولك مفعولية بر
زيد والله منطلق وان تاتني والله آتك لغو لا جواب له ولانه
لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه
موقع مفعولي علمت وذلك يمتنع لانك لو جعلته في موضع مفعوليه
لاخرجته عن ان يكون تاكيدا لغيره وجعلته قائما بنفسه
ولو جاز ان يكون في موضع مفعولي علمت في موضع المفعولين
لاخرجته عن ان يكون لجاز ان يوصل به ويوصف به النكرة
وهذا ممتنع فمعلوم اذا ان القسم بعد علمت لا يلزم ان يكون
له جواب فاضمار القسم بعد علموا غير جائز لانه ليس يجوز الا ان
يكون

يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل لتفعلن ونحوه من
الجواب على القسم المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز
حذفه وارادته فقد يبعد ايضا ان يكون القسم مضمرا بعد علمت فلما
كان علموا مقتضيا عليه في هذا الموضع فاذا جعلت من بغير معنى الذي
لزمك ان يكون علمت قسما ويكون قوله ما له في الآخرة من خلاق
جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه حمل اللام
في لمن على انه لام الابتداء او من بمعنى الذي لئلا يلزم ما لا يستحسنه
ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيبويه في هذا هو البين
ثم عطف سبحانه على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود
كتاب الله الذي في ايديهم وراء ظهورهم فقال واتبعوا على ثلثة
اقوال بر اقسام احدها انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله
عن الربيع وابن اسحق والسدي وثانيها انهم اليهود الذين كانوا
في زمن سليمن عن ابن عباس وابن جريج وثالثها ان المراد به الجميع لان
متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمن الى ان بعث محمد صلى الله عليه و
آله وروي عن الربيع ان اليهود سالوا محمدا زمانا من التورية لا يسالونه
عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سالوا عنه فخصمهم فلما
راوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سالوه عن
السحر وخاصموه فانزل الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية
اي اقتدوا بما كانت تتلوا الشياطين اي تتبع وتعمل به عن ابن
عباس وقيل معناه تقرا عن عطا وقتاده وقيل معناه تكذب
عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه ويقولون على الله

الكذب ويقولون على الله ما لا تعلمون فاذا صدق قيل تلا عنه
واذا ابهم جاذ الامران واختلف فى قوله الشياطين فقيل هم
شياطين الجن لانه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم
شياطين الانس المتمردون فى الضلالة كما قال جرير ايام يدعوننى
الشيطان من غزلى وكن يهويننى اذ كنت شيطانا وقيل هم شياطين
الجن والانس وقوله على ملك سليمن قيل معناه فى ملك سليمن
كقول ابى النجم فهى على الافق كعين الاحول اى فى الافق ثم ان
هذا يحتمل معنيين احدهما فى عهد ملك سليمن والثانى فى نفس
ملك سليمن كما يقال فلان يطعن فى ملك فلان وفى نفس فلان
وقيل على عهد ملك سليمن وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب
الشياطين ان ما كانت تتلوه الشياطين وتأثره وترويه كان
كفرا اذ برئ سليمن عم منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمن انها اى شئ كانت تتلوا ثم لم يبين
بقوله سبحانه وما كفر سليمن ان ذلك الكفر اى نوع من الانواع
الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبين
سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا
الى سليمن السحر وزعموا ان ملكه كان به فبراه الله منه وهو قول
ابن عباس وابن جبير وقتاده واختلف فى السبب الذى لاجله
لئلا يطلع عليه الناس ولا يعملوا بها فلما مات سليمن استخرجت
السحر تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمن بالسحر وبه سخر
الانس والجن والطير وزينوا السحر فى اعين الناس بالنسبة الى

سليمن

سليمن وشاع ذلك فى اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمن عن
السدى وروى العياشى باسناده عن ابى بصير عن ابى جعفر عليه
السلم قال لما هلك سليمن عم وضع ابليس السحر ثم كتبه فى كتاب
وطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع اصف بن برخيا من ملك
سليمن ابن داود من ذخاير كنوز العلم من اراد كذا وكذا فليفعل
كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون
ما كان يغلبنا سليمن الا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيه
فقال الله فى كتابه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن الاية
وفى قوله ولكن الشياطين كفروا ثلثة اقوال احدها انهم كفروا بما
استخرجوه من السحر وثانيها انهم كفروا بما نسبوه الى سليمن من السحر
وثالثها انهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر وفى قوله يعلمون الناس
السحر قولان احدهما انهم القوا السحر اليهم فتعلموه والثانى انهم
دلوهم على استخراجه من تحت الكرسى فتعلموه وقوله وما انزل على
الملكين ببابل هاروت وماروت فيه وجوه احدها ان المراد
ان الشياطين يعلمون الناس السحر والذى انزل على الملكين وانما
انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية فيه ليعرفا ذلك
ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه استعملوه
وان كان المؤمنون اذا عرفوه اجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه
استعملوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته وثانيها ان يكون المراد
على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذب به الشياطين على
ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين اى معهما وعلى السنتهما كما قال

وثالثها
على رسلك اى معهم وعلى السنتهم الله تعالى ما وعدتنا
ان يكون ما بمعنى النفى والمراد ما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على
الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذى
معناه التقديم ويكون فى هذا التاويل هاروت وماروت رجلين
من جملة الناس ويكون الملكان اللذان نفى عنهما السحر جبرئيل
وميكائيل عم لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعى ان عز وجل
انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل على سليمن فاكذبهم الله تعم
فى ذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان على الشياطين
كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك
كما ساغ فى قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعنى لحكم داود وسليمن
ويكون على هذا قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن
فتنة راجعا الى هاروت وماروت ومعنى قولهما انما نحن فتنة
فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن لا على سبيل النصيحة
والتحذير ويجوز على هذا التاويل ايض الذى يتضمن النفى والجحد
ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال
السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين من الجن والى
شياطين الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وروى هذا التاويل
ايض فى حمل ما على النفى عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكى
ايض عنه انه كان يقرا على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان
العلجان ملكين انما كان ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر ان يرجع

قوله

قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة فى الاية وجه اخر
وان لم يحمل قوله تعالى وما انزل على الملكين على الجحد والنفى وهو ان
يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين وتدعيه
على ملك سليمن واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر لا يكون الانزال
مضافا الى الله تعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون
انزله بعض الضلال ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل
اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من
هبط من النجد الى الغور يقال نزل واختلف فى بابل فقيل هى بابل
العراق لانه تبلبلت به الالسن عن ابن مسعود وقيل هى بابل
دماوند عن السدى وقيل هى من نصيبين الى راس العين وهاروت
وماروت قيل هما رجلان على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من
الملئكة اهبطهما الله الى الارض على صورة الانس لئلا ينفر
الناس منهما اذا كانا على صورة الملئكة واختلف فى سبب هبوطهما
فقيل ان الله اهبطهما ليامرا بالدين وينهيا عن السحر ويفرقا بينه و
بين المعجز لان السحر كان كثيرا فى ذلك الوقت ثم اختلف فى ذلك
فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيان عن فعله ليكون
النهى بعد العلم فان من لا يعرف شيئا لا يمكنه اجتنابه وقال
اخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما فى ذلك من الاغراء بفعله وانما
اهبطا لمجرد النهى اذا كان السحر فاشيا وقيل ايض فى سبب هبوطهما
ان الملئكة تعجب من معاصى بنى ادم مع كثرة نعم الله عليهم فقال
طائفة منهم يا ربنا اما تغضب مما يعمل خلقك فى ارضك وهما

يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبونه من المعاصي وقد
نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فاحب الله تعالى
سبحانه ان يعرفهم ما من به عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه
من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى
اهبطهما الى الارض واجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة
والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد ادم ثم اختبرهما في الطاعة
لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا اشد الملئكة
قولا في العيب لولد ادم واستجرار عيب الله عليهم قال فاوحى الله
اليهما ان اهبطا الى الارض فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم
والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد ادم
وانظرا ان لا تشركا بي شيئا ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها
ولا تزنيان ولا تشربان الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر
ولباسهم فرع لهما بناء مشرف فاقبلا نحوه فاذا امراة جميلة حسناء
اقبلت نحوهما ووقعت في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا
عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراوداها عن
نفسها فقالت ان لي دينا ادين به ولست اقدر في ديني على ان
اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا وما دينك
فقالت لي اله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى
كل ما سالني فقالا وما الهك قالت هذا الصنم قال فاريتموا اسنهما
فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سالت
قالت فدونكما فاشربا الخمر فانه قربان لكما عنده وبه تصلان

الهما تريدان فقالا هذه ثلث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك
والزنا والخمر فابتموا اسنهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك
قال فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيات لهما
دخل عليهما سائل يسال فلما ان راياه ذعرا منه فقال لهما انكما لمريبان
قد خلوتما بهذه المراة الحسناء انكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت
لهما بادرا الى هذا الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها
وبدت لهما سواتهما ونزع عنهما رياشهما وسقط في ايديهما فاوحى
الله تعالى اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتماني
باربع معاص قد نهيتكما عنها فلم تراقباني ولم تستحييا مني وقد كنتما
اشد من تنقم على اهل الارض من المعاصي فاختارا عذاب الدنيا
او عذاب الاخرة قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس
السحر بارض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما
معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيمة هذا الخبر رواه
العياشي مرفوعا الى ابي جعفر الباقر عليه السلام ومن قال بعصمة
الملئكة لم يجز هذا الوجه وقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر يعني الملكين وما يعلمان احدا والعرب يستعمل
لفظة علم بمعنى اعلم اي لا يعرفان صفات السحر وكيفيته حتى يقولا
اي الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة اي محنة لان الفتنة بمعنى المحنة
والاختبار والابتلاء وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين
امر الينزجوا عنه ويمتنعوا من موافقته وهم اذا عرفوه امكن ان
يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله

ولا تعدل عن الفرض في الفائدة اليك فانه انما القى اليك لتجتنبه
لا لتفعله ولا يكون على هذا التاويل تعلم السحر كفرا وكما ان من عرف
الزنا لم ياثم بانه عرفه وانما ياثم بالعمل وقيل ان المراد نفي تعليمهما السحر و
التقدير ولا يعلمان احدا السحر فيقولان انما نحن فتنة فعلى هذا يكون
تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني
به احد ثلثة اشياء احدها فلا تكفر بالعمل بالسحر والثاني فلا تكفر
بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك
الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر
فيكون بتعلمه كافرا وبتركه التعلم مومنا لان السحر كان قد كثر وهذا
ممكن ان يمتحن الله به كما امتحن بالنهر في قوله فمن شرب منه فليس
مني والثالث فلا تكفر بكلتيهما وقوله ويتعلمون منهما اي من هاروت
وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل اراد بدلا مما علماهم ويكون
المعنى انهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى فعله و
استعماله كما يقال ليت لنا من كذا وكذا اي بدلا منه وكقول الشاعر
جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا لاخلاف المزممة البزل ومن
كل اخلاق الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل وقوله ما يفرقون
به بين المرء وزوجه فيه وجوه احدها انهم يوجدون احدهما على
صاحبه ويبغضونه اليه فيودي ذلك الى الفرقة عن قتادة وثانيها
انهم يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى
فيكون بذلك قد فارق زوجة الاخر المومن المقيم على دينه فيفرق
بينهما اختلاف النحلة وتباين الملة وثالثها انهم يسعون بين

الزوجين

الزوجين بالنميمة والوشاية حتى يؤل امرهما الى الفرقة والمباينة وقوله و
ما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي لا يلحقون بغيرهم ضررا الا
بعلم الله فيكون على وجه التهديد وقيل معناه الا بتخلية الله عن الحسن
قال من شاء الله سلطه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره
وقوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم معناه يضرهم في الاخرة ولا
ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه
ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وقوله
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق يعني اليهود الذين
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالها
كناية عن السحر عن قتادة وجماعة فما له في الاخرة من نصيب وقوله
ولبئس ما شروا به انفسهم يعني بئس ما باعوا به حظ انفسهم حيث
اختاروا التكسب بالسحر وقوله لو كانوا يعلمون بعد قوله ولقد علموا
ذكر فيه وجوه احدها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون
الذين علموا الشياطين او الذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وثانيها ان يكون
الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه
تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشترى ذلك و
رضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من العقاب
الدائم وثالثها ان يكون الفايدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم
يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب ابن زهير يصف ذئبا وغرابا
باتباعه ليصيبا من زاده اذا حضراني قلت لو تعلمانه الم تعلما اني

من الزاد من قل فنفى عنهما العلم ثم اثبته والمعنى فى نفيه العلم
عنهما انهما لم يعملا بما علماه فكانهما لم يعلماه وفى هذه الاية دلالة
على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد ولذلك كان تعلم السحر
لازالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه ايمانا ولتصديقه واستعماله
كفرا واختلف فى ماهية السحر على اقوال فقيل انه ضرب من التخيل
وصنعة من لطيف الصنائع وقد امر الله تعالى بالتعوذ منه وجعل
التحرز بكتابه وقاية منه وانزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ
المفيد ابى عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتمويهات
لا حقيقة لها تخيل الى المسحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر
ان يقلب الانسان حمارا ويقلبه من صورة الى صورة وينشى الحيوان
على وجه اختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة
ولا يومن ان يكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر
والمعزم قدرا على نفع او ضر وعلما الغيب لقدرا على ازالة الممالك
واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل الملوك
من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رايناهم اسوء الناس حالا
واكثرهم مكيدة واحتيالا علمنا انهم لا يقدرون على شىء من ذلك
فاما ما روى من الاخبار ان النبى صلى الله عليه واله فكان يرى
انه فعل ما لم يفعله الى انه لم يفعل ما فعله فاخبار مفتعلة لا يلتفت
اليها وقد قال الله تعالى حكاية عن الكفار ان يتبعون الا رجلا
مسحورا فلو كان السحر عملوا فيه لكان الكفار صادقين فى مقالهم
حاشى النبى صلى الله عليه واله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله

فان

فانه حجة الله على خلقه وصفوته على بريته

فلو انهم امنوا

واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون اية
المثوبة والثواب والاجر نظاير ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب
ثوابا واثابه اثابة ومثوبة والاصل فى الثواب ما رجع اليك من شى يقال
اعترت الرجل غشيه ثم ثابت اليه نفسه ولذلك سمى الثواب لانه العايد
على صاحبه مكافاة ما فعل ومنه التثويب فى الاذان وهو الترجيع الصوت
يقال ثوب الداعى اذا كرر دعاه الى الحرب او غيرها ويقال ايضهم العوم ثم
ثابوا اى رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا لانه ثاب لباسا بعد ان
كان قطنا او غزلا والمثابة الموضع يثوب اليه الناس وفى الشواذ قراءة
قتادة لمثوبة بسكون الثاء وفتح الواو وهى لغة كما قالوا مشورة ومشورة
واجمع العرب على قولهم هذا خير منه وهذا شر منه الا بعض بنى عامر فانهم
يقولون هذا اخير من ذا واشر من ذا

اللام فى لمثوبة

لام الابتداء وهى فى موضع جواب لو لانها تنبى عن قولك لاثيبوا والضمير
فى انهم عايد الى الذين يتعلمون السحر

ثم قال سبحانه ولو انهم

يعنى الذين يتعلمون السحر ويعلمونه وقيل هم اليهود امنوا اى صدقوا
محمدا والقران واتقوا السحر والكفر وقيل جميع المعاصى لمثوبة من عند الله
خير اى لاثيبوا والضمير ثواب الله خير لو كانوا يعلمون اى لو كانوا
يستعملون ما يعلمونه ليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان
لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر
فى العواقب وفى قوله لو كانوا يعلمون وهو خير علموا او لم يعلموا وجهان
احدهما ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اى لعلموا ان ثواب الله

خير من السحر والاخوان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم فى ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذى ينال بطاعاته واتباع مرضاته وفى هذه الاية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانه نفى ذلك العلم عنهم

يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم اية

المراعات التفقد للشئ فى نفسه او احواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظاير ونقيض المراعاة الاغفال ورعى الله فلانا اى حفظه ورعيت له حقه وعهده فيمن خلف وارعيته سمعى اذا اصغيت اليه وراعيته بعينى اذا لاحظته وجمع الراعى رعاء ورعاة ورعيان وكل من ولى قوما فهو راعيهم وهم رعيته والمرعى من الناس المسوس والراعى السائس واسترعاه الله خلقه اى ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرعوى والرعيا وارعنى سمعك اى اسمع ورجل ترعية للذى صنعته وصنعة ابائه الرعاية قال الشاعر

يسوسها ترعية جاف فضل واصل الباب الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته

لما قدم سبحانه نهى اليهود عن السحر عقبه بالنهى عن اطلاق هذه اللفظة فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا اى استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك وقال الباقر عليه السلم بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة

انها

انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطا هى كلمة كانت الانصار تقولها فى الجاهلية فنهوا عنها فى الاسلام وقال السدى كان ذلك كلام يهودى بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبرانية اليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وروى عن الحسن انه كان يقرا راعنا بالتنوين وهو شاذ لا يوخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوها احدها انتظرنا نفهم ونبين ما نعلمنا والاخر فقهنا وبين لنا يا محمد والثالث اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر الينا فحذف حرف الجر وقوله واسمعوا يحتمل امرين احدهما ان معناه اقبلوا ما يامركم به من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاك اى قبله والثانى ان معناه استمعوا ما ياتيكم به الرسول عن الحسن وللكافرين يجحد والقران عذاب اليم اى موجع قال الحسن والضحاك كل ما فى القران يا ايها الذين امنوا فانه نزل بالمدينة

ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم اية

الودة والمحبة والاختصاص بالشئ هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشئ يخصه خصا اذا فضله به والخصاص الفرج والخص بيت من قصب او شجر وانما سمى خصا لانه يرى ما فيه من خصاصه وكل خلل وخرق يكون فى السحاب او المنخل فهو الخصاصة واصل الباب الانفراد بالشئ ومنه يقال فيه من خصاصة للفرج الخصائص لانفراد كل واحد

عن الآخر من غير جمع بينها ويقال اخصصته بالفايدة واختصصت
انا بها كما يقال افردته بها وانفردت انا بها		الذين كفروا
في موضع رفع لانه فاعل يود والمشركين في موضع جر بالعطف على اهل
الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله ان ينزل في موضع نصب
لانه مفعول يود ومن في قوله من اهل الكتاب فللتنويع والتبيين
مثل التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان		ثم اخبر
سبحانه ايضا عن اليهود فقال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم معناه ما يحب الكافرون
من اهل الكتاب ولا من المشركين بالله من عبدة الاوثان ان
ينزل الله عليكم شيئا من الخير الذي هو عنده والخير الذي عنوا
ان لا ينزل الله عليكم ما اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله وانزل عليه
من القرآن والشرايع بغيا منهم وحسدا والله يختص برحمته من
يشاء من عباده روي عن امير المؤمنين عليه السلام وعن ابي جعفر
عليه السلام ان المراد برحمته ههنا النبوة وبه قال الحسن وابو علي
والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء من
عباده والله ذو الفضل العظيم هذا اخبار منه سبحانه ان كل خير
نال العباد في دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداء منه اليهم
تفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل
ذو المن والطول		ما ننسخ من آية او ننسها نأت
بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير آية
قرا ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين والباقون

بفتحها

بفتحها وقرا ابن كثير وابو عمرو او ننسأها بفتح النون والسين واثبات
الهمزة والباقون بضم النون وكسر السين بلا همزة		اما قراءة
ابن عامر ننسخ فلا تخلو من ان يكون افعل لغة في فعل نحو بدأ وابدأ وحل
من احرامه واحل او تكون الهمزة للنقل نحو ضرب واضربته ونسخ
الكتاب وانسخته الكتاب او يكون المعنى في انسخت الآية وجدتها
منسوخة كقولهم احمدت زيدا وابخلته والوجه الصحيح هو الاول و
هو ان يكون نسخ وانسخ لغتان متفقتان في المعنى وان اختلفتا
في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح واما ننسأها فهي من
النسء وهو التأخير يقال نسأت الابل عن الحوض انسأها
نسأ اذا اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسأ
الله اجلك ونسأ في اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي
هو بمعنى السهو او بمعنى الترك		النسخ في اللغة ابطال شيء
واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت
محله وقال ابن دريد كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه وانتسخ
الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان يموت ورثة بعد ورثة واصل
ميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون بعد
القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره والنقل
الميراث وقال علي بن عيسى النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به
الى بدل منه وذلك كنسخ الشمس بالظل لانه يصير بدلا منها في مكانها
وهذا ليس بصحيح لانه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائما فيعجز عن
القيام فانه يسقط عنه القيام لعجزه ولا يسمى العجز ناسخا ولا القيام

اعلم ان النسخ في اصطلاح العلماء عبارة عن طريق شرعي يدل على ان الحكم الذي كان ثابتا بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا فقولنا طريق شرعي نعني به القدر المشترك بين القول الصادر عن الله تعالى وعن رسوله والفعل المنقول عنهما ونخرج عنه اجماع الامة على احد القولين لان ذلك ليس بطريق شرعي على هذا التفسير ولا يلزم ان يكون الشرع ناسخا لحكم العقل لان العقل ليس طريقا للحكم الشرعي لان العجز ليس طريقا شرعيا ولا ... ليس بحكم بغاية او بشرط او استثناء لان ذلك غير متراخ ولا يلزم ما اذا امر الله بفعل واحد ثم نهانا عن مثله لانه لو لم يكن هذا النهي لم يكن مثل حكم الامر ثابتا
فخر الرازي

منسوخا وينتقض ايضا بمن ينسخ الشيء بحكم العقل وورد الشرع بحظره
فانه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ وافلى
ما يحد به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت
بالنص الاول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا
بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القران على ضروب منها ان
يرفع حكم الاية وتلاوتها كما روى عن ابي بكر انه قال كنا نقرا لا ترغبوا
عن ابائكم فانه كفر بكم ومنها ان تثبت الاية في الخط ويرتفع حكمها كقوله و
ان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم الاية فهذه ثابتة اللفظ
في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كاية الرجم
فقد قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بان
اشياء كانت في القران فنسخ تلاوتها فمنها ما روى عن ابي موسى انهم
كانوا يقراون لو ان لابن ادم واديين من مال لابتغى لهما ثالثا
ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع
وعن انس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرانا
فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك
رفع وقال ابو عبيدة معنى ننساها اي نمضها فلا ننسخها قال طرفة امون
كالواح الاران نساتها على لاحب كانه ظهر برجد اي امضيتها و
قال غيره ونسات الابل في ظمئها انساها نساء اذا اردتها في ظمئها
يوما او يومين وظمئها منعها الماء ونسات الماشية تنسا نساء
اذا سمنت وكل سمين ناسئ قال الزجاج وتاويله ان جلودها نسات
اي تاخرت عن عظامها وقال غيره انما قيل ذلك لانها تاخرت في

المرعى

المرعى حتى سمنت ويقال للعصا المنسات لانها ينسا بها اي يؤخر
ما باق عن مكانه او يدفع بها الانسان عن نفسه الاذى ونسات
ناقتي اذا دفعتها في السير واصل الباب التاخير قوله ما ننسخ
ما اسم ناب مناب ان وهو في موضع نصب بننسخ وانما لزمه التقديم
وان كان مفعولا ومرتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل للنيابة عن
حرف الشرط الذي له صدر الكلام وننسخ مجزوم بالشرط وننس جزم لانه
معطوف عليه ونات مجزوم لانه جزاء ومن في قوله من اية للتبعيض و
قيل هي مزيدة ولفظ الم ههنا لفظ الاستفهام ومعناه التقرير و
تعلم مجزوم بلم لان حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله
ما ننسخ من اية قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه
ما يرفع من اية او حكم اية وقيل معناه ما نبدل من اية عن ابن عباس
ومن قرا او ننسها فمعناه على وجهين فان لفظ نسي المنقول منه انسى
على ضربين احدهما بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر نحو قوله واذكر
ربك اذا نسيت والاخر بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا
طاعة الله فترك رحمتهم او ترك تخليصهم فالوجه الاول في الاية مروي
عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذي هو مقابل الذكر ويجوز
ذلك على الامة بان يامروا بترك قراءتها فينسوها على طول الايام ولا يجوز
ذلك على النبي لانه يؤدي الى التنفير كذا رواه الشيخ ابو جعفر رحمه الله
في تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبي صلى الله عليه و
اله قالوا لانه لا يؤدي الى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز ايضا ان
ينسيهم الله ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا وجما غفيرا بان نفعل

النسيان فى قلوب الجميع وان كان ذلك خارقًا للعادة ويكون معجزا
للنبى صلى الله عليه واله واستدل من حمل الاية على النسيان الذى هو
خلاف الذكر ويجوز كون النبى صلى الله عليه واله مرادا به بقوله سنقرئك
فلا تنسى الا ما شاء الله اى ما شاء الله ننساه قال والى هذا ذهب الحسن
فقال ان نبيكم اقرى القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول فقال ان
الله عز وجل قد انبأ النبى صلى الله عليه واله فى قوله ولئن شئنا لنذهبن
بالذى اوحينا اليك بانه لا يشاء ان يذهب بما اوحى الى النبى صلى
الله عليه واله قال ابو على الفارسى هذا الذى احتج به على من ذهب
الى ان ننسها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك ان
قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك انما هو على ما يجوز
عليه النسخ والتبديل من الاخبار واقاصيص الامم ونحو ذلك مما لا
يجوز عليه التبديل والذى ننساه النبى صلى الله عليه واله هو ما يجوز
ان ينسخ من الاوامر والنواهى الموقوفة على المصلحة وفى الاوقات
التى يكون ذلك فيها اصلح ويدل على ان ننساها من النسيان الذى هو
خلاف الذكر قراءة من قرا او ننسها وهو قراءة سعد بن ابى وقاص وقراءة
من قرا او ننسكها وهو المروى عن سالم مولى ابى حذيفة وقراءة من
قرا او تنسها وهو المروى عن سعد بن مالك فالمفعول المراد المحذوف
فى قراءة من قرا او ننسها مظهر فى قراءة من قرا او ننسكها ويبينه ما
روى عن الضحاك انه قرا ننسها ويؤكد ايضا ذلك ما روى من
قراءة ابن مسعود ما ننسك من اية او ننسخها وبه قراءة الاعمش
وروى عن مجاهد انه قال قراءة ابى ما ننسخ من اية او ننسك فهذا

كله

كله يثبت قراءة من جعل ننسها من النسيان ويؤكد ذلك ما روى
عن قتادة انه قال كانت الاية تنسخ بالاية وينسى الله نبيه من ذلك
شيئا والوجه الثانى وهو ان المراد بالنسيان الترك فى الاية مروى
عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد ننسها نامركم بتركها اى بترك
العمل بها قال الزجاج انما يقال فى هذا نسيت اذا تركت لا يقال انسيت
تركت وانما معنى او ننسها اى نتركها اى نامركم بتركها قال ابو على من
فسر انسيت بتركت لا يكون مخطئا لانك اذا انسيت فقد نسيت
ومن هذا قال على بن عيسى انما فسره المفسرون على ما يؤل اليه المعنى
لانه اذا امر بتركها فقد تركها فان قيل اذا كان نسخ الاية رفعها و
تركها ان لا تنزل فما معنى ذلك ولم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها الا
تنزل وقد غلط الزجاج فى توهم ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع
كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدلها واضافة الترك الى القديم سبحانه
فى نحو هذا اتساع كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون وتركنا
بعضهم يومئذ يموج فى بعض اى خليناهم وذاك واما من قرا او
ننساها على معنى التاخير فقيل فيه وجوه احدها ان معناه انؤخرها
فلا ننزلها وننزل بدلا منها ما يقوم مقامها وثانيها ان يكون
معنى التاخير ان ينزل القران فيعمل به ويتلى ثم يؤخر بعد ذلك
بان ينسخ فترفع تلاوته البتة ويمحى فلا ينسى ولا يعمل بتاويله مثل ما
روى عن زر بن حبيش ان ابيا قال له كم تقرؤن الاحزاب
قال بضعا وسبعين اية قال قد قراتها ونحن مع رسول الله صلى
الله عليه واله اطول من سورة البقرة اورده ابو على فى كتاب الحجة

ورابعها ان يوخر العمل بالتاويل لانه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته
قران يتلى وهو ما حكى عن مجاهد يثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان
الاولان عليهما الاعتماد لان الوجهين الاخيرين يرجع معناهما الى معنى
النسخ فلا يحسن اذ يكون في التقدير محصوله ما ننسخ من اية او ننسخها
وهذا لا يصح على ان الوجه الاول ايضا فيه ضعف لانه لا فايدة في
تاخيرها لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هو الوجه الثاني
وقوله ان بخير منها او مثلها فيه قولان احدهما نات بخير منها لكم
في التسهيل والتيسير كالامر بالقتال الذي سهل على المسلمين بقوله
الآن خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجه الى
الكعبة بعد ان كان الى بيت المقدس عن ابن عباس والثاني نات
بخير منها في الوقت الثاني اي هي لكم في الوقت الثاني خير من الاولى
لكم في الوقت الاول في باب المصلحة او مثلها في ذلك عن الحسن
وقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه
واله وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد الم تعلم ايها السامع
او ايها الانسان ان الله تعالى قادر على ايات وسور مثل القران ينسخ
بها ما امر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه الم تعلم
يا محمد انه سبحانه قادر على نصرك والانتصار لك من اعدائك و
قيل هو عام في كل شيء واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القرآن
بالسنة المعلومة بهذه الاية قال اضاف الاتيان بخير منها
الى نفسه والسنة لا تضاف اليه حقيقة ثم قال بعد ذلك الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير فلا بد ان يكون اراد ما يختص سبحانه بالقدرة

عليه

٣٠٥

عليه من القران المعجز والصحيح ان القران يجوز ان ينسخ بالسنة
المقطوع عليها ومعنى خير منها اي اصلح منها لنا دينا وانفع لنا بان
نستحق به مزيد الثواب فاما اضافة ذلك اليه تعالى فصحيحة لان
السنة انما هي بوحيه تعالى وامره فاضافتها اليه كاضافة كلامه و
اخر الاية انما يدل على انه قادر على ان ينسخ الاية بما هو اصلح وانفع سواء
كان ذلك بقران او سنة وفي هذه الاية دلالة على ان القران محدث
وانه غير الله تعالى لان القديم لا يصح نسخه ولانه اثبت له مثلا و
الله سبحانه قادر عليه وما كان داخلا تحت القدرة فهو فعل والفعل
لا يكون الا محدثا   لما قال سبحانه في الاية الاولى ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
دل بهذه الاية على انه سبحانه لا يخليهم من انزال الخير اليهم بخلاف ما تمناه
اعداؤهم فيهم وانه ابدا ينزل عليهم ما هو اصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل
انه سبحانه لما عاب اليهود باشياء وردّ عليهم ما داموا به الطعن في
امر نبينا صلى الله عليه واله كان مما طعنوا به فيه ان يقول ننسخ كل شريعة
تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن ابي
مسلم   الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اية   الولي
هو القايم بالامر ومنه ولي عهد المسلمين دون الله سوى الله قال امية
بن ابي الصلت   يا نفس ما لك دون الله من واق   وما على حدثان
الدهر من باق   والنصير الناصر وهو المؤيد والمقوي
الم تعلم استفهام تقرير وتثبيت ويؤل في المعنى الى الايجاب فكانه

[Margin notes, written diagonally:]

السنة ... [illegible] ... فيلبسها دبرها ... بسلطون لانه ... عليه ... والعطف ... [illegible]

التمسك بهذه الاية لاثبات النسخ ضعيف لان ما ... [illegible] ... على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا يدل على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه فالاقوى ان يقول في اثبات النسخ بعقله تعالى واذا بدلنا الاية ... ويثبت وعنده ام الكتاب

يقول قد علمت حقيقته كما قال جرير السّم خير من ركب المطايا فلهذا
خاطب به النبي صلى الله عليه واله وقيل ان الاية وان كان خطابا للنبي
صلى الله عليه واله فالمراد به امته كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء ومثله قول الكميت في مدح النبي صلى الله عليه واله قال لج
بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب وقيل افرطت
بل قصدت ولو عنفني القايلون اوثابوا انت المصفى المهذب
المحض في النسبة ان نض قومك النسب فاخرج كلامه مخرج الخطاب
للنبي صلى الله عليه وآله واراد به اهلبيته لان احدا من المسلمين
لا يعنف مادح النبي صلى الله عليه وآله ولا يكثر الضجاج واللجب في
اطناب القول فيه فكانه قال الم تعلم ايها الانسان ان الله له
ملك السموات والارض لانه خلقهما وما فيهما وقوله وما لكم من
قال ان الاية خطاب للنبي صلى الله عليه واله قال اتى بضمير الجمع في
الخطاب تفخيما لامره وتعظيما لقدره ومن قال هي خطاب له و
للمؤمنين اولهم خاصة فالمعنى الم تعلموا ما لكم ايها الناس من دون
الله اى سوى الله من ولي يامركم ولا نصير ناصر ينصركم

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ
وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

اية السؤال هو ان تطلب امرا ممن يعلم معنى الطلب وسواء
بالمد على ثلثة اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط في قوله الى سواء
الجحيم وبمعنى غير في قوله اتيت سواك اى غيرك ومعنى ضل ههنا
ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كنت القذى في موج اكدر

مزيد

مزيد فقذف الاتي به فضل ضلالا اى ذهب يمينا وشمالا والسبيل
والطريق والمذهب نظاير والجمع السبل ام هذه منقطعة
فان ام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديلة الالف وهي
مفرقة لما جمعته اى كما ان او مفرقة لما جمعه احد تقول اضرب ايهم
شئت زيدا ام عمروا ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمروا
او بكرا والمنقطعة لا تكون الا بعد كلام لانها بمعنى بل وهمزة الاستفهام
كقول العرب انها لابل ام شاء كانه قال بل هي شاء فقوله ام تريدون
تقديره بل تريدون ومثله قول الاخطل كذبتك عينك ام رأيت
بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ان تسألوا موصول و
صلت في محل النصب لانه مفعول تريدون كما ان الكاف حرف جر
ما حرف موصول سئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول و
الصلة في محل الجر بالكاف والكاف يتعلق بيسال والجار والمجرور في
محل النصب على المصدر ومن قبل في محل النصب لانه ظرف قوله سئل
ومن اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء فالفاء في قوله فقد ضل سواء
السبيل في محل الجزم لانه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه
من مع الجملتين في محل الرفع لانه خبر المبتداء اختلف في
سبب نزول الاية فروى عن ابن عباس انه قال ان رافع بن حرمله
ووهب بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله ائتنا بكتاب تنزله
علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا انهارا نتبعك ونصدقك
فانزل الله هذه الاية وقال الحسن عنى بذلك مشركي العرب وقد
سالوا فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الى قوله او تاتي بالله والملئكة

قبلا وقالوا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا قال السدى سالت
العرب محمدا ان ياتيهم الله فيروه جهرة وقال مجاهد سالت قريش محمدا
ان يجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم ولكن تكون لكم كالمائدة لقوم عيسى ع
فرجعوا وقال ابو على الجبائى وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله
سالوه قوم ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط و
هى شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر وغيره من الماكولات
كما سالوا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ام تريدون اى بل
اتريدون ان تسالوا رسولكم يعنى النبى محمد صلى الله عليه وآله كما سئل
موسى اى كما سال قوم موسى موسى من قبل من الاقتراحات والمحالات
ومن يتبدل الكفر بالايمان اى من استبدل الجحود بالله وباياته بالتصديق
بالله والاقرار به وباياته واقتراح المحالات على النبى صلى الله عليه وآله
وسال عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين فقد ضل سواء السبيل
اى ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن
وسط الطريق لان وسط الطريق خير من اطرافه وجه اتصال
هذه الاية بما قبلها انه لما دل الله بما تقدم على تدبيره لهم فيما ياتى به
من الايات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الاصلح فى كل حال قال اما
ترضون بذلك وكيف تتخيرون محالات مع اختيار الله تعالى لكم ما
يعلم فيه من المصلحة فاذا اتى باية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض
عليها ولا اقتراح غيرها لان ذلك بعد صحة البرهان بها يكون تعنتا
ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد

ما تبين

ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره
ان الله على كل شئ قدير اية الحسد ارادة زوال نعمة المحسود
اليه او كراهة النعمة التى هو فيها وارادة ان تصير تلك النعمة بعينها له وقد
يكون تمنى زوال النعمة الغير حسدا وان لم يطمع الحاسد فى تحويل تلك النعمة اليه
واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لاحد واما الغبط فهو ان
يراد مثل النعمة التى فيها الغير وان لم يرد زوالها عنه ولا يكره كونها له
فالغبطة غير مذمومة والحسد مذموم ويقال حسدته على الشئ احسده حسدا
وحسدته الشئ بمعنى واحد ومنه قول الشاعر نحسد الناس الطعاما
والصفح والعفو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظ حلة الانسان
صفحته وكذا هو من كل شئ ومنه صافحته اى لقيت صفحة كفه
صفحة كفى وقولهم صفحت عنه فيه قولان احدهما ان معناه انى لم
اخذه بذنبه وابديت له منى صفحة جميلة والاخر انه لم ير منى ما
تقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اى تجاوزتها الى غيرها ومنه
تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقراه بقوله
من فى قوله من اهل الكتاب يتعلق بمحذوف تقديره
فريق كائنون من اهل الكتاب فيكون صفة لكثير من بعد فى
محل النصب على الظرف والعامل فيه يردّ كفارا مفعول ثان ليرد
ومفعوله الاول كم من يردونكم وفى انتصاب قوله حسدا كانه
قال يحسدونكم حسدا او الاخران يكون مفعولا له فكانه قال يردونكم
كفارا لاجل الحسد كما يقول جئته خوفا منه وقوله من عند انفسهم
يتعلق بقوله ود كثير لا بقوله حسدا لان حسد الانسان لا يكون

قوله لو يردونكم [illegible] ان المصدر [illegible] وقد تقدم ذكرها [illegible] كفارا [illegible] لان يردونكم [illegible] للعفو [illegible] اى العفو [illegible] نتفعوا ومن غير [illegible] غلظ الضغائن [illegible]

من غير نفسه قاله الزجاج وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله حسدًا على
التوكيد كقوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه ويحتمل وجهًا اخر وهو
ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال سبحانه
تكذيبًا لهم ان ذلك من عند انفسهم وقوله ما تبين ما حرف موصول
وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر باضافة بعد
اليه حتى يأتي الله باتي منصوب باضمار ان وهما في محل الجر بحتى و
الجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا نزلت الاية في حيي
ابن اخطب واخيه ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي حين
قدم المدينة فلما خرجا قيل لحيي اهو نبي قال هو هو فقيل فما له عندك
قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض العهد واثار الحرب يوم الاحزاب
عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب ابن الاشرف عن الزهري وقيل
في جماعة اليهود عن الحسن ثم اخبر الله سبحانه عن سرائر اليهود
فقال ودّ اي تمنى كثير من اهل الكتاب كحيي ابن اخطب وكعب بن الاشرف
وامثالهما لو يردونكم معناه ان يردونكم يا معشر المؤمنين اي يرجعونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا منهم لكم وبما اعد الله لكم من الثواب و
الخير وانما قال كثير من اهل الكتاب لانه انما امن منهم القليل كعبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وقيل انما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة
فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة اليهم وقوله من عند انفسهم قد
بينا ما فيه من الاعراب وقوله من بعد ما تبين لهم الحق اي بعد ما
تبين لهم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله والاسلام دين الله
عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله فاعفوا واصفحوا اي تجاوزوا

عنهم

عنهم وقيل ارسلوهم فانهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه وانما امرهم
بالعفو والصفح وان كانوا مضطهدين مقهورين من حيث ان كثيرا
من المسلمين كانوا اعزين في عشايرهم واقوامهم يقدرون على الانتقام
من الكفار فامرهم الله بالعفو وان كانوا قادرين على الانتصاف حتى
يأتي الله بامره اي بامره لكم بعقابهم او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاهم
بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية عن ابي علي وقيل بامره اي باية
القتل والسبي لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن ابن عباس وقيل
بامره بالقتال عن قتادة فانه قال هذه الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية وبه قال الربيع والسدي وقيل
نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وروي عن الباقر عليه
السلام انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن
له فيه حتى نزل جبرئيل بهذه الاية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وقلده سيفا وقوله ان الله على كل شيء قدير ثلثة اقوال احدها انه
قدير على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي وثانيها انه قدير على
ان يدعوا الى دينه بما احب مما هو اليق بالحكمة فيامر بالصفح تارة وبا
خرى على حسب المصلحة عن الزجاج والثالث انه لما امر بالامهال
والتاخير في قوله فاعفوا واصفحوا قال ان الله قادر على عقوبتهم بان
يامركم بقتالهم ويعاقبهم في الاخرة بنفسه وَأَقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ما اسم
للشرط في موضع رفع بالابتداء وتقدموا شرط من خير من مزيدة و

لعقاب

في الصحاح فالضاد المعجمة الطاء والدال المهملة
مضطهد فهو مضطهد ومضطهد اي مقهور
مضطهد وفلان مضطهد لفلان اي يقهره

الجار والمجرور مفعول تقدموا وتجدوه مجزوم لانه جزاء وعلامة الجزم
فى الشرط والجزاء سقوط النون ومعنى حرف الشرط الذى تضمنه ما مع
الشرط والجزاء فى محل الرفع لانه خبر المبتدا وما فى قوله بما تعملون اسم
موصول او حرف موصول والموصول والصلة فى موضع جر بالباء و
الباء متعلق ببصير الذى هو خبر ان لما امر الله سبحانه
المسلمين بالصفح عن الكفار والتجاوز وعلم انه يشق عليهم ذلك مع شدة
عداوة اليهود وغيرهم لهم فامرهم بالاستعانة على ذلك بالصلوة
والزكوة فان فى ذلك معونة لهم على الصبر مع ما يجوزون بهما من
الثواب والاجر كما قال فى موضع اخر واستعينوا بالصبر والصلوة
وقوله وما تقدموا لانفسكم معناه وما تقدموا لانفسكم من خير
اى من طاعة واحسان وعمل صالح تجدوه عند الله اى تجدوا ثوابه
معدا لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوبا محفوظا عند الله تعالى
ليجازيكم به وفى هذه الاية دلالة على ان ثواب الخيرات والطاعات
لا يضيع ولا يبطل ولا يحبط لانه اذا احبط لا يجدونه وقوله ان
الله بما تعملون بصير اى لا يخفى عليه شى من اعمالكم يجازيكم على
الاحسان بما يستحقونه من الثواب وعلى الاساءة بما يستحقونه
من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن انه يجازيه على ذلك من لا
يخفى عليه شى من عمله ففى هذا دلالة على الوعد والوعيد والامر و
الزجر وان كان خبرا عن غير ذلك فى اللفظ وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اية فى هود

ثلثة

ثلثة اقوال احدها انه جمع هايد كعايذ وعوذ وعابط وعوط وهو جمع
للمذكر والمونث على لفظ واحد والهايد التايب الراجع الى الحق وثانيها
ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ورجل
صوم وقوم صوم وثالثها ان يكون معناه الا من كان يهودا فحذفت
الباء الزايدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو
ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك
وفرق على بن عيسى بين الدلالة والبرهان بان قال الدلالة قد تنبى
عن معنى فقط لا يشهد بمعنى اخر والبرهان ليس كذلك لانه بيان عن
معنى ينبى عن معنى اخر وقد نوزع فى هذا الفرق وقيل انه محض الدعوى
فالواجملة فعلية والجنة ظرف مكان ليدخل والا ههنا
لنقض النفى ومن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بانه فاعل
يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وان حرف شرط وجوابه
محذوف تقديره ان كنتم صادقين فهاتوا برهانكم ثم حكى
سبحانه بذا من اقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فهذا على الايجاز وتقديره
قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى يهوديا
لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ووحد كان لان لفظ من قد تكون
للواحد وقد تكون للجماعة وانما قلنا ان الكلام مقدر هذا التقدير
لان من المعلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى
لليهود فعلمنا انه ادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال بشى من المعنى
فان شهرة الحال تغنى عن البيان الذى ذكرناه ومثله قول حسان

بن ثابت امن يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله منكم ويمدحه وينصره
سواء انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول وصار كانه اخبار عن جملة
واحدة وانما حقيقته عن فريقين متفرقين وقوله تلك امانيهم
اى تلك المقالة امانى كاذبة يتمنونها على الله عن قتادة والربيع وقيل
امانيهم اباطيلهم بلغة قريش عن المؤرج وقيل معناه تلك اقاويلهم و
تلاوتهم من قولهم تمنى اى تلا وقد يجوز فى العربية امانيهم بالتخفيف و
التثقيل اجود قل يا محمد هاتوا احضروا وليس بامر بل هو تعجيز وانكار
بمعنى اذا لم يمكنهم الاتيان ببرهان يصحح مقالتهم فاعلموا انه باطل
فاسد برهانكم اى حجتكم عن الحسن ومجاهد والسدى ان كنتم صادقين
فى قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفى هذه الآية
دلالة على فساد التقليد الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بان ياتوا
فيما قالوا ببرهان وفيها ايض دلالة على جواز المحاجة فى الدين
بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آية اسلم يستعمل فى شيئين
احدهما اسلمه الى كذا اى صرفه اليه تقول اسلمت الثوب اليه والثانى
اسلم له بمعنى اخلص له ومنه قوله رجلا سالما لرجل اى خالصا وقال
زيد بن عمرو بن نفيل اسلمت وجهى لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا
ثقالا واسلمت وجهى لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا وروى
واسلمت نفسى والوجه مستقبل كل شئ ووجه الانسان محياه
ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول ما يبدو
منه ويعرف به ويقال هذا وجه الراى اى الذى يبدو منه ويعرف

به

به والوجه من كل شئ اول ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده وقد استعملت العرب
لفظة وجه للشئ وهم يريدون نفسه الا انهم ذكروه باللفظ الاشرف
الانبه ودلوا عليه به كما قال سبحانه كل شئ هالك الا وجهه اى الا هو
ويبقى وجه ربك اى ربك وقال الاعشى واول الحكم على وجهه
ليس قضائى بالهوى الجائر اى على ما هو به من الصواب وقال ذو
الرمة وطاوعت همى وانجلى وجه نازل من الامر لم يترك خلاجا
نزولها يريد وانجلى النازل من الامر بلى تدخل فى جواب الاستفهام
مثل قوله الست بربكم قالوا بلى ويصلح ان يكون تقديره هنا اما يدخل
الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لان ما تقدم يقتضى هذا
السؤال ويصلح ان يكون جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام
زيد فيقول بلى قد قام ويكون التقدير هنا ليس الامر كما قال الزاعمون
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه
لله وهو محسن فهو يدخلها ومن اسلم يجوز ان يكون من موصولا و
يجوز ان يكون للشرط فيكون اسلم اما صلة له واما مجزوم الموضع بكونه
شرطا ويكون مبتدا والهاء فى قوله اجره للجزاء واللام يتعلق بمحذوف
فى محل الرفع لانه خبر لقوله اجره والمبتدا مع خبره فى محل الرفع بانه
لوقوعه بعد الفاء والفاء مع ما دخل فيه فى محل الجزم ومعنى جواب الشرط
الذى تضمنه من مع الشرط والجزاء فى محل الرفع بانه خبر المبتدا وان
كان من موصولا فمن مع اسلم مبتدا والفاء مع الجملة بعده خبره و عند
ربه ظرف مكان فى موضع النصب على الحال تقديره كاينا عند ربه و
العامل فيه المحذوف الذى تعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن

فيه وقول وهو محسن في موضع نصب على الحال وانما قال فله اجره على
التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لان من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل
على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى   ثم رد الله سبحانه عليهم مقالتهم
فقال بلى من اسلم وجهه لله قيل معناه من اخلص نفسه لله بان سلك
طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجه وجهه لطاعة الله وقيل
فوض امره الى الله وقيل استسلم لامر الله وخضع وتواضع لله لان اصل
الاسلام الخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في
السجود لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن في عمله وقيل هو مؤمن وقيل
مخلص فله اجره عند ربه معناه فله جزاء عمله عند الله تعالى ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وهذا على قول من يقول انه لا يكون
على اهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة واما على قول من قال ان بعضهم
يخاف ثم يامن فمعناه انهم لا يخافون فوت جزاء اعمالهم لانهم يكونون
على ثقة بان ذلك لا يفوتهم   وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون   اية   القيمة مصدر الا انه صار كالعلم على
وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون
من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامة مثل عاذ يعوذ
عياذا وعياذة   وهم يتلون جملة من مبتدا وخبر
منصوبة الموضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود والنصارى

والكاف

والكاف في موضع كذلك يتعلق بيتلون او بقال الذين وتقديره وهم
يتلون الكتاب كتلاوتكم او قال الذين لا يعلمون وهم المشركون كقول
اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولا مثل قولهم
قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول
الله صلى الله عليه وآله اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ص
فقال رافع بن حرملة ما انتم على شيء وجحد نبوة عيسى وكفر بالانجيل
فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجحد نبوة موسى ع
بالتورية فانزل الله هذه الاية   ثم بين سبحانه ما بين اهل
الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء يعني في تدينهم بالنصرانية وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء في تدينهم باليهودية وهم يتلون الكتاب اي
يقرؤونه وذكر فيه وجهان احدهما ان فيه حل الشبهة بانه ليس في تلاوته
الكتاب معتبر في الانكار لما لم يؤت على انكاره ببرهان فلا ينبغي
ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة الاسلام اذ كل فريق من
اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من
لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الانكار
لدين الاسلام والوجه الآخر الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب
على جهة العناد اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه
علمه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم معناه ان مشركي العرب
الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمد واصحابه انهم ليسوا على شيء
من الدين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي و

مقاتل وقيل معناه ان مشركى العرب قالوا بان جميع الانبياء واممهم لم
يكونوا على شئ وكانوا على خطاء اى فقد ساووكم نا معشر اليهود فى
الانكار منهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل
اليهود والنصارى وقبل التورية والانجيل كقوم نوح وعاد وثمود
قالوا لانبيائهم لستم على شئ عن عطا وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك
قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله قالت
اليهود ليست النصارى على شئ هؤلاء الذين كانوا على عهد النبى صلى
الله عليه وآله لانه يحكى قول مبطل لمبطل فلا يجوز ان يعطف عليه قول
مبطل لمحق وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيه
وجوه احدها ان حكمه بينهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار عن الحسن
وثانيها ان حكمه فيهم الانصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان
للمظلوم المكذب عن ابى على وثالثها ان حكمه ان يريهم من يدخل الجنة
عيانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم الفصل فى الاخرة بما يصير
اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم فى العقد فقد بينه الله عز وجل فيما اظهر من
حجج المسلمين وفى عجز الخلق على ان ياتوا بمثل هذا القران عن الزجاج

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا
اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا
إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
اية المنع والصد والحيلولة نظاير وضد المنع الاطلاق يقال
منعته فامتنع ورجل منيع لا يخلص اليه وهو فى عز ومنعة يخفف ويثقل
وامراة منيعة لا تواتى على فاحشة والسعى والركض والعدو نظاير وضد

السعى الوقف وفلان يسعى على عياله اى يكتسب لهم وسعى للسلطان
اذا ولى امر الصدقة قال الشاعر سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا
فكيف لو قد سعى عمرو عقالين والعقال صدقة عام وساعى الرجل الامة
اذا فجر بها ولا يكون المساعات الا فى الاماء والخراب والهدم والنقض
نظاير والخرته سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والخارب اللص
قال الاصمعى يختص بسارق الابل والخرابة سرقة الابل موضع
من رفع وهو استفهام واظلم رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب
على البدل من مساجد وهو بدل الاشتمال والتقدير ومن اظلم ممن منع
ان يذكر فيها اسمه نصب على البدل من مساجد وهو بدل الاشتمال و
التقدير ومن اظلم ممن منع ان يذكر فى مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون
على من وتقديره من ان يذكر وان يدخلوها فى موضع رفع بانه اسم كان
وقيل ان كان ههنا مزيدة وتقديره ما لهم ان يدخلوها فعلى هذا يكون
موضع ان يدخلوها رفعا بالابتدا والا حرف الاستثناء وهو ههنا
لنقض النفى وخائفين منصوب على الحال وقوله خزى مرفوع من
وجهين احدهما الابتداء والاخر ان يكون مرفوعا بلهم وقوله فى الدنيا
الجار والمجرور فى موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن فى
لهم وكذلك قوله فى الاخرة اختلفوا فى المعنى بهذه الاية
فقال ابن عباس ومجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا
فى خرابه حتى كانت ايام عمر واظهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلوها
الا خائفين وقال الحسن وقتادة هو بخت نصر خرب بيت المقدس
واعانه عليه النصارى وروى عن ابى عبد الله عليه السلام انهم قريش

حين سعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال
البلخي والرماني والجبائي وضعف هذا الوجه الطبري بأن قال ان مشركي
قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام وقوله يفسد بأن عمارة المسجد انما
تكون بالصلوة فيها وخرابها بالمنع من الصلوة فيها وقد وردت الرواية
بأنهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله يصلون
فيها بمكة لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة قال وهو ايضا لا
يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق بما قبله به اذا عني به
النصارى وبيت المقدس وجوابه انه قد جرى ايضا ذكر غير اهل الكتاب
في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب لأن الكلام خرج
مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عبدة
الاصنام والمشركين ومن اظلم اي واي احد اشد واعظم ظلما
ممن منع مساجد الله من ان يذكر فيها اسمه ويكون معناه لا احد اظلم
ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في المنع من اقامة
الجماعة والعبادة فيها فاذا حمل قوله مساجد الله على بيت المقدس او على
الكعبة فانما جاز جمعه على احد وجهين اما ان يكون مواضع السجدة فان
المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال لجملته مسجد واما ان
يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها المسلمون للصلوة وروى
عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام انه اراد جميع الارض لقول
النبي جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله وسعى في خرابها
اي عمل في تخريبها والتخريب اخراجهم اهل الايمان منها عند الهجرة
وقيل هو صدهم عنها ويجوز حمله على الامرين وقيل المراد المنع عن الصلوة

والطاعة

والطاعة فيها والسعي في خرابها وقوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت
المقدس الا نهك ضربا وابلغ عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به
المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية امر النبي صلى الله عليه وآله مناديا
فنادى الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بهذا البيت عريان فكانوا
لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بين الله سبحانه انه ليس لهؤلاء
المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فان دخل
منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل
الى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره فيكون في دخوله خائفا من
الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال الخصومة ولا يقعد فيه مطمئنا
كما يقعد المسلم قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهذا يليق بمذهبنا
ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار لا يجوز ان يمكنوا من دخول
المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين
يمنعون من دخوله ولا يمكنون منه لحكومة ولا غيرها بان الله تعالى قد
امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين
على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه
في هذه الآية ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول
مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهذا كقوله سبحانه ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون فكأنه قيل اولئك كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
لاعزاز الله الدين واظهاره المسلمين وقوله لهم في الدنيا خزي قيل فيه وجوه

احدها ان يراد بالخزي انهم يعطون الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج و
ثالثها ان المراد بخزيهم بدوهم صاغرون عن قتاده وثانيها ان المراد به القتل
وسبى الذرارى والنساء ان كانوا حربيا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج
وثالثها ان المراد بخزيهم فى الدنيا انه اذا قام المهدى وفتح قسطنطنية فح
نقتلهم عن السدى ورابعها ان المراد بالخزى طردهم عن دخول المساجد
عن ابى على وقوله ولهم فى الاخرة عذاب عظيم يعنى يوم القيمة يعذبهم
الله فى نار جهنم بالعذاب الاعظم اذ كانوا من كل ظالم اظلم
وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَاَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ آية   المشرق والمغرب اسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت
الشمس اذا طلعت واشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذر شارق
اى ما طلع قرن الشمس وايام التشريق ايام تشريق اللحم فى الشمس وفى
الحديث لا تشريق الا فى مصر او مسجد جامع اى لا صلوة عيد لان
وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغيب نظاير وهو موضع الغروب
يقال غربت الشمس تغرب اذا غابت واصل الغرب الحد والتباعد
وغربة النوى بعد المنتاى وغرب السيف حده سمى بذلك لانه يمضى
فلا يرد فهو ماخوذ من الابعاد والواسع الغنى سمى به لسعة مقدوراته
وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والفسحة من النظاير وضد السعة الضيق
يقال وسع يسع سعة واوسع الرجل اذا صار ذا سعة فى المال
اللام فى قوله ولله المشرق لام الملك وانما وحد المشرق والمغرب لانه اخرج
ذلك مخرج الجنس فيدل على الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم
واين بنى لتضمنه معنى الحرف وانما بنى على الفتح لالتقاء الساكنين

وفيه

وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم وجه الله وعلامة الجزم
فى تولوا سقوط النون واين فى موضع النصب لانه ظرف لقوله تولوا و
ما فى قوله اينما هى التى تهيئ الكلمة لعمل الجزم ولذلك لم يجاز باذ وحيث
حتى يضم اليهما ما فيقال حيثما تكن اكن واذما تفعل افعل ولا يقال حيث
تكن اكن واذ تفعل افعل ويجوز فى اين الجزم وان لم يدخل عليها ما كقول
الشاعر اين تصرف بنا العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقى وثم
موضعه نصب لانه ظرف مكان وبنى على الفتح لالتقاء الساكنين وانما
بنى على الاصل لانه معرفة وحكم الاسم المعرف ان يكون بحرف فبنى لتضمنه
معنى الحرف الذى يكون به التعريف والعهد الا ترى ان ثم لا يستعمل
الا فى مكان معهود معروف لمخاطبك   اختلف فى سبب نزول
الآية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس
فنزلت الآية ردا عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائى وقال بين
سبحانه انه ليس فى جهة دون جهة كما تقول المجسمة وقيل كان للمسلمين
التوجه حيث شاؤا فى صلوتهم وفيه نزلت الآية ثم نسخ ذلك بقوله
فول وجهك شطر المسجد الحرام عن قتاده قال وكان النبى صلى الله عليه
واله قد اختار التوجه الى بيت المقدس وكان له ان يتوجه حيث شاء
وقيل نزلت فى صلوة التطوع على الراحلة تصليها حيث ما توجهت
اذا كنت فى سفر واما الفرايض فقوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره يعنى ان الفرايض لا تصليها الا الى القبلة وهذا هو المروى
عن ائمتنا عليهم السلم قالوا وصلى رسول الله ايماء على راحلته اينما
توجهت به حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة

خلف ظهره وروى عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية
كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة
هي هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا وقال بعضنا القبلة هاهنا قبل
الجنوب فخطوا خطوطا فلما اصبحوا وطلعت الشمس اصبحت تلك الخطوط
لغير القبلة فلما رجعنا من سفرنا سألنا النبي عن ذلك فسكت فانزل الله
هذه الآية ولله المشرق والمغرب اراد ان المشرق والمغرب لله
ملكا وقيل اراد به خالقهما وصانعهما وقيل معناه ان الله يتولى اشراق
الشمس من مشرقها واغرابها في مغربها فاينما تولوا فثم وجه الله معناه فاينما
تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فثم اي فهناك وجه الله اي قبلة
الله عن الحسن ومجاهد وقتادة والوجه والجهة والوجهة القبلة ومثله
الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي يتوجه اليه وجها قال الشاعر
استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل معناه اليه
القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم
كقوله تعالى يريدون وجهه اي يريدونه بالدعاء ويقال لما قرب من المكان
هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو ويبقى وجه
ربك اي ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك عن الكلبي وقيل معناه فثم
رضوان الله يعني الوجه الذي يؤدي الى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب
عن ابي علي والرماني ان الله واسع اي غني عن ابي عبيدة وتقديره غني
عن طاعتكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة عن الزجاج وقيل
واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم اي عالم بوجوه الحكمة فبادروا
الى ما امركم به وقيل عليم ان تضع رحمته على ما توجبه الحكمة وقيل عليم

بينانكم

بينانكم حيث ما صليتم ودعوتم ووجه اتصال الآية بما قبلها
ان التقدير ولا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من
ارضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل
لما تقدم ذكر الصلوة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ آية قرأ ابن عامر قالوا بغير واو والباقون
بالواو حذف الواو وهاهنا يجوز من وجهين احدهما ان يستأنف
الجملة فلا يعطفها على ما تقدم والآخر ان للجملة التي هي قالوا اتخذ الله ولدا
ملابسة بما قبلها من قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية فان
الذين قالوا اتخذ الله ولدا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى
عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما يستغنى عنها في نحو قوله والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم
فيها خالدون لكان حسنا الاصل في القنوت الدوام ثم يستعمل
على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اي مطيعون
ومنها ان يكون بمعنى الصلوة كقوله يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين وبمعنى طول القيام وروى جابر بن عبد الله قال
سئل النبي صلى الله عليه وآله اي الصلوة افضل قال طول القنوت اي
طول القيام ويكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت في الصلوة
دعاء بعد القراءة في آخر الوتر يدعو قائما ومنه قوله امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارقم
كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام

نزلت الاية فى النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم
وفى مشركى العرب حيث قالوا الملئكة بنات الله لما حكى سبحانه
قول اليهود فى امر القبلة ورد عليهم قولهم ذكر مقالتهم فى التوحيد رداً عليهم
قال وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه اى اجلالاً له عن اتخاذ الولد وتنزيها
عن القبائح والسوء والصفات التى لا تليق به وروى عن طلحة بن عبيد
الله انه سال النبى صلى الله عليه واله عن معنى قوله سبحانه فقال تنزيها
لله عن كل سوء بل له ما فى السموات والارض هذا رد عليهم قولهم اتخذ
الله ولداً اى ليس الامر كما زعموا بل له ما فى السموات والارض ملكا
والولد لا يكون ملكا للاب لان البنوة والملك لا يجتمعان فكيف تكون
الملئكة الذين فى السماء والمسيح الذى هو فى الارض ولداً له فنبه بذلك
على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة ساير الخلق
وقيل معناه بل له ما فى السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس
الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من تبنى انسانا فان من
تبناه لا بد من ان يكون من جنسه وقوله كل له قانتون قال مجاهد
وابن عباس معناه مطيعون وقال السدى كل له مطيع يوم القيمة
وقال الحسن كل له قائم بالشهادة بما فيه انه عبده وقال الجبائى كل
دائم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من اثار الصنعة والدلالة
على الربوبية وقال ابو مسلم كله فى ملكه وقهره يتصرف فيه كيف يشاء
لا يمتنع عليه بديع السموات والارض واذا قضى
امراً فانما يقول له كن فيكون اية قرا ابن عامر فيكون
بالنصب والباقون بالرفع قال ابو على تمتنع النصب فى

قول

قوله فيكون لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس بامر ولكن المراد
به الخبر لان المنفى الذى ليس بكائن لا يؤمر ولا يخاطب فالتقدير يكون
فيكون فاللفظ لفظ الامر والمراد الخبر كقولهم فى التعجب اكرم بزيد فاذا
لم يكن قوله امراً فى المعنى وان كان على لفظه لم يجز ان ينصب الفعل
بعد الفاء بانه جواب كما لم يجز النصب فى الفعل الذى يدخله الفاء بعد
الايجاب نحو اتيتك فاحدثك الا ان يكون فى شعر فى نحو قوله لنا هضته
لا ينزل الذل وسطها ياوى اليها المستجير فيعصما ويدل ايضا على امتناع
النصب فيه ان الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب
على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لان المعنى يصير ان ذهبت ذهبت
وهذا كلام لا يفيد وانما يفيد اذا اختلف الفاعلان والفعلان نحو قم
فاعطيك لان المعنى ان قمت اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن
ما روى عنه من نصبه فيكون متجها ويمكن ان يقال فيه ان اللفظ
لما كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن فى نحو قوله قل لعبادى
الذين امنوا يقيموا الصلوة على انه اجرى مجرى جواب الامر وان لم يكن
جوابا له على الحقيقة فالوجه فى يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن
لان المراد به يكون فيكون او يكون خبر المبتدا المحذوف كانه فهو يكون
البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع وبينهما فرق من حيث ان
فى بديع مبالغة ليست فى المبدع ويستحق الوصف به فى غير حال الفعل
على الحقيقة بمعنى ان من شانه انشاء الاشياء على غير مثال واحتذاء و
الابتداع والاختراع والانشاء نظاير وكل من احدث شيئا فقد ابدع
والاسم البدعة وفى الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها

الى النار القضا والحكم من النظاير واصل القضاء الفصل واحكام الشئ
قال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ
تبع اى احكمهما ثم يتصرف على وجوه منها الامر والوصية كقوله تعالى
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اى وصى ربك وامر ومنها ان يكون
بمعنى الاخبار والاعلام كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل اى اخبرناهم وقوله
وقضينا اليه ذلك الامر اى عهدنا الى لوط ومنها ان يكون بمعنى الفراغ
نحو قوله فاذا قضيتم مناسككم اى فرغتم من امر المناسك وقوله فاذا
قضيتم الصلوة وفيما رواه على ابن موسى الرضا عن ابيه عن جده الصادق
عليه السلم قال القضا على عشرة اوجه ذكر فيه الوجوه الثلثة التى ذكرناها
والرابع بمعنى الفعل فى قوله فاقض ما انت قاض اى فافعل ما انت
فاعل ومنه قوله اذا قضى امرا يعنى اذا فعل امرا كان فى علمه ان يفعله
انما يقول له كن فيكون ومنه قوله اذا قضى الله ورسوله امرا يعول لما
كان لمومن ولا مومنة اذا فعل الله ورسوله امرا فى تزوج زينب ان
يكون لهم الخيرة من امرهم والخامس قوله ليقض علينا ربك اى لينزل
علينا الموت وقوله لا يقضى عليهم فيموتوا اى لا ينزل بهم الموت وقوله فوكزه
موسى فقضى عليه اى فانزل به الموت والسادس قوله وانذرهم يوم
الحسرة اذ قضى الامر اى وجب العذاب فوقع باهل النار وكذا قوله وقال
الشيطان لما قضى الامر والسابع قوله وكان امرا مقضيا اى مكتوبا فى
اللوح المحفوظ انه يكون والثامن بمعنى الاتمام فى نحو قوله فلما قضى موسى
الاجل وايما الاجلين قضيت اى اتممت وقوله من قبل ان يقضى اليك
وحيه يعنى من قبل ان يتم اليك جبرئيل الوحى والتاسع بمعنى الحكم و

الفصل

الفصل كقوله وقضى بينهم بالحق وان ربك يقضى بينهم اى يفصل
وفى الانعام يقضى الحق اى يفصل الامر بينى وبينكم بالعذاب والعاشر
بمعنى الجعل فى قوله فقضيهن سبع سموات اى جعلهن لما نزه
سبحانه نفسه عن اتخاذ الاولاد ودل عليه بان له ما فى السموات و
الارض اكد ذلك بقوله بديع السموات والارض اى منشى السموات
والارض على غير مثال امتثله ولا احتذاء من صنع خالق كان قبله
واذا قضى امرا قيل معناه اذا فعل امرا اى اراد احداث امر كقوله تعم
فاذا قرات القران فاستعذ بالله اى اذا اردت قراءة القران وقيل
معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بانه يفعل امرا والاول اوجه
وقوله فانما يقول له كن فيكون اختلف فيه على وجوه احدها انه
بمنزلة التمثيل لان المعدوم لا يصح ان يخاطب ولا يومر وحقيقته معناه
ان منزلة الفعل فى تسهيله وتيسيره وانتفاء التعذر منه كمنزلة ما
يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان براسه او بيده كذا اذا حرك راسه
او اومى بيده ولم يقل شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم قد قالت
الانساع للبطن الحق قدما فاضحت كالفنيق المحنق وقال العجاج يصف
ثورا وفيه كالاعراض للعكود فكر ثم قال فى التفكير ان الحيوة اليوم فى
الكرود وقال عمرو ابن حممة وقالت السدوسى فاصبحت مثل النسر طارت
فراخه اذا رام نطيارا يقال له قع وقال الحوله العينان سمعا وطاعة وحدنا
كالذر لما يثقب والمشهود فيه قول الشاعر امتلأ الحوض وقال قطنى
وهذا قول ابى على وابى القاسم وجماعة من المفسرين وثانيها انه علامة
جعلها الله للملئكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا وهذا هو المحكى عن

ابى الهذيل وثالثها ما قاله بعضهم ان الاشياء المعدومة لما كانت
معلومة عند الله تعالى صارت كالموجود فصح ان يخاطبها ويقال لما
شاء ايجاده منها كن والاصح من الاقوال الاول وهو الاشبه بكلام
العرب ويؤيده قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين وان حمل على القول الثانى فالمراد ان يقول للملئكة على
جهة الاعلام منه واخباره اياهم عن الغيب كن اى يقول الكون فيكون
فاعل كن الله وهو فى معنى الخبر وان كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم
بيانه وقد يجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشئ المعدوم المراد كونه و
تقديره يقول من اجله للملئكة يكون الشئ كذا فيكون ذلك على ما
يخبر به لا خلف له ولا تبديل عما يخبر به واما القول الثالث فبعيد
لان المعدوم لا يصح خطابه ولا امره بالكون والوجود ليخرج بهذا الامر
الى الوجود لان ذلك امتثال للامر وتلق له بالقبول والطاعة وهذا
انما يتصور من المأمور الموجود دون المعدوم ولو صح ذلك لوجب ان يكون
المأمور المعدوم فاعلا لنفسه كما يكون المتلقى لما يؤمر بالقبول فاعلا
لما امر به وهذا فاسد ظ البطلان وقال بعضهم انما يقوله كن عند وجود
الاشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون وانما اراد انهم يدعوهم فى حال خروجهم لا قبله ولا بعده
وهذا الوجه ايض ضعيف لان من حسن الامر ان يتقدم المأمور به وكذلك
الدعاء وفى هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يجوز ان يتخذ ولدا لانه
اذا ثبت انه منشئ السموات والارض ثبت بذلك انه سبحانه ليس
بصفة الاجسام والجواهر لان الجسم يتعذر عليه فعل الاجسام ومن كان

بهذه

بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد ولانه سبحانه قد انشأ عيسى
من غير اب من حيث هو مبدع الاشياء فجل عن اتخاذ الابناء وتعالى
علوا كبيرا وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله
او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت
قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون آية اليقين
والعلم والمعرفة نظائر فى اللغة ونقيضه الشك والجهل وايقن و
يتقن واستيقن بمعنى وقال صاحب العين اليقن اليقين قال
وما الذى ابصرته العيون من قطع يأس ولا من يقن فاليقين علم
يثلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت
برد العلم لولا بمعنى هلا ولا يدخل الا على الفعل ومعناها
التحضيض قال تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى ضوطرى لولا
الكمى المقنعا اى هلا تعقرون الكمى المقنع والكاف فى كذلك يتعلق
بقال والجار والمجرور فى موضع نصب على المصدر اى كقولهم لما
بين سبحانه حالهم فى انكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الاولاد
عقبه بذكر خلافهم فى النبوات وسلوكهم فى ذلك طريق التعنت والعناد
فقال وقال الذين لا يعلمون وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن
عباس ومشركو العرب عن قتادة وهو الاقرب لانهم الذين سألوا
المحالات ولم يقتصروا على ما ظهر واتضح من المعجزات وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات الى اخرها ولانه وصفهم
بانهم لا يعلمون وبين انهم ليسوا اهل الكتاب ومن قال المراد به
النصارى قال لانه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم الذين قالوا

المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يذكر قوماً ثم يحيلنا في تفسير
عن قوم آخرين على ان مشركي العرب قد اضافوا ايضا الى الله سبحانه البنات
فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا وقوله لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا معاينة
فيخبرنا بانك نبي وقيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره
من الانبياء وقوله او تاتينا آية اي تاتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت
الانبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يرد انه لم تاتهم آية لانه قد
جاءتهم الآيات المعجزات وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
قيل هم اليهود حيث اقترحوا الايات على موسى عن مجاهد لانه حمل قوله
الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعاً عن قتادة
والسدي وقيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن ابي مسلم
تشابهت قلوبهم اي اشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة والاعتراض
على الانبياء من غير حجة والتعنت والعناد كقول اليهود لموسى ارنا الله
جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب
لنبينا حول لنا الصفا ذهباً ولذلك قال سبحانه اتواصوا به وقوله
قد بينا الآيات يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وآله لقوم يوقنون اي يستدلون بها من الوجه الذي يجب
الاستدلال به فايقنوا لذلك فكذلك فاستدلوا انتم حتى توقنوا
كما ايقن اولئك والمعنى فيه ان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة
على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد فان قيل لم يأتوا الآيات
التي اقترحوها لتكون الحجة عليهم اكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح
ولو علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لاظهرها

فلما

فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة **انا ارسلناك
بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن اصحاب الجحيم** آية
قراءة نافع ولا تسأل بفتح التاء والجزم على النهي وروى ذلك عن ابي جعفر
الباقر عليه السلام وابن عباس ذكر ذلك القراءة وابو القاسم البلخي و
الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله الرفع في تسئل يحتمل وجهين
احدهما ان يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله بشيراً ونذيراً
اي وغير مسئول ويكون ذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيراً كما ذكر
الجملة في قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا بعد ما تقدم من المفرد وكذلك
قوله ومن المقربين وهو هاهنا يجري مجرى الجملة والآخر ان يكون منقطعا
عن الاول مستانفا به كانه قيل ولست تسأل عن اصحاب الجحيم واما
قراءة نافع ولا تسئل بالجزم ففيه قولان احدهما ان يكون على النهي عن المسئلة
والآخر ان يكون النهي لفظا والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب
كقول القائل لا تسئل عن حال فلان اي قد صار الى اكثر مما تريده وسألت
يتعدى الى مفعولين مثل اعطيت قال الشاعر سألتاني الطلاق
اذ رأتاني   قل مالي قد جئتماني بنكر ويجوز ان يقتصر فيه على مفعول
واحد ثم يكون على ضربين احدهما ان يتعدى بغير حرف كقوله واسئلوا
ما انفقتم فاسئلوا اهل الذكر والآخر ان يتعدى بحرف كقوله تعالى
سأل سائل بعذاب واقع وكقوله سألت عمرا بعد بكر خفا فمعنى هذا
استعطيته اي سألته ان يفعل ذلك والآخر ان يكون بمنزلة اخبرت
الرجال زيدا وذلك قوله تعالى ولا يسئل حميم حميما اي لا يسئل حميم عن حميمه
والثالث ان يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما

استفهام وذلك قوله تعالى سل بنى اسرائيل كم اتيناهم وسل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا الاية بين الله فى هذه
الاية تاييد نبيه محمدا صلى الله عليه واله بالحجج وبعثه بالحق فقال انا ارسلناك
يا محمد بالحق قيل بالقران عن ابن عباس وقيل الاسلام عن الاصم وقيل
على الحق اى بعثناك على الحق كقوله سبحانه خلق الله السموات والارض
بالحق اى على انهما حق لا باطل وقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا من اتبعك
بالثواب ونذيرا من خالفك بالعقاب وقوله ولا تسئل عن اصحاب
الجحيم اى لا تسئل عن احوالهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه واله اذ قيل
له انما انت بشير ونذير ولست تسئل عن اصحاب الجحيم وليس عليك
اجبارهم على القبول منك ومثله قوله فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وقوله ليس عليك هديهم وقيل معناه لا تؤاخذ بذنبهم
كقوله سبحانه عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اى فعليه الابلاغ وعليكم
القبول ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى
ولا نصير اية الرضا والمحبة والمودة نظاير وضد الرضاء
الغضب والرضاء ايضا بمعنى المرضى وهو من بنات الواو بدلالة
قولهم الرضوان وتقول رجل رضا وامرأة رضا ورجال ونساء رضا
والملة والنحلة والديانة نظاير وملة رسول الله الامر الذى اوضحه
وامتل الرجل اذا اخذ فى ملة الاسلام اى قصد ما امل منه والاملال والاملاء
املال الكتاب ليكتب تتبع نصب بحتى قال سيبويه والخليل

ان

ان الناصب للفعل بعد حتى ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على
ان حتى لا تنصب بنفسها انها تجر الاسم فى نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا
يعرف فى العربية حرف يعمل فى اسم يعمل فى فعل ولا حرف جار يكون ناصبا
لفعل فصار مثل اللام فى قولك ما كان زيد ليضربك فى انها جارة و
الناصب ليضربك ان المضمرة ولا يجوز اظهارها مع هذا اللام ايضا هو
ضمير مرفوع بالابتداء او فصل والهدى خبر المبتداء او خبر ان وقوله
من العلم يتعلق بمحذوف فى موضع الحال وذو الحال الموصول المحذوف
الذى جاءك صفته وكذلك قوله من الله فى موضع الحال ومن ولى
فى موضع رفع بالابتداء ومن مزيدة وقوله ما لك من الله من ولى ولا
نصير فى موضع الجزاء للشرط ولكن الجزاء اذا تقدم فيه القسم لا يجزم
فلا يكون فى موضع جزم ولا بد ان يكون فيه احد الحروف الدالة على
القسم فحروف ما ههنا يدل على القسم فلهذا لم يجزم كانت اليهود
والنصارى يسألون النبى الهدنة ويرونه انه ان هادنهم وامهلهم
اتبعوه فايسه الله من موافقتهم فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم وقيل ان النبى صلى الله عليه واله كان مجتهدا
فى طلب ما يرضيهم ليدخلوا فى الاسلام فقيل له دع ما يرضيهم الى ما
امرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود
والنصارى على حال لانه تعالى علق رضاءهم بان يصير يهوديا
او نصرانيا واذا استحال ذلك استحال ارضاؤهم يعنى انه لا يرضى
كل فرقة منهم الا ان تتبع ملتهم اى دينهم وقيل قبلتهم قل ان هدى
هو الهدى اى قل لهم يا محمد ان دين الله الذى يرضاه هو الهدى اى الدين

الذى انت عليه عن ابن عباس وقيل معناه ان هدى الله هو الهدى
اى قل لهم يا محمد ان دين الله الذى يرضاه هو الهدى اى الدين الذى
هو القران هو الذى يهدى الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل
معناه ان دلالة هى الدلالة وهدى الله هو الحق يقال طريقة فلان هى
الطريقة وقوله ولئن اتبعت اهواءهم اى مراداتهم وقال ابن عباس
معناه ان صليت الى قبلتهم بعد الذى جاءك من العلم اى من البيان
من الله تعالى وقيل من الدين مالك يا محمد من الله من ولى يحفظك من
عقابه ولا نصير اى معين وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه
عنك وهذه الاية تدل على ان من علم الله تعالى منه انه لا يعصى يصح
وعيده لانه علم ان نبيه لا يتبع اهواءهم يجرى مجرى قوله لئن اشركت
ليحبطن عملك والمقصد منه التنبيه على ان حال امته فيه اغلظ من حاله
لان منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبى والمراد امته
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به
ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون اية الذين اتيناهم
رفع بالابتداء ويتلونه فى موضع خبره واولئك ابتداء ثان ويؤمنون
خبره وان شئت كان اولئك يؤمنون به فى موضع خبر المبتداء الذى
هو الذين ويتلونه فى موضع نصب على الحال وان شئت كان خبر
الابتداء يتلونه اولئك جميعا فيكون للابتداء خبران كما تقول هذا
حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر قيل نزلت فى اهل
السفينه الذين قدموا مع جعفر بن ابى طالب من الحبشة وكانوا اربعين
رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم

بحيرا

بحيرا عن ابن عباس وقيل هم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام
وشعبة ابن عمرو وتمام ابن يهودا واسد واسيد ابنى كعب وابن
يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه واله
عن قتاده وعكرمه فعلى القولين الاولين يكون المراد بالكتاب التورية
وعلى القول الاخير المراد به القران الذين اتيناهم اى اعطيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اختلف فى معناه على وجوه احدها انه
يتبعونه يعنى التورية حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يحلون حلاله و
يقفون عند حرامه ومنه قوله والقمر اذا تليها اى يتبعها وبه قال ابن مسعود
ومجاهد وقتاده الا ان المراد به القران عندهم وثانيها ان المراد به يصفونه
حق صفته فى كتبهم لمن يسألهم من الناس عن الكلبى وعلى هذا يكون الهاء
راجعة الى محمد صلى الله عليه واله وثالثها ما روى عن ابى عبد الله عليه
السلم ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسئل فى الاولى
ويستعيذ من الاخرى ورابعها ان المراد يقرؤنه حق قرائته يرتلون الفاظه
ويفهمون معانيه وخامسها ان المراد يعملون حق العمل به فيعملون
بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن
وقوله اولئك يؤمنون اى بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبى
صلى الله عليه واله عن الكلبى ومن يكفر به وهم اليهود وقيل هم جميع الكفار
وهو الاولى لعمومه فاولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واعمالهم
وقيل خسروا فى الدنيا الظفر والنصرة وفى الاخرة ما اعد الله للمؤمنين
من نعيم الجنة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم وانى فضلتكم على العالمين اية وهذه الاية قد تقدم مثلها

راس الايتين واربعين اية ومضى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها
ثلثة اقوال احدها ان نعم الله سبحانه لما كانت اصول كل نعمة كرر التذكير
بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا الى طاعة ربهم
المظاهر نعمه عليهم وثانيها هو انه لما باعد بين الكلامين حسن التنبيه
والتذكير والاعادة والتكرير ابلاغا في الحجة وتاكيدا للتذكرة وثالثها
انه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شان عيسى ومحمد في النبوة
والبشارة بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في
سورة الرحمن وكرر قوله فباي الاء ربكما تكذبان فكل تقريع جاء بعد
تقريع فانما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى والثالثة غير الثانية الى
السورة وكذلك الوعيد في سورة والمرسلات بقوله ويل يومئذ
للمكذبين انما هو بعد الدلالة على اعمال بعظم التكذيب بما تدعو اليه
الادلة وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ اية
ومثل هذه الاية ايضا قد تقدم ومر تفسيره وَإِذِ ابْتَلَى
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ اية
قرا ابن عامر ابراهام ههنا وفي مواضع من القران والباقون
ابرهيم وقرا حمزه وحفص عهدي بارسال الياء والباقون بفتحها
في ابرهيم خمس لغات ابرهيم وابراهام وابراهم بحذفت
الالف استخفافا قال الشاعر عذت بما عاذ به ابرهيم وابراهم
قال امية مع ابراهم التقي وموسى وابرهيم قال نحن آل الله في كعبته

لم يزل

لم يزل ذاك على عهد ابراهيم والوجه في هذه التغييرات ما تقدم ذكره
من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وتلعبت بحروفه
فتغيرها واما قوله عهدي فانما فتح هذه الياء اذا تحرك ما قبلها لان
اصل هذه الياء الحركة فانها بازاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف
كذلك تفتح الياء ومن اسكنها فانه يحتج بان الفتحة مع الياء قد كرهت
في الكلام كما كرهت الحركتان الاخريان فيها الا ترى انهم قد اسكنوها
في حال السعة اذا لزم تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا لزم تحريكها بالحركتين
الاخريين وذلك قولهم قالي قلا وبادي بدا ومعديكرب فالياء في هذه
المواضع في موضع الفتحة التي في اخر اول الاسمين نحو حضرموت وقد
اسكنت كما اسكنت في الجر والرفع الابتلاء الاختبار والتمام و
الكمال والوفاء نظاير وضد التمام النقصان يقال تم تماما واتمه وتممه
والتم الشيء التام ولكل حاملة تمام بفتح التاء وكسرها وبدر تمام وليل
تمام بالكسر والذرية والنسل والولد نظاير وبعض العرب يكسر منها
الذال فيقول ذرية وروي انه قراءة زيد بن ثابت وبعضهم فتحها
فقال ذرية في اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذرء ومن الذر والذرو
والذري فان جعلته من الذرء فوزنه فعيلة ذرئة كمريق ثم الزمت
التخفيف او البدل كنبي في اكثر اللغة والبرية وان اخذته من الذر
فوزنه فعلية كقمرية او فعولة نحو ذرورة فلما كثرت الراءات ابدلت
الاخيرة ياء وادغم الياء الاولى فيها نحو سرية فيمن اخذها من السر
وهو النكاح او فعوله نحو ذروه فابدلوا الياء الاخيره لما ذكرنا فصار
ذرويه ثم ادغم فصار ذريه مثل دي وان اخذته من الذرو والذري

فوزنه فعوله او فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جنى
فى المحتسب والنيل واللحاق والادراك نظاير والنيل والنوال ما نلته من
معروف انسان وانالة معروفة ونوّله اعطاه قال الطرفة ان تنوله
فقد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر وقولهم نولك ان تفعل كذا معناه
حقك ان تفعل   اللام فى قوله للناس يتعلق بمحذوف تقديره
اماما اسفر للناس فهو صفة لامام فلما قدمه انتصب على الحال و
يجوز ان يتعلق بجاعلك وقوله اماما مفعول ثان لجعل ومن ذريتى
يتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتى   واذكروا اذ ابتلى
ابرهيم ربه اى اختبر وهو مجاز وحقيقته انه امر ابرهيم ربه وكلفه
وسمى ذلك اختبارا لان ما يستعمل الامر منا فى مثل ذلك يجرى على
على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد على طريق
الاتساع وايضا فان الله سبحانه لما عامل عباده معامله المبتلى المختبر
اذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان ذلك
الفعل منهم كما لا يجازى المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمى امره ابتلاء
وحقيقة الابتلاء تشديد التكليف وقوله بكلمات فيه خلاف فروى
عن الصادق عليه السلم انه ما ابتلاه الله به فى نومه من ذبح ولده
اسمعيل ابى العرب فاتمها ابرهيم وعزم عليها وسلم لامر الله تعالى
فلما عزم قال الله تعالى ثوابا لما صدق وعمل بما اخبر الله انى جاعلك
للناس اماما ثم انزل الله عليه الحنيفة وهى الطهارة وهى عشرة اشيا
خمسة فى الراس وخمسة فى البدن فاما التى فى الراس فاخذ الشارب
واعفاء اللحى وطم الشعر والسواك والخلال واما التى فى البدن فحلق
الشعر

الشعر من البدن والختان وتقليم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور
بالماء فهذه الحنيفية الظاهرة التى جاء بها ابرهيم فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم
القيمة وهو قوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا ذكره على بن ابرهيم بن هاشم
فى تفسيره وقال قتادة وهو احدى الروايتين عن ابن عباس انها عشر خصال
كانت فرضا فى شرعه سنة فى شريعتنا المضمضة والاستنشاق وفرق
الراس وقص الشارب والسواك فى الراس والختان وحلق العانة ونتف
الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء فى البدن وفى الرواية الاخرى
عن ابن عباس انه ابتلاه بثلثين خصلة من شرايع الاسلام لم يبتل
احدا بها فاقامها كلها ابرهيم عليه السلم اتمهن فكتب له البراءة فقال
وابراهيم الذى وفى وهى عشرة فى سورة براءة التائبون العابدون
الى اخرها وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها وعشرة
فى سورة المومنين قد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون
وروى وعشرة فى سورة سأل سائل الى قوله والذين على صلوتهم
يحافظون فجعلها اربعين وفى رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره
بمناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان
وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة وكلهن وفى الله منهن وقال المجاهد ابتلاه
الله بالايات التى بعدها وهى قوله انى جاعلك للناس اماما الى العصة
وقال ابو على الجبائى اراد بذلك كلما كلفه من الطاعات العقلية
والشرعية والاية محتملة لجميع هذه الاقاويل التى ذكرناها وكان
سعيد بن المسيب يقول كان ابرهيم عليه السلم اول الناس اختتن
واول الناس قص الشارب واستحد واول الناس راى الشيب فلما

راه قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب فزدني وقاراً و
هذا ايضاً قد رواه السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم ولم يذكره اول
من قص شاربه واستحد وزاد فيه واول من قاتل في سبيل الله
ابرهيم واول من اخرج الخمس ابرهيم واول من اتخذ النعلين ابرهيم
واول من اتخذ الرايات ابرهيم وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه
رحمه الله تعالى في كتاب النبوة باسناده مرفوعا الى المفضل بن عمر
عن الصادق عليه السلم قال سألته عن قول الله عز وجل واذ ابتلى
ابرهيم ربه بكلمات ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها
آدم عليه السلم من ربه فتاب عليه وهو انه قال يا رب اسئلك
بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله
عليه وهو انه التواب الرحيم فقلت له يا بن رسول الله فما يعني بقوله
فاتمهن قال اتمهن الى القائم اثنى عشر اماما تسعة من ولد الحسين
عليه السلم قال المفضل فقلت له يا بن رسول الله فاخبرني عن قول الله
عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها
الله في عقب الحسين عليه السلم الى يوم القيمة فقلت يا بن رسول الله
فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعاً
ولدا رسول الله وسبطاه وسيدا شباب الجنة اهل فقال ان
موسى وهرون نبيان مرسلان اخوان فجعل الله النبوة في صلب
هرون دون صلب موسى ولم يكن لاحد ان يقول لم فعل الله ذلك
وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لاحد ان يقول لم جعلها الله
في صلب الحسين دون صلب الحسن لان الله عز وجل حكيم في افعاله

لايسال

لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقال الشيخ ابو جعفر ابن بابويه قدس الله
سره ولقوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وجه اخر فان الابتلاء
على ضربين احدهما مستحيل على الله عز وجل والاخر جائز فالمستحيل هو
ان يختبره ليعلم ما تكشف الايام عنه وهذا ما لا يصح لانه سبحانه
علام الغيوب والاخر ان يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما
يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق ولينظر اليه الناظر فيقتدي
به فيعلم من حكمة الله عز وجل انه لم تكن اسباب الامامة الا الى الكافي
المستقل بها الذي كشفت الايام عنه فاما الكلمات سوى ما ذكرناه
منها اليقين وذلك قوله عز وجل وليكون من الموقنين ومنها المعرفة
بالتوحيد والتنزيه عن التشبيه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس و
منها الشجاعة بدلالة قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ومقاومته و
هو واحد الوفا من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز
وجل ان ابرهيم لحليم اواه منيب ومنها السخا ويدل عليه قوله هل
اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين ثم العزلة عن العشيرة وقد
تضمنه قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم الامر بالمعروف و
النهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر الايات ثم دفع السيئة بالحسنة في جواب ابيه من قوله لئن لم
تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك ساستغفر لك ربي
انه كان بي حفيا ثم التوكل وبيان ذلك في قوله الذي خلقني فهو يهدين
الايات ثم المحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار
ثم المحنة في الولد حين امر بذبح ابنه اسمعيل ثم المحنة في الاهل حين خلص

الله حرمته من عبادة القبطى فى الخبر المشهود ثم الصبر على سوء الخلق وسالة
ثم استقصاده النفس فى الطاعة بقوله ولا تخزنى يوم يبعثون ثم الوفقة
فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية ثم الجمع لشروط الطاعات
فى قوله ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى الى قوله وانا اول المسلمين
ثم استجابة الله دعوته حين قال رب ارنى كيف تحيى الموتى الاية ثم
اصطفاء الله سبحانه اياه فى الدنيا ثم شهادته له فى العاقبة انه من الصالحين
فى قوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين ثم اقتداء
من بعده من الانبياء فى قوله ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى
ان الله اصطفى لكم الدين الاية وفى قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ ابى جعفر رحمه الله وقوله فاتمهن معناه
وفى بهن فى قول الحسن وعمل بهن على التمام فى قول قتادة والضمير فى
اتمهن عايد الى الله تعالى فى قول ابى القاسم البلخى وهو اختيار الحسين
بن على المغربى قال البلخى والكلمات هى الامامة على ما قال مجاهد قال
لان الكلام متصل ولم يفصل بين قوله انى جاعلك للناس اماما وبين
ما تقدمه بواو العطف واتمهن الله بان اوجب بها الامامة له
بطاعته واضطلاعه بما ابتلاه به وقوله قال انى جاعلك للناس اماما
معناه قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما يقتدى بك فى افعالك
واقوالك لان المستفاد من لفظ الامام امران احدهما انه المقتدى به
فى افعاله واقواله والثانى انه الذى يقوم بتدبير الامة وسياستها
والقيام بامورها وتاديب جناتها وتولية ولاتها واقامة الحدود
على مستحقها ومحاربة من يكيدها ويعاديها فعلى الوجه الاول

لايكون

لا يكون نبى من الانبياء الا وهو امام وعلى الوجه الثانى لا يجب
فى كل نبى ان يكون اماما اذ يجوز ان لا يكون مامورا بتاديب الجناة
ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما
ابتلى الله سبحانه ابرهيم بالكلمات فاتمهن جعله اماما للانام جزاء
له على ذلك والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل فى قوله اماما واسم الفاعل
اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عمل الفعل ولو قلت انا ضارب زيدا امس
لم يجز فوجب ان يكون المراد انه جعله اماما اما للحال او الاستقبال
والنبوة كانت حاصلة له قبل ذلك وقوله قال ومن ذريتى اى واجعل
من ذريتى من يوشح بالامامة ويوشح لهذه الكرامة وقيل انما قال
ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون فى عقبه ائمة يقتدى بهم و
الاولى ان يكون ذلك على وجه السؤال من الله تعالى ان يجعلهم
كذلك وقوله قال لا ينال عهدى الظالمين قال مجاهد العهد الامامة
وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع اى لا يكون الظالم اماما
فهذا يدل على انه يجوز ان يعطى ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالما
لانه لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماما لوجب ان يقول فى الجواب
لا او لا ينال عهدى ذريتك قال الحسن معناه ان الظالمين ليس لهم
عند الله عهد يعطيهم به خيرا وان كانوا قد يعاهدون فى الدنيا فيوفى
لهم وقد كان يجوز فى العربية ان يقال لا ينال عهدى الظالمون لان ما
نالك فقد نلته وقد روى ذلك فى قراءة ابن مسعود واستدل اصحابنا
بهذه الاية على ان الامام لا يكون الا معصوما عن القبائح لان الله
سبحانه نفى ان يناله ظالم فى حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالما فيصح

الظالم

ان ينا له فالجواب ان الظالمين وان تاب فلا يخرج من ان تكون الاية
قد تناولته في حال كونه ظالما فاذا نفى ان ينا له فقد حكم عليه بانه
لا ينالها والاية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان تكون
محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ آية

قرا نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الخاء والباقون واتخذوا مكسورة
الخاء من قرا بكسر الخاء فانه على الامر والالزام ويكون عطفا على
قوله يا بني اسرايل اذكروا ويجوز ان يكون عطفا على قوله واذ جعلنا
البيت مثابة للناس من طريق المعنى لان معناه توبوا واتخذوا ومن
قراه بالفتح عطفه على ما تقدمه من الفعل الذي اضيف اليه اذ فكانه
قال واذ اتخذوا البيت والماوى والمنزل نظاير والبيت من ابيات
الشعر سمي بذلك لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس
اهله والبيت من بيوتات العرب وهي احياوها وامراة الرجل بيته
قال الراجز ما لي اذا اجذبها صايت اكبر قد عالني ام بيت المثابة
ههنا الموضع الذي يثاب اليه من ثاب يثوب مثابة ومثابا
وثووبا اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم مثاب لافناء
القبايل كلها تخب اليها اليعملات الطلايح ومنه ثاب اليه عقله
اي رجع بعد عزوبه واصل مثابة مثوبة نقلت حركة الواو الى الثا
ثم قلبت الفا على ما قبلها وقيل ان التا فيه للمبالغة كما قيل

مثابة

نسابه وقيل ان معناهما واحد كمقامة ومقام قال زهير وفيهم مقامات
حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل وجمع المقام مقاوم
قال واني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها والطايف
والحايل والداير نظاير يقال طاف يطوف طوفا اذا دار حول الشي
واطاف به اطافة اذا الم به وطاف به اطافة احاط به والطايف
العاس والطوافون المماليك والطايف طايف الجن والشياطين
وهو كل شي يغشى القلب من وسواسه وهو طيف ايضا والعاكف
المقيم على الشي اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكوفا قال النابغة
عكوف على ابياتهم يثمدونه رمى الله في تلك الاكف الكوانع العاكف
المعتكف في المسجد وقلما يقولون اعتكف وانما يقولون اعتكف
والركع جمع الراكع والسجود جمع الساجد وكل فعل مصدره على فعول جاز
في جمع الفاعل منه ان يكون على فعول كالقعود والركوع والسجود ونحوها
قوله تعالى واذ جعلنا عطف على قوله واذ ابتلى وذلك
معطوف على قوله يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي والبيت الذي جعله
الله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروى انه انما سمي البيت
الحرام لانه حرم على المشركين ان يدخلوه وسمي الكعبة لانها مربعة
وصارت مربعة لانها بحذاء البيت المعمور وهو مربع وصار البيت
المعمور مربعا لانه بحذاء العرش وهو مربع وصار العرش مربعا لان
الكلمات التي بني عليها الاسلام اربع وهي سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقوله مثابة للناس ذكر فيه وجوه فقيل
ان الناس يثوبون اليه كل عام اي ليس هو مرة في الزمان فقط

على الناس عن الحسن وقيل معناه انه لا ينصرف منه احد وهو يرى
انه قد قضى منه وطرا فهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد في
الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره ومن
خرج من مكة وهو لا ينوي العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه
يحجون اليه فيثابون عليه وقيل مثابة معاذا وملجأ وقيل مجمعا و
المعنى في الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله وامنا
اراد مأمنا اي موضع امن وانما جعله الله تعالى امنا بان حكم ان
من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه وبما جعله
في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من كان فيه
فهو امن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله
ولعظيم حرمته لا يقام في الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ اليه
والى الحرم لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشرى حتى
يخرج منه فيقام الحد عليه فان احدث فيه ما يوجب الحد اقيم
الحد عليه فيه لانه هتك حرمة الحرم فهو امن من هذه الوجوه وكان
قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء
كانوا قد توارثوه من دين اسمعيل فبقوا عليه الى ايام نبينا صلى الله
عليه واله وقوله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس
الحج كله مقام ابرهيم وقال عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار
وقال مجاهد الحرم كله مقام ابرهيم وقال الحسن وقتادة والسدي
هو الصلوة عند مقام ابرهيم امرنا بالصلوة عنده بعد الطواف
وهو المروي عن الصادق عليه السلم وقد سئل عن الرجل يطوف

بالبيت

بالبيت طواف الفريضة ونسي ان يصلي ركعتين عند مقام ابرهيم
فقال يصليهما ولو بعد ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى وهذا هو الظاهر لان مقام ابرهيم اذا اطلق لا يفهم منه
الا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة ظاهرة
على نبوة ابرهيم فان الله سبحانه جعل الحجر تحت قدمه كالطين حتى
دخلت قدمه فيه فكان في ذلك معجزة وروي عن ابي جعفر الباقر ع
انه قال نزلت ثلثة احجار من الجنة مقام ابرهيم وحجر بني اسرائيل
والحجر الاسود استودعه الله ابرهيم عليه السلم حجرا ابيضا وكان
اشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بني ادم
ابن عباس قال لما اتى ابرهيم باسمعيل وهاجر فوضعهما بمكة واتت
على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل امراة منهم وماتت
هاجر فاستاذن ابرهيم سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له وشرطت
عليه ان لا ينزل فقدم ابرهيم ع وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت
اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب
يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع فقال لها
ابرهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وما عندي احد
فقال لها ابرهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير
عتبة بابه وذهب ابرهيم ع فجاء اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال
لامراته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كا لمستخفة
بشانه قال فما قال لك قالت قال لي اقرا زوجك السلام
وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابرهيم ع

ما شاء الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له
واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابرهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال
لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجي الآن ان شاء الله
فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن
واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز او بر او شعير او تمر
لكان اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى
اغسل راسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن
فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم
حولت المقام الى شقه الايسر نعم فقال لها اذا جاء زوجك فاقرأيه
السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل ع
وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن
الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت
راسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها اسمعيل ذاك ابراهيم ع
وقد روى هذه القصة بعينها علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير
عن ابان عن الصادق وان اختلف بعض الالفاظ وقال في اخرها
اذا جاء زوجك فقولي له قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة
بابك خيرا قال فاكب اسمعيل على المقام فقال لها يبكي ويقبله
وفي رواية اخرى عنه ان ابرهيم استاذن سارة ان يزور اسمعيل
فاذنت له على ان لا يلبث عنها وان لا ينزل من حماره فقيل فكيف
كان ذلك فقال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن
رسول الله قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله

نورها

نورهما ولولا ان نورهما طمس لاضاء ما بين المشرق والمغرب وقوله مصلى
فيه اقوال قيل مدعى من صليت اي دعوت عن مجاهد وقيل قبلة عن
الحسن وقيل موضع صلوة فامر ان يصلي عنده عن قتادة والسدي و
هذا هو المروي عن ائمتنا ع واستدل اصحابنا به على ان صلوة الطواف
فريضة مثل الطواف بلا اختلاف وقوله عهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي امرنا هما
والزمناهما ان طهرا بيتي اي قلنا لهما ان طهرا بيتي لان هذه هي المفسرة
التي تكون عبارة عن القول اذا صاحبت من الالفاظ ما يتضمن معنى
القول كقوله سبحانه عهدنا هنا وذكر في التطهير هنا وجوه احدها ان
المراد طهارة بيتنا بجعاله على الطهارة كما قال سبحانه عهدنا هنا افمن اسس
بنيانه بجعاله على تقوى من الله ورضوان خير من اسس بنيانه على
شفا جرف هار وانما اضاف البيت الى نفسه تفضيلا له على ساير
البقاع وتمييزا وتخصيصا وقوله للطائفين والعاكفين اكثر المفسرين
على ان الطائفين هم الدائرون حول البيت والعاكفين هم المجاورون
للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطائفين هم الطارئون على مكة
من الافاق والعاكفون هم المقيمون فيها وقال ابن عباس العاكفون
هم المصلون والاول اصح لانه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله والركع
السجود قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة و
قيل هم جميع المسلمين لان من شان المسلمين الركوع والسجود وعن الحسن
وقال عطا اذا طاف به فهو من الطائفين واذا جلس فهو من العاكفين
واذا صلى فهو من الركع السجود وقال رسول الله صلى الله عليه واله ان
الله عز وجل في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت

ستون منها للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

قراء ابن عامر فامتعه بسكون الميم خفيفة من امتعت والباقون بالتشديد وفتح الميم من متعت وروى في الشواذ عن ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار على الدعاء من ابرهيم عليه السلم وعن ابن محيصن ثم اضطره بادغام الضاد في الطاء قراء ابو علي التشديد في امتعه اولى لان التنزيل عليه قال سبحانه يمتعكم متاعا حسنا ولكن متعناه متاع الحيوة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان امتع لغة قال الراعي خليلين من شعبين شتى تجاورا قديما وكانا بالتفرق امتعا قال ابو زيد امتعا اراد تمتعا فاما قراءة ابن عباس فامتعه فيحتمل امرين عن ابن جني احدهما ان يكون الضمير في قال لابرهيم اي قال ابرهيم ايضا ومن كفر فامتعه يا رب وحسن اعادة قال لطول الكلام ولانه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على اخرين والاخر ان يكون الضمير في قال الله تعالى اي فامتعه يا خالق او يا اله يخاطب بذلك نفسه عز وجل فجرى ذلك على ما تعتاده العرب من امر الانسان لنفسه كقول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل البلد والمصر والمدينة نظائر واصله من قولهم بلد للاثر في الجلد وغيره وجمعه ابلاد ومن ذلك سميت البلاد لانها مواضع مواطن الناس وتاثيرهم ومن ذلك قولهم لكركرة البعير بلدة لانها اذا بركت تاثرت والاضطرار

هو الفعل

هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى لونه وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصير الحال الذي يودي اليها اولها وصار وحال وال نظاير وصير كل امر مصيره وصير الباب شقه وفي الحديث من نظر في صير باب فقد دمر وصيور الامر اخره قوله من امن محله نصب لانه بدل من اهله وهو بدل البعض من الكل كما تقول اخذت المال ثلثيه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله من كفر يجوز ان يكون موصولا وصلة في موضع الرفع على الابتدا ويجوز ان يكون من اسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه وفامتعه الفاء وما بعده جزاء ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في موضع خبر المبتدا وعلى القول الاول فالفاء وما بعده خبر المبتدا وبئس المصير فعل وفاعل في موضع الرفع لانه خبر المبتداء المحذوف تقديره وبئس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا على احد وجهين احدهما ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئا فيقول رويدا اي علاجا رويدا وانما وصفه بالقلة مع ان التمتع يدل على التكثير من حيث كان الى نفاد ونقص وتناه كقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل والثاني ان يكون وصفا للزمان اي زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين وتقديره بعد زمان قليل كما يقول عرق عن الحمى واطعمه عن الجوع اي بعد الحمى وبعد الجوع واذكر اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد يعني

مكة بلدا امنا اى ذا امن كما يقال بلد اهل اى ذو اهل وقيل معناه يامنون
فيه كما يقال ليل نائم اى ينام فيه قال ابن عباس يريد حراما محرما لا يصاد
طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه والى هذا المعنى يؤل ما روى عن الصادق
عليه السلم من قوله من دخل الحرام مستجيرا به فهو امن من سخط الله عز وجل
ومن دخله من الوحش والطير كان امنا من ان يهاج او يؤذى حتى
يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ان الله
تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة
لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من النهار
فهذا الخبر وامثاله المشهورة فى روايات اصحابنا يدل على ان الحرم
كان امنا قبل دعوة وانما تاكدت حرمته بدعائه عليه السلم وقيل
انما صار حرما بدعائه عليه السلم وقبل ذلك كان كساير البلاد واستدل
عليه بقول النبى صلى الله عليه واله ان ابرهيم عليه السلام حرم مكة وانى
حرمت المدينة وقيل كانت مكة حراما قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذى
صارت به حراما بعد الدعوة فالاول بمنع الله اياها من الاصطلام
والايتفاك كما لحق ذلك غيرها من البلاد وبما جعل فى النفوس من
تعظيمها والهيبة لها والثانى بالامر بتعظيمه على السنة الرسل
فاجابه الله تعالى الى ما سال وانما سال ان يجعلها امنة من الجدب
والقحط لانه اسكن اهله بواد غير ذى زرع ولا ضرع ولم يسئله امنها
من الايتفاك والخسف الذى كان حاصلا لها وقيل انه عليه السلم
سئله الامرين على ان يديمهما وان كان احدهما مستانفا والاخر
قد كان قبل وقوله وارزق اهله من الثمرات اى اعط من انواع

الرزق

الرزق والثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر سال لهم الثمرات
ليجتمع لهم الامن والخصب فيكونوا فى رغد من العيش وروى عن
ابى جعفر عليه السلم ان المراد بذلك تحمل اليهم من الافاق وروى
عن الصادق عليه السلم قال هو ثمرات القلوب اى حببهم الى الناس
ليثوبوا اليهم وانما خص بذلك من امن بالله لان الله تعالى كان
قد اعلمه ان يكون فى ذريته الظالمون فى جواب مسئلة اياه لذريته
(مسئلته)
الظالمون الامامة بقوله لا ينال عهدى الظالمين فخص بالدعا فى الرزق
المؤمنين تادبا بادب الله تعالى وقيل انه تعالى اظن انه اذا دعا
للكفار بالرزق انهم يكثرون بمكة ويفسدون فربما يصدون
الناس عن الحج فخص بالدعاء اهل الايمان وقوله قال ومن كفر فامتعه
قليلا اى قال الله تعالى قد استجبت دعوتك فيمن امن منهم ومن
كفر فامتعه بالرزق الذى ارزقه الى وقت مماته وقيل فامتعه بالبقا
فى الدنيا وقيل امتعه بالامن والرزق الى خروج محمد صلى الله عليه واله
فيقتله ان قام على كفره او يجليه عن مكة عن الحسن ثم اضطره الى
حركة عذاب النار واسوقه اليها فى الاخرة وبئس المصير اى المرجع والماوى
والمال وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيلُ
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اية الرفع
والاعلاء والاصعاد نظاير ونقيض الرفع الوضع ونقيض الاصعاد
الانزال يقال رفع يرفع رفعا وارتفع الشى نفسه والمرفوع من عدو
الفرس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع
نقيض الخفض فى كل شى والرفعة نقيض الذلة والقواعد والاساس

والاركان نظاير وواحد القواعد قاعدة واصله فى اللغة الثبوت و
الاستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهى اصله وقاعدة البناء اساسه
الذى يبنا عليه وامرأة قاعدة اذا اتت عليها سنون لم تتزوج واذا لم تحمل
المرأة والنخله قيل قعدت فهى قاعدة وجمعها قواعد وتاويلها انها قد
ثبتت على ترك الحمل واذا قعدت عن الحيض فهى قاعد لا يخبرها لانه لا عمل
لها فى قعودها عن الحيض وقعدت المرأة اذا اتت با ولاد لئام فهى قاعدة
وقيل فى ان واحدة النساء القواعد قاعد قولان احدهما انها من الصفات
المختصة بالمؤنث نحو الطالق والحايض فلم يحتج الى علامة التانيث و الاخر
وهو الصحيح ان ذلك على معنى النسبة اى ذات قعود كما يقال نامل ودارع
اى ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تثبيت الفعل قوله من البيت
الجار والمجرور يتعلق برفع او بمحذوف فيكون فى محل النصب على الحال
وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول
محذوف كانه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لان من تمام
الحال لان يقولان فى موضع الحال ثم بين سبحانه كيف بنى
ابرهيم البيت فقال واذ يرفع وتقديره واذكر اذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت اى اصول البيت التى كانت قبل ذلك عن ابن عباس و
عطا قالا قد كان آدم عليه السلم بناه ثم عفا اثره فجدده ابرهيم عليه السلم
وهذا هو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وقال مجاهد بل انشاه ابرهيم ع
بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج الله البيت ابرهيم وفى
روايات اصحابنا ان اول من حج البيت آدم عليه السلم وذلك يدل
على انه كان قبل ابرهيم ع وروى عن الباقر عليه السلم انه قال ان الله
تعالى

تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين وسماه الضراح وهو البيت المعمور
وقال للملئكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا فى الارض بيتا
بمثاله وقدره وامر من فى الارض ان يطوفوا بالبيت وفى كتاب
العياشى باسناده عن الصادق عليه السلم قال ان الله تعالى انزل الحجر الاسود
من الجنة لادم وكانت البيت درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء
وبقى اساسه فهو حيال هذا البيت على القواعد وعن امير المؤمنين
عليه السلم ان اول شئ نزل من السماء الى الارض لهو البيت الذى
بمكة انزله الله ياقوتة حمراء ففسق قوم نوح فى الارض فرفعه وقوله
اسمعيل اى يرفع ابرهيم واسمعيل اساس الكعبة يقولان ربنا تقبل
منا وفى حرف عبد الله ابن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله
قوله سبحانه والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
اى يقولون سلام عليكم والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
اى يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا يرده الى ابرهيم عليه السلم
قال لان ابرهيم وحده رفع القواعد من البيت وكان اسمعيل صغيرا
فى وقت رفعها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابرهيم
واسمعيل كانا يبنيان الكعبة وقيل كان ابرهيم يبنى واسمعيل يناوله
الحجر فوصفا بانهما رفعا البيت عن ابن عباس وفى قوله ربنا تقبل منا
دليل على انهما بنيا ان على عمله وهو اشبه بقبول الهدية فان الملك
الكعبة مسجدا لا مسكنا لانهما التمسا الثواب عليه والثواب انما
يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبنا على عمله وهو اشبه بقبول
الهدية فان الملك اذا قبل الهدية من انسان اثابه على ذلك وقوله

انك انت السميع العليم اى انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا
وروى عن الباقر عليه السلم ان اسمعيل اول من شق لسانه بالعربية
وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسمعيل هابى ابن اى اعطنى
حجرا فيقول له يا ابه هاك حجرا فابرهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة
وفى هذه الآية دلالة على ان الدعاء عند الفراغ من العبادة مرغب فيه
مندوب اليه كما فعل ابرهيم واسمعيل ع مهاجرة اسمعيل و
هاجر روى على بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام
عن الصادق عليه السلم قال ان ابرهيم كان نازلا فى بادية الشام فلما
ولد له من هاجر اسمعيل اغتمت ساره من ذلك غما شديدا لانه لم يكن
له منها ولد فكانت تؤذى ابرهيم فى هاجر وتغمه فشكا ذلك ابرهيم
الى الله عز وجل فاوحى الله اليه انما مثل المراة مثل الضلع المعوج ان تركته
استمتعت به وان رمت ان تقيمه كسرته وقد قال القايل فى ذلك
هى الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها ثم امره
ان يخرج اسمعيل وامه عنها فقال اى رب الى اى مكان قال الى حرمى
وامنى واول بقعة خلقتها من ارضى وهى مكة وانزلت عليه جبرئيل
بالبراق فحمل هاجر واسمعيل وابرهيم فكان ابرهيم لا يمر بموضع حسن فيه
شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرئيل الى ههنا فيقول جبرئيل لا امض
حتى وافى مكة فوضعه فى موضع البيت وقد كان ابرهيم عاهد ساره
ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما نزلوا فى ذلك المكان كان فيه شجر
فالقيت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته
فلما سرحهم ابرهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى ساره قالت

له

له هاجر لم تدعنا فى هذا الموضع الذى ليس فيه انيس ولا ماء ولا
زرع فقال ابرهيم عليه السلم ربى الذى امرنى ان اضعكم فى هذا
المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدا وهو جبل بذى طوى التفت اليهم
ابرهيم ع فقال ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى
قوله لعلهم يشكرون ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار
عطش اسمعيل فقامت هاجر فى الوادى حتى صارت فى موضع السعى السعى
فنادت هل فى الوادى من انيس فغاب عنها اسمعيل فصعدت
على الصفا ولمع لها السراب فى الوادى وظنت انه ماء فنزلت فى بطن
الوادى وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها اسمعيل ثم لمع لها السراب
فى ناحية الصفا وهبطت الى الوادى تطلب الماء فلما غاب عنها
اسمعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسمعيل حتى فعل ذلك
سبع مرات فلما كان فى الشوط السابع وهى على المروه نظرت الى
اسمعيل وقد ظهر الماء من تحته اى من تحت رجليه فعدت حتى جمعت
حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت
زمزم وكانت جرهم نازلة بذى المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة
عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تعكف الطير على
ذلك المكان فاتبعوها حتى نظرت الى امراة وصبى نزول فى ذلك
الموضع وقد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لها جرهم من انت
وما شانك وشان هذا الصبى قالت انا ام ولد ابرهيم خليل
الرحمن وهذا ابنه امره الله ان ينزلنا ههنا فقالوا لها اتاذنين
ان نكون بالقرب منكم فقالت حتى اسال ابرهيم قال فزارها ابرهيم

يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله ان ههنا قوما من جرهم
يسألونك ان تأذن لهم حتى تكونوا بالقرب منا افتأذن لهم في
ذلك فقال ابرهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم
وضربوا خيامهم وانست هاجر واسمعيل بهم فلما زارهم ابرهيم في
المرة الثانية ونظر الى كثرة الناس حولهم سر بذلك سرورا
شديدا فلما تحرك اسمعيل وكانت جرهم قد وهبوا لاسمعيل كل واحد
منهم شاة وشاتين فكانت هاجر واسمعيل يعيشان بها فلما
بلغ مبلغ الرجال امر الله تعالى ابرهيم ان يبني البيت فقال يا رب
في اي بقعة فقال في البقعة التي انزلت على ادم القبة فاضاءت
الحرم قال ولم تزل القبة التي انزلها الله على ادم قائمة حتى كان ايام
الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت
الدنيا ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لانه اعتق من الغرق فلما
امر الله تعالى عز وجل ابرهيم ان يبني البيت لم يدر في اي مكان
يبنيه فبعث الله جبريل عم فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد
من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على ادم اشد بياضا من الثلج فلما
مسته ايدي الكفار اسود قال فبنى ابرهيم البيت ونقل اسمعيل عم
الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر
فاستخرجه ابرهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له با
بين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذي الى المغرب يسمى
المستجار ثم القى عليه الشجر والاذخر وعلقت هاجر على بابه كساء
كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ ابرهيم واسمعيل عم

ونزل

ونزل عليهما جبريل يوم التروية لثمان خلت من ذي الحجة فقال قم يا ابرهيم
فارتو من الماء لانه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك
ثم اخرجه الى منى فبات بها ففعل به ما فعل بادم فقال ابرهيم عم لما
فرغ من بناء البيت رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات
الاية ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت
التواب الرحيم اية ارنا قرا ابن كثير باسكان الراء كل القران
ووافقه ابن عامر وابو بكر عن عاصم في السجدة ربنا ارنا اللذين و
قرا ابو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع كل القران والباقون
بالكسر الاختيار كسرة الراء لانها كسرة الهمزة قد حولت الى الراء لان
اصله ارءنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة ولان في
اسكان الراء بعد سقوط الهمزة اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة
على الهمزة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد و
فخذ ونحو قول الشاعر ولو عصر منه البان والمسك انعصر قالت
سليمى اشتر لنا سويقا واشتر وعجل خادما لبيقا واما الاختلاس
فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة الاسلام
هو الانقياد لامر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما اوجب الله
وهو والايمان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال
بينهما فرق ويبطله قوله سبحانه ان الدين عند الله الاسلام
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والمناسك ههنا
المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في اللغة العبادة

ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك اى دم يهريقه والنسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذى يذبح فيه النسائك والمنسك ايض هو النسك نفسه قال سبحانه ولكل امة جعلنا منسكا وقال ابن دريد النسك اصله الذبائح كانت تذبح فى الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها فى المحرم فى الاسلام ثم نسخ ذلك بالاضاحى قال الاعشى وذا النسك النصب المنصوب لاتنسكنه ولاتعبد الشيطان والله فاعبدا قال ابو على الفسوى المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه اللام فى لك تتعلق بمسلمين ومن ذريتنا من فيه تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا فالجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لاجعل وارنا يحتمل وجهين احدهما ان يكون منقولا من رايت الذى هو بمعنى ادراك البصر نقلت بالهمزة فتعدت الى مفعولين والتقدير حذف المضاف كانه قال ارنا مواضع مناسكنا اى عرفناها لنقضى نسكنا فيها وذلك نحو مواقيت الاحرام والموقف بعرفات وموضع الطواف فهذا من رايت الموضع واريته اياه والاخر ان يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى راى الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا و مثله قول الشاعر اريني جوادا مات هزلا لعلنى ارى ما ترين او بخيلا مخلدا اراد دلينى ولم يرد رؤية العين ثم ذكر تمام دعائهما عليه السلم فقال سبحانه ربنا واجعلنا مسلمين لك اى قالا ربنا واجعلنا مسلمين فى مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين

فيما

فيما مضى من عمرنا بان توفقنا وتفعل بنا الالطاف التى تدعونا الى الثبات على الاسلام ويجرى ذلك مجرى ان يودب احدنا ولده ويعرضه لذلك حتى صار اديبا فيجوز ان يقول جعل ولده اديبا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا وقيل ان معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لانعبد الا اياك ولاندعو باسواك وقيل قائمين بجميع شرايع الاسلام مطيعين لك لان الاسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل من ذريتنا اى من الاولاد ومن للتبعيض وانما خصا بعضهم لانه تعالى اعلم ابرهيم ان فى ذريته من لاينال عهده لما يرتكبه من الظلم وقال السدى اراد بذلك العرب والصحيح الاول امة مسلمة لك اى جماعة موحدة منقادة لك يعنى امة محمد صلى الله عليه وآله بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم وروى عن الصادق ان المراد بالامة بنوهاشم خاصة وقوله ارنا مناسكنا اى عرفنا هذه المواضع التى تتعلق النسك بها لنفعله عندها و نقضى عباداتنا فيها على حد ما تقتضيه توفيقنا عليها قال قتادة فاراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات ومن جمع ورمى الجمار حتى اكمل بها الدين وقال عطا ومجاهد معنى مناسكنا مذابحنا والاول اقوى وتب علينا فيه وجوه احدها انهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله سبحانه ليقتدى بهما الناس وثانيها انهما سالا التوبة على ظلمة ذريتهما وثالثها ان معناه ارجع الينا بالمغفرة والرحمة وليس فيه

دلالة على جواز الصغيرة عليهم او ارتكاب القبيح منهم لان الدلالة
القاهرة قد دلت على ان الانبياء معصومون منزهون عن الكباير
والصغاير وليس هذا موضع بسط الكلام في ذلك انك انت التواب
اى القابل للتوبة من عظايم الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة
بعد اخرى الرحيم بعباده المنعم عليهم بالنعم العظام وتكفير السيات
والاثام وفي هذه الاية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعى انه
يكون لامح لانهما كانا عالمين بانهما لا يفارقان الذنوب والاثام
ولا يفارقان الدين والاسلام ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم اية العزيز
المدبر الذى لا يغالب وقيل هو القادر الذى لم يمتنع عليه شىء اراد
فعله ونقيض العز الذل وعز يعز عزة وعزا اذا صار عزيزا وعز يعز
عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بز اى من غلب سلب واعتز الشىء اذا
صلب وهو من العزاز من الارض وهو الطين الصلب الذى لا
يبلغ ان يكون حجارا وعز الشىء اذا قل حتى لا يكاد يوجد اعتز فلان
بفلان اذا تشرف به والحكيم معناه المدبر الذى يحكم الصنع ويحسن
التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل ويكون بمعنى العليم فيكون
من صفات الذات ابعث جملة فعلية معطوفة على تب
فيهم يتعلق بابعث ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره رسولا كاينا
فيهم فيكون في موضع نصب على الحال ويتلوا منصوب الموضع بكونه
صفة قوله رسولا اى تاليا وعليهم يتعلق بيتلوا الضمير في

قوله

قوله فيهم يرجع الى الامة المسلمة التى سال الله ابرهيم ع ان يجعلهم من
ذريته والمعنى بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم هو نبينا محمد صلى
الله عليه وآله لما روى عنه انه قال انا دعوة ابى ابرهيم وبشارة عيسى يعنى
قوله ومبشرا برسول ياتى من بعد اسمه احمد وهو قول الحسن وقتادة
وجماعة من العلماء ويدل على ذلك انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون
بمكة وما حولها على ما تضمنته الاية في قوله ربنا وابعث فيهم اى في هذه
الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله
عليه وآله وقوله يتلوا عليهم اياتك اى يقرا عليهم اياتك التى يوحى
بها اليه ويعلمهم الكتاب والحكمة اى القرآن وهذا ليس من التكرار
لانه خص الاول بالتلاوة ليعلموا بذلك انه معجز دال على صدقه ونبوته
وخص الثانى بالتعليم ليعرفوا ما تضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل
عليه من احكام شريعته وقوله والحكمة قيل هى ههنا السنة عن قتادة
وقيل المعرفة بالدين والفقه في التاويل عن مالك بن انس وقيل العلم
بالاحكام لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل انه صفة
للكتاب كانه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه ايات وقيل الحكمة
شىء يجعلها الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدركه المبصر وقيل
هى مواعظ القرآن وحرامه وحلاله عن مقاتل وكل حسن وقوله ويزكيهم
اى يجعلهم مطيعين مخلصين والزكاة هو الطاعة والاخلاص
لله سبحانه عن ابن عباس وقيل معناه يطهرهم من الشرك ويخلصهم
منه عن ابن جريج وقيل معناه يستدعيهم الى فعل ما يزكونه به من الايمان
والصلاح عن الجبائى وقيل يشهد لهم بانهم ازكياء يوم القيمة اذا شهد

على كل نفس بما كسبت عن الاصم فقوله انك انت العزيز الحكيم اى القوى
فى كمال قدرتك المنيع فى جلال عظمتك المحكم لبدايع صنعك وانما ذكر
هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكانه قال فرغنا اليك فى دعائنا
لانك القادر على اجابتنا العالم بما فى ضمايرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه
كنه علمنا وقصار بصايرنا وفى هذه دلالة على ان ابرهيم واسمعيل دعوا
لنبينا محمد صلى الله عليه واله بجميع شرايط النبوة لان تحت التلاوة الاداء
وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة دعوا الامة باللطف الذى
لاجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا انكيا وهذا لان الدعا صدر
من اسمعيل عليه السلم فعلم بذلك ان النبى المدعو به من ولده لا من
ولد اسحق ولم يكن فى ولد اسمعيل نبى غير نبينا سيد الانبياء

ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين اية — الرغبة
المحبة لما فيه للنفس منفعه ورغبت فيه ضد رغبة عنه والرغبة المحبة
والاراده نظاير ونقيض الرغبة الرهبه ونقيض المحبة البغضة ونقيض
الارادة الكراهة وتقول رغبت فيه رغبة ورغبا ورغبا ورغبى اذا
ملت اليه ورغبت عنه اذا صددت عنه والرغبة رجل رغيب نهم
شديد الاكل وفرس رغيب سحوه اى كثير الاخذ بقوايمه من الارض
وموضع رغيب واسع والرغيبة العطاء الذى يرغب فى مثله والاصطفا
والاجتبا والاختيار نظاير والصفا والنقا والخلوص نظاير والصفو
نقيض الكدر وصفوة كل شى خالصه وصفى الانسان اخوه الذى يصافيه
المودة وناقة صفى كثيرة اللبن ونخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا

واصطفينا

واصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوة وانما قلبت التاء طاء
لانه اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهى من مخرج التاء فاتى
بحرف وسط بين الحرفين — من يرغب لفظة من للاستفهام
ومعناه الجحد فكانه قال ما يرغب عن ملة ابرهيم ولا يزهد فيها الا
من سفه نفسه اى الذى سفه نفسه فمن الاولى على الاستفهام والثانية
بمعنى الذى والا حرف الاستثناء ويجوز ان يكون لنقض النفى ومن
اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول والصلة فى محل النصب على
الاستثناء او فى محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذى فى يرغب وفى
انتصاب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال
يونس اراها لغة قال الزجاج اراد ان فعل لغة فى المبالغة كما ان فعل لذلك
ويجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا وقال ابو عبيده
معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثانى
ان يكون على التفسير كقوله فان طبن لكم عن شى منه نفسا وهو قول الفرا
قال ان العرب توقع نفسه وهى معرفة كذلك بطرت معيشتها وانكر
الزجاج هذا الوجه قال ان معنى التميز لا يحتمل التعريف لان التميز
انما هو واحد يدل على جنس او خلة تخلص من خلال فاذا عرفته صار
مقصودا قصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من النحويين والوجه
الثالث ان يكون على التميز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول
مررت برجل مثله اى مثل له والوجه الرابع ان يكون على حذف الجار
فى معنى سفه فى نفسه كقوله سبحانه ولا جناح عليكم ان تسترضعوا
اولادكم اى لاولادكم فحذف حرف الجر من غير ظرف ومثله ولا تعزموا
عقدة النكاح اى على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر نغالى اللحم

للاضياف نيا ونبذله اذا نضج القدور المعنى تعالى باللحم قال الزجاج
وهذا هو مذهب صحيح والوجه الخامس ما اختاره الزجاج وهو ان سفه
بمعنى جهل وهو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بطرت معيشتها
ان البطر مستقل للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعولا به
وانه في الاخرة في يتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال
الضمير المستكن في قوله من الصالحين روى ان عبد الله بن سلام
دعا ابني اخيه سلمه ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما صفة محمد
في التورية فاسلم سلمه وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الاية
لما بين سبحانه قصة ابرهيم وان ملته ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
عقبه بذكر الحث على اتباعها فقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه
نفسه اي لا يترك دين ابرهيم وشريعته الا من اهلك نفسه واوبقها
وقيل اضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لان من جهل خالقه فهو
جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الايات الدالة على
ان لها صانعا ليس كمثله شيء عن ابي مسلم وقوله ولقد اصطفيناه في
الدنيا اي اخترناه بالرسالة واجتبيناه وانه في الاخرة لمن الصالحين
اي من الفائزين عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اي مع ابائه
الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الاخرة بالذكر وان
كان في الدنيا كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه
الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الاخرة دون
الدنيا وصفه فيها بما ينبئ عن ذلك وفي قوله سبحانه ومن يرغب
عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه دلالة على ان ملة ابرهيم هي ملة نبينا
لان ملة ابرهيم داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وآله فبين ان الذين

يرغبون

يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة ابرهيم قد سفهوا انفسهم
وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ملة ابيكم ابرهيم
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اذ قال
فعل فاعل له جار ومجرور واللام يتعلق بقال وقال له ربه مجرور الموضع
باضافة اذ اليه واللام في لرب العالمين يتعلق باسلمت هذا متصل
بقوله ولقد اصطفيناه وموضع اذ نصب باصطفيناه وتقديره ولقد
اصطفيناه وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال ربه اسلم واختلف في
انه متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا حين افلت الشمس وراى
ابرهيم تلك الايات والادلة فاستدل بها على وحدانيته سبحانه وقال
يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي الاية وانه اسلم وهذا
يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك الهاما استدعاء منه
الى الاسلام فاسلم لما وضح له طريق الاستدلال بما راى من الايات
ولا يصح ان يوحي الله اليه قبل اسلامه بانه نبي الله لان النبوة حال
اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما
قال ذلك ابرهيم حين خرج من السرب وقيل وانما قال ذلك بعد
النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله
سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك
بالتوحيد وقوله اسلمت لرب العالمين اي اخلصت الدين لله رب
العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم
مسلمون اية قرا اهل المدينة والشام واوصى بهمزة بين الواوين

وحجة   مشددة الصاد
وتخفيف الصاد وقراءة الباقين ووصى
من قرأ وصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية فتوصية مصدر
وصى مثل قطع تقطعة ولا يكون منه تفعيل لانك لو قلت في مصدر
حييت تفعيل لكان يجتمع ثلث بايات فرفض ذلك وحجة من قرأ
واوصى بها قوله يوصيكم الله ومن بعد وصية توصون بها
وصى واوصى وامر وعهد بمعنى قد وقالوا وصى البيت اذا اتصل
بعضه ببعض فالوصية كان الموصي بالوصية وصل حبل امره بالموصى
اليه   يعقوب رفع لانه عطف على ابرهيم والتقدير ووصى
ابرهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل انه
على الاستيناف كانه قال ووصى يعقوب ان يا بني ان الله اصطفى
لكم الدين والاول اظهر والفرق بين التقديرين ان الاول لا اضمار
فيه لانه معطوف والثاني فيه اضمار والهاء في بها يعود الى الملة
وقد تقدم ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي
اسلمت لرب العالمين والالف واللام في الدين للعهد دون
الاستغراق لانه اراد دين الاسلام وقوله ولا تموتن الا وانتم
مسلمون وان كان على لفظ النهي لهم عن الموت فالنهي على الحقيقة
عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام
العرب لا ارينك ههنا فالنهي في اللفظ للمتكلم انما هو في الحقيقة
للمخاطب فكانه قال لا تتعرض لان اراك بكونك ههنا وقوله
وانتم مسلمون جملة في موضع الحال وتقديره لا تموتوا الا مسلمين
وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه ليأتكم الموت وانتم مسلمون

لما

لما بين عز اسمه دعاء ابرهيم لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن
ملته ذكر اهتمامه بامر الدين وعهده به الى بنيه في وصيته فقال و
وصى بها اي بالملة او بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ويؤيد
هذا قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص لا اله
الا الله ابرهيم بنيه انما خص البنين لان اشفاقه عليهم اكثر وهم
بقبول وصيته اجدر والا فمن المعلوم انه كان يدعو جميع الانام
الى الاسلام ويعقوب وهو ابن اسحق وانما سمي يعقوب لانه وعيصا
كانا توأمين فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره اخذا بعقبه عن ابن
عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم الاسباط يا
بني ان الله اصطفى لكم الدين اي فقالا جميعا يا بني ان الله اختار
لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تتركوا الاسلام
فيصادفكم الموت على تركه او لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام ب
بفعل الكفر وقال الزجاج معناه الزموا الاسلام فاذا ادرككم الموت
صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترغيب في الوصية عند
الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان من يلي امرهم بتقوى الله تعالى
ولزوم الدين والطاعة   أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ
يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا
نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ آية   الشهداء جمع شهيد و
الشاهد الحاضر من النظائر تقول حضرت القوم احضرهم حضورا
اذا شهدتهم والحضيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة

واحضر الفرس احضارا اذا عدا واعدوا شديدا وحاضرة الرجل محاضرة اذا عدوت معه وحاضرته اذا جاثيته عند السلطان او في خصومة وحضرة الرجل فناؤه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة
ام ههنا منقطعة وهي لا تجئ الا وقد تقدمها كلام لانها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كانه قيل بل كنتم شهداء ومعنى ام ههنا الجحد اى ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظاهرة في الحجاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار له فيظهر الفضيحة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل من اذ الاولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما جاز وما للاستفهام وهو منصوب الموضع لانه مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والمجرور في موضع النصب على الظرف وقوله الها منصوب على احد وجهين ان يكون حالا فكانه قال نعبد الهك في حال وحدانيته او يكون بدلا من الهك ويكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستيناف فلا يكون لها موضع من الاعراب وابراهيم واسمعيل واسحق في موضع جر على البدل من ابائك كما تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك وصاحبك خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال ام كنتم شهداء اى ما كنتم حضورا اذ حضر يعقوب الموت وما كنتم حضورا اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي ومعناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل بان تنسبوهم

الى اليهود

الى اليهودية والنصرانية فانى ما بعثتهم الا بالحنفية وذلك ان اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فرد الله تعالى عليهم القول وانما قال ما تعبدون لان الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اى الاشياء تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق وانما قدم ذكر اسمعيل على اسحق لانه كان اكبر منه واسمعيل كان عم يعقوب وجعل اباه لان العرب تسمى العم ابا كما تسمى الجد ابا وذلك لانه يجب تعظيمه كتعظيم الاب ولهذا قال النبي صلى الله عليه واله ردوا على ابى يعنى العباس عمه الها واحدا ونحن له مسلمون اى مذعنون مقرون بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لامره ونهيه قولا وعقدا وقيل داخلون في الاسلام يدل عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون آية الامة على وجوه الاول الجماعة كما في الاية والثاني القدوة والامام في قوله ان ابرهيم كانت امة قانتا والثالث القامة في قول الاعشى وان معونة الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم والرابع الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة حلفت فلم اترك لنفسى ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع اى ذو ملة ودين والخامس الحين في قوله واذكر بعد امة والسادس اهل الملة الواحدة في قولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد واصل الباب القصد من امه يامه اذا قصده وخلت اى مضت واصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان

من أهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفراغ ان الخلو اذا لم يكن
مع الشئ غيره وقد يفرغ من الشئ وهو معه يقال فرغ من البنا وهو
معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذى يجلب به
نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب لاهله اذا اجتلب لهم ذلك
بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب فى صفة الله تعالى
قوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون فى موضع نصب على الحال فكانه قيل
ملزمة ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستانفة
فلا تكون جزوا من الخبر الاول لكن يكون متصله به فى المعنى وان لم
تكن جزا منه لانهما خبران فى المعنى عن شئ واحد فكانه قيل الجماعة
قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول و
كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة
فى موضع الجر بعن وعن يتعلق بتسئلون تلك امة قد خلت
اى جماعة قد مضت يعنى ابرهيم واولاده لها ما كسبت اى ما عملت
من طاعة او معصية ولكم يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اى ما
عملتم من طاعة او معصية ولا تسئلون عما كانوا يعملون اى لا يقال
لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من اجل اعمالهم
كما لا يقال لهم لم عملتم انتم كذا وكذا وانما يطالب كل انسان بعمله دون
عمل غيره كما قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وفى الاية دلالة
على بطلان قول المجبرة ان الابنا مواخذون بذنوب الاباء
وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله نفى ذلك
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم

حنيفا

حنيفا وما كان من المشركين اية الحنيف المايل
عن الاديان الباطلة الى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن
دين الى دين وبه سميت الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية
وقيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم والحنيفة الاستقامة على
دين ابرهيم وانما قيل للذى يقبل احدى قدميه على الاخرى احنف
تفالا بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازة تفالا بالفوز والنجاة وهو
قول كثير من المفسرين واهل اللغة وقال الزجاج اصله من الحنف وهو
ميل فى صدر القدم وسمى الاحنف لحنف كان به وقالت حاضنته
وهى ترقصه والله لولا حنف برجله ما كان فى صبيانكم كمثله وفى الحديث
احب الاديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة وهى ملة النبى لا حرج
فيها ولا ضيق جزم تهتدوا على الجواب للامر ومعنى الشرط
قايم فى الكلمة اى ان يكونوا على هذه الملة تهتدوا فانما الجزم تهتدوا
على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة ابرهيم فى انتصابه وجوه احدها ان تقديره
بل اتبعوا ملة ابرهيم لان قوله كونوا هودا او نصارى تضمن معنى اتبعوا
اليهودية او النصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية قل بل اتبعوا
ملة ابرهيم فهذا عطف على المعنى والثانى ان يكون على الحذف كانه
قيل بل نتبع ملة ابرهيم والاول عطف والثانى حذف والثالث
ان ينتصب على تقدير بل نكون اهل ملة ابرهيم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه كقوله واسئل القرية فهذا عطف
على اللفظ وحنيفا نصب على الحال اى فى حال حنيفيته عن
ابن عباس ان عبد الله بن صوريا وكعب ابن الاشرف ومالك ابن

الضيف وجماعة من اليهود ونصارى اهل نجران خاصموا اهل الاسلام
كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا
موسى افضل الانبياء وكتابنا التورية افضل الكتب وقالت
النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب
وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله تعالى هذه
الاية وقيل ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه واله ما الهدى
الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدوا وقالت النصارى مثل ذلك
فانزل الله هذه الاية وقالوا الضمير يرجع الى اليهود والنصارى
اى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى
كل فريق منهم دعا الى ما هم عليه ومعنى تهتدوا اى تصيبوا طريق
الحق كانهم قالوا تهتدوا الى الحق اى اذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم
وصرتم على سنن الاستقامة قل يا محمد بل ملة ابرهيم اى بل نتبع دين
ابرهيم وعلى الوجه الاخر بل اتبعوا دين ابرهيم وقد عرفت الوجوه الثلثة
فى الاعراب فلا معنى لاعادتها حنيفا وقيل مائلا الى دين الاسلام
وفى الحنيفية اربعة اقوال احدها انه حج البيت عن ابن عباس والحسن
ومجاهد وثانيها انها اتباع الحق عن مجاهد وثالثها انها اتباع
ابرهيم فيما اتى به من الشريعة التى صار بها اماما للناس بعده من
الحج والختان وغير ذلك من شرايع الاسلام والرابع انها الاخلاص
لله وحده فى الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية وكل هذه الاقوال
ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابرهيم ع
من الملة وما كان من المشركين اى ما كان ابرهيم من المشركين نفى

الشرك

الشرك عن ملته واثبته فى اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله
والمسيح ابن الله وفى قوله سبحانه بل ملة ابرهيم حجة على وجوب اتباع
ملة ابرهيم لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض فى اليهودية و
النصرانية فلذلك صارت ملة ابرهيم احرى بالاتباع من غيرها فمن
التناقض فى اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما فى التورية من
الدلالة على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة فى التورية
من اتباع النبى الامى مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان
لما دلت عليه الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد
صلى الله عليه واله مع اقرارهم بنبوة موسى لدلالة المعجزات عليها
الى غير ذلك من انواع التناقض ومن التناقض فى قول النصارى قولهم
الاب والابن وروح القدس اله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن
وان الاب اله وروح القدس اله وامتناعهم من ان يقولوا ثلثة
الهة الى غير ذلك من تناقضاتهم المذكورة فى الكتب

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ
وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اية الاسباط واحدهم سبط وهم
اولاد اسرائيل وهو يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم وهم اثنا عشر
ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله اى ولداه والاسباط
فى بنى اسرائيل بمنزلة القبائل فى ولد اسمعيل قال الزجاج السبط الجماعة
يرجعون الى اب واحد والسبط فى اللغة الشجرة فالسبط الذين هم من شجرة

واحدة وقال ثعلب يقال سبط علينا العطاء او الضرب اذا تابع عليه
حتى يصل بعضه ببعض وانشد الثوري في قطيع بقر كانه سبط من
الاسباط شبهه بجماعة من الناس يتتابعون في امر ومن ثم قيل لولد
يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل
الشيء مفارقا لغيره والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره
والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد
ان الحكم لاحد الشيئين دون الاخر ما اوتي تقديره ما اوتيه
حذف الهاء العايد الى الموصول ومن في قوله من ربهم يتعلق باوتي
او بمحذوف فيكون مع المحذوف في موضع نصب على الحال فذو الحال
الضمير المستكن في اوتي والعامل فيه انزل وذو الحال اوتي او يكون العامل
فيه انزل وذو الحال ما اوتي لا نفرق جملة منفية منصوبة الموضع على
الحال والعامل فيه امن ومنهم يتعلق بمحذوف مجرور الموضع
بكونه صفة لاحد ومعنى احد منهم اي بين اثنين او جماعة وتقديره
لا نفرق بين احد واحد قولوا امنا بالله خطاب للمسلمين وقيل
خطاب للنبي والمؤمنين امرهم الله باظهار ما دينوا به على الشرع وبداء
بالايمان بالله لانه اول الواجبات ولانه بتقدم معرفته تصح معرفته
النبوات والشرعيات وما انزل الينا يعني القران نؤمن بانه حق
وصدق وواجب اتباعه في الحال وان تقدمته كتب وما انزل الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قال قتادة هم يوسف
واخوته بنو يعقوب ولد لكل واحد منهم امة من الناس فسموا الاسباط
وبه قال السدي والربيع ومحمد بن اسحق وذكروا الاسماء الاثني عشر

يوسف وابن يامين وروبيل ويهودا وشمعون ولاوي ودان وقهاث
ويشجر ونفتالي وجادوا واشر فهم ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين
فيه وقال كثير من المفسرين انهم كانوا انبياء والذي يقتضيه مذهبنا المفسرين
انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لان ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه
بيوسف لا خفاء له والنبي عندنا معصوم من القبائح صغيرها وكبيرها
وليس في ظاهر القران ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما انزل اليهم
لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز ان يكون كان على بعضهم
ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة ويحتمل ان
يكون مثل قوله وما انزل الينا وان كان النزول على النبي خاصة
لكن المسلمين لما كانوا ماموين بما فيه اضيف الانزال اليهم وقد روى
العياشي في تفسيره عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي جعفر عليه
السلام قال قلت له اكان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا
اسباطا اولاد الانبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا الا سعداء تابوا
وتذكروا ما صنعوا وقوله وما اوتي موسى وعيسى اي اعطيا وخصهما
بالذكر لانه احتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما اوتي موسى التورية
وبما اوتي عيسى الانجيل وما النبيون اي ما اعطيه النبيون من
ربه لا نفرق بين احد منهم اي بان نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض
كما فعل اليهود والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت
النصارى بسليمن وبنبينا محمد صلى الله عليه وآله ونحن له مسلمون
اي نحن لما تقدم ذكره وقيل لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون
بالعبودية وقيل منقادون لامره ونهيه وقد مضى هذا مستوفى

فيما قبل وفايدة الاية الامر بالايمان بالله تعالى والاقرار بالنبيين
وما انزل اليهم من الكتب والشرايع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم
الله عليه من النبوة وان كان شرايعهم غير لازمة لنا فان الايمان بهم
لا يقتضى لزوم شرايعهم وروى عن الضحاك انه قال علموا اولادكم و
اهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه حتى يؤمنوا
بهم ويصدقوا بما جاءوا به فان الله تعالى يقول قولوا امنا بالله الآية

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ آية الشقاق المنازعة والمحاربة ويحتمل ان يكون
اصله ماخوذا من الشق لانه صار فى شق غير شق صاحبه للعداوة
والمباينة ويحتمل ان يكون ماخوذا من المشقة لان كل واحد منهما
يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه والكفاية بلوغ الغاية
يقال يكفى ويجزى ويغنى بمعنى واحد وكفى يكفى كفاية اذا قام بالامر
وكفاك هذا الامر اى حسبك ورايت رجلا كافيك من رجل
اى كفاك به رجلا الباء فى قوله بمثل ما امنتم به يحتمل ثلثة
اشياء احدها ان تكون زايدة والتقدير فان امنوا مثل ما امنتم
به اى مثل ايمانكم به كما يقال كفى بالله اى كفى الله قال الشاعر كفى الشيب
والاسلام للمرء ناهيا والثانى ان يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون
زايدة كانه قال فان امنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل
ما كتبت وبمثل ما كتبت كانك تجعل المثل الة توصل بها الى العمل
وهذا اجود من الاول والثالث ان تلغى مثل كما الغيت الكاف فى

قوله

قوله فجعلهم كعصف ماكول وهذا اضعف الوجوه لانه اذا امكن حمل
كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم اضعف من
زيادة الحرف نحو ما ولا وما اشبه ذلك وقوله فقد اهتدوا فى محل
الجزم او فى محل الرفع لانه جواب شرط مبنى وكذلك قوله فانما هم فى شقاق
وانما حرف لاثبات الشئ ونفى غيره وهم مبتدأ وفى شقاق فى موضع
خبره لما نزل قوله تعالى امنا بالله الآية قراها النبى صلى الله عليه
واله على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذكر عيسى انكروا و
كفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كساير الانبياء لانه ابن الله
فنزلت الاية فان امنوا اخبر الله سبحانه ان هؤلاء الكفار
متى امنوا على حد ما امن المؤمنون به فقد اهتدوا الى طريق الجنة
وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول
اقرأوا بما امنتم فليس لله مثل وهذا محمول على انه فسر الكلام لانه انكر القراة
الظاهرة مع صحة المعنى وقوله وان تولوا اعرضوا عن الايمان وجحدوه
ولم يعترفوا به فانما هم فى شقاق اى فى خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا
بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريب منه ما
روى عن الصادق عليه السلم انه قال يعنى فى كفر وقيل فى ضلال عن ابى
عبيده وقيل فى منازعة ومحاربة عن ابن زيد وقيل فى عداوة عن
الحسن فسيكفيكهم الله وعد الله سبحانه رسوله بالنصرة وكفاية
من يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقوه وفى هذا دلالة
بينة على نبوته وصدقه صلى الله عليه واله والمعنى ان الله سبحانه
يكفيك يا محمد امرهم وهو السميع لاقوالهم العليم باعمالهم فى ابطال

امرك ولن يصلوا اليك ... صبغة الله ومن احسن من الله
صبغة ونحن له عابدون آية ... صبغة الله مأخوذ من
الصبغ لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود غمسوه في ماء لهم
يسمونه المعمودية يجعلون ذلك تطهيرا له فقيل صبغة الله تطهير الله
لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل ان اليهود تصبغ
ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اى يلقنون
اولادهم اليهودية والنصرانية لكن يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا
عن قتادة والى هذا يؤل ما روى عن عمر بن الخطاب اخذ العهد على
بنى تغلب الا تصبغوا اولادهم اى لا يلقنونهم النصرانية لكن يدعونهم
حتى يبلغوا فيختاروا لانفسهم ما شاؤا من الاديان وقيل سمى الدين
صبغة لانه هيئة تظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلوة وغير
ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة عن الجبائي قال امية في صبغة الله
كان اذا نسى العهد وخلى الصواب اذ عزنا ويقال صبغ الثوب يصبغه
بفتح الباء وضمها وكسرها صبغا بفتح الصاد وكسرها ... نصب صبغة
الله على انه بدل من قوله ملة ابرهيم وتفسير له عن الاخفش وقيل
انه نصب على الاغراء تقديره اتبعوا صبغة الله او الزموا صبغة الله
ومن استفهام وهو مبتدأ واحسن خبره وصبغة نصب على التمييز
صبغة الله اى اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقتادة
ومجاهد ويقرب منه ما روى عن الصادق عليه السلم قال يعنى به
الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الختان الذي هو تطهير عن الفراء
والبلخي وقيل فطرة الله التي فطر الناس عليها عن ابى العالية وغيره

ومن

ومن احسن من الله صبغة اى لا احد احسن من الله صبغة اى دينا
لفظة لفظ الاستفهام ومعناه الجحد عن الحسن وغيره ونحن له عابدون
اى من نحن له عابدون يجب ان نتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء
والاجداد وقيل ونحن له عابدون في اتباعنا ملة ابرهيم صبغة الله
قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون آية ... الحجاج والجدال و
الخصام نظاير والاعمال والاحداث والافعال نظاير والاخلاص و
الافراد والاختصاص نظاير وضد الخالص المشوب ... وهو ربنا
وربكم المبتدأ وخبره في موضع النصب على الحال والعامل فيه تحاجون
وذو الحال الواو ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدآن وخبران والجملتان
في موضع النصب على الحال بالعطف على هو ربنا وربكم ونحن له مخلصون
كذلك ... امر الله سبحانه نبيه عليه السلم في هذه الآية ان يقول
لهؤلاء اليهود وغيرهم اتحاجوننا في الله ومعناه في دين الله اى تخاصموننا
وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا وخالقكم والمنعم
عليكم واختلف في محاجتهم كيف كان فقيل كانت محاجتهم للنبى صلى
انهم يزعمون انهم اولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل
بل كانت محاجتهم انهم قالوا نحن احق بالايمان من العرب الذين
عبدوا الاوثان وقيل كانت محاجتهم انهم قالوا يا محمد ان الانبياء
كانوا منا ولم يكن من العرب نبى فلو كنت نبيا لكنت منا وقال
الحسن كانت محاجتهم ان قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

وكان غرضهم بذلك ان الدين يلتمس من جهتهم وان النبوة اولى ان تكون
فيهم فبين سبحانه انه اعلم بتدبير خلقه بقوله وهو ربنا وربكم اى خالقنا
وخالقكم فهو اعلم حيث يجعل رسالته ومن الذى يقوم باعبائها ويحملها
على وجه يكون اصلح للخلق واولى بتدبيرهم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
اى لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من اعمالكم وما لكم
منفعة من اعمالنا فضر اعمالكم عليكم ونفع اعمالنا لنا وقيل انه انكار
لقولهم ان العرب تعبد الاوثان وبيان لان لا حجة فيه اذ كل ماخوذ
بما كسبت يداه ولا يؤخذ احد بجرم غيره وقوله ونحن له مخلصون اى
موحدون والمراد بذلك ان المخلص اولى بالحق من المشرك وقيل معناه
الرد عليهم ما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان فكانه قال لا عيب
علينا فى ذلك اذ كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من
اسلافكم اذا اعتقدتم الانكار عليهم ذلك روى
عن حذيفة بن اليمان قال سالت النبى صلى الله عليه وآله عن الاخلاص
ما هو قال سئلت جبرئيل عن ذلك قال سئلت رب العزة عن ذلك
فقال هو سر من سرى استودعته قلب من احبته من عبادى وروى
عن ابى ادريس الخولانى عن النبى صلى الله عليه وآله قال ان لكل حق
حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شئ من
عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله
ولا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله احدا وقيل الاخلاص ان يستوى
اعمال العباد فى الظاهر والباطن وقيل ما استتر من الخلايق واستصفى
من العلايق وقيل هو ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارٰى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ آية قرا اهل الكوفة غير ابى بكر وابن عامر ام تقولون
بالتاء والباقون بالياء الاول على الخطاب فتكون ام متصلة
بما قبلها من الاستفهام كانه قال اتحاجوننا فى الله ام تقولون ان الانبياء
كانوا على دينكم والتقدير باى الحجتين تتعلقون فى امرنا بالتوحيد فنحن
موحدون ام باتباع دين الانبياء من قبل ان تنزل التورية فنحن له
متبعون والثانى وهو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الاول الى
حجاج آخر فكانه قال بل تقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التورية و
الانجيل كانوا هودا او نصارى وتكون ام هذه هى المنقطعة فيكون قد
اعرض من خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من
بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة
ام يقولوا بابطال النظر المؤدى الى المعرفة الاعلم والاعرف والادرى
بمعنى واحد والاظلم والاجور والاعتى نظاير وافعل هذه تستعمل بمعنى
الزيادة وانما يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول
واكتم واخفى واسر واحد والغفلة والسهو والنسيان نظاير وهو ذهاب
المعنى عن النفس والصحيح ان السهو ليس بمعنى وانما هو فقد علوم مخصوصة
فان استمر به السهو مع صحة سمى جنونا واذا قارنه ضرب من الضعف
سمى اغماء واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمى نوما فان قارنه نوع
من الطرب سمى سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمى نسيانا

ام الله الله مبتدأ وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان
لكتم او يكون صفة لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة
الشهادة ايضا وهي صفة بعد صفة قد ذكرنا الفرق في المعنى بين
قوله ام تقولون على المخاطبة وقوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى
لليهود والنصارى وهم غيب وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه احدها ما اخبر به نبينا
صلى الله عليه وآله مع ظهور المعجز الدال على صدقه والآخر ما في التورية
والانجيل من ان هؤلاء الانبياء كانوا على الحنيفية والثالث ان عندهم
انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التورية واسم النصرانية
على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان انزلا بعدهم كما قال سبحانه
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده والرابع انهم ادعوا ذلك من
غير برهان فوبخهم الله سبحانه بهذه الوجوه وقوله قل انتم اعلم
صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله انتم اشد
خلقا ام السماء بنيها ومعناها قل يا محمد لهم انتم اعلم ام الله وقد اخبر
الله سبحانه انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا او نصارى
فيلزمكم ان تدعوا انكم اعلم من الله وهذا غاية الخزي فان قيل لم قال
انتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه وانما ظ هذا الخطاب لمن لا
يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على
قوله واضح ومن قال انهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه
فمعناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه
ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل

على انه

على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو انه عالم لذاته يعلم جميع
المعلومات وقوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فيه اقوال
احدها ان من قوله من الله لابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتمان
ومعناه وما احد اظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد
بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه و
آله والبشارة به عن الحسن وقتاده وقيل المراد بها ان ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة
وادعوا انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم
كتموها والثاني ان من متصل بالكتمان اي من اظلم ممن كتم ما في التورية
من الله اي من عبادة الله او كتم شهادة ان يؤديها الى الله والثالث
ان المراد من اظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم من
اظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان القوي الغني والمعنى
انه يلزمكم انه لا احد اظلم من الله اذ كتم شهادة عنده ليوقع عباده في
الضلال وهو الغني عن ذلك المتعالي اي لو كانوا هودا او نصارى
لاخبر بذلك وهذا معنى قول البلخي وابي مسلم وقوله وما الله بغافل
عما تعملون اوعدهم سبحانه بما يجمع كل وعيد اي ليس الله بساه عن
كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بالله تعالى وقيل هو على عمومه اي لا
يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على اعمالكم
بما تستحقونه من العقاب تلك امة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون
آية قد مضى تفسير هذه الآية وقيل في وجه تكراره انه عنى بالاول

ابرهيم ومن ذكر معه من الانبياء وبالثانى اسلاف اليهود وقيل انه
اذا اختلف الاوقات والمواطن لم تكن التكرار معيبا ووجه اتصال
الاية بما قبلها انه يقول اذا اسلم لكم ما ادعيتم من ان الانبياء كانوا
على دين اليهودية او النصرانية فليس لكم فيه حجة لانه لا يمتنع اختلاف
الشرايع بالمصالح فلله سبحانه ان ينسخ من الشرايع ما شاء ويقر منها
ما شاء على حسب ما يقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد مورد الوعظ
لهم والزجر حتى لا يتكلوا على فضل الاباء والاجداد فان ذلك لا ينفعهم
اذا خالفوا امر الله ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا
وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ اية السفيه والجاهل
والغبى نظاير وقد ذكرنا معنى السفيه والسفه فيما مضى وليه عنه اى
صرفه وفتله واشتقاقه من الولى وهو القرب وهو حصول الثانى بعد
الاول من غير فصل فالثانى يلى الثانى ثم هكذا ابدا وولى عنه خلاف
ولى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه
فاذا كان الذى يليه متوجها اليه فهو مول اليه فاذا كان متوجها
الى خلاف جهته فهو مول عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التى تقابل
الشئ غيره عليها كما ان الجلسة للحال التى يجلس عليها وكان يقال فيما
حكى هو لى قبلة وانا له قبلة ثم صار علما على الجهة التى تستقبل فى
الصلوة من الناس فى محل النصب حال من السفهاء ما استفهام
وهو مبتدا وولاهم خبره وعن قبلتهم مفعول ولى ثم ذكر
الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة

فقال

فقال السفهاء سيقول من الناس اى سوف يقول الجهال وهم الكفار
الذين هم بعض الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اى اى
شئ حولهم وصرفهم المسلمين عن بيت المقدس الذى كانوا يتوجهون
اليها فى صلواتهم واختلف فى الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس وغيره
هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب وان رسول الله صلى الله عليه واله
لما حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة ابائك
ثم رجعت اليها فلترجعن الى دينهم وقال السدى هم المنافقون قالوا
يا محمد ذلك استهزاء بالاسلام واختلف فى سبب مقالتهم ذلك
فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس وقيل
انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها ارجع الى قبلتنا
نتبعك ونؤمن بك ارادوا بذلك فتنته عن ابن عباس ايضا و
قيل انما قالوا مشركوا العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه واما الوجه
فى الصرف عن القبلة الاولى ففيه وجهان احدهما انه لما علم الله تعالى
فى ذلك من تغير المصلحة والاخر لما بينه الله سبحانه بقوله لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان
يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون
الى الكعبة فلما انتقل رسول الله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون
الى بيت المقدس فامروا بالتوجه الى الكعبة ليتميزوا من اولئك قل
لله المشرق والمغرب هو امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول لهؤلاء
الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرق والمغرب
ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كما شاء على ما تقتضيه حكمته و

فى هذا ابطال لقوله من زعم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها
لانه مواطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها
فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء فى كل
زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلوة
الى بيت المقدس بعد مقدم النبى صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر
شهرا وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وآله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا
نحو الكعبة اورده مسلم فى الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك
تسعة اشهر او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلثة عشر شهرا وروى
على بن ابرهيم باسناده عن الصادق عليه السلم قال تحول القبلة
الى الكعبة بعد ما صلى النبى بمكة ثلثة عشر سنة الى بيت المقدس و
بعد مهاجره الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة اشهر قال ثم
وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله ص
ويقولون له انت تابع لنا تصلى الى قبلتنا فاغتم رسول الله ص
من ذلك غما شديدا وخرج فى جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر
من الله تعالى فى ذلك امرا فلما اصبح وحضر وقت صلوة الظهر
كان فى مسجد بنى سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرئيل
فاخذ بعضديه وحوله الى الكعبة وانزل عليه قد نرى تقلب وجهك
فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام
فكان صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت
اليهود والسفهاء ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قال الزجاج

انما

انما امر بالصلوة الى بيت المقدس لان مكة بيت الله الحرام كانت
العرب آلفة لحجه فاحب الله ان يمتحن القوم بغير ما الفوه ليظهر من
يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم اى
يدله ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لانه طريق الجنة المؤدى اليها
كما يؤدى الطريق الى المقصد وقيل الى طريق الجنة
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت
عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه و
ان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم آية   قرا ابن
عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن رعوف وقرا ابو جعفر لروف
مثقل غير مهموز والباقون لرؤف على وزن رعف   وجه من
رؤف ان بناء فعول اكثر فى كلامهم من فعل الا ترى ان باب ضروب
وصبور اكثر من باب يقظ وحذر وقد جاء على هذه الزنة من صفات الله
تعالى نحو عفو وشكور وودود ولا يعلم فعلا فيها وقال كعب بن مالك
الانصارى يطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا ومن قرا رؤفا قال
ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال وليد بن عقبه وشر الطالبين فلا
تكنه لقاتل عمه الرؤف الرحيم وقال جرير ترى للمسلمين حقا كفعل الوالد
الرؤف الرحيم   الوسط العدل وقيل الخيار ومعناهما واحد
لان العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذى يعدل المسافة
منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والغالى فالحق معه

قال مودح اى وسطا بين الناس وبين ابنيانهم قال زهير هم وسط
ترضى الانام بحكمهم اذا طرقت احدى الليالى بمعظم قال صاحب العين الوسط
من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليبس
قيل فى صفة النبى صلى الله عليه وآله كان من اوسط قومه اى من خيارهم
والعقب موخر القدم وعقب الانسان نسله قال ثعلب نرد على اعقابنا
اى نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه والعقبة الكرة بعد
الكرة فى الركوب والمشى والتعقيب الرجوع الى امر تريده ومنه ولم يعقب
وعقب الليل النهار يعقبه والاضاعة مصدر اضاع يضيع وضاع
الشيء ضياعا وضيع الشيء تضييعا وقال صاحب العين ضيعة الرجل
حرفته ويقال ما ضيعتك اى حرفتك وكل رجل وضيعته وترك عياله
بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع معروف واصل الضياع الهلاك
قال ابو زيد رافت بالرجل اراف به رافة ورآافة ورؤفت به اروف
به بمعنى فى الآية ثلث لامات مختلفات فاللام فى قوله
ليكونوا لام كى وتكونوا فى موضع نصب باضمار ان وتقديره لان تكونوا
وان تكونوا فى موضع جر باللام لانها اللام الجارة فى الاصل واللام فى
قوله وان كانت لكبيرة لام تاكيد وهى لام الابتداء فصلت بينها وبين ان
لئلا يجتمع حرفان متفقان فى المعنى وهى تلزم ان المخففة من الثقيلة
لئلا يلتبس بان النافية التى هى بمعنى ما فى مثل قوله ان الكافرون
الا فى غرور وقال الكوفيون ان فى مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى
الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لانه لو كان
كذلك لجاز ان يقال لجاء القوم لزيدا بمعنى الا زيدا واما اللام فى قوله

وما

وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام تاكيد النفى واصلها لام الاضافة ايضا
وينتصب الفعل بعدها باضمار ان ايضا الا انه لا يجوز اظهار ان بعدها
لان التقدير ما كان مضيعا ايمانكم فلما حمل معناه على التاويل حمل لفظه ايضا
على التاويل من غير تصريح باظهار ان ويجوز اظهار ان بعد لام كى كما ذكرناه
والكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه وهو فى موضع النصب بالمصدر
وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدى الله من يشاء الى صراط مستقيم
والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل فى الكاف
جعلنا كانه قيل يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم
بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمنا مثل ذلك الانعام الا ان جعلنا
يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العائد الى الموصول محذوف
فتقديره على الذين هديهم الله والجار والمجرور فى محل النصب على الاستثناء
تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الا على الذين هدى الله ثم بين
سبحانه فضل هذه الامة على ساير الامم فقال وكذلك جعلناكم امة
وسطا وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف الى ذلك بما تقدم اخبر
عن انعمه انه جعل امة نبيه محمد صلى الله عليه واله عدلا وواسطة بين
الرسول والناس ومتى قيل اذا كان فى الامة من ليس هذه صفته
فكيف وصفت جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك
الصفة ولان كل عصر لا يخ من جماعة هذه صفتهم وروى بريد بن معوية
العجلى عن الباقر عليه السلم قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله
على خلقه وحجته فى ارضه وفى رواية اخرى قال الينا يرجع الغالى وبنا
يلحق المقصر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكانى فى كتاب شواهد التنزيل

لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالى عن على عليه السلم
ان الله تعالى ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شهيدا
علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى ارضه ونحن الذين قال الله تعم
وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله لتكونوا شهداء على الناس فيه ثلثة
اقوال احدها ان المعنى يشهدوا على الناس باعمالهم التى خالفوا فيها الحق
فى الدنيا والاخرة كما قال الله تعالى وجئ بالنبيين والشهداء وقال ويوم
يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملئكة والانبياء وامة محمد
والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية والثانى
ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول
عليهم شهيدا مؤيدا للدين اليكم وسمى الشاهد شاهدا لانه يبين ولذلك
يقال للشهادة بينة والثالث انهم يشهدون للانبياء على اممهم المكذبين
لهم بانهم قد بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبى صلى الله عليه وآله اياهم بذلك
وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا اى شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم
وقيل حجة عليكم وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيمة فيما تشهدون
به ويكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقوله
وما جعلنا القبلة التى كنت عليها قيل معنى كنت عليها صرت عليها
وانت عليها يعنى الكعبة كقوله سبحانه كنتم خير امة اخرجت للناس
اى انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعنى بيت المقدس الذى كانوا يصلون
اليها اى ما صرفناك عن القبلة التى كنت عليها الا لنعلم او ما جعلنا
القبلة التى كنت عليها فصرفناك عنها الا لنعلم وحذف لدلالة الكلام
عليه وفى قوله الا لنعلم اقوال احدها ان معناه ليعلم حزبنا من النبى

والمؤمنين

والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا وفعلنا كذا اى فتح اولياؤنا و
الثانى ان معناه ليحصل المعلوم موجودا وتقديره لنعلم انه موجود ولا
يصح به وصفه بانه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده والثالث ان معناه لنعاملكم
معاملة المختبر علم الذى كان لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم
بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما والرابع ما قاله علم الهدى
المرتضى قدس الله سره وهو ان قوله لنعلم يقتضى حقيقته ان يعلم هو وغيره
ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فيكون
القديم سبحانه هو المتفرد بالعلم به فيصح ظاهر الاية وقوله من يتبع الرسول
ممن ينقلب اى يؤمن به ويتبعه فى اقواله وافعاله ممن ينقلب على
عقبيه فيه قولان احدهما ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة
جهلا منهم بما فيه من وجوه الحكمة والاخر ان المراد به كل مقيم على كفره لان
جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف الكافر بانه ادبر
واستكبر وانه كذب وتولى اى عن الحق وقوله وان كانت لكبيرة الا
على الذين هدى الله الضمير فى كانت تعود الى القبلة على قول ابى العالية اى
قد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحويلة ومفارقة القبلة
الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وهو الاقوى لان القوم انما ثقل
عليهم التحول لا نفس القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلوة عن ابن زيد و
قوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعنى التحويلة الى بيت المقدس
لان العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة
على من لم يعرف ما فيها من وجه الحكمة واما الذين هديهم الله لذلك
فلا يعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول فى التحول الى الكعبة وانما

خص المؤمنين بانه هديهم وان كان قد هدى جميع الخلق لانه ذكرهم
على طريق المدح ولانهم الذين انتفعوا بهدى الله وغيرهم كانه لم يعتد بهم
وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قيل فيه اقوال احدها لما حولت القبلة
قال ناس كيف باعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الاولى فانزل الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتاده وقيل انهم قالوا كيف عن مات
من اخواننا قبل ذلك وكان مات اسعد بن زراره والبراء بن المعرور و
كانا من النقباء فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى بيت المقدس
ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله فى التصديق اى لا يضيع تصديقكم
بامر تلك القبلة وثانيها انه لما ذكر ما عليهم من المشقة فى التحويله
اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبه وانه لا يضيع ما عملوه من
الكلفة فيه لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به عن الحسن
وثالثها انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبه ذكر السبب الذى
استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولا فقال وما كان
الله ليضيع ايمانكم الذى استحققتم به تبليغ محبتكم فى التوجه الى الكعبه
عن ابى القاسم البلخى وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم رؤف
بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم والرافة اشد الرحمة دل سبحانه بالرافة
والرحمة على ان يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشئ
منه وقيل انه سبحانه دل بقوله رؤف رحيم على انه منعم على الناس
بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الاية على ان اجماع
الامة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله سبحانه
لم يجز ان يكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك لان ظاهر الاية

ان يكون

ان يكون كل واحد من الاية بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى
حمل الاية على بعض الامة لم يكونوا باولى ممن يحملها على المعصومين والائمة
من آل الرسول وفى هذه الاية دلالة على جواز النسخ فى الشريعة بل على وقوعه
لانه قال وما جعلنا القبلة التى كنت عليها فاخبر الله سبحانه هو الجاعل
لتلك القبلة وانه هو الذى نقله عنها وذلك هو النسخ قد
نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون اية الرؤية هى ادراك الشئ
بالبصر ونظيره الابصار ثم يستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف
نظاير وهو التحرك فى الجهات ويقال وليتك القبلة اى صيرتك
تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى فى فعلت منه لانك تقول و
ليت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها ففعلت فى هذه الكلمة
ليس بمنقول من فعلت الذى هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة
مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة فى قوله ويولون الدبر وقوله
يولوكم الادبار فهذا منقول من قولهم دارى تلى داره تقول وليت
ميامنه وفلانى ميامنه مثل فرح وفرحته والرضا والمحبة نظيران
وانما يظهر الفرق بضديهما فالمحبة ضدها البغض والرضا ضده السخط
وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضى عنه فكانه اراد تعظيمه وثوابه
واذا قيل رضى عمله فكانه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر
المسجد الحرام اى نحوه وتلقاه قال الشاعر وقد اظلكم من شطر ثغركم

هو له ظلم نغشاكم قطعا اى من نحو تغزكم وقال ان العنبر بهاداء يخامرها
فشطرها نظر العينين محسور اى نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم مشاطرونا
اى دورهم تتصل بدورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا اى نحن نحوهم وهم نحونا
وقال صاحب العين شطر كل شئ نصفه وشطره نحوه وقصده ومنه
المثل احلب حلبا لك شطره اى نصفه وشطرت الشئ جعلته نصفين
والحرام المحرم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق
وضع الشئ فى موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هى
السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو فوق الغفلة
لان النائم لا يقال له غفل الا مجازا حيث ما كنتم موضع كنتم
جزم بالشرط وتقديره حيثما تكونوا او الفاء وما بعده فى موضع الجزاء
ولا يجازى بحيث واذ حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك لانهما لا يكونان
الا مضافين الى ما بعدهما من الجملة قبل المجازاة بهما فالزما فى المجازاة
ما يكفهما عن الاضافة لان الاضافة تمنع الجزم فيهما وذلك لان الفعل
اذا وقع فى موضع اسم ارتفع والمضاف اليه فى موضع اسم مجرور وموضعه
جر بالاضافة فيمتنع جزمه بالجزاء مع وجود الشرط الرفع فيه فلما كان كذلك
كفا بما لتهيئهما للجزم وفعل الشرط بالجزاء قولوا جملة فى محل الرفع لوقوعها
موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده فى محل الجزم لانه جواب
الشرط وشطر منصوب على الظرف قال المفسرون كانت الكعبة
احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال لجبرئيل وددت
ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبرئيل انما انا عبد مثلك
وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبرئيل وجعل

رسول الله صلى الله عليه واله يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبرئيل
بالذى سأل ربه فانزل الله تعالى هذه الاية قد نرى تقلب وجهك
يا محمد فى السماء لانتظار الوحى فى امر القبلة وقيل فى سبب تقلب النبى
وجهه فى السماء وجهان احدهما انه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت
المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من نظر شيئا
فانه يجعل بصره الى الجهة التى يتوقع وروده منها والثانى انه كان يكره
قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسأل الله تع ذلك
لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن
لهم فيه لانه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجابون الى ذلك فيكون فتنة
لقومهم واختلف فى سبب ارادته تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان
الكعبة كانت قبلة ابرهيم وقبلة اباءه عن ابن عباس وقيل ان اليهود قالوا
يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا
ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت
العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان فى التوجه اليها
استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلوة اليها وكان عليه السلام حريصا
على استدعائهم الى الدين ويحتمل ان يكون عم انما احب ذلك لجميع
هذه الوجوه اذ لا تنافى بينها وقوله فلنولينك قبلة ترضيها اى
فلنصرفنك الى قبلة تريدها وتحبها وانما اراد به محبة الطباع لا انه
كان يسخط القبلة الاولى فول وجهك شطر المسجد الحرام اى حول
نفسك نحو المسجد الحرام لان وجه النبى نفسه وقيل انما ذكر الوجه لان
به يظهر التوجه وقال ابو على الجبائى اراد بالشطر النصف فامره الله

بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطاء لانه
خلاف اقوال المفسرين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اى اينما كنتم
من الارض فى بر او بحر سهل او جبل فحولوا وجوهكم نحوه والاول خطاب
للنبى صلى الله عليه وآله واهل المدينة والثانى خطاب لجميع اهل الآفاق
ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فبين الله
سبحانه انه قبلة لجميع المصلين فى مشارق الارض ومغاربها وذكر
ابو اسحق الثعلبى فى كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة و
قبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم
والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قال اصحابنا ان الحرم
قبلة من نأى عن الحرم من اهل الآفاق وقوله وان الذين اوتوا الكتاب
اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى ليعلمون انه الحق من
ربهم اى يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق مأمور به من ربهم وانما
علموا ذلك لانه كان فى بشارة الانبياء لهم ان يكون نبى من صفاته
كذا وكذا وكان فى صفاته انه يصلى الى القبلتين وروى انهم قالوا
عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شىء تبتدعه من تلقاء
نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله تعالى هذه الآية وبين
انهم يعلمون خلاف ما يقولون وما الله بغافل عما تعملون اى ليس الله
بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وآله والمعاندة
ودل هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ
على الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون فاما الجمع العظيم فلا
يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتاتى فيهم كلهم ان يظهروا خلاف

ما يعملون

ما يعملون وهذه الاية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس وقال
ابن عباس اول ما نسخ من القران فيما ذكر لنا شان القبلة وقال قتادة
نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة
بالقران وهذا هو الاقوى لانه ليس فى القران ما يدل على التعبد بالتوجه
الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله فاينما تولوا فثم وجه الله
فان هذه الآية عندنا مخصوصة بالنوافل فى حال السفر روى ذلك
عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وليست بمنسوخة واختلف
الناس فى صلوة النبى صلى الله عليه وآله الى بيت المقدس فقال قوم كان
عليه السلام يصلى بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى
ان يصلى الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلى بمكة
الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلى فى
غير المكان الذى يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلى بمكة وبعد قدومه
بالمدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ثم
ثم امره الله تعالى بالتوجه الى الكعبة ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين آية
اختلف النحويون فى ان لئن لم اجيبت بجواب لو فقال
الاخفش اجيبت بجواب لو لان الماضى وليها كما يلى لو فدخلت
كل واحدة منهما على صاحبتها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا لظلوا من بعده فجرى لئن مجرى لو وقال ولو انهم امنوا

لظلوا

وانقوا المثوبة فجرى لو مجرى لئن قال سيبويه واصحابه ان معنى
ليظلن فمعنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منهما على حقيقتها وحقيقة
معنى لو انها يمتنع به الشى لامتناع غيره كقولك لو اتيتنى لاكرمتك
فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى ان تقع بها الشى لوقوع
غيره تقول ان تاتنى اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الاتيان ولو للماضى
وان لما يستقبل وانما الحق فى الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على
معنى القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله انك
اذا لمن الظالمين ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد
اغنى عن الجزاء بدلالته عليه وانما يجاب الشرط بالفعل وبالفاء او باذا
على ما هو مشروح فى مواضعه ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
فى الكلام معنى القسم اى والله لئن اتيت الذين اعطوا الكتاب يعنى اهل
العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبلخى وقيل المعنى به جميع
اهل الكتاب عن الحسن وابى على بكل اية اى بكل حجة ودلالة ما تبعوا
قبلتك اى لا يجتمعون على اتباع قبلتك على القول الثانى وعلى القول
الاول لا يؤمن منهم احد لان المعاند لا تنفعه الدلالة وانما تنفع الجاهل
الذى لا يعلم وما انت بتابع قبلتهم فى معناه اربعة اقوال احدها انه
رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ وثانيها انه على وجه
المقابلة لقوله ما تبعوا قبلتك كما يقال وما هم بتاركى انكار
الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذى هو الكلام الثانى
هو التقابل للكلام الاول لا يؤمن منهم احد لان المعاند لا تنفعه
وثالثها ان المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف

وجهتهم

وجهتهم لان النصارى تتوجه الى الجهة الموضع الذى ولد فيه عيسى
واليهود الى بيت المقدس فبين الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال و
رابعها ان المراد حسم اطماع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا طمعوا فى
ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلوة الى بيت المقدس وقوله وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فى معناه قولان احدهما انه لا تصير النصارى
كلهم يهودا ولا تصير كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام و
هذا من الاخبار بالغيب قال الحسن والسدى والاخر ان معناه اسقاط
اعتلالهم بانه لا يجوز مخالفة اهل الكتاب فيما ورثوه عن انبياء الله
وان بيت المقدس لا يزل كان قبلة الانبياء فهو اولى بان يكون
قبلة اى فكما جاز ان يخالف بين وجهتيهم للاستصلاح جاز
ان يخالف بوجهة ثالثة فى زمان اخر للاستصلاح ويحتمل ايض ان
يجرى الكلام على الظ لانه لم يثبت ان يهوديا تنصر ولا ان نصرانيا
تهود ولا ضرورة بنا الى العدول عن الظاهر الى التاويل وهذا قول
القاضى وقوله ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب للنبى وفيه اربعة
اقوال احدها ان المراد به غيره من امته وان كان الخطاب له و المراد
الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم وان اتباعهم ردة عن
الحسن والزجاج وثانيها ان المراد ان اتبعت اهواءهم فى المداراة
لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا
اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائى وثالثها ان معناه الدلالة
على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها وان من تبعهم كان ظالما و
رابعها انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقوية لنفسه

متبعى شريعته ليستمروا على عنادهم عن القاضى من بعد ما جاءك
من العلم اى من الايات والوحى الذى هو طريق العلم وقيل من بعد
ما علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين انك اذا لمن الظالمين
قد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وفى هذه الآية
دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط وان من علم الله تعالى
سبحانه انه يؤمن لا يستحق العقاب اصلا لان الله تعالى علق الوعيد
بشرط يوجب انه متى حصلت الشرط حصل استحقاق العقاب وفيها
دلالة على فساد قول من زعم ان فى المقدور لطفا لو فعله الله تعالى
بالكافر لآمن لانه لقوله ان اتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك فعلى
قول من قال المراد به المعاند لا ينفعه شىء من الايات وعلى قول من
قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم ايضا يؤمنون عنده فعلى الوجهين
معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا على ان جميع الكفار لا يؤمنون
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون آية اخبر الله تعالى انهم
يعرفون النبى صلى الله عليه وآله وصحة نبوته فقال الذين اتيناهم
اى اعطيناهم الكتاب وهم العلماء منهم يعرفونه محمدا وانه حق كما يعرفون
ابناءهم والضمير فى يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعنى النبوة
وقيل الضمير يعود الى امر القبلة اى يعرفون ان امر القبلة حق عن
ابن عباس فان قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهم
كانوا يعرفون ابناءهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبى من جهة
الحقيقة قيل انه شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق

المعرفة

المعرفة وكل واحدة من المعرفتين كالاخرى وان اختلف الطريقان
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون انما خص الفريق منهم
لان من اهل الكتاب من اسلم كعبد الله ابن سلام وكعب الاحبار
وغيرهما الحق من ربك فلا تكونن من الممترين آية
الامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار قال الاعشى تدر
على اسوق الممترين ركضا اذا ما السحاب ارجحن يعنى الشاكين فى درها
لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب العين المرى
مسحك ضرع الناقة تمريها بيدك لتسكن للحلب والريح تمرى السحاب
مريا والمرية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتمارى و المماراة
والمراء الجدال واصل الباب الاستدرار يقال بالشكر تمترى النعم اى
تستدر الحق مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف وتقديره ذلك
الحق او هو الحق ومثله ومررت برجل كريم زيد اى هو زيد ولو نصب
لجاز فى العربية على تقدير اعلم الحق من ربك او اقرأ الحق والنون فى
لا تكونن نون التاكيد يؤكد بها الامر والنهى ولا يؤكد بها الخبر لما
كان الخبر يدل على كون المخبر به وليس كذلك الامر والنهى والاستخبار
فالزم الخبر التاكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون
التاكيد ليدل على اجتلاب المعنى فى المؤكد ولما كان الخبر اصل الجمل
اكد بابلغ التاكيد وهو القسم هو الحق من ربك وهو ما اتيته الله
من الوحى والكتاب والشرائع فلا تكونن من الممترين من الشاكين
فى الحق الذى تقدم اخبار الله تعالى به وفى عناد من كتم النبوة و
امتناعهم من الاجتماع على ما قامت الحجة وقيل من الممترين فى شىء

يلزمك العلم به وهذا اولى لانه اعم والخطاب وان كان متوجها
الى النبى صلى الله عليه واله فالمراد به الامة كقوله عز اسمه يا ايها النبى
اذا طلقتم النساء وامثاله وقيل الخطاب له لانه انما لا يجوز عليه
ذلك لملازمته امر الله سبحانه ولو لم يكن هناك امر لم تصح الملازمة
وفى هذا دلالة على جواز ثبوت القبلة على خلاف المعلوم خلافا لقول
المجبرة وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ
أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية
قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم هو مولاها وروى ذلك
عن ابن عباس ومحمد بن على الباقر عليه السلم والباقون موليها
من قرأ موليها فالضمير الذى هو هو لله تعالى والتقدير الله موليها اياه
حذف المفعول الثانى لجرى ذكره المظهر وهو كل فى قوله ولكل وجهة وهو
مبتدأ وموليها خبره والجملة التى هى موليها فى موضع رفع لكونها وصفا
لوجهة ومن قرأ مولاها فالضمير الذى هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد
استوفى الاسم الجارى على الفعل المبنى للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما
احدهما الضمير المرفوع من مولى والاخر ضمير المؤنث ويجوز ان يكون الضمير
الذى هو هو فى قوله هو موليها عائدا الى كل والتقدير ولكل وجهة اى كل
اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة واختلف
اهل العربية فى وجهة فبعضهم يذهب الى انه مصدر شذ عن القياس
فجاء مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على اصله ولو انه
كان مصدرا لجاء مصححا للزم ان يجئ فعله ايض مصححا الا ترى ان هذا
المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا عمله وكان على حركاته وسكونه

تلو

فلو صح ليصح الفعل لان هذه الافعال المعتلة اذا صحت فى موضع تبعها باقى
ذلك فوجهة اسم للمتوجهة والجهة المصدر قالوا وجه الحجر جهة ما له يريدون هنا
المصدر وما زائدة وله فى موضع الصفة للنكرة والاستباق والابتدار و
الاسراع نظائر وله فى هذا الامر سبقة وسابقة وسبق اى سبق الناس
اليه هذا بيان لامر القبلة ايض وقوله ولكل وجهة فيه اقوال احدها
ان معناه ولكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبلة عن مجاهد واكثر من
المفسرين وثانيها ان لكل نبى وصاحب ملة وجهة اى طريقة وهى الاسلام
وان اختلفت الاحكام كقوله سبحانه لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
يعنى شرائع الانبياء عن الحسن وثالثها ان لكل من المسلمين واهل الكتاب
قبلة يعنى صلوتهم الى بيت المقدس وصلوتهم الى الكعبة عن قتادة و
رابعها ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها
او عن يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائى هو موليها اى الله موليها
اياهم ومعنى توليته لهم اياها انه امرهم بالتوجه نحوها فى صلوتهم اليها
انه امرهم بالتوجه نحوها فى صلوتهم اليها ويدل على ذلك قوله فلنولينك
قبلة ترضيها وقيل معناه لكل مولى الوجهة وجهه او نفسه الا انه استغنى
عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجموع المعنى فهو موحد اللفظ فجاء
البناء على لفظه فلذلك قال هو فى الكناية عنه وان كان المراد به الجمع
المعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله فاستبقوا
الخيرات معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هى الطاعات
لله وقيل معناه بادروا الى المقبول من الله العز والاجل فيما يامركم به
مبادرة من يطلب السبق اليه عن الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيها

رغبتكم فيه من الخير فلكل عندى ثوابه عن ابن عباس وقوله اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا اى حيث ما متم من بلاد الله سبحانه يأت بكم الله الى المحشر يوم القيمة
وروى فى اخبار اهل البيت عليه السلام ان المراد به اصحاب المهدى فى اخر
الزمان قال الرضا عليه السلم وذلك والله ان لو قام قائمنا يجمع الله تعالى
اليه جميع شيعتنا من جميع البلدان ان الله على كل شئ قدير اى هو قادر على
جمعكم وحشركم وعلى كل شئ **ومن حيث خرجت فول وجهك**
شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
اية ومن حيث خرجت من البلاد فول وجهك شطر المسجد
الحرام اى فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وقيل فى تكراره وجوه
احدها انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التاكيد والتبيين
لينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الاولى على يقين وثانيها انه
مقدمة لما ياتى بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذى يكرر ليخبر عنه باخبار
كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل وما اشبه ذلك مما يذكر لتعلق
الفايدة به وثالثها انه فى الاول بيان لحال الحضر وفى الثانى بيان الحال
السفر وقوله انه للحق من ربك معناه وان التوجه الى الكعبة الحق المامور
من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذى لا يزول بنسخ كما وصف
القديم سبحانه بانه الحق اى الثابت الذى لا يزول وما الله بغافل عما
تعملون معناه هنا التهدد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى على ما انتم
فيه ومثله قوله ان ربك لبالمرصاد **ومن حيث خرجت**
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم

فلا

فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون اية
لئلا يكون هولان لا كتب الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وترك
نافع همزها تخفيفا وادغمت النون فى اللام وموضع اللام من لئلا نصب والعامل
فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك
لئلا يكون وكذلك قوله ولاتم نعمتى اللام تتعلق بقوله فولوا وتقديره
لان اتم وقوله الا الذين ظلموا فيه اقوال احدها انه استثناء منقطع كقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويقال ما له على حق الا التعدى والظلم
يعنى لكنه يتعدى ويظلم قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتاب فكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا
وليس بهذا بعيب فاذا ليس فيهم عيب وهكذا فى الاية ان كان على
المؤمنين حجة فللظالم حجة فاذا ليس عليهم حجة والثانى ان تكون الحجة
بمعنى المحاجة فكانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا
فانهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا والثالث
ما قاله ابو عبيده ان الا ههنا بمعنى الواو اى ولا الذين ظلموا وانكره عليه
الفراء والمبرد قال الفراء الواو لا ياتى بمعنى الا من غير ان يتقدمه استثناء
كما قال الشاعر ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا
اى الا دار الخليفة ودار مروان وانشد الاخفش دارى لها دارا
باعذة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه
الرياح خوالد سحم اى لها دارا ورمادا وقال المبرد لا يجوز ان يكون
الا بمعنى الواو اصلا والرابع ان فيه اضمارا على وتقديره الا على الذين
ظلموا منهم فكانه قيل لئلا يكون عليكم حجة الا على الذين ظلموا فانه يكون الحجة

عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهرى قال على بن عيسى او
هذان الوجهان بعيدان والاختيار القول الاول قد مضى الكلام
فى معنى اول الاية وقيل فى تكراره وجوه احدها انه لاختلاف المعنى وان
اتفق اللفظ لان المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا عن التوجه الى
بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام والمراد بالثانى اين كنت
من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار وثانيها
انه من مواضع التاكيد لما جرى من النسخ ليثبت فى القلوب وثالثها
انه لاختلاف المواطن والاوقات التى تحتاج الى هذا المعنى فيها وقوله
لئلا يكون على الناس عليكم حجة قيل فيه وجوه اولها ان معناه لئلا
يكون لاهل الكتاب عليكم حجة اذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا
ليس هذا هو النبى المبشر به اذ ذاك نبى يصلى بالقبلتين وثانيها
ان معناه لا تعدلوا عما امركم الله به من التوجه الى الكعبة فيكون لهم
عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله لما عدلتم عنه عن
الجبائى وثالثها ما قاله ابو روق ان حجة اليهود انهم كانوا قد
عرفوا ان النبى المبعوث فى اخر الزمان قبلته الكعبة فلما راوا محمدا
يصلى الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لئلا يكون
لهم عليهم حجة الا الذين ظلموا منهم يريد الا الظالمين الذين يكتمون
ما عرفوا من انه يحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا
وقد مضى ذكر ما فيه من الاقوال فى الاعراب وانما اختلف العلماء
فى وجه الاستثناء لان الظالم لا يكون له حجة لكنه يورد ما هو فى
اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال سبحانه حجتهم داحضة وقيل

المراد

المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم اننا على هدى
فرجع الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا
عن علم وانما فعله برايه وزعم انه قد امر به وقيل المراد بالذين ظلموا
العموم يعنى ظلمكم بالمقاتلة وقلة الاستماع وقوله فلا تخشوهم واخشون
قوم لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحاجة طيب هو المؤمنين فقال لا تخا
ولا تلتفتوا الى ما يكون معهم فان عاقبة السوء عليهم ولا حجة لاحد
منهم عليكم ولا يدا وقيل لا تخشوهم فى استقبال الكعبة واخشوا
عقابى فى ترك استقبالها فانى احفظكم من كيدهم وقوله ولاتم
نعمتى عليكم عطف على قوله لئلا وتقديره لئلا يكون لاحد عليكم حجة
ولاتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابرهيم عليه السلام بين
سبحانه حول القبلة لهذين الغرضين زوال القال وتمام النعمة
وروى عن ابن عباس انه قال ولاتم نعمتى عليكم فى الدنيا والاخرة
فانصركم على اعدائكم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما فى الاخرة
فجنتى ورحمتى وروى عن على عليه السلام قال النعم ستة الاسلام
والقران ومحمد صلى الله عليه واله والستر والعافية والغنى عما فى
ايدى الناس ولعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا ولعل من الله واجب
عن الحسن وجماعة وقيل لتهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها
قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم
اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اية الارسال التوجيه
بالرسالة والتحميل لها لتودى الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد

الكلمة على نظام متسق واصله من الابتاع ومنه تلاه اى تبعه والتزكية
النسبة الى الازديا د من الافعال الحسنة التى ليست عتوبه ويقال ايضا
على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه يقال زكى فلان
فلانا اذا اطراه ومدحه وزكاه حمله على ما له فيه الزكاء والنماء او الطهارة
والقدس والحكمة هى العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة

ما فى قوله كما ارسلنا مصدرية فكانه قال كارسالنا فيكم ويحتمل ان
يكون كانه كما قال الشاعر اعلاقة ام الوليد بعدما افنان راسك
كالثغام المخلس فانه يجوز كما زيد محسن اليك فاحسن الى السابة و
العامل فى الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذى قبله وهو قوله
ولاتم نعمتى عليكم فعلى هذا لا يوقف عند قوله ولعلكم تهتدون
ويكون الوقف عند قوله ما لم تكونوا تعلمون ويجوز ان يكون الفعل
الذى بعده وهو قوله فاذكرونى اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله
تهتدون ويبتدى بقوله كما ارسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون
والاول احد قولى الزجاج واختيار الجبائى والثانى قول مجاهد والحسن
واحد قولى الزجاج وقوله منكم فى موضع نصب لانه صفة لقوله رسولا
وكذلك قوله يتلو وما بعده فى موضع الصفة   قوله كما ارسلنا
التنبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة فى امر القبلة كالنعمة بالرسالة
لان الله تعالى لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة
واما على القول الثانى فمعناه ان فى بعثة الرسول منكم اليكم نعمة عليكم
لانه يحصل لكم به عز الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة
فاذكرونى واشكروا لى واعبدونى انعم عليكم بالجزاء والثواب والخطاب و

للعرب

للعرب على قوله المفسرين وقوله رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
منكم بالنسب لانه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما
لهم به من الشرف والذكر وان العرب لم تكن لتتبع رسولا بعث اليهم
من غيرهم مع نخوتهم وعزتهم فى نفوسهم فيكون الرسول منهم
ادعى لهم الى الايمان واتباعه وقوله يتلوا عليكم آياتنا اراد بها القرآن
ويزكيكم ويعرضكم لما تكونون به ازكياء من الامر بطاعة الله تعالى
واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه ينسبكم الى انكم ازكياء بشهادته
لكم بذلك ليعرفكم الناس به ويعلمكم الكتاب والحكمة الكتاب القرآن
والحكمة هى القرآن ايضا جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما كما يقال
الحكمة	الله العالم بالامور كلها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القرآن وبا
الوحى من السنة وما لا يعلم الا من جهته من الاحكام وقوله ويعلمكم ما
لم تكونوا تعلمون اى ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكرهم الله
بالنعمة فيه ويكون التعلم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه و
لا سيما اذا وقع موقع اللطف   فاذكرونى اذكركم واشكروا
لى ولا تكفرون آية   الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون
ستعمال	بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفى اكثر الا
يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب الا يكون الا بعد نسيان
لان كل من حضره المعنى بالقول او العقد او الخطور بالبال ذاكر له و
اصله التنبيه على الشئ فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه واذا ذكر
بنفسه فقد تنبه عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر
والخاطر هو بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفى قوله واشكروا

الى محذوف اى اشكروا لى نعمتى لان حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة
وفى قوله ولا تكفرون ايضا محذوف لان الكفر هو ستر النعمة وجحدها
لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذممته لا حذف فيه وان كنت
انما تمدح او تذم من اجل الفعل كما انه ليس فى قولك زيد متحرك حذف
وان كان انما تحرك لاجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور
يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب
وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على انه محسن والذم دلالة على انه
مسيء كقولهم نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا شكرتك وشكرت
لك وانما قيل شكرتك لايقاع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل
بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة لان الاصل فى الكلام قال
الشاعر هم جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم تقابل
ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وذكرنا الوجه فى حذف الياء فى
مثل ولا تكفرون فيما مضى فاذكرونى اذكركم قيل معناه اذكرونى
بطاعتى اذكركم برحمتى عن سعيد بن جبير بيانه قوله سبحانه واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وقيل اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى عن ابن
عباس وبيانه قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل
اذكرونى بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان وبيانه قوله لئن شكرتم
لازيدنكم وقيل اذكرونى على ظهر الارض اذكركم فى بطنها وقد جاء بالدعاء
اذكرونى عند البلاء اذا نسينى الناسون من الورى وقيل اذكرونى
فى الدنيا اذكركم فى العقبى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء اذكركم فى الشدة
والبلاء وبيانه قوله سبحانه فلولا انه كان من المسبحين للبث فى

بطنه

بطنه الى يوم يبعثون وفى الخبر تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة
وقيل اذكرونى بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله ادعونى استجب لكم
وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم قال قال النبى صلى الله عليه واله
ان الملك ينزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل
ابن ادم فاعملوا فى اولها خيرا وفى اخرها فان الله يغفر لكم ما بين ذلك
ان شاء الله تعالى فان الله يقول اذكرونى اذكركم وقال الربيع
فى هذه الاية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزايد من شكره و
معذب من كفره وقوله واشكروا لى اى اشكروا نعمتى واظهروها
واعترفوا بها ولا تكفرون اى ولا تستروا نعمتى بالجحود يعنى بالنعمة
قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
الذين امنوا موضعه رفع بانه صفة لاى كما ان الناس
كذلك فى قوله تعالى يا ايها الناس وقد ذكرناه فيما مضى وهو
قول جميع النحويين الا الاخفش فانه يرفعه بانه خبر مبتدا محذوف
كانه قيل ما هم الذين امنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اى وانما
حمله على ذلك لزوم البيان فقال الصفة لا تلزم وانما تلزم الصلة
قال على بن عيسى والوجه عندى ان يكون صفة بمعنى الصلة فى
اللزوم وقد ذكرنا الوجه فى لزومها ايضا عند قوله سبحانه يا ايها
الناس اعبدوا ربكم وقال ابو على لا يجوز ان يكون اى فى النداء موصولة
لانها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربع
ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لان ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء

الموصولة فى موضع ولجاز ايض ان يقال يا ايها الرجل لان خبر المبتداء
لا يجوز ان يكون مقصودا على المعرفة بالالف واللام ولا يغتر عنه وفى
امتناع جميع النحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول
وايض فلو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتداء المحذوف من
الصلة وكان يجوز يا ايها هو الرجل ويا ايتها هى المراة ولا خلاف
فى انه لا يجوز ذلك   قد مضى تفسير قوله تعالى استعينوا
بالصبر والصلوة فيما مضى يخاطب المومنين فيقول استعينوا بالصبر
اى بحبس النفس عما يشتهيه من المقبحات وحملها على ما تنفر عنه من
الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المومنين عليه السلم فى قوله الصبر
صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب وبالصلوة لما فيها من
الذكر والخشوع لله وتلاوة القرآن الذى يتضمن ذكر الوعد والوعيد
والهدى والبيان وما هذه صفته يدعو الى الحسنات ويزجر عن
السيئات واختلف فى الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات
فكانه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من الطاعات
وقيل على الجهاد فى سبيل الله وقوله ان الله مع الصابرين فيه وجهان
احدهما ان معناه انه معهم بالمعونة والنصرة كما قال السلطان
معك فلا تبال من لقيت والاخر ان المراد هو معهم بالتوفيق و
التسديد اى يسهل عليهم اداء العبادات والاجتناب عن المقبحات
ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يجوز ان
يكون مع هنا بمعنى الاجتماع فى المكان لان ذلك من صفات الاجسام
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفى الآية دلالة على ان فى الصلوة

لطفا

لطفا للعبد لانه سبحانه امرنا بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر   ولا تقولوا لمن
يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون
اية   السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد
سبيل الله لانه طريق الى ثواب الله عز وجل والقتل هو نقض بنية
الحيوة والموت عند من قال انه معنى عرض ينافى الحيوة منافاة التغا
ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحيوة وهو واضح فاما
الحيوة فلا خلاف فى انها معنى وهى عرض يصير الجملة كالشى الواحد
حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا مريدا واحدا ولا يقدر على فعل
الحيوة الا الله سبحانه والشعور هو ابتداء العلم بالشى من جهة المشاعر
وهى الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بانه شاعر لدقته ومنه الشاعر
لانه يفطن من اقامة الوزن وحسن الوزن لما لا يفطن له غيره
قوله اموات مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف تقديره لا تقولوا هم اموات
ولا يجوز فيه النصب كما تقول قلت حسنا لان حسنا فى موضع المصدر
كانه قال قلت قولا حسنا فاما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب
فى العربية على تقدير نطيع طاعة والفرق بين بل ولكن نفى لاحد الشيئين
واثبات للاخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لانها
اضراب عن الاول واثبات للثانى ولذلك وقعت فى الايجاب كقولك
قام زيد بل عمرو   عن ابن عباس انها نزلت فى قتلى بدر و
قتل من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين و
ثمانية من الانصار وكانوا يقولون مات فلان فانزل الله تعالى

ولا بانه ينتصر وانما يوصف بانه عالم ويعلم وقيل ان الشعور
هو ادراك ما دق للطف الحس ماخوذ من الشعر

هذه الاية لما امر الله سبحانه بالصبر والصلوة للازدياد
فی القوة بهما علی الجهاد قال ولا تقولوا لمن يقتل فی سبيل الله اموات
فنهی ان يسمی من قتل فی الجهاد امواتا بل احياء ای بل هم احياء و
قيل فيه اقوال احدها وهو الصحيح انهم احياء علی الحقيقة الی ان تقوم
الساعة وهو قول ابن عباس وقتاده ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمرو
بن عبيد وواصل بن عامر عطا واختاره الجبائی والرمانی وجميع
المفسرين والثانی ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون
نفوسهم فی الحروب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فاعلمهم الله
انه ليس الامر علی ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيمة ويثابون
عن البلخی ولم يذكر ذلك غيره والثالث معناه لا تقولوا هم اموات
فی الدين بل هم احياء بالطاعة والهدی ومثله قوله سبحانه او من
كان ميتا فاحييناه فجعل الضلال موتا والهداية حيوة عن الاصم
والرابع ان المراد انهم احياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء كما روی عن مولانا
امير المؤمنين عليه السلم من قوله هلك خزان الاموال والعلماء باقون
ما بقی الدهر اعيانهم مفقودة واثارهم فی القلوب موجودة والمعتمد
هو القول الاول لان عليه اجماع المفسرين ولان الخطاب للمؤمنين
وكانوا يعلمون ان الشهداء علی الحق والهدی وانهم يحشرون ويحيون
يوم القيمة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث انهم
كانوا يشعرون ذلك ويقرون ولان حمله علی ذلك يبطل فائدة
تخصيصهم بالذكر ولو كانوا ايضا احياء بما حصل لهم من جميل الثناء
لما قيل ايضا ولكن لا تشعرون لانهم كانوا يشعرون ذلك ووجه التخصيص

الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكون احياء
فی البرزخ انه علی جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما
يختصون به من انهم يرزقون كما فی الاية الاخری يرزقون فرحين
بما اتيهم الله من فضله فان قيل فنحن نری جثث الشهداء مطروحة
علی الارض لا تتصرف ولا نری فيها شيئا من علامات الاحياء فالجواب
ان علی مذهب من يقول بالانسان من اصحابنا ان الله تعالی
يجعل لهم اجساما كاجسامهم فی دار الدنيا يتنعمون فيها دون
اجسامهم التی فی القبور فان النعيم والعذاب انما يحصل عنده
الی النفس التی هی الانسان المكلف عنده دون الجثة ويؤيد ذلك
ما رواه الشيخ ابو جعفر فی كتاب تهذيب الاحكام مسندا الی علی
بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن احمد عن يونس بن ظبيان
قال كنت عند ابی عبد الله جالسا فقال ما تقول الناس فی ارواح
المؤمنين قلت يقولون فی حواصل طير خضر فی قناديل تحت العرش
فقال ابو عبد الله عليه السلم سبحان الله المؤمن اكرم علی الله ان
يجعل روحه فی حوصلة طاير اخضر يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالی
صير روحه فی قالب كقالبه فی الدنيا فياكلون ويشربون فاذا
قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التی كانت فی الدنيا وعنه
عن ابن ابی عمير عن حماد بن ابی بصير قال سألت ابا عبد الله عليه
السلم عن ارواح المؤمنين فقال فی الجنة علی صور ابدانهم لو رايته
لقلت فلان فاما علی مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان
هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد فی مخارق الحيوان

الانسان لا يمكن ان صح

وهو اجزاء الجوف فالقول انه يلطف اجزاء من اجزاء السمن فى كون يكون
الحى حيا باقل منها يوصل اليها النعيم وان لم تكن تلك الجملة بكمالها
لانه لا معتبر الاطراف واجزاء السمن فى كون الحى حيا فان الحى لا يخرج
بمفارقتها من كونه حيا وربما قيل بان الجثة يجوز ان تكون مطروحة
فى الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليها اللذات كما ان النائم حى وتصل
اليه اللذات مع انه لا يحس ولا يشعر بشى من ذلك فيرى فى النوم
ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود ان يطول نومه فلا ينتبه
وقد جاء فى الحديث انه يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة العروس
وقوله ولكن لا تشعرون اى لا تعلمون انهم احياء وفى هذه الاية
دلالة على صحة مذهبنا فى سوال القبر واثابة المومن فيه وعقاب
العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البلخى الاية على حيوة
الحشر لانكاره عذاب القبر   وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ
الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ اية   البلاء الاختبار ويكون بالخير
والشر والخوف انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد
الشبع وهو المخمصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة
الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى فى القلب
لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند ابى
على الجبائى وهو فعله تعالى وعند ابى هاشم ليس بمعنى وهكذا
القول فى العطش والرى والنقص نقيض الزيادة والنقصان
يكون مصدرا واسما ونقص الشى ونقصته لازم ومتعد ودخل

عليه

عليه نقص فى عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة
فى الناس والنقيصة انتقاص الحق وتنقصه تناول عرضه واصل
النقص الحط من التمام والمال معروف واموال العرب انعامهم ورجل
مال اى ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة   فتحت الواو
فى لنبلونكم كما فتحت الراء فى لتنصرنكم وهو انه بنى على الفتحة لانها اخف
اذا استحق البناء على الحركة كما استحق ما حكم فى النداء البناء على الحركة
من الخوف والجوع والجار والمجرور صفة شى   لما بين سبحانه
ما كلف عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتحنهم به فنون
المشقات فقال ولنبلونكم اى لنختبرنكم ومعناه نعاملكم معاملة
المختبر ليظهر المعلوم منكم والخطاب لاصحاب النبى صلى الله عليه
واله عن عطاء والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا
صحيحا بشى من الخوف والجوع ونقص من الاموال اى بشى من الخوف
وشى من الجوع وشى من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف
على وجه التبعيض لانه لم يكن مويدا والتماعر فهم سبحانه ذلك
ليوطنوا انفسهم على المكاره التى تلحقهم فى نصرة النبى صلى الله عليه و
اله لما لهم فيها من المصلحة فاما سبب الخوف فكان قصد المشركين
لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد فى سبيل الله عن المعاش
واحتياجهم الى الانفاق فيه وقيل للقحط الذى لحقهم والجدب الذى
اصابهم وسبب نقص الاموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة ونقص
الانفس بالقتل فى الحروب مع رسول الله صلى الله عليه واله وقيل
نقص الاموال بهلاك المواشى والانفس بالموت وقوله والثمرات

قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالجوائح وقلة النبات وارتفاع البركات
وقيل اراد به الاولاد لان الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لاشتغالهم
بالقتال عن عمارة البستان وعن مناكحة النسوان فيقل غرس البساتين
وحمل البنات والبنين ووجه الابتلاء بهذه الاشياء ما يقتضيه
الحكمة من الالطاف ودقائق المصالح والاغراض ويدخره سبحانه
لهم مما يرضيهم به من جلائل الاعواض وقيل في وجه اللطف في ذلك
قولان احدهما ان من جاء من بعدهم اذا اصابهم مثل هذه الامور علموا
انه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجة وحط رتبة فانه قد اصاب
من ذلك هو اعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وآله و
الاخر ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرة
الرسول وموافقته وينالهم هذه المكاره فلا يتغيرون في قوة البصيرة
ونقاء السريرة علموا انهم انما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين و
كونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول
الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله وبشر الصابرين اى
اخبرهم بما لهم على الصبر في تلك المشاق والمكاره من المثوبة الجزيلة
والعاقبة الجميلة الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ابان
اما الكسائي في بعض الروايات امال النون من انا
واللام من لله والباقون بالتفخيم وانما جازت الامالة في
هذه الالف مع اسم الله لكسرة مع كثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة

الكلمة الواحدة قال الفراء لا يجوز امالة انا مع غير اسم الله تعالى في مثل
قولك انا لزيد وانما لم يجز ذلك لان الاصل في الحروف وما جرى
مجريها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه ذلك
لان الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي
يكون في الاسماء والافعال المصيبة المشقة الداخلة على
النفس لما يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كانها تصيبها بالنكبة
والرجوع مصير الشيء الى ما كان يقال رجعت الدار الى فلان اذا ملكها
مرة ثانية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق
ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة
اى نالتهم نكبة في النفس والمال فوطنوا انفسهم على ذلك احتسابا
للاجر قالوا انا لله هذا اقرار بالعبودية اى نحن عبيد الله وملكه و
انا اليه راجعون هذا اقرار بالبعث والنشور اى نحن الى حكمه نصير
ولهذا قال امير المؤمنين علي عليه السلام ان قولنا انا لله اقرار على
انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك
وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من الدلالة
على ان الله تعالى يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها ان
كانت ظلما وتقديره انا لله تسليما لامره ورضاه بتدبيره وانا
اليه راجعون ثقة بانا نصير الى عدله وانفراده بالحكم في اموره و
في الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن
عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه قال عليه السلام من اصيب بمصيبة
فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر

مثل يوم اصيب وروى الصادق عليه السلم عن ابائه عن النبي صلى الله
عليه واله قال اربع كن من فيه كتبه الله من اهل الجنة من كانت
عصمته شهادة ان لا اله الا الله ومن اذا انعم الله عليه النعمة قال
الحمد لله ومن اذا اصاب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته
مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون وقوله اولئك اشارة الى
الذين وصفهم من الصابرين عليهم صلوات من ربهم اى ثناء جميل
من ربهم وتزكية وهو بمعنى الدعاء لان الثناء يستحق دائما ففيه
معنى اللزوم وكما ان الدعاء يدعى به مرة بعد مرة ففيه بمعنى اللزوم
وقيل بركات من ربهم وقيل مغفرة من ربهم ورحمة اى نعمة عاجلا
واجلا فالرحمة النعمة على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمة الله في دنياه
وعقباه واولئك هم المهتدون اى المصيبون طريق الحق في
الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب وكان عمر بن الخطاب اذا قرأ
هذه الاية قال نعم العدلان ونعمت العلاوة ان الصفا
والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح
عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم
قرأ اهل الكوفة غير عاصم من يطوع بالياء وتشديد الطاء
والواو وكذلك ما بعده ووافقهم زيد ورويس عن يعقوب في
الاول والباقون تطوع على انه فعل ماض وروى في الشواذ عن علي
عليه السلم وابن عباس وانس وسعد بن جبير وابي بن كعب وابن
مسعود الا يطوف بهما يمكن ان يكون لا على هذه القراءة زائدة
كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليعلم وكقوله من غير

عصف ولا اصطراف اى من غير عصف يطوع تقديره يتطوع الا انه
ادغم التاء في الطاء لتقاربهما الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ
من الصفو واحده صفاة قال امرؤ القيس لها كفل كصفاة المسيل
ابرز عنها جحاف مضر فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل
ان الصفا واحد قال المبرد الصفا كل حجر لا يخلطه غيره من طين او تراب
وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو ولانك
تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز امالته والمروة في الاصل الحجارة
الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمرو لغة في المروة وقيل
هو جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذويب حتى كاني للحوادث مروة بصفا
المشرق كل يوم يقرع والمرو نبت واصله الصلابة فالنبت انما
سمي بذلك لصلابة بزره وقد صارا اسمين لجبلين معروفين
بمكة والالف واللام فيهما للتعريف لا للجنس والشعائر المعالم
للاعمال شعائر الله معالم التى جعلها مواطن العبادة وكل معلم العبادة
من دعاء او صلوة او غيرهما فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر
شعيرة فشعائر الله اعلام متعبداته من موقف او مسعى او منحر من
شعرت به اى علمت قال الكميت نقتلهم جيلا فجيلا تراهم شعائر
قربان بهم يتقرب والحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار
وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام
والطواف والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك قال الشاعر
واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا
يعني يكثرون التردد اليه لسودده والعمرة في الزيادة اخذ من العمارة

لان الزاير يعمر المكان بزيارته وهى فى الشرع زيارة البيت بالعمل المشروع
والجناح الميل عن الحق يقال جنح اليه جنوحا اذا مال واجنحته فاجتنح
اى املته فمال وجناحا الطاير يداه ويدا الانسان جناحاه وجناحا
العسكر جانباه والطواف الدوران حول الشئ ومنه الطائف
وفى عرف الشرع الدور حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة
الدايرة ويطوف اصله يتطوف ومثله يطوع والفرق بين الطاعة
والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة فى الفريضة والنافلة والتطوع
التبرع بالنافلة خاصة واصلهما من الطوع الذى هو الانقياد و
الشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بانه شاكر مجازا وتوسعا
لانه فى الاصل هو المظهر للانعام عليه والله يتعالى عن ان يكون عليه
نعمة لاحد   قوله من حج ومن تطوع يحتمل امرين احدهما
ان يكون من موصولا بمنزلة الذى والاخر ان يكون للجزاء فان كان
موصولا فلا موضع للفعل الذى بعده وهو مع صلته فى موضع رفع
بالابتداء والفاء على هذا مع ما بعده فى قوله فلا جناح عليه فان الله
شاكر فى موضع رفع بانه خبر المبتداء الموصول وان كان للجزاء كان
الفعل بعده فى موضع جزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضا فى موضع
جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم الذى هو جزاء والفعل الذى هو حج
او تطوع على لفظ الماضى والتقدير به المستقبل وكما ان ذلك فى قولك
ان اكرمتنى اكرمتك كذلك وقوله فان الله شاكر انما يصح ان يقع
موقع الجزاء او موقع خبر المبتداء وان لم يكن فيه ضمير عايد لان تقديره
فان الله يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافات

وانما

وانما دخلت الفاء فى خبر المبتداء وان لم يكن الموصول لما فيه من معنى
الجزاء وان لم يكن فى موضع الجزم الا ترى ان هذه الفاء تؤذن بان
الثانى وجب لوجوب الاول   لما ذكر سبحانه امتحانه العباد
بالتكليف والالزام مرة وبالمصايب والالام اخرى ذكر سبحانه ان
من جملة ذلك امر الحج فقال ان الصفا والمروة من شعاير الله اى
انهما من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعاته عن ابن
عباس وقيل من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف
بين الصفاء والمروة من شعاير الله وروى عن جعفر الصادق عليه السلم
انه قال نزل ادم على الصفا ونزلت حوا على المروة فسمى الصفا باسم ادم
المصطفى وسميت المروة باسم المراة وقوله فمن حج البيت اى قصده
بالافعال المشروعة او اعتمر اى اتى بالعمرة بالمناسك المشروعة وقوله
فلا جناح عليه ان يطوف بهما قال الصادق عليه السلم كان المسلمون
يرون ان الصفا والمروة مما ابتدع اهل الجاهلية فانزل الله هذه
الاية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب او طاعة
على الخلاف فيه لانه كان على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة
صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج
المسلمون عن الطواف بهما لاجل الصنمين فانزل الله تعالى هذه الاية
عن الشعبى وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى
تحرجهم عن الطواف بهما لاجل الصنمين لا الى عين الطواف كما لو كان
الانسان محبوسا فى موضع لا يمكنه الصلوة الا بالتوجه الى ما يكره
التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليكم فى الصلوة

الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلوة لان عين الصلوة
واجبة وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان وروى برواية اخرى عن
ابي عبد الله عليه السلم انه كان ذلك فى عمرة القضاء وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وآله شرط عليهم بان يرفعوا الاصنام فتشاغل رجل من
اصحابه حتى اعيدت الاصنام فجاؤا الى رسول الله فقيل له ان فلانا لم
يطف وقد اعيدت الاصنام فنزلت هذه الاية فلا جناح عليه ان
يطوف بهما اى والاصنام عليهما قال وكانوا يسعون والاصنام على
حالها فلما حج النبى صلى الله عليه وآله رمى بها وقوله ومن تطوع خيرا فيه
اقوال اولها ان معناه من تبرع بالطواف والسعى بين الصفا والمروة
بعد ما ادى الواجب من ذلك عن ابن عباس وغيره وثانيها ان معناه
من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم وثالثها
ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع الطاعات عن الحسن ومن قال
ان السعى ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعى بين الصفاء والمروة
وقوله فان الله شاكر عليم اى مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشاكر
تلطفا بعباده ومظاهرة فى الاحسان والانعام اليهم كما قال من ذا
الذى يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا يستقرض عن عوز ولكنه
ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اى يعامل عباده معاملة المستقرض
من حيث ان العبد ينفق فى حال غناه فياخذ اضعاف ذلك فى
حال فقره وحاجته فكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكر
من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمى نفسه شاكرا وقوله
عليم اى بما تفعلوا به من الافعال فيجازيكم عليها وقيل عليم بقدر

الجزاء

الجزاء فلا يبخس احدا حقه وفى هذه الاية دلالة على ان السعى بين الصفا
والمروة عبادة ولا خلاف فى ذلك وهو عندنا فرض واجب فى الحج وفى
العمرة وبه قال الحسن وعايشة وهو مذهب الشافعى واصحابه وقال
ان السنة اوجبت السعى وهو قوله صلى الله عليه وآله كتب عليكم
السعى ذلك فاما ظاهر الاية فانما يدل على اباحة ما كرهوه من السعى وعند
ابى حنيفة واصحابه هو تطوع وهو اختيار الجبائى وروى عن انس بن
مالك وابن عباس وعندنا وعند الشافعى من تركه متعمدا فلا حج له

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ آية

المعنى بالاية اليهود والنصارى
مثل كعب بن الاشرف وكعب اسيد وابن صوريا وزيد بن التابوه
وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا امر محمد ونبوته وهم يجدونه
مكتوبا فى التورية والانجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كتم ما انزل
الله وهو اختيار البلخى وهو اقوى لانه اعم فيدخل فيه اولئك وغيرهم
ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه
وكتمانه فقال ان الذين يكتمون اى يخفون ما انزلنا من البينات اى
من الحجج المنزلة فى الكتب والهدى اى الدلايل فالاول علوم الشرع والثانى
ادلة العقل فعم بالوعيد فى كتمان جميعها وقيل اراد بالبينات
الحجج الدالة على نبوته صلى الله عليه وآله وبالهدى ما يؤديه الى الخلق
من الشرايع وقيل البينات والهدى هى الادلة وهما بمعنى واحد وانما

كرر لاختلاف لفظيهما من بعدما بيناه للناس فى الكتاب يعنى
التورية والانجيل من صفته صلى الله عليه واله ومن الاحكام وقيل
فى الكتب المنزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما نزلنا من البينات
الكتب المتقدمة وبالكتاب القران اولئك يلعنهم الله اى يبعدهم
من رحمته بايجاب العقوبة ولا يجوز من لا يستحق العقوبة ويلعنهم اللاعنون
قيل الملئكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله سبحانه
عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض و
هوامها تقول منعنا القطر بمعاصى بنى ادم عن مجاهد وعكرمة و
قيل كل شئ سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلاعن
الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فان لم يستحقها واحد منهما
رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله عن ابن مسعود فان قيل
كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع
لا يكون الا للعقلاء قيل لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة
من يعقل كقوله تعالى والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين وانما
اضيف اللعن الى من لا يعقل لان الله تعالى يلهمهم اللعن عليهم لما
فى ذلك من الزجر عن المعاصى لان الناس اذا علموا انهم اذا عملوا
هذه المعاصى استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب والهوام كان
لهم فى ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك فى الاخرة يكمل الله تعالى
عقولها فيلعنهم وفى هذه الاية دلالة على ان كتمان الحق مع الحاجة
الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين و
فعل مثل فعلهم فهو مثلهم فى عظم الجرم ويلزمه كما لزمهم الوعيد و

التوحيد قد روى

التوحيد وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من سئل عن علم
يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعا
الى التوحيد والعدل لان فى كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تاكيدا لما
فى العقول من الادلة   الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم اية   التوبة
هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشئ وذلك بالتحسر على مواقعته
والعزم على ترك معاودته ان امكنت المعاودة واعتبر قوم ترك
المعاودة على مثله فى القبح وهذا اقوى لان الامة اجمعت على سقوط
العقاب عند هذه التوبة وفيما عداها خلاف واصلحوا العمل هو اخلاصه
من قبيح يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذى يمكن به صحة التمييز
من البين الذى هو القطع   موضع الذين نصب على الاستثناء
من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشئ دون
غيره فاذا قلت جاءنى القوم الا زيدا الا راكبا فقد اختصصت زيدا
بانه لم يجئ واذا قلت ما جاءنى الا زيد فقد اختصصته بالمجئ واذا
قلت ما جاءنى زيد الا راكبا فقد اختصصت زيدا بهذه الحال دون
غيرها من المشى والعدو وغيرهما   ثم استثنى الله سبحانه فى
هذه الاية من تاب واصلح وبين من جملة من استحق اللعنة فقال
الا الذين تابوا اى ندموا على ما قدموا واصلحوا نياتهم فيما يستقبل
من الاوقات وبينوا اختلف فيه فقال الاكثر المفسرين بينوا ما
كتموه من البشارة بالنبى صلى الله عليه واله وقيل بينوا التوبة
واصلاح السريرة بالاظهار لذلك فان من ارتكب المعصية سرا

كفاه التوبة سرا ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وقيل
بينوا التوبة باخلاص العمل فاولئك اتوب عليهم اى اقبل توبتهم
والاصل فى اتوب افعل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل
على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظ مشتركا بين فاعل التوبة
والقابل لها للترغيب فى صفة التوبة اذ اوصف بها القابل لها وهو
الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من
الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت
فى اعلى صفات المدح وانا التواب هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة
ما يقبل التوبة واما لانه لا يرد تائبا منيبا اصلا ووصفه سبحانه
نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب
عند التوبة تفضل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله
اصحابنا وانه غير واجب عقلا على ما يذهب اليه المعتزلة فان
قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة اذا كان منعما بسبب كالثواب و
العوض لما كان منعما بالتكليف وبالالام التى يستحق بها الاعواض
جاز ان يطلق عليهما اسم النعمة فالجواب ان ذلك انما قلناه
فى الثواب والعوض لما كان منعما بالتكليف ضرورة ولا ضرورة
ههنا تدعو الى ارتكابه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَ
هُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ابيان واحد الناس انسان فى المعنى
فاما فى اللفظ فلا واحد له فهو كنفر ورهط مما يقال انه اسم للجمع

والخلود

والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود وقتين فصاعدا ولذلك
لم يجز فى صفات الله تعالى خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد
الى قوله اى لزم معنى ما اتى به ومنه قوله ولكنه اخلد الى الارض
اى مال اليها ميل الملازم لها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام
هو الوجود فى الازل ولا يزال فاذا قيل دام المطر فهو على المبالغة و
حقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابدا
والتخفيف هو النقصان من المقدار الذى له والعذاب الالم الذى
له امتداد والانظار الامهال قدر ما يقع النظر فى الخلاص واصل
النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين وكذلك النظر بالقلب
او باليد او بغيرها من الحواس تقول انظر الثوب اين هو اى اطلبه اين
هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون بجزء من الالم
فى الوقت الواحد مقدار ما يتالم به والعذاب الالم الذى له استمرار
فى اوقات ومنه العذب لاستمراره فى الحلق والعذبة لاستمرارها
بالحركة وهم كفار جملة فى موضع الحال واجمعين تاكيد وانما
اكد به ليرتفع الابهام والاحتمال قبل ان ينظر فى تحقيق الاستدلال
ولهذا لم يجز الاخفش رايت احد الرجلين كليهما واجاز رايتهما كليهما
لانك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل ازلت الابهام للفساد
وان ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط فى المقصد وانت لما
ذكرت التثنية فى قولك احد الرجلين وذكرت احدا كنت بمنزلة
من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية فى قولك رايتهما بمنزلة
ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف

من قوله عليهم لأن فيه معنى الاستقرار للعنه وذو الحال الهاء والميم
من عليهم كقولهم عليهم المال صاغرين وقوله فيها الهاء تعود الى اللعنة
فى قول الزجاج والى النار فى قول ابى العالية لا يخفف عنهم العذاب
جملة فى موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تاكيد لضمير فى نعل
مقدر تفسيره هذا الظاهر تقديره ولا هم ينظرون هم لما بين
سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب منهم عقبه بحال من يموت
من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اى وماتوا مصرين على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار
مع ان كل كافر ملعون فى حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط
لان بالموت يفوت التلافى بالتوبة فلذلك شرط سبحانه وبين
ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم وقيل ان هذا
الشرط انما هو فى خلود اللعنة لهم كقوله خالدين فيها اولئك عليهم
لعنة الله اى ابعاده من رحمته وعقابه والملئكة والناس اجمعين
فان قيل كيف قال والناس اجمعين وفى الناس من لا يلعن الكافر
فالجواب من وجوه احدها ان كل احد من الناس يلعن الكافر
اما فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما جميعا كما قال ويوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا عن ابى العاليه وثانيها انه
اراد به المؤمنين كانه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس
عن قتاده والربيع وثالثها انه لا يمتنع احد من لعن الظالمين فيدخل
فى ذلك الكافر لانه ظالم عن السدى واللعنة انما تكون من
الناس على وجه الدعاء ومن الله سبحانه على وجه الحكم وقوله

خالدين فيها اى دائمين فيها اى فى تلك اللعنة عن الزجاج والجبائى
وقيل فى النار لانه كالمذكور لشهرته فى حال المعذبين ولان اللعن
ابعاد من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون فى النار واما
الخلود فى اللعنة فيحتمل امرين احدهما الاستحقاق للعنة بمعنى انها
تحق عليهم ابدا والثانى فى عاقبة اللعنة وهى النار التى لا تفنى ابدا
وقوله لا يخفف عنهم العذاب اى يكون عذابهم على وتيرة واحدة
فلا يخفف احيانا ويشتد احيانا وهم ينظرون اى لا يمهلون
للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون قطعا ولطمعهم
فى التوبة عن ابى العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل
عذابهم حاضر **وإلهكم إله واحد لا إله إلا**
هو الرحمن الرحيم آية الواحد شيء لا ينقسم عددا كان
او غيره ويجرى على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك
جزء واحد فانه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقوله انسان
واحد ودار واحدة فانه لا ينقسم من جهة انه انسان هو من
قوله لا اله الا هو فى موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك
لا رجل الا زيد كانك قلت لبس الا زيد فيما يريد من المعنى اذ لم تعتد
بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيد لان البدل
يدل على ان الاعتماد على الثانى والمعنى ذلك والنصب يدل على ان
الاعتماد فى الاخبار انما هو على الاول والعبارة الواضحة ان هو بدل
من محل آله قبل التركيب فقوله لا اله الا هو اثبات الله سبحانه
وهو بمنزلة قولك الله لا اله وحده وانما كان كذلك لانه الفادر

على ما يستحق به العبادة ولا لم يدل على النفى فى هذا الخبر من قبل
انه لم يدل على اله موجود ولا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول من
ادعى الهة مع الله وانما النفى اخبار بعدم شى كما ان الاثبات اخبار
بوجوده ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا
وانسب لنا ربك فانزل الله تعالى هذه الاية وسورة الاخلاص
والهكم اى خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التى لا يقدر عليها
غيره والذى تحق له العبادة وقال على بن عيسى معنى اله هو المستحق
للعبادة وهذا غلط لانه لو كان كذلك لما كان القديم سبحانه الها
فيما لم يزل لانه لم يفعل فى الازل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا
انه تحق له العبادة انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقوله
اله واحد وصفه سبحانه بانه واحد على اربعة اوجه احدها انه
ليس بذى ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزية والثانى
انه واحد لا نظير له ولا شبيه والثالث انه واحد فى الالهية و
استحقاق العبادة والرابع انه واحد فى صفاته التى يستحقها لنفسه
فان معنى وصفنا الله تعالى بانه قديم انه المختص بهذه الصفة
لا يشاركه فيه غيره ووصفنا استحقاق بانه قادر عالم انه المختص
بكيفية له هاتين الصفتين لان المراد به انه عالم بجميع المعلومات
لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه العجز و
وصفنا بانه حى باق انه لا يجوز عليه الموت والفناء فصار الاختصاص
بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات فكل هذه الصفات
يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره وقوله لا اله

الا الله

الا هو هذه كلمة اثبات الالهية لله تعالى وحده ومعناه هو الاله
وحده واختلف فى هل فيها نفى المثل عن الله سبحانه فقال المحققون
ليس فيها نفى المثل عنه لان النفى انما يصح فى موجود او معدوم والله
عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نفى
المثل المقدر عن الله سبحانه وقوله الرحمن الرحيم بقول لا اله الا هو
لانه بين به سبب استحقاق العبادة على عباده وهو ما انعم
عليهم من النعم العظام التى لا يقدر عليها احد غيره فان الرحمة هى النعمة
على المحتاج اليها وقد ذكرنا معنى الرحمن الرحيم فيما مضى الاية
متصلة بما قبلها وبما بعدها واتصالها بما قبلها كاتصال الحسنة
بالسيئة لتمحو اثرها ويحذر من عواقبها لانه لما ذكر الشرك واحكامه
اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها كاتصال
الحكم بالدلالة على صحته لان ما ذكر فى الاية التى بعدها هى الحجة على صحة
التوحيد ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ
اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ اية قرا حمزة والكسائى الريح
على التوحيد والباقون على الجمع ولم يختلفوا فى توحيد ما ليس فيه
الف ولام وقرا ابو جعفر الرياح على الجمع كل القران الا فى الذاريات
وقرا ابو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم الرياح فى عشرة مواضع

انما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا اله الا هو

في البقرة والاعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم في موضعين
وفاطر والجاثية في خمسة مواضع وقرا نافع اثنا عشر موضعا هذه العشرة
وفي ابراهيم وعسق وقرا ابن كثير في خمسة مواضع البقرة والحجر والكهف
واول الروم والجاثية وقرا الكسائي الرياح في ثلثة مواضع في الحجر وفي
الفرقان واول الروم ووافقه حمزه الا في الحجر قال ابن عباس
الرياح للرحمة والريح للعذاب وروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوي
هذا الخبر قوله سبحانه ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات ويشبه
ان يكون النبي صلى الله عليه واله انما قصد بقوله هذا الموضع وبقوله
لا تجعلها ريحا قوله سبحانه ومن اياته ان يرسل الرياح وفي عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يختص اللفظة في التنزيل بشيء فيكون
اماراته فمن ذلك ان عامة ما جاء في القران من قوله وما يدريك
منهم غير مبين وما كان من لفظ ما ادريك مفسر كقوله وما ادريك
ما الحاقة وما القارعة وما يدريك لعل الساعة قريب قال ابو علي
وتصريف الرياح على الجمع اولى لان كل واحدة من الرياح مثل الاخرى
في دلالتها على التوحيد ومن وحد فانه اراد الجنس كما قالوا اهلك
الناس الدينار والدرهم فاما قوله ولسليمن الريح عاصفة فان كانت
الرياح كلها سخرت له فالمراد به الجنس والكثرة وان كان قد سخرت
له ريح بعينها كان كقوله الرجل وانت تريد العهد واما قوله وفي
عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهي واحدة يدلك عليه قوله فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد

بالدبور فهذا يدل على انها واحدة الخلق هو الاحداث للشيء على
تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله
سبحانه لانه لا احد سوى الله تكون جميع افعاله على ترتيب من غير
احتذاء على مثال وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الوصف بمعنى
الموصوف وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر معنى المخلوق واختلف
اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال
اخرون انما هو على معنى مقدر كقوله وجود وعدم وحدوث وقدم
وهذه الاسماء تدل على مسمى معتمد للبيان عن المعاني المختلفة والا
فالمعنى بها هذا الموصوف في الحقيقة والسموات جمع السماء وكل سقف
سماء غير انه اذا اطلق لم يفهم منه غير السموات السبع وانما جمعت
السموات السبع ووحدت الارض لانه لما ذكر السماء بانها سبع في
قوله فسويهن سبع سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لئلا
يوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الارض مثلهن
وان دل على معنى السبع فانه لم يجر على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ
وايضا فان الارض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز
جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس يجري السموات والبياض لان
احدهما يجري الجنس المتفق لانه دبر في كل سماء امرها التدبير الذي هو
حقها والاختلاف نقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ
من الخلف لان كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة و
قيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لان احدهما
لا يسد مسد الاخر في الادراك والمختلفان ما لا يسد احدهما مسد الاخر

فيما يرجع الى ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار واحدته ليلة مثل
تمرة وتمر والنهار هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر
ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها اى وسعت
وانما جمعت الليل ولم يجمع النهار لان النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء
يقع على القليل والكثير على انه قد جاء جمع النهار نهر على وجه الشذوذ قال
الشاعر لولا الثريدان هلكنا بالضمر ثريد ليل وثريد بالنهر والفلك
السفن يقع على الواحد والجمع والفلك فلك السماء وكل مستدير فلك
قال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم لاطباق
سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب
التدور وما انزل الله من السماء قال قوم يقع السماء على السحاب كان
لان كل شيء علا شيئا فهو سماء له قال علي بن عيسى قيل ان السحاب
بخارات تصعد من الارض وذلك جائز لا نقطع به ولا مانع من صحته
من دليل عقل ولا سمع والسماء السقف قال سبحانه وجعلنا السماء
سقفا محفوظا فالسماء المعروفة سقف الارض واصله من السمو وهو
العلو فالسماء الطبقة العالية على الطبقة السافلة والارض الطبقة
السافلة ويقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقة
وارض لما فوقه الا انه صار ذلك الاسم بمنزلة الصفة الغالبة على السماء
المعروفة وهذا الاسم كالعلم على الارض المعروفة والبحر هو الخرق الواسع
للماء الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة او السرور او ما ادى
اليهما او الى احد منهما والنفع والخير والحظ نظائر وقد تكون المنفعة
بالآلام اذا ادت الى اللذات والاحياء فعل الحياة وحياة الارض

عمارتها

عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات
والبث التفريق وكل شيء بثثته فقد فرقته وسمي الغم بثا لتقسم القلب
والدابة من الدبيب وكل شيء خلقه الله مما يدب فهو دابة وصار
بالعرف اسما لما يركب والتصريف التقليب وصرف الدهر تقلبه
وجمعه صروف والسحاب مشتق من السحب وهو جرك الشيء على
وجه الارض كما تسحب المرأة ذيلها وكل منجر منسحب وسمي سحابا لانجرا ده
في السماء والتسخير والتذليل والتمهيد نظائر يقال سخره الله لفلان
كذا اذا سهله له وسخرت الرجل اي كلفته عملا بلا اجرة وهي السخرة
وسخر منه اذا استهزأ به والرياح اربع الشمال والجنوب والصبا
والدبور من قبل المغرب انشد ابو زيد اذا قلت هذا حين اسلو
يهيجني نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر فاذا جاءت الريح بين الصبا
والشمال فهي النكباء والتي بين الجنوب والصبا الجربياء والصبا هي
هي القبول والجنوب تسمى الازيب وتسمى النعامى والشمال تسمى محوة لا
تنصرف وتسمى مسعا ونسعا وتسمى الجنوب لاقحا والشمال حائلا قال
ابو داود يصف سحابا بالعشي ضحيا اللقح الجنوب فاصحن ينتجن ماء الحيا
قوله اللقح الجنوب اي لالقاح الجنوب وقال زهير جرت سحا فقلت
لها مروعا نوى مشمولة تمنى اللقاء مشمولة اي مكروهة لانهم يكرهون
الشمال لبردها وذهابها بالغيم فصار كل مكروه عندهم مشمولا
لما اخبر الله سبحانه الكفار بان الههم اله واحد لا ثاني له قالوا ما الدلالة
على ذلك فقال الله تعالى ان في خلق السموات والارض اي في انشائهما
مقدرين على سبيل الاختراع واختلاف الليل والنهار كل واحد منهما

يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر على وجه المعاقبة او لاختلافهما
في الجنس واللون والطول والقصر والفلك التي تجري في الجاري السفن
التي تحمل الاحمال بما ينفع الناس خص النفع بالذكر وان كان فيه نفع
وضر لأن المراد هنا عد النعم ولان القاصد غيره انما يقصد منفعة
نفسه والنفع بها يكون بركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب
وما انزل الله من السماء اي من نحو السماء عند جميع المفسرين وقيل
يريد به السحاب من ماء يعني المطر فاحيا به الارض بعد موتها
اي فعمر به الارض بعد خرابها لان الارض اذا وقع عليها المطر انبتت
واذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه
كالميت وقيل اراد به احيا به اهل الارض باخراج الاقوات وغيرها
مما يحيى به نفوسهم وبث فيها من كل دابة اي فرق في الارض من
كل حيوان يدب واراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة وتصريف
الرياح اي تقليبها بان جعل بعضها صباء وبعضها دبورا وبعضها
جنوبا وبعضها شمالا وقيل تصريفها بان جعل بعضها يأتي بالرحمة
وبعضها يأتي بالعذاب عن قتاده وروى ان الريح هاجت على عهد
ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها عذابا والسحاب المسخر اي المذلل بين السماء والارض
يصرفها كما يشاء من بلد الى بلد ومن موضع الى موضع لآيات اي
حججا ودلالات لقوم يعقلون قيل انه عام في العقلاء من استدل
منهم ومن لم يستدل وقيل انه خاص لمن استدل به لان من
لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كانه لا عقل له

فيكون

فيكون مثل قوله انما انت منذر من يخشاها وقوله هدى للمتقين
وذكر سبحانه الآيات والدلالات ولم يذكر على ماذا تدل لحذف
لدلالة الكلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا اما
السموات والارض فيدل تغير اجزائهما واحتمالهما الزيادة والنقصان
انهما من الحوادث لا ينفكان عن حدوثهما ثم ان حدوثهما وخلقهما
يدل على ان لهما خالقا لا يشبههما ولا يشبهانه لانه لا يقدر على خلق
الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض اذ جميع ما
هو بصفة الاجسام والاعراض محدث لا بد له من محدث ليس
بمحدث لاستحالة التسلسل ويدل كونهما على جهة الاتقان والاحكام
والاتساق والانتظام على كون فاعلهما عالما حكيما واما اختلاف
الليل والنهار وجريهما على وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه
الزيادة والنقصان وتعلق ذلك بمجاري الشمس والقمر فيدل على
عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة انها افعال
محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال و
اما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل بحصول الماء
على ما تراه من الرقة واللطافة التي لولاها لما امكن جري السفن
عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء اليه
على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل
الاجسام لان الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي
ينزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرة قطرة لا تلتقي اجزاؤه
ولا تتألف في الجو فينزل مثل السيل فيخرب البلاد والديار ثم امساكه

فى الهواء مع ان من طبع الماء الانحدار الى وقت نزوله بقدر الحاجة
وفى اوقاتها على ان مدبره قادر على ما يشاء من الامور عالم حكيم
خبير واما احياء الارض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وانواع
النبات وما يحصل به من اقوات الخلق وارزاق الحيوانات و
اختلاف طعومها والوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها
فى الاغذية والادوية على كمال قدرته وبدايع حكمته سبحانه من عليم
حكيم ما اعظم شانه واما بث كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعا
مخالفا لها منعما بانواع النعم خالقا للذوات المختلفة بالهيئات
المختلفة فى التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق و
وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لبدايع الفطرة وغرايب
الحكمة الدالة على عظيم قدرته وجسيم نعمته واما الرياح فيدل
تصريفها بتحريكها وتفريقها فى الجهات مرة حارة ومرة باردة
وتارة لينة واخرى عاصفة وطورا عقيما وطورا لاقحة على ان مصرفها
قادر على ما لا يقدر عليه سواه اذ لو اجتمع الخلايق كلهم على ان يجعلوا
الصبا دبورا والشمال جنوبا لما امكنهم ذلك واما السحاب المسخر
فيدل على ان ممسكه هو المدبر الذى لا شبيه له ولا نظير لانه
لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة ولا دعامة الا الله سبحانه وتعالى
القادر لذاته الذى لا نهاية لمقدوراته فهذه هى الايات الدالة
على ان الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شئ عالم لا يخفى
عليه شئ حى لا تلحقه الافات ولا تغيره الحادثات لا يعزب عنه
مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وهو السميع البصير واستشهد

بحدوث

بحدوث هذه الاشياء على قدمه وازليته وبما وسمها من العجز
والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من العجايب على عجايب خلقته
وفيها ايضا اوضح دلالة على انه سبحانه المنان على عباده بفوايد
النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله من جزيل القسم و
يعلم بذلك انه سبحانه الاله الذى لا يستحق العبادة سواه وفى هذه
الاية ايضا دلالة على وجوب النظر والاستدلال وان ذلك هو
الطريق الى معرفته وفيها البيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ اية

قرا نافع وابن عامر ويعقوب
ولو ترى الذين ظلموا بالتاء على الخطاب وقرا الباقون وكلهم
قرؤا اذ يرون العذاب بفتح الياء الا ابن عامر فانه قرا اذ يرون
بالضم وقرا ابو جعفر ويعقوب ان القوة وان الله بكسر الهمزة
فيهما والباقون بفتحهما

قال ابو على حجة من قرا ولو يرى
الذين ظلموا بالياء ان لفظ الغيبة اولى من لفظ الخطاب من حيث
انه يكون اشبه بما قبله من قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك يريهم الله اعمالهم
حسرات وحجة من قرا ولو ترى فجعل الخطاب للنبى صلى الله عليه
واله كثرة ما جاء فى التنزيل من قوله ولو ترى يكون الخطاب للنبى
والمراد به الكافة واما فتح ان القوة فيمن قرا بالتاء فلا يخ من ان يكون

ترى من رؤية البصر والمعتمدية الى مفعولين فان جعلته من رؤية
البصر لم يجز ان يتعدى الى ان لانها قد استوفت مفعولها الذى
تقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان يكون المتعدية الى مفعولين
لان المفعول الثانى فى هذا الباب هو المفعول الاول فى المعنى وقوله
ان القوة لله لا يكون ظلموا فاذا يجب ان يكون منتصبا بفعل اخر غير
ترى وذلك الفعل هو الذى يقدر جوابا للو كانه قال ولو ترى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب لراوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا
من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه انه قوى عزيز وان الامر ليس على ما
كانوا عليه من جحودهم لذلك او شكهم فيه ومذهب من قرا بالياء بل
لانهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمر والجواب فى هذا النحو يجى
محذوفا فاذا اعمل الجواب فى شىء صار بمنزلة الاشياء المذكورة فى اللفظ فحمل
المفعول عليه يخالف ما عليه سائر هذا النحو من الآى التى حذفت الا جوبة
معها لتكون ابلغ فى باب التوعيد هذا كلام ابى على الفارسى ونحن نذكر
ما قال غيره فى كسر ان القوة وفتحها فى الاعراب وحجة من قرا اذ يرون العذاب
قوله ورأوا العذاب وقوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب وحجة ابن عامر
قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات لانك اذا بنيت هذا الفعل للمفعول
به قلت يرون اعمالهم حسرات الانداد والامثال والاشباه نظائر المثل
واحدها ند وقيل هى الاضداد واصل الند الضد المناوى والحب خلاف
البغض والمحبة هى الارادة الا ان فيها حذفا لا يكون فى الارادة فاذا
قلت احب الله زيدا فالمعنى انه يريد ثوابه وتعظيمه واذا قلت احب الله
فالمعنى احب طاعته واتباع اوامره ولا يقال اريد زيدا ولا ان الله يريد

المؤمن

المؤمن ولا انى اريد الله فاعتيد الحذف فى المحبة ولم يعتد فى الارادة
وقيل ان المحبة ليس من جنس الارادة بل هى من جنس الارادة ميل الطبع كما تقول
احب ولدى اى يميل طبعى اليه وهذا من المجاز بدلالة انهم يقولون احببت
ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احبابا وحبه حبا واحب
البعير احبابا اذا برك فلا يثور وهو كالحران فى الخيل قال ابو عبيدة ومنه
قوله احببت حب الخير عن ذكر ربى اى لصقت بالارض لحب الخيل حتى
فاتتنى الصلوة ويرى قال ابو على الفارسى هو من رؤية العين يدل
على ذلك تعديته الى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله اى لو
يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله اذ يرون العذاب والشدة قوة العقد
وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحدة يجوز فتح ان من ثلثة
اوجه وكسرها من ثلثة اوجه مع القراءة بالياء فاما الفتح فالاول ان يفتح
بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون
العذاب قوة الله وشدة عذابه والثانى ان يفتح بايقاع على حذف اللام
كقولك لان القوة لله والثالث على تقدير لراوا ان القوة لله وان الله
شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الوجه الاول
فى الكسر فعلى الاستيناف والثانى على الحكاية مما حذف من الجواب كانه
قيل لقالوا ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كان
كانه قيل يقولون ان القوة لله فاما مع القراءة بالتاء فيجوز ايضا كسر ان
من ثلثة اوجه وفتحها من ثلثة اوجه فاما الفتح فاولها ان يكون على
البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم من الفراء وقال
ابو على وهذا لا يجوز لان قوله لان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا

مشتملا عليهم والثانى ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة والثالث
لرايت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء والاختيار
مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لان الرؤية قد وقعت على الذين وجواب لو
محذوف كانه قيل لو راوا مضرة اتخاذهم الانداد لو لراوا امرا عظيما لا يحصر
بالاوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رايت السياط
تاخذ فلانا لان المحذوف يحتمل كل امر ومن قرا ولو يرى الذين بالياء
فالذين ظلموا فى موضع رفع بانهم الفاعلون ومن قرا بالتاء فالذين ظلموا
فى موضع نصب وقوله جميعا نصب على الحال كانه قيل ان القوة ثابتة لله
فى حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى اذا راو مقدورات الله فيما تقدم
من الوعيد بد علموا ان الله سبحانه قادر لا يعجزه شئ وقوله يحبونهم فى
موضع نصب على الحال من الضمير فى يتخذ وان كان الضمير فى يتخذ على التوحيد
لانه يعود الى من ويجوز ان يعود اليه الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى
ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله اندادا وقال ابو على لو قلت كيف
جاء اذ فى قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل فالقول انه جاء على
لفظ المضى لارادة التقريب فى ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ومن هذا الضرب ما جاء فى التنزيل من قوله ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم ومن الناس من للتبعيض ههنا اى بعض
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يعنى آلهتهم من الاوثان التى
كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين وقيل رؤساهم

الذين

الذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدى وعلى هذا المعنى ما روى
جابر عن ابى جعفر عليه السلام انه قال هم ايمة الظلمة واشياعهم وقوله يحبونهم
كحب الله على هذا القول الاخير ادل لانه يبعد ان يحبوا الاوثان كحب الله
مع علمهم بانها لا تنفع ولا تضر ويدل ايضا عليه قوله اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم او الانقياد
لهم او جميع ذلك كحب الله فيه ثلثة اقوال احدها كحبكم الله اى كحب المومنين
الله عن ابن عباس والحسن والثانى كحبهم الله يعنى الذين اتخذوا الانداد
فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين ويعبد معه الاوثان ويسوى
بينهما فى المحبة عن ابى على وابى مسلم والثالث كحب الله اى كالحب الواجب
عليهم اللازم لهم لا الواقع والذين امنوا اشد حبا لله يعنى حب المومنين
فوق حب هولاء وحبهم اشد من وجوه احدها اخلاصهم العبادة والتعظيم
له والثناء عليه من الاشراك وثانيها انهم يحبونه عن علم بانه المنعم ابتداء
وانه يفعل بهم فى جميع احوالهم ما هو الاصلح لهم فى التدبير فقد انعم عليهم
بالكثير فيعبدونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلا بد
ان يكون حبهم له اشد وثالثها انهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسما
الحسنى وانه الحكيم الخبير الذى لا مثل له ولا نظير يملك الضر والنفع
والثواب والعقاب واليه المرجع والماب فهم اشد حبا لله بذلك
ممن عبد الاوثان واختلف فى معنى قوله اشد فقيل اثبت وادوم
لان المشرك ينتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لان المومن يعبده
بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله ولو يرى الذين
ظلموا اى يبصرون وقيل لو يعلم هولاء الظالمون حين يرون العذاب

والصحيح الاول كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرا بالياء ومن قرا بالتاء فمعناه لو ترى يا محمد عن الحسن والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه ولو ترى ايها السامع او ايها الانسان الظالمين اذ يرون العذاب وقوله ان القوة لله فيه حذف اى لرايت ان القوة لله جميعا فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو ومن قرا بالتاء فمعناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا لراوا مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم ومعنى قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفى هذا وعيد واشارة الى ان هؤلاء الجبابرة مع تعززهم اذا حشروا ذلوا وتخاذلوا وقد بينا الوجوه فى فتح ان وكسرها فالمعنى تابع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف على جميع الوجوه وان الله شديد العذاب وصف العذاب بالشدة توسع ومبالغة فى الوصف فان الشدة من صفات الاجسام وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر انه مع وضوح هذه الايات والدلالات التى سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق فكانه قال ابعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله اندادا

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

البيان التبرؤ فى اللغة والتقصى والتنزيل نظائر واصل التبرؤ التولى والتباعد للعداوة و اذا قيل تبرأ الله من المشركين فكانه باعدهم من رحمته للعداوة التى

استحقوها

٢٦١

استحقوها بمعصيته واصله من الانفصال ومنه برأ من مرضه وبرأ يبرأ براء وبرأ من الدين براءة والاتباع طلب الاتفاق فى مقال وفعال او مكان واذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليلحق معه فى المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة الى المتعذر بما يصلح من الطلب و الاسباب الوصلات واحدها سبب ومنه يسمى الحبل سببا لانك توصل به الى ما انقطع عنك من ماء بئر وغيره ومضت سبة من الدهر اى ملاوة والكرة الرجعة قال الاخطل ولقد عطفن على فزارة عطفة كر المنيح وجلن ثم مجالا والكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشئ والكر الحبل الغليظ وقيل الشديد الفتل والحسرات جمع الحسرة وهى اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضى خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لان الحسرة هى على ما فات بوقوعه او بتقضى وقته والحسرة والندامة من النظاير يقال حسر يحسر حسرا وحسرة اذا ندم على الشئ الفايت وتلهف عليه واصل الحسر الكشف تقول حسرت العمامة عن راسى اذا كشفتها وحسر عن ذراعيه حسرا والحاسر الذى لا درع له و لا مغفر العامل فى اذ قوله شديد العذاب اى وقت التبرؤ وانتصب فنتبرأ على انه جواب التمنى بالفاء كانه قال لو ان لنا كرة فنتبرأ وكلما عطف الفعل على ما تاويله تاويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها فيما لم يفصح بلفظ المصدر فيه لانه لما حمل الاول على التاويل حمل الثانى على التاويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستيناف اى فنحن نتبرؤا منهم على كل حال واما قوله لو ان لنا كرة ففى موضع الرفع بفعل محذوف تقديره لو ثبت ان لنا كرة فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك

وجازيناهم صاعا بصاع وهذا شيء اخرجه لي الاعتبار ولم اره في الاصول
وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من
كذلك فقوله يريهم الله اي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل
تبرؤ بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل احد منهما وقيل بتقديره
يريهم اعمالهم حسرات كما اراهم العذاب وذلك لانهم ايقنوا بالهلاك
في كل واحد منهما   لما ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر حالهم في المعاد
فقال سبحانه اذ تبرأ الذين اتبعوا وهم القادة والرؤسا من مشركي
الانس عن قتادة والربيع وعطا وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة
من الجن عن السدي وقيل شياطين الجن والانس والاظهر هو الاول
من الذين اتبعوا اي من الاتباع السفلة ورأوا اي رأى التابعون والمتبوعون
العذاب اي عاينوه حين دخلوا النار وتقطعت بهم الاسباب فيه
وجوه احدها الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة
والربيع والثاني الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس والثالث
العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا والرابع تقطعت
بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي والخامس
تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي وظاهر الاية يحتمل الكل فينبغي ان
يحمل على عمومه فكانه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به
فلا ينتفعون بالاسباب على اختلافها من منزلة او قرابة او مودة
او حلف او عهد على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا وذلك نهاية في
الاياس وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي عودة الى دار
الدنيا وحال التكليف فنتبرأ منهم اي من القادة في الدنيا كما تبرؤوا

منا في الاخرة كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم فيه اقوال احدها
ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي
والبلخي والثاني المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها وضيعوها
عن السدي والثالث ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلم انه قال
هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا
فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره والرابع ان الله سبحانه يريهم مقادير
الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا
فيه والاية محتملة لجميع هذه الوجوه فالاولى الحمل على العموم وما هم بخارجين
من النار اي يخلدون فيها بين سبحانه في الاية انهم يتحسرون في وقت
لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة
واكثر المفسرين على ان الاية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي
هذه الاية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية لانه
ليس في المعقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه
او على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا يتحسر الانسان
على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود الى السماء
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين اية
قرأ نافع وابو عمرو وحمزه وابو بكر الا البرجمي خطوات بسكون الطاء
حيث وقع والباقون بضمها وروي في الشواذ عن علي عليه الصلوة والسلم
خطؤات بضمتين وهمزة وعن ابي السمال خطوات بفتح الخاء
والطاء   ما كان على فعلة من الاسماء فالاصل في جمعه التثقيل

نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لأن التحريك فاصل بين الاسم
والصفة ومن اسكنه فقال خطوات فكانه نوى الضمة واسكن الكلمة
عنها طلبا للخفة ومن ضم الخاء والطاء مع الهمزة فكانه ذهب بها مذهب
الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعلة من الخطاء هذا قول الاخفش وقال
ابو حاتم ارادوا اشباع الفتحة في الواو فانقلبت همزة من فتح الخاء والطاء
فهو جمع خطوه فيكون مثل تمر وتمرة الاكل هو البلع عن مضغ وبلع
الذهب واللؤلؤ وما اشبهه ليس باكل في الحقيقة وقد قيل النعام
ناكل الجمرة فاجروه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجائز من افعال العباد
ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد وانما سمي المباح حلالا
لانحلال عقد الخطر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان افعاله تعالى الحسنة
ولا يقال انها حلال اذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال
حل يحل حلالا وحل يحل حلولا وحل العقد يحله حلا واحل من احرامه
حل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص
من شايب ينغص وهو على ثلثة اقسام الطيب المستلذ والطيب الجائز
والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف به الطاهر و
الجائز تشبيها اذ ما يزجر عنه العقل والشرع كالذي تكرهه النفس في
الصرف عنه وما تدعو اليه بخلاف ذلك والطيب الحلال والطيب
النظيف واصل الباب الطيب خلاف الخبيث والخطوه بعد ما
بين قدمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوت خطوة واحدة
وجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان اثاره
والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي نقيضه حلالا صفة

مصدر

مصدر بمحذوف اى كلوا شيئا حلالا ومن في قوله مما في الارض يتعلق
بكلوا او بمحذوف يكون معه في محل النصب على الحال والعامل فيه كلوا
وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة بعد صفة عن ابن عباس
انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعه وبني مدلج فانهم
حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة
فنهاهم الله عن ذلك لما قدم سبحانه ذكر التوحيد واهله الشرك و
اهله اتبع ذلك ذكر ما تتابع منه سبحانه على الفريقين من النعم والاحسان
ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجحود لنعمه والكفران فقال
يا ايها الناس وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني ادم كلوا لفظه
لفظ الامر ومعناه الاباحة مما في الارض حلالا طيبا لما اباح الاكل بين
ما يجب ان يكون عليه من الصفة لان في الماكول ما يحرم وفيه ما يحل
فالحرام يعقب الهلكة والحلال يقوي على العبادة وانما يكون حلالا
بان لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لغير الاكل فيه حق وهو يتناول
جميع المحللات واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا فجمع بينهما لاختلاف
اللفظين تاكيدا وقيل معناه ما تستطيبونه وتستلذونه في العاجل
والاجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اختلف في معناه فقيل اعماله
عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقتاده وقيل طاعتكم اياه
عن السدي وقيل اثاره عن الخليل وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في
المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى وقال القاضي يريد وساوس الشيطان
وخواطره وقال الماوردي هو ما ينقلهم به من معصية الى معصية

حتى يستوعبه جميع المعاصى ماخوذ من خطو القدم فى نقلها من مكان
الى مكان حتى يبلغ مقصده انه لكم عدو مبين اى مظهر للعداوة بما يدعوا
اليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف الناس فى الماكل والمنافع
التى لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب
الى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه ومنهم من وقف بين
الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الاية دالة على اباحة الماكل الا ما دل
الدليل على حظره فجاءت موكدة لما فى العقل انما يامركم
بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون آية
الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فاما الامر فى اللغة
فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الآمر مريدا للمامور به وقيل
هو الدعاء بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل او الشرع
ويسمى ايضا ما تنفر عنه النفس سوءا تقول ساءنى كذا يسوءنى سوءا
وقيل انما سمى القبيح سوءا لسوء عاقبته لانه قد يلتذ به فى العاجل
والفحشاء والفاحشة والقبيحة والسيئة نظاير وهى مصدر نحو السراء
والضراء يقال فحش فحشا وفحشاء وكل من تجاوز قدره فهو فاحش
وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء وكلما لا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله
الا ان ياتين بفاحشة مبينة معناه خروجها من بيتها بغير اذن
زوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبئ عن الحكاية وذلك
ككلام زيد يمكن ان ياتى عمرو بعبارة عنه تنبئ عن الحكاية فيقول
قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بانه يحكى بعده
كلاما وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لانه لا يؤذن بالحكاية والعلم
ما

ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشئ على ما هو به للمدرك له
لما قدم سبحانه ذكر الشياطين عقبه ببيان ما يدعو اليه من
مخالفة فقال انما يامركم بالسوء اى المعاصى عن السدى وقتادة
وقيل بما يسوء فاعله اى يضره وهو فى المعنى مثل الاول والفحشاء قيل
المراد به الزنا وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون هو دعواهم له الانداد والاولاد ونسبتهم
اليه الفواحش عن ابى مسلم وقيل اراد به جميع المذاهب الفاسدة و
الاعتقادات الباطلة ومما يسال على هذا ان يقال كيف يامرنا
الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره
هو دعاؤه اليه كما تقول نفسى تامرنى بكذا اى تدعونى اليه وقيل انه
يامر بالمعاصى حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه فيجد
ثقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه الى بعض المعاصى والوسوسة
هى الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى فيلقى اليه الشيطان اشياء
بصوت خفى فى اذنه فانه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلقى
اليه الشيطان وما تدعو اليه النفس فالقول انه لا ضير عليه اذا
لم يميز بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يامره بالمعاصى
جوز فى كل ما كان من هذا الجنس ان يكون من قبل الشيطان الذى
ثبت له عداوته فيكون ارغب فى فعل الطاعة مع ثقلها عليه
وفى ترك المعاصى مع ميل النفس اليها مخالفة للشيطان الذى هو عدوه
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون

اللغة

شيئاً ولا يهتدون اية   الفينا اى صادفنا ووجدنا

والاب والوالد واحد والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم

الاعراب

اولو هي واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع

ومثل هذا الواو ثم اذا ما وقع افلم يسيروا وانما جعلت همزة الاستفهام

للتوبيخ لانه يقتضي ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضي الاستفهام الاخبار

بما يحتاج اليه وانما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لانك اذا قلت اتتبعه

ولو ضربك فمعناه اتتبعه على كل حال وليس كذلك اتتبعه لو ضربك لان

النزول

هذا خاص وذلك عام فدخل الواو لهذا المعنى   ابن عباس قال دعا

النبي صلى الله عليه واله اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه

اباءنا فهم كانوا اعلم منا فنزلت هذه الاية وفي رواية الضحاك عنه انها

المعنى

نزلت في كفار قريش   لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في

التقليد وترك الاجابة الى الاقرار بصدق النبي صلى الله عليه واله فيما

جاء به من الكتاب المجيد فقال واذا قيل لهم اختلف في الضمير فقيل

يعود الى من في قوله من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركوا العرب وقيل

يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى الغيبة

كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقيل يعود الى الكفار

اذ قد جرى ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لان الضمير

يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقايل لهم هو النبي صلى الله عليه واله

والمسلمون اتبعوا ما انزل الله اى من القران وشرايع الاسلام وقيل

في التحريم والتحليل قالوا اى الكفار بل نتبع ما الفينا اى وجدنا عليه

اباءنا من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين او في التمسك باليهودية

اذا كان الخطاب لليهود اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا مما

لزمهم معرفته اكنتم تتبعونهم ام كنتم تنصرفون عن اتباعهم فاذا صح

انه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل

دون اتباع هؤلاء   ومثل الذين كفروا كمثل الذي

ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

اية   المثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول و

نعق الراعي بالغنم ينعق نعقا اذا صاح بها زجرا قال الاخطل فانعق

بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا ونعق الغراب

نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ونغق بالغين

بمعناه فاذا امتد عنقه وحركها ثم صاح قيل نعب والنعقان كوكبان من

كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن وهو الذي يسمى

الهنعة وهما اضوء كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو

نظيره الامر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر نادى مناداة

ونداء والدعاء والسؤال بمعناه والنداء له وجوه في المعنى يقال ندى

الماء وندى الخير والشر وندى الصوت وندى الحضر فالندى هو البلل

وندى الخير هو المعروف يقال اندى فلان علينا ندى كثيرا ويده ندية

بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وندى الحضر صحة جريه واشتق

النداء من ندى الصوت ناداه اى دعاه بارفع صوته   ثم ضرب

الله سبحانه مثلا للكفار في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد

وركونهم الى التقليد فقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق

اى يصوت بما لا يسمع من البهائم الا دعاء ونداء اختلف في تقدير

وتأويله على وجوه أولها ان المعنى مثل الذين كفروا فى دعائك اياهم
اى مثل الداعى لهم الى الايمان كمثل الناعق فى دعائه المنعوق به من البهائم
التى لا تفهم وانما تسمع الصوت فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعا الراعى
الا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك
لهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى لانهم يعرضون عن قبول
قولك وينصرفون عن تامله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه
وهذا كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه
من الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو فى المعنى مضاف الى الرجل
قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير اراد
بتسليمى على الامير وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وهو اختيار الجبائى والرمانى والطبرى
وثانيها ان يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا
ومثلك يا محمد كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اى كمثل الانعام
المنعوق بها والناعق الراعى الذى يكلمها وهى لا تعقل فحذف المثل
الثانى اكتفاء بالاول ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سرابيل
تقيكم الحر واراد الحر والبرد وقال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب
انى لامرها مطيع فما ادرى ارشد طلابها اراد ارشد ام غى
فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج
وهذا لان فى الآية تشبيه شيئين بشيئين تشبيه الداعى الى
الايمان بالراعى وتشبيه المدعوين من الكفار بالانعام فحذف ما
حذف للايجاز وابقى فى الاول ذكر المدعو وفى الثانى ذكر الداعى

وفيما

وفيما ابقى دليل على ما القى وثالثها ان معنى مثل الذين كفروا فى دعائهم
الاصنام كمثل الراعى فى دعائه الانعام بتعال وما جرى مجراه من الكلام
فكما ان من دعاء البهائم يعد جاهلا فداعى الحجارة اشد جهلا منه
لان البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والاصنام لا يحصل لها
السماع ايض عن ابى القاسم البلخى وغيره ورابعها ان مثل الذين
كفروا فى دعائهم الاصنام وهى لا تعقل ولا تفهم كمثل الذى ينعق
دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ويكون المثل مصروفا الى غير الغنم
وما اشبهها بما يسمع وان لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء
ونداء بينعق والا ملغاة لتوكيد الكلام كما فى قول الفرزدق هم القوم
الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى هم
القوم حيث سلوا سيوفهم وخامسها ان يكون المعنى ومثل الذين
كفروا كمثل الغنم الذى لا تفهم دعاء الناعق فاضاف سبحانه المثل
الثانى الى الناعق وهو فى المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب
فى القلب نحو قولهم طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى
انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء سراجا لكريم مفخره تجلى به
العين اذا ما تجهراه تجلى بالعين وانشد ايض كانت فريضة ما تقول
كما كان الزنا فريضة الرجم والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد
وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة عاقل اى
ما تزيد مخافة وعل على مخافتى وقال العباس بن مرداس فديت
بنفسه نفسى ومالى وما آلوك الا ما اطيق اراد فديت بنفسى
نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجرى مجرى التهجين والتوبيخ فقال

صم بكم عمي اي صم عن استماع الحجة وبكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها
وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد مر بيانه في اول السورة
ابسط من هذا فهم لا يعقلون اي هم بمنزلة من لا يعقل له اذ لم ينتفعوا
بعقولهم يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون اية
الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون
على وجهين احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد
لها والثاني الطاعة بحسب جلالة النعم فالاول لازم في كل حال من
احوال الشكر والثاني انما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق
واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انه غاية فيه ليس وراها شكر
ويقترن به ضرب من الخشوع ولا يستحق العبادة الا الله سبحانه
باستحقاقها ما رزقناكم موصول وصلة والعايد من
الصلة الى الموصول محذوف وتقديره ما رزقناكموه وجواب الشرط
محذوف تقديره ان كنتم اياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا الله ثم خاطب سبحانه المومنين وذكر النعمة الظاهرة
عليهم واحسانه البين اليهم فقال يا ايها الذين امنوا كلوا ظاهره
الامر والمراد به الاباحة لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقيل
انه امر من وجهين احدهما بالاكل الحلال والاخر بالاكل وقت الحاجة
دفعا للضرر عن النفس قال القاضي وهذا مما يعرض في بعض الاوقات
والاية غير مقصورة عليه فيحمل على الاباحة من طيبات ما رزقناكم
اي مما يستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي

عن اكل

عن اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كانه قيل كلوا من الطيب دون الخبيث
كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان دالا على حظر الحرام وهذا صحيح
فيما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لان
قول القايل كل من مال زيد لا يدل على انه اراد تحريم ما عداه لانه قد
يكون الغرض البيان لهذا خاصة وما عداه موقوف على بيان اخر و
ليس كذلك ما ضده قبيح لانه يكون من البيان بقبح ضده واشكروا
لله لما نبه سبحانه على انعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق
امرنا بالشكر لان الانعام يقتضي الشكر وقوله ان كنتم اياه تعبدون
اي ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعما
عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط ههنا انما
هو على وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص
الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بانه الهكم فالشكر
له واجب عليكم بانه منعم محسن اليكم انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير
الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله
غفور رحيم اية قرا ابو جعفر الميتة مشددة كل
القران وقرا اهل الحجاز والشام والكسائي فمن اضطر بضم النون
وابو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون
الميتة اصلها الميتة فحذفت الياء الثانية استخفافا لثقل الياءين
والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف وقوله فمن اضطر
بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزة الوصل في انظروا واما الكسر فعلى

اصل الحركة لالتقاء الساكنين واما قراءة ابي جعفر فمن اضطر فلان الاصل
اضطرر فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي
قبلها فصار اضطر والاصل ان لا تنقل حركة الراء عند اسكانها لان
الطاء على حركته الاصلية   الاهلال في الذبيحة رفع الصوت
بالتسمية وكان المشركون يسمون الاوثان والمسلمون يسمون الله وانهلال
المطر شدة انصبابه والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند
رؤيته بالتكبير والمحرم يهل بالاحرام وهو ان يرفع صوته بالتلبية
واستهل الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن
المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع الذي يحدث للانسان فلا
يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالجاء ان الالجاء قد تتوفر
معه الدواعي الى الفعل من جهة الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار
قال صاحب العين رجل لحم اذا كان اكولا للحم وبيت لحم يكثر فيه
اللحم والحمت القوم اذا قتلتهم وصاروا لحما والملحمة الحرب ذات القتل
الشديد واستلحم الطريق اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واصل الباب
اللزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضا واصل البغي الطلب من قولهم
بغى الرجل حاجته يبغي بغاء قال الشاعر يمنعك من بغاء الخير تعقاد
التمائم ان الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم والبغاء طلب
الزنا والعادي المتعدي   انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر
بعدها ونفي ما عداه وكقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم انا
او مثلي وانما كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ان ان
كانت للتوكيد وانضاف اليها ما للتوكيد ايضا اكدت ان من جهة

التحقيق

التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا بشر فكانك
قلت ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت مفصوله ومثله
قوله تعالى انما الله اله واحد اي لا اله الا اله واحد ومثله انما انت نذير
اي لا نذير الا انت فاذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لان
ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب
على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان يقع الا ههنا في موضع
غير لما قلناه انه بمعنى النفي ولذلك عطف عليه بلا فاما الا فمعناها
في الاصل الاختصاص لبعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان يخص منه
لما ذكر سبحانه اباحة الطيبات عقبه بتحريم المحرمات فقال
انما حرم عليكم الميتة وهو ما يموت من الحيوان والدم ولحم الخنزير
خص اللحم لانه المعظم والمقصود والا فجملته محرمة وما اهل به لغير الله
قيل فيه قولان احدهما انه ما ذكر غير اسم الله سبحانه عليه عن الربيع و
جماعة من المفسرين والآخر انه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة
والاول اوجه فمن اضطر الى اكل هذه الاشياء ضرورة مجاعة عن
اكثر المفسرين وقيل ضرورة اكراه عن مجاهد وتقديره فمن خاف على
النفس من الجوع ولا يجد ماكولا يسد به الرمق وقوله غير باغ ولا
عاد فيه ثلثة اقوال احدها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة عن الحسن
وقتاده ومجاهد وثانيها غير باغ في الافراط ولا عاد في التقصير عن
الزجاج وثالثها غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق
المحقين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبدالله عليهما السلام وعن
مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بان

قال ان الله لم يبح لاحد قتل نفسه والتعرض للقتل قتل في حكم الدين
ولان الرخصة لاجل المجاعة غير مسلم لا لاجل سفر الطاعة وهذا فاسد
لان الباغي على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة
ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستبقي نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله
ان الرخصة لاجل المجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص بمن لم
يعرض نفسه لها فلا اثم عليه اي لا حرج عليه وانما ذكر هذا اللفظ
ليبين انه ليس بمباح في الاصل وانما رفع الحرج لاجل الضرورة ان الله
غفور رحيم وانما ذكر المغفرة لاحد الامرين اما ليبين انه اذا كان
يغفر المعصية فانه لا يأخذ بما رخص فيه واما لانه وعد بالمغفرة
عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة
وغيرها إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و
يشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في
بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب أليم البطن خلاف الظهر
والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة
الذين مع صلته منصوب بان واولئك رفع بالابتداء
وخبره ما ياكلون في بطونهم الا النار والمبتدا والخبر جملة في موضع
الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بياكلون المعني بهذا
الاية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا انها متوجهة على قول كثير
منهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علماؤهم ككعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب وكعب ابن اسد وكانوا يصيبون من سفلتهم

الهداية

الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال ماكلتهم
فغيروا صفته فانزل الله هذه الاية ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود
الذين تقدم ذكرهم فقال سبحانه ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب اي صفة محمد صلى الله عليه واله والبشارة به عن ابن عباس و
قتادة والسدي وقيل كتموا الاحكام عن الحسن والكتاب على القول
الاول هو التورية وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القران وعلى سائر الكتب
ويشترون به ثمنا قليلا اي يستبدلون به عرضا قليلا وليس المراد
انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل الفائدة فيه اي كلما ياخذونه
في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللعرب في ذلك عادة معروفة
ومذهب مشهود ومثله في القران كثير قال ومن يدع مع الله الها
اخر لا برهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على ان
من ادعى ان مع الله الها اخر لا يقوم له على قوله برهان وان قتل الانبيا
لا يكون الا بغير حق وذلك بان يوصف الشيء بما لا بد ان يكون
عليه من الصفة ومثله في الشعر قول النابغة يحفه جانبا نيق وتتبعه
مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد اي ليس بها رمد فيكتحل به وقول الاخر
لا يغمز الساق من اين ومن نصب ولا يعض على شرسوفه الصفر اي ليس
بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقول سويد بن ابي كاهل
من اناس ليس في اخلاقهم وفي امثال هذا عاجل الفحش ولا سوء الجزع
ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا واجلا او جزعا غير سيء بل نفى الفحش
والجزع عن اخلاقهم وفي امثال هذا كثرة اولئك يعني الذين كتموا
ذلك واخذوا الاجر على الكتمان ما ياكلون في بطونهم الا النار معناه

ان اكلهم فى الدنيا وان كان طيبا فى الحال فكانهم لم ياكلوا الا النار
لان ذلك يؤديهم الى النار كقوله سبحانه فى اكل مال اليتيم انما ياكلون
فى بطونهم نارا عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم ياكلون
النار حقيقة فى جهنم عقوبة لهم على كتمانهم فيصير ما اكلوا فى بطونهم
نارا يوم القيمة فسماه فى الحال بما يصير اليه فى المال وانما ذكر البطن وان
كان الاكل لا يكون الا فى البطن لوجهين احدهما ان العرب يقول جعت
فى غير بطنى وشبعت فى غير بطنى اذا جاع من يجرى جوعه مجرى جوعه
وشبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لازالة اللبس والاخر انه لما استعمل
المجاز بان اجرى على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان
النار تدخل اجوافهم ولا يكلمهم الله يوم القيمة فيه وجهان احدهما انه
لا يكلمهم بما يحبون وفى ذلك دليل على غضبه عليهم وان كان يكلمهم
بالسؤال بالتوبيخ وبما يغمهم كما قال فلنسئلن الذين ارسل اليهم وقال اخسؤا
فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائى والثانى انه لا يكلمهم اصلا
فتحمل ايات المسائلة على ان الملئكة تسائلهم عن الله وبامره ويتاول
قوله اخسؤا فيها على دلالة الحال وانما يدل نفى الكلام على الغضب فاما
الكلام على وجه الغم والايلام فخارج عن ذلك ولا يزكيهم معناه لا
يثنى عليهم ولا يصفهم لا يثنى الله عليه فهو معذب وقيل لا يقبل اعمالهم
كما يقبل اعمال الازكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبيث اعمالهم
بالمغفرة فما اصبرهم على النار ولهم عذاب اليم اى موجع مولم

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب
بالمغفرة فما اصبرهم على النار اية

ما اصبرهم

يتر

فالوجه الاول افضل من حيث ان الكلام وضع فى الاصل للمخاطبة ثم ... الفائدة على وجه ... بان دل على الغضب م ر

قيل ان ما للتعجب كالتى فى قوله قتل الانسان ما اكفره اى قد حل محل
ما يتعجب منه وحكى عن بعض العرب انه قال لخصمه ما اصبرك على الله
اى ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اى شئ
اصبرهم يقال اصبرت السبع او الرجل ونحوه اذا نصبته لما يكره قال
الحطيئة قلت لها اصبرها دائبا ويحك امثال طريف قليل اى الزمها
واضطرها   اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين اشتروا
الضلالة بالهدى اى استبدلوا الكفر بالنبى صلى الله عليه واله بالايمان
به فصاروا بمنزلة من يشترى السلعة بالثمن وقيل المراد بالضلالة
كتمان امره مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة العذاب
وبالهدى الثواب وطريق الجنة اى استبدلوا النار بالجنة وقوله والعذاب
بالمغفرة قيل انه تاكيد لما تقدم عن ابى مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب
بالمغفرة لما عرفوا ما اعد الله لمن عصاه من العذاب ولمن اطاعه من الثواب
ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية مصرين عن القاضى وهذا اولى
لانه اذا امكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان اولى فكان اشتراؤهم
الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل واشتراؤهم
العذاب بالمغفرة يرجع الى عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار
وقوله فما اصبرهم على النار فيه اقوال احدها ان معناه ان ما اجراهم
على النار ذهب اليه الحسن وقتاده ورواه على بن ابرهيم باسناده
عن ابى عبد الله عليه السلم والثانى ما اعملهم باعمال اهل النار وعن مجاهد
وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم والثالث ما ابقاهم على النار
كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج والرابع ما ادومهم على النار

اى ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سخاوك بحاتم اى بسخاء حاتم
عن الكسائى وقطرب وعلى هذه الوجوه فظ الكلام التعجب والتعجب لا يجوز
على القديم سبحانه لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شئ والتعجب انما
يكون مما لا يعرف سببه واذا ثبت ذلك فالغرض ان يدلنا على ان
الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا منهم والخامس ما روى
ابن عباس ان المراد اى شئ اصبرهم على النار اى حبسهم عليها فتكون
للاستفهام ويجوز حمل الوجوه الثلاثة المقدمة على الاستفهام ايضا
فيكون المعنى اى شئ اجراهم على النار واعلمهم باعمال اهل النار وابقاهم
على النار وقال الكسائى هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا
حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجب لنا كما يقال لمن وقع فى ورطة ما اضطرك
الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض للوقوع فى مثلها والمراد به الايكاد
والتقريع على الكتاب سبب الهلاك وتعجيب الغير منه ومن قال معنا
ما اجراهم على النار فانه عنده من الصبر الذى هو الحبس ايضا لان الجراة
يصبر على الشدة ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق
وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد اية
الاختلاف الذهاب على جهة التفرق فى الجهات واصله
من اختلاف الطريق تقول اختلفا الطريق فجاء هذا من هنا وجاء
ذاك من هناك ثم استعمل فى الاختلاف فى المذاهب تشبيها بالاختلاف
فى الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الاخر من
الاعتقاد واما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد احدهما مسد
الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والسقاق والمنافقة

انحيا

انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما
ما يشق على الاخر لاجل العداوة قال ذلك الزجاج مرفوع بالابتداء
والخبر محذوف اى ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اى
الامر ذلك ويحتمل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك
لان فى الكلام ما يدل على فعلنا ذلك اشارة الى احد ثلثة اشيا
اولها ذلك الحكم بالنار عن الحسن وثانيها ان تقديره ذلك الحكم الغذاب
وثالثها ذلك الضلال وفى تقدير خبره ثلثة وجوه احدها ما ذكرناه من
قول الزجاج وثانيها ان تقديره ذلك الحكم الذى حكم فيهم او حل بهم من
العذاب او ذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق فحذف
لدلالة ما تقدم من الكلام عليه والثالث ذلك العذاب لهم بان الله
نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته ومن ذهب الى ان المعنى ذلك
العذاب او الضلال بان الله نزل الكتاب ففى الكلام محذوف وتقديره
فكفروا به والمراد بالكتاب ههنا التورية وقال الجبائى هو القران
وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التورية وبالثانى القران وان الذين
اختلفوا فى الكتاب قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين اختلفوا فى
القران على اقوال فمنهم من قال الكلام تعلمه ومنهم كلام تقوله وقيل
هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدى اختلفوا فى
التاويل والتنزيل من التورية والانجيل لانهم حرفوا الكتاب
وكتموا صفة النبى صلى الله عليه واله وجحدت اليهود الانجيل والقران
وقوله لفى شقاق بعيد اى بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب
وقيل بعيد فى الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال

ويكفر الناس ... مما بعده فى موضع الكفر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم عليهم لان الله نزل الكتاب بالحق ... بالكلام

وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في اختلاف شديد فيما يتصل
باحكام التورية والانجيل ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه
ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين
وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون اية قرن
قرا حفص عن عاصم غير هبيرة وحمزه ليس البر ان تولوا بنصب الراء والباقون
بالرفع وروى في الشواذ عن ابن مسعود وابي ليس البر بالنصب بان تولوا
بالباء وقرا نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن
البر بالتشديد والنصب قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس تشبه
الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده وحجة من
نصب البر انه قد حكى عن بعض شيوخنا انه قال في هذا النحو ان يكون
الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف
المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون الاسم المضمر
من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر قال ابن جني يجوز ان
يكون انما نصب البر مع الباء بان جعل الباء زائدة كقولهم وكفى بالله
وكيلا البر العطف والاحسان مصدر ويجوز ان يكون
بمعنى البار اى الواسع الاحسان والبر الصدق والبر الايمان والتقوى
واصله من الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل

اللغة

اللغة والفقها في المسكين والفقير الذي ايهما اشد حالا فقال جماعة
المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن
دريد وقول ابي حنيفه وقال اخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين
من له شيء يسير وهو قول الشافعي والسبيل الطريق وابن السبيل هو المنقطع به
اذا كان في سفره محتاجا وان كان في بلده ذا يسار وهو من اهل الزكوة
وقيل انه الضيف عن قتاده وانما قيل للمسافر ابن الطريق للزومه الطريق
كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة وردت اعتسافا والثريا كانها
على قمة الراس ابن ماء محلق والرقاب جمع رقبه وهي اصل العنق ويعبر به
عن جميع البدن يقال اعتق الله رقبته ومنه قوله فتحرير رقبة والبأساء
البؤس والفقر والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلاء
وليس لهما افعل لان افعل وفعلاء في الصفات والنعوت ولم يأتنا
في الاسماء التي ليست بنعوت من نصب البر جعل ان مع صلتها
اسم اى ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالمعنى ليس البر كله
توليتكم وكلا المذهبين حسن لان كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة
فاذا اجتمعا في التعريف تكافئا في كون احدهما اسما والاخر خبرا كما تتكافأ
النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الاخر ولكن البر
اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت النون
مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاخبار عن البر بمن امن ففيه
وجوه ثلثة احدها ان يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر في موضع اسم
الفاعل كما يقال ماء غور اى غائر ورجل صوم اى صائم ومثله قول
الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار

انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا
اى نائحة وثانيها ان المعنى ولكن ذا البر من امن بالله فحذف المضاف من
الاسم وثالثها ان يكون التقدير ولكن البر بر من امن بالله حذف المضاف
من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر وكيف تواصل من اصبحت
خلالته كابى مرحب وكقول النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى
على وعل فى ذى المطارة عاقل اى على مخافة وعل ومثله قوله تعالى اجعلتم
سقاية الحاج ثم قال كمن امن اى كايمان من امن وقوله والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا فى رفعه قولان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت اذا
طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والآخر ان
يكون معطوفا على من امن والمعنى ولكن ذا البر او ذوى البر المؤمنون
والموفون بعهدهم واما قوله والصابرين فمنصوب على المدح ايضا لان
مذهبهم فى الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح
او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم وتقديره اعنى الصابرين قال ابو على
والاحسن فى هذه الاوصاف التى تقطعت للرفع من موصوفها والمدح
او النقص منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على
موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى وانفصالا لما يذكر للتنويه
والتنبيه او النقص والغض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين
المشتبهين فى الاسم المختلفين فى المعنى ومن ذلك قول الشاعر
انشد الفرا الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم
وذا الراى حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث
الكتيبة وذا الراى على المدح وانشد ايضا فليت التى فيها النجوم

تواضعت على كل منهم وسمين عيوث الحيا فى كل محل ولزبة اسود
الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم سقونى الخمر ثم تكنفونى عداة
الله من كذب وزور وشئ اخر وهو ان هذا الموضع من مواضع الاطناب
فى الوصف فاذا خولف باعراب الالفاظ كان اشد واوقع فيما يعنى ويعترض
بصيرورة الكلام وكونه بذلك ضروبا وجملا وكونه فى الاجراء على الاول
وجها واحدا وجملة واحدة فلذلك يسبق قول سيبويه فى قوله والمقيمين
الصلوة انه محمول على قوله بما انزل اليك وبالمقيمين الصلوة وان كان
هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوى
القربى قال الزجاج وهذا لا يصح الا ان يكون والموفون رفعا على المدح
للمضمرين لان ما فى الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول
قال ابو على لا وجه لهذا القول لان والصابرين لا يجوز حمله على واتى المال
على حبه سواء كان قوله والموفون بعهدهم عطفا على الموصول او مدحا
كما يقع لان الفصل بين الصلة يقع به اذا كان مدحا كما يقع به اذا كان مفردا
معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح جملة
والجمل ينبغى ان يكون فى الفصل اشنع واقبح بحسب زيادتها على المفرد
وان كان الجميع من ذلك ممتنعا لما حولت القبلة وكثر
الخوض فى نسخها وصار كانه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلوة
واكثر اليهود والنصارى ذكرها انزل الله تعالى هذه الاية عن ابى
القسم البلخى وعن قتادة انها نزلت فى اليهود ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب بين سبحانه ان البر كله ليس فى الصلوة
فان الصلوة انما امر بها لكونها مصلحة فى الايمان وكذلك العبادات

الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك
مختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر ما عليه كله فى التوجه
الى الصلوة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التى امر الله بها
عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه
النصارى من التوجه الى المشرق ولا ما عليه اليهود من التوجه الى المغرب
عن قتاده والربيع واختاره البلخى والجبائى ولكن البر من امن بالله اى
لكن البر بر من امن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اى السخاء سخاء
حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء واختاره الجبائى
وقيل ولكن البار او ذا البر من امن بالله اى صدق بالله ويدخل فيه
جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الا به كمعرفة حدث العالم او اثبات المحدث حدوث
وصفاته الواجبة والجايزة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله
وحكمته واليوم الاخر يعنى القيمة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب و
والثواب والعقاب والملئكة اى وبانهم عباد الله المكرمون اى
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون والكتاب اى وبالكتب المنزلة
من عند الله الى انبيائه والنبيين وبالانبياء كلهم وانهم معصومون
مطهرون فيما ادوه الى الخلق صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله
عليه واله وان شريعته ناسخة لجميع الشرايع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين
الى يوم القيمة واتى المال اى واعطى المال على حبه فيه وجوه احدها
ان الكناية راجعة الى المال اى على حب المال فيكون المصدر مضافا
الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه
وانت صحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم

قلت

قلت لفلان كذا ولفلان كذا وثانيها ان تكون الهاء راجعة الى المال اى
على حب المال من امن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول
لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء فى المعنى وثالثها
ان تكون الهاء راجعة الى الايتاء الذى دل عليه قوله اتى والمعنى على حبه
الاعطاء ويجرى ذلك مجرى قول القطامى هم الملوك وابناء الملوك لهم
والاخذون به والساسة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله
الملوك عليه ورابعها ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم
اى يعطون المال على حب الله وخالصا لوجهه قال المرتضى قدس الله
روحه ولم نسبق الى هذا الوجه فى هذه الاية وهو احسن ما قيل فيها لان
تاثير ذلك ابلغ من تاثير حب المال لان المحب للمال الضنين به متى
بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب
وانما يؤثر حبه للمال فى زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة
ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لا يستحق الثواب
ذوى القربى اراد به قرابة المعطى كما روى عن النبى صلى الله عليه واله و
انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذى الرحم الكاشح وقوله
عليه السلم لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لى سبعين
مثقالا من ذهب قال اجعليها فى قرابتك ويحتمل ان يكون اراد قرابة
النبى صلى الله عليه واله كما فى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
فى القربى وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليه السلم واليتامى
اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد يعطيهم انفسهم المال وقيل
اراد ذوى اليتامى اى يعطى من يكفلهم لانه لا يصح ايصال المال الى

من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى فى موضع جر عطفا على القربى وعلى القول
الاول يكون فى موضع نصب عطفا على ذوى القربى والمساكين يعنى اهل
الحاجة وابن السبيل يعنى المنقطع به عن ابى جعفر عليه السلم ومجاهد
وقيل الضيف عن ابن عباس وقتاده وابن جبير والسائلين اى
الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب وفى الرقاب فيه وجهان
احدهما عتق الرقاب بان يشترى ويعتق والاخر فى رقاب المكاتبين
والاية محتملة للامرين فينبغى ان تحمل عليهما وهو اختيار الجبائى والرمانى
وفى هذه الاية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكوة المفروضة بلا
خلاف وقال ابن عباس فى المال حقوق واجبة سوى الزكوة وقال الشعبى
هى محمولة على وجوب حقوق فى مال الانسان غير الزكوة مما له سبب وجوب
كالانفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من تجب عليه سد رمقه اذا
خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل
فى هذا ايضا ما يخرجه الانسان على وجه تطوع والقربة الى الله لان ذلك
كله من البر واختاره الجبائى قالوا ولا يجوز حمله على الزكوة المفروضة لانه عطف
عليه وانما خص هؤلاء لان الغالب انه لا يوجد الاضطرار الا فى هؤلاء
واقام الصلوة اى اداها لميقاتها وعلى حدودها واتى الزكوة اى
اعطى زكوة ماله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا اى والذين اذا عاهدوا
عهدا اوفوا به يعنى العهود والنذور التى بينهم وبين الله سبحانه والعقود
التى بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به والصابرين فى البأسآء
والضراء يريد بالبأسآء البؤس والفقر وبالضراء الوجع والعلة عن ابن
مسعود وقتاده وجماعة من المفسرين وحين البأس يريد وقت الحرب

وجهاد

وجهاد العدو وروى عن على عليه السلام انه قال كنا اذا احمر البأس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه واله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو
منه يريد اذا اشتد الحرب اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين
صدقوا اى صدقوا الله فيما قبلوا منه والتزموه علما وتمسكوا به عملا عن
ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لاعمالهم على الحقيقة
واولئك هم المتقون اى اتقوا بفعل هذه الخصال فهو مراد بها قطعا
ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة
بالانبياء المعصومين لان هذه الاشياء لا يؤديها بكليتها على حق الواجب
فيها الا الانبياء

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن
عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك
فله عذاب اليم اية

كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال
على معنى فسمى به ما دل على الفرض قال الشاعر كتب القتل والقتال
علينا وعلى الغانيات جر الذيول والقصاص والمقاصة والمعاوضة
والمبادلة نظاير يقال قص اثره اى تلاه شيئا بعد شئ ومنه القصاص
لانه يتلو اصل الجناية ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثانى مثل ما
فعله هو بالاول مع مراعاة المماثلة ومنه اخذ القصص كانه يتبع
اثار شيئا بعد شئ والحر نقيض العبد والحر من كل شئ اكرمه و
احرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ وتحرير الكتابة اقامة حروفها و
العفو الترك وعفت الديار اى تركت حتى درست والعفو عن المعصية

ترك العقاب عليها وقيل معنى العفو ههنا ترك العود بقبول الدية من اخيه
وجمع الاخ الاخوة اذا كانوا لاب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين
والتادية والاداء تبليغ الغاية يقال ادى فلان ما عليه وفلان ادى
الامانة من غيره فاتباع مبتدا وخبره محذوف اى فعليه اتباع
او خبر لمبتدا محذوف اى فحكمه اتباع ولو كان فى غير القران لجاز فاتباعا
بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع اتباعا وليود اداء ولكن
الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود فى العربية نزلت هذه الاية
فى حيين من العرب لاحدهما طول على الاخر فكانوا يتزوجون نساوهم
بغير مهور واقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل
منهم وبالرجل منا الرجل منهم وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح
اولئك حتى جاء الاسلام فانزل الله هذه الاية لما بين سبحانه
ان البر لا يتم الا بالايمان والتمسك بالشرايع بين الشرايع وبدا بالجرح
والدماء لانه الاسم فقال كتب عليكم اى فرض عليكم واوجب وقيل
كتب عليكم فى ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض
القصاص فى القتلى المساواة فى القتلى اى يفعل بالقاتل مثل ما فعله
بالمقتول ولا خلاف ان المراد به قتل العمد لان العمد هو الذى يجب
فيه القصاص دون الخطاء المحض وشبيه العمد ومتى قيل كيف قال
كتب عليكم القصاص فى القتلى والاولياء مخيرون بين القصاص و
العفو واخذ الدية والمقتص منه لا فعل له فيه فلا وجوب عليه الجواب
من وجهين احدهما انه فرض عليكم ذلك ان اختار اولياء المقتول
القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه والثانى انه فرض

عليكم

عليكم التمسك بما حد لكم وترك مجاوزته الى ما لم يجعل لكم واما من يتولى
القصاص فهو امام المسلمين ومن يجرى مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص
عند مطالبة الولى لانه حق الادمى ويجب على القاتل تسليم النفس الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى قال الصادق عليه السلم لا يقتل حر بعبد
ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم دية العبد وهذا مذهب الشافعى وقال
ان قتل رجل امراة فاراد اولياء المقتول ان يقتلوا ادوا نصف ديته الى
اهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة فان نفس المراة لا تساوى نفس الرجل
بل هى على النصف منها فيجب اذا اخذت النفس الكاملة بالنفس الناقصة
ان يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبرى فى تفسيره عن على عليه السلم
ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس فى الاية ما يمنع من
ذلك لانه لم يقل ولا تقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فيما تضمنته الاية
معمول به وما قلناه مثبت بالاجماع وبقوله سبحانه النفس بالنفس و
قوله فمن عفى له من اخيه شىء فيه قولان احدهما ان معناه من ترك
له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد من اخيه
اى من دم اخيه فحذف المضاف للعلم به واراد بالاخ المقتول سماه
اخا للقاتل وقيل ان اخوة الاسلام بينهما لم تنقطع وان القاتل لم يخرج
عن الايمان بقتله وقيل اراد بالاخ العافى الذى هو ولى الدم سماه
الله اخ القاتل وقوله شىء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود
لان شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال فمن عفى له
من اخيه شىء والضمير فى قوله له وفى اخيه كلاهما يرجع الى من وهو
القاتل اى من ترك له القتل ورضى منه بالدية هذا قول اكثر المفسرين

قالوا العفو ان يقبل الدية فى قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافى لكنه
معلوم ان المراد به من له القصاص والمطالبة وهو ولى الدم والقول الآخر
ان المراد بقوله فمن عفى ولى الدم والهاء فى اخيه يرجع اليه وتقديره فمن
بذل له من اخيه يعنى اخ الولى وهو المقتول الدية ويكون العافى معطى
المال ذكر ذلك عن مالك ومن هذا القول قال ان لفظ الشئ منكر والقود
معلوم فلا يجوز الكناية عنه بلفظ النكرة فيجب ان يكون المعنى فمن
بذل له من اخيه مال وذلك يجوز ان يكون مجهولا لا يدرى ان يعطيه
الدية او جنسا آخر ومقدار الدية او اقل او اكثر فصح ان يقال فيه شئ
وهذا ضعيف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا القول فى تنكير قوله شئ
هناك واما الذى له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج
والزوجة عندنا واما غير اصحابنا من العلماء فلا يستثنونهما وقوله
فاتباع بالمعروف اى ان لا يشدد فى الطلب وينظره ان كان معسرا ولا
يطالبه بالزيادة على حقه وعلى المعفو له اداء اليه باحسان اى الدفع عند
الامكان من غير مطل وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد و
هو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل المراد فعلى المعفو عنه الاتباع
والاداء وقوله ذلك اشارة الى جميع ما تقدم تخفيف من ربكم ورحمة
معناه انه جعل لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان
لاهل التورية القصاص او العفو ولاهل الانجيل العفو او الدية وقوله
فمن اعتدى بعد ذلك اى بان قتل بعد قبول الدية او العفو عن ابن
عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله
عليه السلم وقيل بان قتل غير قاتله او طلب اكثر مما وجب له من الدية

وقيل

وقيل بان جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضى ويجب
حمله على الجميع لعموم اللفظ فله عذاب اليم فى الاخرة ولكم فى
القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون آية
الالباب العقول واحدها لب ماخوذ من لب النخلة ولب
بالمكان والب به اذا اقام واللبيب البال ثم بين سبحانه وجه
الحكمة فى ايجاب القصاص فقال ولكم ايها المخاطبون فى القصاص حيوة
فيه قولان احدهما ان معناه فى ايجاب القصاص حيوة لان من هم
بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحيوة عن مجاهد و
قتاده واكثر اهل العلم والثانى ان معناه لكم فى وقوع القتل حيوة
لانه لا يقتل الا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية
الذين كانوا يتعابون بالطوائل عن السدى والمعنيان جميعا حسنان
ونظيره من كلام العرب القتل انفى للقتل الا ان ما فى القران اكثر فايدة
واوجز فى العبارة وابعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تاليفا بالحروف
المتلائمة فاما كثرة الفايدة فلان فيه جميع ما فى قولهم القتل انفى
للقتل وزيادة معانى منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة
الغرض المرغوب فيه وهو الحيوة ومنها الاستدعاء بالرغبة و
الرهبة وحكم الله به واما الايجاز فى العبارة فان الذى هو نظير
القتل انفى للقتل قوله القصاص حيوة وهو عشرة احرف وذلك
اربعة عشر حرفا واما بعده من الكلفة فهو ان فى قولهم القتل انفى
للقتل تكريرا غيره ابلغ منه واما الحسن بتاليف الحروف المتلائمة فانه
مدرك بالحس موجود باللفظ فان الخروج من الفاء الى اللام فى اجتماع

هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسنا
بليغا وقد اخذه الشاعر قال ابلغ ابا مسمع عني مغلغلة وفي العتاب حيوة
بين اقوام وهذا وان كان حسنا فبينه وبين لفظ القران ما بين اعلى
الطبقة وادناها واقل ما فيه ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا
استدعاء الى العدل وفي ذلك ابهام وفي الاية بيان عجيب وقوله يا اولي
الالباب معناه يا ذوي العقول لانهم الذين يعرفون العواقب و
يتصورون ذلك فلذلك خصهم لعلكم تتقون في لعل ثلثة اقوال
احدها انه بمعنى اللام اي لتتقوا والثاني انه للرجاء والطمع كانه قال
على رجائكم وطمعكم في التقوى والثالث على معنى التعرض للتقوى و
في تتقون قولان احدهما لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص
عن ابن عباس والحسن وابن زيد والثاني لعلكم تتقون ربكم باجتناب
معاصيه وهذا اعم كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين اية المعروف هو العدل الذي لا يجوز
ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحق هو وجود الشيء بحيث يمكن
ان يدرك والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره وقيل هو ما علم
صحته سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا وهو مصدر حق يحق حقا
قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم الا ان الكلام اذا طال
استغنى عن الكلام بالواو وعلم ان معناه معنى الواو ولان القصة الاولى
قد استتمت وفي القصة الثانية ذكر ما في الاولى فاتصلت هذه
بتلك لاجل الذكر والوصية ارتفعت لاحد وجهين اما بانه اسم ما لم
يسم

يسم فاعله وهو كتب واما بانه مبتداء وقوله للوالدين خبره والجملة في موضع
رفع على الحكاية لان معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين واما
العامل في اذا ففيه وجهان احدهما كتب فكانه قيل كتب عليكم الوصية
وقت المرض والاخر ما قاله الزجاج وهو ان الوصية رغب فيها في حال
الصحة فتقديره كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون على الوصية قائلين
اذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقا نصب على المصدر وتقديره احق
ذلك حقا وقد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل
فعلى هذا يكون نصبا على الحال ويجوز ان يكون مصدر كتب من غير لفظه
تقديره كتب كتابا ثم بين سبحانه شريعة اخرى وهو الوصية
فقال كتب عليكم اي فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت اي اسباب
الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا عاين البأس وملك الموت
لان تلك الحالة تشغله عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في
حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وكذا ان ترك
خيرا اي مالا واختلف في المقدار الذي يجب الوصية عنده فقال
الزهري في القليل والكثير مما يقع عليه اسم المال وقال ابرهيم النخعي
من الف درهم الى خمسة مائة درهم وقال ابن عباس الى ثمانمائة درهم
وروي عن علي عليه السلم انه دخل على مولى له في مرضه وله سبعمائة
درهم او ستمائة درهم فقال الا اوصي فقال لا انما الله سبحانه قال
ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وهذا هو الماخوذ به عندنا لان
قوله حجة الوصية للوالدين والاقربين اي الوصية لوالديه
وقرابته بالمعروف اي بالشيء الذي يعرف اهل التميز انه لا جور فيه

اعم

العطف

ولاحيف ويحتمل ان يرجع الى الموصى لهم فكانه امر بالطريقة الجميلة في
الوصية فليس من المعروف ان يوصى للغنى ويترك الفقير ويوصى للغريب
ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين حقا على المتقين
اى حقا واجبا على من اثر التقوى وهذا تاكيد فى الوجوب واختلف
فى هذه الاية فقيل انها منسوخة فى الوارث ثابتة فى غير الوارث
وقيل انها غير منسوخة اصلا وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا
لان من قال انها منسوخة باية المواريث فقوله باطل بان النسخ
بين الخبرين انما يكون اذا تنافى العمل بموجبهما ولا تنافى بين اية المواريث
واية الوصية فكيف تكون هذه ناسخة لتلك مع فقد التنافى
ومن قال انها منسوخة بقوله عليه السلم لا وصية لوارث فقد
ابعد لان الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضى الظن ولا يجوز ان
ينسخ كتاب الله تعالى الذى يوجب العلم اليقين بما يقتضى الظن
ولو سلمنا الخبر مع ما ورد من الطعن على رواية لخصصنا عموم الاية
وحملناها على انه لا وصية لوارث بما يزيد على الثلث لان ظاهر الاية
يقتضى ان الوصية جائزة لهم بجميع ما يملك وقول من قال حصول
الاجماع على ان الوصية ليست بفرض يدل على انها منسوخة يفسد
بان الاجماع انما هو على انها لا تفيد الفرض وذلك لا يمنع من كونها
مندوبا اليها مرغبا فيها وقد روى اصحابنا عن ابى جعفر عليه السلم
انه سئل هل يجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الاية
روى السكونى عن ابى عبد الله عليه السلم عن ابيه عن على عليه السلم
قال من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله

بعصيت

بمعصيته ومما يؤيد ما ذكرناه ما روى عن النبى صلى الله عليه واله
انه قال من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وعنه عليه السلم
انه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا فى مروته وعقله
وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال ما ينبغى لامرء مسلم ان
يبيت الا ووصيته عند راسه
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ﴿١٨١﴾
ثم اوعد سبحانه على تغيير الوصية فقال فمن بدله اى بدل الوصية
وغيرها من الاوصياء او الاولياء او الشهود وانما ذكر حملا على
الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتبديل تغيير الشئ
عن الحق فيه بان يوضع غيره فى موضعه بعد ما سمعه من الموصى
الميت وانما ذكر السماع ليدل على ان الوعيد لا يلزم الا بعد العلم
والسماع فانما اثمه اى اثم التبديل على الذين يبدلونه اى على من
بدل الوصية وبرئ الميت ان الله سميع عليم اى سميع لما قاله الموصى
من العدل او الجنف عليم بما يفعله الوصى من التبديل وقيل سميع
لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع لجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات
وفى هذه الاية دلالة على ان الوصى او الوارث اذا فرط فى الوصية
او غيرها لا ياثم الموصى بذلك ولم ينقص من اجره شئ وانه لا يجازى
احد على عمل غيره وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من يقول ان الوارث
اذا لم يقض من الميت فانه يوخذ به فى قبره او فى الاخرة لما قلناه من
انه يدل على ان العبد لا يوخذ بجرم غيره اذ لا اثم عليه بتبديل
غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصى به لم يزل ذلك

عقابه الآن يتفضل الله باسقاط عقابه **فمن خاف**
من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم آية. قرأ اهل الكوفة غير حفص ويعقوب موصٍّ بالتشديد
وقرأ الباقون موص بالتخفيف ذكرناها عند قوله ووصى
بها ابرهيم. الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين
هو الميل في الكلام وفي الامور كلها يقال جنف علينا فلان وجنف
في حكمه وهو مثل الحيف الا ان الحيف في الحكم خاصة والجنف عام
ورجل اجنف في احد شقيه ميل على الآخر قال الشاعر في الجنف الذي
امرؤ سمعت ارومة عامر ضيمي وقد جنفت على خصوم
من في قوله من موص يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا
كائنا من موص موضع الجار والمجرور مع المحذوف نصب على الحال
وذو الحال قوله جنفا وبين ظرف مكان لاصلح والضمير في بينهم
عائد الى المعلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لانه
يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثله اعمى اذا ما
جارتي خرجت حتى توارى جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما سمعي
وما بي غيره وقد اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها
لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الآية ان ذلك يلزم
من غير حقا بباطل فاما من غير باطلا بحق فهو محسن فقال فمن
خاف اي خشي وقيل علم لان في الخوف طرفا من العلم وذلك ان
القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا فكانه يقول اعلم وانما
يخاف لعلمه بوقوعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا

وقوله

وقوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله من موص جنفا اي ميلا عن
الحق فيما يوصي به فان قيل فكيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف
انما يكون لما لم يقع قيل ان فيه قولين احدهما انه خاف ان يكون
قد زل في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من ان يظهر ما يدل
على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن والثاني انه لما اشتمل على
الواقع وعلى من لم يقع جاز فيه خاف فيامره بما فيه الصلاح فيما
لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان
يوصي به في غير القرابة وانما قال ذلك لان عنده الوصية للقرابة
واجبة والامر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه
الذي يريد ان يوصي فيه جنفا وهو ان يعطي بعضا ويغير ببعض صح
فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي
والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف و
لا اثم ويكون قوله فاصلح بينهم اي فيما يخاف بينهم من حدوث
الخلاف فيه فيما بعد فيكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون
الخوف مترقبا غير واقع وهذا قريب غير ان الاول عليه اكثر المفسرين
وهو المروي عن ابي جعفر وعن ابي عبد الله عليه السلم وقوله او اثما
الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف ان يكون على
جهة الخطاء من حيث لا يدري انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس و
الحسن وروى ذلك عن ابي جعفر عليه السلم فاصلح بينهم اي بين الورثة
والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم فلا اثم عليه لانه متوسط
مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الاجر لان المتوسط

عقابه الا ان يتفضل الله باسقاط عقابه **فمن خاف**
من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم آية قرا اهل الكوفة غير حفص ويعقوب موص بالتشديد
وقرا الباقون موص بالتخفيف ذكرناها عند قوله ووصى
بها ابرهيم الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين
هو الميل في الكلام وفي الامور كلها يقال جنف علينا فلان وجنف
في حكمه وهو مثل الحيف الا ان الحيف في الحكم خاصة والجنف عام
ورجل اجنف في احد شقيه ميل على الاخر قال الشاعر في الجنف الذي
امرؤ سمعت ازومة عامر ضيمي وقد جنفت علي خصوم
من في قوله من موص يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا
كائنا من موص فموضع الجار والمجرور مع المحذوف نصب على الحال
وذو الحال قوله جنفا ويجوز مكان لا اصلح الضمير في بينهم
عائد الى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لانه
يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثله اعمى اذا ما
جارتي خرجت حتى توارى جارتي الخدر ويصم عما كان بينهما سمعي
وما بي غيره وقد اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها
لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الاية ان ذلك يلزم
من غير حقا بباطل فاما من غيره باطلا بحق فهو محسن فقال فمن
خاف اي خشي وقيل علم لان في الخوف طرفا من العلم وذلك ان
القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا فكانه يقول اعلم وانما
يخاف لعلمه بوقوعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا

وقوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله من موص جنفا اي ميلا عن
الحق فيما يوصى به فان قيل فكيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف
انما يكون لما لم يقع قيل ان فيه قولين احدهما انه خاف ان يكون
قد زل في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من ان يظهر ما يدل
على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن والثاني انه لما اشتمل على
الواقع وعلى من لم يقع جاز فيه خاف فيامره بما فيه الصلاح فيما
لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان
يوصى به في غير القرابة وانما قال ذلك لان عنده الوصية للقرابة
واجبة والامر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه
الذي يريد ان يوصي فيه جنفا وهو ان يعطي بعضا ويضر ببعض
فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي صح
والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف و
لا اثم ويكون قوله فاصلح بينهم اي فيما يخاف بينهم من حدوث
الخلاف فيه فيما بعد فيكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون
الخوف متوقعا غير واقع وهذا قريب غير ان الاول عليه اكثر المفسرين
وهو المروي عن ابي جعفر وعن ابي عبد الله عليهما السلم وقوله او اثما
الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف ان يكون على
جهة الخطاء من حيث لا يدري انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس و
الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلم فاصلح بينهم اي بين الورثة
والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم فلا اثم عليه لانه متوسط
مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الاجر لان المتوسط

انما يجرى امره فى الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله
اياه فبين سبحانه لنا انه لا اثم عليه فى ذلك اذا قصد الاصلاح
وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايض ضرب من التبديل بين مخالفته
للاول بكونه غير ماثوم برده الوصية الى العدل فان الله غفور رحيم
يعنى اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فاولى واحرى ان يكون
كذلك ولا ذنب وروى عن الصادق عليه السلم فى قوله جنفا
او اثما انه يعنى اذا اعتدى فى الوصية وزاد على الثلث وروى ذلك
عن ابن عباس وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال من
حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع
من زكوته فى حيوته يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اية
الصوم فى اللغة هو الامساك ومنه يقال للصوت صوم
لانه امساك عن الكلام قال ابن دريد كل شئ سكنت حركته فقد
صام صوما قال النابغة خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج
واخرى تعلك اللجما اى قيام وصامت الريح اى ركدت وصامت
الشمس اذا استوت فى منتصف النهار وصيام النهار ايض بمعناه
قال امرؤ القيس فدعها وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام
النهار وهجرا والصوم ذرق النعام واصل الباب الامساك وهو
فى الشرع امساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن
هو على صفات مخصوصة فى زمان مخصوص فالاسم شرعى فيه
معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوما اى صياما

الصيام رفع بما لم يسم فاعله وقوله كما كتب اى مثل ما كتب فما هذه
مصدرية وتقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على
الذين من قبلكم فحذف المصدر واقيم صفته مقامه ويحتمل ان يكون
موضع الكاف نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام
مفروضا اى فى هذه الحال ثم بين سبحانه فريضة اخرى فقال
يا ايها الذين امنوا اى يا ايها المصدقون روى عن الصادق عليه السلم
انه قال لذة ما فى النداء ازال تعب العبادة والعنا قال الحسن اذا
سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين امنوا فارع لها سمعك فانها
لامر تؤمر به او لنهى تنهى عنه كتب عليكم الصيام اى فرض عليكم
العبادة المعروفة فى الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم
لذلك ولان العبادة لا تصح الا منهم ووجوبه عليهم لا ينافى وجوبه
على غيرهم وقوله كما كتب على الذين من قبلكم فيه اقوال احدها انه
شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الامم اى كتب عليكم
صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام وليس فيه تشبيه عدد الصوم
المفروض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان
على النصارى وكان يتفق ذلك فى الحر الشديد والبرد الشديد
الى الربيع وزادوا فى عدده عن الشعبى والحسن وقيل كان الصوم علينا
من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام
والشراب من وقت صلوة العتمة الى وقت صلوة العتمة وقال
بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك
فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبى واهل

الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله لعلكم تتقون اي
لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا انقياء بما لطف
لكم في الصيام فانه اقوى الوسائل والوصل الى الكف عن المعاصي كما
روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خصاء امتي الصوم وسال
هشام ابن الحكم اباعبدالله عليه السلم عن علة الصيام فقال انما فرض
الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مس الجوع
فيرحم الفقير فاراد الله سبحانه ان يذيق الغني مس الجوع ليرق على الضعيف
ويرحم الجائع   قوله   ايامًا معدودات فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان
تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون آية   القراءة   قرا ابو جعفر
ونافع وابن عامر فدية الطعام وجمع المساكين وقرا الباقون فدية
منونة طعام رفع مسكين موحد مجرور وقرا حمزة والكسائي ومن
تطوع خيرا والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطوقونه
عن ابن عباس بخلاف وعايشه وسعيد بن المسيب وعكرمه وعطا
ويطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد عن ابن عباس وعن عكرمه
وروي عن ابن عباس ايضا يطيقونه ويطيقونه ايضا   الحجة   من
قرا فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان لفدية وافراد
مسكين جائز وان كان المعنى على الكثرة لان المعنى على كل واحد مسكين
قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة
واما من اضاف الفدية الى الطعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له

فانه

فانه سمى الطعام الذي يفدى به فدية ثم اضاف الفدية الى الطعام الذي
يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرا يطوق
فانه يفعلونه من الطاقة فهو كقوله يتجشمونه ويتكلفونه ويجعل لهم كالطوق
في اعناقهم ويطوقونه كقولك يتكلفونه ويتجشمونه واما يطيقونه
فانه يتفعلونه الا ان العينين ابدلتا ياء كما قالوا في تهور الحوض تهير
ويطيقونه يفعلونه منه   اللغة   السفر اصله من السفر الذي هو الكشف
تقول سفر يسفر سفرا وانسفرت الابل اذا انكشفت ذاهبة وسفرت
الريح السحاب قال العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا الزبرج السحاب الرقيق
وفي السفر يظهر ما لا يظهر الا به وينكشف من اخلاق الناس ما لا
ينكشف الا به والعدة فعلة من العد وهي بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى
المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشيء
يطوقه طوقا وطاقة واطاق اطاقة اذا قوي عليه وطوقته تطويقا البسه
الطوق وهو معروف من ذهب كان او من فضة لانه يكسبه قوة بما
يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوقه الامير اي جعله
كالطوق في عنقه   الاعراب   ايامًا قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان
احدهما ان يكون ظرفا كانه كتب عليكم الصيام في ايام والعامل فيه
الصيام كان المعنى كتب عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين
انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك اعطي زيد المال قال وليس هذا
بشيء لان الايام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان
لاعطى فلك ان تقيم ايهما شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا
نصب ايام بالصيام قال ابو علي اياما يجوز في انتصابه وجهان احدهما

احدهما ان ينتصب على الظرف والاخر ان ينتصب انتصاب المفعول به
على السعة فاذا انتصب على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب
فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان شئت اتسعت فنصبته
نصب المفعول به فتقول على هذا ايام مكتوب ايام الصيام عليه او يا
كاتب ايام الصيام وانما جاز اضافة اسم الفاعل او المفعول الى ايام لاخراجك
ايام عن ان يكون ظرفا واتساعك في تقديره اسما واذا كان الامر
على ما ذكرناه كان ما منعه ابو اسحق من اجازة ان كتب
عليكم الصيام في اياما لان ذلك اياما بمنزلة اعطى زيد المال جائز غير
ممتنع قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام على ان يكون المعنى
كتب عليكم الصيام في ايام لان ذلك وان كان مستقيما في المعنى فهو
في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك اذا حملته على ذلك فصلت بين
الصلة والموصول باجنبي بينهما وذلك ان اياما يصير من صلة
الصيام وقد فصلت بينهما بمعمول كتب لان التقدير كتب عليكم الصيام
كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب و
قد فصلت بها بين المصدر وصلته وليس من واحد منهما واقول
انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما
كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال اي مفروضا مثل
ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلته وفي كتب ضمير يعود
الى ما والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف
في موضع نصب بانه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى
هذا لم يفصل بين الصلة والموصول ما هو اجنبي بينهما على ما ذكره

ابو علي وقوله فعدة من ايام اخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة
على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف
على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره فالذي ينوب عن صومه في
وقت الصوم عدة من ايام اخر فتكون عدة خبر الابتداء واخر لا ينصرف
لانه وصف معدول عن الالف واللام لان نظايرها من الصغر والكبر
لا يستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صغر وان تصوموا في موضع
رفع بالابتداء وخير خبره ولكم صفة لخير اياما معدودات
اي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيت مالا معدودا
اي محصورا متعينا ويجوز ان يريد بقوله معدودات انها قلائل كما قال
سبحانه دراهم معدودة يريد انها قليلة واختلف في هذه الايام على
قولين احدهما غير شهر رمضان وكانت ثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ
عن معاذ وعطا عن ابن عباس وروى ثلثة ايام من كل شهر وصوم
عاشورا عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفق
هؤلاء على ان ذلك منسوخ بصوم رمضان والاخر ان المعنى بالمعدودات
شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وابو مسلم
وعليه اكثر المفسرين قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فاجمله ولم يبين
انها يوم او يومان ام اكثر ثم بين انها ايام معلومات وابهم ثم
بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران قال القاضي وهذا
اولى لانه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى ولان
ما قالوه زيادة لا دليل عليه فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر عطف على قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضا وهو اسم

مع ان الظرف لا يعطف على الاسم لانه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم و
تقديره فمن كان منكم مريضا او مسافرا فالذي ينوب مناب صومه
عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار
لان الله سبحانه اوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الاية
فافطر فقد خالف الظ وقد ذهب الى وجوب الافطار في السفر جماعة
من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد
الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي عن ائمتنا ع
فقد روى ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه
وروى يوسف بن الحكم قال سالت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارايت
لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا يغضب فانها صدقة
من الله تعالى تصدق بها عليكم وروى عبد الرحمن بن عوف قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروى
عن ابن عباس انه قال الافطار في السفر عزيمة وروى اصحابنا عن ابي
عبد الله عليه السلم انه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه
في الحضر وعنه عليه السلم قال لو ان رجلا مات صائما في السفر لما
صليت عليه وعنه عليه السلم قال من سافر افطر وقصر الا ان يكون
رجلا سفره الى صيد او في معصية الله وروى العياشي باسناده
مرفوعا الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال لم يكن رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم وعلى الذين يطيقونه الهاء يعود الى الصوم اي
يصوم في السفر تطوعا ولا فريضة نزلت هذه الاية بكراع الغميم عند
صلوة الفجر فامر رسول الله صلى الله عليه واله باناء فشرب وامر الناس

ان يفطروا

ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تممنا يومنا هذا فسماهم رسول الله
العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه
واله وعلى الذين يطيقونه الهاء يعود الى الصوم عند اكثر اهل العلم اي
يطيقون الصوم خير الله المطيقين للصوم من الناس كلهم بين ان
يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم بإطعام مسكين
لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه وقيل ان الهاء يعود الى الفداء عن الحسن وابي مسلم واما المعنى بقوله
الذين يطيقونه ففيه ثلثة اقوال اولها انه ساير الناس كما قدمنا ذكره
من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها ان هذه
الرخصة كانت للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الاية الحامل
والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطا وثالثها ان معناه وعلى
الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي
وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم قال معناه وعلى
الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك
فعليهم كل يوم مد وروى علي بن ابرهيم باسناده عن الصادق عليه السلم
قال وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح
فلم يقض ما فاته حتى جاء شهر رمضان اخر فعليه ان يقضي ويتصدق
لكل يوم مد من طعام وقوله فدية طعام مسكين اختلف في مقدار
الفدية فقال اهل العراق نصف صاع من كل يوم وقال الشافعي
مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا فمدان فان لم يقدر اجزاه مد
واحد وقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له قيل معناه من اطعم اكثر من

مسكين واحد عن عطا وطاوس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيده على نصف صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برا في جميع الدين فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله وان تصوموا خير لكم اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فاما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلا وقيل معناه الصوم خير لطيف وافضل ثوابا من التكفير لمن افطر بالعجز ان كنتم تعلمون ان الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون افضل اعمالكم وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون

قرا ابو بكر عن عاصم و لتكملوا بالتشديد والباقون لتكملوا بالتخفيف وقرا ابو جعفر العسر واليسر بالتثقيل فيهما والباقون بالتخفيف حجة من قرا ولتكملوا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرا ولتكملوا فلان فعل وافعل كثيرا ما يستعمل احدهما موضع قال النابغة فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد الشهر معروف و جمعه في القلة اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهاره بالهلال

بالهلال

يقال شهرت الحديث اظهرته وشهرت السيف انتضيته وابان شهرته عن بيضة الصحة واصل الباب الظهور واصل رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وانما سموه رمضان لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد جمعوا رمضان على رمضانات وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وروي عن مجاهد لا تقل رمضان ولكن قل شهر رمضان فانك لا تدري ما رمضان وقد جا في الاخبار عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انما سمي رمضان لانه يرمض الذنوب اي يحرقها والقرآن اصله الجمع لقولهم ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقاري لانه يجمع الحروف والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل و الارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على ان يفعل كذا مراودة ومنه راد يرود رودا فهو رائد وفي المثل الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطلب والارادة بمعنى الطلب للمراد لانها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الغنى والسعة واليسار اليد اليسرى والييسر الجماعة يجتمعون على الجزور في الميسر والجمع الايسار واصل الباب السهولة واصل العسر الصلابة يقال عسر الشي عسرا ورجل اعسر يعمل بشماله واعسر الرجل اذا افتقر و ضده ايسر ويقال كمل الشي واكملته وكملته اي تممته

شهر رمضان في ارتفاعه ثلثة اوجه احدها ان يكون خبر مبتدا محذوف يدل عليه اياما اي هي شهر رمضان والثاني ان يكون بدلا من الصيام الذي قال كتبت عليكم شهر رمضان والثالث ان يرتفع بالابتدا

صفحة ١٢

ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي انزل فيه القرآن
صفة له واضمرت الخبر حتى كانه قال وفيما كتب عليكم شهر رمضان
اى صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للتعريف وزيادة الالف
والنون المضارعتين لالفي التانيث ويجوز في العربية شهر رمضان
بالنصب من وجهين احدهما صوموا شهر رمضان والاخر عن البدل من
قوله اياما فقوله هدى في موضع النصب على الحال اى هاديا وقوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فالشهر ينتصب على انه ظرف لا على انه مفعول به لانه
لو كان مفعولا به للزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث ان المسافر
يشهد الشهر شهادة المقيم لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم
المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كما لو قلت احييت شهر رمضان يكون على
مفعولا به فان قلت كيف جاء ضميره متصلا في قوله فليصمه اذا لم يكن مفعولا
به قلنا لان الاتساع وقع فيه بعد ان استعمل ظرفا على ما تقدم بيان امثاله
وانما عطف الظرف على الاسم في قوله ومن كان مريضا او على سفر لانه
بمعنى الاسم فكانه قال او مسافرا كقوله سبحانه دعانا لجنبه او قاعدا او
قائما اى دعانا مضطجعا واما العطف باللام في قوله ولتكملوا العدة ففيه
وجهان احدهما انه عطف جملة على جملة لان بعده محذوفا وتقديره و
لتكملوا العدة شرع ذلك او اريد ذلك ومثله قوله وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اى وليكون
من الموقنين اريناه ذلك والثاني ان يكون عطفا على تاويل محذوف
دل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر دل على انه
قد فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكملوا العدة عطفا عليه قول الشاعر

بادن

بادن وغيروا آيهن مع البلوى الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله
فبدا وغيب ساره المعزاء اى سايره فعطف على تاويل الكلام الاول كانه
قال بها رواكد ومشجج هذا قول الزجاج والاول اقوى قول الفراء ثم
بين سبحانه وقت الصوم فقال شهر رمضان اى هذه الايام المعدودات
شهر رمضان او كتب عليكم شهر رمضان او شهر رمضان هو الشهر الذي
انزل فيه القرآن فبين انه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة
وهو انه انزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين والايمان ثم اختلف
في قوله انزل فيه القرآن فقيل ان الله تعالى انزل جميع القرآن في ليلة
القدر الى السماء الدنيا ثم انزل على النبي صلى الله عليه واله بعد ذلك نجوما
في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل انه ابتدئ انزاله في ليلة القدر من
شهر رمضان عن ابن اسحق وقيل انه كان ينزل الى السماء الدنيا في ليلة
القدر الى السماء الدنيا وما يحتاج اليه في تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل
على مواقع النجوم ارسالا في الشهور والايام عن السدي بسنده الى ابن عباس
وروى الثعلبي باسناده عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال انزلت صحف ابراهيم لثلث مضين من شهر رمضان وفي رواية
الواحدي في اول ليلة منه وانزلت توراة موسى لست مضين من
شهر رمضان وانزل انجيل عيسى لثلث عشرة ليلة خلت من رمضان
وانزل زبور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل القرآن
على محمد لاربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي
عن ابي عبد الله عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم

وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن انه انزل في فرضه وايجاب صومه على
الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما تقول القائل انزل الله في الزكوة
كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله هدى للناس اي هاديا
للناس ورادا لهم على ما كلفوه من العلوم وبينات من الهدى اي و
دلالات من الهدى قيل المراد بالهدى الاول الهدى من الضلالة و
بالثاني بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل اراد بالاول ما كلف من
العلم وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الانبياء وشرايعهم واخبارهم لانها
لا تدرك الا بالقرآن عن الاصم والقاضي وقوله والفرقان اي وما يفرق
بين الحق والباطل وروى عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال القرآن جملة
الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن
ابي ايوب عن ابي الورد عن ابي جعفر عليه السلم قال خطب رسول الله ص
في اخر جمعة من شعبان فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه
قد اظلكم شهر فيه ليلة خير من الف شهر وهو شهر رمضان فرض الله
صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلوة كمن تطوع بصلوة سبعين
ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال
الخير والبر كاجر من ادى فريضة من فرايض الله فيما سواه ومن ادى فيه
فريضة من فرايض الله كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور
وهو الشهر الصبر وان الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو
شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمن ومن فطر فيه مؤمنا صائما
كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى فقيل
له يا رسول الله ليس كلنا نقدر على ان نفطر صائما قال فان الله تعالى

كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم الا على مذقة من لبن يفطر بها
صائما او شربة من ماء عذب او تمرات لا يقدر على اكثر من ذلك ومن خفف
فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر اوله رحمة ووسطه مغفرة
واخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن اربع خصال خصلتين
ترضون الله بهما وخصلتين لا غنى بكم عنهما فاما اللتان ترضون الله
بهما فشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله واما اللتان لا غنى بكم
عنهما فتسالون الله فيه حوايجكم والجنة وتسالون الله فيه العافية
وتعوذون به من النار وفي رواية سلمان الفارسي فاستكثروا فيه
من اربع خصال ترضون بها ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فاما الخصلتان
اللتان ترضون ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان
لا غنى بكم عنهما فتسالون الله الجنة وتعوذون به من النار وقال رسول الله
نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف
وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وجهان احدهما من شهد منكم المصر و
حضر ولم يغب في الشهر والالف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر
رمضان فليصمه جميعه وهذا معنى ما رواه زرارة عن ابي جعفر عليه
السلم انه قال لما سئل عن هذه ما ابينها لمن عقلها قال من شهد
شهر رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليفطر وقد روي ايضا عن علي
وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين انهم قالوا من شهد الشهر
بان دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله والثاني
من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفا فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ التخيير
بين الصوم والفدية وان كان موصولا به في التلاوة لان الانفصال

لا يعتبر عند التلاوة بل عند الانزال والاول اقوى وقوله ومن كان
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قد مضى تفسيره فى الاية المتقدمة
وحد المرض الذى يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة للمفرطه
فى مرضه وروى ابو بصير قال سئلت ابا عبد الله عليه السلام عن حد
المرض الذى على صاحبه فيه الافطار قال هو مؤتمن عليه مفوض اليه فان
وجد ضعفا فليفطر وان وجد قوة فليصم كان المرض على ما كان وروى ايض
ان ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلوته وبه قال
الحسن وفى ذلك اختلاف بين الفقهاء واما السفر الذى يوجب الافطار
عندنا فما كان مباحا او طاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة
وعشرين ميلا وعند الشافعى ستة عشر فرسخا وعند ابى حنيفة اربعة
وعشرين فرسخا واختلف فى العدة من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة
هى على التضييق اذا برأ المريض او قدم المسافر وقال ابو حنيفة موسع فيها
وعندنا موقت بما بين رمضانين ويجوز متتابعا ومتفرقا والتتابع
افضل فان فرط حتى لحقه رمضان اخر لزمه الفدية والقضاء وبه قال
الشافعى وقوله يريد الله بكم اليسر اى فى الرخصة للمريض والمسافر اذا
لم يوجب الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر فى جميع اموركم ولا يريد
بكم العسر اى التضييق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لانه
بين بان فى افعال المكلفين ما يريده سبحانه وهو اليسر وفيها ما لا
يريده وهو العسر ولانه اذا كان لا يريد بهم العسر فان لا يريد تكليف ما لا
يطاق اولى وقوله ولتكملوا العدة تقديره يريد الله لان يسهل عليكم
ولان تكملوا اى تتموا عدة ما افطرتم فيه فهى ايام السفر والمرض بالقضاء

اذا

اذا اقمتم وبرأتم فتصوموا للقضاء بعدد ايام الافطار وعلى القول الاخر
فتقديره ولاكمال العدة شرع الرخصة فى الافطار ويحتمل ان يكون معناه
ولتكملوا عدة الشهر لانه مع الطاقة وعدم العذر يسهل عليه اكمال العدة
والمريض والمسافر يتعسر عليهما ذلك فيكملان العدة فى وقت اخر ومن
قال ان شهر رمضان لا ينقص ابدا استدل بقوله ولتكملوا العدة و
قال بين سبحانه ان عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال
ولا يدخلها نقصان ولا اختلال فالجواب عنه من وجهين احدهما ان
المراد اكملوا العدة التى وجب عليكم صيامها وقد يجوز ان يكون هذه العدة
تارة ثلثين وتارة تسعة وعشرين والاخر ما ذكرناه من ان المراد رجع الى
القضاء ويؤيده انه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله و
لتكبروا الله على ما هديكم المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب اربع صلوات
المغرب والعشاء الاخرة والغداة وصلوة العيد على مذهبنا وقال ابن
عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتعظموا الله على ما ارشدكم
له من شرايع الدين ولعلكم تشكرون اى لتشكروا الله على نعمه

سنذكم

وَاِذَا سَئَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَاِنِّى قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ
الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ اية اجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اى
لم يجبه وقال المبرد بينهما فرق وهو ان فى الاستجابة معنى الاذعان
وليس ذلك فى الاجابة واصله من الجوب وهو القطع يقال جاب
البلاد يجوبها جوبا اذا قطعها واجتاب الظلام بمعناه واجابه

والاجابة بمعنى والصحيح ان الجابة والطاعة والطاقة ونحوها اسماء
بمعنى المصادر واجاب عن السؤال جوابا وانجاب السحاب اذا انقشع و
اصل الباب القطع فاجابة السائل القطع بما سال لان السؤال على
الوقف ان يكون ام لا يكون والرشد نقيض الغى رشد يرشد رشدا
ورشد يرشد رشدا ورجل رشيد وولد فلان لرشدة خلاف لزنية
واصل الباب اصابة الخير ومنه الارشاد وهو الدلالة على وجه
الاصابة للخير اذا ظرف زمان للفعل الذى يدل عليه قوله
فانى قريب مجيب دعوة الداعى تقديره فاخبرهم يا محمد انى بهذه الصفة
ولا يجوز ان يعمل فيه قريب او اجيب لان يعمل معمول ان لا يجوز ان يعمل
فيما قبل ان لما بين فى موضعه وقوله اجيب فى موضع رفع بانه خبر ان
ايض فهو خبر بعد خبر روى عن الحسن ان سائلا سئل النبى ص
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الاية وقال قتاده
نزلت جوابا لقوم سالوا النبى صلى الله عليه واله كيف ندعوه
لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء ومكانه منه واجابته اياه
فقال واذا سالك عبادى عنى الاقرب ان يكون السؤال عن صفته
سبحانه لا عن فعله لقوله سبحانه فانى قريب وفيه حذف اى فقل
انى قريب فدل بهذا على انه سبحانه لا مكان له اذ لو كان له مكان
لم يكن قريبا من كل من يناجيه وقيل معناه انى سريع الاجابة الى دعاء
الداعى لان السريع والقريب متقاربان وقيل معناه انى اسمع دعاء
الداعى كما يسمعه القريب المسافة منهم فجاءت لفظة قريب لحسن
البيان بها فاما قرب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه لان ذلك

انما

انما يتصور فيمن كان متمكنا فى مكان وذلك من صفات المحدثات
وقوله اجيب دعوة الداع اذا دعان مفهوم المعنى وقوله فليستجيبوا لى
قال ابو عبيده معناه فليجيبونى فيما دعوتهم اليه وقال المبرد والسراج
معناه فليدعونى عنوا للحق بطلب موافقة ما امرتهم به ونهيتهم عنه
قال مجاهد معناه فليستجيبوا لى بالطاعة وقيل معناه فليدعونى وروى
عن النبى صلى الله عليه واله اعجز الناس من عجز عن الدعاء وابخل الناس من
بخل بالسلام وليؤمنوا بى اى وليصدقوا بجميع ما انزلته وروى عن ابى
عبد الله عليه السلام انه قال وليؤمنوا بى اى وليتحققوا انى قادر على اعطائهم
ما سالوه لعلهم يرشدون اى لعلهم يصيبون الحق ويهتدون
اليه واذا سئل فقيل نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما
معنى قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان فالجواب انه ليس احد يدعو
الله سبحانه على ما توجبه الحكمة الا اجابه فان الداعى اذا دعاه يجب ان
يسئل لما فيه صلاح له فى دينه ولا يكون فيه مفسدة له ولا لغيره
ويشترط ذلك بلسانه او ينويه بقلبه فالله سبحانه يجيبه اذا اقتضت
المصلحة اجابته او يؤخر الاجابة ان كانت المصلحة فى التاخير واذا قيل
ان ما يقتضيه الحكمة لا بد ان يفعل سبحانه فما معنى الدعاء واجابته
فجوابه ان الدعاء عبادة فى نفسها يعبد الله سبحانه بها لما فى
ذلك من اظهار الخضوع والانقياد اليه سبحانه وايض فانه لا يمتنع
ان يكون وقوع ما سال له انما صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون
مصلحة قبل الدعاء ففى الدعاء هذه الفايدة ويؤيد ذلك ما روى
عن ابى سعيد الخدرى قال قال النبى صلى الله عليه واله ما من مسلم

دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة ولا اثم الا اعطاه الله بها
احدى خصال ثلث اما ان يعجل دعوته واما ان يدخره له فى الاخرة و
اما ان يدفع عنه من السوء مثله قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال
الله اكثر وفى رواية انس بن مالك الله اكثر واطيب ثلث مرات و
روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرئيل لا تقض لعبدى
هذا حاجته فاخرها فانى احب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد
ليدعو الله تعالى وهو يبغضه فيقول يا جبرئيل اقض لعبدى هذا حاجته
باخلاصهم وعجلها فانى اكره ان اسمع صوته وروى عن امير المؤمنين ع
انه قال ربما اخرت عن العبد اجابة الدعاء ليكون اعظم لاجر السائل
واجزل العطاء الامل وقيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله سبحانه
فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم
تتبعوا سنته وعرفتم القران فلم تعملوا بما فيه واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا
شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها
وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا
له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب
الناس

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ
هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا

الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي
الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الاية الرفث الجماع ههنا
بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكنى به عن الجماع قال
العجاج عن اللغا ورفث التكلم قال الاخفش انما عديته بالى فى الاية
لانه بمعنى الافضاء واللباس الثياب التى من شانها ان تستر الابدان
ويشبه به الاغشية فيقال لبس السيف بالحلية والعرب تسمى المراة
لباسا وازارا قال الشاعر اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت
عليه لباسا وقال الا ابلغ ابا حفص رسولا فدى لك من اخ ثقة
ازارى قال اهل اللغة معناه امراتى والاختيان الخيانة ويقال
خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا وخائنة الاعين مسارقة
النظر الى ما لا يحل واصل الباب منع الحق والمباشرة الصاق البشرة
بالبشرة وهى ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية والخيط الابيض بياض
الفجر والخيط الاسود سواد الليل فاول النهار طلوع الفجر الثانى لانه
اوسع ضياء قال ابو داود فلما اضاءت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط
انارا والخيط فى اللغة معروف يقال خاط يخيط خيطا وخياطة
والخيط القطيع من النعام ونعامة خيطاء قيل خيطها طول قصبها و
عنقها وقيل اختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان
كل واحد منهما اصل بنفسه وبيضة الاسلام مجتمعه وابادوهم
اى استاصلوهم بمعنى اقتلعوا بيضتهم والسواد والمساودة للسار
لان الخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل وسواد العراق سمى به

لكثرة الماء والشجر الذى تسود به الارض وسواد كل شئ شخصه وسويدا
القلب وسواده دمه الذى فيه وقيل حبة القلب والعكوف والاعتكاف
اصله اللزوم يقال عكفت بالمكان اى اقمت به ملازما له قال
الطرماح فبات بنات الليل حولى عكفا عكوف البواكى بينهن
صريع وهو فى الشرع عبارة عن اللبث فى مكان مخصوص للعبادة و
الحد حد السيف ونحوه والحد حد الدار والفرق بين الشيئين والحد
نهاية الشئ التى يمنع ان يدخله ما ليس منه وان يخرج عنه ما هو
منه وقال الخليل الحد الجامع المانع والحداد البواب قال الاعشى
فقمنا ولما يصح ديكنا الى جونة عند حدادها يعنى صاحبها الذى
يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك احدت
المراة على زوجها معناه امتنعت من الزينة والحديد انما سمى حديدا
لانه يمتنع به من الاعداء فاصل الباب المنع روى على بن ابرهيم
بن هاشم عن ابيه رفعه الى ابى عبد الله عليه السلم قال كان الاكل محرما
فى شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار
فى شهر رمضان وكان رجلا من اصحاب رسول الله يقال مطعم بن
جبير اخو عبد الله ابن جبير الذى كان مع رسول الله صلى الله عليه واله
وكله بفم الشعب يوم احد فى خمسين من الرماة وفارقه اصحابه
وبقى فى اثنى عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا
مطعم بن جبير شيخا ضعيفا وكان صايما فابطات عليه اهله
بالطعام فنام قبل ان يفطر فلما انتبه قال لاهله قد حرم على
الاكل فى هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق فاغمى عليه فراه

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه واله فرق له وكان قوم من الشباب ينكحون
بالليل سرا فى شهر رمضان فانزل الله هذه الاية فاحل النكاح بالليل
فى شهر رمضان والاكل بعد النوم الى طلوع الفجر واختلفت العامة فى
اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم قيس بن صرمه وقيل صرمة
ابن اياس وقالوا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عملت فى النخل
نهارى اجمع حتى اذا امسيت فاتيت اهلى لتطعمنى فابطات فنمت فايقظونى
وقد حرم على الاكل وقد امسيت وقد جهد فى الصوم فقال عمر يا رسول الله
اعتذر اليك من مثله رجعت الى اهلى بعد ما صليت العشاء فاتيت
امراتى وقام رجال فاعترفوا بمثل الذى سمعوا فنزلت الاية عن ابن
عباس والسدى ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق
به من الاحكام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اى الجماع
وقال ابن عباس ان الله سبحانه حيى يكنى بما شاء ان الرفث واللباس
والمباشرة والافضا هو الجماع وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما
يريد الرجل من المراة وهذا يقتضى تحريما متقدما ازيل عنهم والمراد
بليلة الصيام الليلة التى يكون فى غدها الصوم وروى عن ابى جعفر
وابى عبد الله عليه السلام كراهية الجماع فى اول ليلة من كل شهر
الا اول ليلة من شهر رمضان فانه يستحب ذلك لمكان الاية
والاشبه ان يكون المراد به ليالى الشهر كله وانما وحده لان اسم الجنس
يدل على الكثرة هن لباس لكم وانتم لباس لهن اى هن سكن لكم
وانتم سكن لهن كما قال وجعلنا الليل لباسا اى سكنا عن ابن
عباس ومجاهد وقتاده والمعنى تلابسوهن وتخالطوهن بالمساكنة

اى قل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباساً
للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد
منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع
سمى كل واحد منهما لباساً لصاحبه وقال الربيع هن فراش لكم وانتم
لحاف لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم لما حرم عليهم الجماع والاكل
بعد النوم وخالفوا فى ذلك ذكرهم الله بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلك
التحريمة فقال علم الله انكم تخونون انفسكم بالمعصية اى لا تؤدون
الامانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون انفسكم
من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتناب ما نهيتم عنه فخففه
الله عنكم فتاب عليكم اى قبل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وازال
التشديد عنكم وعفا عنكم فيه وجهان احدهما غفر ذنوبكم والآخر ازال
تحريم ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم فالآن باشروهن بالليل
اى جامعوهن لفظه امر ومعناه الاباحة وابتغوا ما كتب الله لكم
فيه قولان احدهما اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن والاكثر
المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله رجاء ان يرزقه الله تعالى ولداً
يعبده ويسبح له والآخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذى بينه
فى كتابه فان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه
وقوله وكلوا واشربوا اباحة للاكل والشرب حتى يتبين لكم اى
يظهر او يتميز لكم على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود
اى النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثانى وقيل بياض
الفجر من سواد الليل وقيل بياض اول النهار من سواد آخر الليل وانما

شبه

شبه ذلك بالخيط لان القدر الذى يحرم الافطار من البياض يشبه الخيط فيزول
به مثله من السواد آخر الليل ولا اعتبار بالانتشار من الفجر ويحتمل من معنيين احدهما
ان يكون بمعنى التبعيض فكانه قال الخيط الابيض فكانه الذى هو الفجر وروى
انه عدى بن حاتم قال للنبى صلى الله عليه وآله انى وضعت خيطين من شعر
ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله حتى رؤى
نواجذه ثم قال يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم
من هذا الوقت ثم بين سبحانه الانتهاء فقال ثم اتموا الصيام الى الليل اى من
وقت طلوع الفجر الثانى وهو المستطير المعترض الذى ياخذ الافق وهو الفجر
الصادق الذى يجب عنده الصلوة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب
الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق
واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الارض
المبسوطة وعدم الجبال والروابى فقد دخل الليل وقوله ولا تباشروهن
فى حال معناه قولان ههنا احدهما انه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن
وقتاده والثانى انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك
وابن زيد وهو مذهبنا وقوله وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون اى
لا تباشروهن فى حال اعتكافكم فى المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا
الا فى احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وآله و
مسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند ساير الفقهاء يجوز فى ساير المساجد
الا ان مالكا قال انه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا الا بصوم
وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعى يصح بغير صوم وعندنا لا
يكون الا فى ثلثة ايام وعند ابى حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام

لا يجوز اقل منه والشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة وفي الاية دلالة
على تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلا ونهارا لانه علق المباشرة بحال
الاعتكاف وقوله تلك حدود الله تلك اشارة الى الاحكام المذكورة
في الاية حدود الله حرمات الله عن الحسن وقيل معاصي الله عن الضحاك
وقيل ما منع الله منه عن الزجاج فلا تقربوها اي فلا تاتوها وقيل معناه
وتلك فرايض الله فلا تقربوها بالمخالفة كذلك اي مثل هذا البيان الذي
ذكر يبين الله اياته للناس اي حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه
لعلهم يتقون اي لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما امرهم به
ونهاهم عنه واباحهم اياها وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد التقوى
عن جميع الناس وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ اية الباطل الذاهب الزايل يقال بطل اذا ذهب
وقيل الباطل هو ما تعلق به الشيء على خلاف ما هو به خبرا كان او اعتقادا
او ظنا او تخيلا والحكم هو الخبر الذي يفصل به بين الخصمين يمنع كل
واحد من منازعة الاخر ويقال ادلى فلان بحجته اذا اقامها وهو من
قولهم ادليت الدلو في البير اذا ارسلتها ودلوتها اذا اخرجتها فمعنى
قولهم ادلى بحجته ارسلها واتى بها على صحة وفي تشبيه الخصومة بارسال
الدلو في البير وجهان احدهما انه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو
بالسبب الذي هو الحبل والثاني انه يمضي فيه من غير تثبت كمضي
الدلو في الارسال من غير تثبت والفريق القطعة المعزولة من
الجملة سواء كان من الناس او من غيرهم والاثم الفعل الذي يستحق به

الذم

الذم وتدلوا محله جزم على النهي عطفا على قوله لا تاكلوا ويحتمل
ان يكون نصبا على الظرف ويكون نصبه باضمار ان كقول الشاعر لا تنه
عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اي لا تجمع بينهما
ثم بين سبحانه شريعة من شرايع الاسلام نسقا على ما تقدم
من بيان الحلال والحرام فقال ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا
ياكل بعضكم مال بعض بالغصب والظلم والوجوه التي لا تحل كقوله سبحانه
ولا تقتلوا انفسكم اي ولا يقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تاكلوا
اموالكم باللهو واللعب مثل ما يوخذ في القمار والملاهي لان كل ذلك
من الباطل وروي عن ابي جعفر عليه السلم انه يعني بالباطل اليمين الكاذبة
يقتطع بها الاموال وروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال كانت قريش
يقامر الرجل في اهله وماله فنهاهم الله والاولى حمله على الجميع لان الاية
يحتمل الكل وتدلوا بها الى الحكام وتلقوا بها الى القضاء وقيل فيه اقوال
احدها انها الودايع وما لا يقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن و
وقتاده وثانيها انه مال اليتيم في يد الاوصياء لانهم يدفعونه الى
الحكام اذا طولبوا به ليقطعوا بعضه ويقوم له في الظاهر حجة عن الجبائي
وثالثها انه ما يوخذ بشهادة الزور عن الكلبي والاولى ان يحمل على
الجميع لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم اي لتاكلوا طايفة من
اموال الناس بالفعل الموجب للاثم بان يحكم الحاكم بالظاهر وكان
الامر انه في الباطن بخلافه وانتم تعلمون ان ذلك الفريق من المال
ليس بحق لكم وانتم مبطلون وهذا اشد في الزجر وقال ابو عبد الله عم
علم الله سبحانه انه سيكون في هذه الامة حكام يحكمون بخلاف الحق

فنهى الله تعالى المؤمنين ان يتحاكموا اليهم وهم يعلمون انهم لا يحكمون بالحق
وهذا يدل على ان الاقدام على المعصية مع العلم او مع التمكن من العلم اعظم
يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس و
الحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر
من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ايه
قراء ابن كثير وابن ذكوان والكسائي البيوت والشيوخ واخواتها
بكسر اوايلها الا الغيوب وقرا حمزه وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر
الا الجيوب وقالون يكسر منها البيوت فقط والباقون بالضم
من كسر اوايل هذه الكلمات انما فعل ذلك لاجل الياء ابدل من الضمة
الكسرة لان الكسرة اشد موافقة للياء من الضمة لها كما كسر الفاء من
عيينه وبييبه في تصغير عين وناب وان لم يكن في ابنية التصغير
على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها ومن ضمها فعلى الاصل لانها
فعول الاهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهل الصبي
اذا بكى حين يولد او صاح وقولهم اهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم
بالتلبية وانما قيل هلال لانه حين يرى يهل الناس بذكره يقال
اهل الهلال واستهل ولا يقال اهل ويقال اهللنا الهلال واهللنا
شهر كذا اي دخلنا فيه وقد اختلف في تسمية هلالا كم يسمى ومتى
يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا
الى ان يعود في الشهر الثاني وقال اخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم
يسمى قمرا وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخطة
دقيقة وهذا قول الاصمعي وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوءه
سواد

سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة واسم القمر عند
العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوءه الفخت والميقات
مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل والتوقيت تقدير الوقت
وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والاخرة
ميقات الخلق والاهلال ميقات الشهر والحج ذكرنا معناه فيما مضى
والبر النفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل
يقول منه بوبه تبويبا اذا جعله ابوابا والبواب الحاجب لانه
يلزم الباب والبابة القطعة من الشيء كالباب من الجملة
قوله للناس في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت
كاينة للناس والباء في قوله بان تاتوا مزيدة لتاكيد النفي وان
تاتوا في موضع الجر بالباء والجار والمجرور في موضع النصب بانهما
خبر ليس وقوله ولكن البر من اتقى قيل فيه وجهان احدهما ان تقديره
ولكن البر بر من اتقى كما قلناه في قوله ولكن البر من امن بالله واليوم
الاخر والاخر ان تقديره ولكن البار من اتقى وضع المصدر موضع
الصفة روى ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود
يكثرون مسئلتنا عن الاهلة فانزل الله هذه الاية وقال قتادة
ذكر لنا انهم سالوا رسول الله لم خلقت هذه الاهلة فانزل الله
هذه الاية ثم بين سبحانه شريعة اخرى فقال يسألونك
عن الاهلة اي عن احوال الاهلة في زيادتها ونقصانها ووجه
الحكمة في ذلك قل يا محمد هي مواقيت يحتاج الناس الى مقاديرها
في صومهم وفطرهم وعدد نسائهم ومحل دينهم وحجهم فبين سبحانه

ان وجه الحكمة فى زيادة القمر ونقصانها يتعلق بذلك من مصالح
الدين والدنيا لان الهلال لو كان مدورا ابدا مثل الشمس لم يمكن
التوقيت به وفيه اوضح دلالة على ان الصوم لا يثبت بالعدد وانه
يثبت بالهلال لانه سبحانه نص على ان الاهلة هى المعتبرة فى المواقيت
والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور انما تعرف بطريق العدد
لخص التوقيت بالعدد دون روية الاهلة لان عند اصحاب العدد
لا عبرة برؤية الاهلة فى معرفة المواقيت وقوله وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها فيه وجوه احدها انه كان المحرمون لا يدخلون
بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينقبون فى ظهر اى فى مؤخرها
نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس
وقتادة وعطا ورواه ابو الجارود عن ابى جعفر عليه السلم وقيل
الا ان الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر
ابن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وانما سموا حمسا لتشددهم
فى دينهم والحماسة الشدة وقيل بل انما كانت الحمس يفعل ذلك
وانما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شىء وثانيها
ان معناه ليس البر ان تاتوا الامور من غير جهاتها وينبغى ان
تاتوا الامور من غير جهاتها اى الامور كان فيه وهو المروى عن
جابر عن ابى جعفر عليه السلم وثالثها ان معناه ليس البر ان تاتوا الامور
من غير جهاتها طلب المعروف من غير اهله وانما البر طلب المعروف
من اهله ولكن البر من اتقى قد مر معناه واتوا البيوت من ابوابها
قد مضى معناه وقال ابو جعفر عليه السلم آل محمد ابواب الله وسبله

والدعاة

والدعاة الى الجنة والقادة اليها والادلاء عليها الى يوم القيمة وقال
النبى عليه السلام انا مدينة العلم وعلى بابها ولا يؤتى المدينة الا من بابها
ويروى انا مدينة الحكم واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ما نهاكم
الله عنه وزهدكم فيه لكى تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذى ضمنه للمتقين
ووجه اتصال قوله ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
بقوله يسئلونك عن الاهلة انه لما بين ان الاهلة مواقيت للناس والحج
وكانوا اذا احرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله وليس
البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقيل انه سبحانه لما بين ان امورنا
مقدرة باوقات قرن به قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
اى فكما ان اموركم مقدرة باوقات فلتكن افعالكم جارية على الاستقامة
باتباع ما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه لان اتباع ما امر به خير من
اتباع ما لم يؤمر به وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ آية القتال و
المقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد
من المتعاديين قتل الاخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره اذا
جاوز حده عن ابن عباس نزلت هذه الآية فى صلح الحديبية
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله لما خرج هو واصحابه فى العام
الذى ارادوا فيه العمرة وكانوا الفا واربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية
فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبية ثم صالحهم
المشركون على ان يرجع من عامه ويعود العام القابل ويخلى له مكة ثلثة
ثلثة ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع الى المدينة من فوره

فلما كان العام المقبل تجهز النبي واصحابه بعمرة القضاء وخافوا ان لا
تفي لهم قريش بذلك وان يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره
رسول الله صلى الله عليه واله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فانزل الله تعالى
هذه الاية وعن الربيع بن انس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه اول
اية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
يقاتل من قاتله ويكف عن كف عنه حتى نزلت اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم فنسخت هذه الاية ثم بين سبحانه امر الجهاد فقال
مخاطبا للمؤمنين وقاتلوا اي مع الكفار في سبيل الله اي دين الله
وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما امرهم به ودعاهم اليه
الذين يقاتلونكم قيل امروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل انهم
امروا بقتال اهل مكة والاولى حمل الاية على العموم الا من اخرجه الدليل
ولا تعتدوا اي ولا تجاوزوا من قتال من هو من اهل القتال الى قتال
من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدؤكم
بقتال ان الله لا يحب المعتدين ظاهره يقتضي انه يسخط عليهم لانه
على جهة الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة لهم فيما مضى واختلف في الاية
هل هي منسوخة ام لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروي عن ابن
ومجاهد انها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري وقيل امر
بقتال اهل مكة وروي عن ائمتنا ان هذه الاية ناسخة لقوله كفوا ايديكم
واقيموا الصلوة وكذلك قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ناسخ لقوله ولا
تطع الكافرين والمنافقين ودع اذيهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد

من القتل

من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين اية
قرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
كله بغير الف والباقون بالف في جميع ذلك من قراها بغير الف
فانما اتبع المصحف لانه كتب في المصاحف بغير الف ومن قرا بالالف
فقال انما تحذف الالف في الخط كما في الرحمن ثقفته ثقفه
ثقفا وثقافة اي وجدته ومنه قولهم رجل ثقيف لقف اي يجدما
يطلبه وثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف ثقفا بالتحريك
فهو ثقيف اذا كان سريع التعلم والثقاف حديدة يقوم بها الرماح
المعوجة والتثقيف التقويم والفتنة اصلها الاختبار ثم ينصرف الى
معان منها الابتلاء نحو قوله فتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء
على اثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله
ومنها الصد عن الدين نحو قوله واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك والمراد بها في الاية الشرك بالله وبرسوله
حيث فيه ثلث لغات ضم الثاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها با لغاية
نحو قبل وبعد لانه منع الاضافة الى المفرد مع لزومه معنى الاضافة
اياه فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل البناء
كما فتحت اين وكيف والكسر لاجل انه الاصل في التحريك لالتقاء
الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جر باضافة حيث اليها
في الموضعين وتقاتلوا منصوب باضمار ان وهو صلة ان و
الموصول والصلة في محل جر بحتى وحتى يتعلق بتقاتلوهم

نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الحرام
فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه ان الفتنة في الدين وهو
الشرك اعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وان كان غير جائز
ثم خاطب سبحانه المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين
فقال واقتلوهم اي الكفار حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واخرجوهم
من حيث اخرجوكم يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها والفتنة
اشد من القتل اي شركهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر
الحرام وسمي الكفر فتنة لان الكفر يودي الى الهلاك كما ان الفتنة يودي
الى الهلاك وقيل لان الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في
الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك فان قاتلوكم اي بداوكم بذلك
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ان يقتلوا حيث ما وجدوا وفي الاية
دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة لقوله حتى لا تكون فتنة
والسنة قد وردت ايض بذلك وهو قوله عليه السلام لا يجتمع في
جزيرة العرب دينان فان انتهوا فان الله غفور رحيم
اية الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل
مع كراهية الناهي لذلك الفعل والامر الدعاء الى الفعل بصيغة افعل
مع ارادة الامر لذلك والنهي الغدير لمنعه الماء ان يفيض والنهي منزلة
المنع ونهاية الشي غايته والنهى جمع نهية وهي العقل والناهي في
المواضع التي ينهبط فيتناهى اليها ماء السماء واحدها تنهية والانها
ابلاغ الشي نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير
الواقع

الواقع في الحكم فان انتهوا اي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن
مجاهد وغيره فان الله غفور لهم رحيم بهم فاختصر الكلام للدلالة لما
تقدم من الشرط عليه وفيه دلالة على انه يقبل توبة القاتل عمدا لانه
بين عز اسمه انه يقبل التوبة للشرك والشرك اعظم من القتل
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا
فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ اية الدين ههنا الاذعان
بالطاعة كما في قول الاعشى هودان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا
بغزوة وصيال وقيل هو الاسلام واصل الدين العادة قال الشاعر
يقول اذا درات لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني وقد استعمل
بمعنى الطاعة في قوله ما كان لياخذ اخاه في دين الملك وبمعنى الاسلام
في قوله ان الدين عند الله الاسلام لان الشريعة يجب ان يجري
فيها على عادة مستمرة ثم بين سبحانه غاية وجوب القتال
وقال يخاطب المؤمنين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك
عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق عليه السلام
ويكون الدين لله اي وحتى يكون الطاعة لله والانقياد لامر الله
وقيل حتى يكون الاسلام لله اي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الاسلام
على الاديان كلها فان انتهوا اي امتنعوا من الكفر واذعنوا فلا
عدوان الا على الظالمين اي فلا عقوبة عليهم وانما العقوبة بالقتل
على الكافرين المقيمين على الكفر فسمي القتل عدوانا من حيث كان
عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك

لازدواج الكلام والمزاوجة هنا انما حصلت فى المعنى لان التقدير فان
انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين وهذا الوجه مروى عن
قتاده والربيع وعكرمه وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد
والسدى وهذه الآية ناسخة للاولى التى تضمنت بالنهى عن القتال فى
المسجد حتى يبدؤا بالقتال فيه لان فيها ايجاب قتالهم على كل حال حتى
يدخلوا فى الاسلام عن الحسن والجبائى على ما ذكرناه فى الآية الاولى
عن ابن عباس انها غير منسوخة فلا تكون هذه الآية ناسخة بل
يكون مؤكدة وقيل المراد بها انهم اذا ابتدؤا بالقتال فى الحرم يجب
مقاتلتهم حتى يزول الكفر الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ
الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آية
انما سمى الشهر الحرام لانه يحرم فيه ما يحل فى غيره من القتال
ونحوه والحرمات جمع حرمة وهى ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو
القبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق المأذون فيه والقصاص الاخذ
للمظلوم من الظالم من اجل ظلمه اياه واعتدى عليه وعدى عليه
بمعنى مثل قرب واقترب وجلب واجتلب وقيل ان فى افتعل مبالغة
ليست فى فعل ثم بين الله سبحانه القتال فى الشهر الحرام فقال
الشهر الحرام بالشهر الحرام المراد به ههنا ذو القعدة وهو شهر الصد
عام الحديبية والاشهر الحرم اربعة ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
ومحرم وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو ان
رجلا لقى قاتل ابيه او اخيه لم يتعرض له بسوء وانما قيل ذو القعدة

لقعودهم

لقعودهم فيه عن القتال وقيل فى تقديره وجهان احدهما انه قتال الشهر
الحرام اى فى شهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه وقيل انه الشهر الحرام على وجه العوض لما فات فى السنة الاولى
ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذى صددتم فيه عن البيت ومنعتم
عن مرادكم فى سنة ست والحرمات قصاص قيل فيه قولان احدهما ان
الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت فى الشهر الحرام قال مجاهد لان
قريشا فخرت بردها رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية محرما فى
ذى القعده عن البلد الحرام فادخله الله عز وجل مكة فى العام المقبل
فى ذى القعده فقضى عمرته واقصه بما حيل بينه وبينه وهو معنى قول
قتاده والضحاك والربيع وعبد الرحمن ابن زيد وروى عن ابن عباس
وابى جعفر الباقر عليه السلام مثله والثانى ان الحرمات قصاص بالقتال
فى الشهر الحرام اى لا يجوز للمسلمين الا قصاصا قال الحسن ان مشركى العرب
قالوا يا رسول الله انهيت عن قتالنا فى الشهر الحرام قال نعم وانما اراد
المشركون ان يغيروه فى الشهر الحرام فيقاتلوه فانزل الله سبحانه هذا
اى ان استحلوا منكم فى الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا
منكم وبه قال الزجاج والجبائى وانما جمع الحرمات لانه اراد حرمة الشهر
وحرمة البلد وحرمة الاحرام وقيل لان كل حرمة تستحل فلا يجوز الا
على وجه المجازاة فمن اعتدى عليكم اى ظلمكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم اى جازوه باعتدائه وقابلوه بمثله والثانى ليس باعتداء
على الحقيقة ولكن سماه اعتداء لانه مجازاة اعتداء وجعله مثله
وان كان ذلك جورا وهذا عدل لانه مثله فى الجنس وفى مقداره

الاستحقاق ولانه ضرر كما ان ذاك ضرر فهو مثله فى الجنس والمقدار
والصفة واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله مع المتقين
بالنصرة لهم او يريد ان نصرة الله معهم واصل مع المصاحبة فى المكان او
الزمان وفى هذه الاية دلالة على ان من غصب شيئا واتلفه يلزمه رد
مثله ثم ان المثل قد يكون من طريق الصورة فى ذوات الامثال ومن
طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ آية
الانفاق اخراج الشئ عن ملكه الى ملك غيره لانه لو اخرجه الى
هلاك لم يسم انفاقا والالقاء تصيير الشئ الى جهة السفل وقد يقال القى
عليه مسئلة مجازا كما يقال طرح عليه مسئلة وقد يقال لكل من اخذ
فى عمل القى يديه اليه وقال فيه لبيد حتى اذا القت يدا فى كافر واجن
عورات الثغور ظلامها يعنى الشمس اى بدات فى المغيب التهلكة
والهلاك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس فى كلام العرب
مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا وقيل التهلكة كل ما يصير عاقبته الى
الهلاك واصل الهلاك الضياع وهو مصير الشئ بحيث لا يدرى اين
هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهلوك
الفاجرة والهالكى الحداد واصله ان بنى الهالك بن عمرو كانوا قيونا
فنسب اليه كل قين والاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير و
ليس المحسن من فعل الفعل الحسن لان مستوفى الدين لا يسمى محسنا و
ان كان فعله حسنا ولا يقال ان القديم سبحانه بفعل العقاب محسن
وان كان العقاب حسنا وانما اعتبرنا النفع الحسن لان من اوصل

نفعا

نفعا قبيحا الى غيره لا يقال انه محسن اليه الباء فى قوله بايديكم
زايدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلقت وعلقت به وقال الشاعر
ولقد ملأت على نصيب جلده بمساءة ان الصديق يعاتب اى ملأت
جلده مساءة وقيل ليست الباء بزايدة ولكنها على اصل الكلام من وجهين
احدهما ان كل فعل متعد اذا كنى عنه او قلد على المصدر دخلته الباء تقول
ضربته ثم تكنى عنه فتقول فعلت به وبقى او وقعت الضرب به فجاء على
اصل الافعال المتعدية والاخر انه لما كان معناه لا تهلكوا انفسكم
بايديكم دخلت الباء لتدل على هذا المعنى وهو خلاف اهلك نفسه
بيد غيره لما اوجب سبحانه القتال فى سبيل الله عقبه بذكر
الانفاق فيه فقال فعلت وانفقوا فى سبيل الله معناه وانفقوا من
اموالكم فى الجهاد وطريق الدين وكل ما امر الله سبحانه به من الخير وابواب
البر فهو سبيل الله لان السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق الى الله تعالى
والى رحمة الله وثوابه الا انه كثر استعماله فى الجهاد لان الجود بالنفس
اقصى غاية الجود والجهاد هو الامر الذى يخاطر فيه بالروح فكانت
له مزية ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل فى معناه وجوه احدها انه
اراد لا تهلكوا انفسكم بايديكم بترك الانفاق فى سبيل الله فيغلب
عليكم العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وثانيها انه عنى به
لا ترتكبوا المعاصى باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب وعبيدة
السلمانى وثالثها ان المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية فى العدو
ولا قدرة على دفاعهم عن الثورى واختاره البلخى ورابعها ان المراد
ولا تسرفوا فى الانفاق الذى ياتى على النفس عن الجبائى ويقرب منه

ما روى عن ابى عبد الله عليه السلام لو ان رجلا انفق ما فى يديه فى
سبيل الله ما كان احسن ولا وفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين يعنى المقتصدين وقال
عكرمة معناه احسنوا الظن بالله يبر بكم وقال عبد الرحمن بن زيد و
احسنوا بالعود على المحتاج والاولى حمل الاية على جميع هذه الوجوه فلا
تنافى فيها وفى هذه الاية دلالة على تحريم الاقدام على ما يخاف منه على
النفس وعلى جواز ترك الامر بالمعروف عند الخوف لان فى ذلك
القاء النفس الى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة
اذا خاف الامام على نفسه او على المسلمين كما فعله رسول الله صلى الله
عليه وآله عام الحديبية وفعله امير المؤمنين عليه السلام بصفين وفعله
الحسن مع معوية من المصالحة لما تشتت امره وخاف على نفسه و
شيعته فان عورضنا بان الحسين عليه السلام قاتل وحده فالجواب
ان فعله يحتمل وجهين احدهما انه ظن انهم لا يقتلونه لمكانه من
رسول الله صلى الله عليه وآله والاخر انه غلب على ظنه انه لو ترك قتالهم
قتله الملعون ابن زياد كما قتل ابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس و
الجهاد اهون عليه وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ
مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ

كاملة

كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ اية قد ذكرنا فيما
مضى حقيقة الحج والعمرة عند قوله فمن حج البيت او اعتمر فلا معنى
لاعادته والاحصار المنع يقال للرجل الذى قد منعه الخوف او المرض
عن التصرف قد احصر فهو محصر ويقال للرجل الذى حبس قد حصر فهو
وقال الفراء يجوز ان يقوم كل واحد منهما مقام الاخر وخالفه فيه ابو
العباس المبرد والزجاج قال المبرد ونظيره حبسه جعله فى الحبس و احبسه
عرضه للحبس واقتله عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه اى اوقع به
الحصر واحصره عرضه للحصر وحصر حصرا اذا عيى فى الكلام والحصير البخيل
لحبسه رفده والحصر الذى لا يبوح بسره لانه قد حبس نفسه عن البوح
والحصير الحبس والحصير الملك والحصور الهيوب المحجم عن الشئ والحصور
الذى لا اربة له فى النساء واصل الباب الحبس وفى اصل الهدى
قولان احدهما انه من الهدية يقال اهديت الهدية اهداء واهديت
الهدى الى بيت الله اهداء فعلى هذا انما يكون هديا لاجل التقرب به
الى الله تعالى والاخر انه من هداه اذا ساقه الى الرشاد فسمى هديا
لانه يساق الى الحرم الذى هو موضع الرشاد وواحد الهدى هدية
كما يقال شرية وشرى وتمرة وتمر وجمع الهدى هدى على زنة فعيل
كما يقال عبد وعبيد وكلب وكليب وقيل واحد الهدى هدية
مثل مطية ومطى قال الفرزدق حلفت برب مكة والمصلى واعناق
الهدى مقلدات والحلق حلق الراس يقال حلق وحلق والمحلق
موضع الحلق عنا والمحلق الحلاق وحلق الطائر فى الهواء اذا ارتفع

وحلوق ضرع الناقة اذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب في
المرى وحلوق الارض مجاريها في اوديتها وحلاق المنية واصل
الباب الاستمرار والراس اعلى كل شيء والاذى كلما تاذيت به و
رجل اذ اذا كان شديد التاذي واصله الضرر بالشيء والنسك جمع
نسيكة وهي الذبيحة ويجمع ايضا نسايك كصحيفة وصحايف وصحف
وكل ما ذبح لله سبحانه فهو نسيكة والنسك العبادة ومنه رجل
ناسك اي عابد والتمتع اصله الالتذاذ والاستمتاع ومتعة الحج
ان يعتمر في اشهر الحج ثم يحل ويتمتع بالاحلال بان يفعل ما يفعله
الحلال ثم يحرم بالحج من غير رجوع الى الميقات فهو احلال بين احرامين
واهل الرجل زوجته والتاهل التزوج واهل الرجل اخص الناس به
واهل البيت سكانه واهل الاسلام من يدين به واهل القرآن
من يقراه ويقوم بحقوقه واهلته لهذا الامر اي جعلته اهلا له
وقولهم اهلا ومرحبا اي اختصاصا بالتحية والتكرمة والعقاب
مصدر يقال عاقبه عقابا ومعاقبة وعقوبة واصله من عقب
الشيء الشيء اي خلفه فكان الفعل يعقبه الشدة وعقب الانسان
نسله وعقبه موخر قدمه قوله فما استيسر من الهدي
موضع ما رفع كانه قال فعليه ما استيسر ويجوز ان يكون موضعه
نصبا وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع اولى لكثرة نظايره كقوله
ففدية من صيام فعدة من ايام فصيام ثلثة ايام في الحج وقوله في
الحج متعلق بالمصدر وليس في موضع خبر فهذا النحو قد جاء مرفوعا
على تقدير اضمار خبر ثم بين سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد

بعد

بعد بيانه فريضة الجهاد فقال واتموا الحج والعمرة لله اي اتموهما بمناسكهما
وحدودهما وتادية كل ما فيهما عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه
اقيموهما الى اخر ما فيهما وهو المروي عن امير المومنين وعلي بن الحسين عليهما السلام
وعن سعيد بن جبير ومسروق والسدي وقوله لله اي اقصدوا بهما
التقرب الى الله تعالى والعمرة واجبة عندنا مثل الحج وبه قال الشافعي
في الجديد وقال اهل العراق انها مسنونة واركان افعال الحج النية
والاحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعي
بين الصفا والمروة واما الفرايض التي ليست باركان فالتلبية
وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له واما المسنونات
من افعال الحج فمذكورة في الكتب المصنفة واركان فرايض العمرة
النية والاحرام وطواف الزيارة والسعي واما ما ليس بركن من
فرايضها فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا
الطواف له وقوله فان احصرتم فيه قولان احدهما معناه ان منعكم
خوف او عدو او مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس ومجاهد
وقتاده وعطا وهو المروي عن ايمتنا عليهم السلام والثاني ان معناه
ان منعكم حابس قاهر عن مالك فما استيسر من الهدي فعليكم
ما سهل من الهدي او فاهدوا ما تيسر من الهدي اذا اردتم
الاحلال والهدي يكون من ثلثة انواع جزورا وبقرة او شاة و
ايسرها شاة وهو المروي عن علي عليه السلام وابن عباس والحسن و
قتاده وروي عن ابن عمر وعايشه انه ما كان من الابل والبقر
دون غيرها والاول هو الصحيح ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي

خيلف
محله اى لا تحللوا من احرامكم حتى تبلغ الهدى محله وينحر او يذبح و ا
فى محل الهدى على قولين الاول انه الحرم فاذا حتى ذبح به يوم النحر احل عن
ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا والثانى انه الموضع الذى يصد
فيه لان النبى صلى الله عليه وآله نحر هديه بالحديبيه وامر اصحابه ففعلوا
ذلك وليست الحديبيه من الحرم عن مالك واما على مذهبنا فالاول
حكم المحصر بالمرض والثانى حكم المحصور بالعدو وان كان الاحرام
بالحج فمحله منا يوم النحر وان كان الاحرام بالعمرة فمحله مكة فمن كان
منكم مريضا او به اذى من راسه اى من مرض منكم مرضا يحتاج
فيه الى الحلق للمداواة او تاذى بهوام راسه ابيح له الحلق بشرط الفدية
وروى اصحابنا ان هذه نزلت فى انسان يعرف بكعب بن عجرة
وانه كان قد قمل راسه وقوله ففدية اى فحلق لذلك العذر فعليه
فدية اى بدل وجزاء يقوم مقام ذلك من صيام او صدقة او نسك
المروى عن ائمتنا عليهم السلم ان الصيام ثلثة ايام والصدقة على ستة
مساكين وروى عشرة مساكين والنسك شاة وهو مخير فيها وقوله
فاذا امنتم معناه فاذا امنتم الموانع من العدو والمرض وكل مانع فمن
تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى اى فعليه ما تيسر من الهدى
والتمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام
وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثنى عشر ميلا من كل جانب الى
مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين وصفة التمتع
بالعمرة الى الحج ان ينشئ الاحرام فى اشهر الحج ثم يدخل الى مكة فيطوف
بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل من احرامه ثم ينشئ

احراما

احراما اخر للحج من المسجد الحرام ويخرج الى عرفات ثم يفيض الى المشعر ويأتى
بافعال الحج على ما هو مذكورة فى الكتب وفى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء
والهدى واجب على المتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف فى انه نسك
او جبران وعندنا انه نسك فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فى الحج اى فمن
لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج وعندنا ان هذه
الايام الثلثة يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة الايام
قضى يوما اخر بعد انقضاء ايام التشريق متتابعات وان فاته صوم
يوم التروية ايضا صام الايام الثلثة بعد ايام التشريق متتابعات و
قوله وسبعة اذا رجعتم اى وسبعة ايام اذا رجعتم الى بلادكم واهليكم
وبه قال قتاده وعطا وقيل معناه اذا رجعتم من منا فصوموها فى
الطريق عن مجاهد والاول هو الصحيح عندنا وقوله تلك عشرة كاملة فيه
اقوال احدها ان المعنى كاملة من الهدى اذا وقعت بدلا منه استكملت
ثوابه عن الحسن وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم واختاره الجبائى و
الثانى انه لازالة الابهام لئلا يظن ان الواو بمعنى او فيكون كانه
قال فصيام ثلثة ايام فى الحج او سبعة اذا رجعتم لانه اذا استعمل او
بمعنى الواو جاز ان يستعمل الواو بمعنى او فيكون كانه كما قال فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فالواو ههنا بمعنى او فذكر ذلك
لارتفاع اللبس عن الزجاج وابى القاسم البلخى وثالثها انه انما قال
كاملة للتوكيد كما قال جرير ثلث واثنان فهن خمس وسادسة تميل
الى شمام وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام اى ما تقدم
ذكره من التمتع بالعمرة الى الحج ليس لاهل مكة ومن يجرى مجراهم وانما هو

لمن لم يكن حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها اكثر من اثني عشر
ميلا من كل جانب واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله
شديد العقاب لمن عصاه روى معوية بن عمار عن الصادق
عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه واله اقام بالمدينة عشر سنين
لم يحج ثم انزل عليه واذن في الناس بالحج الاية فامر المؤذنون ان
يؤذنوا باعلى اصواتهم بان رسول الله يحج من عامه هذا فعلم به من
حضر المدينة واهل العوالي والاعراب واجتمعوا فخرج رسول الله صلى الله
عليه واله في اربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى الى ذي الحليفة
فزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى اتى المسجد الذي عنده الشجرة فصلى
فيه الظهر واحرم بالحج ثم ساق الحديث الى ان قال فلما وقف رسول الله
بالمروة بعد فراغه من السعي اقبل على الناس بوجهه فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ان هذا جبرئيل واومى بيده الى خلفه يامرني ان امر من
لم يسق هديا ان يحل هنا فلو استقبلت من امري ما استدبرت
لصنعت ما امرتكم ولكني سقت الهدي ولا ينبغي لسائق الهدي
ان يحل حتى يبلغ الهدي محله فقال له رجل من القوم انخرج حجاجا
ورؤسنا تقطر فقال انك لن تؤمن بها ابدا فقام اليه سراقة
بن مالك بن جعشم الكناني فقال يا رسول الله علمنا ديننا فكاننا
خلقنا اليوم فهذا الذي امرتنا به لعامنا هذا او لما يستقبل
فقال له رسول الله بل هو للابد الى يوم القيمة ثم شبك اصابعه
بعضها في بعض وقال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة وقدم
علي من اليمن على رسول الله صلى الله عليه واله وهو بمكة فدخل

على فاطمة عليها السلم وهي قد احلت فوجد ريحا طيبة ووجد عليها ثيابا
مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمة قالت امرنا بهذا رسول الله صلى الله عليه
واله فخرج علي عليه السلم الى رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمة فقال
يا رسول الله اني رايت فاطمة قد احلت وعليها ثياب مصبوغة فقال
رسول الله انا امرت الناس بذلك وانت يا علي بم اهللت فقال
قلت يا رسول الله اهلالا كاهلال النبي صلى الله عليه واله فقال له رسول
الله كن على احرامك مثلي وانت شريكي في هديي قال ونزل رسول الله
بمكة بالبطحاء هو واصحابه ولم ينزل الدور فلما كان يوم التروية عند
زوال الشمس امر الناس بذلك وانت يا علي ان يغتسلوا ويهلوا
بالحج فخرج النبي واصحابه مهلين بالحج حتى اتوا منى فصلى الظهر والعصر
والمغرب والعشاء الاخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش
تفيض من المزدلفة وهي جمع ويمنعون الناس ان يفيضوا منها
فانزل الله على نبيه ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني ابرهيم و
اسمعيل واسحق في افاضتهم منها ومن كان بعدهم فلما رات قريش
ان قبة رسول الله قد مضت كانه دخل في انفسهم شيء كانوا يرجون
من الافاضة من مكانهم حتى انتهى الى نمرة وهي بطن عرنة بحيال
الاراك فضرب قبته وضرب الناس اخبيتهم عندها فلما زالت
الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه واله ومعه قريش وقد اغتسل
وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وامرهم ونهاهم
ثم صلى الظهر والعصر باذان واقامتين ثم مضى الى الموقف فوقف
به فجعل الناس يبتدرون اخفاف ناقته يقفون الى جانبها

فنحاها ففعلوا مثل ذلك فقال ايها الناس انه ليس موضع اخفاف
نا فتى الموقف ولكن هذا كله موقف واومى بيده الى الموقف فتفرق
الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فتوقف حتى وقف القرص قرص
الشمس ثم افاض وامر الناس بالدعة حتى اذا انتهى الى المزدلفة وهي
المشعر الحرام صلى المغرب والعشاء الاخرة باذان واحد واقامتين ثم
اقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم بالليل فامرهم ان لا يرموا
الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما اضاء له النهار افاض حتى
انتهى الى منا فرمى جمرة العقبة وكان الهدى الذي جاء به رسول الله
صلى الله عليه واله اربعا وستين او ستا وستين وجاء علي عليه السلم
اربع وثلثين او ست وثلثين فنحر رسول الله ص ستا وستين بدنة
ونحر علي عليه السلم اربعا وثلثين بدنة وامر رسول الله ص ان يوخذ
من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تطرح في برمة ثم تطبخ فاكل رسول
الله ص منها وعلي وحسيا من مرقها ولم يعط الجزار من جلودها
ولا جلالها ولا قلايدها وتصدق به وحلق وزار البيت ورجع الى
منا فاقام بها حتى كان يوم الثالث من اخر ايام التشريق ثم رمى
الجمار ونفر حتى انتهى الى الابطح فقالت عايشة يا رسول الله ترجع
نساؤك بحجة وعمرة معا وارجع بحجة فاقام بالابطح وبعث معها
عبد الرحمن بن ابي بكر الى التنعيم فاهلت بعمرة ثم جاءت فطافت
بالبيت وصلت ركعتين عند مقام ابرهيم وسعت بين الصفا
والمروة ثم اتت النبي فارتحل من يومه ولم يدخل المسجد ولم
يطف بالبيت ودخل من اعلى مكة من عقبة المدنيين وخرج
من

من اسفل مكة من ذي طوى الحج اشهر معلومات فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد
التقوى واتقون يا اولي الالباب اية قرا ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بالفتح وقرا
ابو جعفر جميع ذلك بالرفع والتنوين وقرا الباقون الجميع بالفتح
حجة من فتح الجميع ان يقول انه اشد مطابقة للمعنى المقصود الا ترى انه
اذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما انه اذا قال لا ريب فقد نفى
جميع هذا الجنس فاذا رفع ونون فكان النفي لواحد منه الا ترى ان
سيبويه يرى انه اذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من
سيل فقال اغلام عندك ام جارية فالفتح اولى لان النفي قد عم
والمعنى عليه وحجة من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثا
واحدا ولكنه جميع ضروبه وان النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع
ان لم يبين فيه الاسم مع لا نحو ما رجل في الدار الرفث في اللغة
اصله الافحاش في النطق قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم وقيل
الرفث بالفرج الجماع وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز
للجماع والفسوق للخروج من الطاعة والجدال في اللغة والمجادلة
والمنازعة والمشاجرة والمخاصمة نظاير وجدلت الحبل فتلته
والجديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول والجدل القصر والجدالة
الارض ذات رمل الدقيق وغلام جادل اذا ترعرع واشتد
والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر والمزود وعاء يجعل فيه الزاد وكل

ترعرع

من استقل بخير من عمل او كسب فقد تزود منه تزودا واللب العقل سمى
بذلك لانه افضل ما فى الانسان وافضل كل شىء لبه **الحج**
مبتدا واشهر خبره وتقديره اشهر الحج معلومات اى اشهر موقتة اشهر
معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتاخير اللذين كانا يفعلهما
النساة الذى انزل فيهم النسى زيادة فى الكفر الايه واشهر الحج عندنا
شوال وذو القعده وعشر من ذى الحجة عن عطا والربيع وطاوس وروى
ذلك فى اخبارنا وانما صارت هذه اشهر الحج لانه لا يصح الاحرام بالحج
الا فيها بلا خلاف وعندنا لا يصح ايضا الاحرام بالعمرة التى يتمتع بها الى
الحج الا فيها ومن قال ان جميع ذى الحجة من اشهر الحج قال لانه يصح ان
يقع فيها بعض افعال الحج مثل صوم الايام الثلثة وذبح الهدى ومتى
قيل كيف سمى الشهرين وبعض الثالث اشهر اجيبوا به ان الاثنين قد يقع
عليه لفظ الجمع كما فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وايضا فقد يضاف
الفعل الى الوقت وان وقع فى بعضه ويضاف الوقت اليه كذلك تقول
صليت صلوة يوم الجمعة وصلوة يوم العيد وان كانت الصلوة فى
بعضه وقدم زيد يوم كذا وان كان قدم فى بعضه فكذلك جاز ان
يقال اشهر الحج ذو الحجة وان وقع الحج فى بعضه فمن فرض فيهن الحج معناه
فمن اوجب على نفسه فيهن الحج اى فمن احرم فيهن بالحج بلا خلاف او
بالعمرة التى يتمتع بها الى الحج على مذهبنا فلا رفث كنى بالرفث عن الجماع
ههنا عند اصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتاده وقيل هو مواعدة
الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطا وقيل هو الجماع
والتعرض له بمداعبة او مواعدة عن الحسن ولا فسوق وروى اصحابنا

انه الكذب وقيل هو معاصى الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتاده
وهذا اعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنابز بالالقاب لقوله بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله م
سباب المومن فسوق وقتاله كفر عن ابرهيم ومجاهد وقال بعضهم
لا يجوز ان يراد به هنا الا ما نهى المحرم عنه مما يكون حلالا له اذا احل لا
ما نهى عنه وهذا تخصيص للعموم بلا دليل وقد يقول القايل ينبغى ان
يقيد لسانك فى رمضان لئلا تفسد صومك وقد جاء فى الحديث
اذا اصمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك
فانما خص بذلك لعظيم حرمته لا جدال فى الحج روى اصحابنا انه قول
لا والله وبلى والله صادقا وكاذبا وللمفسرين فيه قولان احدهما انه
المرا والسباب والاغضاب على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس
وابن مسعود والحسن والثانى ان معناه لا جدال فى ان الحج قد
استدار فى ذى الحجة لانهم كانوا ينسون الشهور فيقدمون ويوخرون
فربما اتفق فى غيره عن مجاهد والسدى وما تفعلوا من خير يعلمه الله
معناه وما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لان الله تعالى عالم بجميع
المعلومات على كل حال الا انه جعل يعلمه فى موضع يجازه للمبالغة
فى صفة العدل اى انه يعاملكم معاملة من يعلمه اذا ظهر منكم فيجازى
به وذلك تاكيد ان الجزاء لا يكون الا بالفعل دون ما يعلم انه يكون
منهم قبل ان تفعلوه وتزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس
وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتاده ومجاهد والثانى
ان معناه تزودوا من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى وذكر

خصاصه م

ذلك فی اثناء اعمال الحج لانه احق شیء بالاستکثار من اعمال البر فیه
واتقون فیما امرتکم به ونهیتکم عنه یا اولی الالباب یا ذوی العقول
جناح
لیس علیکم جناح ان تبتغوا فضلا من ربکم
فاذا افضتم من عرفات فاذکروا الله عند المشعر الحرام
واذکروه کما هدیکم وان کنتم من قبله لمن الضالین آیة
الجناح الجرح فی الدین وهو المیل عن الطریق المستقیم والابتغا
الطلب والافاضة ماخوذ من فیض الاناء عن امتلاء فمعنی افضتم دفعتم
من عرفات الی المزدلفة عن اجتماع وکثرة ویقال افاض القوم فی الحدیث
اذا اندفعوا فیه واکثروا التصرف وافاض الرجل اناه اذا اصبه وافاض
الرجل اناه اذا اصبه وافاض الرجل بالقداح اذا ضرب بها لانها تقع
متفرقة قال ابو ذویب وکانهن ربابة وکانه یسر یفیض علی القداح
ویصدع وافاض البعیر بجرته اذا رمی به متفرقة کثیرة قال الراعی
وافضن بعد کظومهن بجرة من ذی الاباطح اذ رعین حقیلا فالافاضة
فی اللغة لا یکون الا عن تفرق او کثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة
یجب الوقوف بها فی الحج ویوم عرفة یوم الوقوف بها واختلف فی
سبب تسمیتها بعرفات فقیل لان ابرهیم عرفها بما تقدم له من النعت
لها والوصف روی عن علی علیه السلام وابن عباس وقیل انها
سمیت بذلک لان ادم وحوا اجتمعا فیه فتعارفا بعد ان کانا افترقا
عن الضحاک والسدی وقد رواه اصحابنا ایض وقیل سمیت بذلک
لعلوها وارتفاعها ومنه عرف الدیک وقیل سمیت بذلک لان
ابرهیم علیه السلم کان یریه جبریل المناسک فیقول عرفت عرفت

عن عطار

عن عطاء وروی عن ابن عباس ان ابرهیم رای فی المنام انه امر
بذبح ابنه فاصبح یروی یومه اجمع ای یفکر اهو امر من الله ام لا فسمی
یوم الترویة ثم رای فی اللیلة الثانیة فلما اصبح عرف انه من الله
فسمی یوم عرفة وروی ان جبریل ع قال لادم هناک اعترف بذنبک
واعرف مناسکک فقال ربنا ظلمنا انفسنا الایة فلذلک سمیت
عرفة والمشعر الحرام هو المزدلفة سمیت مشعرا لانه معلم للحج والصلوة
والمقام والمبیت به والدعاء عنده من اعمال الحج وانما سمی المشعر
مزدلفة لان جبریل قال لابرهیم ع بعرفات ازدلف الی المشعر
الحرام فسمی المزدلفة وسمی جمعا لانه یجمع به بین المغرب والعشاء الاخرة
باذان واحد واقامتین وسمیت منا منا لان ابرهیم ع تمنی هناک
ان یجعل الله مکان ابنه کبشا یامره بذبحه فدیة له
جناح
اسم لیس وخبره علیکم وموضع ان تبتغوا نصب علی تقدیر لیس
علیکم جناح فی ان تبتغوا فلما سقط فی عمل فیها معنی جناح والمعنی
لستم ناثمون فی ان تبتغوا وعرفات اسم معرفة لمواضع جرت مجری
موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وانما صرفت وان کان فیها
سببان من اسباب منع الصرف وهو التعریف والتانیث لانها
علی حکایة الجمع فالتنوین فیها بازاء النون فی مسلمون ولو سمیت امراة
بمسلمون لم یحذف هذه النون وتقول اقبلت مسلمون ورایت مسلمین
ویجوز فی عرفات حذف التنوین ایض تشبیها بالواحد اذا کان اسما
لواحد الا انه لا یکون الا مکسورا وان اسقطت التنوین ومثلها
اذرعات فی قول امرئ القیس تنورتها من اذرعات واهلها

بيثرب ادنى دارها نظر عال الكثر الرواية بالتنوين وقد انشد بالكسر
بغير تنوين والاول اختيار النحويين لما ذكرنا من اجرائهم اياه مجرى
مسلمون واما فتح التاء فخطأ وان كنتم ان هنا هي المخففة من الثقيلة
بدلالة ان لام الابتداء معها واذا خففت لم يعمل ان وكنتم من قبله لمن
الضالين لا موضع له من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل وانما
هذه الواو عطفت الجملة على جملة ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم قيل كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله سبحانه
بهذه اللفظة الاثم عمن يتجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن
وعطا وفي هذا تصريح بالاذن في التجارة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم
وقيل كان في الحج اجراء ومكارون وكان الناس يقولون انه لا حج لهم
فبين سبحانه انه لا اثم على الحاج في ان يكون اجيرا لغيره او مكاريا
وقيل معناه لا جناح عليكم ان تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن
ابي جعفر عليه السلم فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم عنها بعد
الاجتماع فيها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وفي هذا دلالة على ان الوقوف
بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا اليه لان ظاهر الامر على الوجوب فقد اوجب
الله تعالى الذكر فيه ولا يجوز ان يوجب الذكر فيه الا وقد اوجب الكون
فيه ولان كل من اوجب الذكر فيه فقد اوجب الوقوف وتقدير الكلام
فاذا افضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله كما هديكم
معناه واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية فان
الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة كما يجب ان يكون
على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته و

بين

بين من صغرت نعمته وتقدير الكلام واذكروه ذكرا مثل هدايته اياكم
وان كنتم اي وانكم كنتم من قبله اي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد
فيكون الهاء كناية عن غير مذكور لمن الضالين عن النبوة والشريعة
يهديكم اليه ثم افيضوا من حيث افاض الناس
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم اية الاستغفار
طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور و
غافر ان في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر فيستحق الوصف به
من وقع منه الغفران والعفو هو المغفرة وقد فرق بين بان العفو ترك
العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب المثوبة
ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد
فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله ثم افيضوا
من حيث افاض الناس قيل فيه قولان احدهما ان المراد به الافاضة
من عرفات وانه امر لقريش وخلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا
يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل
حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون
منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والافاضة منها كما يفيض الناس
والمراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعايشة وعطا و
مجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقر عليه السلم وقال
الضحاك انه امر لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث افاض ابرهيم
عن الضحاك قال فلما كان ابرهيم اماما كان بمنزلة الامة و
سماه وحده ناسا والثاني ان المراد به الافاضة من المزدلفة

الى منا يوم النحر قبل طلوع الشمس المرمى والنحر عن الجبائي قال والاية تدل
عليه لانه قال فاذا افضتم من عرفات ثم قال ثم افيضوا فوجب ان يكون
افاضة ثانية فدل ذلك على ان الافاضتين واجبتان والناس المراد
به ابرهيم عليه السلام كما انه في قوله الذين قال لهم الناس نعيم بن مسعود
الاشجعي وقيل ان الناس ابرهيم واسمعيل واسحق ع ومن بعدهم من
الانبياء عن ابي عبد الله عليه السلام ومما يسال على القول الاول ان يقال
اذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب ههنا وقد روى اصحابنا في
جوابه ان ههنا تقديما وتاخيرا وتقديره ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من
عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم وقيل اراد بالناس ادم عن سعيد ابن جبير والزهري وقيل
هم اهل اليمن وربيعة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين
ويعلمونه الناس واستغفروا الله اي اطلبوا المغفرة منه بالندم على
ما سلف من المعاصي ان الله غفور اي كثير المغفرة رحيم واسع الرحمة

فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ
اٰبَاءَكُمْ اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا اٰتِنَا
فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ اية

اصل القضا فصل الامر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك
وقد يفصل بان يعمل على تمام كقوله فقضيهن سبع سموات
وقد يفصل بالاخبار به على القطع كقوله وقضينا الى بني اسرائيل
وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الالزام والخلاف

النصب

النصب من الخير واصله التقدير فهو النصب من الخير على وجه الاستحقاق
وقيل انه من الخلق فهو نصيب مما يوجب الخلق الكريم اشد
في موضع جر ولكنه لا ينصرف لانه على وزن افعل وهو صفة ويجوز ان
يكون منصوبا على المصدر على واذكروه اشد ذكرا او ذكرا منصوب على التمييز
في الاخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله له وله في
موضع خبر المبتدا الذي هو من خلاق فان من مزيدة والجار والمجرور
في موضع رفع بالابتداء ويجوز ان يكون في الاخرة في موضع نصب على
الحال والعامل فيه ما في له من الفعل فاذا قضيتم مناسككم
وقيل فاذا فرغتم من مناسككم والمناسك جمع المنسك والنسك يجوز
ان يكون موضع النسك ويجوز ان يكون مصدرا فان كان موضعا فالمعنى
فاذا قضيتم ما وجب عليكم ايقاعه في متعبداتكم وان كان بمعنى المصدر
فانما جمع لانه يشتمل على افعال واذكار فجاز جمعه كالاصوات اي فاذا
قضيتم افعال الحج فاذكروا الله واختلف في الذكر على قولين احدهما ان
المراد به التكبير المختص بايام منا لانه الذكر المرغب فيه المندوب اليه
في هذه الايام والاخر ان المراد به سائر الادعية في تلك المواطن
لان الدعا فيها افضل منه في غيرها كذكركم اباءكم معناه ما روي عن
ابي جعفر الباقر عليه السلام انهم كانوا اذا فرغوا من الحج يجتمعون
هناك ويعدون مفاخر اباءهم وماثرهم ويذكرون ايامهم القديمة
واياديهم الجسيمة فامرهم الله سبحانه ان يذكروه مكان ذكرهم
اباءهم في هذا الموضع او اشد ذكرا او يزيدوا على ذلك بان يذكروا
نعم الله سبحانه ويعدوا الاءه ويشكروا نعماءه لان اباءهم وان

كانت لهم عليهم ايادٍ ونعم فنعم الله سبحانه عليهم اعظم واياديه عندهم
افخم ولانه سبحانه المنعم بتلك الماثر والمفاخر على اباءهم وعليهم هذا هو
الوجه فى تنبيهه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الواجب الذى هو دونه
فى الوجوب وهو قول الحسن والقتادة وقيل معناه فاستغيثوا بالله و
افزعوا اليه كما يفزع الصبى الى ابيه فى جميع اموره ويلهج بذكره فيقول
يا ابه عن عطا والاول اصح وقوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا
فى الدنيا بين سبحانه ان الناس فى تلك المواطن اصناف فمنهم
من يسال نعيم الدنيا ولا يسئل نعيم الاخرة لانه غير مؤمن بالبعث و
النشور وماله فى الاخرة من خلاق اى نصيب من الخير موفور
ومنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار اية الفرق بين القول و
الكلام ان القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد
لله فاذا اخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على اللفظ نحو
ما اذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى ان يقول
نحا سايدل قوله قطر والايتا العطا واصله الاتى بمعنى المجى فاتى
اذا كان منه المجى واتى غيره حمله على المجى فيقال اتاه ما يجب وق
اصله يقى وقاية ووقاء الوقا اصله الحجر بين الشيئين والوقا الحاجز
الذى يسلم به من الضرر لما ذكر سبحانه دعا من ساله من امور
الدنيا فى تلك المواقف الشريفة ما لا يرتضيه عقبه بما يساله المؤمنون
فيها من الدعاء الذى رغب فيه فيقال ومنهم من يقول ربنا اتنا
اى اعطنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة اى نعيم الدنيا ونعيم الاخرة

عن انس

عن انس وقتاده وروى عن ابى عبدالله انها السعة فى الرزق والمعاش
وحسن الخلق فى الدنيا ورضوان الله والجنة فى الاخرة وقيل العلم والعبادة
فى الدنيا والجنة فى الاخرة عن الحسن وقتاده وقيل هى المال فى الدنيا
وفى الاخرة الجنة عن ابن زيد والسدى وقيل هى المراة الصالحة فى
الدنيا وفى الاخرة الجنة عن على عليه السلام وروى عن النبى صلى الله عليه
وآله انه قال من اوتى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه
على امر دنياه واخرته فقد اوتى فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة و
وقى عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا و
الله سريع الحساب اية النصيب الحظ وجمعه انصبا و
انصبه لوحد النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير او شر و
الكسب الفعل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر والسريع من العمل
هو القصير المدة يقال سرع سرعة وسرعا فهو سريع وافعل فلان
فى سرعان قومه اى فى اوايلهم المسرعين والحساب مصدر كالمحاسبة
اولئك لهم نصيب مما كسبوا اى حظ من كسبهم باستحقاقهم
الثواب عليه والله سريع الحساب ذكر فيه وجوه احدها ان معناه
سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب ويجرى مجراه
قوله سبحانه وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وعبر عن
الجزاء بالحساب لان الجزاء كفاء للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال
احسبنى الشىء كفانى وثانيها ان يكون المراد به انه يحاسب اهل
الموقف فى اوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره
كما لا يشغله شان عن شان وورد فى الخبر انه سبحانه يحاسب الخلايق

كلهم فى مقدار لمح البصر وروى بقدر حلب شاة هذا احد ما يدل على
انه سبحانه ليس بجسم وانه لا يحتاج فى فعل الكلام الى آلة لانه لو كان
كذلك لما جاز ان نخاطب اثنين فى وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين
ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت
مدة محاسبة الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة وثالثها ان معناه انه
سبحانه سريع القبول لدعاء هؤلاء والاجابة لهم من غير احتباس فيه
وبحث عن المقدار الذى يستحقه كل داع كما يحتبس المخلوق للاحصا
والاحتساب ويقرب منه ما روى عن ابن عباس انه قال يريد
انه لا حساب على هؤلاء ان ما يعطون كتبهم بايمانهم فيقال لهم
هذه سيئاتهم قد تجاوزنا عنكم وهذه حسناتكم قد ضعفتها
لكم وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ
فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اية المعدودات يستعمل
كثيرا فى اللغة للشئ القليل وكل عدد قل او كثر فهو معدود ولكن معدودات
اول على القلة لان كل قليل يجمع بالالف والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية
الى مكان والمحشر المكان الذى يحشرون فيه وحشرتهم السنة اذا اجحفت
بهم لانها تضمهم من النواحى الى المصر وسهم حشر خفيف لطيف لانه
ضامر باجتماعه واذن حشرة لطيفة وحشرات الارض دوابها الصغار
لاجتماعها من كل ناحية فاصل الباب الاجتماع العامل فى اللام
من قوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان تقديره ذلك لمن اتقى فيكون
الجار والمجرور فى موضع خبر المبتدا وانما حذف ذلك لان الكلام الاول

دل

دل على وعد للعامل والثانى ان يكون العامل فيه معنى لا اثم عليه لانه
قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ
هذا امر من الله تعالى للمكلفين ان يذكروه فى ايام معدودات وهى
ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر والايام المعلومات عشر ذى الحجة
عن ابن عباس والحسن واكثر اهل العلم وهو المروى عن ائمتنا وذكر الفراء
ان المعلومات ايام التشريق ثلثة ايام والمعدودات العشر والذكر الماموربه
هو ان يقول عقيب خمس عشرة صلواة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله
والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولينا
الله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر
يوم النحر واخره عقيب صلوة الفجر من يوم الرابع من النحر هذا لمن كان
بمنا ومن كان بغيرها من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها
صلوة الظهر من يوم النحر ايضا وهو المروى عن الصادقين عليهم السلم
وفى ذلك اختلاف بين الفقهاء ووافقنا فى ابتداء التكبير من صلوة
الظهر يوم النحر ابن عباس وابن عمر وقوله فمن تعجل فى يومين فلا اثم
عليه المعنى فى ذلك الرخصة فى جواز النفر فى اليوم الثانى من التشريق
والافضل ان يقيم الى النفر الاخير وهو الثالث من التشريق واذا نفر
فى الاول نفر بعد الزوال الى غروب الشمس فان غربت فليس له ان
ينفر الى اليوم الثالث وقوله فلا اثم عليه فيه قولان احدهما ان معناه
لا اثم عليه لان سيئاته صارت مكفرة بما كان من حجه المبرور
وهو معنى قول ابن مسعود والثانى ان معناه لا اثم عليه فى التعجيل
والتاخر وانما نفى الاثم لئلا يتوهم متوهم ان فى التعجيل اثما وانما

قال فلا اثم عليه فى التاخير على جهة المزاوجة كما يقال ان اعلنت الصدقة
فحسن وان اسررت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل
عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان الحج يقع مبرورا
مكفرا للسيئات اذا اتقى ما نهى الله عنه والآخر ما رواه اصحابنا
ان قوله لمن اتقى متعلق بالتعجل فى اليومين وتقديره فمن تعجل فى
يومين فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد الى انقضاء النفر الاخير وما بقى
من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر فى الاول وهو المروى عن
ابن عباس واختاره الفراء وقد روى ايضا عن ابى عبد الله عليه السلام
فى قوله فمن تعجل فى يومين اى من مات فى هذين اليومين فقد كفر عنه
كل ذنب ومن تاخر اى من انسئ اجله فلا اثم عليه بعدها اذا اتقى الكبائر
وقوله واتقوا الله اى اجتنبوا معاصى الله واعلموا انكم اليه تحشرون اى
تحققوا انكم بعد موتكم تجمعون الى الموضع الذى يحكم الله فيه بينكم
ويجازيكم على اعمالكم   ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة
الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى
سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله
لا يحب الفساد آيتان   الاعجاب هو سرور المعجب بالحسن
ومنه العجب بالنفس وهو السرور بما يسر المعجب من الشى استحسانا
وذلك اذا يعجب من شدة حسنه يقول عجب ويعجب واعجبه غيره
واعجبه واستعجب الرجل اذا اشتد تعجبه قال الازهرى العجب كل
شى غير مالوف والالد الشديد الخصومة تقول لددت تلد لددا ولددته
يلده اذا غلبه فى الخصومة ولد الدواء فى الحلق اذا اوجره فى احد

شقى فمه واللديدان جانبا الوادى ولديدا كل شى جانباه الوادى والتلدد
التلفت عن تحير والخصام قيل انه جمع الخصم عن الزجاج وفعل اذا كان
صفة فانه يجمع على فعال نحو صعب وصعاب واذا كان اسما فانه
يجمع فى القلة على افعل وفى الكثرة على فعال كفرخ وفراخ وقيل الخصام مصدر
كالمخاصمة عن الخليل والتولى هو الانحراف والزوال عن الشى الى خلاف
جهته وقوله سعى قد يكون بمعنى عمل وقد يكون بمعنى اسرع قال الاعشى
وسعى لكندة سعى غير مواكل قيس فضر عدوها وبنى لها اى عمل لكندة
والافساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة
والاهلاك العمل الذى ينفى الانتفاع والحرث الزرع والنسل العقب
من الولد وقال الضحاك الحرث كل نبات والنسل كل ذات روح
يقال نسل ينسل نسولا اذا خرج وسقط ومنه نسل وبر البعير او ريش
الطاير والناس نسل ادم لخروجهم من ظهره واصل الباب النسول
الخروج   ليفسد نصب باضمار ان ويجوز اظهارها بان يقال
لان يفسد ولا يجوز اظهار ان فى قوله ليذر من وما كان الله ليذر
المؤمنين والفرق بينهما ان اللام فى ليفسد على اصل الاضافة فى
الكلام واللام فى ليذر لتاكيد النفى كما دخلت الباء فى ليس زيد
بقائم   قال ابن عباس نزلت الآيات الثلث فى المرائى لانه
يظهر خلاف ما يبطن وهو المروى عن الصادق عليه السلام الا انه
عين المعنى به وقال الحسن نزلت فى المنافقين وقال السدى نزلت
فى الاخنس بن شريق وكان يظهر الجميل بالنبى صلى الله عليه وآله
والمحبة له والرغبة فى دينه ويبطن خلاف ذلك   ثم بين

سبحانه حال المنافقين بعد ذكره احوال المؤمنين والكافرين فقال
ومن الناس من يعجبك قوله اى يستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه
من قلبك فى الحيوة الدنيا اى يقول امنت بك وانا لك صاحب و
نحو ذلك ويشهد الله على ما فى قلبه اى يحلف بالله ويشهده على انه
مضمر ما يقول فيقول اللهم اشهد على وضميره على خلافه وهو الد
الخصام اى وهو اشد المخاصمين خصومة ومن قال ان الخصام مصدر
فمعناه شديد الخصومة عند المخاصمة بجدل مبطل واذا تولى اعرض عن
الحسن وقيل معناه ملك الامر وصار واليا عن الضحاك ومعناه اذا
ولى سلطانا جار وقيل ولى عن قوله الذى اعطاه عن ابن جريج سعى
فى الارض اى اسرع فى المشى من عندك وقيل عمل فى الارض ليفسد فيها
قيل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل
بالمعاصى ويهلك الحرث والنسل اى النبات والاولاد وذكر الازهرى
ان الحرث النساء والنسل الاولاد لقوله تعالى نساؤكم حرث لكم وروى
عن الصادق عليه السلم ان الحرث فى هذا الموضع الدين والنسل
الناس والله لا يحب الفساد اى العمل بالفساد وقيل اهل الفساد
وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله سبحانه يريد القبائح لانه
سبحانه نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هى الارادة لان كل ما احب الله
ان يكون فقد اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون
وَاِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ
وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ اية الاتقاء طلب السلامة بما يحجز المخافة
والتقاء الله انما هو اتقاء عذابه والاخذ ضد الاعطاء والعزة القوة

التى يمتنع بها من الذلة والمهاد الوطاء من كل شئ وطأته فقد مهدته
والارض مهاد لاجل توطية للنوم والقيام عليه ثم بين الله سبحانه
صفة من تقدم من المنافقين فقال واذا قيل له اتق الله اى واذا
قيل لهذا المنافق اتق الله فيما نهاك عنه من السعى فى الارض بالفساد و
اهلاك الحرث والنسل اخذته العزة بالاثم قيل فى معناه قولان احدهما
حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم ودعته اليه كما يقال اخذته
بكذا اى الزمته ذلك واخذته الحمى اى لزمته والثانى اخذته العزة
من اجل الاثم الذى فى قلبه من الكفر عن الحسن فحسبه جهنم اى فكفاه
عقوبة من ضلاله ان يصلى نار جهنم ولبئس المهاد اى القرار عن الحسن
كما قال فى موضع اخر وبئس القرار لان القرار كالوطاء فى الثبوت عليه
وقيل انما سميت جهنم مهادا لانها بدل من المهاد كما قال سبحانه فبشرهم
بعذاب اليم لانه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه وفى هذه الاية
دلالة على ان من تكبر عن قبول الحق اذا دعى اليه كان مرتكبا اعظم كبيرة
ولذلك قال ابن مسعود ان من الذنوب التى لا تغفر ان يقال للرجل
اتق الله فيقول عليك نفسك وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ اية
الشراء من الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى
وقوله وشروه بثمن بخس اى باعوه والمرضاة والرضا ضد السخط
وقد تقدم معنى الرؤف ابتغاء نصب لانه مفعول له كقول
الشاعر واغفر عودا الكريم ادخاره واعرض عن قول اللئيم تكرما
روى السدى عن ابن عباس قال نزلت هذه فى على بن ابى طالب عليه السلم

حين هرب النبي صلى الله عليه وآله من المشركين الى الغار ونام علي عليه السلم
على فراش النبي ونزلت الآية بين مكة والمدينة وروى انه لما نام على فراشه
قام جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ
من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله تعالى بك الملئكة وقال عكرمة
نزلت في ابي ذر الغفاري جندب ابن السكن وصهيب بن سنان
لان اهل ابي ذر اخذوا اباذر فانفلت منهم فقدم على النبي صلى الله
عليه واله فلما رجع مهاجرا اعترضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبي صلى الله
عليه وآله واما صهيب فانه اخذه المشركون من اهله فافتدى منهم
بماله ثم خرج مهاجرا وروى عن علي عليه السلم وابن عباس ان المراد في
الآية الرجل يقتل على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة
نزلت في المهاجرين والانصار وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في
سبيل الله   ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الامر بالمعروف في
قوله واذا قيل له اتق الله اي هذا القائل آمرا بالخير والمعروف فقال
ومن الله من يشترى اي يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله اي لابتغاء
رضاء الله وانما اطلق عليه اسم البيع لانه انما فعل ما فعل لطلب رضاء
الله كما ان البايع يطلب الثمن بالمبيع والله رؤوف بالعباد اي واسع الرحمة
لعبده ينيلهم ما حاولوه من مرضاته وثوابه   يا ايها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين آية   قرأ اهل الحجاز و
الكسائي السلم بفتح السين والباقون بكسرها قال الاخفش السلم
بكسر السين الصلح وفيه ثلث لغات السلم والسلم والسلم وانشد

انابل

انابل انني سلم لاهلك فاقبلي سلمي قال ابو عبيدة السلم السين والاسلام
واحد وهو في موضع آخر المسالمة والصلح والسلم الاستسلام ومنه
قوله تعالى ورجلا سلما لرجل اي مستسلما له منقادا لما يريده منه و
يكون مصدرا وصف به ويحتمل ايضا ان يكون فعلا بمعنى فاعل مثل
بطل وحسن ونظيره يابس ويبس وواسط ووسط   كافة معناه
جميعا واشتقاقه في اللغة مما يكف الشيء في آخره ومن ذلك كفة
القميص لحاشيته لانها تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل لحرف كفة
ويقال في كل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف اذا
بسط كفه للسؤال وكل شيء جمعته فقد كففته واستكف القوم بالشيء اذا
احدقوا به   وكافة منصوب على الحال من الواو في ادخلوا وقيل
هو حال من السلم ولكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع نصب على الحال
من عدو   لما قدم سبحانه ذكر الفرق الثلث من العباد دعا جميعهم
الى الطاعة والانقياد فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله
ادخلوا في السلم اي في الاسلام اي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يا ايها
الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله عن ابن عباس والسدي والضحاك
ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخي
والكلام يحتمل الامرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه
اصحابنا من ان المراد به الدخول في الولاية كافة اي جميعا اي ادخلوا
جميعا في الاسلام او الطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا
في السلم كله اي في جميع شرايع الاسلام ولا تتركوا بعضه ويؤيد هذا
القول ما روى ان قوما من اليهود اسلموا وسألوا النبي صلى الله عليه وآله

ان يبقى عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الابل ان يلتزموا جميع احكام الاسلام
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى اثاره ونزغاته لان تركم شيئا من
شرايع الاسلام اتباع للشيطان انه لكم عدو مبين اى مظهر للعداوة با
ستناعه من السجود لادم وبقوله لاحتنكن ذريته الا قليلا
فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
يقال زل الرجل يزل زلا وزللا ومزلة اذا اذنب وزل في الطريق
زليلا واصله من الزوال ومعنى الزلة الزوال عن الاستقامة والعزيز
هو القدير المنيع الذى لا يعجزه شئ واصل العزة الامتناع ومنه ارض
عزاز اذا كانت ممتنعة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق
ما حرف موصول جاءتكم صلته واعلموا جملة في محل الرفع لانها
بعد الفاء في جواب الشرط والفاء مع الجملة في محل الجزم او محل الرفع لانه
جواب الشرط مبنى لما امر سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعيد
على تركها فقال فان زللتم اى تنحيتم عن القصد وعدلتم عن الطريق
القويم الذى امركم الله سبحانه بسلوكه من بعد ما جاءتكم البينات
اى الحجج والمعجزات فاعلموا ان الله سبحانه عزيز في نقمته لا يمتنع شئ من
بطشه وعقوبته حكيم فيما شرع من احكام دينه لكم وفيما يفعله
بكم من العقاب على معاصيكم بعد اقامة الحجج عليكم
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ قرا ابو جعفر و
الملئكة بالجر والباقون بالرفع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى ترجع
الامور بالفتح التاء والباقون بضمها بالرفع فانه عطفها على الغمام

اى فى

اى فى ظلل من الغمام وفى ظلل من الملئكة اى جماعة من الملئكة وقراءة
السبعة بالرفع عطفا على قوله الله الا ان ياتيهم الله وان ياتيهم الملئكة
وحجة من قرا ترجع على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم ردوا الى الله ولئن
رددت الى ربى ولئن رجعت الى ربى وحجة من قرا ترجع على بناء الفعل
للفاعل قوله الا الى الله تصير الامور اليه مرجعكم النظر ههنا
بمعنى الانتظار كما فى قول الشاعر فبينا نحن ننظره اتانا معلق شكوة
وزناد راع اى ننتظره واصل النظر لادراك الشئ واذا استعمل بمعنى
الانتظار فلان المنتظر يطلب ادراك ما يتوقع واذا كان بمعنى الفكر
فى القلب فلان المتفكر يطلب به المعرفة واذا كان بالعين فلان الناظر
يطلب روية المرئى والظلل جمع ظلة وهى ما يستظل به من الشمس وسمى
السحاب ظلة لانه يستظل به والغمام السحاب الابيض الرقيق سمى
بذلك لانه يغم اى يستر هل حرف النداء استفهام بمعنى النفى
الا ههنا لنقض النفى ان ياتيهم الله فى موضع نصب بينظرون من
الغمام يتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفية فى موضع الجر صفة ظلل
ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد اخر فقال هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام اى هل ينتظرون هولاء المكذبون
بايات الله الا ان ياتيهم امر الله او عذاب الله وما توعدهم به على
معصيته فى ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب وهذا كما يقال
قتل الامير فلانا وضربه واعطاه وان لم يتول شيئا من ذلك بنفسه
بل فعل بامره فاسنده اليه لامره به وقيل معناه ما ينتظرون
الا ان ياتيهم جلايل ايات الله غير انه ذكر نفسه تفخيما للايات كما يقال

دخل الامير البلد ويراد بذلك جنده وانما ذكر الغمام ليكون اهول فان
الاهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه واذا غشيهم موج كالظلل وقال
الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب كما قال
فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا اى اتاهم بخذلانه اياهم وهذه الاقوال
متقاربة المعنى بل المعنى فى الجميع واحد اى هل ينظرون الا يوم القيمة
وهو استفهام يراد به النفى والانكار اى ما ينتظرون كما يقال هل يطالب
بمثل هذا الا متعنت اى ما يطالب ومثله فى التنزيل هل ينظرون الا
ان ياتيهم الملئكة او ياتى امر ربك وقد يقال اتى وجاء فيما لا يجوز
عليه المجى والذهاب يقولون اتانى وعيد فلان وجائنى كلام فلان
واتانى حديثه ولا يراد به الاتيان الحقيقى قال اتانى فلم اسر به حين
جائنى حديث باعلى القنتين عجيب وقال اخر اتانى نصرهم وهم بعيد
بلادهم بارض الخيزران فاما قوله والملئكة فقد ذكرنا الوجه فى دفعه
وجره قبل وقيل معنى الاية الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام اى بجلايل
اياته وبالملئكة فقد ذكرنا الوجه فى دفعه وجره قبل وقيل معنى الاية
وقوله وقضى الامر معناه فرغ من الامر وهو المحاسبة فى انزال اهل
الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وهذا فى الاخرة وقيل معناه وجب
العذاب اى عذاب الاستيصال وهذا فى الدنيا والى الله ترجع الامور
اى اليه ترد الامور فى سوال عنها ومجازاته عليها وكانت الامور
كلها لله فى الابتداء فملك بعضها فى الدنيا غيره ثم يصير كلها اليه
فى الحشر لا يملك احد هناك شيا وقيل ترجع امور الدنيا والاخرة

سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن

يبدل

يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب اية

كم فى موضع نصب لانه مفعول ثان لاتينا وانما وجب له
صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم ان هذه الجملة التى هى كم اتيناهم
من اية قد وقعت موقع المفعول الثانى لاتينا وانما لقوله سل من اية
يتعلق باتينا ايض وما حرف موصول جاءت صلته والموصول والصلة
فى موضع جر باضافة بعد اليه   سل يا محمد بنى اسرائيل اى اولاد
يعقوب عليه السلم وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد به علماؤهم
وهو سوال تقرير لتاكيد الحجة عليهم كم اتيناهم اى اعطيناهم من اية
بينة من حجة واضحة ظاهرة مثل اليد البيضا وقلب العصا حية و
فلق البحر وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى عن الحسن ومجاهد
وقيل كم من حجة واضحة لمحمد تدل على صدقه عن الجبائى ومن يبدل
نعمة الله من بعد ما جاءته فى الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله
وكفروا باياته وخالفوه فضلوا واضلوا ومن يبدل الشكر عليها
بالكفران وقيل من يصرف ادلة الله تعالى عن وجوهها بالتاويلات
الفاسدة الخالية من البرهان فان الله شديد العقاب له وقيل
شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفى الاية
دلالة على فساد قول المجبرة فى انه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة
لانه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال فى موضع اخر يعرفون نعمة الله
ثم ينكرونها ونحو ذلك ومن وجه اخر وهو انه اضاف التبديل
اليهم واوعدهم عليه بالعقوبة فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبة
والتبديل هو ان يحرف او يكتم او يتاول على خلاف جهته كما فعلوه فى

التورية والانجيل وكما فعله مبتدعة الامة فى القران لما بين
سبحانه الشرايع وان الناس فيها ثلث فرق مومن وكافر ومنافق
ثم وعد واوعد بين بعد ذلك ان تركهم الايمان ليس بتقصير فى
الحج ولكن لسوء طبايعهم وخبث افعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا
الصنيع فقال سل بنى اسرائيل زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم
القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب اية الدنيا
صفة الحيوة بغير حساب الجار والمجرور فى محل النصب على الحال والعامل
فيه يرزق وذو الحال الضمير فى يرزق او الموصول الذى هو من يشاء و
تقديره غير محاسب او غير محاسب نزلت الاية فى ابى جهل
وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم
المؤمنين فقراء مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون
لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس وقيل نزلت فى عبد الله
بن ابى واصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل
نزلت فى رؤساء اليهود من بنى قريظة والنضير وقينقاع سخروا من
فقراء المهاجرين عن عطا ولا مانع من نزوله فى جميعهم ثم بين سبحانه
ان عدولهم عن الايمان انما هو لايثارهم الحيوة الدنيا فقال زين
للذين كفروا الحيوة الدنيا وفيه قولان احدهما ان الشيطان زينها
لهم بان قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب اليهم
فاما الله سبحانه فلا يجوز ان يكون مزينا لهم اياها لانه زهد فيها
وقال واعلم انها متاع الغرور وقال قل متاع الدنيا قليل عن الحسن و

الجبائى

الجبائى والاخر ان الله سبحانه زينها لهم بان خلق فيها الاشياء المعجبة
المحبوبة وبما خلق لهم من الشهوة لها قال زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين الاية وانما كان كذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة فان
الانسان انما يكلف بان يدعى الى شئ تنفر نفسه عنه او يزجر عن شئ تتوق
نفسه اليه وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه واله حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات وانما ذكر الفعل وهو مسند الى الحيوة لان تانيث
الحيوة غير حقيقى وهو بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولانه فصل بين الفعل
والفاعل بقوله للذين كفروا واذا قالوا فى التانيث الحقيقى حضر القاضى
اليوم امراة وجوزوا التذكير فيه فهو فى التانيث غير حقيقى اجود ويسخرون
من الذين امنوا اى ويهزؤن من المؤمنين لفقرهم وقيل لايمانهم
بالبعث وجدهم فى ذلك وقيل لزهدهم فى الدنيا ويمكن الحمل على الجميع ولا
تنافى بين هذه الاقوال والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اى الذين اجتنبوا
الكفر فوق الكفار فى الدرجات وقيل اراد ان تمتعهم بنعيم الاخرة
اكثر من استمتاع هؤلاء بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم فى الاخرة
فوق حال هؤلاء الكفار لانهم فى عليين وهؤلاء فى سجين وهذا كقول
اصحاب الجنة يومئذ فى الهزء بالكفار والضحك منه فى الاخرة فوق
حال هؤلاء فى الدنيا ويدل على ذلك قوله سبحانه ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
الى قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب قيل فيه اقوال احدها ان
معناه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا يدخل الحساب من كثرته وثانيها
انه لا يرزق الناس فى الدنيا على مقابلة اعمالهم وايمانهم وكفرهم فلا يدل

غير مستقر او مثله قول حسان [illegible] وقيل اراد ان حال المؤمنين

بسط الرزق للكافرين على منزلتهم عند الله وان قلنا ان المراد به في
الاخرة فمعناه ان الله لا يثيب المؤمنين في الاخرة على قدر اعمالهم التي سلفت
منهم بل يزيدهم تفضلا وثالثها انه يعطيه عطاء لا يأخذه بذلك احد
ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء ولا مكافاة ورابعها انه يعطي
العدد من الشيء لا يضبطه بالحساب ولا يأتي عليه العدد لان ما يقدر
عليه غير متناه ولا محدود فهو يعطي الشيء لا من عدد اكثر منه فينقص منه
لمن يعطي الالف من الالفين والعشرة من المائة عن قطرب وخامسها ان
معناه يعطي اهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب وكل هذه الوجوه
جائز حسن كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا
بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آية
قرأه ابو جعفر القارئ وحده ليُحكم بضم الياء وفتح الكاف
والباقون بفتح الياء وضم الكاف وجه القراءة الظاهرة ان
الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله سبحانه هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق ويجوز ان يكون فاعل يحكم الله اي ليحكم الله في عباده
ووجه القراءة ابي جعفر ظ الامة على وجوه ذكرناها عند قوله
تلك امة قد خلت وهي هنا بمعنى الملة والدين مبشرين و
منذرين نصب على الحال بالحق في موضع الحال والعامل فيه انزل

وذو الحال

وذو الحال الكتاب ليحكم جار ومجرور واللام يتعلق بانزل وبغيا بينهم
نصب على انه مفعول له اي لم يوقعوا الاختلاف الا للبغي ويجوز ان يكون
مصدرا وقع موقع الحال وما اسم موصول واختلفوا صلته واللام يتعلق
بهدى ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى والباء
في باذنه يتعلق بهدى ايضا ثم بيّن سبحانه احوال من تقدم
من الكفار تسلية للنبي صلى الله عليه وآله فقال كان الناس امة واحدة اي ذوو امة
واحدة اي اهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف
في انهم على اي دين كانوا فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروي عن
ابن عباس في احدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي ثم اختلفوا
في اي وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين ادم ونوح وقال
بعضهم كانوا كفارا بعد نوح الى ان بعث الله ابرهيم والنبيين بعده و
قال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لان الله تعالى
بعث كثيرا من الانبياء الى المؤمنين فان قيل كيف يجوز ان يكون الناس
كلهم كفارا والله سبحانه لا يجوز ان يخلي الارض من حجة له على خلقه قلنا
يجوز ان يكون الحق هناك في واحد او جماعة قليلة لم يمكنهم اظهار
الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم اذ كانت الغلبة للكفار وقال اخرون
انهم كانوا قبل نوح على الحق وهو المروي عن قتاده ومجاهد وعكرمة و
الضحاك وابن عباس في الرواية الاخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس و
قتاده هم كانوا بين ادم ونوح وهم عشرة قرون كانوا على شريعة من الحق
فاختلفوا بعد ذلك وقال الواقدي والكلبي هم اهل السفينة نوح
حين غرق الله تعالى الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول

هؤلاء كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال
مجاهد المراد به ادم كان على الحق اماما لذريته فبعث الله النبيين في
ولده وروى اصحابنا عن ابي جعفر الباقر عليه السلم انه قال كانوا قبل
نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالا فبعث الله النبيين
بالشرايع لما علم ان مصالحهم فيها فبعث الله اى ارسل الله النبيين
مبشرين لمن اطاعهم بالجنة ومنذرين لمن عصاهم بالنار وانزل معهم
الكتاب اى انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع
بعضهم الكتاب اذ الانبياء لم يكونوا منزلين حتى ينزل الكتاب معهم
واراد به مع بعضهم لانه لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لان
الكتاب اسم الجنس فمعناه الجمع وقوله بالحق اى بالصدق والعدل
وقيل معناه وانزل الكتاب بانه حق وانه من عند الله تعالى او
قيل معناه وانزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله ليحكم بين
الناس الضمير في يحكم يرجع الى الله اى ليحكم الله منزل الكتاب وقيل
يرجع الى الكتاب اى ليحكم الكتاب فاضاف الحكم الى الكتاب وان
كان الله هو الذي يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب فيما اختلفوا فيه
من الحق قبل انزال الكتاب ومتى سئل عن هذا فقيل اذا كانوا كانوا
مختلفين في الحق فكيف عمهم الكفر في قول من قال انهم كانوا كلهم
كفارا الجواب انه لا يمتنع ان يكونوا كفارا وبعضهم يكفر من جهة الغلو
وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح وقالت
النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه معناه وما اختلف في الحق الا الذين اعطوا

العلم

العلم به كاليهود فانهم كتموا صفة النبي ص بعد ما اعطوا العلم به من بعد
ما جاءتهم البينات اى الادلة والحجج الواضحة وقيل التورية والانجيل
وقيل معجزات محمد ص بغيا بينهم اى ظلما وحسدا وطلبا للرياسة وقوله
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه معناه فهدى
الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا بعلمه والاذن بمعنى العلم مشهور في اللغة
قال الحرث بن حلزة اذنتنا ببينها اسماء اى اعلمتنا وانما خص المؤ منين
لانهم اختصوا بالاهتداء وقيل ان معنى اذنه بلطفه فعلى هذا يكون في
الكلام محذوف اى فاهتدوا باذنه وانما قال هداهم لما اختلفوا فيه
من الحق ولم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لانه لما كانت العناية
بذكر الاختلاف كان اولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن والله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم فيه اقوال احدها ان المراد به يهديهم البيان
والدلالة والصراط المستقيم هو الاسلام وخص به المكلفين دون غيرهم
ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائي وثانيها ان المراد به يهديهم باللطف
فيكون خاصا لمن علم من حاله انه يصلح به عن البلخي وابن الاخشيد
وثالثها ان المراد به يهديهم الى طريق الجنة اى ياخذ بهم على طريقها
فيكون مخصوصا بالمؤمنين ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء و
الضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر
الله الا ان نصر الله قريب اية قرا نافع وحده حتى يقول
بالرفع والباقون بالنصب من نصب فالمعنى وزلزلوا الى
ان قال الرسول وما ينتصب بعد حتى من الافعال على ضربين احدهما

ان يكون بمعنى الى كما فى الاية والاخر ان يكون بمعنى كى كما يقال اسلمت
حتى ادخل الجنة فهذا تقديره اسلمت ادخل الجنة والاسلام قد كان
والدخول لم يكن وفى الوجه الاول كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى
واما من قرا بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون الا فعل حال ويحتمل ايضا
على ضربين احدهما ان يكون الفعل الاول الذى هو السبب قد مضى والفعل
الثانى المسبب لم يمض كما يقول مرض حتى لا يرجونه وتجد الاية على
هذا الوجه لان المعنى زلزلوا فيما مضى حتى ان الرسول يقول الان متى
نصر الله وحكيت الحالة التى كانوا عليها كما حكيت الحال فى قوله هذا
من شيعته وهذا من عدوه والثانى ان يكون الفعلان جميعا قد مضيا
نحو سرت حتى ادخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينهما والحال
محكية كما كانت فى الوجه الاول الا ترى ان ما مضى لا يكون حالا وحتى
اذا وقع الفعل بعدها حرف يستانف الكلام بعدها وليست العاطفة
ولا الجارة واذا انتصب الفعل بعدها فهى الجارة وينتصب بعدها
الفعل باضمار ان كما ينتصب بعد اللام والفعل وان المضمر معها فى موضع جر
الزلزلة شدة الحركة والزلزال البلية المزعجة بشدة   المعنى
الحركة والجمع زلازل واصله من قولك زل الشىء عن مكانه ضوعف
لفظه بمضاعفة نحو صر وصرصر وصل وصلصل فاذا قلت زلزلته
فتاويله كررت تحريكه عن مكانه   ام هذه هى المنقطعة
ومعناه بل احسبتم والفرق بين ام حسبتم واحسبتم ان ام لا يكون الا
متصلة بكلام والالف يكون مستانفة ان تدخلوا موصول وصلة
فى موضع نصب بانه مفعول حسبتم وقد سدا مسد مفعوليه وقيل

مفعوله

مفعوله الثانى محذوف وتقديره ام حسبتم دخولكم الجنة ثابتا والجنة
نصب لانها ظرف مكان ليدخل ولما اصلها لم زيد عليها فغيرت معناها
كما غيرت معنى لو اذا قلت لوما فصيرته بمعنى هلا والفرق بين لم و
لما ان لما يصح ان يوقف عليها مثل قولك فى جواب من يقول اقدم الامير لما
ولا يجوز ان يقول لم وفى لما توقع لانها عقيبة قد اذا انتظر قوم ركوب
الامير قلت قد ركب فان نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك لم
ويجمعهما نفى الماضى   قيل نزلت فى حرب احد لما قال يوم الخندق
لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون فى المدينة فدعاهم الله تعالى
الى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدى وقيل نزلت فى حرب احد
لما قال عبد الله ابن ابى لاصحاب النبى ص الى متى يقتلون انفسكم ولو
كان محمد نبيا ما سلط الله عليه الاسر والقتل وقيل نزلت فى المهاجرين
من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله الى المدينة اذ تركوا ديارهم واموالهم
ومسهم الضر عن عطا   ثم ذكر سبحانه ما اجرى على المؤمنين من الامم
الخالية تسلية لنبيه ص ولاصحابه فيما نالهم من المشركين وامثالهم لان
سماع اخبار الصالحين يرغب فى مثل احوالهم فقال ام حسبتم معناه بل
ظننتم وخلتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم معناه ولما تمتحنوا وتبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا
كما صبروا وهذا استدعاء الى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل والمثل
مثل الشبه والشبه اى لم يصبكم شبه الذين خلوا اى مضوا قبلكم
من النبيين والمؤمنين وفى الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين
او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما اصاب اولئك فقال

مستهم البأسا والضراء والمس واللمس واحد والبأسا نقيض النعماء
والضرا نقيض السراء وقيل البأساء القتل والضرا الفقر وقيل هو ما يتعلق
بمضاد الدين من حرب وخروج من الاهل والمال والاخراج عن حوا بذلك
اذ لو نفعوا الفرج بالصبر وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا وقيل معناه
هنا ازعجوا بالمخافة من العدو وذلك لفرط الحيرة حتى يقول الرسول و
الذين امنوا معه متى نصر الله قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن
انما قال الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل ان معناه الدعاء
لله بالنصر ولا يجوز ان يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لان رسول الله صم
يعلم ان الله لا يوخره عن الوقت التي توجبه الحكمة ثم اخبر الله سبحانه انه
ناصر اوليائه لا محالة فقال الا ان نصر الله قريب كقوله سبحانه وقيل ان
هذا من كلامهم بانهم قالوا عند اليأس متى نصر الله ثم تفكروا فعلموا ان
الله سبحانه منجز وعده فقالوا الا ان نصر الله قريب وقيل انه ذكر كلام
الرسول والمومنين جملة وتفصيلا وقال المومنون متى نصر الله وقال
الرسول الا ان نصر الله قريب كقوله سبحانه وجعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من
فضله بالنهار   يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ
مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَ
ابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ اية
النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع او هبة او صلة او غير ذلك و
قد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق
والسوال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام   مع

ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل الرفع والنصب فاما الرفع فيكون على
تقدير ما الذي ينفقون اي اي شيء ينفقونه والعايد من الصلة
محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب
على تقدير اي شيء ينفقون ما وذا بمنزلة شيء واحد ويكون لغوا لان ما
مفيدة للمعنى قوله ما انفقتم ما اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء وانفقتم
في محل الجزم بما من خير جار ومجرور في موضع الحال ومن للتبيين وتقديره
ما انفقتموه كائنا من خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلة فللو   لدين
الجار والمجرور خبر مبتدا محذوف والمبتداء والخبر في محل الرفع لوقوعهما
بعد الفاء والفاء مع ما بعده جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه
ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لانها خبر المبتداء الاول وما تفعلوا ما
اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز ان يكون ما في ما انفقتم
ايضا منصوب الموضع بما انفقتم فيكون مفعولا له   نزلت في
عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا
انصدق وعلى من انصدق فانزل الله هذه الاية   يسئلونك
يا محمد اي شيء ينفقون والسوال عن الانفاق يتضمن السوال عن المنفق
عليه فانهم قد علموا ان الامر قد وقع بانفاق المال فجاء الجواب ببيان
كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد ما انفقتم من خير اي مال
فدل على ان له مقدارا وانه مما ينتفع به لان ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا
فللوالدين والاقربين والمراد بالوالدين الاب والام والجد والجدة
وان علوا لانهم يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالاقربين اقارب
المعطي واليتامى اي كل من لا اب له مع صغره والمساكين الفقراء وابن

السبيل المنقطع به واختلفوا فى هذه اللفظة فقال الحسن المراد به نفقة
التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة عنده والزكوة لمن يجوز وضع الزكوة
عنده فهى عامة فى الزكوة المفروضة وفى التطوع وقال السدى الاية
واردة فى الزكوة ثم نسخت ببيان مصارف الزكوة والاول اظهر لانه
لا دليل على نسخها واتفق العلماء على انه لا يجوز دفع الزكوة الى الاب والام
والجد والجدة والى الاولاد فاما النفقة فلا خلاف ان النفقة على
الوالدين اذا كانا فقيرين واجبة اما النفقة على ذى الرحم فلا تجب عندنا
وعند الشافعى وتجب عند ابى حنيفة وقوله وما تفعلوا من خير اى
عمل صالح يقربكم الى الله فان الله به عليم يجازيكم به من غير ان يضيع منه
شئ لانه سبحانه لا يخفى عليه شئ ووجه اتصال هذه الاية
بما قبلها ان الاية الاولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد فى سبيل الله وفى
هذه بيان لوجه النفقة فى سبيل الله وكل ذلك دعاء الى فعل البر والطاعة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ آية

الكره بالفتح المشقة التى تحمل
على النفس والكره بالضم المشقة حمل على النفس او لم يحمل وقيل الكره
الكراهة والكرهة المشقة وقد يكره الانسان ما لا يشق عليه وقد
يشق عليه ما يكرهه وقيل الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف
والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضرر القبيح وهذا هو
الاصل ثم تستعمل توسعا فى غير ذلك ويقال شر يشر شرارة و
شرار النار وشررها لهبها وشرة الشباب نشاط وشرير اللحم

او الثوب

او الثوب ان تبسط ليجف والاشرار الاظهار وهو كره
لكم فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز ان يكون معناه وهو مكروه
لكم فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا اى رضى ويجوز ان
يكون بمعنى مرضى وعسى ان تكرهوا موضع ان تكرهوا رفع بانه فاعل عسى
وعسى هذه تامة لانها تمت بالفاعل ولم تحتج الى خبر هذه الاية
بيان لكون الجهاد مصلحة لمن امر به قال سبحانه كتب عليكم القتال اى
فرض عليكم الجهاد فى سبيل الله وهو كره لكم اى شاق عليكم تكرهونه
كراهة طباع لا على وجه السخط وقد يكون الشئ مكروها عند الانسان
فى طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وان كان يريده لان الله تعالى
امره بذلك كالصوم فى الصيف وقيل معناه انه مكروه لكم قبل ان
يكتب عليكم لان المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم وعسى ان تكرهوا
شيئا معناه وقد تكرهون شيئا فى الحال وهو خير لكم فى عاقبة اموركم
كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لان لكم
فى الجهاد احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اى وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القعود
عن الجهاد لمحبة الحيوة وهو شر لما فيه من الذل والفقر فى الدنيا وحرمان
الغنيمة والاجر فى العقبى والله يعلم اى يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم
والله ما هو خير لكم فى عاقبة امركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى
ما يأمركم به وان يشق عليكم واجمع المفسرون الا عطا ان هذه الاية
دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير انه فرض على الكفاية حتى ان لو قعد
جميع الناس عنه اثموا به وان قام به فى قيامه كفاية وغنى سقط عن

الباقين وقال عطا ان ذلك كان واجبا على الصحابة ولم يجب على غيرهم
وقوله شاذ عن الاجماع يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ
الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ
إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ
كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آية الصد والمنع والصرف
نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدودا وصدا اذا اعرض وعدل عنه
وصده غيره يصده صدا اذا عدل به عنه والصدد ما استقبلك و
صار في قبالتك لانه يعدل الى مواجهتك والصدان ناحية الشعب والوادي
والصداد ضرب من الجرذان يعدلك بشدة تحرزه والصداد الوزغ
لانه يعدل عنه استقذارا له واصل الباب العدول لا يزال اصله من الزوال
وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجودا وما زال اي دام وحبط عمل
الرجل حبطا وحبوطا واحبط الله احباطا والحبط فساد يلحق الماشية في
بطونها لاكل الحباط وهو ضرب من الكلاء يقال حبطت الابل تحبط حبطا
اذا اصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطا وفي الحديث ان مما ينبت الربيع
ما يقتل حبطا او يلم قتال فيه مجرور على البدل من الشهر
وهو بدل الاشتمال لان الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان
قوله قتل اصحاب الاخدود النار وقال الاعشى لقد كان في حول
ثواء ثويته تقضى لبانات ويسام سائم فقال الكوفيون هو مجرور

باضمار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الفاظ متقاربة في المعنى وان
اختلفت في العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد
عن سبيل الله مبتدا وكفر به خبره معطوف عليه واخراج اهله منه معطوف
عليه ايضا وخبره اكبر عند الله اي هذه الاشياء اكبر عند الله اي اعظم اثما
واجاز الفراء رفعه على وجهين احدهما انه مردود على كبير اي قل قتال فيه
كبير وصد عن سبيل الله وكفر به اي القتال قد جمع انه كبير وانه صد وكفر و
الاخر ان يجعل الصد كبيرا اي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير و
الصد عن سبيل الله والكفر ما كبير فيكون مرتفعا بالابتداء وخبره محذوف
وخطاه العلماء في النحو قالوا لانه يصير المعنى في التقدير الاول قل القتال في الشهر
الحرام كفر بالله وهذا خطاء بالاجماع لا محالة وللفراء ان يقول في هذا المعنى و
اخراج اهله منه اكبر من القتل فيه لا من الكفر به لان المعنى في اخراج اهله
منه اخراج النبي ص والمومنين فاما الوجه الاول فلا مخلص للفراء منه و
المسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كانه قال وصد عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كانه قال يسئلونك
عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الباء
في قوله وكفر به لانه لا يعطف على المضمر المجرور الا باعادة الجار الا في ضرورة
الشعر ومن يرتدد على الاظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتد بفتح
الدال عن التحريك لالتقاء الساكنين بالحركات ويجوز بكسر الدال على
اصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح اجود قال المفسرون بعث
رسول الله ص سرية من المسلمين وامر عليهم عبد الله بن جحش الاسدي
وهو ابن عمة النبي ص وذلك قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر

ويصير التقدير في الثاني واخراج اهله منه اكبر من الكفر وهذا ايضا خطاء بالاجماع

شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن
الحضرمي في عير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون
انه من جمادى وهو رجب فاختصم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة من
عدو وغنم رزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا قال قائل
منهم لا نعلم هذا اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشفيتم
عليه فغلب على الامر الذين يريدون عرض الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي
فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي اول قتيل
قتل بين المسلمين والمشركين وذلك في اول اصابه المسلمون فركب وفد
لكفار قريش حتى قدموا على النبي صلعم فقالوا أتحل القتال في الشهر الحرام فانزل
الله هذه الاية يسئلونك يا محمد والسائلون اهل الشرك على جهة
العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام عن الحسن
واكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الاسلام سألوا عن ذلك ليعلموا
كيف الحكم فيه عن الشهر الحرام قتال فيه يعني عن قتال يعني في الشهر الحرام و
هو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى
في الجاهلية منزع الاسنة لانهم كانوا ينزعون الاسنة والنصال عند
دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع فيه
قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم فكان الناس
لا يخاف بعضهم بعضا ويأمن السبل الى ان ينقضي الشهر قل يا محمد قتال
فيه اي في الشهر الحرام كبير اي ذنب كبير عظيم ثم استانف وقال و
صد عن سبيل الله وكفر به اي والصد عن سبيل الله والكفر بالله والمسجد
الحرام اي والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الآخر معناه يسئلونك

عن

عن قتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل معناه والكفر بالمسجد الحرام
عن الجبائي فحمله على الباء في قوله وكفر به واخراج اهله يعني اهل المسجد وهم
المسلمون منه اي من المسجد اكبر اي اعظم وزرا عند الله يعني اخراجهم المسلمين
من مكة حين هاجروا الى المدينة والظاهر يدل على ان القتال في الشهر الحرام
كان محرما لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال الا فيما هو محرم محظور وقيل
ان النبي صلعم عقل ابن الحضرمي في قوله والفتنة اشد من القتل معناه الفتنة
في الدين وهو الكفر اعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال
قتادة وغيره ان تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ
بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقال عطا هو باق على التحريم وعندنا انه على التحريم فيمن يرى لهذه الاشهر
حرمة ولا يبتدؤن فيها بالقتال وكذلك في الحرم وانما اباح الله للنبي صلعم
قتال اهل مكة عام الفتح فقال صلعم ان الله احلها لي هذه الساعة ولا يحلها لاحد
من بعدي الى يوم القيمة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الشهر
جاز قتاله اي وقت كان والتحريم منسوخ في حقه وقوله ولا يزالون يقاتلونكم
يعني اهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين حتى يردوكم عن دينكم اي يصرفوكم
عن دين الاسلام ويلجئوكم الى الارتداد ان استطاعوا اي ان قدروا على ذلك
ومن يرتدد منكم عن دينه هذا خبر عن الارتداد وبيان استحقاق العقاب
عليه فيمت وهو كافر يعني مات على كفره فاولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة معناه وانها صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم اياها
على خلاف الوجه المأمور به لان احباط العمل وابطاله عبارة وقوعه على
خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب وليس المراد انهم استحقوا على
اعمالهم الثواب ثم انحبط لانه قد دل الدليل على ان الاحباط على هذا الوجه

لا يجوزوا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى دائمون

نظم الاية وتقديرها يسئلونك عن القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه و اخراجهم عن اوطانهم اعظم عند الله واكبر وزرا وهؤلاء الكفار مع هذه الافعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا اعظم مما سالوا عنه

ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم اية

الهجر ضد الوصل هجره يهجره هجرا وهجرانا وهجرة اذا قطع مواصلته وهجر المريض يهجر هجرا اذا قال ما ينبغى ان يهجر من الكلام وسمى المهاجرون لهجرتهم قومهم وارضهم وانما اطلق على هؤلاء اللفظ الذى يقع على الاثنين لان كل واحد من هؤلاء فعل مثل فعل صاحبه ترك ما تركه اختيارا لصحبة النبى صلعم وجاهدت العدو مجاهدة وجهادا اذا احملت نفسك على المشقة فى قتاله والرجاء الامل وقوله وما لكم لا ترجون لله وقارا اى ولا تخافون قال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل اى لم يخف وذلك لان الرجاء للشىء معه الخوف من ان لا يكون فلذلك سمى الخوف باسم الرجاء

نزلت الاية فى قصة عبد الله ابن جحش واصحابه لما قاتلوا فى رجب وقتل واقد التميمى ابن الحضرمى فظن قوم انهم سلموا من الاثم فليس لهم اجر فانزل الله الاية فيهم بالوعد

ان الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله و الذين هاجروا اى قطعوا عشايرهم وفارقوا منازلهم وتركوا اموالهم وجاهدوا فى سبيل الله اى قاتلوا الكفار فى طاعة الله التى هى سبيله المشروعة لعباده وانما جمع بين هذه الاشياء لبيان فضلها و

الترغيب

والترغيب فيها لان الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد اولئك يرجون رحمة الله اى يأملون نعمة الله فى الدنيا والعقبى وهى النصرة فى الدنيا والمثوبة فى العقبى والله غفور يغفر ذنوبهم رحيم يرحمهم وانما ذكر لفظ الرجا للمؤمنين وان كانوا يستحقون الثواب قطعا ويقينا لانهم لا يدرون ما يكون منهم فى المستقبل لاقامة على طاعة الله او الانقلاب عنها الى المعصية ووجه اخر وهو الصحيح وهو ان يرجوا رحمة الله فى غفران معاصيهم التى لم تتفق لهم التوبة منها واخترموا دونها فهم يرجون ان يسقط الله عقابها عنهم تفضلا فاما الوجه الاول فانما يصح على مذهب من يجوز ان يكفر المؤمن بعد ايمانه او يفعل فى المستقبل كبيرة تحبط ثواب ايمانه وهذا لا يصح على مذهبنا فى الموافاة وقال الحسن اراد به ايجاب الرجاء والطمع على المؤمنين فان رجاء رحمة الله من اركان الدين واليأس من رحمته كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والامن من عذابه خسران كما قال ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فمن الواجب على المؤمن ان لا ييأس من رحمة الله ولا يأمن من عقوبته ويؤيده قوله سبحانه يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وليس فى الاية دلالة على ان من مات مصرا على كبيرة لا يرجون رحمة الله لامرين احدهما ان دليل المفهوم غير صحيح عند اكثر المحصلين والاخر انه قد يجتمع عندنا الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الاية له

وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر فى الاولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف و الرجاء اذ ذاك احق بتدبير الحكماء واوكد فى الاستدعاء

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من
المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ايتان
في الكوفي واية واحدة فيما عداه عد الكوفي تتفكرون اية وتركها غيره
قرا اهل الكوفة غير عاصم اثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرا
ابو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون بالنصب قال ابو علي حجة
من قرا بالباء ان يقول الباء اولى لان الكبير مثل العظيم ومقابله
الصغير قال سبحانه وكل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا في
الذنب اذا كان موبقا الكبير كقوله كبائر ما تنهون عنه وكبائر
الاثم فلذلك ينبغي ان يكون قوله قل فيهما اثم كبير بالباء لان شرب
الخمر والميسر من الكبيرة وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا
قليل ومقابل الكثير هو القليل كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على
ذلك ايضا قوله واثمهما اكبر من نفعهما واتفاقهم ههنا على اكبر و
رفضهم لاكثر ووجه من قرا بالثاء انه قد جاء فيهما انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه واله في الخمر
عشرة شاربها والمشتراة له وعاصرها والمعصور له وساقيها والمستقاها
وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها فهذا يقوي قراءة من قرا كثير وانما

وجه قول من نصب العفو فهو ان قولهم ماذا يستعمل على ضربين احدهما
ان يكون ما مع ذا اسم واحد والاخر ان يكون ذا بمعنى الذي فالاول
قول العرب عماذا تسئل اثبتوا الالف في ما لما كان ما مع ذا بمنزلة
اسم واحد فان الحذف انما يقع اذا كانت الالف اخرا ومن ذلك
قول الشاعر يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا تستفقن الى الديرين
تحنانا اي ما بال نسوتكم فاذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد كان
كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بمنزلة ما ينفقون اي ايما
ينفقون فجواب هذا العفو بالنصب واما وجه قول من رفع فهو
ان يجعل ماذا على الضرب الاخر فيكون تقديره ما الذي ينفقون
فجوابه العفو على ان يكون خبر مبتداء محذوف اي الذي ينفقون
العفو ومثله في التنزيل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الاولين واعلم ان سيبويه لا يجيز ان يكون ذا بمنزلة الذي الا
في هذا الموضع لما كانت الدلالة على ذلك والكوفيون يجيزون
في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر عدس ما لعباد
عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق وبقوله سبحانه وما تلك
بيمينك يا موسى ولا دلالة لهم في الاية فان قوله بيمينك يجوز
ان يكون ظرفا في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحملين في
البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في المبهم من معنى الفعل
الخمر اصله الستر والخمرة ما واراك من الشجر وغيره ومنه
الخمار للمقنعة ودخل في خمار الناس اي في الكثير الذي يستتر فيهم و
يقال خامره الداء اذا خالطه قال كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر

لعزه من اعراضنا ما استحلت وخمرت الاناء اى غطيته وفى
الحديث كان عليه السلام يسجد على الخمرة وهى السجادة الصغيره
من الحصير وسميت بذلك لانها تستر الوجه عن الارض قال الزجاج
وقد لبس على ابى الاسود الدولى فقيل له ان هذا المسكر الذى سموه
بغير الخمر حلال فظن ان ذلك كما قيل له ثم رده طبعه الى ان حكم بانهما
واحد فقال دع الخمر يشربها الغواة فاننى رايت اخاها مجزيا بمكانها
فان لا يكنها او تكنه فانه اخوها غذته امها بلبانها واصل الباب
الستر والميسر القمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشى لصاحبه
من قولك يسر لى هذا الشى ييسر يسرا وميسرا اذا وجب لك والياسر
الواجب بقداح وجب لك او غيره وقيل للمقامر ياسر ويسر قال
النابغة وياسر ذهب القداح بوفره اسف ياكله الصديق مخلع
اى قامر وقيل اخذ من التجزيه لان كل شى جزاته فقد يسرته والياسر
الجازر والميسر الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لانهم كانوا
يشتركون فى الجزور ليسهل امرها الا انه على جهة القمار والعفو
ماخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى عفوا اى زادوا على ما كانوا عليه
من العدة قال الشاعر ولكنا نعض السيف منا باسوق عافيات الشحم
كوم اى زايدات الشحم وقيل هو ماخوذ من الترك فمن عفى له من اخيه
شى اى ترك ومنه قوله عليه السلم عفوت لكم عن صدقة الخيل
اى تركتها فيكون العفو المتروك غنى عنه والمخالطة مجامعة يتعذر
معها التمييز كمخالطة الخل للماء وما اشبهه والخليطان الشريكان
لاختلاط اموالهما والخليط القوم امرهم واحد والاعنات الحمل على

مشقة

مشقة لا يطاق ثقلا وعنت العظم عنتا اصابه وهن او كسر بعد
جبر وعنت عنتا اذا اكتسب اثما وتعنته تعنتا اذا لبس عليه فى
سواله والاكمه العنوت الطويله واصل الباب المشقة والشدة
العامل فى الظرف من قوله فى الدنيا والاخرة قوله يبين
لكم الايات اى يبين لكم الايات فى امر الدنيا والاخرة ويجوز ان
يكون يتفكرون ايضا اى يتفكرون فى امر الدنيا وامر الاخرة وقوله
فاخوانكم رفع على انه خبر مبتدا محذوف وتقديره فهم اخوانكم
ويجوز فى العربية فاخوانكم على النصب على تقدير فاخوانكم تخالطون
والوجه الرفع نزلت فى جماعة من الصحابة اتوا رسول
الله صلى الله عليه واله فقالوا افتنا فى الخمر والميسر فانها مذهبة
للعقل مسلبة للمال فنزلت الاية ثم عاد سبحانه الى بيان
الشرايع والاحكام فقال يسئلونك يا محمد عن الخمر وهى كل شراب
مسكر مخالط للعقل مغط عليه وما اسكر كثيره وقليله خمر هذا
هو الظ فى روايات اصحابنا وهو مذهب الشافعى وقيل الخمر عصير
العنب اذا اشتدت وغلا وهو مذهب ابى حنيفة والميسر القمار
كله واحد عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتاده والحسن وهو
المروى عن ائمتنا عليهم السلم حتى قالوا ان لعب الصبيان بالجوز
هو القمار قل فيهما اى فى الخمر والميسر اثم كبير اى وزر عظيم وكثير
من الكثرة ومنافع للناس منفعة الخمر ما كانوا يلحذونه فى اثمانها فيها
وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار وهى
ان يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد ولا مشقة ويرتفع به الفقر

وإثمهما اكبر من نفعهما اى ما فيهما من الاثم اكبر مما فيهما من النفع لأن
نفعهما فى الدنيا وما يحصل بهما من الاثم يوجب سخط الله فى الآخرة
فلا يظهر فى جنبه نفع قليل لا بقاء له قال الحسن فى الآية تحريم الخمر من
وجهين احدهما قوله وإثمهما اكبر فانه اذا زادت مضرة الشئ على منفعته
اقتضى العقل الامتناع عنه والثانى انه بيّن ان فيهما الاثم وقد حرم
فى آية اخرى الاثم فقال قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم وقيل ان الخمر يسمى اثما فى اللغة قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل
عقلى كذاك الاثم يصنع بالعقول على انه قد وصف الاثم بانه كبير و
الكبير فيحرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه وإثمهما بعد تحريمهما اكبر
من نفعهما قبل تحريمهما وقال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعنى الاثم
الذى يحدث من اسبابهما اكبر من نفعهما وقال قتادة هذه الآية لا تدل
على تحريمهما انما تدل الآية التى فى المائدة من قوله انما الخمر والميسر الى
قوله ويسئلونك ماذا ينفقون اى اى شئ ينفقون والسائل عمرو
بن الجموح سأل عن النفقة فى الجهاد وقيل فى الصدقات قل العفو فيه
اقوال احدها انه فضل عن الاهل والعيال او الفضل عن الغنى عن ابن
عباس وقتادة وثانيها ان العفو الوسط من غير اسراف ولا اقتار عن
الحسن وعطا وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وثالثها ان العفو ما
فضل عن قوت السنة عن الباقر عليه السلم قال ونسخ ذلك بآية الزكوة
وبه قال السدى ورابعها ان العفو اطيب المال وافضله وقوله كذلك
انما وحد الكاف لان الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله ويدخل فيه الامة
وقيل ان تقديره كذلك ايها القبيل يبين الله لكم الآيات اى الحجج

في امر

فى امر النفقة والخمر والميسر وقيل فى سائر شرايع الاسلام لعلكم تتفكرون
اى لكى تتفكروا فى الدنيا والآخرة اى فى امر الدنيا والآخرة فتعلمون ان
الدنيا دار بلاء وعناء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا فى هذه
وترغبوا فى تلك وقيل انه من صلة يبين اى كما يبين لكم الآيات فى الخمر و
الميسر يبين الله لكم الآيات فى امور الدنيا والآخرة لكى تتفكروا وفى ذلك
دلالة على ان الله سبحانه اراد منهم التفكر سواء تفكروا او لم يتفكروا
ويسئلونك عن اليتامى قال ابن عباس لما انزل الله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الآية وان الذين يأكلون اموال الناس ظلما انطلق كل من كان
عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم
فسألوا عنه فنزلت هذه الآية ولا بد من اضمار فى الكلام لان السؤال لم
يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسئلونك عن
القيام على اليتامى او التصرف فى اموال اليتامى قل يا محمد اصلاح لهم خير
يعنى اصلاح اموالهم من غير اجرة ولا اخذ عوض منهم خير واعظم اجرا
وان تخالطوهم اى تشاركوهم فى اموالهم وتخلطوها باموالكم فتصيبوا
من اموالهم عوضا من قيامكم باموالهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم والاخوان
يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من اموال بعض وهذا اذن
لهم فيما كانوا يتحرجون منه من مخالطة الايتام فى الاموال من المآكل
والمشرب والمسكن ونحو ذلك ورخصة لهم فى ذلك اذا تحروا الصلاح
بالتوفير على الايتام عن الحسن وغيره وهو المروى فى اخبارنا والله
يعلم المفسد من المصلح معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة
اليتامى افساد مالهم او اصلاح مالهم ولو شاء الله لاعنتكم اى لضيق

عليكم في امر اليتامى ومخالطتهم والزمكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم
وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعنتون ولكنه لم يفعل
وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه اذا لم يشاء اعناتهم
ولو اعنتهم لكان جائزا احسانا لكنه وسع عليهم كما في التوسعة من النعمة
فكيف يصح ان يشاء تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للمكلف
اليه ويأمره بما لا يتصور احداثه من جهته واي عنت اعظم من هذا قال
البلخي وفيه ايضا دلالة على فساد مذهب من قال انه تعالى لا يقدر على
الظلم لان الاعنات بتكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور ولو شاء
لفعلوا ان الله عزيز يفعل بعزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع حكيم في
تدبيره وافعاله ليس له عما توجبه الحكمة مانع   وَلَا تَنْكِحُوا
الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ
أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ
خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ
يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ آية   النكاح اسم يقع على العقد والوطي وقيل
ان اصله الوطي ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما ان الحدث يسمى غذرة
وهي اسم للفناء ويسمى غائطا وهو اسم للمكان المطمئن يقال نكح ينكح
نكاحا اذا تزوج وانكحه غيره زوجه والامة المملوكة يقال امة بينة
الاموة وامّيت فلانة وتأمّيتها اذا جعلتها امة واصل امة فعلة بلا لام
قولهم في جمعها اماء وآم نحو اكمة واكام واكم   يؤمن في محل النصب
بان مضمرة وان يؤمن في محل جر بحتى وحتى يتعلق بتنكح من مشركة

من

من يتعلق بخير والجار والمجرور في محل النصب بانه مفعول به ولو
اعجبتكم جواب لو محذوف تقديره ولو اعجبتكم امة مشركة لامة مؤمنة
خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تنكحوا
المشركين الازواج حتى يؤمنوا واعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو
اعجبكم مثل ما قلناه في حتى يؤمن ولو اعجبتكم   نزلت في مرثد
بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة ليخرج منها
ناسا من المسلمين وكان قويا شجاعا فدعته امراة يقال لها عناق الى
نفسها فابى وكانت خلة في الجاهلية فقالت هل لك ان تزوج بي فقال
حتى استاذن رسول الله ص فلما رجع استاذن في التزوج بها فنزلت الاية
لما تقدم ذكر المخالطة بين سبحانه من يجوز مخالطته بالتزوج فقال
ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن اي يصدقن
بالله ورسوله وهي عامة عندنا في مناكحة جميع الكفار اهل الكتاب وغيرهم
وليست بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم
المشركات على اهل الكتاب وقد فصل الله سبحانه بينهما فقال لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين وعطف احدهما على الآخر فلا نسخ في الاية
ولا تخصيص وقال بعضهم الاية تتناول جميع الكفار والشرك يطلق
على الكل ومن جحد نبوة نبينا ص فقد انكر معجزه واضافه الى غير الله
وهذا هو الشرك بعينه لان المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف
هؤلاء فمنهم من قال الاية منسوخة في الكتابيات بالاية في المائدة
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن و

قتاده
مجاهد ومنهم من قال انها مخصوصة بغير الكتابيات في المايدة عن
وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة
كتابية كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتي
بيان اية المايدة في موضعها ان شاء الله تعالى ولامة مومنة خير من
مشركة معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم
معناه وان اعجبتكم بمالها او حسبها او جمالها وظاهر هذا يدل على انه يجوز
نكاح الامة المومنة مع وجود الطول فاما قوله ومن لم يستطع منكم
طولا الاية فانما هي على التنزيه دون التحريم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب و
غيرهم حتى يومنوا وهذا يويد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركات
يتناول جميع الكافرات وقوله ولعبد مومن خير من مشرك اي عبد
مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو اعجبكم ماله او حاله او جماله و
الفرق بين ولو اعجبتكم وبين وان اعجبتكم ان لو للماضي وان للمستقبل
وكلاهما يصح في معنى الاية وهو من العجب الذي هو بمعنى الاستفهام
وليس من التعجب اولئك يعني المشركون يدعون الى النار يعني الى الكفر
والمعاصي التي هي سبب دخول النار وهذا اشد التعليل لان الغالب
ان الزوج يدعو زوجته الى دينه والله يدعو الى الجنة اي الى فعل ما يوجب
الجنة والمغفرة من الايمان والطاعة باذنه اي بامره يعني بما يامر
ويأذن فيه من الشرايع والاحكام عن الحسن والجبائي وقيل باعلامه
وقوله يبين اياته اي حججه وقيل اوامره ونواهيه وما حظره واباحه
للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا او يتعظوا

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ اَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ
فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَاِذَا تَطَهَّرْنَ فَاْتُوهُنَّ
مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللهُ اِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
اية
قرأ اهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء و
الهاء والباقون يطهرن بالتخفيف من قرأ يطهرن فانه من
طهرت المرأة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقيس لانه خلاف
طمثت فينبغي ان يكون على بنائه وايضا فقولهم طاهر يدل على انه مثل
قعد فهو قاعد ومن قرأ يطهرن فانه يتطهرن فادغم التاء في الطاء
حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا والمصدر من هذا
الباب المفعل والمفعل جايز فيه قال الراعي بنيت مرافقهن فوق
مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا اي قيلولة وامرأة حايض و
نساء حيض والاعتزال التنحي عن الشيء وكل شيء نحيته عن موضع فقد
عزلته عنه ومنه عزل الوالي وانت عن هذا بمعزل اي متنحي وعزلاء
المزادة مخرج الماء من احد جانبيها والجمع عزالي والمعزال من الناس
الذي لا ينزل مع القوم في السفر ولكنه ينزل ناحية والطهر خلاف
الدنس والطهور يكون اسما ويكون صفة فاذا كان اسما كان على
ضربين احدهما ان يكون مصدرا كما حكى سيبويه تطهرت طهورا
حسنا وتوضأت وضوءا والاخر يكون ان يكون اسما لغير مصدر
كما جاء في قوله طهور اناء احدكم كذا وهو اسم لما يطهر كالفطور و
الوجوب والسعوط والسحور واما كونه صفة فهو في قوله وانزلنا من
السماء ماء طهورا فهذا كالرسول والعجوز ونحو ذلك من الصفات

التى جارت على فعول ولا دلالة فيه على التكثير لما لم يكن متعديا نحو ضروب
الا ترى ان فعله غير متعد كما يتعدى ضرب ومن الصفة قوله عليه السّلم
هو الطهور ماؤه لانه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفات المتقدمة من
حيث جار ومجرور ولكن حيث مبنى لا يظهر فيه الاعراب وانما بنى لمشابهته
الحرف بانه لا يفيد الا مع غيره كالحرف ومن يتعلق بقوله فاتوهن امركم الله
جملة فى محل الجر باضافة حيث اليه قيل كانوا فى الجاهلية يجتنبون
مواكلة الحائض ومشاربتها ومجالستها فسالوا عن ذلك فنزلت الاية
عن الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستجيزون اتيان النساء فى ادبارهن
ايام الحيض فلما سالوا عنه بين تحريمه عن مجاهد والاول عندنا اقوى
ثم بين سبحانه شريعة اخرى فقال ويسئلونك يا محمد والسائل
ابو الدحداح فيما قيل عن المحيض اى عن الحيض واحواله قل يا محمد هو اذى
معناه قذر ونجس عن قتاده والسدى وقيل دم عن مجاهد وقيل هو
اذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة قاله القاضى فاعتزلوا النساء
فى المحيض اى اجتنبوا مجامعتهن فى الفرج عن ابن عباس وعائشة و
الحسن وقتاده ومجاهد وهو قول محمد بن الحسن ويوافق مذهبنا انه
لا يحرم منها غير موضع الدم فقط وقيل يحرم ما دون الازار على الخلاف
فيه حتى يطهرن بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد
معناه يغتسلن عن الحسن ويتوضان عن مجاهد وطاوس فهو منا هنا
فاذا تطهرن اى اغتسلن وقيل توضان وقيل غسلن الفرج فاتوهن
فجامعوهن وهو اباحة وان كانت صورته صورة الامر كقوله واذا
حللتم فاصطادوا من حيث امركم الله معناه من حيث امركم الله بتجنبه

في ادبارهن

وقال

فى حال الحيض وهو الفرج عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والربيع وقيل
من قبل الطهر دون الحيض عن السدى والضحاك وقيل من قبل النكاح
دون الفجور عن ابن الحنفية والاول اليق بالظ قال الزجاج معناه من
الجهات التى تحل فيها ان تقرب المراة ولا تقربوهن من حيث لا يجب
اى لا تقربوهن وهن صائمات او محرمات او معتكفات وقال الفراء
ولو اراد الفرج لقال فى حيث فلما قال من حيث علمنا انه اراد من الجهة
التى امركم الله بها وقال غيره انما قال من حيث لان من لابتداء الغاية
فى الفعل نحو قولك رايت زيدا من ماتاه اى من الوجه الذى يؤتى منه
ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين قيل معناه
المتطهرين بالماء عن عطاء وقد رواه جماعة من اصحابنا ايضا فى سبب
نزول الاية وقيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد بن جبير و
لم يذكر المتطهرات لان المؤنث تدخل فى المذكر وقيل التوابين من الكبائر
والمتطهرين من الصغائر وفى هذه الاية دلالة على وجوب اعتزال المراة
فى حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر
الحيض واقله واكثره وعندنا اقله ثلثة ايام واكثره عشرة ايام وهو
قول اهل العراق وعند الشافعى واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة و
اكثره خمسة عشر يوما وثانيها حكم الوطى فى حال الحيض فان عندنا ان
كان فى اوله يلزمه دينار وان كان فى اوسطه فنصف دينار وان
كان فى اخره فربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقال
الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا وثالثها غاية تحريم الوطى
واختلف فيه فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من قال اذا

توضات او غسلت فرجها حل وطيها عن عطا وطاوس وهو مذهبنا
وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع
دمها واغتسل حل وطيها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان حيضها
عشرا فنفس انقطاع الدم يحللها للزوج وان كان دون العشرة فلا يحل
وطيها الا بعد الغسل او التيمم او مضى وقت صلوة عليها عن ابى حنيفة

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

اية — انى فى محل النصب لانها ظرف مكان اذا كان بمعنى حيث
او اين او ظرف زمان اذا كان بمعنى متى والعامل فيه فاتوا وشئتم جملة
فعلية فى موضع الجر باضافة الظرف اليها واذا كان انى بمعنى كيف
فهو فى محل النصب على المصدر ولا محل لشئتم وتقديره فاتوا حرثكم
اى نوع شئتم — قيل نزلت ردا على اليهود اذ قالوا ان الرجل اذا
اتى المراة من خلفها فى قبلها خرج الولد احول فاكذبهم الله تعالى عن
ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المراة قايمة وباركة
فانزل الله تعالى اباحته عن الحسن — لما بين سبحانه احوال النساء
فى الطهر والحيض عقب ذلك بقوله نساؤكم حرث لكم وفيه وجهان
احدهما ان معناه مزدرع لكم ومحرث لكم عن ابن عباس والسدى
والثانى ان معناه ذوات حرث لكم منهن يحرثون الولد واللذة
فحذف المضاف وهذا فى المعنى مثل الاول عن الزجاج وقال ابو عبيدة
كنى بالحرث عن الجماع وثالثها معناه كحرث لكم فحذف الكاف التشبيه
قال الشاعر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم وقد

سمى

سمى العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمه انشدنى ابى اذا اكل الجراد
حروث قوم فحرثى همه اكل الجراد يريد امرائى فاتوا حرثكم اى موضع
حرثكم يعنى نساؤكم انى شئتم معناه من اين شئتم عن قتاده والربيع
وقيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا خطا
عند اهل اللغة لان انى لا يكون الا بمعنى من اين كما قال انى لك هذا و
قيل معناه من اى وجه واستشهد بقول الكميت انى ومن اين ايك
الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب وليس فى البيت شاهد لانه
يجوز ان يكون انى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا
واى وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيف واستدل مالك
بقوله انى شئتم على جواز اتيان المراة فى دبرها ورواه عن نافع عن
ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من اصحابنا
وخالف فى ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحرث لا يكون الا بحيث النسل
فيجب ان يكون الوطى حيث يكون النسل واجيبوا عن ذلك بان النساء
وان كن لنا حرثا فقد ابيح لنا وطيهن بلا خلاف فى غير موضع الحرث
كالوطى فيما دون الفرج وما اشبهه وقوله وقدموا لانفسكم معناه
وقدموا الاعمال الصالحة التى امرتم بها ورغبتم فيها ليكون ذخرا لكم
عند الله تعالى ووجه اتصاله بما قبله انه لما تقدم الامر بعده اشياء
قال بعدها قدموا لانفسكم بالطاعة فيما امرتم به واتقوا الله اى
واتقوا عقاب الله بترك مجاوزة الحد فيما بين لكم وفى ذلك الحث
على العمل بالواجب الذى عرفوه والتحذير من مخالفة ما الزموه قيل
ومعنى التقديم هنا طلب الولد فان فى اقتناء الولد الصالح يكون

تقديما عظيما لقوله عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا عن
ثلث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم ينتفع به بعد موته و
قيل هو تقديم الافراط لقوله صلى الله عليه واله من قدم ثلثة من الولد
لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان
قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطا وقيل لمجاهد ويؤيده
ما روى عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه واله اذا اراد احدكم
ان ياتى اهله فليقل بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقتنا فان قدر بينهما ولد لم يضره شيطان وقيل هو التزوج بالعفائف
ليكون الولد صالحا طاهرا واعلموا انكم ملاقوه اى ملاقو جزائه يعنى
ثوابه ان اطعتموه وعقابه ان عصيتموه وانما اضافه اليه على ضرب
من المجاز وبشر المؤمنين بالثواب والجنة ولا يصح حمل اللقاء على الرؤية
لان لفظ اللقاء يقع على معان مختلفة يقال لقى جهدا ولقى حمامه ولان
فى الاية اثبات اللقاء لجميع العباد وهذا خلاف لما ذهب اليه المشبهة

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية

يقال لكل من يصلح لشيء هو عرضة له والمراة عرضة النكاح والدابة
المعدة للسفر عرضة له قال الشاعر فهذى لايام الحروب وهذه
للهوى وهذى عرضة لارتحالنا اى عدة وقال ابو العباس العرضة
الاعتراض فى الخير والشر واليمين والقسم والحلف واحد وقيل اخذ
من القوة لانه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قوله تلقاها عرابة
باليمين وقيل اخذ من الجارحة لانهم كانوا عند الايمان يضربون

ايديهم

ايديهم على ايديهم فسمى الحلف بذلك وقيل اخذ من اليمن الذى هو البركة
لانه عقد خير يتبرك بذكره للتاكيد قوله ان تبروا فى موضعه
ثلثة اقوال احدها ان موضعه جر بحذف اللام عن الخليل قال ابو على
جاز ان يكون المصدر الذى هو ان مع الفعل فى موضع جر وان لم يجز ذلك
فى غير ان لامرين احدهما ان الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف والاخر
ان ان حرف واذا حذف اللام صار كان حرفا قد اقيم مقام حرف فعاقبه
فلهذا حسن حذف اللام مع ان دون المصدر غير الموصول فى اللفظ بالفعل
واقول عنى بذلك انك اذا قلت جئتك لضرب زيد لم يجز ان يحذف اللام
فيقول جئتك ضرب زيد واذا قلت جئتك لان تضرب زيدا جاز ان
تحذف اللام فيقول جئتك ان تضرب زيدا والثانى ان موضعه النصب
لانه لما حذف الجار وصل الفعل وهو قول سيبويه وهو القياس واقول
على القولين جميعا فيكون تقديره لان لا تبروا على النفى اولان تبروا على
الاثبات فعلى القول الاول وهو النفى يكون فى محل النصب بانه مفعول له
وعلى القول الثانى وهو الاثبات يجوز ان يكون مفعولا له ويجوز ان يكون
فى محل النصب على الحال والعامل فيه ما فى قوله لايمانكم من معنى الفعل
تقديره لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كاينة لان تبروا اى لبركم وذو الحال
الايمان والثالث ما قال قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا
اولى فحذف الخبر الذى اى هو اولى لانه معلوم المعنى نزلت فى
عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح
بينه وبين امراته فكان يقول انى حلفت بهذا فلا يحل لى ان افعله
فنزلت الاية لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه

بذكر الايلاء وهو اليمين التي يحرم الزوجة فابتداء بذكر الايمان اولا تاسيسا
لحكم الايلاء فقال ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وفي معناه ثلثة اقوال
احدها ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى
من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها وتقولوا لحلفنا بالله ولم تحلفوا به عن
الحسن وطاوس وقتاده واصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو
المانع بينكم وبين البر والتقوى لان المعترض بين الشيئين يكون مانعا
من وصول احدهما الى الاخر فالعلة مانعة كهذا المعترض والثاني ان
عرضة معناه حجة فكانه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر
والتقوى فان كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر ان غيرها خير منها
فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا بما سلف من اليمين عن ابن عباس و
مجاهد والربيع واصله في هذا القول والاول واحد لانه منع من جهة
الاعتراض لعلة او حجة والثالث ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله عدة
مبتذلة في كل حق وباطل لان تبروا في الحلف بها وتتقوا المآثم فيها
عن عايشه لانها قالت لا تحلفوا به وان بررتم وبه قال الجبائي وابو مسلم
وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم نحو ما رواه عثمن بن عيسى عن ابي
ايوب الخراز قال سمعت اباعبدالله عليه السلم يقول لا تحلفوا بالله صادقين
ولا كاذبين لانه يقول سبحانه ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قال
ابو مسلم ومن اكثر ذكر شيء في معنى فقد جعله عرضة له ويقول جعلتني
عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوايم وتقديره على
الوجه الاول والثاني لا تجعل الله مانعا من البر والتقوى باعتراضك
به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعل الله مما تحلف به دايما باعتراضك

بالحلف

بالحلف به في كل حق وباطل وقوله ان تبروا قيل في معناه اقوال الاول
لان تبروا على معنى الاثبات اي لان تكونوا بررة اتقياء فان من قلت
يمينه كان اقرب الى البر ممن كثرت يمينه وقيل لان تبروا في اليمين والثاني
ان المعنى لدفع ان تبروا او لترك ان تبروا فحذف المضاف عن المبرد والثالث
ان معناه ان لا تبروا فحذف لا عن ابي عبيده قال وحذف لا لانه في معنى
القسم كقول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا
راسي لديك واوصالي اي لا ابرح وانكر المبرد هذا لانه لما كان معه
ان بطل ان يكون جوابا للقسم وانما يجوز والله اقوم في القسم بمعنى لا اقوم
لانه لو كان اثباتا لقال لاقومن باللام والنون والمعنى في قول ابي العباس
وابي عبيده واحد والتقدير مختلف وتتقوا اي تتقوا الاثم والمعاصي في
الايمان وتصلحوا بين الناس ولدفع ان تبروا وتتقوا وتصلحوا وعلى
الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لان تبروا وتتقوا وتصلحوا
اي لكي تكونوا من البررة والاتقياء والمصلحين بين الناس فان من
كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو اقرب الى التقوى و
الاصلاح بين الناس والله سميع لاقوالكم عليم بما في ضمايركم لا يخفى عليه
من ذلك خافية وفي هذه الاية دلالة على ان من حلف على شيء فراى
غيره خيرا منه فله ان ينقض يمينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب
عليه الكفارة فيه خلاف فعند اكثر الفقهاء يجب الكفارة ولا كفارة
عليه عندنا ومن اقسم على غيره ليفعل فعلا او ليمتنع من فعل فلا يتاتى
بذلك قال بعضهم ان المقسم عليه لا ياثم بذلك والصحيح ان المقسم عليه
ياثم لقول النبي من سالكم بالله فاعطوه ومن استعاذ كم بالله فاعيذوه

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم آية
اصل اللغو الكلام الذي لا فايدة فيه فقال لغا يلغو لغوا اذا اتى
بكلام لا فايدة فيه والغى الكلمة اذا اطرحها لانه لا فايدة فيها واللاغية
الكلمة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لانها كلام لا فايدة فيها
عند اهل اللغة ولغو الطاير منطقه قال ثعلبة بن صعير المازني باكرتهم
بسباء جون ذراع قبل الصباح وقيل لغو الطاير واللغا الذكر بالكلام القبيح
لغي يلغى لغى واصل الحلم الاناة وهو في صفته سبحانه الامهال بتاخير
العقاب على الذنب في ايمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤاخذ
وذو الحال اللغو ما كسبت يجوز ان يكون ما اسما موصولا ويجوز ان
يكون حرفا موصولا ثم بين سبحانه اقسام اليمين فقال لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم اختلفوا في يمين اللغو فقيل هو ما يجري على عادة
اللسان من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها
مال ولا يظلم بها احد عن ابن عباس وعايشة والشعبي وهو المروي
عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلم وهو قول الشافعي وقيل هو ان
يحلف وهو يرى انه صادق ثم تبين انه كاذب فلا اثم عليه ولا
كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول ابي حنيفة
واصحابه وقيل هو يمين الغضبان لا يؤاخذ بالحنث فيها عن ابن
عباس ايضا وطاوس وبه قال سعيد بن جبير الا انه اوجب فيها
الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو ولا يجب
فيها الكفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي بما عزمتم وقصدتم

لان كسب القلب العقد والنية وفيه حذف اي من ايمانكم وقيل بان
يحلفوا كاذبين او على باطل عن ابرهيم والله غفور يغفر الذنوب حليم
يمهل العقوبة على الذنب ولا يعجل بها للذين يؤلون من
نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم
وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ايتان
الى الرجل من امراته يولي ايلاء من الالية والالوة وهي الحلف قال الشاعر
كفينا من تغيب من نزار واحنثنا الية مقسمينا واتلى وتالى بمعناه
وفي التنزيل ولا ياتل اولوا الفضل وقرئ ولا يتال وجمع الالية الايا
والايات كعشية وعشيات وجمع الالوة الايام كركوبة وركايب و
التربص الانتظار يقال تربصت به قال الشاعر تربص بها ريب المنون
لعلها تطلق يوما او يموت حليلها والفيء الرجوع يقال فاء يفيء فيئا
اذا رجع وفاء الفيء والظل ما قاله المبرد ان الفيء ما نسخ الشمس لانه هو
الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل في ظل وليس كل ظل فيئا واهل الجنة
في ظل لا في فيء لان الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظل ممدود وجمع
الفيء افياء والفيء غنايم المشركين افاء الله علينا منهم وهو من رجوع
الشيء الى حقه وفلان سريع الفيء من غضبه اي الرجوع والعزم هو
العقد على فعل شيء في المستقبل الاوقات وهو ارادة متقدمة
للفعل باكثر من وقت واحد متعلق بفعل العازم يقال عزم على الشيء
عزما واعتزم وعزمت عليك لتفعلن اي اقسمت وعزم الراقي كانه
اقسم على الداء وما لفلان عزيمة اي ما يثبت على شيء لتلونه وعزايم
القران التي يقرا على ذوي الافات لما يرجى من البرء بها والطلاق

حل عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامراة طالق زعم قوم ان تاء
تانيث انما حذفت لانه لاحظ فيه للمذكر وهذا ليس بشى لان فى الكلام
اشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمونث لا يثبت فيها الهاء فى المونث
يقال بعير ضامر وناقة ضامر وامثاله كثيرة وقال سيبويه انه وقع
على لفظ التذكير صفة للمونث لان المعنى شى طالق وحقيقته انه على
جهة النسب نحو قولهم امراة مطفل اى ذات طفل وطالق اى ذات
طلاق فاذا اجريته على الفعل قلت طالقة قال الاعشى يا جارتى بينى
فانك طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقة واصل الطلاق من
الانطلاق وطلقت المراة عند الولادة فهى مطلوقة اذا تمخضت و
الطلق الشوط من الجرى والطلق الحبل الشديد الفتل والسميع من كان
على صفة يجب لاجلها ان يدرك المسموعات اذا وجدت وهى ترجع
الى كونه حيا لا افة به والسامع المدرك وتوصف القديم سبحانه فى
الازل بانه سميع ولا يوصف فى الازل بانه سامع انما يوصف به اذا وجدت
المسموعات يجوز فى اربعة اشهر ثلثة اوجه الجر على الاضافة
وعليه القراءة وهذه الاضافة غير حقيقية فان الاربعة فى محل
النصب وان كان مجرور اللفظ ويجوز فى العربية الرفع والنصب تربص
اربعة اشهر كقوله فشهادة احدهم اربع شهادات بالله ومثله
فجزاء مثل ما قتل من النعم وتربص اربعة اشهر كقوله الم نجعل الارض
كفاتا احياء وامواتا اى كنتم احياء وامواتا ثم بين سبحانه
حكم الايلاء لانه من جملة الايمان والاقسام وشريعة من شرايع
الاسلام فقال للذين يولون اى يحلفون وفيه حذف اى ان يعتزلوا

عن

عن وطى نسائهم على وجه الاضرار بهن تربص اربعة اشهر اى التوقف و
التثبت فى اربعة اشهر واليمين التى تكون الرجل بها موليا هى اليمين بالله
عز وجل او بشى من صفاته التى لا يشترك فيها غيره على وجه يقع موقع
اللغو الذى لا فايدة فيه ويكون
الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب والضرار وهو المروى عن
على عليه السلم وابن عباس والحسن وقيل فى الغضب والرضا عن ابرهيم
الشعبى وجماعة من الفقهاء وقيل هو فى الجماع وغيره من الضرار نحو
ان يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب فان فاؤا اى رجعوا الى
امر الله بان يجامعوا عند القدرة عليه او يراجعوا بالقول عند العجز عن
الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا
وبه قال ابو حنيفة واصحابه وقيل يكون فايما بالعزم فى حال العذر الا
انه ينبغى ان يشهد على فيه عن الحسن وابرهيم وعلقمة وهذا يكون عنده
العجز عن الجماع ويجب على الفاى عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال
ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وقال الحسن وابرهيم لا كفارة
عليه ولا عقوبة لقوله فان الله غفور رحيم ومعنى غفور عندنا انه لا
يتبعه بعقوبته ومن حلف ان لا يجامع اقل من اربعة اشهر لا يكون
موليا ومن حلف ان لا يقربها وهى مرضعة مخافة ان تحمل فيضر ذلك
بولدها لا يلزمه حكم الايلاء واذا مضت اربعة اشهر ولم يجامع الزمه
الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق فان امتنع حبسه حتى يفى
او يطلق وقوله وان عزموا الطلاق عزيمة الطلاق عندنا ان يعزم
ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فان

المراة لا تبين منه الا ان تستعدى فان استعدت وانظره الحاكم
اربعة اشهر فانه يوقف بعد الاربعة ويقال له فئ او طلق فان لم
يفعل حبسه حتى يطلق به وقال الشافعى الا انه قال متى امتنع من الطلاق
والفيئة طلق عنه الحاكم طلقة رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه اذا
مضت اربعة اشهر ولم يفئ بانت منه بتطليقة ولا رجعة له عليها
وعليها العدة يخطبها فى العدة ولا يخطبها غيره فان الله سميع عليم
يسمع قوله ويعلم ضميره وقيل يسمع ايلاءه ويعلم نيته وانما ذكر عقيب
الاول فان الله غفور رحيم لانه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفئ او
الطلاق بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم انه لما اخبر عن المولى
انه يلزم الفئ او الطلاق بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم بان يقبل
رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكرها هنا انه سميع عليم
لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكان ذلك مما يسمع اخبر بانه لا يخفى
عليه وانه يسمعه فكل لا يليق الا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة
القران وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ
وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ
يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية
القرء جمع قروء وجمعه القليل اقرؤ والكثير اقراء وقروء
وصار بناء الكثير فيه اغلب فى الاستعمال يقال ثلثة قروء مثل ثلثة

شيوع

شيوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل ووجه اخر وهو انه لما
كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فاتى ببناء الكثرة للاشعار
بذلك فالقرء وكثرته الا انها ثلثة ثلثة فى القسمة وهذا الحرف من الاضداد
واصله فى اللغة يحتمل وجهين احدهما الاجتماع ومنه قرات القران
لاجتماع حروفه وما قرات الناقة سلا قط اى لم يجتمع رحمها على ولد
قط قال عمرو بن كلثوم ذراعى عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا
فعلى هذا يقال اقرات المراة فهى مقرئ اذا حاضت وانشد له قروء
كقروء الحائض وذلك لاجتماع الدم فى الرحم ويجئ على هذا يقال اقرات
المراة فهى مقرئ ان يكون القرء الطهر لاجتماع الدم فى جملة البدن والوجه
الثانى ان اصل القرء الوقت الجارى فى الفعل على عادة وهو يصلح للحيض
والطهر يقال هذا قارئ الرياح اى وقت هبوبها قال الشاعر شنئت
العقر عقر بنى شليل اذا هبت لقاريها الرياح اى لوقت هبوبها
وشدة بردها والذى يقوى ان القرء الطهر قول الاعشى وفى كل عام انت
جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفى الاصل رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا والذى ضاع ههنا الاطهار لا الحيض
البعولة جمع بعل ويقال بعل يبعل بعولة وهو بعل وسمى الزوج بعلا
لانه عال على المراة بملكه لزوجيتها وقوله اتدعون بعلا اى ربا وقيل
انه الصنم والبعل النخل يشرب بعروقه لانه مستعل على شربه وبعل
الرجل بامره اذا ضاق به ذرعا لانه علاه منه ما ضاق به ذرعه
وبعل الرجل بطر لانه استعلى تكبرا وامراة بعلة لا تحسن لبس الثياب لان
الحيرة تستعلى عليها فتدهشها والرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجلة

اى القوة وهو ارجلهما اى اقواهما وفرس رجيل قوى على المشى وسميت
الرجل رجلا لقوتها على المشى ورجل من جراد اى قطعة منه تشبيها
بالرجل لانها قطعة من الجملة والراجل الذى يمشى على رجله وارتجل الكلام
ارتجالا لانه قوى عليه من غير ركوب فكرة وترجل النهار لانه قوى
ضياؤه بنزول الشمس الى الارض ورجل شعره اذا طوله واصل الباب
القوة والدرجة المنزلة ان كن يؤمن بالله جواب الشرط محذوف
وتقديره ان كن يؤمن بالله لا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله
ان ارادوا اصلاحا محذوف وتقديره ان ارادوا اصلاحا فبعولتهن
احق بردهن مثل الذى عليهن اضافة مثل غير حقيقية لان الذى
عليهن مفعوله ثم بين الله سبحانه حكم المطلقات والطلاق
فقال والمطلقات اى المخليات عن حبال الزوج بالطلاق وانما يعنى
للمطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لان فى الاية
بيان عدتهن يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ومعناه ينتظرن بانفسهن
انقضاء ثلثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه امر والمراد بالقروء
الاطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعايشه وابن عمر ومالك و
الشافعى واهل المدينة قال ابن شهاب ما رايت احدا من اهل
بلدنا الا وهو يقول الاقراء الاطهار عندنا وبه قال زيد بن الا
سعيد بن المسيب والمروى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن
ومجاهد ورووه ايضا عن على عليه السلم ان القرء الحيض والمراد
ثلثة قروء ثلثة حيض وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه واستشهدوا
بقوله عليه السلم للمستحاضة دعى الصلوة ايام اقرائك والصلوة

انما

انما تترك فى ايام الحيض واستشهد من ذهب الى ان القرء الطهر بقوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن اى فى طهر لم يجامع فيه كما يقال لغرة الشهر
وبقول النبى صلى الله عليه واله لما طلق ابن عمر زوجته وهى حايض مره
فليراجعها فاذا طهرت فليطلق او ليمسك وتلى النبى ص واذا طلقتم
النساء فطلقوهن لقبل عدتهن فاخبر ص ان العدة الاطهار دون
الحيض لانها تستقبل عدتها ولو طلقت حايضا لم تستقبل عدتها
الا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الراى يقول
ان من رايى ان الاقراء التى سمى الله فى القران انما هو الطهر فيما بين الحيضتين
وليس بالحيض قال فدخلت على ابى جعفر عليه السلم فحدثته بما قال
ربيعه فقال كذب لم يقل برايه وانما بلغه عن على عليه السلم فقلت
اصلحك الله كان على عليه السلم يقول ذلك قال نعم كان يقول انما
القرء الطهر تقرى فيه الدم فتجمعه فاذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك
اصلحك الله رجل طلق امراته طاهرا من غير جماع بشهادة عدلين قال
اذا دخلت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج
قال قلت ان اهل العراق يروون عن على عليه السلم انه كان يقول
هو احق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة فقال كذبوا
ولا يحل لهن اى للمطلقات اللاتى يجب عليهن العدة ان يكتمن ما
خلق الله فى ارحامهن قيل اراد به الحيض عن ابرهيم وعكرمه و
قيل اراد به الحبل عن ابن عباس وقتادة وقيل اراد الحيض والحبل
عن ابن عمر والحسن وهو المروى عن الصادق عليه السلم قال قد
فوض الله الى النساء ثلثة اشياء الحيض والطهر والحمل ولهذا القول اعم

فالاخذ به اولى وانما لم يحل له من الكتمان لئلا يظلمن الزوج بمنع المراجعة
عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد الى غيره كفعل الجاهلية عن قتادة
وقوله ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر يعنى من كان يؤمن بالله و
اليوم الآخر فهذه صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى انها اذا لم تكن
مؤمنة يحل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب
هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه ان كنت مؤمنا فلا تظلم
وهذا على وجه الوعيد وبعولتهن احق بردهن فى ذلك يعنى ازواجهن
اولى بمراجعتهن وهى ردهن الى الحالة الاولى فى ذلك الاجل الذى
قدر لهن فى مدة العدة فانه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج
حق المراجعة ويفوت بانقضائها وفى هذا ما يدل على ان الزوج ينفرد
بالمراجعة ولا يحتاج فى ذلك الى رضاء المراة ولا الى عقد جديد واشهاد
وهذا يختص الرجعيات وان كان اول الاية عاما فى جميع المطلقات
الرجعية والبائنة ان ارادوا اصلاحا لا اضرارا وذلك ان الرجل كان
اذا اراد الاضرار بامراته طلقها واحدة وتركها حتى اذا قرب انقضاء
عدتها راجعها وتركها كذلك مدة ثم طلقها اخرى وتركها كما فعل
فى الاولى ثم راجعها وتركها مدة اخرى ثم طلقها فجعل الله الزوج
احق بالمراجعة على وجه الاصلاح لا على وجه الاضرار وانما شرط
الاصلاح فى اباحة المراجعة لا فى ثبوت احكامها لاجماع الامة ان مع
ارادة الاضرار يثبت احكام الرجعة وقوله ولهن اى للنساء على
ازواجهن مثل الذى لهم عليهن من الحق بالمعروف وهذا من الكلمات
العجيبة الجامعة للفوائد الجمة وانما اراد بذلك ما يرجع الى حسن العشرة

وترك

وترك المضارة والتسوية فى القسم والنفقة والكسوة كما ان للزوج حقوقا
عليها منها الطاعة التى اوجبها الله عليها وان لا تدخل فراشه غيره و
ان تحفظ ماءه فلا تحتال فى اسقاطه وروى ان امراة معاذ قالت
يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها
وان يطعمها مما ياكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها وروى عنه انه قال
اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ومن حقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهونه فان
فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وقوله وللرجال عليهن درجة قيل معناه فضيلة منها الطاعة
ومنها ان يملكه التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المراة والجهاد
هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه منزلة فى الاخذ عليها بالفضل
فى المعاملة حتى يقول ما احب ان استوفى منها جميع حقى ليكون لى
عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه ان المراة تنال اللذة
من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضيلة بنفقته وقيامه عليها
عن الزجاج وفى تفسير على بن ابرهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء
افضل من حق النساء على الرجال وفى كتاب من لا يحضره الفقيه روى
عن الباقر عليه السلم قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالت يا رسول الله من اعظم الناس ما حق الزوج على المراة فقال
لها تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيتها بشىء الا باذنه ولا تصوم
تطوعا الا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ولا
تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنتها ملئكة السموات

وملئكة الارض وملئكة الغضب وملئكة الرحمة حتى ترجع الى بيتها
فقالت يا رسول الله من اعظم الناس حقا على المراة قال زوجها فقالت
فما لى من الحق عليه مثل ما له على قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت
والذى بعثك بالحق لا يملك رقبتى رجل ابدا وقال عليه السلم لو كنت
امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم
اى قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل لما تدعو اليه الحكمة
وقد قيل فى الاية ان المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحامل نسختا من
هذه الاية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن وقيل انهما مخصوصتان من الاية كما ذكرناه
فى اول الاية الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون اية
قرا ابو جعفر وحمزة ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها
خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان
وصلتها نحو قوله يخافون ان يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله
يخافون ربهم فوجه قراءة حمزة الا ان يخافا انه لما بنى الفعل للمفعول به
اسند الفعل اليه فلم يبق شى يتعدى اليه فاما ان من قوله الا
يقيما فان الفعل يتعدى اليه بالجار كما يعدى بالجار فى قوله لو خاف
الله عليه حرمه فموضع ان فى الاية جر بالجار المقدر على قول الخليل و

الكسا

الكسائى ونصب فى قول سيبويه واصحابه الا انه لما حذف الجار وصل
الفعل الى المفعول الثانى مثل استغفر الله ذنبا وامرتك الخير فقراءة حمزة
على ما رايت فان قال قايل لو كان يخافا كما قرا لكان ينبغى ان يكون فان
خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه فى قراءته لانهم قد قراوا الا
ان يخافا ولم يقولوا فان خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لامرين
احدهما انه انصرف من الغيبة الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال اياك
نعبد وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
وهذا النحو كثير فى التنزيل وغيره والاخر ان يكون الخطاب فى قوله فان
خفتم مصروفا الى الولاة والفقهاء الذين يقومون بامور الكافة وجاز
ان يكون الخطاب للكثرة فيمن جعله انصرافا من الغيبة الى الخطاب لان
ضمير الاثنين فى يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان انما يراد به ان كل
من كان هذا شانه فهذا حكمه فاما من قرا يخافا بفتح الياء فالمعنى
انه اذا خاف كل واحد من الزوج والزوجة ان لا يقيما حدود الله حل
الافتداء المرة والمرتان كالكرة والكرتين واصل المرة المرور
خلاف الوقوف والمرة شدة الفتل لاستمراره على الاحكام والامساك
خلاف الاطلاق وما نفلان مسكة وتماسك اذا لم يكن فيه خير
والممسك البخيل والمسك الاهاب لانه يمسك البدن باحتوائه
عليه والمسك السوار لاستمساكه فى اليد والتسريح ماخوذ من السرح
وهو الاطلاق وسرح الماشية فى المرعى سرحا اذا اطلقها ترعى و
سرحت الماشية انطلقت فى المرعى والسرحان الذئب لانبساطه
فى السرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها فى جهة الطول والمسرح

المشط لانطلاق الشعر به والسراح الجواد لانطلاقه فى البلاد وان
يخافا معناه ان يظنا قول الشاعر اتانى كلام عن نصيب بقوله وما خفت
يا سلام انك عايبى يعنى ما ظننت والفراء انشد اذا مت فادفنى
الى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها ولا تدفننى فى الفلاة
فاننى اخاف اذا مات ان لا اذوقها وقال ابو عبيدة الا ان يخافا
معناه يوقنا فان خفتم ههنا فان ايقنتم الطلاق رفع با
بالابتداء ومرتان خبره وقوله فامساك خبر مبتدا محذوف
تقديره فالواجب عليكم امساك ولو كان فى الكلام فامساكا بالنصب
لكان جايزا على فامسكوهن امساكا بمعروف كما قال فامسكوهن
بمعروف ان يخافا موصول وصلة موضعها نصب بانه مفعول له
تقديره لمخافتهما وان لا يقيما فى موضع نصب بانه مفعول يخافا
تقديره يخافا ترك اقامة حدود الله روى هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة ان امراة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها
ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل فى الجاهلية اذا طلق
امراته ثم راجعها قبل ان تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها
الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت لرسول الله صلى الله
عليه واله فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلثا والطلاق
الثالث قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره
وروى ايضا انه قيل للنبى صلى الله عليه واله الطلاق مرتان فاين
الثالثة قال امساك بمعروف او تسريح باحسان قوله الا ان
يخافا نزل فى ثابت ابن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله

بن ابى

بن ابى وكان يحبها وتبغضه فقال صلى الله عليه واله اتردين عليه حديقته
قالت نعم وازيده قال لا حديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع فى الاسلام
ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اى الطلاق الذى
يملك فيه الرجعة مرتان وفى معناه قولان احدهما انه بيان تفصيل
طلاق السنة وهو انه اذا اراد طلاقها ينبغى ان يطلقها فى طهر لم يقربها فيه
بجماع تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او حتى تحيض وتطهر
ثم تطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد والثانى ان معناه البيان عن
عدد الطلاق الذى يوجب البينونة مما لا يوجبها وفى الاية بيان انه
ليس بعد التطليقتين الا الفرقة البائنة ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر اى
طلقوا دفعتين وقوله فامساك بمعروف تقديره فالواجب اذا راجعها
بعد الطلقتين امساك بمعروف اى على وجه جميل سائغ فى الشريعة لا على
وجه الاضرار بهن او تسريح باحسان فيه قولان احدهما انه الطلقة الثالثة
والثانى انه يترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدى و
الضحاك وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم ولا يحل لكم خطاب
للازواج ان تاخذوا فى حال الطلاق والاستبدال مما اتيتموهن اى اعطيتموهن
من المهر شيئا ثم استثنى سبحانه الخلع فقال الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله معناه الا ان يغلب على ظنهما ان لا يقيما حدود الله لما
بينهما من اسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو ان يظهر
من المراة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله اذا قالت
المراة لا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسما ولاوطئن فراشك ولاد

خلق

عليك بغير اذنك اذا قالت له هذا حل له ان يخلعها وحل لها اخذ منها
وعلى الجملة اذا خاف ان تعصي الله فيه بارتكاب محظور او اخلال بواجب
وان لا تطيعه فيما يجب عليها حل له ان يخلعها وروى مثل ذلك عن
الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزه فان خفتم ان لا يقيما حدود الله
اى فان ظننتم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام فلا جناح عليهما
اى فلا حرج ولا اثم عليهما وهذا يفيد الاباحة وفي قوله عليهما وان
كانت الاباحة للزوج وجهان احدهما ان الزوج لو خص بالذكر لاوهم
انها عاصية وان كانت الفدية له جائزة فبين الاذن لهما في ذلك
لزوال الابهام عن علي بن عيسى والاخر ان المراد به الزوج وانما ذكر
المراة معه لاقترانهما كقوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ و
المرجان وانما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ ابو جعفر
محمد بن الحسن ره وهذا اليق بمذهبنا لان الذي يبيح الخلع عندنا هو
ما لولاه لكانت المراة عاصية واقول ان الذي عندي في ذلك لزوال
ان جواز وقوع العصيان منها هو السبب في اباحة الخلع عندنا ودفع
الجناح انما يتعلق بالخلع لا باسبابه فالوجه الاول اولى بالاختيار
واشد ملائمة لظاهر الاية والوجه الاخر مرغوب عنه لعدوله عن سنن
الاستقامة اذ لا يكون الاثنان واحدا في الحقيقة فيما افتدت به اى
اى بذلت من المال واختلف في ذلك فعندنا ان كان البغض منها
وحدها وخاف منها العصيان جاز ان ياخذ المهر وزيادة عليه و
ان كان منهما فدون المهر وقيل انه يجوز الزيادة والنقصان على المهر
من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابرهيم ومجاهد

وبر

وقيل ان المهر فقط عن عطا والربيع والزهري والشعبي ورووه عن علي
عليه السلام والخلع بالفدية على ثلثة اوجه احدها ان يكون المراة عجوزا
او ذميمة فيضار بها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة
والثالث ان يخافا ان لا يقيما حدود الله لسوء خلق او قلة نفقة من
غير ظلم او نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية على ما مر تفصيله تلك حدود الله
اى اوامره ونواهيه وما نصب من الايات في الخلع والطلاق والرجعة
والعدة فلا تعتدوها اى فلا تجاوزوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
اى يتجاوزها بان يخالف ما حد له فاولئك هم الظالمون واستدل
اصحابنا بهذه الاية على ان الطلاق الثلث بلفظ واحد لا يقع لانه
قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالث على الخلاف في انها قوله او تسريح
باحسان او قوله فان طلقها ومن طلق ثلثا بلفظ واحد لما اتى
بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك من رمى في الجمار بسبع حصيات
دفعة واحدة لم يجز عنه بلا خلاف فكذلك الطلاق فان
طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ا ه موضع
ان في قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا جر باضمار الجار وتقديره في ان
يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه نصب وهو
اختيار الزجاج وباقي النحويين وموضع ان الثانية وهو ان يقيما حدود
الله نصب بلا خلاف بظنا وانما جاز حذف في من ان يتراجعا و

لم يجز حذفه من المصدر الذى هو التراجع لطول ان بالصلة كما جاز الذى
ضربت زيد لطول الذى بالصلة ولم يجز فى المصدر كما لم يجز فى اسم الفاعل نحو
زيد ضارب عمرو ويريد ضاربه   الزهرى عن عروه عن عايشه قالت نزول
جاءت امراة رفاعه بن وهب القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده
عبد الرحمن ابن زبير وما معه مثل هدبت الثوب وانه طلقنى قبل ان
يمسنى فارجع الى ابن عمى فتبسم رسول الله ص وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته وفى قصة رفاعة وزوجته
نزل فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره   ثم بين
سبحانه حكم التطليقه الثالثة فقال فان طلقها يعنى التطليقه الثالثة نسخ
على ما روى عن ابى جعفر عليه السلم وبه قال السدى والضحاك وقيل هو
تفسير قوله او تسريح باحسان عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل
التسريح طلاقا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اى لا يحل هذه
المراة اى لا يحل تزوجها لهذا الرجل الذى طلقها حتى تتزوج زوجا غيره
ويجامعها واختلف فى ذلك فقيل العقد عملا بالكتاب والوطى بالسنة
عن الجبائى وقيل بل كلاهما عملا بالكتاب لان لفظ النكاح يطلق عليهما
فكانه قيل حتى يتزوج ويجامعها الزوج لان العقد مستفاد بقوله
زوجا والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح فانما اوجب الله ذلك لعلمه
بصعوبة تزوج المراة على الرجل حتى لا يعجلوا بالطلاق وان يتثبتوا
قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب فان
طلقها معناه فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما فى ان يتراجعا اى

فلا

فلا جناح على الزوج وعلى المراة ان يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا الى الحالة
الاولى فذكر النكاح بلفظ التراجع ان ظنا ان رجوا وقيل علما وقيل اعتقدا
ان يقيما حدود الله فى حسن الصحبة والمعاشرة وانه يكون بينهما الصلاح
وتلك اشارة الى الامور التى بينها فى الطلاق والنكاح والرجعة حدود الله
اوامره ونواهيه يبينها يفصلها لقوم يعلمون نخص العالمين بذكر البيان
لهم لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الايات فصار غيرهم بمنزلة من لا
يعتد به ويجوز ايضا ان يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم لانهم كما خص جبرئيل
وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وتدل الاية على انه اذا طلقها الثالثة
فلا تحل له الا بعد شرايط الزوج الثانى ووطيه فى القبل وانقضاء عدته
وصفه الزوج الذى يحل المراة للزوج الاول ان يكون بالغا ويعقد عليها
عقدا صحيحا دائما واختلف فى التحليل على ثلث وفرقها اقاويل فمنهم
من قال اذا نوى التحليل يفسد النكاح ولا تحل للاول عن الاوزاعى و
مالك والثورى وروى نحوه عن ابى يوسف واحتجوا بقوله صلى الله
عليه وآله لعن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال اذا لم يشترط فى العقد
حل واذا شرطه يفسد ولا تحل عن الشافعى ومنهم من قال يصح العقد و
يبطل الشرط وتحل للاول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب ابى حنيفه
واهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا تحل للاول وفى قوله فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره دلالة على ان النكاح بغير ولى جائز
وان المراة يجوز لها ان تعقد على نفسها لانه اضاف العقد اليها
دون وليها   وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ

ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا
ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا
ان الله بكل شيء عليم اية الاجل اخر المدة وعاقبة الامود
والمراد بالمعروف هنا الحق الذي يدعوا اليه العقل او الشرع للمعرفة
بصحة خلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة
بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر

فبلغن اجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها
وهي طلقتم النساء مجرورة الموضع باضافة اذا اليها وضرارا انصب على
الحال من الواو في تمسكوهن تقديره ولا تمسكوهن مضارين واللام
في لتعتدوا يتعلق بتمسكوا او ضرارا وهزوا مفعول ثان لتتخذوا
وما انزل موصول وصلة في محل النصب بالعطف على نعمة ومن الكتاب
في محل النصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما انزل ومن يكون
بمعنى التبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل
ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال واذا طلقتم النساء وهذا
خطاب للازواج فبلغن اجلهن البلوغ ههنا بلوغ مقاربة اي
قاربن انقضاء العدة لان بعد انقضاء العدة ليس للزوج لامساك
فهذا كما يقول بلغت البلد اذا قربت منه فامسكوهن بمعروف
اي راجعوهن قبل انقضاء العدة بما يتعارفه الناس بينهم مما يقبله
النفوس ولا ينكره العقول والمراد بالمعروف ههنا ان تمسكها
على الوجه الذي اباحه الله له من القيام بما يجب لها من النفقة و

حسن

حسن المعاشرة وغير ذلك او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى
ينقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا
تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما في تطويل العدة
او بتضييق النفقة في العدة لتعتدوا اي لتظلموهن ومن يفعل ذلك
اي الامساك للمضارة فقد ظلم نفسه فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب
الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي لا تستخفوا بأوامره وفروضه و
نواهيه وقيل ايات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
واذكروا نعمة الله عليكم فيما اباحه لكم من الازواج والاموال وما
بين من الحرام والحلال وما انزل عليكم من الكتاب يعني القران و
الحكمة يعني العلوم التي دل عليها والشرائع التي بينها يعظكم به لتتعظوا
فتوجروا بفعل ما امركم الله به وترك ما نهاكم عنه واتقوا الله اي
معاصيه التي يؤدي الى عقابه وقيل اتقوا عذابه باتقاء معاصيه
واعلموا ان الله بكل شيء عليم من افعالكم وغيرها واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ
به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم
واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون اية العضل الحبس
وقيل هو ماخوذ من المنع وقيل ماخوذ من الضيق والشدة والامر
المعضل الممتنع لصعوبته وعضلت الناقة وهي معضل اذا احتبس
ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضتها وتقول
عضل المراة يعضلها ويعضلها عضلا اذا منعها من الزوج ظلما

واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدته
وداء عضال وفلان عضلة من العضل اى داهية من الدواهى
موضع ان من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائى
وتقديره من ان ونصب عند غيرهما بوصل الفعل وذلك يوعظ
به مبتدأ وخبر وقوله من كان يؤمن بالله فى موضع رفع بيوعظ
ومنكم فى موضع الحال من الضمير فى يؤمن نزلت فى معقل
بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى الزوج الاول وهو عاصم
بن عدى فانه كان طلقها وخرجت من العدة ثم اراد ان يجتمعا
بعقد اخر فمنعها من ذلك فنزلت الاية عن قتادة والحسن وجماعة
وقيل نزلت فى جابر ابن عبد الله عضل بنت عم له عن السدى و
الوجهان لا يصحان على مذهبنا لانه لا ولاية للاخ وابن العم عندنا
ولا تاثير لعضلهما فالوجه لذلك ان تحمل الاية على المطلقين كما فى
الاول فكانه قال لا تعضلوهن اى لا تراجعوهن عند قرب انقضاء
عدتهن اضرارا بهن لا رغبة فيهن لان ذلك لا يسوغ فى الدين
ويجوز ان يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهن وبين
التزويج دون ما يتعلق بالولاية واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اى انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اى لا تمنعوهن
ظلما عن التزويج قيل المراد به التخلية وقيل هو خطاب للاولياء
ومنع لهم عن عضلهن وقيل خطاب للازواج يعنى ان يطلقوهن
فى السر ولا يظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فيبقين لا
ممسكات امساك الازواج ولا مخليات تخلية المطلقات

او تطولوا

اوتطولوا العدة عليهن ان ينكحن ازواجهن اى من يرضين بهم
ازواجا لهن وقيل الذين كانوا ازواجا لهن من قبل اذا تراضوا بينهم
بالمعروف اى بما لا يكون مستنكرا فى عادة ولا خلق ولا عقل وقيل
اذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدى وقيل اذا تراضيا
بالمهر قليلا كان او كثيرا ذلك اشارة الى ما سبق من الامر والنهى
يوعظ به يزجر ويخوف به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر انما
خصهم بالذكر لانهم الذين انتفعوا به او لانهم اولى بالانعاظ به و
قيل لان الكافر انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان واعترافه بالله
تعالى ذلكم ازكى لكم اى خير لكم وافضل واعظم بركة واحرى ان يجعلكم
ازكيا واطهر اى اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعل فى قلبهما حبا فاذا
منعا من التزويج لم يؤمن ان يتجاوزوا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم
من الذنوب والله يعلم ما لكم فيه من الصلاح فى العاجل والاجل و
انتم لا تعلمون وانتم غير عالمين الا بما اعلمكم وليس لاحد ان يستدل
بالاية على ان العقد لا يصح الا بولى لانا قد بينا ان المراد بالعضل
المنع واذا حملنا الاية على انها خطاب للازواج سقط قولهم وهذا
اولى لانه لم يجر للاولياء ذكر كما جرى ذكر المطلقين و
الوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد
ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان
ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح

في التنزيل الا ترى الى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن وقوله ذلك انما اغنيه عن لفظ الامر

عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح
عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير اية — قرا اهل البصرة وابن كثير
وقتيبه عن الكسائي لا تضار بالرفع وتشديد الراء وقرا ابو جعفر
وحده بتخفيف الراء وسكونها والباقون بتشديدها وفتحها وقرا
ابن كثير وحده ما اتيتم مقصورة الالف والباقون ما اتيتم وكذلك
في الروم — من رفع فلان قبله لا يكلف فاتبعه ما قبله ليكون
احسن لتشابه اللفظ فان قلت ان ذلك خبر وهذا امر قيل ان الامر
قد يجي على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك
فلما وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جعله امرا وفتح الراء ليكون
حركته موافقة لما قبلها وهو الالف واما قراءة ابي جعفر لا يضار
فينبغي ان يكون اراد لا يضارر كما روي في الشواذ عن ابان عن عاصم
الا انه حذف احدى الرائين تخفيفا كما قالوا احست احسست وظلت
ومست في ظللت ومسست ومن قرا اتيتم فالمراد ايتاء المهر كقوله
واتيتم احديهن قنطارا وقوله اذا اتيتموهن اجورهن واما قول
ابن كثير فتقديره اذا سلمتم ما اتيتم نقده او اتيتم سوقه فحذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة
فكانه قال اتيت نقد الف اي بذلته كما تقول اتيت جميلا اي فعلته
ويؤيده قول زهير فما يك من خير اتوه فانما توارثه اباء ابائهم
قبل فكما يقول اتيت خيرا فكذلك اتيت تقول نقد الف وقد وقع
اتيت موقع اتيت ويجوز ان يكون ما في الاية مصدرا فيكون في

التقدير

التقدير اذا سلمتم الاتيان والاتيان الاتي فيما يبذل بسوق او نقد
كقولك ضرب الامير اي مضروبه . الرضع مص الثدي بشرب
اللبن منه يقال رضع ويرضع والمصدر الرضع والرضع والرضاع
والرضاعة ولئيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤمه لئلا يسمع
الضيف صوت الشخب وارضعت المراة فهي مرضعة وقولهم
مرضع بغيرها ذات الرضاع والحول السنة ماخوذ من الانقلاب
في قولك حال الشي عما كان عليه يحول ومنه الاستحالة في الكلام
لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قولك تحول
عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا اي البسته والكسي اي لبس
والكسوة اللباس والتكليف الزام الشاق واصله من الكلف
ظهور الاثر لانه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف اي تحمل والكلف
بالشي الايلاع به والوسع الطاقة ماخوذ من سعة المسلك الى
الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة
فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفطام لانفصال المولود
عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل
بنو ابيه لانفصالهم من اصل واحد والفصل الفرق والتشاور
ماخوذ من الشور وهو اجتناء العسل تقول شربت العسل اشوره
شورا اذا اجتنيته من مكانه والمشورة استخراج الراي من المستشار
لانها يجتنى منه واشار اليه اشارة اومى اليه والمشيرة الاصبع التي
تسمى السبابة لانها يشار بها والشارة الهيئة واللباس الحسن
لانه مما يشار اليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة كالاجتناء

شربت بها

عن تراض في موضع الحال تقديره فان ارادا متراضيين منهما

في موضع جر صفة لتراض ان تسترضعوا اولادكم معناه لاولادكم

فحذفت اللام للدلالة الاسترضاع عليه من حيث انه لا يكون الا

لاولاد ولا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لانه يجوز ان يكون المدعو

مدعواً اله اذ معنى دعوت زيداً العمرو خلاف دعوت زيداً فقط

فلا يجوز للالتباس وقوله بالمعروف جاز ان يتعلق بسلمتم كانه قال

اذا سلمتم بالمعروف ما اتيتم ويجوز ان يتعلق باتيتم على حد قولك

اتيته بزيد لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان احكام

الاولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة

والنفقة فقال والوالدات اي الامهات يرضعن اولادهن

صيغته صيغة الخبر والمراد الامر اي ليرضعن اولادهن كقوله

يتربصن بانفسهن وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال

اذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز ان يرضعن اكثر من حولين واقل

وقولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم وقيل هو خبر بمعنى

الامر تقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم

الله تعالى الذي اوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه وهذا امر

استحباب لا امر ايجاب والمعنى انهن احق برضاعهم من غيرهن

بدليل قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ثم بين مدة الرضاع

فقال حولين كاملين اي عامين تامين اربعة وعشرين شهرا وانما

ذكر كاملين وان كانت التثنية تاتي على استيفاء العدة لرفع الابهام

الذي يعرض في الكلام فان الرجل يقول سرت شهرا واقمت عند فلان

سنة وان كان قد سار قريبا من شهر واقام قريبا من سنة وفي هذا

بيان لامرين احدهما مندوب والثاني فرض فالمندوب هو ان

يجعل الرضاع تمام حولين والمفروض هو ان المرضعة تستحق الاجرة في

مدة الحولين ولا تستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحد هل هو

لكل مولود او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد

لستة اشهر وان ولدت لسبعة اشهر فثلثة وعشرون وان ولدت

لتسعة فاحد وعشرون يطلب بذلك تكملة ثلثين شهرا في الحمل

والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لانهم

رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا فهو جور على الصبي قال

الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد اذا اختلف والداه رجعا الى

الحولين من غير نقصان ولا زيادة ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع

بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود

واكثر العلماء قالوا المراد بالاية بيان التحريم الواقع بالرضاع في الحولين

يحرم وما بعده لا يحرم وقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة اي لمن اراد ان

يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على ان الارضاع غير مستحق

على الام لانه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وان تعاسرتم فسترضع

له اخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن

اولادهن حولين ثم انزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد ان يتم

الرضاعة يعني ان هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد

محدود وانما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به وعلى

المولود له يعني الاب رزقهن يعني الطعام والادام وكسوتهن يعني

لباسهن والمراد رزق الام وكسوتها ما دامت فى الرضاعة اللازمة
وذلك فى المطلقة عن الثورى والضحاك واكثر المفسرين بالمعروف بحسب
على قدر اليسار لانه تعالى علم احوال الناس فى الغنى والفقر وجعل حق
الحضانه للام والنفقة على الاب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات
وقوله لا يكلف نفس الا وسعها اى لا يلزمه الا دون طاقتها لا تضار
والدة بولدها اى لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فتضر به
لانها اشفق عليه من الاجنبية ولا مولود له بولده اى لا يأخذه من
امه طلبا للاضرار بها فيضر بولده فيكون المضاره على هذا بمعنى الاضرار
اى لا تضر الوالدة ولا الوالد بالولد وانما قال تضار والفعل من واحد
لانه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين
وقيل الضمير يرجع الى الولد كانه يقول لا تضار كل واحد من الام والاب
بالصبى الام بان لا ترضعه والاب بان لا ينفق او بان ينتزعه من
الام والباء زايدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل
معناه لا تضار والدة الزوج بولده ولو قيل فى ولدها الجاز فى المعنى و
روى عن السدى الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة (السيدين)
الزوج بان يترك جماعها خوف الحمل لاجل ولدها المرتضع ولا مولود
له بولده اى لا تمنع نفسها من الاب خوف الحمل فيضر ذلك بالاب و
قيل فى ولدها لا تضار والدة بولدها بان ينزع الولد منها ويسترضع
امراة غيرها مع اجابتها الى الرضاع باجرة المثل فعلى هذا يكون معنى
بولدها بسبب ولدها ولا مولود له اى لا تمنع هى من الارضاع اذا
اعطيت اجرة مثلها فان فعلت يستاجر الاب مرضعة غيرها و

لا

لا تمنعه من روية الولد فتكون فيه مضادة بالوالد وقوله بولده بسبب
ولده ايض وليس بين هذه الاقوال تناف فالاولى حمل الاية على جميعها
وقوله وعلى الوارث قيل معناه وارث الولد عن الحسن وقتادة والسدى
وهو من يرثه اذا مات وقيل وارث الولد عن قبيصة بن ذويب الاول
اوى مثل ذلك اى مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن
وقتاده وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضادة عن الضحاك و
المفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو اليق بالعموم واختلفوا فى
ان النفقة على كل وارث او على بعضهم قيل هى على العصاة دون اصحاب
الفرايض من الام والاخوة من الام عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل
على وارث الصبى من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث
عن قتاده وقيل على الوارث من كان ذا رحم محرم دون من كان ذا
رحم غير محرم كان العم وابن الاخت فيجب على ابن الاخت ولم يجب
على ابن العم وان كان وارثه فى تلك الحالة عن ابى حنيفة وصاحبيه
وقيل على الوارث اى الباقى من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا
وهو مذهب الشافعى ايض لان عنده لا يجبر على النفقة الرضاع
الا الوالدان فقط وقد روى ايض فى اخبارنا ان على الوارث كاينا
من كان النفقة وهذا يوافق الظ وبه قال قتاده واحمد واسحق
وقوله فان ارادا فصالا اى قبل الحولين عن مجاهد وقتادة و
هو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام وقيل قبل الحولين او بعدهما
عن ابن عباس عن تراض منهما اى من الاب والام وتشاور
يعنى اتفاق منهما ومشاورة وانما شرط تراضيهما وتشاورهما

مصلحة للولد لان الوالدة تعلم من تربية الصبى ما لم يعلمه الوالد فلو
لم يتفكرا ويتشاورا فى ذلك ادى الى ضرر الصبى فلا جناح عليهما اى
لا حرج عليهما اذا تماسك الولد فان تنازعا رجعا الى الحولين قوله
وان اردتم خطاب للاباء ان تسترضعوا اولادكم اى تطلبوا مراضع
لهم غير امهاتهم لاباء امهاتهم الرضاعة او لعله بهن من انقطاع
لبن او غيره فلا جناح عليكم اى لا حرج ولا ضيق فى ذلك اذا سلمتم
ما اتيتم بالمعروف اى سلمتم الى الام اجرة المثل بمقدار ما ارضعت
عن مجاهد والسدى وقيل اذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق
دون الضرار عن ابن شهاب وهذا معنى قول ابن عباس وفى رواية
عطا قال اذا سلمت امه ورضى ابوه لعل له غنى يشترى له مرضعا وقيل
اذا سلمتم اجرة المرضعة عن الثورى وقيل اذا سلمتم اجرة الام او الظئر
عن ابن جريج ومعنى قوله اتيتم ضمنتم والتزمتم ثم اوصى بالتقوى فقال
سبحانه واتقوا الله يعنى معاصيه او عذابه فى مجاوزة ما حده لكم
واعلموا ان الله بما تعملون اى باعمالكم بصير اى عليم لا يخفى عليه شئ
منها وفى قوله سبحانه لا تكلف نفس الا وسعها دلالة على فساد
قول المجبرة فى حسن التكليف ما لا يطاق لانه اذا لم يجز ان يكلف
مع عدم الجدة فان لا يكلف مع عدم القدرة احرى فان فى الحالين
لا سبيل له الى اداء ما كلف والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن
فى انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير آية

روى

روى فى الشواذ عن على عليه السلم يتوفون بفتح الياء قال
ابن جنى هو على حذف المفعول اى الذين يتوفون ايامهم او آجالهم و
اعمارهم وحذف المفعول به كثير فى القرآن وفصيح فى الكلام اذا كان
هناك دليل عليه قال الله تعالى واوتيت من كل شئ اى شيئا قال
الحطيئة منعمة تصون اليك منها كصونك من رداء شرعبى
تصون الكلام منها وتوفيت الشئ واستوفيته اخذته وافيا
يذر ويدع يترك ولا يستعمل منهما الماضى استغنى فيه بترك والعلة
فى ذلك انهم تركوا الواوات فى اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها اولا
على جهة الزيادة اصلا الاجل غاية الوقت فى محل الدين ونحوه لتاخره
الى ذلك الوقت والاجل نقيض العاجل لتاخره عن وقت غيره وفعلته
من اجل كذا اى لعاقبة كذا او هى متاخرة عن وقت الفعل والقطيع من
بقر الوحش يسمى اجلا وقد تاجل الصوار اى صار اجلا لتاخر بعضه عن
بعض واجل عليهم شرا اجلا اى جناه لانه اعقبهم شره والاجلة الآخرة
والعاجلة الدنيا والخبير العالم بمخبر الخبر واصله من السهولة والخبار
الارض السهلة واخبرت بالشئ لانه تسهيل لطريق العلم والخبير
الاكار والمخابرة المواكرة وهو ان يزرع على النصف او الثلث ونحوه
وذلك لتسهيل الزراعة الذين يرتفع بالابتداء ويتوفون
صلة ومنكم فى موضع النصب على الحال من الواو فى يتوفون ويذرون
ازواجا عطف على الصلة فهو ايضا من الصلة ويتربصن وما بعده
خبر المبتدا واذا كان خبر المبتدا لا بد من ان يكون هو هو او يكون له
فيه ذكر فلا يجوز ان يكون هذا الظاهر على الذى هو عليه لخلوه من ضربى

خبر المبتدا، وقد قيل فيه اقوال احدها ان تقدير خبر الابتداء يتربصن
بعدهم لان المعنى يتربصن ازواجهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف
هذا الذى يتعلق به الراجع الى المبتداء كما جاز ذلك فى قولهم السمن منوان
بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الاخفش والثانى ان يكون تقديره
ازواجهم يتربصن عن ابى العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدا
الذى هو ازواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه كما
يسوغ حذف المفرد اذا قام الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف
ان الازواج قد تقدم ذكرهن فساغ اضمارهن وحسن واما حذف
المضاف اليه فلاقتضاء المبتداء الراجع اليه وقد جاء المبتدا المضاف
محذوفا كما جاء المفرد وذلك قوله عز اسمه لا يغرنك تقلب الذين
كفروا فى البلاد متاع قليل اى تقلبهم متاع قليل والثالث ان يكون
تقديره يتربصن ازواجهم ثم كنى عن الازواج عن الكسائى وانما قال
وعشرا بالتانيث تغليبا لليالى على الايام اذا اجتمعت فى التاريخ لان
ليلة كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين وقد علم المخاطب ان الايام داخلة
مع الليالى وانشد سيبويه فطافت ثلثا بين يوم وليلة يكون
النكير ان تضيف وتجارا فيما فعلن ما مع صلته فى موضع الجر بفى و
قوله بالمعروف الجار والمجرور فى موضع النصب على الحال لما بين
سبحانه عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال والذين يتوفون
منكم اى يقبضون ويموتون ويذرون اى يتركون ازواجا اى نساء
يتربصن بانفسهن اى ينتظرن انقضاء العدة ويحبسن انفسهن
عن التزوج معتدات اربعة اشهر وعشرا اى وعشر ليالى وعشرة

ايام

ايام وهذا عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها او غير مدخول
بها حرة كانت او امة فان كانت حبلى فعدتها ابعد الاجلين من وضع
الحمل او مضى اربعة اشهر وعشرا ووافقنا فى عدة الامة الاصم وخالف
باقى الفقهاء فى ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة
ايام واليه ذهب قوم من اصحابه وقالوا فى عدة الحامل انها بوضع الحمل
وان كان بعد على المغتسل وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابى مسعود
البدرى وابى هريره وعندنا ان وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذى
يجب على المعتدة فى عدة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالاثمد و
ترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهرى والامتناع من الزوج لا
غير عن الحسن واحدى الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع
ذلك واجب فاذا بلغن اجلهن اى اخر العدة بانقضائها فلا جناح
عليكم قيل انه خطاب للاولياء وقيل لجميع المسلمين لانه يلزمهم منعها
عن التزوج فى العدة وقيل معناه لا جناح على النسا وعليكم فيما فعلن
فى انفسهن من النكاح واستعمال الزينة لا ينكر مثلها وهذا معنى
قوله بالمعروف التى ما يكون جايزا وقيل معناه النكاح الحلال عن
مجاهد والله بما تعملون خبير اى عليم وهذه الاية ناسخة لقوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج وان كانت متقدمة عليه فى التلاوة ولا
جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى
انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح

حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله غفور حليم اية في الكوفى
وايتان في عدهم ترك قولا معروفا كوفى التعريض ضد التصريح وهو
ان تضمن الكلام دلالة على ما تريد واصله من العرض للشئ الذى هو جانبه
وناحية منه وفى الحديث من عرض عرضنا ومن مشى على الكلاء القيناه
فى النهر ومعناه من عرض بالقذف عرضنا له بتاديب لا يبلغ الحد
ومن صرح القيناه فى نهر الحد والفرق بين التعريض تضمن الكلام والكناية
ان التعريض تضمن الكلام دلالة على شئ ليس فيه ذكر له والكناية
العدول عن الذكر الاخص بالشئ الى ذكر يدل عليه فالاول كقول القايل
ما اقبح البخل يعرض بان المخاطب بخيل والثانى كقولك زيد ضربته
كنيت عنه بالهاء والخطبة الذكر الذى يستدعى به الى عقدة النكاح
اخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للافهام والخطبة الوعظ المتسق
على ضرب من التاليف وقيل الخطبة ما له اول واخر مثل الرسالة
والخطبة للحال نحو الجلسة والقعدة والاكنان الستر للشئ والكن
الستر ايضا والفرق بينهما ان الاكنان الاضمار فى النفس ولا يقال
كننته فى نفسى والكن فى معنى الصون وفى التنزيل بيض مكنون والكانون
يحتاج اليه فى وقت الاكتنان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة
تتخذ للنبل والسر فى اللغة على ثلثة اوجه الاخفاء فى النفس والسر
فى الحسب يقال فلان فى سر قومه اى فى صميم والجماع فى الفرج قال امرؤ
القيس الا زعمت بسباسة اليوم اننى كبرت وان لا يشهد السر امثالى
والاعشى قال ولا تنكحن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا
والعزم عقد القلب على امر يفعله وفى الحديث خير الامور عوازمها

يعنى

يعنى ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو الشد للتثليث بما
ما قد ذكرناه وعقد اليمين خلاف اللغو فيما عرضتم الجار في
المجرور فى موضع الحال وكذا فى قوله من خطبة النساء ان تقولوا فى موضع
نصب بدلا من سرا وتقديره لا تواعدوهن الا قولا معروفا ولا تعزموا
عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فحذف على استخفافا كما قالوا ضرب
زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن قال سيبويه ان الحذف فى
هذه الاشياء لا يقاس عليه لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز
الرجعة فيها للازواج عقبه ببيان حال غير الازواج فقال ولا جناح
عليكم اى لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به من خطبة
النساء المعتدات ولا تصرحوا به وذلك بان تذكروا ما يدل على رغبتكم
فيها ثم اختلف فى معناه فقيل التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة
ولا تصرحوا انى اريد النكاح وانى لاحب امراة من صفتها كذا وكذا فيذكر
بعض الصفات التى هى عليها عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك
لنافعة وانك لموافقة لى وانك لمعجبة جميلة فان قضى الله شيئا
كان عن القاسم بن محمد والشعبى وقيل هو كل ما كان من الكلام دون
عقد النكاح عن ابن زيد او اكننتم فى انفسكم اى اسررتم واضمرتم
فى انفسكم من نكاحهن بعد مضى عدتهن وقيل هو اسرار العزم
دون الظهار والتعريض اظهار عن مجاهد وابن زيد علم الله انكم
ستذكرونهن برغبتكم فيهن خوفا منكم ان تسبقكم اليهن غيركم
فاباح لكم ذلك ولكن لا تواعدوهن سرا فيه اقوال احدها هو ان
معناه لا تواعدوهن فى السر لانها اجنبية والمواعدة فى السر تدعو الى ما لا

[illegible]

الوفا عن الحسن وابرهيم وقتادة وقالوا كان الرجل يدخل على المراة من اجل
الريبة وهو معرض بالنكاح فنهوا عن ذلك وثالثها انه العهد على الامتناع
من تزوج غيرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورابعها هو ان يقول
لها اني ناكحك فلا تفوتيني نفسك عن مجاهد وخامسها ان السر هو
الجماع ومعناه لا تصفوا انفسكم بكثرة الجماع ولا تذكروه عن جماعة و
سادسها انه اسرار عقدة النكاح في السر عن عبد الرحمن ابن زيد
ويجمع هذه الاقوال ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال لا تصرحوا
لهن النكاح والتزويج قال ومن السر ان يقول لها موعدك بيت فلان
الا ان تقولوا قولا معروفا يعني التعريض الذي اباحه الله تعالى و
الا بمعنى لكن لان ما قبله المنهي عنه وما بعده هو الماذون فيه و
تقديره ولكن قولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح اي على
عقدة النكاح بمعنى لا تثبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في
العدة ولم يرد به النهي عن العزم على النكاح بعد العدة لانه اباح ذلك
بقوله او اكننتم حتى يبلغ الكتاب اجله معناه حتى تنقضي العدة
بلا خلاف وقيل الكتاب هو القران والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب
اي ما فرض في القران من العدة والاجل المضروب لها وقيل معناه
حتى يبلغ الفرض اجله وعبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب اي
فرض وهذا لان ما كتب فقد اثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت و
قيل ان هذا تشبيه للعدة بالدين المؤجل المكتوب اجله في كتاب
فكما يتاخر المطالبة بذكر الدين حتى يبلغ اجله كذلك يتاخر خطبة النكاح
في العدة الى انقضاء العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من اسراركم

وفيها

فيما بركم فاحذروه فاتقوا عقابه ولا تخالفوا امره واعلموا ان الله غفور
لعباده حليم بمهل العقوبة المستحقة فلا يعجل بها   لا جناح
عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا
بالمعروف حقا على المحسنين اية   قرا حمزة والكسائي تما (سوهن)
بضم التاء وبالالف موضعان ههنا وفي الاحزاب وقرا الباقون تمسوهن
وقرا ابو جعفر واهل الكوفة الا ابا بكر وابن ذكوان قدره بفتح الدال
في الموضعين والباقون باسكانها   حجة من قرا تمسوهن قوله
ولم يمسسني بشر ولم يطمثهن وانكحوهن والنكاح عبارة عن الوطي قال
جرير التاركون على طهر نساءهم والناكحون بشطي دجلة البقرا وحجة من
قرا ولا تماسوهن ان فاعل وفعل قد يراد بكل واحد منهما ما يراد
بالاخر وذلك نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وقال ابو الحسن فقال
هو القدر والقدر وهم يختصمون في القدر والقدر قال الشاعر الا يا لقوم
للنوايب والقدر وخذ بقدر كذا وقدر كذا لغتان وفي كتاب الله
تعالى وسالت اودية بقدرها وقدرها وعلى الموسع قدره وقدره
وما قدروا الله حق قدره ولو حركت كان جايزا وكذلك انا خلقناه
بقدر ولو خففت جاز الا ان رؤس الاي كلها متحركة فيلزم الفتح
لان ما قبلها مفتوح   الموسع الذي يكون في سعة لغناه و
المقتر الذي يكون في ضيق لفقره يقال اوسع الرجل اذا كثر ماله و
اتسعت حاله واقتر اذا افتقر وقترت الشيء اقتره قترا وقترته
تقتيرا اذا ضيقت الانفاق منه والقتار دخان الشحم على النار

لقلته بالاضافة الى بقيته والفتر العباد والنقير مسامير الدرع
لقلتها وصغرها والنقير ابتداء الشيب لقلته ويجوز ان يكون تشبيها
بالدخان اول ما يرتفع والفتره ماموس العباد لانها كالقتاد واصل
الباب الاقلال وقددت الشي اقدده واقده قدا وقددت الشي
اقدد عليه قددة وقدودا ما لم تمسوهن هو صلة وموصول
فى موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه والعامل فى الظرف طلق وجواب الشرط محذوف
تقديره ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم متاعا واما على المصدر نصب
على احد وجهين اما ان يكون حالا من قدره والعامل فيه الظرف اى
متعناه متاعا واما على المصدر اى متعوهن متاعا وحقا ينتصب
ايضا على احد وجهين اما ان يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل
فيه معنى عرف حقا واما ان يكون على التاكيد بجملة الخبر وكانه قال
اخبركم به حقا او احقه حقا او حق ذلك عليهم حقا كانه قال ايجابا
على المحسنين ثم بين سبحانه حكم الطلاق وقبل الفرض و
المسيس فقال لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن هذا
اباحة للطلاق قبل المسيس وفرض المهر فرفع الاثم عن الطلاق قبل
الدخول لئلا يتوهم احد ان الطلاق فى هذه الحالة محظور والمس
كناية عن الوطى والمفروض صداقها داخلة فى دلالة الاية وان
لم يذكر لان التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن او لم تفرضوا
لهن فريضة لان او تنبئ عن ذلك اذ لو كان على الجميع لكان بالواو
والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لانه يجب بالعقد للمراة فهو

فرض

فرض لوجوبه بالعقد ومعناه او لم يقدروا لهن مهرا مقدرا وانما خص
التى لم تدخل بها بالذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها وان كان حكمهما
واحدا لامرين احدهما لازالة الشك على ما قدمنا ذكره والثانى لان له
ان يطلق التى لم يدخل اى وقت شاء بخلاف المدخول بها فانه لا يجوز
ان يطلقها الا فى طهر لم يجامعها فيه ومتعوهن اى اعطوهن من مالكم
ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع به على الموسع قدره اى على الغنى
الذى هو فى سعة لغناه على قدر حاله وعلى المقتر قدره اى على الفقير
الذى هو فى ضيق بقدر امكانه وطاقته والمتعة خادم او كسوة او
رزق عن ابن عباس والشعبى والربيع وهو المروى عن الباقر والصادق
عليهما السلام وهو مذهب الشافعى وقيل هى مثل نصف صداق
تلك المراة المنكوحة عن ابى حنيفة واصحابه ثم اختلف فى ذلك
فقيل انما تجب المتعة للتى لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن
المسيب وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وهو مذهب
ابى حنيفة واصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة الا المختلعة والمبارية
والملاعنة عن الزهرى وسعيد بن جبير وابى العالية وقيل المتعة
لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها اذا طلقت قبل الدخول فان
لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطا وهو مذهب
الشافعى وقد رواه اصحابنا ايض وذلك محمول على الاستحباب وقوله
متاعا اى ومتعوهن متاعا بالمعروف اى وسطا ليس فيه اسراف
ولا تقتير وقيل متاعا معتبرا بحال الرجل فى اليسار والاقتار
وقيل معتبرا بحالهما جميعا اذ لا يسوى بين حرة شريفة وبين امة

حصنوا

معتقة لكون ذلك خارجًا من المتعارف عن القاضي وقال اهل المدينة
يؤمر الزوج به من غير ان يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه قال اهل
العراق حقا على المحسنين اى واجبا على الذين يحسنون الطاعة ويجتنبون
المعصية وانما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لا انه لا يجب على غيرهم
ودل ذلك على وجوب الاحسان على جميعهم فان على كل انسان
ان يكون محسنا فهو كقوله هدى للمتقين وقيل معناه من اراد
ان يحسن فهذا حقه وحكمه وطريقه عن ابى مسلم هذا كله فى المطلقة
فاما المتوفى عنها زوجها اذا لم تعرض لها صداق فلها الميراث وعليها
العدة اجماعا قال اكثر الفقهاء لها صداق مثلها وحكى ابو على الجبائى
عن بعض الفقهاء انه قال لا مهر لها وهو الذى يليق بمذهبنا لانه
لا نص لاصحابنا فى ذلك وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان
تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما
تعملون بصير اية روى فى الشواذ عن الحسن او يعفوا
الذى بيده بسكون الواو وعن على عليه السلم ولا تناسوا الفضل
قال ابن جنى سكون الواو من المضارع فى موضع النصب
قليل وسكون الياء فيه كثير واصل السكون فى هذا انما هو للالف
نحو ان يسعى ثم شبهت الياء بالالف لقربها منها نحو قوله كان
ايديهن بالموسات ايدى جوارين ناعمات وقوله كان ايديهن
بالقاع القرق ثم شبهت الواو فى ذلك بالياء قال الاخطل اذا شئت

ان

ان تلهو ببعض حديثها رفعن وانزلن القطين المولدا وقال ابى الله ان
اسمو بام ولا اب واما قوله تناسوا فانما هو نهى عن فعلهم الذى اختاروه
ونظاهروا به كما يقال تغافل وتصام وتحسن هذه القراءة انك انما
تنهى الانسان عن فعله والنسيان ظاهره ان يكون من فعل غيره
به كانه انسى فنسى قال الله سبحانه وما انسانيه الا الشيطان
فنصف ما فرضتم رفع تقديره فعليكم نصف ما فرضتم وقوله يعفون
فى موضع نصب بان الا ان فعل المضارع اذا اتصل به نون الضمير
جمع المؤنث بنى ويستوى فى الرفع والنصب والجزم وان يعفون
موصول وصلة فى محل النصب على الاستثناء او يعفو تقديره او
ان يعفو وهو فى محل النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها
وان يعفو فى موضع الرفع بالابتداء واقرب خبره وتقديره والعفو
اقرب للتقوى اللام يتعلق باقرب وهو بمعنى من او الى والالف و
اللام فى النكاح بدل من الاضافة اذ المعنى او يعفو الذى بيده
عقدة النكاح ومثله قوله فان الجنة هى الماوى ومعناه هى ماويه
ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال
وان طلقتموهن يعنى ان طلقتم ايها الرجال النساء من قبل ان
تمسوهن اى تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضة اى اوجبتم لهن
صداقا وقدرتم مهرا فنصف ما فرضتم اى فعليكم نصف ما قدرتم
وهو المهر المسمى الا ان يعفون يعنى الحراير البالغات غير المولى عليهن
لفساد عقولهن اى يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق
فلا يطلبن الازواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وساير اهل

العلم

او يعفوا اى يترك ويهب الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي
عن مجاهد وعلقمه والحسن وهو المروى عن ابي جعفر وابي عبد الله عم
وهو مذهب الشافعي غير ان عندنا الولي هو الاب او الجد مع وجود
الاب الادنى على البكر غير البالغ فاما من عداهما فلا ولاية له
الا بتوليتها اياه وقيل هو الزوج ورووه عن علي وسعيد ابن المسيب
وشريح وابرهيم وقتاده والضحاك وهو مذهب ابي حنيفه ورواه
ايضا اصحابنا غير ان الاول اظهر وهو المذهب ومن جعل العفو
للزوج قال له ان يعفو عن جميع النصف ومن جعله للولي من اصحابنا
قال له ان يعفو عن بعضه وليس له ان يعفو عن جميعه فان امتنعت
المراة عن ذلك لم يكن لها ذلك اذا اقتضته المصلحة عن ابي عبد الله
عليه السلم وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للزوج والمراة جميعا
عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبي قال وانما جمع لانه خطاب
لكل زوج وقول ابن عباس اقوى لعمومه وانما كان العفو اقرب
للتقوى من وجهين احدهما ان معناه اقرب الى ان يتقي احدهما
ظلم صاحبه لان من ترك لغيره حق نفسه كان اقرب الى ان لا
يظلم غيره بطلب ما ليس له والثاني ان معناه اقرب الى اتقاء
معصية الله تعالى لان من ترك حق نفسه كان اقرب الى ان لا
يعصي الله تعالى بطلب ما ليس له والثاني ان معناه اقرب
الى اتقاء معصية الله تعالى لان من ترك حق نفسه اى ولا تنسوا
الفضل بينكم اى لا تتركوا الاخذ بالفضل والاحسان بينكم والافضال
فتاخذوا بمر الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال بين الله سبحانه

في هذه

في هذه الاية الحكم الذي لا يتعذر احد في تركه وهو انه ليس للزوج ان
ينقصها من نصف المهر ولا للمراة ان تطالبه بالزيادة ثم بين
طريق الفضل من الجانبين وندب اليه وحث عليه ان الله بما تعملون
اى باعمالكم بصير اى عليم وروى عن سعيد بن المسيب ان هذه الاية
ناسخة لحكم المتعة في الاية الاولى وقال ابو القاسم البلخي وهذا ليس
بصحيح لان الاية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهر اذا طلقها
وهذه تضمنت حكم التي فرض لها المهر ولم يدخل بها اذا طلقها واحد
الحكمين غير الاخر واقول اذا بينا في الاية الاولى انها تناولت
المطلقات غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر او لم يفرض وقلنا
ان متعوهن لا يحمل على العموم اذ لا متعة لمن فرض لهن المهر وان لم يدخل
بها فلا بد من تخصيص فيه وتقدير حذف اى ومتعوهن طلقتم
منهن ولم تفرضوا لهن فريضة وانما جاز هذا الحذف لدلالة ذكر
من فرض لهن المهر وحكمها في الاية الاخرى عليه وهذا ما سنح لي ههنا
ولم ار احدا من المفسرين تعرض لذكره وبالله التوفيق

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين

اللغة الحفظة ضبط الشي في النفس ثم شبه به ضبطه بالمنع
من الذهاب والحفظ خلاف النسيان واحفظه اغضبه لانه حفظ
عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة الوسطى تانيث
الاوسط وهو الشي بين الشيئين على جهة الاعتدال واصل القنوت
الدوام على امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل اصله الدعاء في
حال القيام قال علي بن عيسى والاول احسن لحسن تصرفه في الباب

وكذلك المداوم فى صلوته على السكوت
لان الدوام على الطاعة قانت وكذلك المداوم على الدوام الدعاء ويقال فلان
الا عن الذكر للمشروع وكذلك المداوم على الدوام الدعاء ويقال فلان
يقنت عليه اى يدعوا عليه دايما عن زيد بن ثابت ان النبى صلى
الله عليه واله كان يصلى بالهاجر وكانت اثقل الصلوات على اصحابه
فلا يكون وراه الا الصف او الصفان فقال ص لقد هممت ان احرق
على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية لما حث الله
سبحانه على الطاعة خص الصلوة بالمحافظة عليها لانها اعظم الطاعات
فقال حافظوا على الصلوات اى داوموا على الصلوات المكتوبات فى
مواقيتها بتمام اركانها ثم خص الوسطى تفخيما لشانها فقال والصلوة
الوسطى كقوله من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال
اى والصلوة الوسطى خاصة فداوموا عليها ثم اختلفوا فى الصلوة
الوسطى على اقوال احدها انها صلوة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وابى
سعيد الخدرى واسامه وعايشه وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله
عليهما السلم وهو قول ابى حنيفه واصحابه وذكر بعض ائمة الزيدية
انها الجمعة يوم الجمعة والظهر ساير الايام ورواه عن على عليه السلم
ويدل عليه سبب نزول هذه الاية وهو انها وسط النهار واول
صلوة فرضت وروى عن على عليه السلم قال قال النبى صلى الله عليه واله
ان الله فى السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فاذا زالت الشمس
سبح كل شى له فامر الله تعالى بالصلوة فى تلك الساعة وهى الساعة
التى تفتح فيها ابواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب
فيها الدعا وثانيها انها صلوة العصر عن ابن عباس والحسن وروى
ذلك

ذلك عن على عليه السلم وابن مسعود وقتاده والضحاك وروى ذلك
عن ابى حنيفه وروى مرفوعا الى النبى ص قالوا لانها بين صلوتى النهار
وصلوتى الليل وانما خصت بالذكر لانها تقع فى وقت اشتغال الناس
فى غالب الامور وروى عن النبى ص بكروا بالصلوة فى يوم الغيم فانه
من فاتته صلوة العصر حبط عمله وثالثها انها المغرب عن قبيصة بن
ذويب قال لانها وسط فى الطول والقصر من بين الصلوات وروى
الثعلبى باسناده عن عايشه قالت قال رسول الله ص ان افضل الصلوة
عند الله صلوة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلوة
الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين
بنى الله قصرا فى الجنة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله ذنب عشرين
او اربعين سنة ورابعها انها صلوة العشاء الاخرة عن بعضهم قال
لانها بين الصلوتين لا تقصران وروى عن النبى ص قال من صلى العشا
فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة
وخامسها انها صلوة الفجر عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله و
عطا وعكرمه ومجاهد وقول الشافعى قالوا لانها بين صلوتى الليل و
صلوتى النهار وبين الظلام والضياء ولانها صلوة لا تجمع مع غيرها
فهى منفردة بين مجتمعتين ويدل عليه من التنزيل قوله وقران الفجر
كان مشهودا يعنى يشهده ملئكة الليل وملئكة النهار وهو مكتوب
فى ديوان الليل وديوان النهار قالوا ويدل عليه اخر الاية وقوموا لله
قانتين يعنى وقوموا فيها لله قانتين قال ابو رجا صلى بنا ابن عباس
فى مسجد البصرة صلوة الغداة فقنت فيها قبل الركوع ورفع يديه

فلما فرغ قال هذه الصلوة الوسطى التى امرنا ان نقوم فيها قانتين
اورده الثعلبى فى تفسيره وروى باسناده مرفوعا الى انس بن مالك
قال ما زال رسول الله صلى الله عليه واله يقنت فى صلوة الغداة حتى
فارق الدنيا وسادسها انها احدى الصلوة الخمس لم يعينها الله تعالى
سبحانه واخفاها فى جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما
اخفى ليلة القدر فى ليالى الشهر رمضان واسمه الاعظم فى جميع الاسماء
وساعة الاجابة فى ساعات الجمعة عن الربيع بن خثيم وابى بكر الوراق
وقوموا لله قانتين قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعاء
فى الصلوة فى حال القيام وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام
وقيل معناه طايعين عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك
وطاوس واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين
عن مجاهد قال نهوا عن العبث والالتفات فى الصلوة وقيل ساكتين
عن ابن مسعود وزيد بن ارقم والاصل فيه الاتيان بالدعاء او غيره من
العبادات فى حال القيام ويجوز ان يطلق فى ساير الطاعات فانه وان
لم يكن فيه القيام الحقيقى فان فيه القيام بالعبادة فان
خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم
تكونوا تعلمون اية الرجال جمع راجل مثل تجار وصحاب و
قيام فى جمع تاجر وصاحب وقايم والراجل هو الكاين على رجله واقفا
كان او ماشيا والركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس وكل شى
علا شيا فقد ركبه والركاب جمع المطى وركبت الرجل اركبه ركبا
اى ضربته بركبتى واصبت ركبته ايضا وهذا قياس فى جميع الاعضاء

نحو

نحو راسته وبطنته وظهرته رجالا منصوب على الحال تقديره
فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا وما مصدرية فيما علمكم
وقوله ما لم تكونوا تعلمون موصول وصلة فى موضع المفعول الثانى لعلم
لما قدم سبحانه وجوب المحافظة على الصلوة عقبه بذكر الرخصة
عند المخافة فقال فان خفتم اى ان لم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين
الصلوة حقها لخوف عرض لكم فرجالا اى فصلوا رجالا على ارجلكم و
قيل مشاة او ركبانا اى على ظهور دوابكم عنى به صلوة الخوف وصلوة
الخوف من العدو ركعتان فى السفر والحضر الا المغرب فانها ثلث ركعات
ويروى ان عليا عليه السلم صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالايماء و
قيل بالتكبير وان النبى صلى الله عليه واله صلى يوم الاحزاب ايماء فاذا
امنتم من الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن وقيل اذكروا
الله بالثناء عليه والحمد له كما علمكم من امور دينكم وغير ذلك من اموركم
ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان
خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف
والله عزيز حكيم اية قرا اهل المدينة وابن كثير والكسائى
وابو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب قال
ابو على حجة من قرا وصية بالرفع انه يجوز ان يرتفع من وجهين احدهما
ان يكون مبتدا والظرف خبره وحسن الابتداء بالنكرة لانه موضع
تخصيص كما حسن ان يرتفع سلام عليك وخير بين يديك و
نحو قوله للملتمس المعروف اهل ومرحب لانها فى موضع دعاء فجاز

فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمعنى المنصوب والآخران تضمر له
خبر فيكون لازواجهم صفة وتقديره الخبر المضمر فعليهم وصية لازواجهم
ومن نصب وصية حمله على الفعل اى ليوصوا وصية ويكون قوله
لازواجهم وصفا كما كان فى قول من اضمر الخبر كذلك ومن جعلهما ان
الظرف اذا تاخر عن النكرة كان استعماله صفة اكثر واذا كان خبرا
تقدم على النكرة اذا لم يكن فى معنى المنصوب كقوله تعالى ولهم اعمال
من دون ذلك ولدينا مزيد فاذا تاخرت فالاكثر فيها ان تكون
صفات وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لانه لا يمكن الوصية بعد الوفاة
ولان فرض النفقة كان لهن اوصى ولم يوص قال على بن عيسى وهذا
غلط لان المعنى والذين يحضرهم الوفاة منكم فلذلك قال يتوفون على
لفظ الحاضر الذى يتطاول نحو قولك الذين يصلون فليعرضوا عن
الذكر فيما يشغلهم فاما قولهم ان الفرض كان لهن وان لم يوصوا فغير
صحيح لان الزوج اذا فرط فى الوصية فلا ينكر ان يوجبه الله على الورثة
وقال قتادة والسدى كان يجب على الزوج الوصية لها كما اوجب
الوصية للوالدين والاقربين وقوله متاعا نصب على وجهين
احدهما انه على تقدير متعوهن متاعا والثانى جعل الله لهن ذلك
متاعا لان ما قبله دل عليه وقوله غير اخراج منصوب على وجهين
احدهما ان يكون صفة لمتاع والثانى ان يكون مصدرا وضع موضع
الحال قال الفراء وهو كقولك جئتك غير رغبة اليك فكانه قال
متعوهن متاعا فى مساكنهن واقول ان تقديره غير مخرجات
اخراجا فيكون ذو الحال هن من متعوهن ويجوز ان يكون تقديره
غير

غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعوهن   والذين يتوفون
منكم اى الذين يقاربون منكم الوفاة لان المتوفى لا يؤمر ولا ينهى ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم اى فليوصوا وصية لهن ومن رفع فمعناه
وصية من الله لازواجهم او عليهم وصية لهن متاعا الى الحول يعنى ما
ينتفعن به حولا من النفقة والكسوة والسكنى وقيل هو مثل المتعة
فى المطلقات وكان واجبا فى المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال
الزوج غير اخراج اى لا يخرجن من بيوت الازواج فان خرجن بانفسهن
قبل الحول من غير ان يخرجهن الورثة وقيل ان المراد اذا خرجن بعد
مضى الحول وقد مضت العدة وان بمعنى اذا عن القاضى وغيره فلا
جناح عليكم يا معشر اولياء الميت فيما فعلن فى انفسهن من معروف
اختلفوا فى رفع الجناح قيل لا جناح فى قطع النفقة والسكنى عنهن
عن السدى والحسن فالاو هذا دليل على سقوط النفقة بالخروج وان
ذلك كان واجبا لهن بالاقامة الى الحول فان خرجن قبله بطل الحق
الذى وجب لهن بالاقامة وقيل لا جناح عليكم فى ترك منعهن من
الخروج لان مقامها سنة فى البيت غير واجب ولكن قد خيرها
الله تعالى فى ذلك عن الجبائى وقيل لا جناح عليكم ان تزوجن بعد
انقضاء العدة وهذا اوجب وتقديره اذا خرجن من العدة بانقضاء
السنة فلا حرج ان تزوجن وقوله من معروف يعنى طلب النكاح
والتزين والله عزيز قادر لا يعجزه شىء حكيم لا يصدر منه الا ما
يقتضيه الحكمة واتفق العلماء على ان هذه الاية منسوخة وقال
ابو عبد الله عليه السلام كان الرجل اذا مات انفق على امرأته من صلب المال

حولا ثم اخرجت بلا ميراث ثم نسخها اية الربع والثمن فالمراة ينفق
عليها من نصيبها وعنه عليه السلام قال نسخها يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا ونسختها اية المواريث وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته
لعلكم تعقلون اية الوجه في انتصاب قوله حقا
مثل ما بيناه فيما قبل في قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق
بيبين اى مثل هذا البيان يبين لكم قيل لما نزلت ومتعوهن
على الموسع قدره الى حقا على المحسنين قال بعضهم ان احببت فعلت و
ان لم ارد ذلك لم افعل فانزل الله سبحانه هذه الاية عن عبد الرحمن
بن زيد بن اسلم لما قدم سبحانه بيان احوال المعتدات عقبه
ببيان ما يجب لهن من المتعة فقال وللمطلقات متاع بالمعروف
واختلف فيه فقال سعيد بن جبير وابو العالية والزهري ان المراد
بهذا المتاع المتعة وان المتعة واجبة لكل مطلقة وقال ابو على
الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعا الى الحول
وقال سعيد بن المسيب الاية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم
وعندنا انها مخصوصة بتلك الاية ان نزلتا معا وان كانت
تلك متاخرة فمنسوخة لان عندنا لا يجب المتعة الا للمطلقة التي لم
يدخل بها ولم يفرض لها مهر فاما المدخول بها فلها مهر مثلها ان
لم يسم لها مهر وان سمي لها مهر فما سمي لها وغير المدخول بها المفروض
مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الاحوال وبه قال الحسن
فلا بد من تخصيص هذه الاية وذكرنا الكلام في المتعة عند قوله و

متعوهن

متعوهن وقوله بالمعروف حقا على المتقين مضى تفسيره وخص المتقين
بها كما خص المحسنين هناك كذلك يبين الله لكم اياته اى كما يبين
الله لكم الاحكام والاداب التي مضت مما يحتاجون اليه معه فيها في
دينكم يبين لكم هذه الاحكام فشبه البيان الذي ياتي بالبيان الماضي
والبيان هو الادلة التي يفرق بها بين الحق والباطل لعلكم تعقلون
معناه لكي تعقلوا ايات الله وقيل معناه لعلكم يكمل عقولكم فان
العقل الغريزي يستكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع
العلم به ومن لم يستعمل العقل فكانه لا عقل له وهذا كقوله انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة جعلهم جهالا لانهم اثروا هواهم
على ما علموا انه الحق الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اية الروية هنا بمعنى العلم ومعنى الم تر الم تعلم وهذه الالف
الف التوقيف وترى متروكة الهمزة واصله الم ترء من راى يراى مثل
ناى يناى الا انهم على اسقاط الهمزة هنا للتخفيف حذر
الموت نصب لانه مفعول له وجاز ان يكون نصبه على المصدر لان
خروجهم يدل على حذر والموت حذرا لما ذكر قوله يبين اياته
للناس عقبه بذكر اية من اياته فقال الم تر اى الم تعلم يا محمد او
ايها السامع والم ينته علمك الى خبر هولاء الذين خرجوا من ديارهم
قبلهم قوم من بني اسرائيل فروا من طاعون وقع بارضهم عن الحسن
وقيل فروا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا

بقوله عقيب الاية وقاتلوا فى سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو
ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل
بعد موسى عليه السلم كان يوشع بن نون ثم كالوب بن يوحنا
ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز وذلك ان امه كانت عجوزا
فسالت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله سبحانه لها وقال
الحسن هو ذو الكفل وانما سمى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا
نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فانى ان قتلت كان خيرا من ان
يقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسالوا حزقيل عن الانبياء السبعين
فقال انهم ذهبوا ولا ادرى اين هم ومنع الله سبحانه ذا الكفل منهم
وهم الوف اجمع اهل التفسير على ان المراد بالوف هنا كثرة العدد
الا ابن زيد فانه قال معناه خرجوا مؤتلفى القلوب لم يخرجوا عن
تباغض فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود و
اختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا ثلثة الاف
عن عطاء الخراسانى وقيل ثمانية الاف عن مقاتل والكلبى و
قيل عشرة الاف عن ابى روق وقيل بضعة وثلثين الفا عن
السدى وقيل اربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل
سبعين الفا عن عطاء ابن ابى رباح وقيل كانوا عددا كثيرا
عن الضحاك والذى يقضى به الظاهر انهم كانوا اكثر من عشرة الاف
لان بناء فعول للكثير وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال
فيها الاف يقال عشرة الاف ولا يقال عشرة الوف حذر الموت
اى من خوف الموت فقال لهم الله موتوا قيل فى معناه قولان احدهما

ان

ان معناه اماتهم الله كما يقال قالت السماء فهطلت معناه فهطلت
السماء وقلت براسى كذا وقلت بيدى ومعناه اشرت براسى و بيدى
وذلك لما كان القول فى الاكثر استفتاحا للفعل كالقول الذى هو
تسمية وما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل صار معنى قالت
السماء فهطلت اى استفتحت بالهطلان كذلك معناه ههنا فاما
استفتح الله باماتتهم والثانى ان معناه اماتهم بقول سمعته الملئكة
لضرب من العبرة ثم احياهم قيل احياهم بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن
عباس وقيل انه شمعون نبى من ابناء بنى اسرائيل ان الله لذو فضل
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لما ذكر النعمة عليهم عما اراهم
من الاية العظيمة فى انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويجتنبوا طريق
الردى ذكر بعد ماله عليهم من الانعام والاحسان مع ما هم عليه
من الكفران وفى هذه الاية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة
معا لان احياء اولئك مثل احياء هؤلاء الذين احياهم الله للاعتبار
قيل ان اسم القرية التى خرجوا منها هربا من وباء بها داوردان
قبل واسط قال الكلبى والضحاك ومقاتل ان ملكا من ملوك بنى
اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا
وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا ان الارض التى ناتيها بها الوباء
فلا ناتيها حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله تعالى عليهم الموت
فلما راوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما
راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى
معصية عبادك فارهم اية فى انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون

الفرار منك فاماتهم الله جميعا ومات دوابهم واتى عليهم ثمانية ايام
حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم
فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا واتى على ذلك مدة
حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم
حزقيل وجعل فيهم يتفكر متعجبا منهم فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل
تريد ان اريك اية واريك كيف احيي الموتى قال نعم فاحياهم الله
تعالى وقيل انهم كانوا قوم حزقيل فاحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك
انه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال
يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك فبقيت
وحيدا لا قوم لي فاوحى الله عز وجل اليه قد جعلت حياتهم اليك
فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وسئل عمران بن اعين
ابا جعفر الباقر عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم
فقال احياهم حتى نظر الناس اليهم ثم اماتهم ام ردهم الى الدنيا حتى
سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور
واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا
باجالهم ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ﴾ اية — اختلف في المخاطب بقوله وقاتلوا في سبيل الله
فقيل توجه الخطاب الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت
فلم ينفعه الفرار يحضهم على الجهاد لئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد
سبيل اولئك الذين فروا من الديار وقيل انه خطاب للذين
جرى ذكرهم على تقدير وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله

سميع

سميع اى سميع لما يقوله المنافق عليم بما يجنه حذرا حاله
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ اية
فيه اربع قراءات قرا ابو عمرو ونافع وحمزة والكسائي فيضاعفه بالالف
والرفع وقرا عاصم بالالف والنصب وقرا ابن كثير وابو جعفر فيضعفه
بالتشديد والرفع وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرا
ابو عمرو وحمزة يبسط وبسطة وفي الاعراف ايضا بالسين وروى عنهم
ايضا بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون يختلف عنهم
قال ابو علي الرفع في قوله فيضاعفه وجهان احدهما ان يعطفه على ما
في الصلة والاخر ان يستانفه فاما النصب في فيضاعفه فالرفع احسن
منه الا ترى ان الاستفهام انما هو عن فاعل الاقراض لا عن الاقراض
واذا كان كذلك لم يكن مثل قولك اتقرضني فاشكرك لان الاستفهام
ههنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فاء
فيضاعفه انه حمل الكلام على المعنى وذلك انه لما كان المعنى ايكون
قرض حمل قوله فيضاعفه على ذلك كما ان من قرا من يضلل الله فلا
هادي له ويذرهم جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له
لا يهده ونحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فاما
القول في يضاعف ويضعف فكل واحد منهما في معنى الاخر وقوله
اضعافا منصوب على الحال وتقديره فيكثره فاذا هي اضعاف
فيكون حالا بعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل من السين
الصاد في هذه المواضع التي ذكرت ان الطاء حرف مستعل يتصعد

من مخرجها الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن
التسفل فابدل من السين حرفاً من مخرجها فى تصعد الطاء فتلازم الحرفان
وصار كل واحد منهما وفق صاحبه فى التصعد فزال بالابدال ما كان
يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرنا
وهو ان يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى
انهم قالوا طسم الطريق وقسوت وقست قلوبكم فلم يكرهوا التسفل
عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بصط فابدلوا واما من لم يبدل
السين فى بسطة وترك السين فلانه الاصل ولان ما بين الحرفين من
الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته   القرض هو قطع جزء من
المال بالاعطاء على ان يرد بعينه او يرد مثله بدلا منه واصل القرض القطع
بالناب يقال قرض الشئ يقرضه اذا قطعه بنابه واقرض فلان فلانا
اذا اعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة
والاضعاف بمعنى وهو الزيادة على اصل الشئ حتى يصير مثلين او
اكثر وتقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع
اصحابك على الضعف منهم وضعف الشئ مثله فى المقدار اذا زيد
عليه فكل واحد منهما ضعف وضعف الشئ ضعفا وضعفا والضعف
خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا
والقبض ضم الكف على الشئ والتقبض التشنج وتقبض عنه اذا اشمأز
عنه لانه ضم نفسه عن الانبساط اليه وقبض الانسان اذا مات
والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط بكسر الباء
ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وكتب يبسط
بالسين

بالسين وبصط بالصاد لان القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك
لما حث الله سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال
عقبه بالتلطف فى الاستدعاء الى اعمال البر والانفاق فى سبيل
الخير فقال من ذا الذى يقرض الله اى ينفق فى سبيله وطاعته والمراد
به الامر وليس هذا بقرض حاجة على ما ظنته اليهود فقالوا انما يستقرض
منا ربنا عن عوز فاذا هو فقير ونحن اغنياء فانزل الله سبحانه لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء بل سمى سبحانه الانفاق
قرضا تلطفا للدعاء الى فعله وتاكيدا للجزاء عليه فان القرض يوجب
الجزاء قرضا حسنا والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده
بمن ولا اذى وقيل هو ان يكون محتسبا طيبة به نفسه عن الواقدى
وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الانفاق فلا يكون خسيسا
والاولى ان يكون جامعا لهذه الوجوه كلها فلا ينافى ههنا فيضاعفه
اضعافا كثيرة اى فيزيده له اى يعطيه ما لا يعلمه الله وهو مثل
قوله ويوت من لدنه اجرا عظيما عن الحسن والسدى وروى عن
الصادق عليه السلام انه قال لما نزلت هذه الاية من جاء بالحسنة
فله خير منها قال رسول الله صلى الله عليه واله رب زدنى فانزل الله
سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله صلى الله
عليه واله رب فانزل الله سبحانه من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والكثير عند الله تعالى وتقدس
لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق من اقوام
بان تقتره عليهم ويبسط على قوم بان يوسعه عليهم عن الحسن وابن
زيد

وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلاً او آجلاً
او كلاهما عن الاصم والزجاج وقيل يقبض الرزق بموت واحد ويبسط
لوارثه واليه ترجعون فهذا تاكيد للجزاء قال الكلبي في سبب نزول
هذه الاية ان النبي صلى الله عليه واله قال من تصدق بصدقة
فله مثلاها في الجنة فقال ابو الدحداح الانصارى واسمه عمرو بن
دحداح يا رسول الله ان لي حديقتين ان تصدقت باحديهما
فان لي مثليها في الجنة قال نعم قال وام الدحداح معي قال نعم قال
والصبية معي قال نعم قال فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها
الى رسول الله ص فنزلت الاية فيضاعف الله صدقته الفي الف
ذلك قوله اضعافا كثيرة قال فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح
والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة
وتحرج ان يدخلها فنادى يا ام الدحداح قالت لبيك يا ابا
الدحداح قال اني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت
مثليها في الجنة وام الدحداح معي والصبية معي قالت بارك
الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها وسلموا الحديقة
الى النبي ص فقال النبي ص كم نخلة متدل عذوقها لابي الدحداح
في الجنة ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى
اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا

منهم

منهم والله عليم بالظالمين قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين
والباقون بفتحها المشهور في عسيتم فتح السين ووجه قراءة
نافع انهم قالوا هو عس بذلك وما اعساه واعس به حكاه ابن الاعرابي
وهذا يقوى قراءة نافع لان عس مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل
مثل نقم ونقم وورت بك ووريت فكذلك عسيت وعسيت
فسائغ فان اسند الفعل الى ظ فقياس عسيتم ان تقول عسى زيد مثل
رضى فان قال فهو قياس قوله وان لم يقله فسائغ له ان ياخذها
باللغتين معا فيستعمل احديها في موضع والاخرى في موضع اخر كما فعل
ذلك غيره الملأ الجماعة الاشراف من الناس وروى ان رجلا
من الانصار قال يوم بدر ان قتلنا الا عجائز صلعا فقال النبي ص اولئك
الملأ من قريش لو رايتهم في انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم و
لاحتقرت فعالك عند فعالهم وملأت الاناء اترعته لانه يجتمع فيه
ما لا يكون مزيد عليها وملأت الرجل عاونته وتمالوا على اذ تعاونوا
وملؤ الرجل ملاءة فهو ملي بالامر اذا امكنه القيام به والملأ الخلق
لان جميع افعال صاحبه يجرى عليه يقال احسنوا املاءكم اي اخلاقكم
قال تنادوا يا لبهثة فقلنا احسني ملأ جهينا واصل الباب الاجتماع
فيما لا يحتمل المزيد وانما سمي الاشراف ملأ لانه لا مزية على شرفهم
وقيل لان هيبتهم تملأ الصدور والملأ مقصور المتسع من الارض
قال الشاعر الاعنابي وادفعا الصوت بالملأ فان الملأ عندي يزيد
المدى بعدا من بني اسرائيل الجار والمجرور في محل النصب
على الحال والعامل فيه تروذوا الحال الملأ ومن بعد موسى في موضع

الجامع ايضا وهو حال بعد حال وحال من الضمير فى الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على جواب للملة التى هى لفظ الامر اى ان يبعث لنا ملك نقاتل ولو كان بالياء لجاز الرفع على ان يكون صفة للملك قال الزجاج و الرفع فى نقاتل بعيد يجوز على معنى فانا نقاتل فى سبيل الله وكثير من النحويين لا يجيز الرفع فيه وقوله ان لا تقاتلوا فى موضع نصب لانه خبر عسى وقوله وما لنا ان لا نقاتل قال ابو الحسن الاخفش فيه وفى قوله وما لكم ان لا تاكلوا ان ان زايدة كانه قال ما لنا لا نقاتل وما لكم لا تاكلون كقوله ما لكم لا تنطقون وما لك لا تامنا وقع الفعل المنفى موقع الحال كما وقع الموجبة موقعه فى قولك ما لك بفعل وقد قال ايض فى نحو قولك ان المعنى وما لنا فى ان لا نقاتل وما لكم فى ان لا تاكلوا فكانه حمل الاية على وجهين قال ابو على والقول الثانى اوضح ويكون ان مع حرف الجر فى موضع نصب بالحال كقوله سبحانه فما لهم عن التذكرة معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار فسد ان وصلتها ذلك المسد والحال فى الاصل هو الجالب للحرف المقدار الا انه ترك الظهاره لدلالة المنصوب عنه عليه ومثله فى وقوع الظرف موقع الحال قول ابى ذويب   يعثرن فى حد الظبات كانما كسيت برود بنى تزيد الاذرع وهذا كما يقال خرجت فى الثياب اى خرجت لابسا ووجه ثالث ذكره المبرد وهو ان يكون ما جحدا وتقديره ما لنا نترك القتال وعلى الوجهين الاولين يكون ما استفهاما وقد اخرجنا جملة فى موضع الحال وتقديره وما لنا ان لا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير فى لا نقاتل وقليلا منصوب على الاستثناء من

الموجب

الموجب   لما قدم سبحانه ذكر الجهاد عقبه بقصة مشهورة فى بنى اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم فى قعودهم عنه تحذيرا من سلوك طريقتهم فيه فقال الم تر اى الم ينته علمك يا محمد الى الملا اى جماعة الاشراف من بنى اسرائيل من بعد موسى ع اى من بعد وفاته اذ قالوا لنبى لهم اختلف فى ذلك النبى وقيل اسمه شمعون سمته امه بذلك لان امه دعت الى الله سبحانه ان يرزقها غلاما فسمع الله دعاها فيه وهو شمعون بن صفية من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى وقيل هو يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف بن يعقوب عن قتاده وقيل هو اشمويل وهو بالعربية اسمعيل عن اكثر المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اختلف فى سبب سوالهم ذلك فقيل سبب سوالهم ذلك استذلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بنى اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيرا من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت فى بنى اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله تعالى ولم يكن لهم نبى يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل نبيا فقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اية من نبوتك عن الربيع و الكلبى وقيل ارادوا قتال العمالقة فسالوا ملكا يكون اميرا عليهم ينتظم به كلمتهم ويجتمع امرهم ويستقيم حالهم فى جهاد عدوهم عن السدى وقيل بعث الله اشمويل ابعث لنا ملكا عن وهب وقال ابو عبد الله عليه السلام كان الملك فى ذلك الزمان هو الذى يسير والنبى يقيم له امره وينبئه بالخبر من عند الله فاجابهم

نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل

بنيهم فقال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال اى لعلكم ان فرض عليكم
المحاربة مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا ان لا يفوا بما يقولون ويجبنوا
فلا تقاتلوا وانما سالهم من ذلك لتعرف ما عندهم من الحرص على القتال
وهذا كاخذ العهد عليهم ومعنى عسيتم قاربتم فاذا قلت عسيت ان
افعل كذا فمعناه قاربت فعله قالوا يعنى قال الملأ وما لنا الا نقاتل
فى سبيل الله معناه واى شىء لنا فى ترك القتال وقيل معناه ليس
لنا ترك القتال وقد اخرجنا لفظ عام ومعناه خاص اى قد اخرج
بعضنا من ديارنا وابنائنا اى من اوطاننا واهالينا بالسبى والقهر و
على نواحينا والمعنى انهم اجابوا نبيهم بان قالوا انما كنا لا نرغب فى
القتال اذ كنا اعزا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ الامر هذا المبلغ
فلا بد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال فيه حذف تقديره فسال
النبى الله سبحانه ان يبعث لهم ملكا يجاهدون معه اعداءهم فسمع الله
دعوته واجاب مسئلته فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال اى
فرض فلما كتب عليهم القتال تولوا اى اعرضوا عن القيام به وضيعوا
امر الله الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر على نبيه من بعد
والله عليم بالظالمين هذا تهديد لمن تولى عن القتال لانهم ظلموا
انفسهم بمعصية الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم
والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم

اصطفاه

٣٦٤

اصطفاه اختاره بمعناه واصله اصتفاه بمعناه واصله اصتفا
الا ان التاء ابدلت طاء لان التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما
ان الصاد مطبقة فابدلوها منها ليسهل النطق بها بعد الصاد
والبسطة الفضيلة فى الجسم او المال والجسم حده الطويل العريض العميق
بدلالة قولهم جسم جسامة اى ضخم وهذا جسيم اى ضخم وهذا اجسم
من هذا اذا زاد عليه فى الطول والعرض والعمق وقيل الجسم هو المؤلف
وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الاول طالوت وداود وجالوت
لا ينصرف لانها اسماء اعجمية وفيها سببان التعريف والعجمة واما
جاموس فلو سميت به رجلا لانصرف وان كان اعجميا لانه قد تمكن
فى العربية لانك تدخل عليه الالف واللام فتقول الجاموس ملكا
نصب على الحال والعامل فيه بعث وذو الحال طالوت وانى فى
موضع نصب لانه خبر يكون والملك اسمه وله فى موضع الحال و
ذو الحال الملك وتقديره انى يكون له الملك مستقرا علينا ويجوز
ان يكون كان هنا تامة فيتعلق اللام بيكون وانى فى موضع نصب
على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن احق فى محل النصب
على الحال ايض تقديره انى يكون له ان يملك علينا ونحن احق منه
بالملك ولم يؤت سعة فى محل الحال ايض عطفا على نحن احق والعامل
فيه الملك وذو الحال الضمير فى ان يملك وتقديره ان يملك علينا
غير موتى سعة مالية وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا اى جعله ملكا وكان طالوت ولد ابن يامين بن يعقوب
ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمى طالوت لطوله

ويقال كان سقاء وقيل كان خربندجا وقيل كان دباغا وكانت النبوة في
سبط لاوى ابن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهودا ابن يعقوب وقيل
في سبط يوسف وقوله ملكا يعني اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه
نبيا بعد ان جعله ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اى من اين له
الملك وهذا اول اعتراضهم اذ انكروا ملكه ونحن احق اى اولى بالملك
منه لانا من سبط النبوة والمملكة واوتينا المال ولم يؤت سعة من المال
اى لم يعط ما يتملك به الناس وهو المال اذ لا بد للملك من مال يحصل
به المماليك وقيل معناه لم يؤت سعة من المال فيتشرف به ويجبر نقصا
لو كان فيه حتى يساوى اهل الانساب فاعلمهم الله تعالى انه اعرف
بوجوه الحكمة منهم وان المقصود في الملك والرياسة هو العلم والشجاعة
واخبرهم بذلك على لسان نبيهم قال ان الله اصطفاه اى واختاره عليكم
عن ابن عباس وزاده بسطة اى فضيلة وسعة في العلم والجسم وكان
اعلم بني اسرائيل في وقته واجملهم واتمهم واعظمهم جسما واقواهم
شجاعة وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعا لها نال راسه قال
وهب كان ذلك فيه قبل الملك وزاد ذلك بعد الملك والله يؤتي
ملكه من يشاء اى لا تنكروا ملكه وان لم يكن من اهل بيت الملك فان
الله سبحانه مالك الملك تؤتي الملك من تشاء والله واسع قيل في
معناه ثلثة اقوال احدها انه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير
اى كبير القدر والثاني ان الواسع بمعنى الموسع اى يوسع على من يشاء
من نعمه كما جاء اليم بمعنى المولم وسميع بمعنى المسمع والثالث ان
معناه ذو سعة كقوله عيشة راضية اى ذات رضاء ورجل تامر

اى ذو

اى ذو تمر ولابن اى ذو لبن وقوله عليم اى عليم بمن ينبغي ان يؤتيه الفضل
والمملكة اما للاستصلاح واما للامتحان وفي هذه دلالة على ان الملك
قد يضاف اليه سبحانه وذلك بان ينصب الملك للتدبير ويعطيه
آلات الملك ويامر الخلق الانقياد له فعند ذلك يجوز ان يقال
بعثه الله ملكا وان لم يكن في البعثة كالانبياء ع ويقال في ملكه ايضا
انه من جهة الله سبحانه لان تصرفه صادر عن اذنه وفيها دلالة ايضا على
ان الملك ليس بواجب ان يكون وراثة وانما هو بحسب ما يعلمه الله
من المصلحة وفيها دلالة على ان من شرط الامام ان يكون اعلم من رعيته
واكمل وافضل في خصال الفضل والشجاعة لان الله سبحانه علل تقديم
طالوت عليهم بكونه اعلم واقوى فلولا ان ذلك شرط لم يكن له معنى
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ
سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ آية
التابوت بالتاء لغة جمهور العرب والتابوه بالهاء لغة الانصار و
السكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية والعزيمة واحد
من السكون   موضع ان يأتيكم رفع المعنى ان آية ملكه اتيان
التابوت اياكم فيه سكينة من ربكم مبتدا وخبر في موضع النصب على
الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة لبقية
وقال لهم نبيهم ان آية ملكه اى علامة تمليك الله اياه وحجة
صحة ملكه ان يأتيكم التابوت وفي هذا دليل على انهم قالوا لرسولهم
ان كان ملكه بامر من الله ومن عنده فاتنا بعلامة تدل على ذلك

فاجابهم بهذا وروى علي بن ابرهيم في تفسيره عن ابي جعفر عليه السلم
ان التابوت كان الذي انزل الله على ام موسى ع فوضعت فيه ابنها
والقته في البحر وكان في بني اسرائيل يتبركون به فلما حضر موسى ع
الوفاة وضع فيه الالواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة و
اودعه اياه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم و
بنو اسرائيل به في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان
الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه
الله عنهم فلما سالوا نبيهم ان يبعث اليهم ملكا بعث الله لهم طالوت
ورد عليهم التابوت وقيل كان في ايدي اعداء بني اسرائيل من العمالقة
غلبوهم عليهم لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الاحداث ثم
انتزعه الله من ايديهم ورده على بني اسرائيل تحمله الملئكة عن ابن
عباس ووهب وروى ذلك عن ابي عبد الله وقيل كان التابوت
الذي انزله الله على آدم فيه صور الانبياء فتوارثه اولاد آدم وكان في
بني اسرائيل يستفتحون به على عدوهم وقال قتادة كان في برية التيه
خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملئكة الى بني اسرائيل وقيل
كان قدر التابوت ثلثة اذرع في ذراعين عليه صفائح الذهب و
كان من شمشاد وكان يقدمونه في الحروب ويجعلونه امام
جندهم فاذا سمع من جوفه انين رقت التابوت اي سار فكان
الناس يسيرون خلفه فاذا سكن الانين وقف فوقف الناس
بوقوفه فيه سكينة من ربكم قيل في التابوت نفسه وقيل
فيما في التابوت واختلف في السكينة فقيل ان السكينة التي
كان

كانت فيه ريح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الانسان عن علي عليه السلم
وقيل كان لها جناحان وراس كراس الهرة من الزبرجد والزمرد عن
مجاهد وروى ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه آية يسكنون اليها عن
عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب (الاختلاف بدل)
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل انها عصا موسى ورضاض
الالواح ابن عباس وعن قتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر ع
وقيل هي التورية وشي من ثياب موسى عن الحسن وقيل وكان فيه
ايضا لوحان من التورية وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا
موسى وعمامة هرون وعصاه هذه اقوال اهل التفسير في السكينة
والبقية والظاهر ان السكينة امنة وطمانينة جعلها الله سبحانه
فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جايز ان يكون بقية من العلم
او شيا من علامات الانبياء وجايز ان يتضمنها جميعا على ما قاله
الزجاج وقيل اراد بآل موسى وآل هرون موسى وهرون على نبينا
وعليه السلام يعني مما ترك موسى وهرون تقول العرب آل فلان
يريدون نفسه انشد ابو عبيدة فلا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس
وآل ابي بكر يريد ابا بكر نفسه وقال جميل بثينة من آل النساء وانما
يكن لادنى لا وصال لغايب اي من النساء وتحمله الملئكة قيل حملته
الملئكة بين السماء والارض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن
عباس والحسن وقيل لما غلب الاعداء على التابوت ادخلوه بيت
الاصنام فاصبحت اصنامهم منكبة فاخرجوه ووضعوه ناحية
من المدينة فاخذهم وجع في اعناقهم وكل موضع وضعوه فيه ظهر فيه

بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمعوا رايهم على
ان ياتوا به ويحملوه على عجله ويشدوها الى ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا
الثورين فجاءت الملئكة وساقوا الثورين الى بنى اسرائيل فعلى هذا
يكون معنى تحمله الملئكة تسوقه كما تقول حملت متاعى الى مكة ومعناه
كنت سببا لحمله الى مكة ان فى ذلك لاية لكم اى فى رجوع التابوت
اليكم علامة ان الله سبحانه ملك طالوت عليكم ان كنتم مومنين
مصدقين ولا يجوز ان يكون على تثبيت الايمان لهم لانهم كفروا
حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مومنين كما تزعمون فلما
فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ
مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
آمَنُوا قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ آية
قرا ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة غرفة بالفتح والباقون بالضم
قال ابو على من فتح الغين عدى الفعل الى المصدر والمفعول فى
قوله محذوف والمعنى الا من اغترف ماء غرفة ومن ضم الغين عدى
الفعل الى المفعول به ولم يعده الى المصدر لان الغرفة العين المغترفه
فهو بمنزلة الا من اغترف ماء والبغداديون يجعلون هذه الاسماء
المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويعملونها كما يعملون المصادر
فيقولون عجبت من دهنك لحيتك وقد جاء عن العرب ما يدل

عليه

عليه وهو قول الشاعر وبعد عطائك المائة الرتاعا واشياء غيرها
فعلى هذا يجوز ان ينصب الغرفة نصب الغرفة وقد قال سيبويه فى
نحو الحلبة والركبة انه قد يستغنى بها عن المصادر وقال يقع موقعها
وهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله فشربوا
منه والمشروب منه الغرفة لكان قولا الفصل القطع وفصل
بالجنود اى سار بهم وقطعهم عن موضعهم وفصل الصبى فصالا
قطعه عن اللبن والجنود جمع جند وجند الجنود اى جمعهم وفى الحديث
الارواح جنود مجندة واصل الباب الجند الغليظ من الارض ويقال
طعم الماء كما يقال طعم الطعام وانشدوا فان شئت حرمت النساء
سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اراد لم اذق والنقاخ
العذب وغرف الماء يغرف غرفا واغترف بمعنى والمغرفة الالة
التى يغرف بها وغرب غروف كبير والمجاوزة من الجواز يقال جاز
الشى يجوزه اذا قطعه واجازه اجازة اذا استصوبه والشى يجوز
اذا لم يمنع منه دليل وجوز الشى كل شى وسطه ومجاز الطريق وهو
وسطه الذى يجاز فيه وقيل ان اشتقاق الجوز منه لانها تعترض
جوز السماء والمجاز فى الكلام لانه خروج عن الاصل الى ما يجوز فى
الاستعمال واصل الباب الجواز وهو المرور من غير شى يصد
منه التجاوز عن الذنب لانه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة
يقال اطقت الشى اطاقة وطاقة وطوقا مثل اطعته اطاعة وطوعا
والفئة الطاعة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز فى
علة الاعتلال لان نقص عدد من اوله وليس كذلك الفئة

وما نقص من اوله يجرى فى الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص فاما فية
ومائة وعزة فان النقص فيه على غير اطراد وتقول فاوت راسه
بالسيف اذا قطعته وانفاى الشئ انفا اذا انقطع واصل الباب
القطع ومنه الفئة لانهم قطعة من الناس قوله بيده من فتح
فاغرفه جاز ان يتعلق بالمصدر عنده وجاز ان تعلقه بالفعل ايض
ومن اعمل الغرفة اعمال المصدر جاز ان يتعلق الباء بها فى قوله وكلا
الامرين مذهب ومن اغترف فى موضع نصب بالاستثناء وكم خبرية
وهى فى موضع رفع بالابتداء فلما فصل طالوت بالجنود فى الكلام
حذف للدلالة ما بقى عليه وهو فاتاهم التابوت بالصفة التى وعدوا
بها فصدقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت اى خرج من مكانه
وقطع الطريق بالجنود اى العساكر واختلف فى عددهم فقيل كانوا
ثمانين الف مقاتل عن السدى وقيل سبعين الفا عن مقاتل
وذلك انهم لما راوا التابوت ايقنوا بالنصر فبادروا الى الجهاد
قال يعنى طالوت ان الله مبتليكم بنهر اى مختبركم وممتحنكم ومعنى
الابتلاء ههنا تمييز الصادق عن الكاذب فى قوله عن الحسن وكان
سبب ابتلائهم بالنهر شكايتهم قلة المياه وخوف التلف من
العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم
ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدايد فيصبروا
عند المحاربة ولا ينهزموا واختلف فى النهر الذى ابتلوا به فقيل
هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتاده والربيع وقيل هو نهر
فلسطين عن ابن عباس والسدى وقوله فمن شرب منه الهاء كناية عن

النهر

النهر فى اللفظ وهو فى المعنى للماء ويقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء
فليس منى معناه ليس من اهل ولايتى وليس من اصحابى ومن بتغنى و
من لم يطعمه اى ومن لم يطعم من ذلك الماء فانه منى اى اهل ولايتى واو لياني
وهو من الطعم الذى هو ما يؤديه الذوق اى لم يجد طعمه لا من الطعام و
الطعم يوجد فى الماء وفى الطعام جميعا الا من اغترف غرفة بيده الا من
اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرا بالضم فمعناه الا من شرب مقدار
ملء كفه فشربوا منه اى من شربوا كلهم الكثر من غرفة بيده الا من اخذ الماء
الا قليلا منهم قيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلثمائة وبضعة
عشر رجلا عن الحسن وقتاده وجماعة وقيل اربعة الاف رجل ونافق
ستة وسبعون الفا ثم نافق الاربعة الاف الا ثلثمائة وبضعة
عشر عن السدى وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم
يشرب الا غرفة روى وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة
منهم فلم نقط موامعه النهر فلما جاوزه هو والذين امنوا معه معناه
فلما تخطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم اصحابه وروى عن البراء
بن عازب وقتادة والحسن انه انما جاوز معه المؤمنون خاصة
كانوا مثل عدد اهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون الا ان
الكافرين انخزلوا وبقى المؤمنون على عدد اهل بدر عن ابن عباس و
السدى وهذا اقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين امنوا
معه فلما راوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده فقال المؤمنون الذين عددهم عدد اهل بدر
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى قال ابو القاسم

البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير ان بعضهم اشد ايقانا
واقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة الخ قال الذين يظنون
يستيقنون عن السدي انهم ملاقوا الله اي راجعون الى الله تعالى و
الى جزائه قيل في يظنون ثلثة اقوال احدها ان معنى يظنون يستيقنون
عن السدي كقول دريد ابن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم
في الفارسي المسرد اي ايقنوا والثاني ان معناه يحدثون نفوسهم وهو
اصل الظن لان حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون
مع العلم الا انه قد كثر على ما كان مع الشك والثالث يظنون انهم
ملاقوا الله بالقتل في تلك الوقعة كم من فئة اي فرقة قليلة غلبت
فئة اي قهرت فرقة كثيرة باذن الله اي بنصره عن الحسن لانه اذا
اذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي اذن فيه والله مع الصابرين
بالنصرة لهم على اعدائهم ولما برزوا لجالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين اية البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض
الفضاء ورجل برز وامراة برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك منهما
والافراغ الصب للسيال على جهة اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ
فراغا وافرغ افراغا واصبح فؤاد موسى فارغا اي خاليا من الصبر و
اصل الفراغ الخلو والتثبيت تمكين الشيء في مكانه بلزومه اياه وقد
يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا
يبرح موقفه وطعنه فاثبت فيه الرمح اي نفذ فيه لانه يلزم فيه
واثبت حجته اقامها ورجل ثبت اي ثقة مأمون فيما روى و النصر

هو

هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها بزيادة القوة ومنها با لرعب
عن الملاقات ومنها بالاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها
باختلاف الكلمة والفرق بين النصر واللطف ان كل نصر من الله فهو لطف
وليس كل لطف نصرا لان اللطف يكون في اصطاعة بدلا من معصية
وقد يكون في فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله تعالى والصبر من
فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حبس النفس عما تنازع اليه من الفعل
وهو ههنا حبسها عما تنازع اليه من الفرار من القتال ولما برزوا
اي ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا
افرغ اي اصبب علينا صبرا اي وفقنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ
الاناء من جهة انه نهاية ما توجبه الحكمة كما انه نهاية ما في الواحد
من الانية وثبت اقدامنا اي وفقنا للثبوت على الامر وانصرنا اعنا
على جهاد القوم الكافرين قوم جالوت
فهزموهم باذن الله
وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و
لكن الله ذو فضل على العالمين اية قرا ابو جعفر ونافع
ويعقوب دفاع الله بالالف وفي الحج مثله وقرا الباقون بغير الالف
قال ابو علي دفاع يحتمل امرين احدها ان يكون مصدرا لفعل
كالكتاب واللقاء ونحو ذلك والثاني ان يكون مصدرا لفاعل
ويدل عليه قراءة من قرا ان الله يدافع عن الذين امنوا وكان معنى
دفع ودافع سواء الا ترى الى قوله ولقد حرصت بان ادافع عنهم
فاذا المنية اقبلت لا تدفع كان المعنى حرصت بان ادفع عنهم المنية

والمنية لا تدفع فموضع ادافع موضع ادفع فاذا كان كذلك فيدفع ويدافع
متقاربان   الهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يهزمهم هزما
اذا دفعهم بالقتال هزيمة منه فانهزموا انهزاما وتهزم السقاء اذا يبس
فتصدع لاندفاع بعضه من بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاتك
قبل ان تهزل فتهلك لدفع ضياعها بتذكيتها واصله الدفع الصرف
من الشيء والدفاع السيل والدفعة اندفاع الشيء جملة   ثم ذكر سبحانه
تمام القصة فقال فهزموهم ولا بد من حذف هنا كانه قال لما قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا قال فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره اي دفعوهم
وكسروهم لان ذكر الهزيمة بعد السؤال النصرة دليل على معنى الاجابة ومعنى
هزموهم سببوا الهزيمتهم بان فعلوا ما الجأهم اليها فعلى هذا يكون حقيقة
وقال ابو علي الجبائي ذلك مجاز لانهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجه
من منزله اذا الجأه الى الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الاول وقوله
باذن الله اي بامر الله وقيل بعلم الله وقتل داود جالوت   وكان
من قصة داود على ما رواه علي بن ابرهيم بن هاشم عن الصادق عليه السلام
ان الله تعالى اوحى الى نبيهم ان جالوت يقتله من يستوي عليه درع
موسى ع وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن ايشا
وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت الى بني
اسرائيل وجمعهم لحرب بعث الى ايشا ان احضر واحضر ولدك فلما
حضر دعى واحدا واحدا من ولده فالبسه درع موسى عليه السلام
فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت
من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث اليه فجاء به

فلما

فلما دعي اقبل ومعه مقلاع قال فنادته ثلث صخرات في طريقه يا داود خذني
فاخذها في مخلاته وكان حجر الغنم ودح وكان داود شديد البطش شجاعا قويا
في بدنه فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف
بحذاء جالوت على الفيل وعلى راسه التاج وفي جبهته ياقوتة تلمع نورا وجنوده بين يديه
فاخذ داود حجرا فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت من تلك الاحجار فرمى به في
ميمنة جالوت ووقع عليهم فانهزموا واخذ حجرا اخر فرمى به في ميسرة جالوت فانهزموا
ورمى بالثالث الى جالوت فاصاب موضع الياقوت في جبهته ووصلت الى دماغه
ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرماه بحجر من مقلاع فوقع
بين عينيه وخرج من قفاه واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم
القوم عن اخرهم عن وهب وغيره من المفسرين واتاه الله الملك اي واعطاه الله
الملك بعد قتل جالوت بسبع سنين عن الضحاك والحكمة قبل النبوة ولم يكن نبيا
قبل قتله جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في حالة واحدة لانه
لا يجوز ان يراس من ليس بنبي على نبي لانه قلب ما توجبه الحكمة لان النبي يوثق
بظاهره وباطنه ولا يخبر الا بحق ولا يدعو الا الى حق وليس كذلك من ليس بنبي
عن الحسن وقيل يجوز ذلك اذا كان انما يفعل ما يفعل بامره ومشورته وعلمه مما يشاء
معناه وعلمه امور الدين وما شاء من امور الدنيا منها صنعة الدروع فانه كان
يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل
الصوت الطيب والالحان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قيل فيه ثلث اقوال
احدها لولا دفع الله بجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربوا البلاد عن ابن
عباس ومجاهد والثاني معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي عليه السلام
وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن ابي عبد الله عليه السلام

الصلوة

قال ان الله يدفع بمن يصلى من شيعتنا عمن لا يصلى منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة
لهلكوا وان الله يدفع بمن يزكى منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة لهلكوا وان الله يدفع
بمن يحج عن شيعتنا عمن لا يحج منهم ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وقريب من
معناه ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لولا عباد الله ركع وصبيان
رضع وبهايم رتع لصب عليكم البلاء صبا وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
ان الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله
ولا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم والثالث انه فى معنى قول الحسن ما نزع الله
بالسلطان اكثر مما نزع بالقران لان من يمتنع عن الفساد لخوف السلطان اكثر
ممن يمتنع منه لاجل الوعد والوعيد الذى فى القران ولكن الله ذو فضل على
العالمين اى ذو نعمة عليهم فى دينهم ودنياهم **تلك آيات الله**
نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين آية التلاوة
ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لان التالى للشئ يليه من غير فصل بغيره
واصل التلو ايقاع الشئ بعد الشئ الذى يليه والحق هو وقوع الشئ موقعه
الذى هو له من غير تغيير عنه مما لا يجوز فيه والرسالة تحميل جملة من الكلام
لها فايدة الى المقصود بالدلالة نتلوها جملة فى موضع الحال والعامل
فيه معنى الاشارة فى تلك وذو الحال آيات الله اى نتلوه عليك والباء فى
بالحق يتعلق بنتلوا ايضا تلك اشارة الى ما تقدم ذكره من اماتة الوف
من الناس دفعة واحدة واحياهم دفعة واحدة بدعاء نبيهم ومن تمليك
طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد لمثله الناس لما جعله الله من الآية
علما على تمليكه ونصرة اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت
واصحابه مع قوتهم وشوكتهم آيات الله اى دلالات الله على قدرته نتلوها

عليك

عليك نقرؤها عليك يا محمد بالحق بالصدق وقيل يقرؤها جبرئيل عليك
بالحق بامرنا وانك لمن المرسلين معناه وانك لمن المرسلين بدلالة اخبارك
بهذه الآيات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها ولا تعلم ذلك مع عدم
المشاهدة ومخالطة اهلها الا بوحى من جهة الله تعالى والله لا يوحى الا الى
انبيائه **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم**
من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد آية درجات منصوبة
على الحال والعامل فيه رفع وذو الحال بعضهم وتقديره رفع بعضهم
ذوى درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بعد الفراغ
من الفعل بتقديره ورفع بعضهم فاذا هم ذوو درجات ويجوز ان يكون
ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره ورفع
بعضهم رفعا تلك بمعنى اولئك الا انه اراد به الاشارة الى الجماعة
فاتى بلفظ الافراد التى يكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم خرجت اى اولئك
الذين تقدم ذكرهم من الانبياء فى الكتاب فضلنا بعضهم على بعض
انما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لامور احدها لان لا يغلط
غالط فيسوى بينهم فى الفضل كما استووا فى الرسالة وثانيها ان يبين
ان تفضيل محمد صلى الله عليه وآله عليهم كتفضيل من مضى من الانبياء
بعضهم على بعض وثالثها ان الفضيلة قد يكون بعد اداء الفريضة

وهذه الفضيلة المذكورة ههنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة
نحو كلامه لموسى بلا سفير وكارساله محمد صلعم الى الكافة من الجن والانس وقيل
اراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال وتحمل الأثقال وقيل بالشرائع
فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة
لأنه قد يكون وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على
ما توجبه الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لأنه
قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وادى الى حرمان الثواب للجميع
فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه اذا كان في ذلك مصلحة
له فهذا وجه تدعو اليه الحكمة وليس كالوجه الأول الذي انما تدعو اليه
الشهوة منهم من كلم الله اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم
درجات قال مجاهد اراد به محمد صلعم فانه تعالى فضله على جميع انبيائه
بان بعثه الى جميع ابنائه المكلفين من الانس والجن وبان اعطاه
جميع الآيات التي اعطاها من قبله من الانبياء وبان خصه بالقرآن
الذي لم يعط غيره وهو المعجزة القائمة الى يوم القيمة بخلاف سائر المعجزات
فانها قد مضت وانقضت وبان جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي
تاخير اشرف الرسل لاعظم الامور وآتينا عيسى بن مريم البينات اي
الدلالات كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والاخبار عما كانوا
ياكلونه ويدخرون في بيوتهم وايدناه بروح القدس قد مر تفسيره
في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة ولو شاء الله ما اقتتل
الذين من بعدهم اي من بعد الرسل وقال قتاده والربيع من بعد موسى
وعيسى على نبينا وعليهما السلام واتى بلفظ الجمع لان ذكرهما يغني عن

ذكر

ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الامير فنكوا في العدو نكاية عظيمة معناه
ولو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الانبياء بان يلجئهم الى الايمان
ويمنعهم عن الكفر الا انه لم يلجئهم الى ذلك لان التكليف لا يحسن
مع الضرورة والالجاء والجزاء لا يحسن الا مع التخلية والاختيار
عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما امرهم بالقتال من بعد ما
جاءتهم البينات من بعد وضوح الحجة فان المقصود من بعثة الرسل
قد حصل بايمان من آمن قبل القتال ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره ومنهم كفر بسوء اختياره ولو
شاء الله ما اقتتلوا كرر ذلك تاكيدا وتنبيها وقيل الاول مشية
الاكراه اي لو شاء الله اضطرهم الى حال يرتفع معها التكليف و
الثاني الامر للمؤمنين بالكف عن قتالهم ولكن الله يفعل ما يريد ما تقتضيه
الحكمة وتوجب المصلحة يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
والكافرون هم الظالمون قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفي سورة ابراهيم لا بيع فيه
ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرأ الباقون جميعها بالرفع
قال ابو علي اما من فتح بلا تنوين فانه جعله جواب هل فيها من
لغو وتاثيم ومن رفعه جعله جواب أفيها لغو وتاثيم وقد ذكرنا
صدرا من القول على النفي فيما تقدم والمعنيان متقاربان في ان النفي
يراد به العموم والكثرة في القراءتين يدل على ذلك قول امية فلا لغو
ولا تاثيم فيها الا ترى انه يريد من نفي اللغو وان كان قد رفعه ما يريد

بنى التأنيث الذى فتحه ولم ينونه فان جعلت قوله فيها خبر الصوت
للاول خبرا وان جعلته صفة لاصوت لكل واحد من الاسمين
خبرا البيع هو استبدال المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع
ايضا الشراء لانه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال
بالمتاع والبيعة الصفقة على ايجاب البيع والبيعة الصفقة على ايجاب
الطاعة والبيعان البايع والمشترى والخلة خالص المودة والخلل
الانفراج بين الشيئين وخللته بالخلال اخله خلا اذا شككته به و
اختلال الحال انحرافها بالفقر والخليل الخالص المودة من الخلة ليخلل
الاسرار بينهما وقيل لانه يمتنع من الشوب فى المودة بالنقيصة والخليل
ايضا المحتاج من الخلة والخل معروف لتخلله لحدته ولطفه فيما ينتاب
فيه والخل الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق فى الرمل وفى فلان خلة
رايعة اى خصلة والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة
عند قوله لا يقبل منها شفاعة لما قص الله سبحانه اخبار
الامم السالفة وثبت رسالة نبينا صلى الله عليه وآله عقبه بالحث على الطاعة فقال
يا ايها الذين امنوا اى صدقوا محمدا فيما جاء به انفقوا مما رزقناكم قيل
اراد به الفرض كالزكوة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد به
عن الحسن ولان ظاهر الامر يقتضى الايجاب وقيل يدخل فيه النفل و
الفرض عن ابن جريج واختاره البلخى وهو الاقوى لانه اعم ولان الاية
ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم اهوال
يوم القيمة وشدايدها من قبل ان ياتى يوم اى يوم القيمة لا بيع فيه
اى لا تجارة ولا خلة اى ولا صداقة لانهم يصيرون بالمعاصى اعداء

وقيل

وقيل لان شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره وهذا كقوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة اى لغير المؤمنين
مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياؤهم
كما قال سبحانه ولا يشفعون الا لمن ارتضى ومن ذا الذى يشفع عنده
الا باذنه والكافرون هم الظالمون انما ذم الكافر بالظلم وان كان الكفر
اعظم منه لامرين احدهما الدلالة على ان الكافر ضر نفسه بالخلود فى
النار فقد ظلم نفسه والاخر انه لما نفى البيع فى هذا اليوم والخلة والشفاعة
واخبر انه قد حرم الكافر هذه الامور قال وليس ذلك بظلم منا بل
الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه
الامور ووجه اخر فى فايدة تخصيص الكافر بالظلم وهو ان ظلم الكافر
هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم
الكافرين ونظيره قول القايل فلان هو الفقيه فى البلد وفلان هو
الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف اليه
الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى
السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه
الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده
حفظهما وهو العلى العظيم ايتان بصرى اية واحدة عند
عند غيرهم عد البصرى الحى القيوم اية ذكر ابن نجويه
العسوى فى كتاب الترغيب باسناد متصل الى ابى بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله يا المنذر اى اية فى كتاب الله اعظم

فقلت الله لا اله الا هو الحى القيوم قال فضرب فى صدرى ثم قال ليهنك
العلم والذى نفس محمد بيده ان لهذه الاية للسانا وشفتين يقدس
الملك عند ساق العرش وروى الثعلبى باسناده عن عبد الله بن عمر
قال قال النبى صلى من قرا اية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة
كان الذى يتولى قبض نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل
مع انبياء الله حتى استشهد وباسناده عن على بن ابى طالب عليه السلم
قال سمعت نبيكم صلى على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسى
فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله صلى
يقول يا على سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس
سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال
الطور وسيد الاشجار السدر وسيد الشهور الاشهر الحرم وسيد
الايام الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسى
يا على ان فيها لخمسين كلمة فى كل كلمة خمسين بركة وروى عبد الله
بن مسعود قال من قرا عشر ايات من سورة البقرة فى كل ليلة فى
بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح اربع ايات من اولها
واية الكرسى وايتين بعدها وخواتيمها وروى عن ابى جعفر الباقر
عليه السلم قال من قرا اية الكرسى مرة صرف الله عنه الف مكروه
من مكاره الدنيا والف مكروه من مكاره الاخرة ايسر مكروه الدنيا
الفقر وايسر مكروه الاخرة عذاب القبر وعن ابى عبد الله عليه السلم

قال

قال ان لكل شى ذروة وذروة القران اية الكرسى الحى من كان
على صفة لا يستحيل معها ان يكون قادرا عالما وان شئت قلت
هو من كان على صفة لاجلها ان يدرك المدركات اذا وجدت
والقيوم اصله قيووم على وزن فيعول الا ان الواو والياء اذا
اذا اجتمعتا واوليهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الاولى
فى الثانية قياسا مطردا والقيام اصله قيوام على وزن فيعال
فتعل به ما ذكرنا قال امية بن ابى الصلت لم يخلق السماء والنجوم
والشمس معها قمر يقوم قدره المهيمن القيوم والحشر والجنة والنعيم
الا لامر شانه عظيم والسنة النوم الخفيف وهو النعاس وقال عدى
بن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة و
ليس بنائم وهو مصدر وسن يوسن وسنا وسنة قال المفضل
السنة فى الراس والنوم فى القلب والنوم خلاف اليقظة يقال
نام نوما واستنام اليه اى استانس اليه واطمان الى ناحيته
قال الليث يقال لكل من احرز شيئا او بلغ علمه اقصاه قد احاط
به ويقال وسع فلان الشى يسعه سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه
القيام به ويقال لا يسعك هذا اى لا تطيقه ولا تحتمله الكرسى
كل اصل يعتمد عليه قال الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة
كراسى بالاحداث حين تنوب اى علما بحوادث الامور وقال
اخر نحن الكراسى لا تعد هوازن افعالنا فى النائبات ولا اسد
وقال اخر مالى بامرك كرسى اكاتمه وهل بكرسى علم الغيب مخلوق
وكل شى تراكب فقد تكادس ومنه الكراسة لتراكب بعض

ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الراس ويقال كرسى الملك من مكان كذا الى مكان كذا اى ملكه مشبه بالكرسى المعروف واصل الباب الكرسى تراكب الشى بعضه على بعض واده يوده اودا اثقله وجهده وادت العود اوده اودا فانا داود بحو مجيبه فانعاج والاود والاود على وزن الاعوج والعوجاء والمعنى واحد والجمع الاود كالعوج والعلى اصله من العلو وهو سبحانه على بالاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لان الرفعة فى المكان والعلو منقول الى معنى الاقتدار يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال وعلى بمعنى الاقتدار ولا يقال ارتفع عليه بمعناه ولذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعلو بضم العين وكسرها خلاف السفل وعلا فى الارض علوا تجبر ومنه قوله ان فرعون علا فى الارض اى تجبر وتعالى الله تعالى العالى والمتعالى اى القادر القاهر لا يعجزه شى وفلان من علية الناس اى من اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشان وقيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيق اى المعتقة والاول اقوى المعتقة

الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفى ان يصح اله سوى الله وحقيقته الاثبات لاله واحد هو الله فكانه قيل الله هو الاله دون غيره وارتفع هو فى لا اله الا هو على احد وجهين احدهما بالابتداء كانه قال ما اله الا الله الثانى ان يكون بدلا كانه قال ما اله ثابتا او موجودا الا الله ويجوز فى العربية نصب الله فى قوله لا اله الا الله على الاستثناء لما قدم سبحانه ذكر الامم واختلافهم على انبيائهم فى التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال الله اى من يحق له العبادة لقدرته

على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الاقوال فى اصله وفى معناه فى مفتتح سورة الفاتحة لا اله الا هو اى لا احد يحق له العبادة ويستحق الالهية غيره الحى قد ذكرنا معناه القيوم القائم بتدبير خلقه من انشائهم ابتداء وايصال ارزاقهم اليهم كما قال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب اى يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن واللفظ بجميع هذه الوجوه محتمل لا تاخذه سنة اى نعاس ولا نوم يعتقل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للغافل انت نائم وانت وسنان له ما فى السموات وما فى الارض معناه له ملك ما فيهما وله التصرف فيهما من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه هو استفهام معناه الانكار والنفى اى لا يشفع يوم القيمة احد لاحد الا باذنه اى باذن الله وامره وذلك ان المشركين كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم فاخبر الله سبحانه ان احدا ممن له شفاعة لا يشفع الا بعد ان ياذن الله له فى ذلك ويامره به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل فيه وجوه احدها ان معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الاخرة عن مجاهد والسدى والثانى معناه يعلم الغيب الذى تقدمهم من قولك بين يديه اى قدامه وما مضى فهو قدام الشى فيحمل عليه على هذا التقدير لان هذا اللفظ حقيقة فى الماضى وما خلفهم يعنى الغيب الذى ياتى بعدهم عن ابن جريج والثالث ان ما بين ايديهم عبارة عما لم يات كما يقال رمضان

بين ايدينا وما خلفهم عبارة عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان
عن الضحاك ولا يحيطون بشيء من علمه معناه من معلومه كما يقال
اللهم اغفر لنا علمك فينا اي معلومك ويقال اذا ظهرت اية
هذه قدرة الله اي مقدور الله والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه كما هو
على الحقيقة الا بما شاء يعني ما شاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه وسع
كرسيه السموات والارض اختلف فيه اقوال احدها وسع علمه السموات
والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليه السلام ويقال للعلماء كراسي كما يقال اوتاد الارض لان بهم قوام
الدين والدنيا وثانيها ان الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وانما
سمي كرسيا لتركيب بعضه على بعض وثالثها ان المراد بالكرسي ههنا
الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيا اي
عمادا يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسموات
والارض وما فيهما ورابعها ان الكرسي سرير دون العرش وقد
روي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام وقريب منه ما روي عن عطا
انه قال ان السموات والارض عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وما
الكرسي عند العرش الا كحلقة في فلاة ومنهم من قال ان السموات و
الارض جميعا على الكرسي والكرسي تحت العرش كالعرش فوق السماء
وروى الاصبغ بن نباتة ان عليا عليه السلام قال ان السموات والارض
وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه
باذن الله ملك منهم في صورة الادميين وهي اكرم الصور على الله وهو يدعو
الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني آدم والملك الثاني

في صورة

في صورة الثور وهو سيد البهايم وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة
والرزق للبهايم والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور وهو
يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك
الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه
ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة
احسن من الثور ولا اشد انتصابا منه حتى اتخذ الملا من بني اسرائيل
العجل وعبدوه فخفض الملك الذي في صورة الثور راسه استحياء
من الله ان عبدوا من دون الله بشيء يشبهه وتخوف ان ينزل الله
به العذاب ولا يؤوده حفظهما اي لا يشق على الله سبحانه ولا يثقله
حفظ السموات والارض وقيل الهاء في يؤوده تعود الى الكرسي وهذا
على قول من يقول ان السموات والارض على الكرسي وهو العلي عن
الاشباه والامثال والاضداد والانداد وعن امارات النقص و
دلالات الحدوث وقيل هو من العلو الذي بمعنى القدرة والسلطان
والملك وعلو الشان والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء العظيم
اي العظيم الشان القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه
شيء لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروى علي بن ابرهيم
عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرأ ابو الحسن الرضا عليه السلام
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة
الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه لا اكراه
في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت

وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اية الرشد نقيض الغى وهو الرشد والرشد
ويقول غوى يغوى غيا وغواية اذا سلك الطريق الهلاك وغوى اذا
خاب قال الشاعر ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على
الغى لايما وغوى الفصيل يغوى غوى اذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك
والطاغوت وزنها فى الاصل فعلوت وهى مصدر مثل الرغبوت
والرهبوت والرحموت ويدل على انها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة
بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من الياء يدل على ذلك قوله فى
طغيانهم ثم ان اللام قدمت الى موضع العين فصار طيغوت ثم قلبت
الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت فوزنها الان
بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغت وطواغ على
حذف الزيادة وطواغى على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو
ونحوه لانها متعلقة وعروت الرجل اعروه عروا اذا الممت به متعلقا
بسبب منه واعتراه هم اذا تعلق به وعرته الحمى تعروه اذا علقت به
فالاصل فى الباب التعلق قال الازهرى العروة كل نبات له اصل
ثابت كالشيح والقيصوم وغيره به شبهت عرى الاشياء فى لزومها
والوثقى تانيث الاوثق والانفصام والانقطاع والانصداع
نظاير قال الاعشى ومبسمها عن شتيت النبات غير اكس ولا
منفصم يقال فصمته فانفصم قيل نزلت الاية فى رجل
من الانصار كان له غلام اسود يقال له صبيح وكان يكرهه على
الاسلام عن مجاهد وقيل نزلت فى رجل من الانصار يدعى ابا الحصين

وكان

وكان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا
الرجوع من المدينة اتاهم ابنا ابى الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا
وخرجا الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل
الله سبحانه لا اكراه فى الدين فقال رسول الله ص ابعدهما الله هما اول
من كفر فوجد ابو الحصين فى نفسه على النبى ص حين لم يبعث فى طلبهما
فانزل الله سبحانه فلا وربك لا يؤمنون الاية قال وكان هذا
قبل ان يؤمر النبى ص بقتال اهل الكتاب ثم نسخ وامر بقتال اهل
الكتاب فى سورة براءة عن السدى وهكذا قال ابن مسعود وابن
زيد انها منسوخة باية السيف وقال الباقون هى محكمة وقيل
كانت المراة من الانصار تكون مقلاتا فترضع اولاد اليهود فجاء
الاسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير اذا فيهم ناس من
الانصار فقالوا يا رسول الله ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه فى الدين
فقال عليه السلام خيروا اصحابكم فان اختاروكم فهو منكم وان
اختاروهم فاجلوهم عن ابن عباس لما تقدم ذكر اختلاف
الامم وانه لو شاء الله لاكرههم على الدين وفيه عدة اقوال احدها انه
فى اهل الكتاب خاصة الذين لا يؤخذ عنهم الجزية عن الحسن وقتادة
والضحاك وثانيها انه فى جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدى
وغيره وثالثها ان المراد لا تقولوا لمن دخل فى الدين بعد الحرب انه
دخل مكرها لانه اذا رضى بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره عن
الزجاج ورابعها انها نزلت فى قوم خاص من الانصار كما ذكرناه
فى النزول عن ابن عباس وغيره وخامسها ان المراد ليس فى الدين

اكراه من الله سبحانه ولكن العبد مخير فيه لان ما هو دين في الحقيقة هو
من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار
الشهادتين فليس بدين حقيقة كما ان من اكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا
والمراد الدين المعروف وهو الاسلام ودين الله الذي ارتضاه قد تبين
الرشد من الغي قد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والايات
الدالة عقلا وسمعا والمعجزات التي قد ظهرت على يد النبي فمن يكفر بالطاغوت
قيل فيه اقوال احدها انه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن
ابي عبد الله عليه السلام وثانيها انه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها
انه الساحر عن ابي العالية ورابعها انه مردة الجن والانس وكل ما يطغى
وخامسها انه الاصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر
بما خالف امر الله ويؤمن بالله اي يصدق بالله وبما جاءت به رسله
فقد استمسك اي تمسك واعتصم بالعروة الوثقى اي بالعصمة الوثقة
وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة وعن مجاهد هو
الايمان بالله ورسوله وجرى هذا مجرى المثل بحسن البيان باخراج
ما لا يقع به الاحساس الى ما يقع به لا انفصام لها اي لا انقطاع لها
يعني كما لا ينقطع من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك
بالايمان والله سميع لاقوالهم عليم بضمائرهم الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ايه الولي من الولي وهو القرب
من غير فصل وهو الذي يكون اولى بالغير واحق بتدبيره ومنه الوالي لانه

يلي

يلي القوم بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى لانه يلي امر العبد بسد الخلة
وما به اليه الحاجة ومنه المولى من اسفل لانه يلي امر المالك بالطاعة
ومنه المولى لابن العم لانه يلي امره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي
اليتيم لانه يلي امر ماله بما يحفظه له والقيام عليه والولي في الدين وغيره
لانه يلي امره بالنصرة والمعونة كما توجبه الحكمة والمعاقدة فجميع هذه المواضع
الاولى والاحق ملحوظ فيها وولى عن الشيء اذا ادبر عنه لانه زال عن ان يليه
بوجهه واستولى على الشيء اذا احتوى عليه لانه وليه بالقهر والله سبحانه
ولي المؤمنين على ثلثة اوجه احدها انه يتولاهم بالمعونة على اقامة الحجج و
البراهين لهم في هدايتهم كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وثانيها
انه وليهم في نصرهم على عدوهم واظهار دينهم على دين مخالفيهم وثالثها انه
وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الاعمال الصالحة
لما ذكر سبحانه المؤمن والكافرين ولي كل واحد منهما فقال الله ولي
الذين امنوا اي نصرهم ومعينهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه لهم
الصلاح من امور دينهم ودنياهم واخرتهم يخرجهم من الظلمات الى
النور اي من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الهدى والايمان لان
الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك
المدركات المبصرات ووجه اخراج الله المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال
الى نور الايمان والطاعة هو انه هداهم اليه ونصب الادلة لهم عليه
ورغبهم فيه وفعل بهم من الالطاف ما يقوى دواعيهم الى فعله لانا
قد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرجوا من الكفر الى الايمان فصح اضافة
الاخراج اليه سبحانه لكون هذه الامور التي عددناها من جهته تعـ

كما تصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول البلدان ورغبه فيه وعرفه
ما له فيه من الصلاح ان يقول اذا ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا
اخرجه من كذا وكذا والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اى متولى
امورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت ههنا واحد اريد به
الجمع وهذا جائز فى اللغة اذا كان فى الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر
بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب و
يعنى جلودها وقال العباس بن مرداس فقلنا اسلموا انا اخوكم فقد
برئت من الاحن الصدور والمراد به الشياطين عن ابن عباس وقيل
رؤساء الضلالة عن مقاتل يخرجونهم من النور الى الظلمات اى من
نور الايمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلال
واضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت على ما تقدم
ذكره من انهم يغوونهم ويدعونهم الى ذلك ويزينون فعله لهم فصح
اضافته اليهم وهذا يدل على بطلان قول من قال ان الاضافة
الاولى يقتضى ان الايمان من فعل الله سبحانه فى المؤمن لانه لو كان
كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين
وعندهم لا فرق بين الامرين فى انهما من فعله تعالى عن ذلك
وايضا فلو كان الامر على ما ظنوه لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين
وناصرا لهم على ما اقتضته الاية والايمان من فعله لا من فعلهم و
لما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر
من فعله فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن وهو المتولى لفعل الامرين
فيهما ومثل هذا لا يخفى على منصف فان قيل كيف يخرجونهم من

النور

وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان احدهما ان ذلك يجرى مجرى
القائل اخرجنى والدى من ميراثه فمنعه من الدخول فيه اخراج ومثله
قوله سبحانه فى قصة يوسف انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن
فيه قط وقوله ومنهم من يرد الى ارذل العمر وقال الشاعر فان يكن الايام
احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك
والوجه الاخر انه فى قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والاول اقوى
اولئك اصحاب النار الخ قد مضى تفسيره
الم تر الى الذى
حاج ابرهيم فى ربه ان اتيه الله الملك اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى
ويميت قال انا احيى واميت قال ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى
القوم الظالمين اية قرا اهل المدينة انا احيى باثبات الالف
فى انا والمد اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة نحو انا اخوك فان
كان بعدها همزة مكسورة نحو ان انا الا نذير حذفوا الالف اجماعا
الاصل فى انا الهمزة والنون وانما يلحقها الالف فى الوقف كما ان الهاء
يلحق للوقف فى نحو مسلمونه وكما ان الهاء التى يلحق للوقف تسقط فى
الوصل كذلك هذه الالف تسقط فى الوصل وقد جاءت انا مثبتة فى
الوصل فى الشعر نحو قول الاعشى فكيف انا وانتحالى القوافى بعد المشيب كفى
ذلك عارا وقول الاخر انا شيخ العشيرة فاعرفونى حميدا قد تذريت
السناما قال ابو على وما روى من اثبات الالف التى حكمها فى انا اذا
كان بعد الالف همزة فانى لا اعلم بين الهمزة وغيرها من الحروف فصلا
ولا شيئا يجب من اجله اثبات الالف التى حكمها ان تثبت فى الوقف

اللغة

فى بهت اربع لغات بهت على وزن ظرف وبهت على وزن
حذر وبهت على وزن ذهب وبهت على ما لم يسم فاعله وهذا هو
الافصح وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا اذا انقطع وتحير
ويقال بهت الرجل ابهته بهتانا اذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة
عند استيلاء الحجة لانها كالحيرة للمواجه بالكذب لان تحير المكذب
فى مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله اتاخذونه بهتانا كانه
قال اتاخذونه بهتانا كانه قال اتاخذونه ادعاء للكذب فيه

الاعراب

الم تر الى الذى انما دخلت الى فى الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل
كما يقولون اما ترى الى فلان كيف يصنع ومنه معنى هل رايت كفلان
فى صنيعه كذا فانما دخلت الى من بين حروف الجر لهذا المعنى لانها لما كانت
بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رويتك الى من هذه
صفته ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه لان التعجب انما يكون مما
استبهم سببه ولم يجر العادة به وقد صارت الى ههنا بمنزلة كاف
التشبيه لما بينا من العلة اذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه
لما بين سبحانه انه ولى المؤمنين وان الكفار لا ولى لهم سوى الطاغوت
تسلية لنبيه ص قص عليه بعده قصة ابرهيم عليه السلم ونمرود فقال
الم تر يا محمد اى الم ينته علمك الى الذى حاج ابرهيم اى الى من كان كالذى
حاج فكانه قال هل رايت كالذى حاج اى خاصم وجادل ابرهيم
وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية عن مجاهد
وغيره وانما اطلق لفظ المحاجة وان كانت مجادلة بالباطل ولم
يكن له فيه حجة لان فى زعمه ان له فيه حجة واختلف فى وقت هذه

المحاجة

المحاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل القائه فى النار عن مقاتل وقيل
بعد القائه فى النار وجعلها عليه بردا وسلاما عن الصادق عليه
السلم فى ربه اى رب ابرهيم الذى يدعو الى توحيده وعبادته ان
اتيه الله الملك اى لان اتيه الله الملك الهاء من اتيه يعود الى المحاج
لا لابرهيم اى اعطاه الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطره الملك
حمله على محاجة ابرهيم عن الحسن والجبائى والملك على هذا الوجه جائز
ان ينعم الله تعالى به على كل احد فاما الملك بتمليك الامر والنهى و
تدبير امور الناس وايجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يؤتيه
الله الا من يعلم انه يدعو الى الصلاح والسداد والرشاد دون من
يدعو الى الكفر والفساد ولا يصح منه لعلمه بالعيوب والسرائر تفويض
الولاية الى من هذا سبيله لما ذلك من الاستفساد وقيل ان الهاء
كيف م — يعود الى ابرهيم ع عن ابى القاسم البلخى ويسال على هذا فيقال لم يكون
طلاق م — الملك لابرهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس والا
والامر والنهى كان من جهة الله تعالى لابرهيم ع وانما كان نمرود
من ربك يفعل ذلك على وجه القهر والغلبة لا من جهة ولاية
شرعية اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت فى الكلام حذف
وهو اذ قال له نمرود من ربك فقال ربى الذى يحيى ويميت
بدا بذكر الحيوة لانها اول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم وهذا
ايضا لا يقدر عليه الا الله تعالى لان الاماتة هى ان يخرج الروح من
بدن الحى من غير جرح ولا نقض بنية ولا احداث فعل يتصل
بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر قال انا احيى و

اميت اى فقال نمرود انا احيى بالتخلية من الحبس من وجب عليه القتل
واميت بالقتل من شئت ممن هو حى وهذا جهل من الكافر لانه اعتمد
فى المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلا من وجه الحجة بفعل الحيوة
للميت او الموت للحى على سبيل الاختراع الذى ينفرد سبحانه به ولا يقدر عليه
سواه قال ابرهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
قيل فى انتقاله من حجته الى اخرى وجهان احدهما ان ذلك لم يكن انتقالا
وانقطاعا من ابرهيم ع فانه يجوز من كل حكيم ايراد حجة اخرى على سبيل
التأكيد بعد تمام ما ابتداء به من الحجاج وعلامة تمامه ظهوره من
غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة
المعتمد عليها والثانى ان ابرهيم ع انما قال ذلك ليبين ان من شان
من يقدر على احياء الاموات واماتة الاحياء ان يقدر على اتيان الشمس
من المشرق فان كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب وانما فعل
ذلك لانه لو تشاغل معه بانى اردت اختراع الحيوة والموت من غير
سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح لان
الانبياء ع انما بعثوا للبيان والايضاح وليست امورهم مبنية على
لجاج الخصمين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روى عن الصادق
عليه السلام ان ابرهيم ع قال له احيى من قتلته ان كنت صادقا
ثم استظهر عليه بما قاله ثانيا فبهت الذى كفر اى تحير عند الانقطاع
مما بان من ظهور الحجة فان قيل فهلا قال له نمرود فليأت بها ربك
من المغرب قيل ان ذلك جوابان احدهما انه لما علم بما راى من الايات
انه لو اقترح ذلك لاتى به الله تصديقا لابرهيم فكان بذلك يزداد

فضيحته

فضيحته عدل عن ذلك والثانى ان الله تعالى خذله ولطف لابرهيم
حتى انه لم يأت بشبهة ولم يلبس والله لا يهدى القوم الظالمين
بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى
المحاجة كما يهدى اولياءه وقيل معناه لا يهديهم بالطافه وتاييده
اذا علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى المحاجة كما يهدى الجنة و
هذا لا يعارض قوله فاما ثمود فهديناهم ولانا قد بينا معانى الهداية
ووجوهها قبل عند قوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فبعضها
عام لجميع المكلفين وبعضها خاص للمؤمنين وفى هذه الاية دلالة
على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كان كذلك لما صحت المحاجة
فى اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجاج
وانه سبحانه انما يعلم بافعاله التى لا يقدر عليها غيره وفى تفسير ابن
عباس ان الله سبحانه سلط على نمرود بعوضة فعضت شفته
فاهوى اليها بيده لياخذها فطارت فى منخره فذهب يستخرجها
فطارت فى دماغه فعذبه الله تعالى بها اربعين ليلة ثم اهلكه اهلكه

او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها
قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه
قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك و
لنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم
نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شىء قدير ايه

قرا ابن عامر وابو عمرو وحمزه والكسائى لبث بالادغام

والباقون بالاظهار وقرا اهل العراق غير ابى عمرو لم يتسن واقتد
بحذف الهاء وصلاً والباقون باثبات الهاء فى الوصل ولم يختلفوا
فى اثباتها فى الوقف وقرا اهل الحجاز والبصرة ننشرها بضم النون الاولى
وبالراء وقرا اهل الكوفة والشام ننشزها بفتح النون وضم الشين و
بالزاء وروى ابان عن عاصم ننشرها بفتح النون وضم الشين وبالراء
وقرا حمزة والكسائى قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم والباقون
اعلم مقطوعة الالف مرفوعة الميم قال ابو على من ادغم لبثت
اجرى الثاء والتاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان فى انهما
من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا فى الهمس ومن بين لم
يدغم فلتباين المخرجين لان الطاء والذال والتاء من حيز و
الظاء والذال والثاء من حيز ومن قرا لم يتسنه بالهاء فى الوصل
فيحتمل ضربين احدهما ان يكون الهاء لاما من السنة فيمن قال سنيهة
سنهاء فيكون الجزم والاخران يكون من السنة ايضا فمن قال استنو
وسنوات او يكون من المسنون الذى يراد به المتغير كانه لم يتسنن
ثم قلب على حد القلب فى لم يتظن وحكى ان ابا عمرو الشيبانى الى هذا
كان يذهب فى هذا الحرف فالهاء فى يتسنه على هذين القولين يكون
للوقف فينبغى ان يلحق فى الوقف ويسقط فى الدرج واما قوله اقتده
فيجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التى للوقف ولكن
لما ذكر الفعل دل على مصدره فاضمره كما اضمر فى قوله ولا يحسبن الذين
يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم وقال الشاعر هذا
سراقة للقران يدرسه والمرء عند الرشى ان يلقها ذئب فالهاء

فى يدرسه للمصدر ولا يجوز ان يكون للمفعول لان الفعل قد تعدى
الى المفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه مرة ثانية وكذلك
قوله فبهديهم اقتده يكون اقتد الاقتداء فيضمر لدلالة الفعل
عليه ومن قرا كيف ننشرها فمعناه كيف نحييها يقال انشر الله
الميت فنشر وقد وصفت العظام بالاحياء وقال سبحانه من
يحيى العظام وهى رميم وكذلك قوله كيف ننشزها ومن قرا ننشزها
بالزاى فالنشز الارتفاع قال ابو الحسن نشز وانشزته فتقدير
ننشزها نرفع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا النشوز من المراة
وهو ان تنبو من الزوج فى العشرة فلا تلائمه ومن قرا قال اعلم
على لفظ الخبر فلانه لما شاهد من احيا الله وبعثه اياه بعد وفاته
ما شاهد اخبر عما تبينه وتيقنه اى اعلم هذا الضرب من العلم
الذى لم اكن علمته قبل ومن قال اعلم على لفظ الامر فالمعنى يؤول
الى الخبر وذلك انه لما تبين وانت بين القرو والعاصر فقال
انت ومن بدننه ومثله قوله من الامر الذى لا مجال للشبهة
عليه نزل نفسه منزلة غيره فخاطب كما يخاطب سواها كقول
الاعشى ارمى بها البيد اذ اهجرت ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل فخاطب نفسه كما يخاطب غيره
قال ابو الحسن وهذا اجود فى المعنى اصل الخوا الخلا قال
الراجز يبدو خوا الارض من خوائه والخوا الفرجة بين الشيئين
لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوى خواء وهى خاوية اذا باد
اهلها لخلوها منهم والخوى الجوع خوى يخوى خوى لخلو البطن

من الغذاء والتحويه التفرج بين العضدين والجنبين لخلو ما بينهما
يتباعدهما على عروشها على ابنيتها قال ابو عبيده هي الخيام وهي
بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها اى بقيت حيطانها
لا سقوف عليها وكل بناء عرش وعريش مكة ابنيتها وعرش يعرش
عرشا اذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنيته والعرش السرير لارتفاعه
عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل
الخشب تحت الكرم ليمتد عليه يقال عرشته واصل القرية الجمع من قريت وعرشه
الماء وسميت قرية لاجتماع الناس فيها للاقامة بها واحيى من ان يحيى
والعام الحول وجمعه الاعوام وهو حول ياتي بعد شتوة وصيفة لان فيه
سبحا طويلا ربما يمكن من التصرف فيه والعوم السباحة والسفينة تعوم
في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفا خيار مال الرجل لانه
يجري في اخذه شيئا بعد شيء كالسابح في الماء الجاري والعتام الموت النفوس
اولا فاولا كذلك واصل اللباب التحير واللبث المكث يقال لبث فهو لابث
وتلبث تلبثا اذا تمكث والحمار يقال للوحشي والاهلي واصله من الحمرة
لان الحمرة اغلب عليه وحمارة القيظ شدة حره وحرفوا الفرس يحمر حمرا
اذا انتفن وموت احمر شديد مشتبه بحمرة النار والاسود والاحمر العرب
والعجم لان السواد اغلب على لون العرب كالحمرة على لون العجم ومنه قول
الاشعث لعلي عليه السلم غلبتنا عليك هذه الحمرا يعني العجم والنشر
خلاف الطي والنشر اذاعة الحديث وحث العود بالمنشار والنشر
الرايحة الطيبة وربما قيل في الخبيثة والنشزة الرقبة والنشز بالزاي
المرتفع من الارض اوحرف عطف وهو عطف على معنى الكلام

الاول

الاول وتقديره ارايت كالذي حاج ابرهيم في ربه اوكالذي وموضع الكاف
نصب بمر ومعناه التعجب منه لان كل ما خرج في بابه لعظمه عن حد
نظايره فهو مما يتعجب منه تقول ما اجهله اى قد خرج بجهله عن حد نظايره
وكذلك لو قلت هل رايت كزيد الجاهل لدللت على مثل الاول في
التعجب لما بينا الا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك
هل رايت لانها في الاصل للاستفهام وقيل الكاف زايدة كما زيدت
في قوله ليس كمثله شيء والاول اوجه لانه لا يحكم بالزيادة الا لضرورة
وقوله انى استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره اقادرا
ان يحيي ويجوز ان يكون مصدر اليحيى وتقديره اى نوع يحيي اى اى
احيا يحيي وهذا اولى لانه يكون سوالا عن كيفية الاحيا لا انكار
الاصل الاحيا وموضع كم نصب بلبثت كانه قال اماية سنة لبثت
ام اقل ام اكثر وقوله ولنجعلك دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف
كانه قال ولنجعلك اية فعلنا ذلك لان الواو لو سقطت اتصلت
اللام بالفعل المتقدم كيف في محل النصب على الحال من ننشزو ذو الحال
الضمير المستكن فيه او على المصدر وننشزها جملة في موضع الحال من
انظر وذو الحال العظام اوكالذي مر اى اوهل رايت كالذي
مر ومعناه ان شئت فانظر في قصة الذي حاج ابرهيم وان شئت
فانظر في قصة الذي مر على قرية وهو عزير عن قتادة وعكرمة والسدي
وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل هو ارميا عن وهب
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وقيل هو الخضر عن ابن اسحق
والقرية التي مر عليها هو بيت المقدس لما خربه بخت نصر عن وهب

قتاده والربيع وعكرمه وقيل هي الارض المقدسة عن الضحاك وقيل هي القرية
التي خرج منها الالوف حذر الموت عن ابن زيد وهي خاوية على عروشها
اي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة
على ابنيتها وسقوفها كان السقوف سقطت ووقعت البنيان عليها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها
وقيل كيف يحيي الله اهلها بعدما ماتوا واطلق لفظ القرية والمراد به اهلها
كقوله سبحانه واسئل القرية ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا
ولكن احب ان يريه الله احياها مشاهدة كما تقول الواحد منا كيف
يكون حال الناس يوم القيمة وكيف يكون حال اهل الجنة في الجنة و
كيف يكون حال اهل النار في النار وكقول ابرهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى احب ان يريه الله احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم ضرورة
كما حصل له العلم دلالة لان العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهة
فاماته الله مائة عام اي مائة سنة ثم بعثه اي احياه قال كم لبثت
في التفسير انه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك
وقيل ان القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن شاهده
عند موته واحيائه قال لبثت يوما او بعض يوم لان الله تعالى اماته
في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار فقال يوما ثم التفت
فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام معناه
بل مكثت في مكانك مائة سنة فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
اي لم يغيره السنون وانما قال لم يتسنه على الواحد لانه اراد جنس الطعام
والشراب اي انظر الى ما تركته انه لم يتسنه وقيل اراد به الشراب لانه

اقرب المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا وهذه
الاشياء الثلثة اسرع الاشياء تغيرا وفسادا فوجد العصير حلوا
والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا وانظر الى حمارك معناه انظر اليه
كيف تفرق اجزاؤه وتبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله وانما
قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته ولنجعلك اية للناس
فعلنا ذلك وقيل معناه فعلنا ذلك اجابة لك الى ما اردت ولنجعلك
اية للناس اي حجة للناس في البعث وانظر الى العظام كيف ننشزها كيف
نحييها وبالزاي كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها من الجسد
ونركب بعضها على بعض ثم نكسوها اي نلبسها لحما واختلف فيه فقيل
اراد عظام حماره عن السدي وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر
الى عظام حمارك وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقتاده والربيع قالوا
اول ما احيا الله منه عينه وهو مثل فرخ البيض فجعل ينظر الى العظام
البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع اتلف الى العظام من ههنا وم
ههنا ويلتزق ويلتزق بها حتى قام وقام حماره فلما تبين له يعني ظهر
وعلم وانما علم انه مات مائة سنة بشيئين احدهما باخبار من اراه
الاية المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه وتقطع اوصاله ثم
اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حاله التي كان عليها في اول امره
والاخر انه علم ذلك بالاثار الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى
ولد ولده شيوخا وقد كان خلف اباهم شبابا الى غير ذلك من
الامور التي تغيرت والاحوال التي تقلبت وروي عن علي عليه السلم
ان عزيرا خرج من اهله وامرأته حامل وله خمسون سنة فاماته الله

مائة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة
فكان ابنه اكبر منه فذلك من آيات الله وقيل انه رجع وقد احرق بخت
نصر التورية فاملاها من ظهر قلبه فقال رجل منهم حدثني ابي عن جدي
انه دفن التورية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فاروه فا
خرجها فعارضوا ذلك بما املا فما اختلفا في حرف فقالوا ما جعل
الله التورية في قلبه الا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله قال اى للمار على
القرية اعلم اى ايقن ومن قرا اعلم فمعناه على ما تقدم ذكره من ان
يخاطب نفسه وقيل انه امر من الله سبحانه له ان الله على كل شيء قدير
اى لم اقل ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل انه انما قال ذلك
لانه ازداد بما شاهد وعاين يقينا وعلما اوكان قبل ذلك علم
استدلال فصار علمه ضرورة ومعاينة . واذ قال
ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم
ان الله عزيز حكيم اية قرا ابو جعفر وحمزه وخلف و
رويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد والباقون فصرهن بضم الصاد
وروى في الشواذ عن ابن عباس فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء
وفتحها وعن عكرمه فصرهن بفتح الصاد وكسر الراء وتشديدها
وقرا عاصم في رواية ابي بكر جزءا مثقلا مهموزا حيث وقع وقرا
ابو جعفر جزا مشددا والباقون بالهمز والتخفيف يقال
صرته اصوره اى املته ومنه قول الشاعر يصور عنوق هذه الفنم

يتس لحى وصرته اصوره قطعته قال ابو عبيده فصرهن من الصور
وهو القطع وقال ابو الحسن وقد قالوا بمعنى القطع صار يصير ايضا
قال الشاعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم
الدوالح ومعنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت ان للميل والقطع
يقال في كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن جعل فصرهن اليك
بمعنى امهلك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها
كما حذف من قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانفلق
ومن قدر فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتج الى اضمار وكلا الوجهين
كل واحد من القرائتين على ما ذكرنا وقوله اليك ان جعلت صرهن
بمعنى قطعهن كان اليك متعلقا بخذ اى خذ اليك اربعة من
الطير فقطعهن ثم اجعل وان جعلته بمعنى املهن احتمل اليك ان
يكون متعلقا بصرهن وقياس قول سيبويه ان يكون متعلقا
بقوله فصرهن لانه اقرب اليه ومن قرا فصرهن بكسر الصاد وتشديد
الراء فانه يكون من صره يصره اى قطعه والتعدي من هذا الباب
قليل وقد روى عن عكرمه فصرهن بضم الصاد فيكون من صره يصره
وهذا القياس ومن قرا فصرهن فهو فعلهن من صرى يصرى
تصرية اذا حبس وقطع قال رب غلام قد صرى في تصرته ماء
الشباب عنفوان شرته اى حبسه وقطعه ومنه الشاة المصراه
اى المحبوسة اللبن المقطوعة في ضرعها عن الخروج واما الوجه في
قراءة من قرا جزا بالتثقيل فقد ذكرنا عند قوله سبحانه قالوا اتخذنا

هزوا ومن قرأ جزا بالتشديد فاصله جزء ثم خفف كان لك السكون
وان شئت الاشمام فتقول الجزو وان شئت التشديد فتقول الجزّ
ثم انه وصل على وقفه قال جزا كما جاء في الشعر بنازل وجبا او عيهل
كأن مهواها على الكلكل فاجر الوصل مجرى الوقف اطمان يطمان اللغة
اطمئنانا اذا توطا والمطمئن من الارض ما انخفض وتطامن و
اطمان اليه اذا وثق لسكون نفسه اليه ولتوطي حاله بالامالة عنده
واصل الباب التوطية والطير معروف وطار يطير طيرانا وطير
والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستعار ذلك في غيره وفي
كل سرعة وتطير من الطيرة وهو زجر الطير بما يكره وطائر الانسان
عمله الذي يقلده من خير او شر لانه بمنزلة طائر الزجر في البركة و
الشوم وفجر مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس
مطار حديد الفؤاد لانه طيار في جريه والجبل وتد من الاوتاد
الارض وجبل فلان على كذا اي طبع ورجل وجبلة اذا كان غليظ
الجسم والجبلة الامة من الناس واجبل الحافر اذا بلغ الى صلابة
لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول
والجزء بعض الشيء وجزاته بعضته والفرق بين الجزء والسهم ان
السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثنين من العشرة وقد يقال
الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلثة من العشرة لا ينقسم العشرة عليها وان
كانت الثلثة جزوا من العشرة الاعراب العامل في اذ في المعنى اذكر اي واذ
كر هذه القصة عن الزجاج ويجوز ان يكون عطفا على قوله الم تر الى الذي
حاج اي والم تر اذ قال وموضع كيف نصب بقوله يحيي الموتى والمعنى
باي حال

باي حال يحيي الموتى وقوله ليطمئن قلبي اللام يتعلق بمعنى ارني تقديره
ارني ليطمئن قلبي من الطير صفة لاربعة فعلى هذا يكون من للتبعيض والتبيين
ويجوز ان يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون الا للتبيين منهن اي جزوا من كل واحد
منهن فلما قدم على جزء وقع موقع النصب على الحال من جزء وقوله سعيا مصدر وقع
موقع الحال فكانه قال يسعين سعيا او ساعيات سعيا المعنى ثم ذكر سبحانه
ما اراه ابرهيم عيانا من احياء الموتى فقال واذ قال ابرهيم رب ارني كيف يحيي
الموتى اختلف في سبب سؤال ابرهيم ع هذا على وجوه احدها ما قاله الحسن والضحاك
وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم انه راى جيفة تمزقها السباع
فتاكل منها سباع البر وسباع الهوا ودواب البحر فسئل الله سبحانه ابرهيم فقال
يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر فارني
كيف تحييها لاعاين ذلك وثانيها ما روي عن ابن عباس وسعيد بن
جبير والسدي ان الملك بشر ابرهيم ع بان الله قد اتخذه خليلا وانه
يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسال الله ان يفعل ذلك ليطمئن
قال بانه قد اجاب دعوته واتخذه خليلا وثالثها ان سبب سؤال
منازعة نمرود اياه في الاحياء اذ قال انا احيي واميت واطلق محبوسا
وقتل انسانا فقال ابرهيم ع ليس هذا باحياء وقال يا رب ارني كيف
تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك وروي ان نمرود توعده بالقتل ان لم
يحي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبي اي بان لا
يقتلني الجبار عن محمد بن اسحق بن يسار ورابعها انه ع احب ان
يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال
والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا اقوى الوجوه

قال اولم تؤمن هذه الف استفهام ويراد به التقرير كقول الشاعر
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح اى قد امنت
لامح فلم تسال ذا وهذه الالف اذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله
سبحانه ءانت قلت للناس اى لم تقل قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي
بلى انا مؤمن ولكن سالت ذلك لازداد يقينا الى يقيني عن الحسن وقتادة
ومجاهد وابن جبير وقيل لاعاين ذلك ويسكن قلبي الى علم العيان بعد علم
الاستدلال وقيل ليطمئن قلبي بانك قد اجبت مسئلتي واتخذتني
خليلا كما وعدتني قال فخذ اربعة من الطير مختلفة الاجناس وانما
خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصته الطيران وقيل انها الحمام
والطاوس والديك والغراب امر ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها
هذا قول مجاهد وابن جريج وعطا وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله عم
فصرهن اليك اى قطعهن عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والحسن و
قيل معناه اضممهن اليك عن عطا وابن زيد وقد تقدم بيانه في وجه
القراءة ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا و
روي عن ابي عبد الله عليه السلم ان معناه فرقهن على كل جبل وكان
عشرة اجبل ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الاكبر وحلفهن بالعظمة
والجبروت ياتينك سعيا قال ففعل ابرهيم ع ذلك وفرقهن على
عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجبن باذن الله تعالى فكانت تجتمع
وياتلف لحم كل واحد وعظمه الى راسه وطارت الى ابرهيم وقيل ان
الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل كانت اربعة
عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الامكان

كانه

كانه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك
ويسال فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح كانه وجوابه
انه بذلك اراد الاشارة اليها والايماء ليقبل عليه اذا احياها الله و
قيل معنى الدعاء ههنا الاخبار عن تكوينها احياء كقوله كونوا قردة
خاسئين وقوله ائتيا طوعا او كرها عن الطبري وقول من قال انه
جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد من الصواب والفائدة لانه انما
طلب بالعلم به كونه قادرا على احياء الموتى عيانا وليس في اتيان طاير حي
اليه بالايماء ما يدل على ذلك وفي الكلام حذف كانه قال فقطعهن
ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا فان الله يحييهن فاذا
احياهن فادعهن فيكون الايماء اليها بعد ان صارت احياء
ففعل ابرهيم ذلك فنظر الى الريش يسعى بعضها الى بعض وكذلك العظام
واللحم ثم اتينه مشيا على ارجلهن فتلقى كل طاير راسه وذلك قوله
ياتينك سعيا وذكر عن النضر بن شميل قال سالت الخليل ابن احمد
عن قوله ياتينك سعيا هل يقال للطاير اذا طار سعى فقال لا قلت فما
معناه قال ياتينك وانت تسعى سعيا واعلم ان الله عزيز اى قوي — معناه
لا يعجزه شيء حكيم في اقواله وافعاله وقيل عزيز يذل الاشياء له ولا
يمتنع عليه شيء حكيم افعاله كلها حكمة وصواب ومما يسال في هذه
الاية ان يقال كيف اجيب ابرهيم الى الايات الاخرة دون موسى
في قوله انظر اليك وجوابه من وجهين احدهما انه سال اية لا يصح
معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التي لا يعترضها الشكوك
بوجه وابرهيم ع انما سال من شيء خاص يصح معه التكليف و — في بر ١

الاخوان الاحوال قد يختلف فيكون الاصلح فى بعض الاحوال
الاجابة وفى بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه اذن **قوله تعالى** مَثَلُ
الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اية **اللغة** النبت الحشيش
وكلما ينبت من الارض يقال نبت نبتا ونباتا وانبته الله انباتا
والينبوت شجر الخشخاش وانبت الغلام اذا راهق واستبان شعر
عانته والسنبلة على وزن فنعله لقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل و
لانه صار فيه الاسبال والمائة معروفة يقال امايك الغنم اذا بلغت مائة
وامايتها انا اى وفيتها مائة والمائى الامداد بين القوم **المعنى**
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله قيل تقديره مثل صدقات
الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون
كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها
على ما تقدم بيانه فالاية عامة فى النفقة فى جميع ذلك وهو المروى عن
ابى عبد الله عليه السلم واختاره ابو على الجبائى وقيل هى خاصة فى
الانفاق فى الجهاد فاما غيره من الطاعات فانما يجزى بالواحد
عشرة امثالها كمثل حبة انبتت اى اخرجت سبع سنابل فى كل
سنبلة مائة حبة يعنى ان النفقة فى سبيل الله بسبع مائة ضعف
ومتى قيل هل راى فى سنبلة مائة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه
ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرىء القيس ومسنونة زرق
كانياب اغوال وقوله طلعها كانه رؤس الشياطين وايضا فقد

داى ذلك فى الجاورس ونحوه والله يضاعف لمن يشاء اى يزيد على
سبعمائة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء
وروى عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وآله رب زد امتى فنزل قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال رب زد امتى فنزل انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله والله واسع عليم اى واسع
المقدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة وقيل واسع الرحمة اى
لا يضيق عن المضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل
عليم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصده من الانفاق
النظم اتصلت هذه الاية بقوله من ذا الذى يقرض الله
وما بين الايتين اعتراض بالاستدعاء الى الحق وبيان الحجج والعبر
عن على بن عيسى وقيل لما قص سبحانه ما فيه من البرهان على التوحيد
وما اتى رسله من البينات حث على الجهاد واعلم ان من عاند
بعد هذه الدلالات يجب قتاله حث على قتال من كفر بعد هذا
البرهان وبين ان فى جهادهم والنفقة فيه الثواب العظيم عن الزجاج
قوله تعالى الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ **اللغة** المن هو ذكر ما
ينغص المعروف كقول القايل احسنت الى فلان ونعشته ونحو
ذلك واصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع
ومنه قولهم حبل منين اى ضعيف لانه ينقطع ولا سمى ما يكدر المعروف

بانه منة لانه يقطع الحق الذى يجب به والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك
لانها تحل عن قطع الحق بها لعظمها والمنة القوة فى القلب والمن الذى
يقع من السماء والمن الذى يوزن به لانه يقطع على مقدار مخصوص
والاذى ضرر يتعجل وصوله الى المضرور والخوف توقع الضرر وهو
يرجع الى الاعتقاد والحزن الغم الذى يغلظ على النفس المعنى لما
امر الله سبحانه بالانفاق عقبه ببيان كيفية الانفاق فقال
الذين ينفقون اى يخرجون اموالهم فى سبيل الله وقد تقدم بيانه
ثم لا يتبعون ما انفقوا اى نفقاتهم منًّا اى منة على المعطى ولا اذًى
له والمن هو ان يقول له الم اعطك كذا الم احسن اليك الم اغنك و
نحوها والاذى ان يقول اراحنى الله منك ومن ابتلائى بك ويحتمل
ان يكون معنى الاذى ان يعبس وجهه عليه او يتعبه او يوذيه فيما
يدفعه اليه او يصرفه فى بعض اشغاله بسبب انفاقه عليه فكل هذا
من المن والاذى الذى يكدر الصنيعة وينغص النعمة ويبطل الاجر
والمثوبة وقوله لهم اجرهم عند ربهم قد مر تفسيره وقيل معناه لهم
جزاء اعمالهم عند ربهم وانما قال عند ربهم ليكون النفس اسكن اليه
واوثق به لان ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص ولا خوف
عليهم من فوت الاجر ونقصانه يوم القيمة ولا هم يحزنون لفوته
ونقصانه وفى هذه الاية دلالة على انه يصح الوعد بشرط لان
مفهوم الكلام ان تقديره فى المعنى ان لم يتبعوا ما انفقوا منًّا ولا
اذًى فلهم من الاجر كذا والوعد اذا كان مشروطا فمتى لم يحصل الشرط
لم يحصل استحقاق الثواب وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله

وسلم

وسلم انه قال المنان بما يعطى لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذاب
عظيم قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها
اذى والله غنى حليم اية اللغة الغنى الواسع الملك والله غنى بانه
مالك لجميع الاشياء لانه قادر عليها لا يتعذر عليه شئ منها والغنى ضد
الحاجة يقال غنى يغنى غناء واستغنى واغناه الله والغنى الكفاية للغنى به
عن غيره والغنية الاستغناء وقد غنى القوم اذا نزلوا فى مكان يغنيهم و
المكان الذى ينزلون به مغنى وقد غنى فلان غناء اذا بالغ فى التطريب
فى الانشاء حتى يستغنى الشعر ان يزاد فى نغمة وقد غنيت للمراة غنيانا
قال قيس بن الحطيم اجد بعمرة غنيانها فتهجر ام شاننا شانها غنيانها
غناها والغوانى النساء لانهن غنين بجمالهن وقيل بازواجهن و
الحليم مر ذكره المعنى قول معروف اى كلام حسن جميل لا وجه فيه
من وجوه القبح يرد به السائل وقيل معناه دعاء صالح نحو ان يقول
صنع الله بك واغناك الله عن المسئلة واوسع الله عليك الرزق
واشباه ذلك وقيل معناه عدة حسنة وقيل قول فى اصلاح
ذات البين عن الضحاك ومغفرة قيل فيه اقوال احدها ان معناه
سلامة من المعصية لان حالها كحال المغفرة فى الامان من العقوبة
عن الجبائى وثانيها ان معناه على السائل وسواله وثالثها ان معناه
عفو المسئول عن ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السائل
ان يسال فى غير وقته او يلحف فى سواله او يسئ الادب بان يفتح
الباب او يدخل الدار بغير اذن فالعفو عن ظلمه خير من صدقة
يتبعها اذى وانما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيرا من الصدقة

التى يتبعها اذى لان صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على
من ساله فى دنياه ولا على ثوابه فى عقابه والقول بالمعروف والعفو
طا لعنان يستحق الثواب عليهما وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال اذا سال السائل فلا تقطعوا عليه مسئلته حتى يفرغ منها ثم
ردوا عليه بوقار ولين اما ببذل يسير او رد جميل فانه قد ياتيكم من
ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى والله
غنى عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يامركم بها ولا بشئ منها لحاجة
منه اليها وانما امركم بها ودعاكم اليها لحاجتكم الى ثوابها حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يؤذى بصدقته ولو وقع ههنا
موقع حليم حميد او عليم لم يحسن **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان
عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما
كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين اية **اللغة** الرياء
المراءاة اصله من الرؤية كانه يفعل ليرى غيره ذلك وجمع فى رئاء الناس
بين همزتين ولم يجمع فى ذوايب وان حال بينهما الالف فى كلا الموضعين
لخفة الواحد ولانهما مفتوحتان فى الواحد فهو اخف لها والصفوان
واحدته صفوانة مثل سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهى
الحجر الاملس والصفا بمعنى الصفوان وذكر الكسائى فى جمع صفوان
صفى وانكر ذلك المبرد وقال انما هو جمع صفا مثل عصا وعصى وقفا
وقفى والتراب والترب واحد وترب الرجل اذا التصق بالتراب من الفقر

ومنه

ومنه قوله مسكينا ذا متربة لانه قعد على التراب للفقر واترب الرجل اذا
صار ماله بعدد التراب والترب اللذة وقيل فيه اقوال منها ان الاتراب
خرجوا الى التراب فى وقت من الزمان ومنها انهم صبيان يلعبون با [لتراب]
ومنها انهم فى الاشياء كالتراب والترائب عظام الصدر لانها
متشابهة والوابل المطر الشديد الوقع وبلت السماء تبل وبلا والوبيل
الشديد والوبال سوء العاقبة واصل الباب الشدة والصلد الحجر
الاملس قال الشاعر ولست بجلب جلب ريح وقرة ولا بصفا صلد
عن الخير معزل والصلد من الارض ما لا ينبت شيئا لصلابته والصلد
البخيل وصلد الزند صلودا اذا لم يور نارا وفرس صلود اذا ابطا
عرقه وقد صلد اذا ابطا عليها واصل الباب ملاسة فى صلابة
الاعراب الكاف فى قوله كالذى ينفق ماله رئاء الناس من الواو
فى يبطلوا ورئاء الناس مصدر وضع موضع الحال من الضمير فى ينفق
تقديره ينفق ماله مرائيا ويجوز ان يكون مفعولا له عليه تراب جملة
فى موضع جر بكونه صفة صفوان وصلدا حال من تركه وذو الحال
الهاء ولا يقدرون جملة فعلية فى موضع الحال والواو عائد الى معنى الذى
لانه جنسه لا الى لفظه **المعنى** ثم اكد سبحانه ما قدمه بما ضرب من
الامثال فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن اى بالمنة على السائل وقيل المنة على الله والاذى
يعنى باذى صاحبها ثم ضرب سبحانه مثلا لعمل المنان وعمل المنافق
جميعا فانهما اذا فعلا الفعل على غير الوجه المامور به فانهما لا يستحقان
ثوابا عليه وهذا هو معنى الابطال وهو ايقاع العمل على غير الوجه الذى

يستحق عليه الثواب فقال كالذى ينفق ماله رئاء الناس هذا يدخل
المؤمن فيه والكافر اذا اخرجا المال للرياء ولا يؤمن بالله واليوم الآخر
اى لا يصدق وحدانية الله ولا بالبعث والجزاء وقيل انه صفة المنافق
لان الكافر معلن غير مرائى فكل مرائى كافر ومنافق فمثله كمثل صفوان
اى حجر املس عليه تراب فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر شديد الوقع
فتركه صلدا اى حجرا صلدا املس شبه سبحانه فعل المنافق والمنان
بالصفا الذى ازال المطر ما عليه من التراب فانه لا يقدر احد على رد ذلك
التراب عليه كذلك اذا وقع للمنان صدقته وقرن بها المن فقد اوقعها
على وجه لا طريق له الى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذى
لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة لحدوث الافعال
فاذا فاتت فلا طريق الى تلافيها وليس فى الآية ما يدل على ان
الثواب الثابت المستقر يبطل ويزول بالمن فيما بعد ولا بالرياء
الذى فيما يستقبل من الاوقات على ما قاله اهل التوحيد لا يقدرون
على شئ مما كسبوا اى لا يقدر هؤلاء على نفقتهم ولا على
ثوابها ولا يعلمون اين النفقة واين ثوابها ولا يحصلون منها على شئ
كما لا يحصل احد على التراب اذ هبه المطر من الحجر فقد تضمنت الآية
والآى التى قبلها الحث على الصدقة والانفاق المال فى سبيل الخير
وابواب البر ابتغاء مرضات الله تعالى والنهى عن المن والاذى
والرياء والسمعة والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها ومما جاء
فى معناه من الحديث ما رواه ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و
آله قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا

يعبدون

يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فانى لا اقبل عملا
خالطه شئ من الدنيا واهلها وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اسدى الى مؤمن معروفا ثم اذاه
بالكلام او من عليه فقد ابطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا كالذى
ينفق ماله رئاء الناس الى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله عليه السلم
ما من شئ احب الى من رجل سلفت منى اليه يد اتبعه اختها وا
ربها له لانى رايت منع الاواخر يقطع لسان شكر الاوائل والله لا
يهدى القوم الكافرين اى لا يثيب الكافرين على اعمالهم اذ كان الكفر
محبطا لها ومانعا استحقاق الثواب عليها وانما يثيب المؤمنين
الذين يوقعون اعمالهم على الوجوه التى يستحق بها الثواب وقيل معناه
لا يهديهم الى الجنة باعمالهم كما يهدى المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم
لاهتدائهم بر
ما يعطى المؤمنين من زيادة الالطاف والتوفيق **قوله تعالى** ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها
ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير آية
القراءة قرا عاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء والباقون بضم الراء
وروى فى الشواذ عن ابن عباس بربوة بكسر الراء وقرا ابن كثير و
نافع وابو عمرو اكلها بالتخفيف وقرا الباقون بالتثقيل **اللغة**
الربوة بحركات الثلث فى الراء والرباوة والراوية قال ابو الحسن
والذى نختاره ربوة بضم الراء ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربى
فى الجمع والاكل الماكول ويدل على ذلك قوله تعالى تؤتى اكلها

كل حين اى ما يوكل منها قال الاعشى عبدك التالد الطريف من السادات
اهل القباب والاكال فالاكال جمع اكل مثل عنق واعناق والاكل
الفعل والاكلة الطعمة والاكلة الواحدة قال الشاعر ما اكلة ان نلتها
بغنيمة ولا جوعة ان جعتها بغرام فتح الالف من الفعلة بدلالة قوله
ولا جوعة وان شئت ضممت وعنيت الطعام وقال ابو زيد انه
لذو اكل اى له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشئ مثله زائدا
عليه وضعفاه مثلاه زائدين عليه وقال قوم ضعف الشئ مثلاه
والطل المطر الصغار يقال اطلت السماء فهى مطله وروضة طلة
ندية والطل ابطال الدم بان لا يثار لصاحبه طل دمه فهو مطلول
لانه بمنزلة ما جاء عليه الطل فاذهبه كانه قيل غسله والطلل ما
شخص من الدار لانه كموضع الندى بالطل لعمارة الناس له خلاف
المستوى القفر لان الخصب حيث تكون الابنية وصار الطلل
اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على الشئ وما بال الناقة طل اى
اى ما بها طرق وهو الشحم وطله الرجل امراته واصل الباب الطل المطر
الاعراب ابتغاء مرضات الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه
بربوة الجار والمجرور فى موضع الصفة وضعفين حال من اكل قال الزجاج
ارتفع طل على معنى فان لم يصبها وابل فى موضع جر لانها صفة بعد صفة
فالذى يصيبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدا محذوف ويجوز ان
يكون فاعل فعل مقدر اى فيصيبها طل المعنى ومثل الذين ينفقون
اى يخرجون اموالهم فى اعمال البر ابتغاء مرضات الله اى طلبا لرضاء
الله وتثبيتا من انفسهم بقوة اليقين والبصيرة فى الدين عن سعيد

فيه واصابها وابل فى موضع جر لانها صفة بعد صفة

بن جبير والسدى والشعبى وقيل معناه انهم يثبتون اين يضعون
صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطينا لنفوسهم على
الثبوت على طاعة الله عن ابى على الجبائى واعترض عن الحسن ومجاهد
بانه ولم يقل وتثبتا وليس هذا بشئ لانهم اذا ثبتوا انفسهم فقد
ثبتوا وقوله كمثل جنة بربوة معناه كمثل بستان بمرتفع من الارض
وانما خص الربوة لان نبتها يكون احسن وريعها اكثر من المستفل
الذى يسيل الماء اليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه الم تر الى قول الاعشى
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
فخص بها الحزن للمعنى الذى ذكرناه اصابها وابل اى اصاب هذه
الجنة مطر شديد فاتت اكلها ضعفين اى فاعطت غلتها ضعفى
ما يعطى اذا كانت بارض مستفلة ويحتمل ان يكون معناه مرتين
فى كل سنة واحدة كما قال سبحانه توتى اكلها كل حين باذن ربها
ومعناه كل ستة اشهر فيما روى وقال ابو عبد الله عليه السلم معناه
يتضاعف ثمرها كما يتضاعف اجر من انفق ماله ابتغاء مرضات
الله فان لم يصبها وابل اى مطر شديد فطل اى اصابها مطر
لين اراد به ان خيرها لا يخلف على كل حال والله بما تعملون بصير
معناه عالم باعمالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالمرائى والمخلص
وفيه ترغيب وترهيب قوله تعالى ايود احدكم ان تكون
له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له
فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله

لكم الايات لعلكم تتفكرون اية اللغة الجنة البستان
الكثير الشجر لان الشجر يجنه لكثرته فيه والنخيل معروف وقيل انه ماخوذ
من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخله
وهي شجرة التمر ويذكر ويونث قال الله سبحانه كانهم اعجاز نخل خاوية و
اعجاز نخل خاوية منقعر والانتخال الاختيار والمنخل النخير واصل الباب
النخل للدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب ورجل عناب عظيم
الانف وتحت نقيض فوق وفي الحديث لا يقوم الساعة حتى لا تظهر
التحوت اي الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يشعر بهم نذلا والانهار
جمع النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والاصابة الوقوع على
المقصد والكبر حال الزايدة على مقدار اخر والفرق الكبير والكثير ان
الكثير متضمن بعدد وليس كذلك الكبير يقول دار واحدة كبيرة ولا
يجوز كثيرة والضعف يجمع على ضعفاء وضعاف والاعصار غبار يلتف
بين السماء والارض كالتفاف الثوب في العصر قال الشاعر ان كنت ريحا
فقد لاقيت اعصارا والمعصرات السحب والفكر جولان القلب بالخواطر
يقال افكر وفكر وتفكر بمعنى الاعراب قوله ايود احدكم ان تكون
عطف عليه بماض فقال واصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك في يود لانه
يتلقى مرة بلو ومرة بان فجاز ان يقدر احدهما مكان الاخرى لاتفاق
المعنى فكانه قال ايود احدكم لو كانت له جنة قال علي بن عيسى وعندي
انه قد دل بان على الاستقبال وتضمن الكلام معنى لو على التمني كانه
قيل ايود احدكم متمنيا له والتمني يقع على الماضي والمستقبل الا ترى
انه يصح ان يتمنى ان كان له ولد ويصح ان يتمنى ان يكون له ولد والمحبة

لا يقع

لا يقع الا على المستقبل والفرق بين المودة والمحبة ان المودة قد يكون بمعنى
التمني نحو قولك اود لو قدم زيد بمعنى اتمنى لو قدم زيد ولا يجوز احب لو قدم
زيد ومن في قوله من نخيل للتبيين وهو في موضع صفة لجنة تجري من
تحتها الانهار جملة في موضع رفع بكونها صفة لجنة اذا اعادت الهاء
الى الجنة او في محل جر لكونها صفة لنخيل اذا اعادت الهاء الى نخيل المعنى
ايود احدكم ان تكون له جنة اي بستان من نخيل واعناب تجري من
تحتها الانهار اي يشتمل على النخيل والاعناب والانهار الجارية له فيها
من كل الثمرات واصابه الكبر اي ولحقه الشيخوخة وطعن في السن وله
ذرية ضعفاء اي اولاد صغار ناقصوا القوة فاصابها اي اصاب
تلك الجنة اعصار اي ريح شديدة تهب من الارض نحو السماء مثل
العمود ويسميها الناس الزوبعة فيه نار اي في ذلك الاعصار نار فاحترقت
تلك الجنة وهذا مثل ضربه الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة واختلف
فيه على وجوه احدها انه مثل للمرائي في النفقة لانه ينتفع بها عاجلا
وينقطع عنه اجلا احوج ما يكون اليه عن السدي وثانيها انه مثل
للمفرط في طاعة الله بملاذ الدنيا يحصل في الاخرة على الحسرة العظمى عن
مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي
له ذرية ضعفاء الى ثمار الجنة وقد احترقت فيكون اعظم حسرة لان
الكبير قد ييئس من سعي الشاب في كسبه فكان اضعف املا واشد
حسرة كذلك من لم يكن له في الاخرة عمل صالح يوصله الى الجنة فحسرته
مثل ذلك وثالثها انه مثل للذي يختم عمله بفساد عن ابن عباس و
كل هذه الوجوه يحتمله الاية كذلك اي البيان الذي بين لكم في امر

الصدقة وقصة ابرهيم ع والذى مر على قرية وجميع ما سلف يبين الله
لكم الايات اى الدلالات التى تحتاجون اليها فى امور دينكم لعلكم تتفكرون
اى تنظرون وتتفهمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه و
اعلموا ان الله غنى حميد اية الحجة قرا ابن كثير غير القواس ولا
تيمموا بتشديد التاء فيها وفى اخواتها وهى احد وثلثون موضعا من القران
والباقون تيمموا بالتخفيف الحجة كلاهما بمعنى واحد كان ابن كثير زد
حرف التاء الساقط فى القراءة الاخرى وادغم لانه كان فى الاصل تاان تاء المخاطبة
وتاء الفعل فحذف تاء الخطاب فى قراءة العامة لئلا يتكرر حرفان مثلان
ويخف الكلمة اللغة التيمم التعمد قال خفاف فعمدا على عمد تيممت الكا
وقال الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذى شزن
يقال امت الشى خفيفة ويممته واممته وتممته وتيممته بمعنى قصدته
ومنه الامام لانه المقصد المعتمد والامام ايضا خيط البناء لانه يمده و يعتمد
بالبناء عليه واليم لجة البحر لانه يعتمد به البعيد من الارض واليمام الحمام
لانها يعتمد الى اوكارها بحسن هدايتها والخبيث الردى من كل شى خبث
الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه ينفى الردى واصله الرداءة والاغماض
فى البيع الحط من الثمن لعيب فيه وذلك لاخفاء بعض الثمن بالحطاطة و
الغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض للعين لطباق الجفن
والغمض النوم والغمض المطمئن من الارض فاصل الباب الاخفاء
والاغماض غمض البصر واطباق جفن على جفن قال رؤبة ارق عينى

من الاغماض

من الاغماض برق سرى فى عارض نهاض ثم صار عبارة عن التسامح و
التساهل فى البيع الاعراب قال الفراء الاصل فى ان تغمضوا ان مكسورة الهمزة
لان الكلام فى معنى الجزاء وهو ان اغمضتم بعض الاغماض اخذ تموه ومثله الا
ان يخافا ان لا يقيما حدود الله وانكر ذلك المحققون قالوا ان هذه التى بمعنى
المصدر نحو ان تاتينى خير لك والمعنى ولستم باخذيه الا لاغماضكم فيه
النزول روى عن ابى عبد الله عليه السلم انها نزلت فى اقوام لهم اموال
من ربوا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وامر بالصدقة
من الطيب الحلال وقيل انها نزلت فى قوم كانوا ياتون بالحشف فيدخلونه
فى تمر الصدقة عن على عليه السلم والبراء بن عازب والحسن وقتادة
المعنى لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب ان ينوى
بالصدقة التقرب وان يحفظها مما يبطلها من المن والاذى بين سبحانه
صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعا فقال يا ايها
الذين امنوا خاطب للمؤمنين انفقوا اى تصدقوا من طيبات ما كسبتم
اى من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خيارة
وجيادة ونظيره قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن
عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا معشر
التجار انتم فجار الا من اتقى وبر وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا
وقال على عليه السلم تسعة اعشار الرزق فى التجارة والجزء الباقى فى السابيا
وروت عايشة عنه ع قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه وقال سعيد بن عمير سئل النبى اى كسب الرجل اطيب قال
عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال على عليه السلم من اتجر بغير فقه علم

ارتطم فى الربوا ثم ارتطم واختلفوا فى ذلك على وجوه فقيل هذا امر بالنفقة
فى الزكوة عن عبيدة السلمانى والحسن وقيل هو فى الصدقة المتطوع
بها لان المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان دينا
عليه الى ان يوديه بتمامه واذا كان مال المزكى كل رديا فجايز له ان يعطى
منه عن الجبائى وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرايض والنوافل والمراد
به الانفاق فى سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على ان ثواب
الصدقة من الحلال المكتسب اعظم منه عن الحلال الغير المكتسب وانما
كان ذلك لانه يكون اشق عليه ومما اخرجنا لكم من الارض اى و
انفقوا من الغلات والثمار مما يجب فيه الزكوة ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون اى لا تقصدوا الردى من المال اى مما كسبتموه او اخرجه الله تعالى
لكم من الارض فتنفقون منه وقيل المراد بالخبيث ههنا الحرام ويقوى
القول الاول قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه لان الاغماض لا يكون
الا فى الشئ الردى دون ما هو حرام وفيه قولان احدهما ان معناه لا تتصدقوا
بما لا تاخذونه من غرمائكم الا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض ههنا
المساهلة عن البراء بن عازب والاخر ان معناه بما لا تاخذونه الا ان تحطوا
من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتادة ومثله قول الزجاج ولستم
باخذيه الا بوكس فكيف تعطونه فى الصدقة واعلموا ان الله غنى عن صدقاتكم
حميد اى مستحق للحمد على نعمه وقيل مستحمد الى خلقه بما يعطيهم من النعم اى
مستدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحامد اى انه مع غناه عنكم
وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حكيم
كما ان حليما بالاية المتقدمة اليق من حميد لانه سبحانه لما امر بالانفاق

من طيبات

من الطيبات المكاسب من انه غنى عن ذلك وانه يحمد فاعله اذا فعله على
ما امره به ومعناه انه يجازيه عليه قوله تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله
واسع عليم اية اللغة الفقر الحاجة وهو ضد الغنى يقال افقره الله افقارا
وافتقر افتقارا لان الفقر بمنزلة كسر الفقار فى تعذر المراد والفقار عظام
منتظمة فى النخاع يسمى خرز الظهر واحدتها فقرة والافقار اعارة الدابة
لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية لانها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير و
عدته بالخير وعدا وعدة وموعدة وموعدا وموعودا وموعودة والفرق
بين الوعد والوعيد ان الوعيد فى الشر خاصة والوعد يصلح بالتقييد للخير
والشر معا غير انه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم التقييد كما يقال
وعدته ما شيئا لانه بمنزلة المطلق والفحشاء والفحش والفاحش البخيل
قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
وقال على بن عيسى الفحشاء المعاصى وانما سمى البخيل فاحشا لانه مسيئ
برده الاضياف والسؤال قال كعب اخى يا اخى لا فاحش عند بيته ولا
برم عند اللقاء هيوب المعنى ثم حذر سبحانه من الشيطان المانع عن
الصدقة قال الشيطان يعدكم الفقر بالنفقة فى وجوه البر وبانفاق الجيد
من المال وقيل بتادية الزكوة عليكم فى اموالكم ويامركم بالفحشاء اى بالمعاصى
وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الردى وسماه فحشا لان فيه
معصية الله تعالى فان الغنى اذا ترك الانفاق على ذوى الحاجات
من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى التقاطع والله يعدكم مغفرة منه اى
يعدكم بالانفاق من خيار المال ان يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم و

فضلا اى ويعدكم ان يخلف عليكم خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم
بالزيادة فى ارزاقكم وروى عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان
من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصى والفضل من الرزق
واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء وروى عن ابن
مسعود انه قال للشيطان لمة وللملك لمة وروى مثله عن ابى عبد الله
عليه السلم ثم قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره بالفاحشة ولمة
الملك امره بالانفاق ونهيه عن المعصية والله واسع عليم ذكرنا معناه
فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطى عن سعة بمعنى ان عطيته لا تضره ولا
ينقص خزاينه عليم بمن يستحق العطية ومن لا يستحقها قوله تعالى يؤتى
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما
يذكر الا اولوا الالباب اية القراءة قرا يعقوب من يؤت بكسر
التاء والباقون بفتحها الاعراب من كسر التاء فانه اراد من يؤته الله الحكمة
ففاعل يؤتى الضمير المستكن فيه العايد الى الله تعالى كما هو فى قوله يؤتى
الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يؤته الله وحذف الضمير
المفعول الذى هو الهاء العايد الى من الذى هو للجزاء وهو فى موضع الرفع
بالابتداء كما حذف الضمير العايد الى الموصول فى نحو قوله اهذا الذى
بعث الله رسولا والاولى ان يكون من على هذه القراءة موصولة ليكون
بمعنى الذى لا بمعنى الجزاء واقول وبالله التوفيق يجوز ان يكون من للجزاء
هنا ويكون فى موضع نصب بكونه مفعولا اول ليؤتى ولزمه التقديم
على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام
ومثله من فى قول زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته

ومن

ومن تخطى يعمر فيهرم ومن قرا ومن يؤت بفتح التاء فاسم ما لم يسم فاعله هو
الضمير المستكن العايد الى من ويؤت مجزوم بمن والجزاء فقد اوتى خيرا المعنى
ثم وصف سبحانه نفسه فقال يؤتى الحكمة اى يعطى الله الحكمة من يشاء و
ذكر فى معنى الحكمة وجوه قيل انه علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه
ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس وابن مسعود
وقيل هو الاصابة فى القول والفعل عن مجاهد وقيل انه علم الدين عن ابن زيد
وقيل هو النبوة عن السدى وقيل هو المعرفة بالله عن عطا وقيل هو الفهم
عن ابرهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القران والفقه عن ابى
عبد الله عليه السلم وروى ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذى تعظم
منفعته وتجل فايدته وهذا جامع للاقوال وقيل هو ما اتاه الله انبياءه
واممهم من كتبه واياته ودلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه
وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء عن ابى على الجبائى وانما قيل للعلم
حكمة لانه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح
ويروى عن النبى انه قال ان الله اتانى القران واتانى من الحكمة مثل القران
وما من بيت ليس فيه شىء من الحكمة الا كان خرابا الا فتفقهوا وتعلموا
ولا تموتوا جهالا ومن يؤت الحكمة اى ومن يعطيه ما ذكرنا فقد اوتى
فقد اعطى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب اى وما يتعظ بايات
الله الا ذووا العقول فان قيل لم عقد باولى الالباب التذكر وكل مكلف
ذو لب قيل لم يطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة
فلذلك عقد التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما يوجبه عقولهم
من طاعة الله فى كل ما امر به ودعا اليه وسمى العقل لبا لانه انفس ما فى

الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها **قوله تعالى** وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ آية
اللغة النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك الا بقوله لله على كذا او لا يثبت بغير هذا اللفظ واصل النذر الخوف لانه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الامر ومنه نذر الدم وهو العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معديكرب هم ينذرون دمي وانذر ان لقيت بان اشدا يقال نذرت النذر انذره وانذره ومنه الانذار وهو الاعلام بموضع العدو والخوف لتتقي والانصار جمع نصير مثل شريف واشراف والنصير هو المعين على العدو ما بمعنى الذي وما بعدها في صلتها والعائد اليها ضمير المفعول المحذوف من انفقتم تقديره وما انفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فان الله يعلم والعائد من المبتدا الى الخبر الهاء في يعلمه ولا يجوز ان يعود الى النفقة لانها مونثة ولا الى النفقة والنذر لان ذلك يوجب التثنية واقول يجوز ان يكون ما للجزاء فيكون منصوبا بانفقتم ولا يحتاج فيه الى حذف المفعول فيكون التقدير اي شيء انفقتم او نذرتم والفاء في موضع الجزاء ومن نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من انفقتم من نفقة اي ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل معناه ما انفقتم في وجوه الخير وسبل البر من نفقة واجبة او مندوب اليها او نذرتم من نذر او ما اوجبتموه انتم على انفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلوة او صوم او صدقة ونحو ذلك فان الله يعلمه معناه يجازي عليه لانه عالم به فذكر العلم على تحقيق الجزاء ايجازا للكلام وما للظالمين اي ليس للواضعين النفقة والنذر في غير موضعهما مثل ان ينفق رياء او ضرارا او شقاقا او من مال مغصوب او ماخوذ من غير حله او ينذر في معصيته او يترك الوفاء به مع القدرة عليه من انصار من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم
قوله تعالى إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ آية **القراءة** قرا ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنعما بفتح النون وكسر العين وقرا اهل المدينة غير ورش وابو عمرو ويحيى بكسر النون وسكون العين وقرا الباقون نعما بكسر النون والعين وكذلك في النساء نعما يعظكم به وقرا اهل المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرا ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع
الحجة من قرا فنعما فحجته ان اصل الكلمة نعم فجاء بالكلمة على اصلها كما قال نعم الساعون في الامر المبر ومن قرا فنعما بسكون العين لم يكن قوله مستقيما عند النحويين لان فيه الجمع بين الساكنين الاول منهما ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين انما يجوز عندهم هناك نحو دابة واصيم وتامرونا لان ما في الحرف من المد يصير عوضا من الحركة وقد انشد سيبويه شعرا قد اجتمع فيه الساكنان على حد ما اجتمعا في نعما وهو كانه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر وانكره اصحابه ولعل من قرا فنعما فانه اتبع به اخفى ذلك كاخذه في الاخفاء في نحو بارئكم فظن السامع الاخفاء اسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرا فنعما فانه اتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين واختار ابو عبيد قراءة ابي عمرو وقال هي لغة النبي صلى الله عليه وآله في قوله لعمرو بن

ددو للظالمنا المعنى ثم غا دسبحانه الذي ذكر الانفاق والترغيب فيه فقال وما انفقتم

النفقة

٣٦٧

عاص نعما المال الصالح للرجل الصالح هكذا روى في الحديث بسكون العين
وقوله ويكفر من رفعه فعلى وجهين احدهما ان يكون خبر المبتدا المحذوف
تقديره ونحن نكفر عنكم والآخر ان يكون كلاما مستانفا مقطوعا عما قبله
ولا يكون الحرف العاطف للاشتراك ويكون لعطف جملة على جملة واما
من جزم فانه يحمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرا من يضلل الله
فلا هادى له ويذرهم لان قوله فلا هادى له في موضع جزم مثل قوله فهو خير لكم
واما الياء والنون في قوله ويكفر فمن قال ويكفر فلان ما بعده على لفظة
الافراد ومن قال نكفر فانه اتى بلفظ الجمع ثم افرد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع قوله
سبحان الذى اسرى بعبده ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا اللغة الفرق
بين الصدقة والزكوة ان الزكوة لا يكون الا فرضا والصدقة قد يكون فرضا
وقد يكون نفلا والاخفا الستر والخفى الاظهار خفاه يخفيه خفيا اى اظهره
قال امرؤ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفيه وان تبعثوا الحرب لا نقعد والخوافى
من الريش ما دون القوادم لانها تخفى بها والخفية عرين الاسد لانه يختفى
واصل الباب الستر والابداء والاظهار والاعلان نظاير والاخفاء و
الاسرار والاغماض نظاير الاعراب قوله فنعما هى تقديره ان تبدوا الصدقات
فنعم شيئا ابداؤها فما ههنا نكرة وهى في موضع نصب لانه تفسير الفاعل
المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح وحذف المضاف الذى
هو الابداء واقيم المضاف اليه الذى هو ضمير الصدقات مقامه لما في
الكلام من الدلالة عليه ولان الفعل المتقدم يدل على مصدره ولان قوله
وان تخفوها فهو خير لكم اى الاخفاء خير لكم فكما ان ههنا ضمير الاخفاء
كذلك يجب ان يكون ضمير الابداء مرادا هناك المعنى ثم ذكر سبحانه ثم

صفة

صفة الانفاق ورغب فيه بقوله ان تبدوا الصدقات معناه ان تظهروا
الصدقات وتعلنوها فنعما هى اى فنعم هى الشى ونعم الامر اظهارها
واعلانها اى ليس في ابدائها كراهة وان تخفوها اى تسروها وتؤتوها
الفقراء اى تعطوها الفقراء وتؤدوها اليهم في السر فهو خير لكم اى فالاخفاء
خير لكم وابلغ في الثواب واختلفوا في الصدقة التى يكون اخفاؤها
افضل من ابدائها فقيل ان صدقة التطوع اخفاؤها افضل لانه يكون
ابعد من الريا واما المفروض فلا يدخله الريا ويلحقه تهمة المنع باخفائها
فاظهارها افضل عن ابن عباس والثورى وكذا رواه على بن ابراهيم
باسناده عن الصادق عليه السلام فالزكوة المفروضة تخرج علانية
وتدفع علانية وغير الزكوة ان دفعه سرا فهو افضل وقيل الاخفاء
في كل صدقة من زكوة وغيرها افضل عن الحسن وقتادة وهو الاشبه
بعموم الآية ونكفر عنكم من سيئاتكم معناه ونمحو عنكم خطاياكم ونغفرها لكم
ومن قرا بالرفع فمعناه نحن نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم
ودخلت من للتبعيض واحتج به من قال المراد بالسيئات الصغاير
فاما على مذهبنا فاسقاط العقاب تفضل من الله فله ان يتفضل
باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافاد انه يسقط جميع العقاب
وقال بعضهم ان من زايدة وقد يقال كل من طعامى وخذ من مالى
ما شئت فيكون للتعميم والاولى ومما جاء في الحديث في صدقة
السر قوله صلى الله عليه وآله صدقة السر تطفى غضب الرب وتدفع
الخطيئة كما يدفع الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء وقوله
صلى الله عليه وآله سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام

العادل وشاب نشا في عبادة الله تعالى ورجل قلبه متعلق بالمساجد
حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته
امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله عز وجل ورجل تصدق
بصدقة فاخفاها حتى لم يعلم يمينه ما ينفق شماله ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه والله بما تعملون خبير معناه انه تعالى عالم بما تعملون
في صدقاتكم من اخفاها واعلانها لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم
على جميعه **قوله تعالى** ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي
من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون اية
الاعراب ما تنفقوا من خير فلانفسكم شرط وجزاء وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله قيل لفظه نفي ومعناه النهي اي لا تنفقوا كقوله تعم
لا يمسه الا المطهرون وقيل هي جملة مقيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها
وهو خبر على ظاهره وابتغاء نصب لانه مفعول له وما تنفقوا من خير
يوف اليكم شرط كالاول ولذلك حذف النون في الموضعين **النزول**
كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة على غير اهل دينهم فانزل الله تعالى
هذه الاية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير وقيل كانت
اسماء بنت ابي بكر مع رسول الله صلى الله عليه واله في عمرة القضاء
فجاءتها امها قتيلة وجدتها يسالانها وهما مشركتان
فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه واله
فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله هذه الاية
عن الكلبي **المعنى** ليس عليك هديهم قيل في وجه اتصاله بما قبله

وجوه

وجوه احدها ان معناه ليس عليك هديهم بمنع الصدقة عنهم
لتحملهم به على الايمان وهو نظير قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا يكون معناه الاباحة
للتصدق عليهم بصدقة التطوع وثانيها ان معناه ليس عليك هديهم
بالحمل على النفقة في وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وابي علي الجبائي
وتقديره ليس عليك هديهم الى نيل الثواب والجنة وانما عليك
ان تهديهم الى الايمان بان تدلهم عليه وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه
واله لانه كان يغتم بترك قبولهم منه وامتناعهم عن الايمان لعلمه بما
يؤول اليه امرهم من العقاب الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول
وثالثها ان المراد ليس عليك ان يهتدي الناس بك بعد ان دعوتهم
وانذرتهم وبلغتهم ما امرت بتبليغه ونظيره ان عليك الا البلاغ
وليس المعنى ليس عليك ان تهديهم الى الايمان والطاعة لانه عليه السلم
ما بعث الا لذلك ولكن الله يهدي من يشاء انما علق الهداية بالمشيئة
لمن كان المعلوم منه انه يصلح باللطف اي يلطف الله بزيادة الهدى
والتوفيق لمن يشاء عن الزجاج وابي القاسم البلخي واكثر اهل العلم
وقيل معناه يهدي الى طريق الجنة عن الجبائي وما تنفقوا من خير
فلانفسكم اي ما تنفقوا في وجوه البر من مال فلانفسكم ثوابه والغرض
فيه الترغيب في الانفاق لان الانسان اذا علم ان منفعة انفاقه
عائدة عليه مختصة به كان اسمح بالانفاق وارغب فيه واحرص عليه
وبذلك يفارق عطية الله تعالى لان المنفعة في عطائه سبحانه عائدة
الى المعطى ومختصة به دون الله تعالى ومعظم المنفعة في عطية العبد

طلب
يرجع اليه ويختص به دون المعطى وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اى الا
رضوان الله وفى ذكر الوجه هنا قولان احدهما ان المراد منه تحقيق الاضافة
لان ذكر الوجه يرفع الابهام انه ولغيره وذلك انك لما ذكرت الوجه ومعناها
النفس دل على انك تصرف الوهم عن الاشتراك الى تحقيق الاختصاص
وكنت بذلك محققا للاضافة ومزيلا للابهام الشركه والثانى انك
اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف فى الذكر من فعلته لان وجه الشى
فى الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق
وجه الا ترى انك تقول وجه الراى ووجه الامر ووجه الدليل فلا
تريد تحقيق الوجه وانما تريد اشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن
بيانه وما تنفقوا من خير يوف اليكم اى يوفر عليكم جزاوه وثوابه و
التوفية اكمال الشئ وانما حسن اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى
التاوية وقيل معناه يعطون جزاوه وافيا وافرا فى الاخرة عن ابن عباس
وانتم لا تظلمون بمنع ثوابه ولا بنقصان جزائه كقوله اتت اكلها ولم
تظلم منه شيئا اى ولم تنقص قوله تعالى للفقراء الذين احصروا
فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس
الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم اية القراءة
قرا حمزه وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القران و
الباقون بكسرها اللغة قال ابو زيد حسبت الشئ احسبه واحسبه حسبانا
وحسبت الشئ احسبه حسبانا وحسابة وحسابا واحسبت الرجل
احسابا اذا اطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتعطيه حتى يرضى والاحصار

وهذا اخبار من الله تعالى عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ورسوله
انهم لا ينفقون الا ابتغاء رضوان الله سبحانه وقيل ان معناه النهى وان كان ظاهره الخبر
اى لا تنفقوا الا ابتغاء رضوان الله

المنع

المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة والحصر هو منع الغير وليس
كالاول لانه منع الغير وقد تقدم تفسيره عند قوله فان احصرتم والضرب
المشى فى الارض والسيما العلامة التى يعرف بها الشئ واصله الارتفاع
لانه علامة رفعت للظهور ومنه السوم فى البيع وهو الزيادة فى مقدار الثمن
للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الخسف للرفع فيه بحتمل ما يشق ومنه
سوم الماشية ارسالها فى المرعى والتعفف ترك السوال يقال عف
عن الشئ وتعفف عنه اذا تركه ومنه قول ذوبة فعف عن اسرارها
بعد العنق اى تركها والالحاف الالحاح فى المسئلة قال الزجاج معنى
الحف شمل بالمسئلة وهو مستغن عنها واللحاف من هذا اشتقاقه
لانه يشمل الانسان فى التغطية الاعراب العامل فى قوله للفقراء محذوف
تقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود
على اللام الاولى من قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم قال على بن عيسى
وهذا لا يجوز لان بدل الشئ من غيره لا يكون الا والمعنى يشتمل عليه
وليس كذلك ذكر النفس ههنا لان الانفاق لها من حيث هو عائد
عليها وللفقراء وقد تقدم من حيث هو واصل اليهم وليس من باب
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لان الامر لازم
للمستطيع خاصة ولا يجوز ان يكون العامل فيه تنفقوا الا انه لا يفصل
بين العامل والمعمول وبالاجنبى كما لا يجوز زكات زيد الحمى تاخذ لا
يستطيعون ضربا جملة فى موضع الحال من احصروا وضربا مفعول
يستطيع يحسبهم الجاهل فى موضع الحال ايضا وذو الحال الفقراء والحافا
مصدر وضع موضع الحال من يسئلون اى لا يسئلون ملحفين ويجوز

ان يكون مصدرا لان الالحاف سؤال على صفة **النزول** قال ابو جعفر
نزلت الاية فى اصحاب الصفة وكذلك رواه الكلبى عن ابن عباس وهم نحو
من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون اليهم
فجعلوا انفسهم فى المسجد وقالوا نخرج فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى
الله عليه واله فحث الله الناس عليهم وكان الرجل اذا اكل وعنده فضل
اتاهم به اذا امسى **المعنى** لما امر سبحانه بالنفقة ورغب فيها بابلغ
وجوه الترغيب وبين ما يحصل ثوابها عقب ذلك ببيان افضل الفقراء
والذين هم مصرف الصدقات فقال للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله
معناه النفقة المذكورة فى هذه الاية وما قبلها للفقراء الذين حبسوا
ومنعوا فى طاعة الله تعالى اى منعوا انفسهم من التصرف فى التجارة
للمعاش اما لخوف العدو من الكفار واما للمرض والفقر واما للاقبال
على العبادة وقوله فى سبيل الله يدل على انهم حبسوا انفسهم عن التقلب
لاشتغالهم بالعبادة والطاعة لا يستطيعون ضربا اى ذهابا وتصرفا فى
الارض لبعض ما ذكرناه من المعانى وقيل لمنعهم انفسهم من التصرف
فى التجارة اى الزموا انفسهم الجهاد فى سبيل الله فلا يقع منهم التصرف
لغيره وليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما يقال امرنى الامير بالمقام
فى هذا الموضع فلا استطيع ان ابرح منه اى لا ابرح منه لالزامى نفسى طاعة
الامير يحسبهم الجاهل اى يظنهم الجاهل بحالهم وباطن امورهم اغنياء من
التعفف اى الامتناع من السؤال والتجمل فى اللباس والستر لما هم فيه من
الفقر وسوء الحال طلبا لرضوان الله وطمعا فى جزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم
اى تعرف حالهم بالنظر الى وجوههم لما يرى من علامة الفقر عن الشدى

والورع

والورع وقيل ما ترى من التخشع والخضوع الذى هو شعار الصالحين عن
مجاهد لا يسألون الناس الحافا قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا
وليس معناه انهم يسألون من غير الحاف عن ابن عباس وهو قول
الفراء والزجاج واكثر ارباب المعانى وفى الاية ما يدل عليه وهو قوله
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فى المسئلة ولو كانوا يسألون
لم يكن يحسبهم الجاهل اغنياء لان السؤال فى الظاهر يدل على الفقر وقوله ايضا
يعرفهم بسيماهم ولو سألوا لعرفوا بالسؤال قالوا وانما هو كقولك ما رأيت
مثله وانت لم ترد ان له مثلا ما رأيته وانما تريد انه ليس له مثل فترى
معناه لم يكن سؤال فيكون الحاح كقول الاعشى لا يغمز الساق من اين ومن
وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر ومعناه ليس بساقه اين ولا
وصب فيغمزها ليس ان هناك اينا ولا يغمز وفى الحديث ان الله تعالى
يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس ويحب الحليم
المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف وعنه
عليه السلم قال ان الله كره لكم ثلثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ونهى عن عقوق الامهات وواد البنات وعن منع وهات وقال
عليه السلم الايدى ثلثة فيد الله العليا ويد المعطى التى تليها ويد السائل
السفلى الى يوم القيمة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته كدوحا او
خموشا او خدوشا فى وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما او عدلها
من الذهب وما تنفقوا من خير من مال وقيل معناه فى وجوه البر والخير
فان الله عليم اى يجازيكم عليه **قوله تعالى** الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية **الاعراب** سرا وعلانية حالان من
ينفقون وتقديره مسرين ومعلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر
عند ربهم ظرف مكان والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم **النزول**
قال ابن عباس نزلت الآية في علي عليه السلم كانت معه اربعة دراهم
فتصدق بواحد نهارا وبواحد ليلا وبواحد سرا وبواحد علانية وهو
المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وروي عن ابي ذر و
الاوزاعي انها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله وقيل هي في كل من
انفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وعلى هذا فانا نقول الآية نزلت
في علي عليه السلم وحكمها ساير في كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق
الى ذلك **المعنى** ثم بين سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية في هذه الحالات اي ينفقون على
الدوام لان هذه الاوقات متعينة للصدقات ولا وقت لها سواها
فلهم اجرهم عند ربهم اتى بالفاء ليدل على ان الاجر انما هو من اجل الا
في طاعة الله ولا يجوز ان يقال زيد فله درهم لانه ليس فيه معنى الجزاء
ولا خوف عليهم من اهوال يوم القيمة وافزاعها ولا هم يحزنون فيها و
قيل لا خوف عليهم من فوت الاجر ونقصانه ولا هم يحزنون على ذلك
قوله تعالى الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما
البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون آية **اللغة** اصل الربا الزيادة من قولهم

ربى الشيء يربو اذا زاد والربا هو الزيادة على راس المال واربى الرجل اذا عامل
في الربا ومنه الحديث من اجبى فقد اربى واصل التخبط الخبط وهو الضرب
على غير استواء خبطته اخبطه خبطا والخبط ضرب البعير الارض بيديه
والتخبط ايضا بمعناه يقال تخبط البعير الارض اذا ضربها بقوائمه ويقال
للذي يتصرف في امر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء والتخبط المس بالجنون
او التخبيل لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش والخباط داء كالجنون
لانه اضطراب في العقل يقال به خبطة من جنون ويقال بفلان مس والس
واولق اي جنون والسلوف التقدم يقال سلف يسلف سلوفا ومنه الامم
السالفة اي الماضية والسالفة اعلى العنق والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق
يقال اسلفته المال اسلافا وسلافة الخمر صفوها لانه اول ما يخرج من عصيرها
والعود الرجوع وعيادة المريض المصير اليه ليعرف خبره والعود من العيدان
لانه يعود اذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والمعاد كل شيء اليه المصير والآخرة
معاد الناس والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لانه يعود
في السنة او الاسبوع والعائدة الصفة لانها تعود بالنفع على صاحبها **الاعراب**
كما يقوم الكاف في محل النصب على المصدر والموصول حرف تقديره لا يقومون
الا مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان من المس يتعلق بيتخبطه ومن للتبيين
المعنى لما حث الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق فيه من
الاجر العاجل والآجل عقبه بذكر الربوا الذي ظنه الجاهل زيادة في المال
وهو في الحقيقة محق في المال فقال الذين يأكلون الربا في الدنيا لا يقومون
يوم القيمة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس معناه الا مثل ما يقوم
الذي يصرعه الشيطان من الجنون ويكون ذلك امارة لاهل الموقف على

انهم اكلوا الربا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتاده ومجاهد
وقيل هذا على وجه التشبيه لان الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة و
لكن من غلب عليه مرة السودا او ضعفت ربما يخيل الشيطان امورا هايلة
ويوسوس اليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله تعالى ونسب ذلك
الى الشيطان مجازا لما كان ذلك عند وسوسة عن ابى على الجبائى وقيل
يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان فى بعض الناس دون بعض عن
ابى الهذيل وابن الاخشيد قالا لان الظاهر من القران يشهد به وليس فى العقل
ما يمنع منه ولا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة
لبعضهم على ذنب الم به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه
وياخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لاكلى الربا يعرفون
بها يوم القيمة كما ان على كل عاص من معصيته علامة تليق به يعرف بها
صاحبها وعلى كل مطيع من طاعته امارة تليق به يعرف بها صاحبها وذلك
معنى قوله سبحانه فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال النبى صلى
الله عليه واله فى شهداء احد زملوهم بدمائهم وثيابهم وقال عليه السلام
يبعث امتى يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء وروى عنه عليه السلام
انه قال لما اسرى بى الى السماء رايت رجالا بطونهم كالبيوت فيها الحيات
ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء اكلة الربا
ورواه اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
واله لما اسرى بى الى السماء رايت اقواما يريد احدهم ان يقوم ولا يقدر عليه من
عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس واذا هم بسبيل ال فرعون يعرضون

على

على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة والوعيد فى الاية متوجه
الى كل من اربى وان لم ياكله ولكنه سبحانه بذكر الاكل على ساير وجوه الانتفاع
بمال الربوا وانما خص الاكل لانه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله تعالى
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
الاية والمراد بالاكل فى الموضعين ساير وجوه الانتفاع دون حقيقة الاكل
ذلك اى ذلك العقاب لهم بانهم قالوا انما البيع مثل الربا معناه بسبب قولهم
انما البيع الذى لا ربوا فيه مثل البيع الذى فيه الربوا قال ابن عباس كان
الرجل منهم اذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب له زدنى فى الاجل
وازيدك فى المال فيتراضيان عليه ويعملان به فاذا قيل لهم هذا ربوا
قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة فى الثمن حال البيع والزيادة فيه
بسبب الاجل عند محل الدين سواء فذمهم الله به والحق الوعيد بهم وخطاهم
فى ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربا اى احل الله البيع الذى لا ربوا فيه
وحرم البيع الذى فيه الربا والفرق بينهما ان الزيادة فى احدهما لتاخير الدين
وفى الاخر لاجل البيع وايض فان البيع بدل لبدل لان الثمن فيه بدل المثمن
والربا زيادة من غير بدل للتاخير فى الاجل وزيادة فى الجنس والمنصوص عن
النبى صلى الله عليه واله تحريم التفاضل فى ستة اشياء الذهب والفضة
والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال عليه السلام الا مثلا بمثل
يدا بيد من زاد واستزاد فقد اربى لا خلاف فى حصول الربوا فى هذه الاشياء
الستة وغيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم وعندنا
ان الربا لا يكون الا فيما يكال او يوزن واما علة التحريم اى تحريم الربا فقد
قيل هى ان فيه تعطيل المعايش والاجلاب والمتاجر اذا وجد المربى من

يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال الصادق عليه السلام انما شدد في تحريم
الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفدا فمن جاءه موعظة
من ربه معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه فانتهى اي فانزجر وتذكر
واعتبر فله ما سلف معناه فله ما اخذ واكل من الربا قبل النهي لا يلزمه رده
قال الباقر عليه السلام من ادرك الاسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية
وضع الله عنه ما سلف وقال السدي معناه له ما اكل وليس عليه رد ما
سلف فاما من لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله راس المال وقوله
جاءه موعظة وقال في موضع اخر قد جاءتكم موعظة لان تانيثه غير حقيقي
فان الموعظة والوعظ بمعنى واحد وامره الى الله معناه وامره بعد مجيء الموعظة
والتحريم والانتهاء الى الله تعالى ان شاء عصمه عن اكله وثبته في انتهائه عنه
وان شاء خذله وقيل معناه امره في حكم الاخرة الى الله تعالى ان لم يتب وهو
غير مستحل له ان شاء عذبه بعدله وان شاء عفى عنه بفضله وقيل معناه
وامره الى الله فلا يواخذه بما سلف من الربا ومن عاد الى اكل الربوا بعد
التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من ان البيع مثل الربوا فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لان ذلك القول لا يصدر الا من
كافر مستحل للربا فلهذا توعد بعذاب الابد ولا خلاف بين الفقهاء
ان الربا محرم في النقد والنسيه وقال بعض من تقدم لا ربوا الا في النسيه
واما اهل الجاهلية فانهم كانوا يربون بتاخير الدين عن محله الى محل اخر
بزيادة فيه ولا خلاف في تحريمه ومما جاء في الحديث في الربا ما روي
عن علي عليه السلام قال لعن رسول الله صلى الله عليه واله في الربوا
خمسة اكله وموكله وشاهديه وكاتبه وعنه عليه السلام قال اذا اراد

الله

الله بقرية هلاكا ظهر فيهم الربا وعنه عليه السلام قال الربا سبعون بابا
اهونها عند الله تعالى كالذي ينكح امه وروى جميل بن دراج عن ابي عبد الله
عليه السلام قال درهم ربوا اعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات
محرم في بيت الله الحرام قوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات
والله لا يحب كل كفار اثيم ايه اللغة المحق نقصان الشيء حالا
بعد حال يقال محقه الله يمحقه محقا فانمحق وامتحق اي هلك وتلف
بذهابه حالا بعد حال والمحاق اخر الشهر لانمحاق الهلال فيه والاثيم
المتمادي في الاثم والاثم الفاعل للاثم المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم
بقوله يمحق الله اي ينقص الله الربوا حالا بعد حال الى ان يتلف المال كله و
قال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب ببركته وقيل للصادق عليه السلام
وقد نرى الرجل يربي فيكثر فقال يمحق الله دينه وان كثر ماله وقال
ابو القسم البلخي يمحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه وتسميته
بالفسق ويربي الصدقات اي وينمي الصدقات ويزيدها بان ينمو
المال في نفسه في العاجل وبالاجر عليه والثواب في الاجل وذلك
بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها وقد روي عن النبي صلى الله
عليه واله انه قال ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب و
يربيها لصاحبها كما يربي احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل
احد والنكتة في الاية ان المربي انما يطلب في الربوا زيادة المال ومانع
الصدقة انما يمنعها لطلب زيادة المال فبين الله سبحانه ان الربا
سبب النقصان دون النماء وان الصدقة سبب نماء دون النقصان
والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر وهو المقيم عليه المتمسك به

المعتاد له ومعناه والله يبغض كل كفار لنعمته وباستحلال الربوا منهمك
في فوائته متماد في اثمه باكله وانما لم يقل كل كافر لانه اذا استحل الربوا صار
كافرا واذا اكله للربوا مع الاستحلال فقد ضم كفرا الى كفر وانا استحل الربوا
ولم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المذمة ما يلحقه من جمع بين الامرين فالجامع
بين الامرين يستدعي من غضب الله ما لا يستدعي عنه احد الامرين و
روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى
احد الا اكل الربوا فمن لم يأكله اصابه من غباره **قوله تعالى** ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
آية **المعنى** هذه الآية ظاهرة المعنى وقد تقدم تفسيرها وانما جمع
بين هذه الخصال لا لان الثواب لا يستحق على كل واحدة منها اذ لو كان
كذلك لكان فيه تصغيرا من كل واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب
في الاعمال الصالحة والتفخيم لامرها والتعظيم لشأنها ولبيان ان الجمع
بين هذه الخصال اعظم اجرا من الافراد بواحدة منها ونظيره قوله
سبحانه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس الآية
فجمع بين هذه الخصال في الوعيد ليبين ان الوعيد يستحق بكل واحدة
منها وللتحذير عن كل خصلة منها لان المعلوم ان من دعا مع الله الها
آخر لا يحتاج الى شرط عمل آخر في استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما
يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها وقد ذكرنا
ان امثال هذه الآية تدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح ولا
مشتملا عليها اذ لو كان كذلك لما كان يعطفها عليه معنى لان الشيء

لا يعطف

لا يعطف على نفسه فان قالوا ان ذلك يجري مجرى قوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فالقول ان الخلاف
هنا كالخلاف هناك لان التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه وانما
هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه الآية
وامثالها على بطلان التحابط لانه سبحانه ضمن الثواب بنفس هذه
الخصال ولم يشترط ان لا يؤتى بما يحبطها فان قالوا ان ذلك لا بد
من هذا الشرط كما ان الوعيد على الكفر لا بد من ان يكون مشروطا بارتفاع
التوبة والجواب ان التوبة انما صارت شرطا هناك لمكان اجماع المسلمين
لا لان التوبة مسقطة للعقاب وانما وعد الله سبحانه باسقاط
العقاب وانما وعد الله سبحانه باسقاط العقاب عندها تفضلا
منه سبحانه ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط في آيات الوعد فبان
الفرق بين الامرين **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و
ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذ نوا
بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون آيتان **القراءة** قرأ عاصم برواية
ابي بكر عن ابن غالب والبرجمي وحمزة فآذنوا بمد الالف وكسر الذال
والباقون فأذنوا وقرئ في الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون **الحجة**
قال سيبويه آذنت اعلمت وأذنت والتأذين النداء والتصويت
بالاعلام قال وبعض العرب يجري آذنت مجرى أذنت الذي معناه
التصويت والنداء قال ابو عبيدة آذنتك بحرب فأذنت به اذن
اذنا اي علمت فمن قرأ فأذنوا بحرب من الله فقصر فالمعنى اعلموا بحرب

من الله والمعنى انكم فى امتناعكم من وضع ذلك حرب الله ورسوله ومن
قرأ فأذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف
على قوله واذا امر فى اما اعلام غيرهم فهو فى الابلاغ اكد **الاعراب** ان كنتم
مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقى
من الربوا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم فالتقدير فلكم رؤس
اموالكم غير ظالمين ولا مظلومين **النزول** روى عن ابى جعفر عليه السلام
ان الوليد بن المغيرة كان يربى فى الجاهلية وقد بقى له بقايا على ثقيف فاراد
خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم فنزلت الاية وقال السدى و
عكرمة نزلت فى بقية من الربوا كانت للعباس وخالد وكانا شريكين فى
الجاهلية يسلفان فى الربوا الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء
الاسلام ولهما اموال عظيمة فى الربا فانزل الله هذه الاية فقال النبى صلى
الله عليه واله الا ان كل ربوا من ربوا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه
ربوا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع واول دم
اضعه دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مرضعا فى بنى ليث فقتله
هذيل وقال مقاتل نزلت فى اربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل
وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وكانوا يداينون
بنى المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبى صلى الله عليه واله على الطائف
وصالح ثقيفا اسلم هؤلاء الاربعة فطلبوا رباهم من بنى المغيرة و
اختصموا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
على مكة فكتب عتاب الى رسول الله بالقصة فانزل الله الاية **المعنى**
ثم بين سبحانه حكم ما بقى من الربا فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فى

امر

امر الربا وفى جميع ما نهاكم عنه وذروا ما بقى من الربا اى اتركوا ما بقى من
الربا فقال فلا تاخذوه واقتصروا على رؤس اموالكم وقوله ان كنتم مؤمنين
معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فانه يكون حربا
وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به وبما فيه من المفسدة
التى يعلمها الله تعالى فان لم تفعلوا اى فان لم تقبلوا امر الله سبحانه
ولم ينقادوا له ولم يتركوا بقية الربوا بعد نزول الاية بتركه فاذنوا بحرب
من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل فى الدنيا والنار فى
الاخرة لمخالفة امر الله ورسوله اى فايقنوا واعلموا قتالا فاذنوا معناه
فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة
رسول الله وهذا اخبار بعظم المعصية وروى عن ابن عباس وقتادة
والربيع ان من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب والا قتله قال
الصادق عليه السلام اكل الربوا يؤدب بعد البينة فان عاد ادب
فان عاد قتل وان تبتم من استحلال الربا واقررتم بتحريمه فلكم رؤس
اموالكم دون الزيادة لا تظلمون باخذ الزيادة على راس المال ولا تظلمون
بالنقصان من راس المال **قوله تعالى** وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون اية
القراءة قرا ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة بفتحها باسكانها بد
وهما لغتان وقرا نافع ميسرة بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان
وقرا زيد عن يعقوب ميسرة بضم السين مضافا الى الهاء وسقط التاء
عند الاضافة كقوله واقام الصلوة وروى ذلك عن مجاهد وقرا عاصم
تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام

في مسئلة فان الاصل في القراءتين تتصدقوا فخفف في احديهما بحذف
احدى التائين وفي الاخرى بالادغام اللغة النظرة التأخير وهو اسم
قام مقام الانظار وهو مثل الاخرة يقال بعته باخرة وبنظرة اي بنسيئة
ورايت فلانا باخرة النهار اي في آخره والميسرة والميسور بمعنى اليسار
والغنى والسعة وما روي من قراءة من قرأ الى ميسره فلم يجزه البصريون
لان مفعل لا ان لا يجيء في الآحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع قال جميل
بثين الزمي لا ان لا ان لزمته على كثرة الواشين اي معون وروى ابلغ النعمن
عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري فالا قد جمع معونة ومالك
جمع مالكة وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يعتد به سيبويه فربما
اطلق القول وقال ليس في الكلام كذا وان كان قد جاء عليه حرف
او حرفان الاعراب كان هذه تامة وهي التي تتم بفاعلها وتكتفي به وتقديره
وان كان قد جاء وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر وتقديره
وان كان ذو عسرة غريما لكم وكان يجوز لو قرئ وان كان ذا عسرة اي
وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروي ذلك في الشواذ عن ابي
فنظرة مرفوعة لانها خبر مبتدأ محذوف والفاء فيه للجزاء وتقديره
فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا وان تصدقوا في موضع رفع
لانه مبتدأ وخبره خير لكم المعنى لما امر سبحانه باخذ راس المال
من الموسرين بعده حال المعسر فقال وان كان ذو عسرة معناه وان
وقع في غرمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريما لكم
ذو عسرة فنظرة اي فالذي تعاملونه به نظرة الى ميسرة اي الى وقت اليسار
اي فالواجب نظرة صيغته صيغة خبر والمراد به الامر اي فانظره الى

وقت

وقت يساره واختلف في حد الاعسار فروي عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال هو اذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد و
قال ابو علي الجبائي هو التعذر بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف
في وجوب انظار المعسر على ثلثة اقوال احدها انه واجب في كل دين
عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام وثانيها انه واجب في دين الربا خاصة عن شريح وابرهيم
النخعي وثالثها انه واجب في دين الربا بالاية وفي كل دين بالقياس عليه
وقال الباقر عليه السلام الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الامام فيقضي
عنه من سهم الغارمين اذا كان النفقة في معروف وان تصدقوا خير
لكم معناه وان تتصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم ان كنتم
الخير من الشر وتميزون ما لكم مما عليكم ومما جاء في معنى الاية من الحديث
قوله عليه السلام من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظل عرشه يوم
لا ظل الا ظله وروى بريدة عنه صلى الله عليه وآله من انظر معسرا كان له
بكل يوم صدقة وفي هذه الاية دلالة على ان الانسان اذا علم ان غريمه
معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه وانه يجب عليه
انظاره انتظارا ليساره وان الصدقة براس المال على المعسر خير وافضل
من انتظار يسره وروي عن ابن عباس وابن عمر ان آخر ما نزل من القرآن
آي الربوا قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون آية القراءة قرأ ابو عمرو
ويعقوب ترجعون بفتح التاء والباقون بضمها الحجة حجة ابي عمرو
قوله سبحانه ان الينا ايابهم فاضاف المصدر الى الفاعل هذا بمنزلة

ترجعون واب مثل رجع ومن حجته قوله انا الله وانا اليه راجعون فالينا مرجعهم
الاعراب يوما منصوب لانه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لانه
ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون فيه الى الله جملة في موضع
نصب بكونه صفة لقوله يوما وتوفى كل نفس ما كسبت في موضع نصب
بانه معطوف على صفة يوما الا انه حذف منه فيه لدلالة الاول عليه
النزول هذه اخر اية نزلت من القرآن وقال جبرئيل عليه السلام ضعها
في راس الثمانين والمائتين من البقرة عن ابن عباس والسدي قال
المفسرون لما نزلت هذه الاية انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ليتني اعلم متى يكون ذلك فانزل الله عز وجل سورة
النصر فكان رسول الله سكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه
الاية فيقول سبحان الله والحمد لله استغفر الله واتوب اليه فقيل له
انك لم تكن تقوله قبل هذا فقال اما ان نفسي نعيت الي ثم بكى بكاء
شديدا فقيل يا رسول الله او تبكي من الموت وقد غفر الله لك من ذنبك
وما تأخر قال فاين هول المطلع واين ضيق القبر وظلمة اللحد واين القيمة
والاهوال فعاش رسول الله بعد نزول هذه السورة عاما تاما ثم نزلت
لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه الى آخر السورة وهذه السورة
آخر سورة كاملة نزلت من القران فعاش رسول الله بعدها ستة
اشهر ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى حجة الوداع نزلت
عليه في الطريق يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الخ فسميت اية
الصيف ثم نزلت عليه بعدها وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم
الاية فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت عليه ايات الربوا

ثم نزلت

ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون وهي اخر اية نزلت من السماء
فعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال
وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين
خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين
بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ولسنة واحدة من ملك
اردشير بن شيرويه بن پرويز بن هرمز بن نوشيروان بنفسي هو صلى الله
عليه وآله حيا وميتا **المعنى** ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد
ما تقدم اليهم من الحدود والاحكام فقال واتقوا يوما معناه واحذروا
يوما واخشوا يوما ترجعون فيه الى الله تردون جميعا الى جزاء الله وتصال
الى ملك الله لنفعكم وضركم دون غيره ممن ملكه اياه في دار الدنيا
وهو المراد بكل ما في القران من هذا اللفظ لان الله سبحانه لا يغيب
من احد ولا يغيب احد من علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله
وهو معكم اينما كنتم وما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وانما
خص يوم القيمة بهذه الصفة لان الناس اذا حشروا انقطع امرهم
وبطل ملكهم ولا يبقى لواحد منهم امر ولا نهي كما قال سبحانه لمن
الملك اليوم ثم توفى كل نفس ما كسبت قيل فيه وجهان احدهما توفى
جزاء ما كسبت من الاعمال والثاني توفى ما كسبت من الثواب والعقاب
لان الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله
كما يكسب المال وهم لا يظلمون معناه لا ينقصون ما يستحقونه
من الثواب ولا يزاد عليهم فيما يستحقونه من العقاب **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه

وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما
علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه
ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر
احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا
تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله
واقوم للشهادة وادنى ان لا ترتابوا الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد
وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم
الله والله بكل شيء عليم آية **القراءة** قرا حمزة وحده ان تضل بكسر
الهمزة والباقون بفتحها وقرا ابن كثير وابو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف
والنصب وقرا حمزة فتذكر بالتشديد والرفع وقرا الباقون فتذكر بالتشديد
والنصب وقرا عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرا الباقون
بالرفع وقرا ابو جعفر ولا تضار بتشديد الراء وتسكينها والباقون ولا
تضار بالنصب والتشديد **الحجة** الوجه في قراءة حمزة ان تضل احديهما
بكسر الالف هو انه جعل ان للجزاء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء
وموضع الشرط وجزائه رفع بكونهما وصفا للمنكورين وهما المرأتان
في قوله عز وجل فرجل وامرأتان وقوله فرجل وامرأتان خبر مبتدأ

محذوف

محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء
فيه ذكر للشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين الذين
هم رجل وامرأتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر الا ترى ان شهيدين منصوبان
ورجل وامرأتان اعرابهما الرفع فاذا كان كذلك علمت ان الوصف الذي
هو ظرف انما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من
الشهيدين والشرط وجزائه وصف لقوله فرجل وامرأتان لان الشرط جملة
يوصف بها كما يوصل بها في نحو قوله الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلوة واللام التي هي لام في قوله ان تضل فيمن جعل ان جزاء في موضع جزم
وانما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جائزا
في القياس واما قوله فتذكر فقياس قول سيبويه في قوله تعالى ومن عاد
فينتقم الله منه والآي التي تلاها معها ان يكون بعد الفاء في تذكر مبتدأ
محذوف ولو اظهرته لكان فهما تذكر احديهما الاخرى فالذكر العائد الى
المبتدأ المحذوف الضمير في قوله احديهما واما الاصل في فتذكر فهو من
الذكر الذي هو ضد النسيان وذكرت فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا
نقلته بالهمزة او ضعفت العين منه يتعدى الى مفعول آخر وذلك نحو فرحته
وافرحته فمن قرا فتذكر كان ممن جعل التعدية بالتضعيف ومن قرا
فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سائغ والمفعول الثاني في قوله فتذكر
احديهما الاخرى محذوف والمعنى فتذكر احديهما الاخرى الشهادة التي
تحملناها واما قراءة الاكثرين وهو ان تضل بفتح الالف فان يتعلق
فيها بفعل مضمر دل عليه هذا الكلام وذلك احد ثلثة اشياء الاول
هو ان قوله فان لم يكونا رجلين وامرأتان يدل على ذلك فاستشهدوا

يعود الى الموصوفين الذين م

رجلاً وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان فتعلق ان
انما هو بهذا الفعل والثاني ما قال ابو الحسن وهو ان تقديره فليكن رجل
وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث شهادة رجل وامرأتين
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والثالث ان يضمر خبر للمبتدا
الذي هو فرجل وامرأتان اي فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون
العامل في ان وموضع اضماره فيمن فتح الهمزة من ان تضل قبل ان وفيمن
كسر ان بعد انقضاء الشرط وجزائه واما موضع ان هذه فنصب وتقديره
لان تضل احديهما فتذكر فان قيل فان الشهادة انما وقعت للمذكر
والحفظ للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه قد قال ان
امر بالاشهاد لان تذكر احديهما الاخرى وانما ذكر ان تضل لانه سبب
الاذكار كما يقول القايل اعددته ان يميل الحايط فادعمه وهو لا يطلب
بذلك ميلان الحايط ولكنه اخبر بعلة المدغم وسببه وقوله فتذكر او
فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بان واما قراءة من قرأ
الا ان يكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيه ان يكون كان بمعنى وقع
وحدث فكانه قال الا ان تقع تجارة حاضرة مثل قوله وان كان ذو عسرة
واما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يجعل اسم كان من
احد شيئين احدهما ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والادهان
قد علم من فحواه التبايع فاضمر التبايع لدلالة الحال عليه كما يقال اذا كان

غدا

غدا فاتني والاخران يكون اضمر التجارة فكانه قال الا ان يكون التجارة
تجارة حاضرة ومثل ذلك قول الشاعر فدى لبني ذهل بن شيبان
ناقتي اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوماً واما قوله
لا يضار ففيه قولان احدهما ان اصله لا يضارر فادغمت الرا في الرا
وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب الا بالحق
ولا يشهد الشاهد الا بالحق والثاني ان اصله لا يضارر بفتح الرا الاولى
فادغمت فيكون معناه لا يدع الكاتب على وجه يضر به وكذلك الشاهد
والاول ابين واما قراءة ابي جعفر بتسكين الرا مع التشديد ففيه نظر
ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف كقولهم ببازل وجنا او عيهل
وقد تقدم مثله اللغة يقول داينت الرجل ومداينة اذا عاملته بدين
اخذت منه او اعطيته وتداين القوم او الرجلان بمعناه قال الشاعر داينت
اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا ويقال ادنت وادنت
اذا اقترضت وادنت اذا اقرضت قال اوان وانبا الاقلون بان للدان
ملحوقي والاملال الاملاء يقال امل عليه واملى عليه بمعنى والبخس النقص
ظلما يقال بخسه حقه يبخسه بخسا ومن بخس ناقص عن حقه والبخس
فقو العين لانه ادخال نقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه
الخفة قال الشاعر يخاف ان يسفه احلامنا فنخمل الدهر مع الخامل وانما
سمي الجاهل السفيه لخفة عقله وتقول من الابا ابى يابى ولم يات
مثله في اللغة لان فعل يفعل لا ياتي الا ان يكون في موضع العين من الفعل
او اللام حرف من حروف الحلق والقول فيه ان الالف من ابى اشبهت
الهمزة فجاء يفعل منه مفتوحا لهذه العلة والضلال اصله الهلاك يقول

العرب ضل الماء فى اللبن ومنه قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وقيل
اضله الذهاب بحيث لا يوجد وقيل منه انذا اضللنا فى الارض والسام
الملل يقال سام يسام ساما اذا مل من الشئ وضجر منه قال زهير سئمت
تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسام واقسط اى اعدل
والقسط العدل يقال اقسط اذا عدل وقسط يقسط قسوطا اذا جار
وبالقسط الحصة المعنى لما امر الله سبحانه بانظار المعسر وتاجيل حقه
ببيان احكام الحقوق المؤجلة وعقود المداينة فقال يا ايها الذين امنوا
اى صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم اى تعاملتم بدين قيل فيه قولان
احدهما انه على وجه التاكيد وتمكين المعنى فى النفس كقوله ولا طائر
يطير بجناحيه والاخر انما قال بدين لان تداينتم قد تكون بمعنى تجازيتم
من الدين الذى هو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين
لتخليص اللفظ من الاشتراك الى اجل مسمى اى وقت مذكور معلوم
بالتسمية قال ابن عباس ان الاية وردت فى السلم خاصة وكان يقول
اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم وانزل فيه اطول اية فى كتابه
وتلى هذه الاية وظاهر الاية يقع على كل دين موجل سلما كان او غيره وعليه
المفسرون والفقهاء فاكتبوه معناه فاكتبوا الدين فى صك لئلا يقع
فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظرا للذى له الحق
وللذى عليه الحق وللشهود فوجه النظر للذى له الحق ان يكون حقه موثقا
بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذى عليه الحق ان يكون
ابعد به من الجحود فلا يستوجب النقمة والعقوبة ووجه النظر للشهود
انه اذا كتب خطه كان ذلك اقوم للشهادة وابعد من السهو واقرب الى الذكر

واختلف

واختلف فى هذا الامر فقيل هو مندوب اليه عن ابى سعيد الخدرى
والحسن والشعبى وهو الاصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب
ويدل على صحة القول الاول قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى
ايتمن امانته والمفهوم من هذا الظاهر ان ان ائتمنه على حاله ان يأتمنه عليه
ثم بين كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب بالعدل يعنى
وليكتب كتاب المداينة او البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط و
الانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه فى صفة ولا مقدار ولا يكتب
شيئا يضر باحدهما الا بعلمه ولا يأب كاتب اى ولا يمتنع كاتب من
ان يكتب الصك على الوجه المامور به كما علمه الله من الكتابة بالعدل
وقيل كما فضله الله تعالى بتعليمه اياه فلا يبخل على غيره بالكتابة
واختلف فى الكتابة هل هى فرض ام لا قيل هى فرض الكفاية كالجهاد
ونحوه عن الشعبى وجماعة من المفسرين واختاره الرمانى والجبائى
وجوز الجبائى ان ياخذ الكاتب والشاهد الاجرة على ذلك قال
الشيخ ابو جعفر الطوسى رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذى
يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب
فى يده لانه له وقيل واجب عليه ان يكتب اذا امر عن مجاهد وعطا
وقيل ان ذلك فى الموضع الذى لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين اذا امتنع فاذا كان كذلك

فى حال فراغه عن الشغل

فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو فى سعة اذا قام به غيره عن الحسن
وقيل كان واجبا ثم نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك
فليكتب اذا جمع امر للكاتب اى فليكتب الصك على الوجه المامور به
وكانت الكتبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم قلة فلذلك
اكد بقوله وليكتب اذ جمع بين الامر بالشى والنهى عن تركه ادعى الى فعله
من الاقتصار على احدهما ثم بين سبحانه كيفية الاملاء على الكاتب فقال
وليملل الذى عليه الحق يعنى المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه
فيكتب وليتق الله ربه اى الذى عليه الحق فى الاملاء ولا يبخس اى ولا
ينقص من الحق شيئا لا من قدره ولا من صفته ثم بين سبحانه حال
من لا يصح منه الاملاء فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها اى جاهلا
بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا طفلا عن السدى والضحاك وقيل عاجزا
احمق عن ابن زيد او ضعيفا اى ضعيف العقل من عته او جنون وقيل
شيخا خرفا او لا يستطيع ان يمل هو اى مجنونا وقيل عييا اخرس عن ابن
عباس وقيل الاقرب ان يحمل على ثلث صفات لكيلا يؤدى الى التكرار ثم
اختلف فى ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف الصغير ومن لا
يستطيع ان يمل الاخرس ونحوه ثم يدخل فى كل واحد من هو فى معناه
وقيل السفيه المبذر والضعيف الصبى المراهق ومن لا يستطيع ان
يمل المجنون عن القاضى فليملل وليه بالعدل قيل معناه فليملل ولى
الذى عليه الحق اذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل
معناه ولى الحق وهو الذى له الحق عن ابن عباس لانه اعلم بدينه فيملى

بالحق

بالحق والعدل ثم امر سبحانه بالاشهاد فقال واستشهدوا شهيدين
من رجالكم يعنى اطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم
اى من اهل دينكم وقال مجاهد معناه من الاحرار البالغين دون العبيد
والكفار والحرية ليست بشرط عندنا فى قبول الشهادة وانما اشترط من
المدعى الاسلام مع العدالة وبه قال شريح والبتى وابو ثور وقيل هذا امر
للقضاة بالحق شهيدين من المدعى عند انكار المدعى عليه فيكون البين
فى الحالتين سبب السؤال والطلب فان لم يكونا رجلين يعنى فان لم يكن
الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اى فليكن رجل وامرأتان او فليشهد
رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء عدالته وهذا يدل على ان العدالة
شرط فى الشهود ويدل ايضا على انا لم نتعبد باشهاد مرضيين على الاطلاق
لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا الى معرفة من هو
مرضى عند الله تعالى وانما تعبدنا باشهاد من هو مرضى عندنا فى الظاهر
وهو ممن ترضى دينه وامانته وتعرفه بالستر والصلاح ان تضل احديهما
اى تنسى احدى المرأتين فتذكر احديهما الاخرى قيل هو من الذكر الذى
هو ضد النسيان عن الربيع والسدى والضحاك واكثر المفسرين والتقدير
فتذكر احديهما الاخرى الشهادة التى تحملتاها ومن قرا فتذكر بالتخفيف
من الاذكار فهو بهذا المعنى ايضا اى تقول لها هل تذكرين يوم شهدنا
فى موضع كذا وبحضرتنا فلان او فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لان
النسيان يغلب على النساء اكثر مما يغلب على الرجال وقيل هو من الذكر
اى تجعلها كذكر من الرجال عن سفيان ابن عيينة والاول اقوى فان
قيل لم كرر لفظ احديهما وهلا قال فتذكرها الاخرى فجوابه على وجهين

احدهما انه انما كرر وليكون الفاعل مقدما على المفعول ولو قال فتذكرها
الاخرى لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول فى ذلك مكروه والثانى
ما قاله الحسين بن على المغربى معناه ان تضل احدى الشهادتين اى تضيع
بالنسيان فتذكر احدى المرأتين الاخرى لئلا يتكرر لفظ احديهما بلا معنى
ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسى الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة اذا
ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا اى ضاعوا عنا ثم خاطب سبحانه
الشهود فقال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وفى معناه ثلثة اقوال احدها
ان معناه ولا يمتنع الشهداء اذا دعوا لاقامة الشهادة اذا دعوا لاقامة
الشهادة عن مجاهد وعطا والشعبى وسعيد بن جبير وهذا اذا كانوا
عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادائها ضررا
والثانى ان معناه اذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها عن قتادة
والربيع والثالث ان معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة ضالا والى
اقامتها عن ابن عباس والحسن وعن ابى عبد الله عليه السلام وهو اولى
لانه اعم فائدة ولا تسأموا ولا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اى تكتبوا
الحق صغيرا كان الحق او كبيرا وقيل ان هذا خطاب للشاهد ومعناه
لا تملوا ان تكتبوا الشهادة على الحق الى اجله اى الى اجل الدين وقيل معناه
الى اجل الشاهد اى الى الوقت الذى يجوز فيه الشهادة والاول اقوى
ذلكم الكتاب او كتبة الشهادة فى الصك اقسط اى اعدل عند الله تعالى
لانه تعالى امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة اى اصوب
للشهادة وابعد من الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان
وقيل معناه احفظ للشهادة ماخوذ من القيام على الشئ بمعنى الحفظ

وادنى

وادنى ان لا ترتابوا اى اقرب الى ان لا تشكوا فى مبلغ الحق والاجل الا ان
تكون تجارة معناه الا ان تقع تجارة اى مداينة ومبايعة حاضرة حالة
يدا بيد من قرا بالنصب فمعناه الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
تديرونها بينكم اى تتناقلونها من يد الى يد نقدا لا نسية فليس
عليكم جناح اى حرج وضيق ان لا تكتبوها ومعناه فليس عليكم اثم فى
ترك كتابتها لان الكتبة للوثيقة الا فى النسية دون النقد واشهدوا
اذا تبايعتم اى واشهدوا الشهود على بيعكم اذا تبايعتم وهذا امر على
الاستحباب والندب عن الحسن وجميع الفقهاء وقال اصحاب الظ
الاشهاد فرض فى التبايع ولا يضار كاتب ولا شهيد اصله يضارر
بكسر الراء الاولى عن الحسن وقتادة وعطا وابن زيد فيكون النهى
للكاتب والشاهد عن المضارة على هذا فمعنى المضارة ان يكتب الكاتب
ما لم يمل عليه ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه او بان يمتنع من اقامة
الشهادة وقيل الاصل فيه لا يضارر بفتح الراء الاولى عن ابن مسعود
ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتبة فى حال عذر لا
يتفرغ اليها ولا يضيق الامر على الشاهد بان يدعى الى اثبات الشهادة
او اقامتها فى حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج والاول ابين
لقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم فالفاسق اشبه بغير العدل
وبمن حرف الكتاب منه بالذى دعا شاهدا ليشهد او دعى كاتبا
ليكتب وهو منه مشغول وقال غيره معناه وان تفعلوا مضارة
الكاتب والشهيد فان المضارة فى الكتابة والشهادة فسوق بكم
اى خروج عما امر الله سبحانه واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه

ويعلمكم الله ما تحتاجون اليه من امور دينكم والله بكل شيء عليم اي عليم
بذلك وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن ابرهيم بن هاشم في
تفسيره ان في البقرة خمسمائة حكم وفي هذه الاية خمسة عشر حكما قوله تعالى
وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن
بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم اية
القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو فرهن على وزن فعل والباقون فرهان
الحجة قال ابو علي الرهن مصدر ولما نقل فسمي به كسر كما يكسر الاسماء
على فعال ويجمع على بناين من ابنية الجموع وهو فعل وفعال وكلاهما من ابنية
الكثير وقد تخفف العين من رهن كما خففت في رسل وكتب ومثل
رهن ورهن وسقف وسقف وقال الاعشى لا اعطيته من ابنائها رهنا
فيفسدهم كمن قد افسدا اللغة يقال رهنت عند الرجل رهنا ورهنته
رهنا وانا ارهنه اذا وضعت عنده ورهنته ضيعة وقالوا ارهنته ايضا
وقلت فيه اكثر قال يراهنني فيرهنني بنيه وارهنه بني بما اقول وقال
الاصمعي من روى بيت ابن همام فلما خشيت اظافيره نجوت وارهنتهم
مالكا فقد اخطأ انما الرواية وارهنهم مالكا كما يقول وابيت اليه وقد
اصكت عنه ونهضت اليه واخذ بشعره ويقول ارهنت لهم الطعام
اي ادمته لهم وارهنته بمعناه والطعام راهن وراه وقيل ارهنت في ثمن
السلعة اذا اسلفت فيه قال عبديه ارهنت فيها الدنانير وامّا قول
النبي صلى الله عليه واله لا يغلق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان
جئتك بفكاكه الى شهر والا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف

ذكر

المعنى ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالاستشهاد
فقال وان كنتم ايها المتداينون المتبايعون على سفر اي مسافرين ولم
تجدوا كاتبا للصك ولا شهودا تشهدونهم فرهن مقبوضة تقديره
فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون
التقدير فرهن مقبوضة يقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود والقبض
شرط في صحة الرهن فان لم يقبض لم ينعقد الرهن بالاجماع فان امن
بعضكم بعضا اي فان امن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق
به وائتمنه على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن فليؤد الذي
اؤتمن اي الذي عليه الحق امانته بان لا يجحد حقه ولا يبخس منه شيئا
وليؤده اليه وافيا وقت محله من غير مطل ولا تسويف وفائدة
قوله امانته اي ما اؤتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول وليتق الله
ربه معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيما اؤتمن عليه بجحوده
او النقصان منه ولا تكتموا الشهادة اي ومن يكتم تكتموا الشهادة يعني بعد
تحملها وهو خطاب للشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة اذا دعي
اليها ومن يكتمها اي ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم
ارتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي الى اقامتها
فانه اثم قلبه اضاف الاثم الى القلب وان كان الاثم هو الجملة لان
اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لان العزم على الكتمان
انما يقع بالقلب ولان اضافة الاثم الى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة
الايمان الى القلب في المدح قال الله سبحانه اولئك كتب في قلوبهم
الايمان والله بما تعملون اي بما تسترونه وتكتمونه عليم وقد روي

عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تنقضي كلام شاهد زور من بين
يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار وفي قوله سبحانه فان امن بعضكم
بعضا دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المداينة ليسا بواجبين و
انما هو على سبيل الاحتياطات وتضمنت هذه الآية وما قبلها من
بدايع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم ومعادهم وتعليمهم
ما لا يسعهم جهله ما فيه تبصرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر قوله تعالى
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير آية القراءة قرا ابن عامر وعاصم وابو جعفر
ويعقوب فيغفر ويعذب بالرفع والباقون بالجزم فيهما الحجة قال
ابو علي على وجه قول من جزم انه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا
اشبه بما عليه كلامهم الا ترى انهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها
فمن ذلك ان ما كان معطوفا على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن
الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب ولو
لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع على هذا ما جاء في التنزيل
نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة فكذلك ينبغي ان يكون الجزم احسن ليكون مشاكلا لما
قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه
من الاول وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل الفعل خبر المبتدا
المحذوف واما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها المعنى
لله ما في السموات وما في الارض اللام لام الملك اي له تصريف السموات

والارض

والارض وما فيهما وتدبيرهما لقدرته على ذلك ولانه الذي ابتدعهما
وانشاهما فجميع ذلك وما لكه يصرفه كيف يشاء وان تبدوا ما في انفسكم
اي تظهروا الشهادة ما في انفسكم وتعلنونه من الطاعة والمعصية
او تخفوه اي تكتموه يحاسبكم به الله اي يعلم الله ذلك فيجازيكم
عليه وقيل معناه ان تظهروا الشهادة او تكتموها فان الله يعلم
ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجماعة وقيل انها عامة في
الاحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوفهم الله سبحانه من العمل
بخلافها وقال قوم ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يصح
لان تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وانما المراد
بالآية ما يتناوله الامر والنهي من الاعتقادات والارادات
وغير ذلك فيما هو مستور عنا فاما ما لا يدخله في التكليف من
الوساوس والهواجس ومما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج
عنه لدلالة العقل ولقوله عليه السلام تجوز لهذه الامة عن نسيا نها
وما حدثت به انفسها فعلى هذا يجوز ان تكون الآية الثانية مبينة
الاولى وازالت توهم من صرف ذلك الى غير وجهه وظن ان ما يخطر
بالبال او يحدث به النفس مما يتعلق بالتكليف فان الله يوا خذ
به والامر بخلاف ذلك وقوله فيغفر لمن يشاء اي يغفر لمن
يشاء منهم رحمة وتفضلا ويعذب من يشاء منهم ممن استحق
العقاب عدلا والله على كل شيء قدير من المغفرة والعذاب
عن ابن عباس ولفظ الآية عام في جميع الاشياء والقول فيما يخطر

بالبال من المعاصي ان الله سبحانه لا يؤاخذ به وانما يؤاخذ بما يعزم الانسان
وتعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب فيجازيه
به كما يجازيه بافعال الجوارح وانما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك
المعصية لانه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة فان العازم
على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في
الاخبار ان المنتظر الصلوة في الصلوة ما دام منتظرها وهذا من لطايف
نعم الله تعالى على عباده النظم ذكر في كيفية اتصال هذه الاية بما
قبلها وجوه احدها انه لما فرغ من بيان الشرايع ختم السورة بالتوحيد
والموعظة والاقرار بالجزاء والثاني انه لما قال والله بكل شيء عليم
اتبعه بانه لا يخفى عليه شيء لان له ملك السموات والارض عن ابي
مسلم والثالث انه لما امر بهذه الوثايق بين انه انما يعتد بها الامر
يرجع الى المكلفين لا لامر يرجع اليه لان له ما في السموات وما في الارض
قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من
رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير اية
القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون كتبه على الجمع
قرا يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا كتابه
على الواحد ففيه وجهان احدهما انه بمعنى القران والثاني انه بمعنى
الجنس فيوافق القراءة الاخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الاسما
بمعنى الكثرة نحو قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث
منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام

التعريف

التعريف والاختيار فيه الجمع لتشاكل ما قبله مما بعده ولان اكثر القراء
عليه ومن قرا لا يفرق فعلى تقدير لا يفرق الرسول او كل لا يفرق ومن قرا
بالنون على تقدير وقالوا لا نفرق كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا اي ويقولون ربنا الاعراب غفرانك نصب
على انه بدل من الفعل الماخوذ منه فكانه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك
واستغني بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلا عنه معاقبا له المعنى
لما ذكر الله سبحانه فرض الصلوة والزكوة واحكام الشرع واخبار الانبياء
ختم السورة بذكر تعظيمه وتصديق نبيه والمؤمنين بجميع ذلك فقال
فقال امن الرسول اي صدق محمد صلى الله عليه وآله بما انزل اليه من
ربه من الاحكام المذكورة في هذه السورة وغيرها والمؤمنون كل اي
كل واحد منهم امن بالله اي صدق باثباته وصفاته ونفي التشبيه عنه
وتنزيهه عما لا يليق به وملائكته اي بملائكته وبانهم معصومون
مطهرون وكتبه اي وبان القران وجميع ما انزل من الكتب حق وصدق
ورسله وبجميع انبيائه لا نفرق بين احد من رسله اي ويقولون
لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بان نؤمن ببعض ونكفر
ببعض كما فعله اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقالوا سمعنا و
اطعنا معناه سمعنا قولك واطعنا امرك اذا جعلته راجعا الى الله
تعالى او سمعنا قوله واطعنا امره اذا جعلته راجعا الى النبي صلى الله عليه
وآله وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع القابلين المطيعين
وذلك خلاف ما اخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا
غفرانك ربنا اي يقولون اغفر لنا يا ربنا وقيل معناه يقولون نسألك

غفرانك واليك المصير معناه والى جزائك المصير فجعل مصيرهم الى جزائه
مصيرا اليه كقول ابراهيم ع انى ذاهب الى ربى سيهدين ومعناه الى ثواب
ربى او الى ما امر به ربى وهذا هو اقرار بالبعث والنشور قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على
القوم الكافرين اية اللغة الوسع ما دون الطاقة وسمى ذلك
وسعا بمعنى انه يسع الانسان ولا يضيق عنه واخطانا اى كسبنا خطيئه
وقال ابو عبيده اخطى وخطى لغتان والفرق بينهما ان اخطا قد يكون
على وجه الاثم وغير الاثم فاما خطا فاثم لا غير قال الشاعر والناس
يلحون الامير اذا هم خطوا الصواب ولا يلام المرشد والاصر فى اللغة
الثقل قال النابغة يا مانع الضيم ان يغشى سراتهم والحامل الاصر عنهم
بعد ما عرقوا وكل ما اعطفك على شى من عهد او رحم فهو اصر وجمعه
اصار وتقول اصره ياصره اصرا والاسم الاصر قال النابغة يا بنى الحواضن
والحاضنات انقض اصرك حالا فحالا اى عهدك والاصرة صلة الرحم
للعطف بها قال الكميت نضحت اديم الود بينى وبينهم باصرة الارحام لو تتبلل
واصل الباب العطف والاصر الثقل لانه يعطف حامله بثقله عليه المعنى
ثم بين سبحانه انه فيما امر ونهى لا يكلف الا دون الطاقة فقال لا يكلف
الله نفسا الا وسعها اى لا يامر ولا ينهى احدا الا ما هو له مستطيع وقيل
ان معنى قوله الا وسعها الا يسرها دون عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو

كلفنها

كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها عن سفين بن عيينه وهذا قول حسن وفى
هذا دلالة على بطلان قول المجبره فى تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لان
الوسع هو ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة
وقال بعضهم ان معناه الا ما يسعها ويحل لها وهذا خطاء لان من قال لعبده
لا امرك الا بما اطلق لك ان تفعله لكان ذلك عيا منه وخطا فان نفس
امره اطلاق فكانه قال لا اطلق لك ولا امرك الا بما امرك وقوله لها ما
كسبت معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات وعليها جزاء ما اكتسبت
من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب والعقاب كسبا من حيث
حصل بكسبه ربنا لا تؤاخذنا قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعا
عن الحسن وقيل تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء ان نسينا
او اخطانا قيل فيه وجوه احدها ان المراد بنسينا تركنا كقوله سبحانه
نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله تنسون انفسكم
ومنه قول الشاعر ولم اك عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع
للطعن ناسيا اى تاركا والمراد باخطانا اذنبنا لان المعاصى توصف
بالخطاء من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه سبحانه
امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من القبيحات والثانى
ان معنى قوله ان نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن
الامر والغفلة عن الواجب او اخطانا اى تعرضنا لاسباب يقع عندها
الخطاء ويحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه والثالث ان معناه
لا تؤاخذنا ان نسينا اى ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغفلة
او اخطانا اى فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا فى الدعاء

على سبيل الانقطاع الى الله سبحانه واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به
وان كان مأمونا منه المؤاخذة ويجري ذلك مجرى قوله فيما بعد ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به على احد الاجوبة وقوله رب احكم بالحق وقد تقدم ذكر امثال ذلك والرابع
ما روي عن ابن عباس وعطا ان معناه لا تعاقبنا ان عصيناك جاهلين او
متعمدين وقوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا قيل فيه وجهان احدهما ان معناه لا
تحمل علينا عهدا نعجز عن القيام به فتعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس وقتادة
ومجاهد والربيع والسدي والثاني ان معناه لا تحمل علينا ثقلا عن الربيع و
مالك وعطا يعني لا تشدد الامر علينا كما حملته على من قبلنا اي على الامم
الماضية والقرون الخالية لانهم كانوا اذا ارتكبوا خطيئة عجلت عقوبتها
عليهم وحرم عليهم بسببها ما احل لهم من الطعام كما قال سبحانه فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من العهود
والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف والامتحان ما لم يكلف هذه الامة
تخفيفا عنها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل فيه وجوه احدها ان معناه
ما يثقل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة
وقد يقول الرجل لامر يصعب عليه اني لا اطيقه والثاني ان معناه ما لا
طاقة لنا به من العذاب عاجلا واجلا والثالث انه على سبيل التعبد وان
كان سبحانه لا يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرناه قبل واعف عنا
ذنوبنا واغفر لنا خطايانا اي استرها وارحمنا بانعامك علينا في الدنيا
والعفو في الآخرة وادخال الجنة انت مولينا اي ولينا واولى بالتصرف
فينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا بالقهر لهم والغلبة
بالحجة عليهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه قال عند

كل

كل فصل من هذا الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استحب الاكثار من هذا
الدعاء في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قرأ الآ بيتين
من آخر السورة البقرة في ليلة كفتاه اي كفتاه قيام ليلة عن عبد الله بن مسعود
قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وآله انتهى به الى سدرة المنتهى واعطى
ثلث الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من
امته المقحمات وعن ابن المنذر رفعه الى النبي ص قال في آخر سورة البقرة آية
انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير الكلبي باسناده
ذكره عن ابن عباس قال بينما رسول الله ص اذ سمع نقيضا يعني صوتا فرفع
راسه فاذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال ان الله يبشرك
بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأ
هما احد الا اعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل
اذا تعلم سورة البقرة جد فينا اي عظم

تم جزء الثاني والحمد لله رب العالمين بقلم
افقر عباد الله واحوجهم الى غفرانه
تراب قدوم ميمنت لزوم
اهل الشهود والمعرفة
محمد صالح كلكي الحسيني

قال امير المؤمنين عليه السلام ... القطان رحمه

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام اهل القرآن اهل الله الخاصة
المراد تفسير كلام الله تعالى والعمل بها

رب يسر لي بالاتمام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آل عمران

هي كلها مدنية عن ابن عباس وقتاده ومجاهد وجميع المفسرين
عدد اياتها مائتان الا اية شامي ومائتان في الباقين اختلافها في سبع ايات
عد الكوفي الم اية والانجيل الثاني اية وترك وانزل الفرقان وعد البصري و
رسولا الى بني اسرائيل اية وترك الشامي التورية والانجيل الاول وعد مقام
ابرهيم هو وابو جعفر وترك ابو جعفر مما تحبون **فضلها** روى ابي بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا
على جسر جهنم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة
ال عمران يوم الجمعه صلى الله عليه وملئكته حتى تجب الشمس بريدة قال
قال رسول الله صلى الله عليه واله تعلموا سورة البقره وقوله عز وجل وسورة
ال عمران فانهما الزهراوان وانهما يظلان صاحبهما يوم القيمة كانهما غمامتان
او غيابتان او فرقان من طير صواف **تفسيرها** قوله عز وجل بسم الله
الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس
وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله
عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
خمس ايات بلا خلاف الا ان الكوفي عد الم اية وترك وانزل الفرقان وفيهم
بالعكس من ذلك **القراءة** قرا ابو جعفر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر عن
عاصم الم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرا الباقون موصولا وبفتح الميم
وروي في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابرهيم النخعي والاعمش
وعن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق وعن النبي صلى الله
عليه واله الحي القيام وروي عن الحسن الانجيل بفتح الهمزة **الحجة** قال ابو علي

اتفاق الجميع على اسقاط الالف الموصولة في اسم الله تعالى دل على ان الميم ساكنة
كما ان سائر حروف التهجي مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف
حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام المعرفة والدليل على ان التحريك
للساكن الثالث وهو مذهب سيبويه ان حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان
نحو حم عسق وذلك انها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت
الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون في قوله تعالى من الله بالفتح
لالتقاء الساكنين واما من قطع الالف فكانه قدر الوقف على الميم و
استانف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقال ابن جني انه صفة
على فيعال من قام يقوم ومثله من الصفة واصله القيوام التقت الواو و
الياء وسبقت الاولى بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء
وقراءة الجماعة القيوم فيعول من هذا ايضا واما الانجيل بفتح الهمزة
فمثال غير معروف النظير في كلامهم لانه ليس في كلامهم افعيل بفتح
الهمزة ولو كان اعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عند غيرهم عربي
وهو افعيل من نجل ينجل اذا اثار واستخرج ومنه نجل الرجل لولده لانه
استخرجهم من صلبه بطن امراته قال الاعشى انجب ازمان والداه
اذ نجلاه فنعم ما نجلا اي انجب والداه ازمان اذ نجلاه ففصل بين
المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف اليه الذي هو اذ كقولهم حينئذ
ويومئذ بالفاعل وقيل له انجيل لانه به يستخرج علم الحلال والحرام كما
قيل توراة وهي فوعلة من ورى الزند اذا قدح واصله ووريه فابدلت
الواو التي هي الفاء تاء كما قالوا التجاه والتخمة والتكلان والتراث من الوجه
والوخامة والوكل والوكالة فهي من ورى الزند اذا ظهرت ناره و ذلك

من نجل ينجل اذا استخرج لما فى الكتابين من الحلال والحرام وكما قيل لكتاب
نبينا صلى الله عليه واله الفرقان لان الفرق بين الحق والباطل فالمعاني
كلها متفقة وكلها الاظهار والابراز والفرق بين الاشياء وقال علي
بن عيسى النجل الاصل فكان الانجيل اصل من اصول العلم وقال غيره النجل
الفرع ومنه قيل للولد نجل فكان الانجيل فرع على التورية يستخرج منها وقال
ان فضال هو من النجل وهو السعة يقال عين نجلاء وطعنه نجلاء فكانه قد
وسع عليهم فى الانجيل ما ضيق على اهل التورية وكل محتمل **الاعراب** مصدقا
نصب على الحال من التورية والانجيل اى هاديين ويجوز ان يكون خبر مبتداء
محذوف تقديره هما هدى **النزول** قال الكلبى ومحمد بن اسحق والربيع ابن
انس نزلت اوايل السورة الى نيف وثمانين اية فى وفد نجران وكانوا ستين
راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه واله وفيهم اربعة عشر رجلا من
اشرافهم وفى الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وصاحب
مشورتهم الذى لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم
وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمه اسقفهم وحبرهم
امامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت
ملوك الروم قد شرفوه وموّلوه وبنوا له الكنايس لعلمه واجتهاده فقدموا على
رسول الله صلى الله عليه واله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم
ثياب الحبرات جبب واردية فى جمال رجال بلحرث بن كعب يقول بعض
من راهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله ما راينا وفدا مثلهم
وقد حانت صلوتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا فى
مسجد رسول الله صلى الله عليه واله فقالت الصحابة يا رسول الله هذا

فى مسجدك

فى مسجدك فقال رسول الله صلى الله عليه واله دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم
السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه واله فقال لهما رسول الله صلى الله عليه واله اسلما
قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما
لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولد الله
فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى عليه السلم فقال لهم النبى صلى الله
عليه واله الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى
قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا قالوا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى
عليه شيء فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا
لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته
امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى
ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا فانزل الله عز وجل فيهم صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية
المعنى ان الله سبحانه لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايمان افتتح
هذه السورة بالتوحيد والايمان ايضا فقال الم وقد ذكرنا الاختلاف
فيه وفى معناه ومحله فى اول سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم
وقد ذكرنا ما فيه فى تفسير اية الكرسى وروى عن ابن عباس انه قال
الحى القيوم اسم الله الاعظم وهو الذى دعا به اصف بن برخيا صاحب
سليمن عليه السلم فى حمل عرش بلقيس من سبا الى سليمن قبل ان يرتد
اليه طرفه نزل عليك يا محمد الكتاب يعنى القران بالحق فيه قولان
احدهما بالصدق فى اخباره والثانى بالحق اى بما توجبه الحكمة من

كما

الارسال وهو حق من الوجهين مصدقا لما بين يديه اى لما قبله من كتاب
ورسول عن مجاهد وقتاده والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما بين يديه
لما قبله لانه ظاهر له كظهور الذى بين يديه وقيل فى معنى مصدقا
ههنا قولان احدهما ان معناه مصدقا لما بين يديه وذلك لموافقته
لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وآله من حيث
لا يكون ذلك كذلك الا وهو من عند الله علام الغيوب والثانى ان
معناه بانه يخبر بصدق الانبياء وبما اتوا به من الكتب ولا يكون
مصدقا للبعض ومكذبا للبعض وانزل التورية على موسى والانجيل على
عيسى عليه السلم من قبل اى من قبل انزال القرآن هدى للناس مفعول
له اى دلالة وبيانا وقيل يعنى به الكتب الثلثة اى ليهتدى اهل كل كتا
بكتابه واهل كل زمان بما انزل فى زمانه وقيل ان هدى للناس حال
من الكتاب اى هاديا للناس وانزل الفرقان يعنى به القرآن وانما كرر
ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وان كانت لموصوف واحد لان لكل
صفة منها فايدة غير فايدة الاخرى فان الفرقان هو الذى يفرق بين
الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين فى الحج وغيره من الاحكام
وذلك كله فى القرآن ووصفه بالكتاب يفيد ان من شانه ان يكتب
وروى عبد الله بن سنان عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال الفرقان
هو كل اية محكمة فى الكتاب وهو الذى يصدق فيه من كان قبله من
الانبياء وقيل المراد بالفرقان الادلة الفاصلة بين الحق والباطل عن
ابى مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد صلى الله عليه وآله من حاجه
فى امر عيسى ع وقيل المراد به النصر ان الذين كفروا بايات الله اى بحججه ودلائله

لهم

لهم عذاب شديد لما بين حججه الدالة على توحيده وصدق انبيائه عقب ذلك
بوعيد من خالف فى ذلك وجحده ليتكامل به التكليف والله عزيز اى قادر
لا يتمكن احد ان يمنعه من عذاب من يريد عذابه واصل العزة الامتناع
ومنه ارض عزاز اى ممتنعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عزّ بزّ اى
من غلب سلب لان الغالب ممتنع عن الضيم فالله سبحانه عزيز اى ممتنع
من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شئ ذو انتقام اى ذو قدرة على الانتقام
من الكفار ولا يتهيا لاحد منعه والانتقام مجازاة المسئ على اساءته ان الله
لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء لما ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال
بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان تذكر انه لا
يخفى عليه شئ فيكون ذلك تحذيرا من الاعتذار بالاستتار بمعصيته لان
المجازى لا يخفى عليه خافية فان قيل لم قال لا يخفى عليه شئ ولم يقل لا يخفى
عليه على وجه من الوجوه فيكون اشد مبالغة قلنا لان الغرض ان يعلمنا
انه يعلم ما يستتر به فى الارض او فى السماء والافصاح بذكر ذلك اعظم
فى النفس واهول فى الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شئ فان قيل لم يقل
انه عالم بكل شئ فى الارض والسماء قلنا لان الوصف بانه يخفى عليه شئ
يدل على انه يعلمه من كل وجه فيصح ان يعلم مع ما فيه من التصرف فى العبادة
وانما لا يخفى عليه شئ لانه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون
معلوما وما يصح ان يكون معلوما لا نهاية له فلا يجوز ان يخفى عليه شئ
بوجه من الوجوه **قوله تعالى** هو الذى يصوركم فى الارحام كيف
يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ايه **اللغة** التصوير جعل الشئ على صورة
لم يكن عليها والصورة هيئة يكون الشئ عليها بالتاليف واصلها الا

من صاره بصورة اذا اماله لانها مايلة الى هيئة بالشبه لها والفرق
بين الصورة والصيغة ان الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على امر
من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل شيئا على
بنيته والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم به ويتعاطف
يقولون وصلتك رحم والمشية هي الارادة **الاعراب** كيف في موضع نصب
على المصدر تقديره اي نوع يشاء ويشاء جملة في موضع الحال من يصور اي
يصوركم في الارحام شائيا مريدا اي نوع ارادة **المعنى** هو الذي يصوركم
اي يخلق صوركم في الارحام كيف يشاء على اي صورة شاء وعلى اي صفة
شاء من ذكر او انثى او صبيح او ذميم طويل او قصير لا اله الا هو العزيز في
سلطانه الحكيم في افعاله ودلت الاية على وحدانية الله سبحانه وكمال
قدرته وتمام حكمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب
فيه من انواع البدايع من غير آلة ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل
ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء بعوضة ويصوروا منه صورة
في حال ما يشاهدونه ويعرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه
سبيلا فكيف تقدرون على الخلق في الارحام فتبارك الله احسن
الخالقين وهذا الاستدلال مروي عن جعفر بن محمد عليه السلم **قوله
تعالى** هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله الا
الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر
الا اولوا الالباب آية **اللغة** المحكم مأخوذ من قولك احكمت الشيء

اذا نقفته واتقنته وام الكتاب اصله ومكة ام القرى ويقال لعلم الجيش
ام واصله امه ولذلك يجمع امهات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذي
يشبه بعضه بعضا فيغمض اخذ من الشبه لانه يشتبه به المراد والزيغ
الميل وازاغه اماله والتزايغ التمايل في الاسنان والابتغاء التطلب والفتنة
اصلها الاختبار من قولهم فتنت الذهب بالنار اي اختبرته وقيل معناه
خلصته والتاويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم آل امره الى
كذا يؤل اولا اذا صار اليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى
على انها كانت تاول حبها تاول ربعي السقاب فاصحبا اي كان حبها
صغيرا فآل الى العظم كما آل السقب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبر
والراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخا اذا ثبت في موضعه وارسخه
غيره **الاعراب** منه آيات جملة من مبتدا وخبر في موضع النصب على الحال
من انزل تقديره انزل الكتاب محكما ومتشابها هن ام الكتاب جملة
في موضع الرفع لكونها صفة لآيات واخر عطف على آيات وهو صفة مبتدا
محذوف تقديره ومنه آيات اخر متشابهات صفة بعد صفة واخر
غير منصرف قال سيبويه ان اخر فارقت اخواتها والاصل الذي
عليه بناء اخواتها لان اخر اصلها ان تكون صفة بالالف واللام كما يقال
الصغرى والصغر فلما عدل عن مجرى الالف واللام واصل افعل منك
وهي مما لا يكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائي انما لم يصرف لانه
صفة وهذا غلط لان قولهم مال لبد وحطم منصرفان مع كونهما صفة
وابتغاء نصب لانه مفعول له في الموضعين وكل من عند ربنا مبتدا و
خبر وهو اسم دال على المضاف اليه كثير في الكلام حذف المضاف اليه

منه عند البصريين ولا يجيزون انا كلا فيها على الصفة واجازه الكوفيون
لانه انما حذف عندهم لدلالته عليه اسم كان او صفة وانما بنى قبل على
الغاية ولم يبن كل وان حذف من كل واحد منهما المضاف اليه لان قبل
ظرف يعرف وينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذى على تعريفه بالمضاف اليه
والاعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لانه معرفة
فى الافراد دون نكرة فاما ليس غير فمشبه بحسب لما فيه من معنى الامر
المعنى لما تقدم بيان انزال القران عقبه ببيان كيفية انزاله فقال هو الذى
انزل عليك يا محمد الكتاب اى القران منه اى من الكتاب ايات محكمات
هن ام الكتاب اى اصل الكتاب واخر متشابهات قيل فى المحكم والمتشابه
اقوال احدها ان المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة يقترن اليه و
لا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله سبحانه الله لا يظلم الناس شيئا
ولا يظلم مثقال ذرة ونحو ذلك مما لا يحتاج فى معرفة المراد به الى دليل
والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لا
نحو قوله واضله الله على علم فانه يفارق قوله واضلهم السامرى لان اضلال
السامرى قبيح واضلال الله سبحانه حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم
يشتبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وانما يقع الاشتباه
فى امور الدين كالتوحيد ونفى التشبيه والجور الا ترى ان ثم استوى
على العرش يحتمل فى اللغة ان يكون كاستواء الجالس على سريره وان يكون
بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الاول لا يجوز عليه سبحانه وثانيها
ان المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس وثالثها ان المحكم
ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا

عن محمد

عن محمد بن جعفر بن الزبير وابى على الجبائى ورابعها ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه
والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى عليه السلم وغير ذلك عن ابن زيد و
خامسها ان المحكم ما يعلم تعيين تاويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تاويله كقيام
الساعة عن جابر بن عبد الله وانما وحد ام الكتاب فلم يقل هن امهات الكتاب
لوجهين احدهما انه على وجه الجواب كانه قيل ما ام الكتاب فقال هن ام
الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظير زيد والثانى ان الايات بمجموعها
اصل الكتاب وليست كل اية محكمة ام الكتاب واصله لانها جرت مجرى شى
واحد فى البيان والحكمة ومثله وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين لان
شانهما واحد فى انها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الاية لها الا به ولا له
الا بها ولو اراد ان كل واحد منهما على التفصيل اية يقال ايتين فاما الذين
فى قلوبهم زيغ اى ميل من الحق وانما يحصل الزيغ بشك او جهل فيتبعون
ما تشابه منه اى يحتجون به على ما طلبهم ابتغاء الفتنة اى لطلب الضلال
والاضلال وافساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء
الخلق عن مجاهد وقيل لطلب الشرف والمال كما سمى الله سبحانه المال فتنة
فى مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة ههنا الكفر وهو المروى عن ابى
عبد الله وقول الربيع والسدى وابتغاء تاويله ولطلب تاويله على خلاف
الحق وقيل لطلب مدة اكل محمد صلى الله عليه واله على حساب الجمل و
ابتغاء عاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تاويلا اى عاقبة
وقول العرب تاول الشى اذا انتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم تاويله
انهم طلبوا تاويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله تعالى ان ذلك لا يعلمه الا الله
ويدل على ذلك قوله هل ينظرون الا تاويله واختلف فى الذين عنوا

بهذا فقيل عنى به وفد نجران لما حاجوه فى امر عيسى ع وسألوه فقالوا
اليس هو كلمة الله وروح منه فقال بلى فقالوا حسبنا الله فانزل الله تعالى
فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعنى انهم قالوا ان
الروح ما فيه بقاء البدن فاجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان
بقاء الدين كان به فى وقته كما ان بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة
على ان القديم سبحانه ليس بذى اجزاء واعضاء وانما يضاف اليه الروح
تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل هذه الامة
واستخراجه بحساب الجمل عن الكلبى وقيل هم المنافقون عن ابن جريح
وقيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله فالاية فيه عامة كالحرورية و
السبائية عن قتادة وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم اى
الثابتون فى العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف فى نظمه و
حكمه على قولين احدهما ان الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى ان
تاويل المتشابه لا يعلمه الا الله والا الراسخون فى العلم فانهم يعلمونه و يقولون
على هذا فى موضع النصب على الحال وتقديره قائلين امنا به كل من عند ربنا
كقول ابن المفرغ الحميرى الريح تبكى شجوه والبرق تلمع فى غمامه اى والبرق
ايضا يبكى لامعا فى غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر
بن زبير واختيار ابى مسلم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم فانه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله افضل الراسخين فى العلم قد علم
جميع ما انزل الله عليه من التنزيل والتاويل وما كان الله لينزل شيئا
عليه لم يعلمه تاويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله ومما يؤيد

هذا

هذا القول ان الصحابة والتابعين اجمعوا على تفسير جميع آى القران ولم
نرهم توقفوا عن شىء منه فلم يفسروه بان قالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله ل منه
وكان ابن عباس يقول فى هذه الاية انا من الراسخين فى العلم والقول
الاخر ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو الاستيناف فعلى هذا
القول يكون تاويل المتشابه لا يعلمه الا الله تعالى والوقف عند قوله
وما يعلم تاويله الا الله ويبتدى والراسخون فى العلم يقولون امنا به
فيكون مبتدا وخبر وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك
واختيار الكسائى والفراء والجبائى وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تاويله
ولكنهم يؤمنون به فالاية راجعة على هذا التاويل الى العلم بمدة اكل هذه
الامة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها
ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استاثره الله بعلمه ويكون
التاويل على هذا القول بمعنى المتاول كقوله هل ينظرون الا تاويله يوم
ياتى تاويله يعنى الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه
جميعا من عند ربنا وما يذكر اى وما يتفكر فى ايات الله ولا يرد المتشابه
الى المحكم الا اولوا الالباب اى ذووا العقول فان قيل لم انزل الله فى القران
المتشابه وهلا جعله كله محكما فالجواب انه لو جعل جميعه محكما لا
تكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل
العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الخاطر
فى استنباط المعانى وقال القاضى الماوردى قد وصف الله سبحانه
جميع القران بانه محكم بقوله الر كتاب احكمت اياته ووصف جميعه
ايضا بانه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمعنى

الاحكام الاتقان والمنع اى هو ممنوع باتقانه واحكام معانيه عن اعتراض
خلل فيه فالقران كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابها اى يشبه بعضه
بعضا فى الحسن والصدق والصواب والبعد عن الخلل والتناقض
فهو كله متشابه من هذا الوجه قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد
ايتان اللغة الهبة تمليك الشى من غير ثمن والهبة والنحلة والصلة
نظاير وفى لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح
اللام والدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولد بحذف
النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت الاعراب اللام
فى قوله ليوم لا ريب فيه معناه فى يوم وانما جاز ذلك لما دخل الكلام
من اللام فان تقديره جامع للجزاء فى يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ
الجزاء دخلت على ما يليه فاغنت عن فى لان حروف الاضافة متواخية
لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان فى قوله ان الله لا
يخلف الميعاد على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لان الله لا
يخلف الميعاد ولم يقرا به المعنى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
هذه حكاية عن قول الراسخين فى العلم الذين ذكرهم فى الاية الاولى
وذكر فى تاويله وجوه احدها ان معناه لا تمنعنا لطفك الذى معه
يستقيم القلوب فيميل قلوبنا عن الايمان بعد اذ وفقتنا بالطافك
حتى اهتدينا اليه وهذا دعاء للتثبيت على الهداية والامداد بالالطاف
والتوفيقات ويجرى مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا

والمعنى

والمعنى لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا فكانهم قالوا لا
تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا فتزيغ وتضل
وانما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من
التوبة كما قال سبحانه فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيها ان معناه
لا تكلفنا من الشدايد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد
الهداية ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولوا فاضافوا ما يقع من زيغ
القلوب اليه سبحانه لان ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة
عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجسا الى رجسهم ولم يزدهم دعائى
الا فرارا وثالثها ما قاله ابو على الجبائى ان المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك
ورحمتك وهو ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره
للاسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان
بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذى يفعله فى قلوب المومنين
ويمنعه الكافرين كما قال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
ومن ذلك كتابة الايمان فى قلوب المومنين كما قال اولئك كتب
فى قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هى سمات الكفر فى قلوب الكافرين
فكانهم سالوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده
من العقاب ورابعها ان الاية محمول على الدعاء بان لا يزيغ القلوب
عن اليقين والايمان ولا يقتضى ذلك انه تعالى سئل عما لولا المسئلة
لجاز ان يفعله لانه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والانقياد
لما عنده بان يفعل ما يعلم ان يفعله وبان لا يفعل ما نعلم انه
واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه

قل سبحانه رب احكم بالحق وقال ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك و قال
حاكيا عن ابرهيم ولا تخزني يوم يبعثون فان قيل هلا جاز على هذا ان يقول
ربنا لا تظلمنا ولا تجر علينا فالجواب انما لم يجز ذلك لان فيه تسخطا
من السايل وانما استعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك
ما نحن فيه وهب لنا من لدنك رحمة اى من عندك لطفا يتوصل به
الى الثبات على الايمان اذ لا يتوصل الى الثبات على الايمان الا بلطفك
كما لا يتوصل الى الابتداء الا بذلك وقيل نعمة انك انت الوهاب المعطي
للنعمة الذي شانه الهبة والعطية ربنا اى ويقولون يا سيدنا وخالقنا
انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اى ليس فيه موضع ريب وشك
لوضوحه وهذا يتضمن اقرارهم بالبعث ان الله لا يخلف الميعاد اى لا يخلف
الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وان خالف
آخر الكلام اوله في الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا انك لا تخلف ما وعدته وقيل انه على
الاستيناف وهو اختيار الجبائي فيكون اخبارا عن الله تعالى **قوله تعالى**
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك هم وقود النار اية الوقود الحطب
والوقود ايقاد النار **المعنى** ثم بين سبحانه حال الذين في قلوبهم زيغ
فقال ان الذين كفروا بايات الله ورسله لن تغني عنهم اى لن يدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال
المبرد هي على اصلها الابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غناء ابتداؤه وانتهاؤه
وقيل معناه من عذاب الله شيئا واولئك هم وقود النار اى حطب النار

يتقد

يتقد النار باجسامهم كما قال في موضع آخر حصب جهنم **قوله تعالى**
كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله
بذنوبهم والله شديد العقاب اية **اللغة** الداب العادة يقال
داب يداب دابا ودابا اذا اعتاد الشيء وتمرن عليه والداب الاجتهاد
يقال داب يداب في كذا دابا ودوبا اذا اجتهد فيه وبالغ ونقل من
هذا الى العادة لانه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير لا ارحل بالحجز
ثم لا اذا ابن الى الليل الا ان يعرجني طفل والذنب والجرم واحد يقال
اذنب فهو مذنب والذنب التلو للشيء ذنبه يذنبه اذا تلاه والذنوب
الدلو لانها تالية للحبل في الجذب والذنوب النصيب لانه كالدلو في
الانقسام والذنوب الفرس وافر شعر الذنب واصل الباب التلو فالذنب
الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما ان العقاب سمي بذلك لانه
يستحق عقب الذنب **الاعراب** الكاف في قوله كداب متعلق بمحذوف
وتقديره عادتهم كعادة آل فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بانها
خبر المبتداء ولا يجوز ان يعمل فيها كفروا لان صلة الذين قد انقطعت
بالخبر ولكن جاز ان يكون في موضع نصب بوقود النار لان فيه معنى الفعل
على تقدير يتقد النار باجسامهم كما يتقد باجسام آل فرعون كذبوا جملة
في موضع الحال والعامل فيه المعنى في داب آل فرعون وقد مقدرة معه
المعنى عادة هولاء في التكذيب بك وبما انزل اليك كداب آل
فرعون اى كعادة آل فرعون في التكذيب برسولهم وبما انزل اليه
عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقيل معناه
اجتهاد هولاء الكفار في قهرك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون

في قهر موسى ع عن الاصم والزجاج وقيل كعادة الله في آل فرعون في
انزال العذاب بهم بما سلف من اجرامهم وقيل كسنة آل فرعون
عن الربيع والكسائي وابي عبيدة وقيل كامر آل فرعون وشانهم عن
الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب والذين من قبلهم يعني كفار
الامم الماضية كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم اي عاقبهم الله ثم
بذنوبهم وسمي المعاقبة مواخذة لانها اخذ بالذنب فالاخذ بالذنب
عقوبة والله شديد العقاب لمن يعاقبه **قوله تعالى** قل للذين كفروا
ستغلبون ويحشرون الى جهنم وبئس المهاد اية **القراءة** قرأ اهل
الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون بالياء فيهما والباقون بالتاء
الحجة من اختار التاء فلقوله قد كان لكم اية فاجرى الجميع على الخطاب
ومن اختار الياء فالمنصرف في الكلام والانتقال من خطاب المواجه
الى الخبر بلفظ الغايب ويؤيده قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف قل للذين امنوا يغفروا وقيل ان الخطاب لليهود
والضمير في سيغلبون للمشركين لان اليهود اظهروا السرور بما كان
من المشركين يوم احد فعلى هذا لا يكون الا بالياء لان المشركين غيب
اللغة الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبي صلى الله عليه وآله الحاشر
يحشر الناس على قدميه كانه يقدمهم وهم خلفه لانه آخر الانبياء
يحشر الناس في زمانه وملته وجهنم اسم من اسماء النار وقيل اخذ من
الجهنام وهو البئر البعيدة القعر والمهاد القرار وهو موضع الذي يتمهد
فيه اي ينام مثل الفراش **النزول** روى محمد بن اسحق بن يسار عن رجاله
قال لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وآله قريشا ببدر وقدم المدينة
جمع

جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل
ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم
اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت
قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك
لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الاية وروي ايض عن عكرمة و
سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايض وقيل نزلت في
مشركي قريش ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت في اليهود
لما قتل الكفار ببدر وهزموا قالت اليهود انه النبي الامي الذي بشرنا
به موسى ع ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال
بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى دفعة له اخرى فلما كان يوم احد
ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شكوا وقالوا لا والله ما هو
به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد
الى مدة لم ينقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة في ستين راكبا فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله لتكونن
كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الاية عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس **المعنى** لما تقدم ذكر ما اصاب القرون الخالية
بالتكذيب للرسل من العذاب حذر هؤلاء من ان يحل بهم ما حل
اولئك فقال سبحانه قل للذين كفروا اما مشركي مكة او اليهود
على ما تقدم ذكره ستغلبون اي ستهزمون وتصيرون مغلوبين
في الدنيا وتحشرون اي تجمعون الى جهنم في الآخرة وقد فعل الله ثم
ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف لذا

وقرى سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون
من غير المخاطبين وانهم قوم اخرون ويمكن ان يكونوا اياهم قال الفراء
يقال قل لعبد الله انه قايم وانك قايم واذا قرى بالتاء فلا يجوز ان يظن
هذا فلا يكونون غير المخاطبين وبئس المهاد اى بئس ما مهد لكم وبئس
ما مهدتم لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بئس القرار عن الحسن
وقيل بئس الفراش الممهد لهم وفى الاية دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه واله لانه اخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا
يكون ذلك على وجه الاتفاق لانه بين اخبار كثيرة من الاستقبال
فخرج الجميع كما قال فكما ان كل واحد منها كان معجزا اذ الله لا يطلع على غيبه
الا من ارتضى من رسول فكذلك هذه الاية واذا ثبت صدقه على
احد الخبرين وهو انهم ستغلبون ثبت صدقه فى الخبر الاخر وهو انهم
يحشرون الى جهنم قوله تعالى قد كان لكم اية فى فئتين التقتا فئة
تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى
العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة
لاولى الابصار اية القراءة قرا اهل المدينة والبصرة غير ابى
عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروى فى الشواذ عن ابن عباس
يرونهم بضم الياء الحجة قال ابو على من قرا يرونهم بالياء فلان
بعد الخطاب غيبة وهو قوله فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم اى ترى الفئة المقاتلة فى سبيل الله الفئة الكافرة مثليهم
ومما يؤكد التاء قوله مثليهم ولو كان على التاء لكان مثليكم وان كان
قد جاء وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
ورايت

ورايت هنا المتعدية الى مفعول واحد ويدلك على ذلك تقييده
براى العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثليهم على الحال لا على انه
مفعول ثان فاما مثل فقد تفرد فى موضع التثنية والجمع فمن الافراد فى
التثنية قوله وساقيين مثل زيد وجعل ومن افراده على الجمع قوله انكم
اذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرا ترونهم فللخطاب
الذى قبله وهو قوله قد كان لكم اية ترونهم مثليهم فالضمير فى ترونهم
للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اى ترون ايها المسلمون المشركين
مثلى المسلمين فاما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قاله ابن جنى
ان رايت وارى اقوى فى اليقين من اريت واری تقول اری ان
سيكون كذا اى هذا غالب ظنى وارى ان سيكون كذا اى اعلمه
والحقيقة اللغة قد ذكرنا معنى الفئة عند قوله كم من فئة قليلة
والالتقاء والتلاقى والاجتماع واحد والايد القوة ومنه قوله تعالى
داود ذا الايد ادته ايده ايدا اى قويته وايدته تاييدا بمعناه والعبرة
الاية يقال اعتبرت بالشئ اعتبارا وعبرة والعبور النفوذ من احد
الجانبين الى الاخر وسميت الاية عبرة لانه يعبر بها من منزل العلم
الى منزل الجهل والمعتبر بالشئ تارك جهله وواصل الى علمه بما راى
والى الاخر وسميت الاية عبرة لانه يعبر بها العبارة الكلام يعبر المعنى
المخاطب والعبارة تعبير الرؤيا والتعبير وزن الدراهم وغيرها و
العبرة الدمعة واصل الباب النفوذ الاعراب قوله فئة يحتمل ثلثة اوجه
الرفع على الاستيناف بتقديره منهم فئة كذا واخرى كذا والجر على البدل
والنصب على الحال كقول كثير وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل

زمى فيها الزمان فشلّت انشد بالرفع والجر وقال ابن المفرغ وكنت كذى رجلين
رجل صحيحة ورجل رمى بها صايب الحدثان فاما التى صحّت فازد شنوءة
واما التى شلّت فازد عمان وقال اخر اذا مت كان الناس صنفين واخر
مثنٍ بالذى كنت اصنع ولا يجوز ان يقول مررت بثلثة صريع وجريح بالجر
لانه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فان
قلت مررت بثلثة صريع وجريح وسليم اجاز الرفع والجر فان اردت فيه
اقتتلوا جاز اوجه الثلثة والقراءة بالرفع لا غير وقوله راى العين يجوز
ان يكون مصدرًا ليرى والعين فى موضع الرفع لانه الفاعل ويجوز ان
يكون ظرفًا للمكان كما يقول ترونهم امامكم النزول نزلت الاية فى قصة
بدر وكانت المسلمون ثلثمائة وثلثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت
الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان
وستة وثلثون من الانصار وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله
عليه واله والمهاجرين على بن ابى طالب عليه السلم وصاحب راية الانصار
سعد بن عبادة وكانت الابل فى جيش رسول الله سبعين بعيرًا والخيل
فرسين فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن ابى مرثد وكان معهم من السلاح
ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ اربعة عشر
رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف فى عدة المشركين فروى
عن على عليه السلم وابن مسعود انهم كانوا الفا وعن قتادة وعروة
بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة الى الف وكانت خيلهم مائة فرس
ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر اول مشهد
شهده رسول الله صلى الله عليه واله وكان سبب ذلك عير ابى سفيان

المعنى

المعنى لما وعد الله سبحانه الظفر لاهل الايمان بين فعله يوم بدر باهل
الكفر والطغيان فقال قد كان لكم اية قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا
العهد اى كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعًا
ممن حضر الوقعة وقيل للمشركين واليهود اية اى حجة وعلامة ومعجزة دالة
على صدق محمد صلى الله عليه واله فى فئتين التقتا اى فرقتين اجتمعتا ببدر
من المسلمين والكافرين فئة فرقة تقاتل تحارب فى سبيل الله فى دينه
وطاعته وهم الرسول واصحابه واخرى اى وفرقة اخرى كافرة وهم المشركون
من اهل مكة يرونهم مثليهم اى ضعفيهم راى العين فى ظاهر العين
واختلف فى معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلى عددهم
فقللهم الله فى اعينهم حتى راوهم ستمائة وستة وعشرين رجلا
تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قد قيل لهم فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين فاراهم الله عددهم حسب ما حد لهم من العدد
الذى يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم وقد كانوا ثلثة امثالهم
ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء
وقيل ان الرؤية للمشركين يعنى يرى المشركون المسلمين ضعفى ما هم
عليه فان الله تعالى قبل القتال قلل المسلمين فى اعينهم ليجترؤا عليهم
ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثرهم فى اعينهم ليجبنوا وقلل المشركين
فى اعين المسلمين ليجترؤا عليهم وتصديق ذلك قوله تعالى واذ يريكموهم
اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم الاية وذلك احسن اسباب
النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين وهذا قول السدى وانما ياتى
هذا القول على قراءة من قرا بالياء فاما قول من قرا بالتاء فلا يحتمله

الا القول الاول على ان يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم المعنيون
بقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وهم يهود بني قينقاع
فكانه قال ترون ايها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع ان الله اظفرهم
عليه فلا تغتروا بكثرتكم واختار البلخي هذا الوجه او يكون الخطاب للمسلمين
الذين حضروا الوقعة اي ترون ايها المسلمون المشركين مثلي المسلمين
وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم معنى ثلثة امثالهم لانك اذا قلت
عندي الف واحتاج الى مثليها فانت تحتاج الى ثلثة الاف الفين لانك
تريد احتاج الى مثليها مضافا اليها لا بمعنى بدلا منها فكانك قلت احتاج
الى مثليها واذا قلت احتاج الى مثليها فانت تحتاج الى ثلثة الاف فكذلك
في الاية المعنى يرونهم مثليهم مضافا اليهم فذلك ثلثة امثالهم قال والمعجز
فيه انما كان من جهة غلبة القليل الكثير وانكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته
لظاهر الكلام وما جاء في اية الانفال من تقليل الاعداء فان قيل كيف يصح
تقليل الاعداء مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا الا قول من جوز
ان يكون عنده اجسام لا يدركها ويدرك بعضها دون بعض قلنا
يحتمل ان يكون التقليل في اعين المؤمنين بان يظنوهم قليلي العدد لانهم
ادركوا بعضهم دون بعض لان العلم بما يدرك الانسان جملة غير العلم
بما يدرك مفصلا ولانا قد ندرك جمعا عظيما باسرهم ونشك في اعدادهم
حتى يقع الخلاف في حزر عددهم فعلى هذا الوجه يكون تاويل تقليل الاعداء وقوله
والله يؤيد بنصره من يشاء النصر منه سبحانه على الاعداء يكون على ضربين
نصر بالغلبة ونصر بالحجة الغلبة انما كان لغلبة العدد القليل العدد الكثير
على خلاف مجرى العادة بما ايدهم الله به من الملئكة وقوى به نفوسهم

من

من تقليل العدة والنصر بالحجة هو وعده المتقدم بالغلبة لاحدى الطائفتين
لا محالة وهذا مما لا يعلمه الا علام الغيوب ان في ذلك اي في ظهور المسلمين
مع قلتهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في اعين المسلمين وتكثير
المسلمين في اعين المشركين لعبرة لاولي الابصار اي لذوي العقول كما يقال
لفلان بصر بالامور ولا يراد به الابصار الحواس الذي يشترك فيه سائر
الحيوان قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء و
البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله
عنده حسن المآب اية الحجة الشهوات جمع الشهوة وهي توقان
النفس الى المشتهى يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتهاء والشهوة من فعل الله
تعالى ولا يقدر عليها احد من البشر وهي ضرورية فينا لانه لا يمكننا دفعها
عن نفوسنا والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير العظيم واصله من الاحكام
يقال قنطرت الشيء اي احكمته والقنطرة الداهية وقيل اصله من القنطرة و
هو البناء المعقود للعبور والمقنطرة المحصلة قناطير كقولهم دراهم مدرهمة
اي مجعوله كذلك ودنانير مدنرة وقيل انما ذكر المقنطرة للتاكيد وقد يؤتى
بالمفعول والفاعل تاكيدا فالمفعول مثل قولهم حجرا محجورا ونسيا منسيا و
الفاعل كقولهم شعر شاعر وموت مائت والمراد بالجمع المبالغة والتاكيد
وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها والاختيال من التخيل لانه يتخيل
به صاحبه في صورة من هو اعظم منه كبرا والمسومة من قولهم اسمت الماشية
وسومتها اذا رعيتها والسماء الحسن والسيميا بمعناه قال غلام رماه الله
بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر والسيما العلامة وهو اصل الباب

والماب المرجع من الاوب وهو الرجوع **المعنى** ثم انزل الله سبحانه ما اخبر به
عن السبب الذى دعا الناس الى العدول عن الحق والهدى والركون الى الدنيا
فقال زين للناس حب الشهوات اى حب المشتهيات ولم يرد به نفس الشهوة
ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل زينها
الشيطان عن الحسن قال فوالله ما احد اذم للدنيا ممن خلقها وقيل زينها
الله تعالى لهم لما جعل فى الطباع من الميل اليها وما خلق فيها من الزينة
محنة وتشديدا للتكليف كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم ايهم احسن عملا وقيل زين الله سبحانه ما يحسن منه وزين الشيطان
ما يقبح عن ابى على الجبائى ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال من النساء
لان الفتنة بهن اعظم وقال النبى صلى الله عليه وآله نزلت بعدى فتنة اضر
على الرجال من النساء وقال النساء حبائل الشيطان وقال امير المومنين عليه السلم
المراة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها وهى عقرب حلوة اللسبة ثم قال
والبنين لان حبهم يدعو الى جمع الحرام وقال النبى صلى الله عليه واله للاشعث بن
قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لى منها غلام ولوددت ان لى به
جفنة من طعام اطعمها من معى من بنى جبلة فقال عليه السلام لئن قلت
ذاك انهم ثمرة القلوب وقرة الاعين وانهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة
والقناطير جمع قنطار واختلف فى مقداره فقيل الف ومائتا اوقية عن معاذ
بن جبل وابى بن كعب وعبد الله بن عمرو وقيل الف ومائتا مثقال عن ابن
عباس والحسن والضحاك وقيل الف دينار او اثنا عشر الف درهم عن
الحسن بخلاف وقيل ثمانون الفا من الدراهم او مائة رطل عن قتادة وقيل
سبعون الف دينار عن مجاهد وعطا وقيل هو ملأ مسك ثور ذهبا

عن

عن ابى نضرة وبه قال الفراء وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم
المقنطرة المضاعفة عن قتادة وقيل هى تسعة قناطير عن الفراء وقيل
هى الاموال المنضدة بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة
وقيل هو من الذهب والفضة عن الزجاج ولا يصح قول من قال انه من
الذهب خاصة لان الله تعالى ذكر القنطار فيهما جميعا وجميع الاقوال
ترجع الى الكثرة والخيل المسومة قيل معناه الافراس الراعية عن سعيد بن
جبير وابن عباس والحسن والربيع وقيل هى الحسنة من السماء وهو الحسن
عن مجاهد وعكرمة والسدى وقيل هى المعلمة عن قتادة وفى رواية
عن ابن عباس وقيل هى المعدة للجهاد عن ابن زيد والانعام وهى جميع النعم
هى الابل والبقرة والغنم من الضان والمعز ولا يقال الجنس منها على الانفراد
نعم الا للابل خاصة لانها تغلب عليه جملة وتفصيلا والحرث معناه
الزرع وهذه كلها محببة الى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين ان ذلك كله
مما يتمتع به فى الحيوة ثم يزول عن صاحبه والمرجع الى الله سبحانه فاحث
بالانسان ان يزهد فيه ويرغب فيما عند ربه فقال ذلك متاع الحيوة
الدنيا يعنى كل ما سبق ذكره مما يستمتع به فى الحيوة الدنيا ثم يفنى والله
عنده حسن الماب اى حسن المرجع فالماب مصدر سمى به موضع الاياب
قوله تعالى قل اونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان
من الله والله بصير بالعباد اية **القراءة** قرا ابو بكر عن عاصم
ورضوان بضم الراء كل القران والباقون بكسر الراء **الحجة** الرضوان
مصدر فمن كسر جعله كالرئمان والحرمان ومن ضمه جعله كالرجحان والشكران

استئناف
والكفران اللغة منتهى الاستفهام في اؤنبئكم عند قوله عند ربهم ثم
جنات تجري على تقدير الجواب كانه قيل ما ذلك الخير فقال هو جنات وقيل
منتهى الاستفهام عند قوله بخير من ذلكم ثم ابتداء فقال للذين اتقوا
عند ربهم جنات ويجوز في العربية في اعراب جنات الرفع والجر فالجر
على ان يكون اخر الكلام عند ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الاخر للفصل
باللام كما لا يجوز امرت لك باليقين ولاحبك بما يتبين حتى تقول لما يتبين
ولو قدمت فقلت وبما يتبين لاحبك لجاز وخالدين نصب على الحال
المعنى لما صغر سبحانه الدنيا وزهد فيها في الاية الاولى عظم الاخرة
وشرفها ورغب فيها في هذه الاية فقال قل يا محمد اخبركم او انبئكم لامتك
بخير من ذلك بانفع لكم مما سبق ذكره في الاية المتقدمة من شهوات
الدنيا ولذاتها وزهراتها للذين اتقوا ما حرم الله عليهم عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها الانهار وعلى
القول الاخر اخبركم مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتدأ
فقال جنات اي ذلك الخير جنات تجري من تحتها الانهار اي من
تحت ابنيتها وبين الله سبحانه بهذا ان انهار الجنة جارية ابدا ليست
كانهار الدنيا التي تجري ماؤها تارة وينقطع اخرى خالدين فيها
اي مقيمين في تلك الجنات وازواج مطهرة من الحيض والنفاس
وجميع الاقذار والادناس والطبائع الذميمة والاخلاق اللئيمة ورضوان
من الله فوق هذه الجنات رضوان من الله والله بصير بالعباد اي
خبير بافعالهم واحوالهم قوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا امنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين

والقانتين

والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ايتان اللغة
المغفرة هي الستر للذنب برفع التبعة والذنب والجرم بمعنى واحد والفرق
بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة
والجرم اصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين
القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر
الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما اوجب عليه من العبادات
والصادق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع والاسحار جمع سحر
وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر واصله الخفاء لخفاء الشخص في ذلك
الوقت والسحر منه ايضا لخفاء سببه والسحر الرئة لخفاء موضعها الاعراب
يجوز في موضع الذين الرفع والنصب والجر فالجر للاتباع للذين اتقوا
والرفع والنصب على المدح الصابرين نصب على المدح وكذلك باقي الصفات
ويجوز ان يكون جرا على الصفة للذين اتقوا المعنى ثم وصف المتقين
الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال الذين يقولون اي المتقين
القائلين ربنا اننا امنا اي صدقنا الله ورسوله فاغفر لنا ذنوبنا
اي استرها علينا وتجاوز لنا عنها وقنا اي وادفع عنا عذاب النار
ثم وصفهم بصفات اخر ومدحهم واثنى عليهم فقال الصابرين على
فعل ما امرهم الله به وترك ما نهاهم عنه وان شئت قلت الصابرين
على الطاعة وعن المعصية والصادقين في ايمانهم واقوالهم والقانتين
قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائمين على الطاعة والعبادة عن الزجاج
وقيل القائمين بالواجبات عن القاضي والمنفقين اموالهم في سبيل
الخير وفيه الزكوة المفروضة والتطوع بالانفاق والمستغفرين بالاسحار

المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عن ابيه عن ابي عبد الله عليهم السلم
وقيل السائلين المغفرة وقت السحر عن انس وقيل المصلين صلوة الصبح في جماعة
عن زيد بن اسلم وقيل الذين تنتهي صلوتهم الى وقت السحر ثم يستغفرون ويدعون
عن الحسن عن ابي عبد الله عليه السلم ان من استغفر الله سبعين مرة في
وقت السحر فهو من اهل هذه الآية وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وآله قال ان الله عز وجل يقول اني لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت
الى عمار بيوتي والى المتهجدين والى المتحابين فيّ والى المستغفرين بالاسحار صرفت
عنهم **قوله تعالى** شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم
قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب آيتان
القراءة قرأ الكسائي ان الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج
وروى عن ابن عباس قال انه لا اله الا هو بكسر الالف والقراءة انه بالفتح
الحجة قال ابو علي الوجه الكسر في ان لان الكلام الذي قبله قد تم ومن
فتح ان جعله بدلا والبدل وان كان في تقدير جملتين فان العامل لما لم يظهر
اشبه الصفة فاذا جعلته بدلا جاز ان تبدله من شيئين احدهما من قوله انه
لا اله الا هو فكان التقدير شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون البدل
من الضرب الذي الشيء فيه هو هو وان شئت جعلته من بدل الاشتمال لان
الاسلام يشتمل على التوحيد والعدل وان شئت جعلته من القسط لان
الدين الذي هو الاسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو
وقال غيره ان الاولى والثانية يجوز في العربية فتحهما جميعا وكسرهما جميعا وفتح الاولى

وكسر

وكسر الثانية وكسر الاولى وفتح الثانية فمن فتحهما اوقع الشهادة على ان الثانية وحذف
حرف الاضافة من الاولى وتقديره شهد الله لا اله الا هو ان الدين عند الله
الاسلام ومن كسرهما اعترض بالاولى على التعظيم لله عز وجل به كما قيل لبيك
ان الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لان في معنى شهد معنى قال قال
المؤرج شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الاولى وكسر الثانية وهو
الاجود وعليه اكثر القراء اوقع الشهادة على الاولى واستأنف الثانية ومن
كسر الاولى وفتح الثانية اعترض بالاولى واوقع الشهادة على الثانية **اللغة**
حقيقة الشهادة الاخبار بالشيء عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى الدين
ههنا الطاعة واصله الجزاء وسمي الطاعة دينا لانها للجزاء ومنه الدين لانه كالجزاء
في وجوب القضاء والاسلام اصله السلم واسلم معناه دخل في السلم واصل
السلم السلامة لانه انقياد على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لانه
تسليم لامر الله والتسليم من السلامة لانه تادية الشيء على السلامة من الفساد
فالاسلام هو تادية الطاعات على السلامة من الادغال والاسلام والايمان
بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من افعال الجوارح
من الايمان وعندنا الايمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال
الجوارح وقد شرحناه في اول البقرة والاسلام عندنا الانقياد لكل ما جاء
به النبي صلى الله عليه وآله من العبادات الشرعية والاستسلام له وترك
التكبر عليه واذا قلنا دين المؤمن هو الايمان وهو الاسلام فالاسلام
هو الايمان ونظير ذلك قولنا الانسان بشر والانسان حيوان على الصورة
الانسانية فالحيوان على الصورة الانسانية بشر والاختلاف ذهاب
احد النفسين الى خلاف ما ذهب اليه الآخر فهذا الاختلاف في الاديان

فاما الاختلاف في الاجناس فهو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الاخر فيما
يرجع الى ذاته والبغي طلب الاستعلاء بالظلم واصله من بغيت الحاجة اذا طلبتها

الاعراب قيل في نصب قايما قولان احدهما انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة
لان الحال المؤكدة تقع مع الاسماء في غير الاشارة تقول انه زيد معروفا وهو الحق
مصدقا وشهد الله قايما بالقسط اي قايما بالعدل والثاني انه حال من هو من قوله
لا اله الا هو وبغيا نصب على وجهين احدهما على انه مفعول له والمعنى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب الا للبغي بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب
بما دل عليه وما اختلف كانه لما قيل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب دل على
وما بغى الذين اوتوا الكتاب فحمل بغيا عليه

المعنى لما قدم سبحانه ذكر ارباب
الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال شهد الله انه لا اله الا هو اي اخبر بما يقوم
مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعته وبديع حكمته وقيل معنى
شهد الله قضى الله عن ابي عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبين ذلك
فان الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ومنه شهد فلان عند القاضي
اي بين ما علمه فالله عز وجل قد دل على توحيده بجميع ما خلق وبين انه
لا يقدر احد ان ينشئ شيئا واحدا مما انشاه والملئكة اي وشهدت الملئكة
بما عاينت من عظيم قدرته واولوا العلم اي وشهد اولوا العلم بما ثبت عندهم
وبين من صنعه الذي لا يقدر عليه غيره وروي عن الحسن ان في الاية تقديما
وتاخيرا والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو قايما بالقسط وشهد الملئكة انه
لا اله الا هو قايما بالقسط وشهد اولوا العلم انه لا اله الا هو قايما بالقسط والقسط العدل
الذي قامت به السموات والارض ورواه اصحابنا ايضا في التفسير واولوا العلم هم علماء
المؤمنين عن السدي والكلبي وقيل معنى قوله قايما بالقسط انه يقوم باجراء

الامور

الامور وتدابير الخلق وجزاء الاعمال بالعدل كما يقال فلان قايم بالتدبير اي يجري افعاله
على الاستقامة وانما كرر قوله لا اله الا هو لانه بين بالاول انه المستحق للتوحيد
لا يستحقه سواه وبالثاني انه القايم برزق الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في
فعله والعزيز الحكيم مر تفسيره وتضمنت الاية الابانة عن فضل العلم
والعلماء لانه سبحانه قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصهم
بالذكر كانه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم
الدين لان الشهادة وقعت عليه ومما جاء في فضل العلم والعلماء من الحديث
ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال ساعة من عالم يتكي
على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما وروى انس بن
مالك عنه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه
جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام و
منار سبل الجنة والنار والانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث
في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والقرب عند الغرباء
يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتص باثارهم و
ينتهى الى رايهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلوتهم
يستغفرون لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحار وهوامها و
سباع الارض وانعامها والسماء ونجومها الا وان العلم حيوة القلوب
ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس الملوك
والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام
وبه يوصل الارحام فالعلم امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه
الاشقياء ومما جاء في فضل هذه الاية ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وآله

قال من قرا شهد الله الاية عند منامه خلق الله منها سبعين الف
خلق يستغفرون له الى يوم القيمة الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه
العشية من رسول الله وهى عشية عرفة حتى اسمع ما يقول فجلست ناقتى من
ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وناقة رجل كان الى جنبه فسمعته يقول
شهد الله انه لا اله الا هو الاية فما زال يرددها حتى رفع غالب القطان
قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما
كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه
الاية شهد الله انه لا اله الا هو الاية ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله
به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله
الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته
ثم قلت اية سمعتك ترددها قال والله لا احدثك بها الى سنة فلبثت على
بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة
فقال حدثنى ابو وايل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عهد عندى وانا
احق من وفا بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وقال سعيد بن جبير كان
حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت شهد الله انه لا اله الا
هو خررن سجدا وقوله ان الدين عند الله اى الطاعة عند الله هى الاسلام
وقيل المراد بالاسلام التسليم لله ولاوليائه وهو التصديق وروى
عن امير المؤمنين عليه السلام فى خطبة له انه قال لانسبن الاسلام
نسبة لم ينسبها احد قبلى الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين و
اليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء

هو

٤٠٢٥

هو العمل رواه على بن ابرهيم فى تفسيره قال ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه
ولم ياخذه عن رايه ان المؤمن يعرف ايمانه فى عمله وان الكافر يعرف
كفرانه بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فان السيئة فيه خير من الحسنة
فى غيره ان السيئة فيه تغفر وان الحسنة فى غيره لا تقبل وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب معناه وما اختلف اليهود والنصارى فى صدق
نبوة محمد صلى الله عليه وآله لما كانوا يجدونه فى كتبهم بنعته وصفته و
وقت خروجه الا من بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال
بغيا بينهم اى حسدا او تعديه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب بغيا
بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البينات
التى هى طريق العلم فيدخل فيه الا من علم بصفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لان
المبطلون من اهل الكتاب علموا ولم يعلموا ويحتمل ان يراد به نفس العلم فلا يدخل
فيه الا من علم بصفة محمد صلى الله عليه وآله وكتمه عنادا وقيل المراد بالذين
اوتوا الكتاب اليهود والكتاب التورية لما عهد موسى عليه السلم
اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلثة قرون اختلفوا عن الربيع
وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا
فى امر عيسى عليه السلم عن محمد بن جعفر ابن الزبير وقيل يخرج مخرج الجنس و
معناه كتب الله المتقدمة واختلفوا بعدها فى الدين عن الجبائى ومن
يكفر بايات الله اى بحججه وقيل بالتورية والانجيل وما فيهما من صفة محمد
صلى الله عليه وآله وقيل بالقران وما دل عليه فان سريع الحساب اى لا
يفوته شى من اعمالهم وقيل معناه سريع الجزاء وحقيقة الحساب ان ياخذ

مالك وتعطى ما عليك **قوله تعالى** فان حاجوك فقل اسلمت
وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك
البلاغ والله بصير بالعباد اية **القراءة** حذف عاصم وحمزة و
الكسائى الياء من اتبعنى اجتزاء بالكسرة واتباعا للمصحف واثبتها الباقون
على الاصل **الحجة** حذف الياء او اخى الياء احسن لانها تشبه القوافى ونحوه
فى وسط الآى ايضا واحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله ومن اتبعنى
فان لم يكن نون جاز ايضا نحو قولك هذا غلام وما اشبهه والاجود
اثبات الياء وان شئت اسكنت الياء وان شئت فتحتها **الاعراب** و
من اتبعن فى محل الرفع عطفا على التاء فى قوله اسلمت ولم يؤكد الضمير فلم
يقل اسلمت انا ومن اتبعنى ولو قلت اسلمت زيد لم يحسن الا ان يقول
اسلمت انا وزيد وانما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عوضا عن
تاكيد الضمير المتصل بالمنفصل **المعنى** لما قدم سبحانه وتعالى ذكر الايمان
والاسلام خاطب نبيه فقال فان حاجوك المعنى فان حاجك وخاصمك
النصارى وهم وفد نجران فقل يا محمد اسلمت وجهى لله وفيه وجهان
احدهما ان معناه انقدت لامر الله فى اخلاص التوحيد له والحجة فيه
انه الزمهم على ما اقروا من ان الله خالقهم اتباع امره فى الا يعبدوا
الا اياه والثانى ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت
قصدى بالعبادة اليه فذكر الاصل الذى يلزم جميع المكلفين الاقرار
به لانه لا يتبعض فيما يحتاج الى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاة

من العذاب الى النعيم ومعنى وجهى هنا نفسى واضاف الاسلام الى الوجه
لان وجه الشىء اشرف ما فيه لانه مجمع الحواس وعليه يظهر اثر الحزن و
السرور فمن اسلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل شىء هالك الا وجهه
ومن اتبعنى اى ومن اقتدى بى فى الدين من المسلمين فقد اسلموا ايضا
كما اسلمت وقل يا محمد للذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى و
الاميين اى الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركو العرب
وقد مر تفسير الامى واشتقاقه عند قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
ءاسلمتم اى اخلصتم كما اخلصت لفظه لفظ الاستفهام وهو بمعنى التوقيف
والتهديد فيكون متضمنا للامر فيكون معناه اسلموا فان الله تعالى ازاح
العلل واوضح السبل ونظيره فهل انتم منتهون اى انتهوا وهذا كما يقول
الانسان لغيره وقد وعظه بمواعظ ابلغت وعظى بدعوه بذلك الى قبول
الوعظ فان اسلموا فقد اهتدوا الى طريق الحق وان تولوا اى كفروا ولم
يقبلوا واعرضوا عنه فانما عليك ان تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك
ان لا يتولوا والله بصير بالعباد معناه ههنا انه لا يفوته شىء من
اعمالهم التى يجازيهم بها لانه بصير بهم اى عالم بهم وبسرائرهم لا يخفى
عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك فى التبليغ ومنهم فى
الايمان والكفر **قوله تعالى** ان الذين يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين
حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين اية

العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب والاجر
ولا المدح وحسن الذكر وانما يحبط الطاعة حتى يصير كانها لم يفعل اذا
وقعت على خلاف الوجه المامور وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب

قوله تعالى المر تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ايتان

اللغة النصيب الحظ من الشئ وهو القسم المجعول لمن اضيف اليه
والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر وبالخبر و
بالدلالة والحكم الخبر الذى يفصل الحق من الباطل ماخوذ من الحكمة
وهى المنع والغرور الاطماع فيما لا يصح غره يغره غرورا فهو مغرور
والغرور الشيطان لانه يغر الناس والغار الغافل لانه كالمغتر والغرارة
الدنيا تغر اهلها والغر الغمر الذى لم يجرب الامور ومصدره الغرارة
لان من شانه ان يقبل الغرور والغرر الخطر اخذ منه والغرار طى الثوب
يقال اطوه على غره اى على اثار طيه والغرز فى الطاير فرخه والافترا الكذب
وفرى فلان كذبا يفريه فرية والفرى الشق وفرية مفرية اى مشقوقة
وقد تفرى خرزها اى تشقق وفريت الارض سرتها وقطعتها

الاعراب يدعون جملة فى موضع الحال من اوتوا يتولى فريق جملة معطوفة
على يدعون وهم معرضون فى موضع نصب ايضا على الحال من يتولى
اياما نصب على الظرف لان مس النار يكون فى تلك الايام ومعدودات
صفة الايام **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر الحجاج بين انهم اذا غمضتم الحجة

فروا الى الصحة واعرضوا عن المحبة فقال الم تر معناه الم ينته علمك الى الذين الحجة
اوتوا اى اعطوا نصيبا اى حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف
فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعى اليها اليهود فابوا العلمهم
بلزوم الحجة لهم لما فيه من الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصدقه
وانما قال اعطوا نصيبا من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه
وقيل معناه القران عن الحسن وقتاده دعوا الى القران لان ما فيه موافق
لما فى التورية من اصول الديانة واركان الشريعة وفى الصفة التى تقدمت
البشارة بها ليحكم بينهم يحتمل ثلثة اشياء احدها ان معناه ليحكم
بينهم فى نبوة النبى صلى الله عليه وآله فى امر عن ابى مسلم وجماعة والثانى
ان معناه ليحكم بينهم فى امر ابرهيم عليه السلم وان دينه الاسلام والثالث
ان معناه ليحكم بينهم فى امر الرجم فقد روى عن ابن عباس ان رجلا
وامراة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوى شرف فيهم وكان فى كتابهم
الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة
فى امرهما فرفعوا امرهما الى رسول الله ص فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان ابن
اوفى وبحرى ابن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله
بينى وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم فى التورية فيها
الرجم مكتوب فقال له اقرا قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرئيل قد وصفه لرسول الله
فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال
كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله ص بشئ من التورية فيها الرجم مكتوب
فقال له اقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها وقرا ما بعدها

فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه
عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا و
قامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى انتظر بها حتى تضع ما
في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وآله باليهوديين فرجما فغضب اليهود
لذلك فانزل الله هذه الآية ثم يتولى فريق منهم اى طايفة منهم عن الداعي
وهم معرضون عن اتباع الحق ذلك معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ
محذوف فالله سبحانه بين العلة في اعراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي
جرأهم على الجحد والانكار بانهم قالوا لن تمسنا النار اى لن تصيبنا النار الا
اياما معدودات وفيه قولان احدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي
اربعون يوما عن الربيع وقتادة والحسن الا ان الحسن قال سبعة ايام و
الثاني انهم ارادوا اياما منقطعة عن الجبائي وغرهم في دينهم اى اطمعهم
في غير مطمع ما كانوا يفترون اى افتراهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء
الذي غرهم على قولين احدهما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه عن قتادة و
الآخر قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات عن مجاهد وهذا لا يدل
على حذف ما يذهب اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين من اهل الصلوة
من النار لانا نقول ان عقاب من ثبت دوام ثوابه بايمانه لا تكون الا
منقطعا وان لم يحط علما بمقدار عقابه ولا نقول ايام عقابه بعدد ايام
عصيانه كما قالوه وبين القولين اذا بون ظاهر **قوله تعالى** فكيف
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون **الاعراب** كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه ههنا
التنبيه بصيغة السؤال عن حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار

شديد

شديد لان تقديره اى حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى اداه
ذلك الى الخلود في النار ونظيره قول القائل انا اكرمك وان لم تجئني معناه
فكيف اكرامي لك اذا جئتني يريد عظم الاكرام والتقدير فكيف حالهم حالهم
اذا جمعناهم لانه خبر مبتدأ محذوف **المعنى** ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال
فكيف حالهم اذا جمعناهم اى في وقت جمعهم وحشرهم ليوم اى الجزاء يوم لا
ريب فيه ولا شك فيه لمن نظر في الادلة اذ ليس فيه موضع ريبة وشك
ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام تدل على ذلك كما حسنه ليوم
الخميس ولا يعطى جبته في يوم الخميس هذا المعنى ووفيت كل نفس ما كسبت
فيه قولان احدهما ان معناه وفرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب
او عقاب والثاني اعطيت ما كسبت اى اجتلبت بعملها من الثواب و
العقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة وهم لا يظلمون
اى لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزادون على ما استحقوه من
العقاب **قوله تعالى** قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و
تنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير
انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في
الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب **فضل الآية** ما روى في فضل الاى روى جعفر بن محمد عن
ابيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال لما اراد الله تعالى ان ينزل فاتحة
الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم الى قوله بغير حساب تعلقن
بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا دار الذنوب
والى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور والقدس فقال لهم تعالى

وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلوة الا اسكنته حظيرة القدس
على ما كان فيه والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة والا
قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة والا اعذته من كل
عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة الا ان يموت وقال معاذ بن جبل
احتبست عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا
معاذ ما منعك من صلوة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي
على اوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فاشفقت ان يحبسني دونك
قال أتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم
مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى قوله بغير حساب رحمن الدنيا والآخرة
ورحيمهما تعطي منهما ما تشاء وتمنع منهما ما تشاء اقض عني ديني فلو كان
عليك ملأ الارض ذهبا لاداه الله عنك **القراءة** قرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص ويعقوب الميت بالتشديد والباقون بالتخفيف **الحجة** قال المبرد
لا خلاف بين علماء البصرة انهما سواء وانشد لابن الرعلاء الغساني ليس
من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش
كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء فجمع بين اللغتين وما مات ولما يمت في
في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي
لم يمت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول الا ترى انه قد جاء
ومنهل فيه الغراب ميت سقيت منه القوم واستقيت فهذا قد مات
اللغة النزع قلع الشيء عن الشيء ويقال نزع فلان الى اخواله اي نزع اليهم
بالشبه فصار واحدا منهم يشبههم والنزاع الحنين الى الشيء والنزوع
عن الشيء الترك له الايلاج الادخال اولجه فولج ولوجا وولجا ولجة والولي

بطانة

بطانة الرجل لانه يطلع على دخلة امره والتولج كناس الظبي لانه يدخله و
الولج والوليجة شيء يكون بين يدي فناء القوم **الاعراب** اللهم معنى يا الله
والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض من ياء لان يا لا يوجد مع الميم في
كلامهم نعلم ان الميم في اخر الكلمة بمنزلة يا في اولها والضمة التي في الهاء
ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها
وقال الفراء اصله يا الله ام بخير فالقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها
ومثله هلم انما اصله هل ام واعترض على قول الخليل بان الميم انما تزاد مخففة
في مثل فم وابنم وبانها اجتمعت مع يا في قول الشاعر وما عليك ان تقولي
كلما سبحت او صليت يا اللهما اردد علينا شيخنا مسلما وقال علي بن عيسى
هذا ليس بشيء لان الميم ههنا عوض عن حرفين فشددت كما قيل فمين
وضربتن لما كانت النون عوضا عن حرفين في فموا وضربتموا فاما فمن
وهن فالنون هناك عوض من حرف واحد واما البيت فانما جاء
ذلك فيه لضرورة الشعر واما هلم فان الاصل فيه ان حرف التنبيه وهي
هاء دخلت على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه
منصوب بانه منادى قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم
لان اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل ذلك يا زيد ذا الجمة تؤتي الملك
من تشاء فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والعامل
فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء مفعول ثان
والتقدير تؤتي الملك من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان
تنزع منه وكذلك الباقي بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال ايضا
والعامل فيه تؤتي وتنزع وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها **النزول**

قبل لما فتح رسول الله صلى الله عليه واله مكة ووعد امته ملك فارس والروم
قالت المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم الم
يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس فنزلت هذه الاية عن ابن
عباس وانس بن مالك وقيل ان النبي صلى الله عليه واله خط الخندق
في عام الاحزاب وقطع لكل عشرة واربعين ذراعا فاحتج المهاجرون و
الانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا
وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه واله سلمان منا اهل
البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن
المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجب ذي
ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت
علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان
نعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيه بامره فانا لا نحب ان
نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه واله وهو ضارب عليه
قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق
فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا
فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله مع سلمان
الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله المعول من يد سلمان
فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها ضربة رسول الله
والثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها رسول الله تكبيرة فتح
وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضاء

ما بين

ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ص
تكبيرة فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بابي انت
وامي رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت منك قط فالتفت رسول
الله ص الى القوم وقال رايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت
ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومداين
كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت
ضربتي الثالثة فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور صنعا كانها انياب
الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون
وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا
تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق
ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القران واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله تعالى
في هذه القصة قل اللهم الاية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف
المعنى لما ذكر مكايد اهل الكتاب علم رسوله كيف يحاجهم وكيف يجيبهم
اذا سالوا واحالوا فقال يا محمد اللهم يا الله مالك الملك مالك كل ملك
وملك فكل مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل
مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك امر الدنيا والاخرة
وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير تؤتي الملك من تشاء
تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف اي من تشاء ان تؤتيه وتنزع
الملك ممن تشاء ان تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت ومعناه

للمصلحة
ونقطع الملك عمن نشاء ان نقطعه عنه على ما توجبه الحكمة وتقتضيه
واختلف في معناه فقيل تؤتي الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه
وامته وتنزعه من صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة
حتى يفتحها اهل الاسلام عن الكلبي وقيل تؤتي النبوة والامامة وبلادك
من عبادك وتوليه التصرف في خلقك وتنزع الملك على هذا الوجه من
الجبارين بقهرهم وازالة ايديهم فان الكافر والفاسق وان اغلب او
ملك فليس ذلك بملك يؤتيه الله لقوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين
وكيف يكون ذلك من ايتاء الله وقد امر بقصر يده عنه وازالة ملكه
وتعز من تشاء بالايمان والطاعة وتذل من تشاء بالكفر والمعاصي وقيل
تعز المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز
محمدا واصحابه وتذل ابا جهل واضرابه من المقتولين يوم بدر في القليب و
قيل تعز من تشاء من اوليائك بانواع العز في الدنيا والدين وتذل من تشاء
من اعدائك في الدنيا والاخرة لانه سبحانه لا يذل اولياءه وان افقرهم
وابتلاهم فان ذلك ليس على سبيل الاذلال بل ليكرمهم بذلك في الاخره
ويعزهم ويحلهم غاية الاعزاز والاجلال بيدك الخير اللام للجنس اي الخير
كله في الدنيا والاخرة من قبلك وانما قال بيدك الخير وان كان بيده
لكل شيء من خير او شر لان الاية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن
في هذه الحالة الا ذكر الخير لان الترغيب لا يكون الا في الخير وهذا كما يقال
امر فلان بيد فلان انك على كل شيء قدير اي قادر على جميع الاشياء
لا يعجزك شيء يقدر على ايجاد المعدوم وافناء الموجود واما ايجاد ما كان
موجودا تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قيل في معناه قولان

احدها

احدهما ان معناه تنقص من الليل فتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وتنقص من
النهار فتجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وعامة المفسرين والاخر معناه يدخل احدهما في الاخر باتيانه بدلا
منه في مكانه عن ابي علي الجبائي تخرج الحي من الميت اي من النطفة وهي ميتة وقيل قوله
كنتم امواتا فاحياكم وتخرج الميت من الحي اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من
البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة
والسدي وقيل ان معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن و
روي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وترزق من تشاء بغير
حساب معناه بغير تقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لان من عادة
المقتر ان لا ينفق الا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخافة نقصان
لما عنده فانه لا نهاية لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو على حساب
جزء من كذا جزءا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الالف وقيل
ان المراد بمن تشاء ان يرزق اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يتناوله الحساب ولا العدد
ولا الاحصاء من حيث انه لا نهاية له ويطابقه قوله فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب **قوله تعالى** لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان
تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير اية **القراءة** قرا
يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقون تقاة وامال
الكسائي تقيه وقرا نافع وحمزة بين التفخيم والامالة والباقون بالتفخيم **الحجة**
الاجود في تقيه التفخيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الا ماله
ليؤذن ان الالف منقلبة عن الياء وتقيه وزنه فعله نحو تؤدة وتخمة وهما

رسول الله صلى الله عليه واله فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال
نعم قال افتشهد انى رسول الله فقال نعم ثم دعا بالاخر فقال اتشهد ان
محمدا رسول الله قال نعم ثم قال افتشهد انى رسول الله فقال انى اصم
قالها ثلثا كل ذلك يجيبه بمثله فضرب عنقه فبلغ ذلك الى رسول الله
فقال اما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بفضله فهنيئا له واما
الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا يكون التقية رخصة و
الافصاح بالحق فضيلة وقوله ويحذركم الله نفسه يعنى اياه فوضع
نفسه مكان اياه ومعناه ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين اوليا
وعلى ساير المعاصى وذكر نفسه لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الاسد
اى صولته وافتراسه دون عينه والى الله المصير معناه والى جزاء الله تعالى
وقيل الى حكمه **قوله تعالى** قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه
الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير اية
اللغة الصدر معروف وهو اعلى مقدم كل شىء والصدر الانصراف
عن الماء بعد الرى والصدار حزام الرحل المتصل الى الصدر والصدار ثوب يشبه
بالقميص قصير تلبسها المراة لانه قصير يغطى الصدر وما حاذاه **الاعراب**
يعلمه الله جزم لانه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان او لم يكن و معناه
يعلمه كاينا ولا يصح وصفه بذلك قبل ان يكون ورفع ويعلم ما فى السموات
على الاستيناف **المعنى** لما تقدم النهى عن اتخاذ الكفار اولياء خوفا
من الابطان بخلاف الاظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه يا محمد ان تخفوا
اى تستروا ما فى صدوركم يعنى ما فى قلوبكم وانما ذكر الصدر لانه محل
القلب او تبدوه اى تظهروه يعلمه الله فلا ينفعكم اخفاؤه وهو مع ذلك

يعلم

يعلم ما فى السموات وما فى الارض وانما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على
التفصيل فيتم التحذير اذا كان من يعلم ما فى السموات وما فى الارض على
التفصيل يعلم الضمير والله على كل شىء قدير فيقدر على اخذكم ومجازاتكم
قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف
بالعباد اية **اللغة** الامد الغاية التى ينتهى اليها قال النابغة الا لمثلك
او من انت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد **الاعراب** فى انتصاب
يوم وجوه احدها انه منصوب بيحذركم اى يحذركم الله نفسه يوم تجد و
الثانى بالمصير تقديره الى الله المصير يوم تجد والثالث اذكر يوم تجد كل
نفس وقوله ما عملت ما ههنا بمعنى الذى لانه عمل فيها تجد فهى فى موضع
نصب ويحتمل ان يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد
كل نفس عملها يعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد اذا جعله
من الوجدان فان جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله ما عملت من
سوء يصلح فيها معنى الذى وتقويه قوله تود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء
لكان تود مفتوحا او مكسورا والرفع جايز على ضعف واقول ان جواب لو
ههنا محذوف وتقدير الكلام تود ان بينها وبينه امدا بعيدا لو ثبت
ذلك لان لو يقتضى الفعل ولا يدخل على الاسم وان مع اسمه وخبره بمنزلة
مصدر فيكون تقديره لو ثبت ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون فى
ذكر الفاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف وفى لفظ
تود دلالة على جواب لو هذا ما سنح لى الان وهو واضح بحمد الله ومنه **المعنى**
لما حذر العقاب فى الاية المتقدمة بين وقت العقاب فقال يوم تجد

كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة وخير محضرا ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا
حاضرا وعملت نفس ما احضرت ثم اختلف في كيفيته وجود العمل محضرا فقيل
تجد صحايف الحسنات والسيئات عن ابي مسلم وغيره وهو اختيار القاضي
وقيل هو جزاء عملها من الثواب او العقاب فاما اعمالهم فهي اعراض قد بطلت
ولا يجوز عليها الاعادة فيستحيل ان ترى محضرة وما عملت من سوء معناه
تجد كل نفس الذي عملته من معصيته محضرا تود لو ان بينها وبين معصيتها
امدا بعيدا اي غاية بعيدة اي تود انها لم تكن فعلتها وقيل معناه مكانا بعيدا
عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل ويحذركم الله نفسه
مر ذكره والله رؤوف بالعباد اي رحيم بهم قال الحسن ومن تمام رافته بهم ان
حذرهم عقابه على معاصيه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ايتان اللغة
المحبة هي الارادة الا انها تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد اخرى تقول
احب زيدا واحب اكرام زيد ولا تقول في الارادة ذلك لانك تقول
اريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وانما كان كذلك لقوة تصرف المحبة
في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة فعوملت تلك المعاملة في
الاضافة ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته
لطاعاته وقالوا احببت فلانا فهو محبوب استغنوا بمحبوب به عن محب
كما استغنوا باحببت عن حببت وقد قال عنترة ولقد نزلت فلا تظني
غيره مني بمنزلة المحب المكرم فجاء به على الاصل وحكى الزجاج عن الكسائي
حببت من الثلاثي وقوله ويغفر لكم لا يجوز في القياس ادغام الراء في اللام كما ان

ادغام اللام في الراء في هل رايت لان الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص
للاخلال به والطاعة اتباع الداعي فيما دعا اليه بامره وارادته ولذلك
قد يكون الانسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه اليه وان لم يقصد ان يطيعه
لانه اذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعاء الى المعصية فقد اطاع الداعي
اليها النزول قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الايتان في وفد نجران من النصارى
لما قالوا انما نعظم المسيح حبا لله المعنى ثم بين سبحانه ان الايمان به لا
يجدي الا اذا قارنه الايمان برسوله فقال قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما
تزعمون فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقيل معناه ان كنتم تحبون
دين الله فاتبعوا ديني يزد لكم حبا عن ابن عباس وقيل ان كنتم صادقين
في دعوى محبة الله تعالى فاتبعوني فانكم ان فعلتم ذلك احبكم الله تعالى
وغفر لكم والله غفور رحيم اي كثير المغفرة والرحمة قل اطيعوا الله والرسول
اي قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاظهروا دلالة صدقكم بطاعة
الله وطاعة رسوله فذلك امارة صدق الدعوى فان تولوا اي فان
اعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فان الله لا يحب الكافرين معناه
انه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدل بالنفي على الاثبات وذلك ابلغ لانه لو قال
يبغضهم لجاز ان يتوهم انه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه كما يجوز
ان يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب
المجبرة لانه اذا لم يحب الكافرين من اجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك
فلا يريد اذا كفرهم لانه لو اراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم قوله تعالى
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم آيتان اللغة الاصطفى

والاختيار والاجتباء نظاير وهو افتعل من الصفوة وهذا من حسن البيان
الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شايب
الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص
الصافي من شايب الادناس وقد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله
واذ نجيناكم من آل فرعون الآية ومعنى الذرية واصلها عند قوله ومن
ذريتي **الاعراب** يحتمل نصب ذرية على وجهين احدهما ان يكون حالا و
العامل فيها اصطفى والثاني ان يكون على البدل من مفعول اصطفى **للمعنى**
ان الله اصطفى اي اختار واجتبى آدم ونوحا بالنبوة وآل ابراهيم وآل عمران
على عالمي زمانهم بان جعل الانبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله واسئل
القرية عن الفراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها
من الامور الجليلة التي رتبها الله لهم لما في ذلك من مصالح الخلق
وقيل اختار آدم بان خلقه من غير واسطة واسكنه جنته واسجد له
ملائكته وارسله الى الملائكة والانس واختار نوحا بالنبوة وطول العمر
واجابة الدعاء وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار ابراهيم بالخلة و
تبريد النار واهلاك نمرود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل اراد نفس
ابراهيم ونفس عمران كقوله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى
وهرون وقيل آل ابراهيم اولاده اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وفيهم داود وسليمن ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وفيهم نبينا صلى
الله عليه وآله لانه ولد اسمعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون المتمسكون
بدينه وهو دين الاسلام عن ابن عباس والحسن واما آل عمران فقيل
هم من آل ابراهيم ايضا كما قال ذرية بعضها من بعض فهم موسى وهرون

ابنا عمران وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل
عمران مريم وعيسى وهو عمران ابن ماسهم بن امون من ولد سليمن بن داود وهو
اب مريم لان آل الرجل اهل البيت الذي ينسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة
اهل البيت عليهم السلم وآل محمد على العالمين وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد
الذين هم اهله ويجب ان يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين
منزهين عن القبائح لانه سبحانه لا يختار ولا يصطفي الا من كان كذلك
ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفى
بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان نبيا او اماما ويقال
الاصطفاء على وجهين احدهما انه اصطفاه لنفسه اي جعله خالصا له
يختص به والثاني انه اصطفاه على غيره اي اختصه بالتفضيل على غيره
وعلى هذا الوجه معنى الآية فان قيل كيف اختصهم الله تعالى بالتفضيل
قبل العمل فالجواب انه اذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم الا بهم
فلا بد من تقديم البشارة بهم والاخبار بما يكون من حسن شمايلهم
وافعالهم والتشويق اليهم كما يكون من جلالة اقدارهم وزكاء اخلاقهم
ليكون ذلك داعيا للناس الى القبول منهم والانقياد لهم وفي هذه
الآية دلالة على تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم اجمعين الصلوة والسلم
لان العالمين يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه
واختارهم على الكل وقوله ذرية اي اولادا واعقابا بعضها من بعض
قيل معناه في التناصر في الدين وهو الاسلام اي دين بعضها من دين
بعض كما قال والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي في
التناصر والتعاضد على الضلال وهو قول الحسن وقتاده وقيل

بعضها من بعض فى التناسل والتوالد فانهم ذرية ادم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابرهيم وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم لانه قال الذين اصطفيهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو على الجبائى والله سميع عليم فيه قولان احدهما ان معناه سميع لما يقوله الذرية عليم بما يضمرونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما فى معلومه من استقامتهم فى اقوالهم وافعالهم والثانى ان معناه سميع لما يقوله امراة عمران من النذر عليم بما يضمره ونبه بذلك على استحسان ذلك منها **النظم** وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة فى ابرهيم وعيسى واختلفت اقوال اليهود والنصارى فيهما بين سبحانه ان من اطاع الرسول صلى الله عليه واله قال فيهما ما يقوله هو وقيل انه لما امر بطاعة نبيه صلى الله عليه واله والى ذلك المشركون بين سبحانه انه كما اصطفيه لرسالته اصطفى من قبله من الانبياء فلا وجه لانكارهم رسالته **قوله تعالى**

اذ قالت امرات عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى

انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى

والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى

اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ايتان **القراءة** قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء وروى عن على عليه السلم وقرا الباقون وضعت على الحكاية **الحجة** من قرا بضم التاء جعله من كلام ام مريم ومن قرا باسكان التاء جعل ذلك من قول الله عز وجل ويقوى قول من اسكن التاء قوله والله اعلم ولو كان من قول ام مريم لقالت وانت اعلم بما وضعت لانها تخاطب الله سبحانه **اللغة** معنى المحرر فى اللغة يحتمل امرين احدهما المعتق من الحرية يقال حررته تحريرا اعتقته اى جعلته حرا والاخر

من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريرا اى اخلصته من الفساد واصلحته والتقبل اخذ الشى على الرضا به كتقبل الهدية واصل التقبل المقابلة واصل الوضع الحط وضعت الولد بمعنى ولدت والموضع مكان الوضع والضعة الخساسة لانها تضع من قدر صاحبها والايضاع فى السير الرفق فيه لانه حطه من شدة الاسراع والشيطان الرجيم مر تفسيرهما فى اول الكتاب **الاعراب** فى موضع اذ قالت اقوال احدها انه نصب بما ذكر عن الاخفش والمبرد والثانى انه متعلق باصطفى ال عمران عن الزجاج والثالث انه متعلق بسميع عليم ويعمل به معنى الصفتين وتقديره والله مدرك لقولها ونيتها اذ قالت عن على بن عيسى والرابع ان اذ زايدة فلا موضع لها من الاعراب عن ابى عبيده وهذا خطاء عند البصريين ومحررا نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذى فى بطنى محررا والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال **المعنى** لما ذكر سبحانه اصطفا ال عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال اذ قالت امراة عمران وقد مضى القول فيه واسمها حنة جدة عيسى عليه السلم وكانتا اختين احديهما عند عمران ابن اشهم من ولد سليمن ابن داود وقيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران ابى موسى ع وبينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل والاخرى كانت عند ذكرياء واسمها اشباع واسم ابيها فاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا اى اوجبت لك بان اجعل ما فى بطنى محررا اى خادما للبيعة تخدم فى متعبد انا عن مجاهد وقيل محررا للعبادة مخلصا لها عن الشعبى وقيل عتيقا خالصا لطاعتك لا استعمله فى منافعى ولا اصرفه فى الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا وكان

المحرر اذا حرر وجعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى
يبلغ الحلم ثم يخير فان احب ان يقيم فيه اقام وان احب ان يذهب ذهب
حيث شاء قالوا وكانت حنة قد امسك عنها الولد حتى اسنت فبينا هي
تحت شجرة اذ رأت طايرا يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله
تعالى ان يرزقها ولدا فحملت بمريم وروى عن ابي عبد الله عليه السلم قال اوحى
الله عز وجل الى عمران اني واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الاكمه والابرص
ويحيي الموتى باذن الله وجاعله رسولا الى بني اسرائيل فحدث امرأته حنة بذلك
وهي ام مريم فلما حملت بها قالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل
مني اي نذري قبول رضاء انك انت السميع العليم لما اقول العليم بما انوي
فلهذا صحت النية لي فلما وضعتها قيل ان عمران هلك وهي حاملة فوضعت
بعد ذلك يعني ولدت مريم وكانت ترجو ان يكون غلاما فلما وضعتها
خجلت واستحيت وقالت منكسة راسها رب اني وضعتها انثى وقيل فيه
قولان احدهما ان المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لانها انثى والاخر
ان المراد تقديم الذكر في السوال لها بانها انثى لان سعيها ضعف وعقلها
انقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها في السوال بقولها واني اعيذها بك والله
اعلم بما وضعت اخبار منه تعالى بانه اعلم بوضعها لانه هو الذي خلقها
وصورها وعلى القراءة الاخرى وانت يا رب اعلم مني بما وضعت وليس
الذكر كالانثى لانها لا تصلح لما يصلح الذكر له وانما كان يجوز لهم التحرير في
الذكور دون الاناث لانها لا تصلح بما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت
المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس و
قال قتادة لم يكن التحرير الا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل ارادت

ان الذكر

ان الذكر افضل من الانثى على العموم واصلح للاشياء والهاء في قوله وضعتها
كناية عما في قوله ما في بطني وجاز ذلك بوقوع ما على مونث ويحتمل ان
يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام واني سميتها اي جعلت اسمها مريم
وهي بلغتهم العابدة والخادمة فيما قيل وكانت مريم افضل النساء في
وقتها واجملهن وروى الثعلبي باسناده عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه واله قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران
وآسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه
واله واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم خافت عليها ما
يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك وقيل انما استعاذها
من طعنة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخا فوقيها الله
عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه واله قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها وقيل انما استعاذت
من اغواء الشيطان الرجيم اياها عن الحسن **قوله تعالى** فتقبلها
ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك
هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب آية
القراءة قرأ اهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ اهل
الكوفة الا ابا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكرياء مع
المد ابو بكر وحده والباقون بالرفع **الحجة** قال ابو علي حجة من خفف كفلها
قوله تعالى ايهم يكفل مريم وزكرياء مرتفع لان الكفالة مسندة اليه و

شدة كفلها ففاعله الضمير العائد الى ربها من قوله فتقبلها ربها وصار زكريا
مفعولا بعد تضعيف العين والمد والقصر فى زكريا لغتان **اللغة** انما جاء مصدر
تقبلها على القبول دون التقبل لان فيه معنى قبلها كما يقال تكرم كرما لان
فيه معنى كرم ومثلها وانبتها نباتا حسنا لان فيه معنى فنبتت وقال
ابو عمرو ولا نظير لقبول فى المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء
كالدخول والخروج وقال سيبويه جاءت خمس مصادر على فعول بالفتح قبول
ووضوء وطهور وولوغ ووقود الا ان الاكثر فى وقود الضم اذا اريد المصدر
واجاز الزجاج فى قبول الضم والقبيل والكفيل وهو الضامن يقال كفلته كفله
كفلا وكفولا وكفالة فانا كافل اذا تكفلت مؤنته ومنه الحديث وانت
خير المكفولين اى احق من كفل فى صغره وادب حتى نشاء والمكفول عنه فى
النفقة هو الذى عليه الدين والمكفول له هو الذى له الدين والمكفول به هو
الدين والكفيل هو الذى يثبت عليه الدين والمحراب مقام الامام من المسجد
واصله اكرم موضع فى المسجد واشرفه وقال الزجاج هو المكان العالى الشريف
ومنه قال ربه محراب اذا احبها لم الفها او ارتقى سلما ويقال للمسجد ايضا محراب
ما يشاء من محاريب اى من مساجد وقيل انه اصله من الحرب لانه يحارب
فيها الشيطان **المعنى** فتقبلها ربها مع انوثتها ورضى بها فى النذر الذى
نذرته حنة للعبادة فى بيت المقدس ولم يقبل قبلها انثى فى ذلك المعنى
وقيل معناه يكفل بها فى تربيتها والقيام بشانها عن الحسن وقبوله اياها
انه ما عرتها عليه ساعة من ليل او نهار بقبول حسن اصله يتقبلها
حسن ولكنه محمول على قوله تقبلها قبولا حسنا وقيل معناه سلك بها
طريق السعداء عن ابن عباس وانبتها نباتا حسنا اى جعل نشوها نشئا

حسنا

حسنا وقيل سوى خلقها فكانت تنبت فى يوم ما ينبت غيرها فى عام عن ابن
عباس وقيل انبتها فى رزقها وغذائها حتى تمت امراة بالغة تامة عن ابن
جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل
وتبتلت حتى غلبت الاحبار وكفلها زكرياء بالتشديد معناه ضمها الله
تعالى الى زكرياء وجعله كفيلها ليقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكرياء
الى نفسه وضمن القيام بامرها وقالوا ان مريم اتت بها ملفوفة فى خرقة الى
المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكرياء انا احق بها لان خالتها عندى
فقالت له الا انها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها
ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة و
عشرون رجلا الى نهر جار فالقوا اقلامهم فى الماء فارتز قلم زكرياء وارتفع
فوق الماء ورسبت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدى
فسهمهم زكرياء وقرعهم وكان راس الاحبار وقام فوق الماء كانه فى طين
بينهم فذلك قوله وكفلها زكرياء وكان زكرياء من ولد سليمان بن داود
وفيه ثلث لغات المد والقصر وزكرى مشددا قالوا فلما ضم زكريا مريم الى نفسه
بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد ابن اسحق ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا
شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطها
لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها
بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد
عندها رزقا يعنى وجد زكرياء عندها فاكهة فى غير حينها فاكهة الصيف
فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف غضا طريا عن ابن عباس وقتادة

ومجاهد والسدي وقيل انها لم يرضع قط وانما كان يأتيها رزقها من الجنة
عن الحسن قال يا مريم انى لك هذا يعنى قال لها زكريا كيف لك ومن اين
لك هذا كالمتعجب منه قالت هو من عند الله اى من الجنة وهذه تكرمة من الله
سبحانه لها وان كان ذلك خارقا للعادة فان عندنا يجوز ان يظهر الايات
الخارقة للعادة على غير الانبياء من الاولياء والاصفياء ومن منع ذلك
من المعتزلة قالوا فيه قولين احدهما ان ذلك كان تاسيسا لنبوة عيسى عليه
السلم عن البلخي والاخر انه كان بدعاء زكريا عم لها بالرزق وفي الجملة
كانت معجزة له عن الجبائي ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره
النظم ووجه اتصالها بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون
معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لانه تفضل يبتدى الله به من
يشاء من خلقه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستيناف
قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملئكة وهو قائم يصلي
في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين ايتان القراءة قراء اهل الكوفة غير عاصم
فناداه الملئكة على التذكير والامالة والباقون فنادته على التانيث وقراءة
ابن عامر وحمزة ان الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرا حمزة والكسائي يبشرك
بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد الحجة من قرأ
فنادته بالتاء فلموضع الجماعة كما تقول هي الرجال ومن قرا فناداه فعلى
المعنى ومن فتح ان كان المعنى فنادته بان الله فحذف الجار واوصل الفعل فان
في موضع نصب وعلى قياس قول الخليل في موضع جر ومن كسر اضمر القول كانه

نادته فقال ان الله فحذف القول كما حذف في قول من كسر في قوله فدعا ربه انى
مغلوب فانتصر واضمار القول كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك
ويبشرك واحد وقال الزجاج هذا من بشر يبشر اذا فرح واصل هذا كله ان بشرة
الانسان تنبسط عند السرور اللغة الهبة تمليك الشيء من غير ثمن والسيد
ماخوذ من السواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الاعظم وهو
الشخص الذي يجب طاعته لمالكه هذا اذا استعمل مضافا او مقيدا فاما اذا
اطلق فلا ينبغي الا لله تعالى والحصور الممتنع عن الجماع ومنه قيل للذي يمتنع
ان يخرج مع ندمائه شيئا للنفقة حصور قال الاخطل وشارب مربح
بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار ويقال للذي يكتم سره حصور
الاعراب هنالك الاصل فيه الظرف من المكان نحو رايته هنا وهناك
وهنالك والفرق ان هنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما
قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من ههنا قلت كذا اى من هذا الوجه
وفيه معنى الاشارة كقوله ذا وذاك وبنيت اللام لتاكيد التعريف
وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك وانما بني لدن ولم يبن
عند وان كان بمعناه لانه استبهم استبهام الحروف لانه لا يقع في جواب
اين كما يقع عند في نحو قولهم اين زيد فيقال عندك ولا يقال لدنك وهو قائم
جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في موضع
الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من
الصالحين من ههنا لتبيين الصفة وليس المراد به التبعيض لان النبي
لا يكون الا صالحا المعنى هنالك اى عند ذلك الذي راى من فاكهة
الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة

دعا زكريا ربه فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي طمع في رزق
الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله طيبة اي
مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية نقية العمل وانما انث طيبة
وانما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر ابوك خليفة ولدته
اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انك سميع الدعاء معناه سامع الدعاء
بمعنى قابل الدعاء ومجيب له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده اي قبل
الله دعاءه وانما قيل السامع للقابل المجيب لان من كان اهلا ان يسمع منه
فهو اهل ان يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع فنادته
الملئكة قيل ناداه جبرئيل عليه السلم عن السدي فعلى هذا يكون المعنى ان
النداء اتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان في السفن وانما ركب سفينة
واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملئكة وقيل ناداه جماعة من الملئكة
وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد وقيل في محراب المسجد ان الله يبشرك
بيحيى سماه الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لانه
الله احيا به عقر امه عن ابن عباس وقيل لانه سبحانه احياه بالايمان
عن قتادة وقيل لانه سبحانه احيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله احد بيحيى مصدقا
بكلمة من الله اي مصدقا بعيسى عليه السلم وعليه جميع المفسرين واهل
التأويل الا ما حكي عن ابي عبيدة انه قال بكتاب الله كما يقولون انشدني
كلمة فلان اي قصيدته وان طالت وانما سمي المسيح كلمة الله لانه حصل بكلام
الله من غير اب وقيل انما سمي به لان الناس يهتدون به كما يهتدون
بكلام الله كما سمي روح الله لان الناس كانوا يحيون به في اديانهم كما يحيون
بارواحهم وكان يحيى اكبر سنا من عيسى عليه السلم بستة اشهر وكلف التصديق
به

به وكان اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك احدى
معجزات عيسى واقوى الاسباب لاظهار امره فان الناس كانوا يقبلون
قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده وسيدا في العلم والعبادة عن قتادة
وقيل في الحلم وحسن الخلق والتقى عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن ابن
عباس وقيل فقيها عالما عن سعيد ابن جبير وقيل مطيعا لربه عن سعيد ابن
جبير وقيل مطاعا عن الخليل وقيل سيد المؤمنين بالرياسة عليهم عن الجبائي
والجميع يرجع الى اصل واحد وهو انه اهل لتمليكه تدبير من يجب عليه طاعته لما
هو عليه من هذه الاحوال وحصورا وهو الذي لا يأتي النساء عن ابن عباس و
ابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ومعناه انه يحصر
نفسه عن الشهوات اي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والاباطيل
عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب رفيع القدر والمنزلة من جملة
الانبياء والضحاك وهذا لا يجوز على الانبياء عليهم السلم لانه عيب وذم
لان الكلام خرج مخرج المدح ونبيا من الصالحين اي رسولا شريفا رفيع
القدر والمنزلة من جملة الانبياء لان الانبياء كلهم كانوا صالحين وفي
هذه الاية دلالة على ان زكريا انما طمع في الولد لما راى تلك المعجزات وهو
وان كان عالما بان الله تعالى يقدر على ان يخلق الولد من العاقر فقد كان
يجوز ان لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما راى خرق العادة بخلق الفاكهة
في غير وقتها قوي ظنه في انه يفعل ذلك اذا اقتضته المصلحة كما ان
ابرهيم عليه السلم وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء الموتى سأل
ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على ان الولد الصالح نعمة
من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به **قوله تعالى** قال رب انى

يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يخلق
ما يشاء اية اللغة العاقر من الرجال الذي لا يولد له ومن النساء التي لا تلد
فقال عقرت تعقر عقرا فهي عاقر وقال عبيد اعاقر مثل ذات رحم ام غانم
مثل من يخيب والعقرويه فرج المراة اذا غصبت على نفسها وبيضة العقر اخر
بيضة والعقر محل القوم والعقر اصل كل شيء ويقال غلام بين الغلومية
والغلومة وهو الشاب من الناس والغلمة والاغتلام شدة طلب
النكاح وسمي الغلام غلاما لانه في حال يطلب في مثلها النكاح والغلم
منبع الماء من الاباد لانه طلب الظهور المعنى قال زكريا يا رب الله عز وجل
لا لجبريل ع اني يكون اي من اين يكون وقيل كيف يكون لي غلام اي لك
وقد بلغني الكبر اي اصابني الشيب ونالني الهرم وانما جاز ان يقول بلغني
الكبر لان الكبر بمنزلة الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا
يأتي الكبر بمرور السنين عليه ولو قلت بلغني البلد بمعنى بلغت البلد
لم يجز لان البلد لا يأتيك اصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر
بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة
وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد فان قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد
بشره الله سبحانه بان يهب له ذرية طيبة بعد ان سال ذلك قيل انما
قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد ايعطيهما الله تعالى
اياه وهما على ما كانا عليه من الشيب ام يصرفهما الى حال الشباب ثم يرزقهما
الولد عن الحسن ويحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه الولد من امراته
العجوز ام من امراة اخرى شابة فقال الله تعالى كذلك وتقديره كذلك الامر
الذي انتما عليه وعلى تلك الحال الله يفعل ما يشاء معناه يرزقك الولد منها

فانه

فانه هين عليه كما انشاكما ولم تكونا شيئا فانه سبحانه قادر يفعل ما يشاء
وقيل فيه وجه اخر وهو انه انما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله
والتعجب الذي يحصل للانسان عند ظهور اية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت
نفسك باخراج ذلك الملك النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل انه قال
ذلك على وجه التعجب من انه كيف اجابه الله تعالى الى مراده فيما دعا وكيف
استحق ذلك ومن زعم انه قال ذلك للوسوسة التي خالطت قلبه من قبل
الشيطان اذ كان خيلت اليه ان النداء من غير الملائكة فقد اخطا لان الانبياء
لا بد ان يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز ان
يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام قوله تعالى
قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام واذكر ربك الا رمزا
كثيرا وسبح بالعشي والابكار اية الاعراب ما وزن اية فيه
ثلثة اقوال احدها فعلة الا انه شذ من جهة اعلال العين مع كون اللام حرف
علة وانما القياس في مثله اعلال اللام نحو حيوة ونواة ونظيرها راية
غاية وطاية والثاني فعلة وتقديره اية الا انها قلبت كراهة التضعيف لان
تصغيرها ايية ولو كانت فاعلة لقالوا اوية الا انه يجوز على ترخيم التصغير
نحو فطيمة والرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجب والعين
واليد والاول الاغلب قال جوهر بن عابد كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة عابد
لهم مثل الهدير والعشي من حين زوال الشمس الى غروبها في قول مجاهد قال
الشاعر فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من برد العشي يذوق
والعشاء من لدن غروب الشمس الى ان يولي صدر الليل وطعام العشي والعشاء
مقصود ضعف العين واصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر

الى وقت الضحى واصله التعجيل بالشئ يقال ابكر وبكر بكورا ومنه الباكورة

المعنى ثم سال الله سبحانه زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امراته ليزيد

فى العبادة شكرا وقيل التعجل السرور به عن الحسن فقال رب اجعل لى اية

اى علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله سبحانه تلك العلامة فى امساك

لسانه عن الكلام الا ايماء من غير افة حدثت فيه لقوله قال ايتك اى

قال الله ويحتمل ان يكون المراد قال جبرئيل ايتك اى علامتك الا تكلم الناس

ثلثة ايام الا رمزا اى ايماء عن قتاده وقيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد

وقيل اراد به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يكلموا الا رمزا عن عطا

واذكر ربك كثيرا يعنى فى هذه الايام الثلثة ومعناه انه لما منع من الكلام

عرف انه لم يمنع من الذكر لله سبحانه والتسبيح له وذلك ابلغ فى الاعجاز

وسبح اى نزه الله سبحانه واراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل يقال

فرغت من سبحتى اى من صلوتى بالعشى والابكار فى اخر النهار قوله تعالى

واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك

على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين

ايتان المعنى قد بين الله سبحانه ذكر امراة عمران وفضل نبيها على الجملة ثم ذكر

تفصيل تلك الجملة فقال واذ قالت الملئكة اذ هذه معطوفة على اذ فى قوله

اذ قالت امراة عمران او يكون معناه اذكر اذ قالت الملئكة وقيل يعنى جبرئيل

وحده ان الله اصطفيك اى اختارك والطف لك حتى تفرغت لعبادته

واتباع مرضاته وقيل معناه اصطفيك لولادة المسيح عن الزجاج و

طهرك بالايمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن

جبير وقيل طهرك من الادناس والاقذار التى تعرض للنساء مثل الحيض

والنفاس

والنفاس حتى صارت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل طهرك

عن الاخلاق الذميمة والطبايع الردية واصطفيك على نساء العالمين اى

على نساء عالمى زمانك لان فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين

وقال ابو جعفر عليه السلم معنى الاية اصطفيك من ذرية الانبياء وطهرك

من السفاح واصطفيك لولادة عيسى ع من غير فحل وخرج بهذا من ان يكون

تكريرا اذ يكون الاصطفى على معنيين مختلفين يا مريم اقنتى لربك اى اعبديه

واخلصى له العبادة عن سعيد بن جبير وقيل معناه اديمى الطاعة له عن

قتاده وقيل اطيل القيام فى الصلوة عن مجاهد واسجدى واركعى مع الراكعين

كما يعمل الساجدون والراكعون لا ان يكون ذلك امرا لها بان يعمل السجود والركوع

معهم فى الجماعة وقدم السجود على الركوع لان الواو لا يوجب الترتيب فانها

فى الاشياء المتغايره نظيره التثنية فى المتماثلة وانما توجب الجمع والاشتراك

وقيل معناه واسجدى لله شكرا واركعى اى وصلى مع المصلين وقيل معناه

صلى فى الجماعة عن الجبائى قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك

وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ

يختصمون اية اللغة الانباء الاخبار الواحد نبا والايحاء هو القاء المعنى

الى الغير على وجه يخفى والايحاء الارسال الى الانبياء يقول اوحى الله اليه اى

ارسل اليه ملكا والايحاء الالهام ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل

وقوله تعالى بان ربك اوحى لها معناه القى اليها معنى ما اراد منها قال

العجاج اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

والايحاء الايماء قال فاوحت اليناء والانامل رسلها ومنه قوله تعالى

فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اشار اليهم والوحى الكتابة

وهو قول ابي جعفر عليه السلم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فضلت خديجة على نساء امتى كما فضلت مريم على نساء العالمين م م م

قال رؤبة لقد كان وحاه الواحي وقال في سور من ربنا موحيه والقلم
الذي يكتب به والقلم الذي يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدح
والقلم قص الظفر ومقالم الرمح كعوبه واصله قطع طرف الشيء **الاعراب**
قال ابو علي اذ في قوله اذ يلقون متعلق بكنت كانه قال واذ في قوله اذ قالت
الملئكة بعد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز ايضا ان يكون متعلقا
بكنت كانه قال وما كنت لديهم اذ قالت الملئكة وهذا انما يجوز عندي
اذا قدرت اذ الثانية بدلا من الاولى فان لم يقدره هذا التقدير لم يجز
وانما يجوز البدل في هذا اذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملئكة ليكون
البدل المبدل منه في المعنى **المعنى** ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من حديث مريم
وزكريا ويحيى من انباء الغيب اي من اخبار ما غاب عنك وعن قومك
نوحيه اليك اي نلقيه اليك معجزة لك وتذكيرا وتبصرة وموعظة وعبرة
ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه بدراسة
الكتب او التعلم او الوحي والنبي صلى الله عليه واله لم يشاهد هذه القصص
ولا قرأها من الكتب ولا تعلمها اذ كان نشوه بين اهل مكة ولم يكونوا اهل
كتاب فوضح ان الله سبحانه اوحى اليه بها وفي ذلك صحة نبوته وما كنت
يا محمد لديهم عندهم اذ يلقون اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
في الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم والسهام قداحهم للاقتراع
جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ايهم
يكفل مريم وفيه حذف اي لينظروا ايهم تظهر قرعته ليكفل مريم وهذا
تعجب من الله سبحانه نبيه من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام
بامرها عن قتادة وقيل هو تعجب من تدافعهم لكفالتها لشدة الازمة

التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء لها زكريا عليه السلم وما كنت لديهم
اذ يختصمون فيه دلالة على انهم قد بلغوا في التشاح عليها الى حد الخصومة
وفي وقت التشاح قولان احدهما حين ولادتها وحمل امها اياها الى الكنيسة
تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا الاكثر وقال بعضهم كان
وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الاية دلالة على ان للقرعة مدخلا
في تمييز الحقوق وقد قال الصادق ع ما تقارع قوم ففوضوا امورهم الى الله تعالى
عز وجل الا خرج سهم المحق وقال اي قضية اعدل من القرعة اذا فوض الامر
الى الله عز وجل اليس الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر ع
اول من سوهم عليه مريم بنت عمران ثم تلا وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
والسهام ستة ثم استهموا في يونس ثم كان عبد المطلب ولد له تسع بنين
فنذر في العاشر ان رزقه الله غلاما ان ينحره فلما ولد عبد الله لم يقدر ان
يذبحه ورسول الله صلى الله عليه واله في صلبه فجاء بعشر من الابل فساهم
عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم تزل السهام
تخرج على عبد الله ويزيد عشرا فلما ان اخرجت مائة خرجت السهام على الابل
فقال عبد المطلب ما انصفت ربي فاعاد السهام ثلثا فخرجت على الابل
فقال الان علمت ان ربي قد رضي فنحرها **قوله تعالى** اذ قالت الملئكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا
ومن الصالحين اية **القراءة** ذكرنا القراءة في يبشرك والقول فيه
اللغة المسيح فعيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقذار وطهر
والمسيح ايضا الذي احد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب ولذلك

سمى الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح بكسر
الميم وتشديد السين نحو الشرير الدجال عن ابرهيم النخعى وانكره غيره قال الشاعر
اذا المسيح يقتل المسيحا والوجيه الكريم على من يساله فلا يرد لكرم وجهه عنده
خلاف من يبذل وجهه للمسئلة فيرد يقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله
وجاهة عند الناس وجاه اى منزلة رفيعة والكهل ما بين الشاب والشيخ
ومنه اكتهل النبت اذا طال وقوى والمراة كهلة قال الشاعر ولا اعود بعدها
كريا امارس الكهلة والصبيا ومنه الكاهل ما فوق الظهر الى ما يلى
العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلثين سنة الاعراب وجيها منصوب
على الحال المعنى يبشرك الله بهذا الولد وجيها ويكلم فى موضع النصب ايضا
على الحال عطفا على وجيها وجاز ان يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعة
يفعل فاعلا قال الشاعر بات يعيشها بعضب باتر يقصد فى اسوقها وجائر
اى قاصد فى اسوقها وجائر وكهلا حالا من يكلمهم المعنى اذ قالت الملئكة
قال ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وانما سمى بذلك لانه كان
بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم الاية وقيل سمى بذلك لان الله تعالى بشر به فى الكتب السالفة كما
يقول الذى يخبرنا بالامر اذا خرج موافقا لامره قد جاء كلامى فمما جاء من
البشارة به فى التورية اتانا الله من سينا فاشرق من ساعير واستعلن من
جبال فاران وساعير هو الموضع الذى بعث منه المسيح وقيل لان الله يهدى
به كما يهدى بكلمته والقول الثانى ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة
منه ولد اسمه المسيح والاول اقوى ويؤيده قوله انما المسيح عيسى بن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير فى اسمه وهو

عايد

عايد الى الكلمة لانه واقع على مذكر وذهب الى المعنى واختلف فى انه لم سمى بالمسيح
فقيل لانه مسح بالبركة واليمن عن الحسن وسعيد وقيل لانه مسح بالتطهير
من الذنوب وقيل لانه مسح بالدهن بورك فيه وكانت الانبياء تتمسح به
عن الجبائى وقيل لانه مسحه جبرئيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة
من الشيطان وقيل لانه كان يمسح راس اليتامى لله وقيل يمسح عين الاعمى فيبصر
عن الكلبى وقيل لانه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برا عن ابن عباس فى
رواية عطا والضحاك وقال ابو عبيده هو بالسريانية مشيحا فعربته العرب
عيسى ابن مريم نسبه الى امه ردا على النصارى قولهم انه ابن الله وجيها ذا جاه
وقدر وشرف فى الدنيا والاخرة ومن المقربين الى ثواب الله وكرامته ويكلم
الناس فى المهد اى صغيرا والموضع الذى مهد لنوم الصبى ويعنى بكلامه فى
المهد قوله انى عبد الله اتانى الكتاب الاية ووجه كلامه فى المهد انه تبرئة لامه مما
قرفت به وجلالة له بالمعجزة التى ظهرت فيه وكهلا اى ويكلمهم كهلا بالوحى الذى
ياتيه من الله اعلمها الله سبحانه انه يبقى الى حال الكهولة وفى ذلك اعجاز
لكون المخبر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من
التقلب فى الاحوال لان ذلك مناف لصفة الاله ومن الصالحين اى ومن
النبيين مثل ابرهيم وموسى على نبينا وعم وقيل ان المراد بالاية ويكلمهم
فى المهد دعاء الى الله وكهلا بعد نزوله من السماء لقتل الدجال وذلك لانه
رفع الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة وذلك قبل الكهولة عن زيد بن
اسلم وفى ظهور المعجزة لمريم تدل على طهارتها فى المهد قولان احدهما انها
كانت مقرونة بنبوة المسيح لانه سبحانه اكمل عقله فى تلك الحال وجعله
نبيا واوحى اليه بما تكلم به عن الجبائى وقيل كان ذلك على التاسيس والارهاص

لنبوته عن ابن الاخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز ايضًا ان يكون معجزة لمريم
تدل على طهارتها وبراءة ساحتها اذ لا مانع من ذلك وقد دلت الادلة الواضحة
على جوازه وانما جحدت النصارى كلام للمسيح في المهد مع كونه انه معجزة لان في
ذلك ابطال مذهبهم لانه قال اني عبد الله وهذا ينافي قولهم انه ابن الله فا
ستمروا على تكذيب من اخبر انه شاهده كذلك **قوله تعالى** قَالَتْ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ اية **الاعراب** فيكون هٰهنا
لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابًا للامر الذي هو كن لان الجواب
يجب بوجوب الاول نحو ائتني فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم
فيقوم لانه يكون على تقدير قم فانك ان تقم تقم وهذا لا معنى له ولكن الوجه
الرفع على الاخبار بانه سيقوم ويجوز في قوله ان يقول له كن فيكون النصب
عطفًا على يقول **المعنى** قالت مريم رب انى يكون اي كيف يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادًا واستنكارًا بل انما قالت ذلك
لتعلم ان الله سبحانه يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسسها بشر او تعده لها
زوجًا ثم يرزقها الولد على مجرى العادة قال كذلك الله يخلق ما يشاء اي
يخلق ما يشاء مثل ذلك وهي حكاية ما قال لها الملك اي يرزقك الولد
وانت على هذه الحالة لم يمسسك بشر اذا قضى امرًا اي خلق امرًا وقيل اذا
قدّر امرًا فانما يقول له كن فيكون وقيل في معناه قولان احدهما انه اخبار
بسرعة حصول مراد الله تعالى في كل شيء اراد حصوله من غير مهلة ولا
معاناة ولا تكلف سبب ولا اداة وانما كنى بهذا اللفظ لانه لا يدخل
في وهم العباد شيء اسرع من كن فيكون والآخر ان هذه الكلمة كلمة جعلها

الله

الله علامة للملائكة فيما يريد احداثه وايجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار
وانما استعمل لفظة الامر فيما ليس بامر هٰهنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة
فعل المامور في انه لا كلفة فيه على الامر **قوله تعالى** وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم
بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ آيتان عند اهل الكوفة التورية والانجيل اية ولم يعدوا
بني اسرائيل لتنكير الاستيناف بان المفتوحة وعد غيرهم بني اسرائيل
ولا يعدوا الانجيل طلبوا تمام صفة المسيح لان تقديره ومعلمًا ورسولًا
القراءة قرأ اهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء و
الباقون بالنون وقرأ نافع اني اخلق بكسر الالف والباقون اني بالفتح
وقرأ اهل المدينة ويعقوب طائرًا ومثله في المائدة وابو جعفر كهيئة
الطاير فيهما والباقون طيرًا بغير الالف **الحجة** من قرأ يعلمه عطف
على قوله ان الله يبشرك ومن قرأ نعلمه جعله على نحو نحن قدرنا بينكم
الموت ومن فتح اني اخلق جعلها بدلًا من اية فانه قال جئتكم باني
اخلق لكم ومن كسر احتمل الوجهين احدهما الاستيناف وقطع الكلام
مما قبله والآخر انه فسر الاية بقوله اني اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد الله
الذين امنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل ادم بقوله خلقه
من تراب وهذا الوجه احسن لانه في المعنى كمن فتح وابدل من اية
ومن قرأ طائرًا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرًا فافرد بذلك

او اراد يكون كل واحد من ذلك طايرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اى اجلدوا
كل واحد منهم اللغة الحكمة والحكم بمعنى ونظيره الذلة والطين معروف
وطينت الكتاب جعلت عليه طينا لاختمه به وطينت البيت تطيينا و
الهيئة الحال الحاضرة ها فلان جميها هيئة والنفخ معروف ونفخ ينفخ نفخا
والنفاخة للماء والكمه العمى قال سويد ابن ابى كاهل كمهت عيناه حتى
ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع والادخار الافتعال من الدخر وجوز النحويون
تدخرون بالذال الاعراب موضع نعله يحتمل ان يكون نصبا بالعطف على
وجيها ويحتمل ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه عطف على جملة لا موضع
لها من الاعراب وهى قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحيه
اليك وهذا لا يجوز لانه يخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على
تقدير ويجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة عليه ويجوز ان يكون نصبا
على الحال عطفا على وجيها لانه فى ذلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى انه
يرسل رسولا وقال الزجاج المعنى يكلمهم رسولا بانى قد جئتكم ولو قريت بالكسر
انى قد جئتكم لكان صوابا والمعنى يقول انى قد جئتكم وموضع انى اخلق
يحتمل ان يكون خفضا ورفعا فالخفض على البدل من اية والرفع على ما ذكرناه
قيل ويحتمل بما تاكلون جايزا ان يكون ما بمعنى الذى اى بما تاكلونه وتدخرونه
ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اى انبئكم باكلكم وادخاركم والاول اجود المعنى
وتعلمه الكتاب اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى عليه السلم
تسعة اجزاء من الخط وساير الناس جزءا وقيل اراد به بعض الكتب التى
انزلها الله تعالى على انبيائه سوى التورية والانجيل مثل الزبور وغيره عن
ابى على الجبائى وهو اليق بالظاهر والحكمة اى الفقه وعلم الحلال والحرام عن

ابن

ابن عباس كما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال اوتيت القران ومثليه
قالوا اراد به السنتين وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من اصول الدين والتورية
والانجيل ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما فى الحكمة قيل تنبيها على جلالة
موقعهما كقوله وملئكته ورسله وجبريل وميكال وقطع ههنا قصة مريم
وولادتها ويأتى تمام قصتها فى سورة مريم وابتداء بقصة عيسى عليه السلم
فقال ورسولا الى بنى اسرائيل وقد ذكرنا تقديره ومعناه يدود عليه انى قد
جئتكم اى قال لهم وكلمهم لما بعث اليهم بانى قد جئتكم باية اى بدلالة
وحجة من ربكم دالة على نبوتى ثم حذف الباء فوصل الفعل انى اخلق لكم من
الطين كهيئة الطير معناه وهذه الاية انى اقدر لكم واصور لكم من الطين
مثل صورة الطير فانفخ فيه اى فى الطير المقدر من الطين وقال فى موضع اخر
فيها اى فى الهيئة المقدرة فيكون طيرا باذن الله تعالى وقدرته وقيل بامر
الله تعالى وانما وصل قوله باذن الله بقوله فيكون طيرا دون ما قبله لان
تصوير الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد
فاما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق الحيوة فيه مما لا يقدر عليه
غير الله سبحانه فقال باذن الله ليعلم انه من فعله تعالى وليس بفعل
لعيسى عليه السلم وفى التفسير انه صنع من الطين كهيئة الطير الخفاش
ونفخ فيه فصار طايرا وابرئ الاكمه اى الذى ولد اعمى عن ابن عباس و قتادة
وقيل هو الاعمى عن الحسن والسدى والابرص الذى به وضح قال وهب ربما
اجتمع على عيسى عم مشى اليه وانما كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان
واحيى الموتى باذن الله تعالى انما اضاف الاحيا الى نفسه على وجه المجاز
والتوسع ولان الله تعالى كان يحيى الموتى عند دعائه وقيل انه احيا اربعة النفس

[illegible]

عاذر وكان صديقا له وكان قد مات منذ ثلثة ايام فقال لاخته انطلقي
بنا الى قبره ثم قال اللهم رب السموات السبع ورب الارضين السبع انك
ارسلتني الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم باني احيي الموتى فاحي
عاذر فقام فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريره
فدعا الله عيسى ع فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه
ورجع الى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له اتحييها وقد ماتت امس العاشر
فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت وسام ابن نوح دعا عليه
باسم الله الاعظم فخرج عن قبره وقد شاب نصف راسه فقال قد قامت
القيمة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم تكونوا يشيبون
في ذلك الزمان لان سام بن نوح قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم
قال مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله سبحانه و
تعالى وقال الكلبي كان عيسى ع يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وانما خص
عيسى ع بهذه المعجزات لان الغالب في زمن موسى السحر كان في زمانه الطب
فاراهم الله سبحانه الايات من جنس ما هم عليه ليكون المعجز اظهر كما ان الغالب
لما كان في زمن موسى السحر اتاهم من جنس ذلك بما اعجزهم عن الاتيان بمثله
وكان الغالب في زمن نبينا صلى الله عليه وآله البيان والبلاغة والفصاحة
فاراهم الله سبحانه المعجزة بالقران الذي بهرهم ما فيه من عجايب النظم و
غرايب البيان ليكون ابلغ في باب الاعجاز بان ياتي كلا من امم الانبياء
بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الاتيان بمثله اذ لو اتاهم بما لا يعرفونه
لكان يجوز ان يخطر ببالهم ان ذلك مقدور البشر غير انهم لا يهتدون اليه
وانبئكم اي اخبركم بما تاكلون اي بالذي تاكلونه وتدخرون كان يقول للرجل

تعذيب

تعذيب بكذا وكذا او دفعت الى الليل كذا وكذا ان في ذلك اي فيما ذكرت
لكم لاية لكم اي حجة ومعجزة ودلالة لكم ان كنتم مؤمنين بالله اذ كان لا يصح
العلم بمدلول المعجزة الا لمن امن بالله لان العلم بالمرسل لا بد ان يكون
قبل العلم بالرسول وفي الاية دلالة على ان عيسى ع كان مبعوثا الى جميع بني
اسرائيل وقوله اني اخلق لكم يدل على ان العبد يحدث ويفعل ويخلق
خلافا للقول المجبرة لكن الخالق على الاطلاق هو الله عز وعلا قوله تعالى
ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم
عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اية اللغة الفرق بين
التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون الا فيما يبرهن عند صاحبه
والتقليد يكون فيما لم يتبرهن ولهذا لا يكون المقلدين للنبي صلى الله عليه
وآله وان كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق في الفعل بتحسينه و
التحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج الاعراب
مصدقا نصب على الحال وتقديره جئتكم مصدقا لان اول الكلام يدل
عليه ونظيره جئته بما يحب ومعرفا له ولا يكون عطفا على وجيها ولا
رسولا لقوله لما بين يدي ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيده اراد
بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم ويستشهد بقول لبيد تراك امكنة
اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها قال معناه او يعتلق كل النفوس
وانكر الزجاج ذلك وقال معناه او يعتلق نفسي حمامها وخطاء ابا
عبيده من وجهين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والثاني انه لا يجوز
تحليل جميع المحرمات لانه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك المعنى

ومصدقا لما بين يدى اى لما انزل قبلى من التورية وما فيه من البشارة
بى وبمن ارسل قبلى من الانبياء ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم هذا معطوف
على معنى قوله مصدقا وتقديره ولاصدق ما بين يدى من التورية ولاحل
لكم كما يقول جئته معتذرا ولاجتلب عطفه وقيل ان الذى احل لهم لحوم
الابل والشروب وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بنى اسرائيل
عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل احل لهم السبت عن الكلبى
وجئتكم باية من ربكم اى بحجة تشهد بصدقى فاتقوا الله فى مخالفتى و
تكذيبى واطيعون كما امركم الله تعالى به ان الله ربى وربكم اى مالكى ومالكم
وانما قال ذلك ليكون حجة على النصارى فى قولهم المسيح ابن الله وللعنى
لا ينسبون اليه فانا عبد الله كما انكم عبيد له فاعبدوه وحده هذا صراط
مستقيم اى دين مستقيم اى عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام
فى الرب والصراط المستقيم فى سورة الحمد **قوله تعالى** فلما احس عيسى منهم
الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا
بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فا
كتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين تلك ايات
اللغة الاحساس الادراك بالحاسة والحس القتل لانه يحس بالمه
والحس العطف لاحساس الرقة على صاحبه والانصار جمع نصير كالاشراف
جمع شريف واصل الحوارى الحور وهو شدة البياض ومنه الحوارى من الطعام
لشدة بياضه قال الحارث بن حلزة فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا
تبكنا الا الكلاب النوابح يعنى النساء لشدة بياضهن والشاهد هو
المخبر بالشىء عن مشاهدة هذا حقيقة وقد يتصرف فيه فيقال البرهان
شاهد

شاهد بحق اى هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد اى
معدل للشهادة والمكر اصله الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر
لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة الخلق وحد المكر حب يختدع
به العبد لايقاعه فى الضرر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون
لاظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار بالعبد والمكر حيلة
على العبد توقعه فى مثل الوهق **الاعراب** قيل ان الى بمعنى مع كقولهم الذود
الى الذود ابل اى مع الذود قال الزجاج لا يجوز ان يقال ان بعض الحروف
من حروف المعانى بمعنى الاخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بمع افادة
هذا المعنى لا ان الى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز ان يقول ذهب
زيد مع عمرو لان الى غاية ومع تضم الشىء الى الشىء والحروف قد تتقارب
الى الغاية فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك
قوله عز وجل ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولو كانت هاهنا لافادة الغاية
واصل فى انما هو للوعاء واصل على لما على الشىء فقولك التمر فى الجراب
لو قلت على الجراب لم يصلح ولكن جاز فى جذوع النخل لان الجذع مشتمل
على المصلوب على لما على الشىء لانه قد اخذه من اقطاره ولو قلت زيد على
الجبل او فى الجبل يصلح لان الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه
الحروف **المعنى** فلما احس اى وجد وقيل ابصر ورأى ويقال علم عيسى منهم
الكفر وانهم لا يزدادون الا اصرارا على الكفر بعد ظهور الايات والمعجزات
امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعرف عما فى اعتقادهم من نصرته
فقال من انصارى الى الله وقيل انه لما عرف منهم العزم على قتله قال من
انصارى الى الله وفيه اقوال احدها ان معناه من اعوانى على هؤلاء الكفار

مع معونة الله عن السدي وابن جريج والثاني ان معناه من انصاري
في السبيل الى الله عن الحسن لانه دعاهم الى سبيل الله والثالث ان معناه
من اعواني على اقامة الذي المؤدي الى الله اي الى نيل ثوابه كقوله اني ذاهب
الى ربي ومما يسئل على هذا ان عيسى ع انما بعث للوعظ دون الحرب فلم
استنصر عليهم فيقال لهم للحماية من الكافرين الذين ارادوا قتله عند اظهار
الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل ايضا يجوز ان يكون طلب النصرة للتمكين
من اقامة الحجة لتمييز الموافق من المخالف قال الحواريون واختلف في سبب
تسميتهم بذلك على اقوال اولها انهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن
جبير وثانيها انهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن ابي نجيح عن
ابي ارطاة وثالثها انهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس
والسدي ورابعها انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتاده والضحاك وهذا
اوجه لانهم مدحوا بهذا الاسم كانه ذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب
الابيض بالتحوير ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الزبير ابن عمتي
وحواري من امتي وقال الحسن الحواري الناصر والحواريون اصفياء
عيسى ع وكانوا اثني عشر رجلا قال عبد الله بن مبارك سموا حواريون
لانهم كانوا نورا ايتين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال اينتين
سبحانه سيماهم في وجوههم من اثر السجود نحن انصار الله معناه
نحن اعوان الله على الكافرين من قومك اي اعوان رسول الله او اعوان
دين الله امنا بالله اي صدقنا بالله انه واحد لا شريك له واشهد بنا
عيسى بانا مسلمون اي كن شهيدا لنا عند الله اشهده على اسلامهم
لان الانبياء شهداء الله على خلقه يوم القيمة كما قال سبحانه ويوم نبعث

من كل

من كل امة شهيدا ربنا اي يا ربنا امنا بما انزلت على عيسى واتبعنا
فاكتبنا مع الشاهدين اي في جملة الشاهدين بجميع ما انزلت لنفوز
بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد
صلى الله عليه وآله وامته عن ابن عباس وقد سماهم الله شهداء بقوله
لتكونوا شهداء على الناس اي من الشاهدين بالحق عندك هذا كله حكاية
قول حواريين وروى انهم اتبعوا عيسى ع وكانوا اذا جاعوا قالوا يا
روح الله جعنا عطشنا فيضرب بيده على الارض سهلا كان او جبلا فيخرج
لكل انسان منهم رغيفين ياكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله
جعنا عطشنا فيضرب بيده على الارض سهلا كان او جبلا فيخرج ماء
فيشربون قالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمنا واذا شئنا
سقينا وقد امنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده و
ياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقوله ومكروا
يعني كفار بني اسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما احس عيسى الاية و
معناه دبروا لقتل عيسى ومكر الله اي جازاهم على مكرهم وسمى الجزاء
على المكر مكرا كما قال سبحانه الله يستهزئ بهم وجاء في التفسير ان عيسى ع
بعد اخراج قومه اياه وامه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين وصاح
فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به فذلك مكرهم
به ومكر الله تعالى بهم القاه الشبه على صاحبهم الذي اراد قتل عيسى ع
حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السماء وقال ابن عباس لما اراد ملك
بني اسرائيل قتل عيسى دخل خوخة وفيها كوة فرفعه جبرئيل من الكوة
الى السماء فقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقتله فدخل خوخة

فالقى الله عليه شبه عيسى ع فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه
وصلبوه وظنوا انه عيسى ع وقال وهب اسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه
فاظلمت الارض وارسل الله الملئكة فحالوا بينه وبينهم فاخذوا رجلا يقال
له يهودا وهو الذى دلهم على المسيح وذلك ان عيسى ع جمع الحواريين تلك الليلة
واوصيهم ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك فيبيعنى بدراهم
يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين اليهم وقال
ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه
فالقى الله عليه شبه عيسى ع لما دخل البيت ورفع عيسى ع فاخذ فقال
انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب
شبه عيسى واتى على ذلك سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى ع اهبط
على مريم ثم لتجمع لك الحواريين وبثهم فى الارض دعاة فهبط عليها و
اشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة ثم رفعه
الله سبحانه وتلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح
الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى ع اليهم فذلك
قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اى افضل المعاقبين
وقيل انصف الماكرين واعدلهم لان مكرهم ظلم ومكره عدل وانتصاف
واما اضاف الله سبحانه المكر الى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثانى ليس باعتداء
وانما هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة
فالمجانسة كقوله تتقلب فيه القلوب والابصار والمطابقة كقوله ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله وجوه

يومئذ

يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة **قوله تعالى** اذ قال الله يا عيسى
انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعلوا
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون **الاعراب** العامل فى اذ قوله ومكروا و
مكر الله والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذلك اذ قال الله وتمثيله
ذلك واقع اذ قال الله ثم حذفت واقعا وهو العامل فى اذ واقيمت اذ مقامه
وعيسى فى موضع الضم لانه منادى مفرد معرفة لكن لا يتبين فيه الاعراب
لانه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف **المعنى** لما بين الله تعالى
سبحانه ما هم به قوم عيسى من المكر به وقتله عقبه بما انعم به عليه
من لطف التدبير وحسن التقدير فقال اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك
وقيل فى معناه اقوال احدها ان المراد انى قابضك برفعك من الارض
الى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد
والكلبى وغيرهم وعلى هذا القول يكون للمتوفى تاويلان احدهما انى
رافعك الى وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته
اى اخذته تاما والاخر انى متسلمك من قولهم توفيت الى وافيا لم ينالوا
منك شيئا من قولهم منه كذا اى تسلمته وثانيها انى متوفيك وفاة
نوم ورافعك الى فى النوم عن الربيع قال رفعه نائما ويدل عليه قوله وهو
الذى يتوفيكم بالليل اى ينيمكم لان النوم اخ الموت وقال الله يتوفى
الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الاية وثالثها انى متوفيك
وفاة موت عن ابن عباس ووهب قال اماته ثلث ساعات فاما
النحويون فيقولون هو على التقديم والتاخير اى انى رافعك ومتوفيك

لان الواو لا توجب الترتيب بلا دلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر
قبل العذاب بدلالة وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروي عن
الضحاك ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان عيسى ع
لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقد صح عنه انه صلى الله عليه وآله
قال كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم
في الصحيح فعلى هذا يكون تقديره اني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء
وقوله ورافعك الي فيه قولان احدهما اني رافعك الى سمائي وسمي رفعه
الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء يعني رافعك الى موضع لا يكون عليك
الا امري والاخر ان معناه رافعك الى كرامتي كما قال حكاية عن ابرهيم ع
اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي وسمى ذهابه الى الشام ذهابا
الى ربه وقوله ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان احدهما مطهرك
باخراجك من بينهم وانجائك منهم فانهم ارجاس فجعل مقامه فيما
بينهم كملاقاة النجاسة من حيث كان يحتاج الى مجاورتهم ومجاراتهم
والاخر ان تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لان
ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائي وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيمة معناه وجاعل الذين امنوا فوق الذين كذبوا
عليك وكذبوك في العزة والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة
والمعني به النصارى قال ابن زيد ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا الا من
النصارى ولهذا زال الملك عنهم وان كان ثابتا في النصارى في بلاد
الروم وغيرها فهم اعز منهم وفوقهم الى يوم القيمة وقال الجبائي فيه
دلالة على ان لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيمة كما للروم وقيل المعني به امة

محمد

محمد صلى الله عليه وآله وانما سماهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة
لانه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى اما الصورة فانه يقال فلان
يتبع فلان اذا جاء بعده واما المعنى فلان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
كان مصدقا بعيسى ع وكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان
شريعة نبينا صلى الله عليه وآله وساير الانبياء متحدة في باب التوحيد
فعلى هذا هو متبع له اذا كان معتقدا اعتقاده وقايلا بقوله وهذا
القول اوجه لان فيه ترغيبا في الاسلام ودلالة على ان امة محمد صلى الله
عليه واله يكونون ظاهرين الى يوم القيمة ولان من دعاه الها لا يكون
في الحقيقة تابعا له ثم الي مرجعكم اي مصيركم فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون من امر عيسى ع قوله تعالى فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله
لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم
ثلث ايات القراءة قرا حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بالياء
والباقون بالنون الحجة من قرا بالنون فهو مثل فاعذبهم ويحسنه
قوله ذلك نتلوه عليك من الايات ومن قرا بالياء فلان ذكر الله قد
تقدم في قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك او صار من لفظ الخطاب
الى الغيبة كقوله فاولئك هم المضعفون بعد قوله وما اوتيتم من
زكوة الاعراب نتلوه عليك في موضع رفع بانه خبر ذلك ويجوز
ان يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي فعلى هذا لا موضع لقوله
نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الايات في موضع رفع بانه خبره

وانشدوا فى مثله عدس بالعباد عليك امارة امنت وهذا تحملين
طليق المعنى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة
عذابهم فى الدنيا اذلالهم بالقتل والاسر والسبى والخسف والجزية وكلما
تفعل بهم على وجه الاستخفاف والاهانة وفى الاخرة عقاب الابد فى النار
وما لهم من ناصرين اى اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اى يوفر عليهم ويتمم اجورهم اى جزاء
اعمالهم والله لا يحب الظالمين اى لا يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم
ولا يثنى عليهم وهذه الاية حجة على من قال بالاحباط لانه سبحانه وعد
بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط ذلك اشارة
الى الاخبار عن عيسى ع وزكريا ويحيى وغيرهم نتلوه عليك نقرؤه عليك
ونكلمك به وقيل نامر جبرئيل ان يتلوه عليك عن الجبائى من الايات
اى من جملة الايات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذ اعلمتهم بما لا يعلمه
الا قارئ كتاب او معلم ولست بواحد منهما فلم يبق الا انك قد عرفته
من طريق الوحى والذكر الحكيم والقران المحكم وانما وصفه بانه حكيم لانه
بما فيه من الحكمة فكانه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلا لانها بما
فيها من البيان كانها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل فى الحقيقة
هو الدال قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن
حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و
ابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثلث ايات اللغة المثل ذكر سابقا

يدل

يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال
تعاليت اتعالى اى جئت واصله المجى الى الارتفاع الا انه كثير فى الاستعمال
حتى صار بمعنى هلم وقيل فى الابتهال قولان احدهما انه بمعنى الالتعان
فافتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا وبهله الله
اى لعنه وعليه بهلة الله اى لعنة الله والاخر انه بمعنى الدعاء بالهلاك
قال لبيد نظر الدهر عليهم فابتهل اى دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن
وهو المباعدة من رحمة الله عقابا على معصيته ولذلك لا يجوز ان يلعن
من ليس بعاص من طفل او بهيمة او نحوهما الاعراب قوله خلقه من تراب
لا موضع له من الاعراب لانه لا يصلح ان يكون صفة لادم من حيث هو
نكرة ولا تكون حالا له لانه ماض فهو متصل فى المعنى غير متصل فى اللفظ
بعلامة من علامات الاتصال فيكون رفع على تقدير فهو يكون والحق
رفع لانه خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك الاخبار فى امر عيسى الحق
من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقول الهلال
والله اى هذا الهلال وقيل الحق مبتدا وخبره قوله من ربك النزول
قيل نزلت الايات فى وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول
الله هل رايت ولدا من غير ذكر فنزل ان مثل عيسى عند الله فقراها
عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وآله الى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما
رجعوا الى رحالهم قال لهم الاسقف انظروا محمدا فى غد فان غدا بولده
واهله فاحذروا مباهلته وان غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير شىء
فلما كان من الغد جاء النبى صلى الله عليه وآله آخذا بيد على بن ابى طالب ع

والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى
يقدمهم اسقفهم فلما راى النبي صلى الله عليه واله قد اقبل بمن معه سال
عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته واحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته
من علي عليه السلم وهذه الجارية فاطمة عليها السلم بنته صلى الله عليه واله
اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال
ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة وكع ولم يقدم
على المباهلة فقال له السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني
ارى رجلا جريا على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقا ولئن كان
صادقا لم يحل والله علينا الحول على ركبتيه قال ابو حارثة الاسقف
جثا والله وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الاسقف يا ابا القاسم
انا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم
رسول الله صلى الله عليه واله على الفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعين
درهما فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلثين درعا
وثلثين رمحا وثلثين فرسا ان كان باليمن كيد ورسول الله ضامن
حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف قال لهم
اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا عن مكانه لازاله
فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة
وقال النبي صلى الله عليه واله والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى
حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب
الا يسيرا حتى رجعا الى النبي صلى الله عليه واله واهدى العاقب له حلة

وعصا

وعصا وقدحا ونعلين واسلما المعنى ثم رد الله سبحانه على النصارى
قولهم في المسيح انه ابن الله فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي مثل عيسى
في خلق الله اياه من غير اب كمثل ادم في خلق الله اياه من غير اب ولا ام
فليس هو بابدع ولا اعجب من ذلك فكيف انكروا هذا واقروا بذلك ثم
بين كيف خلقه فقال خلقه اي انشاه من تراب وهذا اخبار عن آدم
ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق احدا قبله من الريح كما خلق آدم
من التراب ولم يخلق احدا قبله من التراب ثم قال له اي لادم وقيل
لعيسى كن اي كن حيا بشرا سويا فيكون اي فكان في الحال على ما اراد وقد
مر تفسيره هذه الكلمة وفي سورة البقرة مشروحا وفي هذه الاية دلالة
على صحة النظر والاستدلال لان الله تعالى احتج به على المشركين ودل على
جواز — الحوارين خلق عيسى من غير بخلقه ادم من غير اب ولا ام الحق من ربك
اي هذا هو الحق من ربك اضافه الى نفسه تاكيدا وتعليلا اي هو الحق
لانه من ربك فلا تكن ايها السامع من الممترين وقد مر تفسيره في سورة
البقرة فمن حاجك معناه فمن جادلك وخاصمك يا محمد فيه اي في
قصة عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البرهان الواضح على انه
عبدي ورسولي عن قتادة وقيل معناه فمن حاجك في الحق والهاء
في فيه عايد الى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا
اي هلموا الى حجة اخرى قاضية فاصلة تميز الصادق عن الكاذب ندع
ابناءنا وابناءكم اجمع المفسرون على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين
عليهما السلم قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين
ابناء رسول الله صلى الله عليه واله وان ولد الابنة ابن على الحقيقة

وقال ابن ابی علان وهو احد ائمة المعتزلة هذا یدل علی ان الحسن والحسین
کانا مکلفین فی تلك الحالة لان المباهلة لا یجوز الا مع البالغین وقال
اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ینافی کمال العقل
وانما جعل بلوغ الحلم حد التعلق الاحکام الشرعیة وقد کان سنهما فی
تلك الحالة سنا لا یمتنع معها ان تکونا کاملی العقل علی ان عندنا یجوز ان
یخرق الله العادات للائمة ویخصهم بما لا یشرکهم فیه غیرهم فلو صح ان
کمال العقل غیر معتاد فی تلك السن لجاز ذلك فیهم ابانة لهم عمن سواهم
ودلالة علی مکانهم من الله واختصاصهم به ومما یؤیده من الاخبار
قول النبی صلی الله علیه وآله ابنای هذان امامان قاما او قعدا ونساءنا
اتفقوا علی ان المراد به فاطمة علیها السلام لانه لم یحضر المباهلة غیرها
من النساء وهذا یدل علی تفضیل الزهراء علیها السلام علی جمیع النساء ویعضده
ما جاء فی الخبر ان النبی صلی الله علیه وآله قال فاطمة بضعة منی یریبنی ما رابها
وقال صلی الله علیه وآله ان الله یغضب لغضب فاطمة ویرضی لرضاها
وقد صح عن حذیفة انه قال سمعت النبی صلی الله علیه وآله یقول اتانی
ملك وبشرنی ان فاطمة سیدة نساء اهل الجنة او نساء امتی وعن
الشعبی عن مسروق عن عایشة قالت اسر النبی ص الی فاطمة شیئا فضحکت
لذلك فسألتها فقالت قال لی هلا ترضین ان تکونی سیدة نساء
هذه الامة ونساء المؤمنین فضحکت لذلك ونساءکم ای من شئتم
من نساءکم وانفسنا یعنی علیا علیه السلم خاصة ولا یجوز ان یکون
المعنی به رسول الله صلی الله علیه وآله لانه هو الداعی ولا یجوز ان یدعو
الانسان نفسه وانما یصح ان یدعو غیره واذا کان قوله وانفسنا

لابد

لابد ان یکون اشارة الی غیر الرسول وجب ان یکون اشارة الی علی ع
لانه لا احد یدعی دخول غیر امیر المؤمنین علی علیه السلام وزوجته وولدیه
علیهما السلام فی المباهلة وهذا یدل علی غایة الفضل وعلو الدرجة والبلوغ
منه الی حیث لا یبلغه احد اذ جعله الله سبحانه نفس الرسول وهذا ما
لا یدانیه فیه احد ولا یقاربه ومما یعضده من الروایات ما صح عن النبی ص
انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قائل فعلی فقال انما سألتنی عن الناس
ولم تسألنی عن نفسی وقوله ع لبریدة الاسلمی یا بریدة لا تبغض علیا فانه
منی وانا منه ان الناس خلقوا من شجر شتی وخلقت انا وعلی من شجرة
واحدة وقوله ص بأحد وقد ظهر من نکایته فی المشرکین ووقایته ایاه بنفسه
حین قال جبرئیل ع یا محمد ان هذه لهی المواساة فقال یا جبرئیل انه منی وانا
منه فقال جبرئیل وانا منکما وانفسکم یعنی من شئتم من رجالکم ثم نبتهل
ای نتضرع فی الدعاء عن ابن عباس وقیل نلتعن فنقول لعن الله الکاذب
فنجعل لعنة الله علی الکاذبین منا وفی هذه الآیة دلالة علی انهم علموا ان
الحق مع النبی صلی الله علیه وآله لانهم امتنعوا من المباهلة واقروا بالذل
والخزی وانقادوا لقبول الجزیة فلو لم یعلموا ذلك لباهلوه فکان یظهر ما
زعموا من بطلان قوله فی الحال ولو لم یکن النبی متیقنا بنزول العقوبة بعدوه
دونه لو باهلوه لما ادخل اولاده وخواص اهله فی ذلك مع شدة اشفاقه
علیهم قوله تعالی اِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اللّٰهُ وَاِنَّ
اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ بِالْمُفْسِدِینَ اللغة
القصص القصة فعل بمعنی مفعول کالنقض والقبض والقصص
جمع قصة یقال اقتصصت الحدیث وقصصته قصا وقصصا رویته علی

جهته وهو من اقتصصت الاثر اى اتبعته ومنه اشتق القصاص
القصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى والتولى عن الحق اعتقاد خلافه
لانه كالادبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولى كون الشى يلى غيره
من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشى على خلاف ما توجبه
الحكمة والاصلاح ايقاعه على ما توجبه الحكمة والفرق بين الفساد و
القبح ان الفساد تغير عن المقدار الذى تدعو اليه الحكمة وليس كذلك
القبح لانه ليس فيه معنى المقدار وانما هو ما يزجر عنه الحكمة كما ان الحسن
ما تدعو اليه الحكمة **الاعراب** ما من اله الا الله دخول من فيه لعموم النفى
لكل اله غير الله وانما افادت من هذا المعنى لان اصلها لابتداء الغاية فدلت
على استغراق النفى لابتداء الغاية الى انتهائها وقوله لهو يجوز ان يكون
هو فصلا ويسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع من الاعراب
ويكون القصص خبر ان ويجوز ان يكون مبتدا والقصص خبره والجملة
خبر ان **المعنى** ان هذا لهو القصص الحق معناه ان هذا الذى اوحينا اليك
فى امر عيسى ع وغيره لهو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح
الامر فهو معاند وما من اله الا الله اى وما لكم احد يستحق اطلاق اسم
الالهية الا الله وان عيسى ليس باله كما زعموا وانما هو عبد الله ورسوله
ولو قال ما اله الا الله بغير من لم يفد هذا المعنى وان الله لهو العزيز اى القادر
على الكمال الحكيم فى الاقوال والافعال والتقدير والتدبير فان تولوا اى فان
اعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعما اتيت به من الدلالات والبينات
فان الله عليم بالمفسدين اى بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على افسادهم
وانما ذكر ذلك على جهة الوعيد والانذار سبحانه عليم بالمصلح والمفسد جميعا

ونظيره

ونظيره قول القايل لغيره انما عالم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليم بهؤلاء
المجادلين بغير حق وبانهم لا يقدمون على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك
قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و
بينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اية
اللغة قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك يقول
العرب للقصيدة كلمة يروى ان حسان ثابت قال اذا قيل له انشد قال هل
انشد كلمة الحويدرة يعنى قصيدته التى اولها بكرت سمية غدوة فتمتع ومعنى سواء
اى عدل وسوى وسوى بمعناه قال زهير اروني خطة لا ضيم فيها يسوى بيننا
فيها السواء فان ترك السواء فليس بينى وبينكم بنى حصن بقاء وقيل سواء مستو
وهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه الى كلمة مستوية وهو عند الزجاج
اسم ليس بصفة وانما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر **الاعراب**
موضع ان لا نعبد فيه وجهان احدهما ان يكون فى موضع جر على البدل من كلمة فكانه
قال تعالوا الى ان لا نعبد الا الله والاخر ان يكون فى موضع رفع على تقدير هى ان
لا نعبد الا الله ولو قرى ان لا نعبد بالرفع كان ان هى المخففة من الثقيلة فكانه
قال انه لا نعبد الا الله كقوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا وعلى هذا تثبت النون
فى الخط ويكون ان من العوامل فى الاسماء وعلى الاول يكون من العوامل فى
الافعال ولا تثبت النون فى الخط ولو قرى ان لا نعبد الا الله بالاسكان فان
مفسرة كالتى فى قوله ان امشوا ولا نعبد نهى **النزول** قيل فى سبب نزول الاية
اقوال احدها انها نزلت فى نصارى نجران عن الحسن والسدى وابن جريج ومحمد
بن جعفر بن الزبير وثانيها انها نزلت فى يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن

جريح وقد رواه اصحابنا ايض وثالثها انها في الفريقين من اهل الكتاب على الظا
عن ابي علي الجبائي وهذا اولى لعمومه **المعنى** لما تم الحجاج على القوم دعاهم سبحانه
الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان على الحق فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب تعالوا
اى هلموا الى كلمة سواء اى عدل بيننا وبينكم بمعنى عادلة لا ميل لها كما يقال الرجل عدل
اى عادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة لغير الله
وهي ان لا نعبد الا الله لان العبادة لا يحق الا له ولا نشرك به في العبادة شيئا ولا
يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اختلف في معناه فقيل معناه ولا يتخذ
بعضنا عيسى ربا فانه كان بعض الناس وقيل ان معناه لا يتخذ الاحبار اربابا
بان نطيعهم طاعة الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله وروى عن عبد الله انه ع قال ما عبدوهم من دون الله ولكنهم حرموا لهم حلالا
واحلوا لهم حراما فكان ذلك اتخاذهم اربابا من دون الله وقد روى ايض انه لما
نزلت هذه الاية قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال صلى الله عليه
وآله اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم فقال نعم فقال النبي ص
هو ذاك فان تولوا اى اعرضوا عن الاقرار لله بالعبودية وان احدا لا يستحق العبادة
غيره فقولوا انتم ايها المسلمون مقابلة لاعراضهم عن الحق وتجديدا للاقرار و
مخالفة لهم اشهدوا بانا مسلمون اى مخلصون مقرون بالتوحيد وقيل
مستسلمون منقادون لما اتى به النبي صلى الله عليه وآله والانبياء من الله تعـ
وقيل مقيمون على الاسلام وهذا تاديب من الله تعالى لعبده المؤمن وتعليم
له كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة ليعلم المبطل ان مخالفته
لا تؤثر في حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتداد بالقلة والكثرة
قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية

والانجيل

والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
آيتان **القراءة** قرا اهل الكوفة ها انتم بالمد والهمز وقرا اهل المدينة وابو عمرو
بغير همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة وقرا ابن كثير ويعقوب بالهمز و
القصر بغير مد في وزن هعنتم وقرا ابن عامر بالمد دون الهمز **الحجة** الكلام في
الهمز والتكثير والوجه ان من حقق فعلى الاصل لانهما حرفان ها وانتم ومن
لم يمد ولم يهمز فللتخفيف من غير اخلال **اللغة** الفرق بين الحجاج والجدال
ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة في صورة الحجة والجدال هو فتل الخصم الى المذهب
بحجة او شبهة او ابهام في الحقيقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل
والحجة هي البيان الذي يشهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد **الاعراب**
ها انتم ها للتنبيه وقد كثر التنبيه في هذا ولم يكثر في ها انت لان ذا مبهم
من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبيه
لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح لكل حاضر و
المعنى فيه واحد بعينه في الجملة وانما هو للمخاطب وخبر انتم يجوز ان يكون
حاججتم على ان يكون هؤلاء عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هؤلاء على ان
اولاء بمعنى الذين وما بعده صلة له **النزول** قال ابن عباس والحسن
وقتادة ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله صلى
الله عليه وآله فتنازعوا في ابرهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديا و
قالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله هذه الاية **المعنى** يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابرهيم اى لم تنازعون وتجادلون فيه وتدعون
انه على دينكم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده اى بعد ابرهيم

افلا تعقلون ان الاقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة فى العقل
فكيف يجوز الاقامة على الدعوى بعدما ظهر فسادها فان قيل لو دل نزول
التورية والانجيل بعد ابرهيم على انه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب ان
يدل نزول القران بعده على انه لم يكن على الاسلام فالجواب ان الكل متفقون
على انه متسم باسم الاسلام غير ان اليهودية والنصارى ادعوا انه هو النصرانية
والتورية والانجيل انزلنا من بعد ابرهيم واسمه فيهما اسم الاسلام ونفى
اليهود ليس فى واحد منهما انه كان على دين اليهودية او النصرانية واما القران
وان كان منزلا بعده ففيه وصف ابرهيم عم بدين الاسلام ونفى اليهودية و
النصرانية عنه ففى هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وان محمدا وامته الذين
لهم اسم الاسلام اولى به منهم وقد قيل ان اليهود اعتقدوا ان اليهودى
اسم لمن تمسك بالتورية واعتقد شريعة والنصارى اعتقدوا ان النصرانية
اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله سبحانه تعالى دعوى
الفريقين فاخبر ان التورية والانجيل ما انزل الله الا من بعد ابرهيم فكيف
يكون متمسكا بحكمها واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القران
اذ الاسلام وبعض احكام شرايع الاسلام كلها التى نحن عليها فلنا انه
كان متمسكا دون احكام الشريعة فوصفناه بالاسلام كما وصفه الله تعالى
به فان قيل فهل كان ابرهيم متمسكا بشرايع الاسلام كلها التى نحن عليها قلنا
انه متمسكا بدين الاسلام وببعض احكام شريعة نبينا لا بجميعها لان من حكم
الشريعة قراءة القران فى الصلوة ولم يكن ذلك فى شريعته وانما قلنا
انه مسلم وان كان متمسكا ببعض احكام الشريعة فوصفناه بالاسلام
لان اصحاب النبى فى بدو الاسلام كانوا مسلمين قبل استكمال الشرع

عبارة عن الدين

قبل

تمام

قبل نزول القران والواحد مسلم منا على الحقيقة وان لم يعمل بجميع احكام
الشريعة ها انتم هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى وهو فى اللفظ تنبيه على
انفسهم والمراد به التنبيه على حالهم اذ التنبيه انما يكون فيما قد يغفل عنه
الانسان دون ما يعلمه حاججتم جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم معناه
حاججتم فى ابرهيم ولكم به علم لوجود اسمه فى التورية والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم اى فلم تحاجون فى دينه وشانه وليس لكم به علم لم ينكر الله
سبحانه عليهم محاجتهم فيما علموه وانما انكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموه والله
يعلم شان ابرهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل والله يعلم لانه العالم بجميع المعلومات
وانتم لا تعلمون ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تضيفوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه
قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه
وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المؤمنين اية اللغة
قد ذكرنا الاصل فى اليهود والنصارى والحنيف فى سورة البقرة واولى الذى هو
بمعنى افعل من غيره لا يجمع ولا يثنى لانه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقديره
يزيد فضله على فضله فى افضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل اولى من غيره اى
بان يفعل وقولنا زيد اولى من غيره معناه انه على حال هو احق بها من غيره
والاتباع جريان الثانى على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذى
يتبع الدليل فى سلوك الطريق او فى التصحيح لانه ان صح الدليل صح المدلول
عليه بصحته وكذلك المأموم الذى يتبع طريقة الامام المعنى ثم كذب الله
سبحانه اليهود والنصارى فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا نزه
ابرهيم عليه السلم وبرأه عن اليهودية والنصرانية لانهما صفتا ذم وقد دل القران

والاجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى ع ايضا لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى
نصرانيا فان الدين عند الله الاسلام واليهودية ملة محرفة عن شرع موسى
والنصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جريا على فرقتين ضالتين
ولكن كان حنيفا اى مايلا عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل معناه
مستقيما فى دينه مسلما اى كاينا على دين الاسلام وما كان من المشركين قيل
ان هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركا، وقيل ان معناه لم يكن مشركا
على ما تدعيه مشركوا العرب ان اولى الناس بابرهيم يعنى ان احق الناس
بنصرة ابرهيم بالحجة وبالمعونة للذين اتبعوه فى وقته وزمانه تولوه بالنصرة
على عدوه حتى ظهر امره وعلت كلمته وهذا النبى والذين امنوا يتولون نصرته
بالحجة لما كان عليه من الحق وتبرئته كل عيب عنه اى هم الذين ينبغى لهم ان يقولوا
انا على دين ابرهيم ولهم ولايته والله ولى المؤمنين لانه يتولى نصرتهم والمؤمن
ولى الله لهذا المعنى بعينه وقيل لانه يتولى نصرة ما امره الله به من الذين و
انما افرد الله النبى بالذكر تعظيما لامره واجلالا لقدره كما افرد جبرئيل وميكائيل
وقيل ليدخل فى الولاية ويعود اليه الكناية فان التقدير والذين امنوا به
وفى هذه الاية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب ويعضد ذلك
قول امير المؤمنين عليه السلام ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا
به ثم تلا هذه الاية وقال ان ولى محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان
عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن زيد قال قال ابو عبد الله
عليه السلم انتم والله من ال محمد فقلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم
والله من انفسهم قالها ثلثا ثم نظر الى ونظرت اليه فقال يا عمر ان الله يقول
فى كتابه ان اولى الناس الخ رواه على بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابى عمير عن منصور بن
يونس

يونس عنه قوله تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اية اللغة وددت بمعنى
تمنيت فلما كان بمعنى التمنى صلح للماضى والحال والاستقبال فلذلك
جاز بلو وليس كذلك المحبة والارادة لانهما لا يتعلقان الا بالمستقبل
فلا يجوز ان يقال اراد لو يضلونكم لان الارادة تجرى مجرى الاستدعاء
الى الفعل او مجرى العلة فى ترتيب الفعل فاما التمنى فهو تقدير شى فى نفس
ليستمتع بتقديره والفرق بين ود لو يضله بين ود ان يضله ان ان للاستقبال
وليس كذلك لو المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال
فقال ودت اى تمنت وقيل ارادت طائفة اى جماعة من اهل الكتاب اى من
اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة لو يضلونكم اى يهلكونكم بادخالكم
فى الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله ءاذا
ضللنا فى الارض ومعناه هلكنا وبطلت صورنا وما يضلون الا
انفسهم معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم
فان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره من
الاديان فيبقى عليهم اثم الكفر ووبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون
الا انفسهم اى لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك فى جنب ما يحصل لهم
وما يشعرون اى وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون
ان الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون
انهم ضلال لجهلهم عن ابى على الجبائى قوله تعالى يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ايتان

الاعراب لم اصله لما حذفت الالف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها
طرفا ولدلالة الفتحة عليها وكذلك بم وعم المعنى ثم خاطب الله سبحانه
الفريقين فقال يا اهل الكتاب لم تكفرون بما يتلى عليكم من ايات الله
يعني القران وانتم تشهدون اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها
ووجوب الاقرار بها من التورية والانجيل اذ فيهما ذكر النبي والاخبار
بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني بايات الله ما في كتبهم من البشارة
بنبوته وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني بالايات ما في
كتبهم ان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان الدين هو الاسلام وانتم تشاهدون
ذلك وقيل يعني بها ما يتلوا عليهم من غرايب اخبارهم التي علموا انها في
كتبهم عن ابي مسلم وقيل يعني بالايات الحجج الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه و
آله وانتم تشهدون ان ظهور المعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة
وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتم بصحة دين الاسلام يا اهل الكتاب لم
تلبسون الحق بالباطل معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال احدها
ان المراد به تحريفهم التورية والانجيل عن الحسن وابن زيد وثانيها ان
المراد به اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق في قلوبهم من اليهودية
والنصرانية ما فيها لانهم تداعوا الى اظهار الاسلام في صدر النهار والرجوع
عنه في اخره تشكيكا للناس عن ابن عباس وقتادة وثالثها ان المراد
به الايمان بموسى وعيسى ع والكفر بمحمد صلى الله عليه وآله ورابعها
ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم ان محمدا حق بما يظهرونه من تكذيبه
عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وتكتمون الحق اي نبوة محمد وما وجدتموه
في كتبكم من البشارة به وانتم تعلمون انه حق وانما نزلت هذه

في طايفة من علمائهم لان الكتمان انما يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة
وقيل وانتم تعلمون الامور التي يصح بها التكليف والاول لما في الاية من
الذم على الكتمان قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا
بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ثلث ايات القراءة قرأ ابن كثير ان يؤتى
احد ممدودا والباقون بغير مد واستفهام الحجة قال ابو علي من قرأ ان
يؤتى احد فتقديره ولا تؤمنوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين المفعول وفعله واذا حذفت الجار
من ان كان على الخلاف يكون في قول الخليل جرا وفي قول سيبويه نصبا فاما
اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل ان تعلقه بتؤمنوا وانت قد اوصلته
بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه الى مفعولين
اذا كان يتعدى الى مفعول واحد الا ترى ان تعدية الفعل الجار كتعديه
بالهمزة وتضعيف العين فكما لا يتكرر هذا ان كذلك لا يتكرر الجار فاذا لم
يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقروا بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم كما تقول اقررت لزيد بالف فيكون اللام متعلقا
بالمعنى ولا يكون زايدة على حد ان كنتم للرؤيا تعبرون ولكن يتعلق بالاقرار
وان شئت حملت الكلام على معنى الجحود لان معنى لا تؤمنوا اجحدوا فكانه
قال اجحدوا الناس الا لمن تبع دينكم فيكون اللام زايدة على هذا وقد يعدى

امن باللام في غير هذا قال الله تعالى فما امن لموسى الا ذرية وقال امنتم له قبل
ان اذن لكم وقال يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين فيعدى مرة بالباء ومرة
باللام ووجه قراءة ابن كثير ان ان في موضع رفع بالابتداء لانه لا يجوز ان
يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما وخبره تصدقون به
وتعترفون به ونحو ذلك مما دل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وهذا على قول من قال ازيدا ضربته كان ان عنده في موضع نصب ويجوز
ان يكون موضع ان نصبا على معنى اتذكرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او اتشيعون ويدل على ذلك قوله اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم
به عند ربكم فحديثهم بذلك اشاعة منهم له وافشاء وبخ بعضهم بعضا
بحديثهم بما علموه من امر النبي صلى الله عليه وآله وعرفوه من صفته
فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ولعله اعتبرها في قراءته اللغة
الطائفة الجماعة وفي اصلها قولان احدهما انه كالرفقة التي من شانها
ان تطوف البلاد في السفر الذي يجمع عليه الاجماع والاخر انها جماعة يستوي
بها حلقة يطاف حولها ووجه النهار اوله وسمي وجها لانه اول ما يواجه
منه كما يقال لاول الثوب وجه الثوب وقيل لانه كالوجه في اعلاه واشرف
ما فيه قال الربيع ابن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا
بوجه نهار النزول قال الحسن والسدي تواطا اثنا عشر رجلا من احبار
يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
باللسان دون الاعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس كذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه
فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقالوا انهم اهل الكتاب وهم

اعلم

مجاهد

اعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان هذا في
شان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن
الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا
اليها اول النهار وارجعوا الى قبلتكم اخره لعلهم يشكون المعنى لما ذكر الله
سبحانه صدرا من كياد القوم عقبه بذكر هذه المكيدة السيئة فقال
وقالت طائفة اي جماعة من اهل الكتاب اي بعضهم لبعض امنوا بالذي انزل
على الذين امنوا يعنون النبي واصحابه وجه النهار اي اول النهار واكفروا
اخره واختلف في معناه على اقوال احدها اظهروا الايمان لهم اول النهار
وارجعوا عنه اخره فانه احرى ان ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة
وثانيها امنوا بصلوتهم الى الكعبة اول النهار واكفروا اخره ليرجعوا بذلك
عن دينهم عن مجاهد وثالثها اظهروا الايمان في صدر النهار بما سلف لكم
من الاقرار بصفة محمد صلى الله عليه وآله ثم ارجعوا في اخره لتوهموهم انه
كان قد وقع لكم غلط في صفته لعلهم يرجعون عن دين الاسلام عن ابن
عباس وجماعة ولا تؤمنوا اي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اليهودية
وقام بشرايعكم وهو عطف على ما مضى واختلف في معنى الآية على اقوال
احدها ان معناه ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم و
الحكمة والبيان والحجج الا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل انما قال
ذلك يهود خيبر ليهود المدينة لان لا تعترفوا به فيلزمهم العمل به
لاقرارهم بصحته وقيل معناه لا تعترفوا بالحق الا لمن تبع دينكم وقوله او
يحاجوكم عطف على ان يؤتى اي ولا تصدقوا بان يحاجوكم عند ربكم لانكم
اصح دينا منهم فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام

اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي
يؤتيه من يشاء كلام الله تعالى جوابا لليهود وردا عليهم اى قل يا محمد
ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم ان ينكروا ان يؤتى
احد مثل ما اوتوا وهذا معنى قول الحسن والاخفش وابى على الفارسى
وثانيها ان يكون قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده
عن الله تعالى ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله ان لا يؤتى احد مثل ما
اوتيتم ايها المسلمون كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اى ان لا تضلوا وان
لا يحاجوكم عند ربهم لانه حجة لهم ويكون هدى الله ان لا يؤتى بدلا
من الهدى والخبر ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهذا قول السدى وابن
جريج وقال ابو العباس المبرد ان لا ليست مما يحذف ههنا ولكن الاضافة
هنا معلومة فحذفت الاول واقمت الثانى مقامه والمعنى قل ان الهدى
هدى الله كراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اى ممن خالف دين الاسلام
لان الله لا يهدى من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين
وكذلك تقديره قوله يبين الله لكم كراهة ان تضلوا وقال قوم ان تقديره
قل يا محمد ان الهدى الى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم من النبوة او ان يحاجوكم بذلك عند ربكم ان لم
تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجبائى وقيل ان الهدى هدى
الله معناه ان الحق ما امر الله به ثم فسر الهدى فقال ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم فالمؤتى هو الشرع وما يحاج به هو العقل وتقدير الكلام
ان هدى الله ما شرع او ما عهد به فى العقل فهذه اربعة اقوال وثالثها
ان يكون الكلام من اول الاية الى اخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها

دينكم

المؤمنون الا لمن تبع دينكم وهو دين الاسلام ولا تصدقوا بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم من الدين فلا نبى بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم الى يوم
القيمة ولا تصدقوا بان يكون لاحد حجة عليكم عند ربكم لان دينكم خير الاديان
وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فتكون الاية كلها خطابا للمؤمنين
من الله سبحانه عند تلبيس اليهود عليهم لئلا يزلوا ويدل عليه ما قاله
الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا فى ديننا فبين الله
سبحانه انهم هم المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون و
قوله قل ان الفضل بيد الله قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التى اوتيها محمد ومن
معه وقيل نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله اى فى ملكه وهو القادر عليه
العالم بمحله يؤتيه من يشاء وفى هذه الاية دلالة على ان النبوة ليست
بمستحقة وكذلك الامامة لان الله سبحانه علقه بالمشية والله واسع
الرحمة جواد وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم بمصالح الخلق وقيل
يعلم حيث يجعل رسالته يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
مر تفسيره فى سورة البقرة فى العشر التى بعد المائة وفى هذه الايات معجزات
باهرة لنبينا صلى الله عليه واله اذ فيها اخبار عن سرائر القوم التى لا يعلمها
الا علام الغيوب وفيها دفع لمكايدهم ولطف للمؤمنين فى الثبات على
عقايدهم قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت
عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل و
يقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين آيتان القراءة قرأ حمزة وابو بكر

عن عاصم يؤده بسكون الهاء وروى نحوه عن ابي عمرو وقرا يعقوب وابو جعفر
بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب ابي عمرو والباقون بالكسرة
والاشباع **الحجة** اما سكون الهاء فان اكثر النحويين على انه لا يجوز وغلط
الزجاج الراوي فيه عن ابي عمرو وقال وحكى سيبويه عنه وهو ضابط عنل
هذا انه كان يكسرها خفيفا وقال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون
الهاء اذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم انتم واما الاختلاس
فانه للاكتفاء بالكسرة عن الياء واما الاشباع فعلى الاصل **اللغة**
القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في اول السورة والدينار اصله دنار
بنونين فقلبت احدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه
دنانير ودمت ودمت لغتان مثل مت مت لكن من كسر الدال والميم قال
في المضارع يمات وتدام وهي لغة ازد السراة ووفي واوفى لغتان فاهل
الحجاز يقولون اوفيت واهل نجد يقولون وفيت **الاعراب** الفرق بين ان
تقول تامنه بقنطار وبين ان تقول على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة
ومعنى على استعلاء الامانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى
كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين احدهما الاضراب عن
الاول على جهة الانكار للاول وعلى هذا الوجه يكون من اوفى بعهده واتقى
مكتفية نحو قولك ما قام زيد فيقال بلى اي بل قد قام زيد قال الزجاج
ههنا وقف تام ثم استانف من اوفى الى آخره لانهم لما قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل قيل بلى اي بلى عليهم سبيل والثاني الاضراب عن الاول
والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا يكون مكتفية والفرق بين
بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الاثبات وانما جاز امالة بلى لمشابهتها

الاسم

الاسم من وجهين احدهما انه توقف عليها كما توقف على الاسم والآخر انها
على ثلثة احرف ولذلك خالفت لا في الامالة **النزول** عن ابن عباس قال
يعني بقوله من ان تامنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه
رجل الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداه اليه فمدحه الله سبحانه ويعني
بقوله من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازورا وذلك ان
رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه وفي بعض التفاسير ان الذي
يؤدي الامانة في هذه الآية النصارى والذين لا يؤدونه اليهود
ثم ذكر سبحانه معايب القوم وان فيهم من يخرج عن العيب فقال ومن
اهل الكتاب من ان تامنه اي تجعله امينا على قنطار اي مال كثير على ما
قيل فيه من الاقوال التي مضى ذكرها في اول السورة يؤده اليك اي يرده
عند المطالبة ولا يخون فيه ومنهم من ان تامنه بدينار اي على ثمن دينار
والمراد تجعله امينا على قليل من المال لا يؤده اليك عند المطالبة وهم كفار
اليهود بالاجماع الا ما دمت عليه قائما معناه الا ان تلازمه وتتقاضاه
عن الحسن وابن زيد وقيل الا ان تدوم قائما بالتقاضي والمطالبة عن
قتادة ومجاهد وقيل الا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه والملازمة
عن السدي قال ما دمت قائما على راسه وقيل قائما اي ملحا عن ابن عباس
ذلك اي ذلك الاستحلال والخيانة بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل هذا بيان العلة التي لاجلها كانوا لا يؤدون الامانة ويميلون
الى الخيانة اي قالت اليهود ليس علينا في اموال العرب التي اصبناها سبيل
لانهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لانهم تحولوا عن دينهم الذي
عاملناهم عليه وذلك انهم عاملوا جماعة منهم ثم اسلموا من له الحق فامتنع

من عليه الحق من اداء الحق وقالوا انما عاملناكم وانتم على ديننا فاما
فادقيموه سقط حقكم وادعوا ان ذلك فى كتبهم فاكذبهم الله تعالى فى ذلك
بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون لان الله تعالى
امرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج وانما سموهم اميين بعده كونهم
من اهل الكتاب او لكونهم من مكة وهى ام القرى ثم رد سبحانه عليهم
قولهم فقال بلى وفيه نفى لما قبله واثبات لما بعده كانه قال ما امر الله سبحانه
بذلك ولا احبه ولا اراده بل اوجب الوفا بالعهد واداء الامانة من اوفى
بعهده يحتمل ان يكون الهاء فى بعهده عايدة على اسم الله تعالى فى قوله على الله
الكذب فيكون معناه بعهد الله وعهد الله الى عباده امره ونهيه و
يحتمل ان يكون عايدة على من ومعناه ومن اوفى بعهد نفسه لان العهد
مضاف تارة الى العاهد وتارة الى المعهود له واتقى الخيانة ونقض العهد
فان الله يحب المتقين معناه فان الله يحبه الا انه عدل الى ذكر المتقين
لتبيين الصفة التى يجب بها محبة الله وهذه صفة المومن فكانه قال
والله يحب المومنين ولا يحب اليهود وروى عن النبى صلى الله عليه واله
انه لما قرا هذه الاية قال كذب اعداء الله ما من شى كان فى الجاهلية
الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها موداه الى البر والفاجر وعنه صلى
الله عليه واله قال ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه
مومن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وعنه صلى الله
عليه واله قال من ائتمن على امانة فاداها ولو شاء لم يودها زوجه الله
من الحور العين ما شاء قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة ولا

يكلمهم

يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اية
النزول نزلت فى جماعة من احبار اليهود ابى رافع وكنانة ابن ابى الحقيق و
حيى ابن اخطب وكعب ابن الاشرف كتموا ما فى التورية من امر محمد صلى الله
عليه واله وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم الرشا
وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت فى اشعث بن قيس وخصم
له فى ارض قام ليحلف عند رسول الله صلى الله عليه واله فلما نزلت الاية
نكل الاشعث واعترف بالحق ورد الارض عن ابن جريج وقيل نزلت فى رجل
حلف يمينا فاجرة فى تنفيق سلعته عن مجاهد والشعبى المعنى ثم ذكر سبحانه نعم
الوعيد لهم على افعالهم الخبيثة فقال ان الذين يشترون اى يستبدلون بعهد
الله اى بامر الله سبحانه وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه ان الذين يحصلون
بنكث عهد الله ونقضه وايمانهم اى وبالايمان الكاذبة ثمنا قليلا اى عوضا
نزرا وسماه قليلا لانه قليل فى جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من
العقاب وقيل العهد ما اوجبه الله على الانسان من الطاعة والكف عن المعصية
وقيل هو ما فى عقل الانسان من الزجر عن الباطل والانقياد للحق اولئك لا خلاق
لهم اى لا نصيب وافر لهم فى نعيم الاخرة ولا يكلمهم الله فيه قولان احدهما انه
لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم عن الجبائى والاخر انه لا يكلمهم
اصلا ويكون المحاسبة بكلام الملئكة لهم بامر الله اياهم استهانة بهم ولا ينظر
اليهم يوم القيمة معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القايل للغير انظر
الى يريد ارحمنى وفى هذا دلالة على ان النظر اذا عدى بحرف الى لا يفيد الرؤية
لانه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف ولا يزكيهم اى لا يطهرهم وقيل
لا ينزلهم منزلة الازكياء عن الجبائى وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والاوزار

بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بانهم ازكياء ولا يسميهم بذلك بل يحكم بانهم
كفرة فجرة عن القاضي ولهم عذاب اليم مولم موجع وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من حلف على يمين كاذبة ليقتطع
بها مال اخيه المسلم لقى الله وهو عليه غضبان وتلا هذه الاية وروى مسلم
ابن الحجاج في الصحيح باسناده من عدة طرق عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله
عليه وآله قال ثلث لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم المنان الذي لا يعطي شيئا الا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل
ازاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من حلف على
يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان
اورده مسلم ايضا في الصحيح وقوله تعـ وان منهم لفريقا يلوون السنتهم
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم
يعلمون اية اللغة اصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها ومنه
لويت الغريم ليا وليانا اذا مطلته حقه قال الشاعر تطيلين لياني وانت
ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا ومنه الحديث لي الواجد ظلم
والالسنة جمع اللسان على التذكير كحمار واحمرة ويقال السن على التانيث كعناق
واعنق والفرق بين حسبت وزعمت ان زعمت يحتمل ان يكون يقينا وظنا
وحسبت لا يحتمل اليقين اصلا الاعراب لفريقا نصب بانه اسم ان واللام
للتاكيد دخلت على اسم ان اذا كان موخرا ولا يجوز ان لزيدا في الدار لئلا
يجتمع حرف تاكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فاما قولهم جاءني
القوم كلهم اجمعون فكل تاكيد للقوم واجمعون تاكيد لكل النزول قيل نزلت

في جماعة من احبار اليهود فكتبوا بايديهم ما ليس في كتاب الله من نعت النبي
صلى الله عليه وآله وغيره واضافوه الى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود و
النصارى حرفوا التورية والانجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض والحقوا
به ما ليس منه واسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس المعنى وان منهم
اي من اهل الكتاب وهو عطف على قوله وان من اهل الكتاب من ان تامنه لفريقا
اي طايفة يلوون السنتهم بالكتاب معناه يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون
به عن القصد بالسنتهم فجعل تحريف الكتاب عن جهته ليا باللسان وهذا
معنى قول قتادة ومجاهد وابن جريج والربيع وقيل بغيرونه بخلاف الحق لتحسبوه
من الكتاب اي لتظنوه ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب
المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله وفي هذا دلالة على ان المعاصي ليست من عند الله ولا
من فعله لانها لو كانت من فعله لكانت من عنده فان قالوا انها من عنده
خلقا وفعلا وليست من عنده انزالا ولا امرا فالجواب لو كانت كذلك لكانت
من عنده على اكد الوجوه فلم يجز اطلاق النفي بانها ليست من عند الله وكما لا
يجوز ان يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لاطلاق النفي بانه ليس من
الكتاب كذلك لا يجوز ان يكون من عند الله لاطلاق النفي بانه ليس من
عند الله ويقولون على الله الكذب في نسبتهم ذلك الى الكتاب وهم يعلمون
ان ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب قوله تعـ
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة

وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ آيتان القراءة
قرأ اهل الكوفة وابن عامر تعلّمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرأ عاصم عن
الاعشى والبرجمي وحمزه وابن عامر ويعقوب ولا يامر بنصب الراء والباقون
بالرفع الحجة حجة من قال تعلّمون بالتشديد ان التعليم ابلغ في هذا الموضع لانه
اذا علم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك عمله داخلا في
جملة من وبخ بقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وحجة من قرأ
تعلمون ان العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه مما يكون داعيا الى التمسك
بعلمه والعمل به ما لا يدركه العالم المعلم في تعليمه ومن قرأ يامركم فعلى القطع من
الاول اراد ولا يامركم الله ومن نصبه فعلى قوله وما كان لبشر ان يامركم ان
تتخذوا ومما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود ولن يامركم فهذا يدل
على الانقطاع من الاول ومما يقوي النصب ما جاء في السير ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وآله يا محمد اتريد ان نتخذك ربا فقال الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب ولا ان يامركم اللغة البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر
مثل الخلق يقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما يقول هذا خلق وهؤلاء خلق وانما
وقع المصدر على القليل والكثير لانه جنس الفعل فصار كاسماء الاجناس
مثل الماء والتراب ونحوه والرباني هو الذي يرب امر الناس بتدبيره
له واصلاحه اياه يقال رب فلان امره ربابة وهو ربان اذا دبره واصلحه
ونظيره نعس ينعس فهو نعسان واكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل
فيكون العالم ربانيا لانه بالعلم مدبرا الامر ويصلحه وقيل انه مضاف
الى علم الرب وهو علم الدين الذي يامر به الا انه غيّر في الاضافة ليدل
على هذا المعنى كما قيل في الاضافة الى البحرين بحراني وكما قيل للعظيم الرقبة الرقباني

والعظيم

وللعظيم اللحية لحياني فقيل لصاحب علم الدين الذي امر به الرب رباني النزول
قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران قالا يا محمد اتريد ان نعبدك
ونتخذك الها فقال معاذ الله ان اعبد غير الله او امر بعبادة غير الله ما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فانزل الله الآية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت في
نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم
عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد
من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهل ذلك فقال ما كان
لبشر يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما كان لنا ان
نتكلم بهذا اي ما ينبغي وقيل معناه لا يجوز لبشر ولا يحل له ان يؤتيه الله اي
يعطيه الله الكتاب والحكم اي العلم والنبوة اي الرسالة الى الخلق ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله اي اعبدوني من دونه او اعبدوني
معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الانبياء الذين خصهم الله برسالته
واجتباهم لنبوته وانزل عليهم كتبه وجعلهم حكماء علماء ان يدعوا الناس
الى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي صلى الله عليه وآله عن مثل
هذا القول لا على وجه النهي وقوله عبادا هو من العبادة قال القاضي وعبيد
بخلافه لانه بمعنى العبودية ولا يمتنع ان يكونوا عبادا لغيره ولكن كونوا ربانيين
فيه حذف اي لا ينبغي لهذا البشر ان يقول للناس اعبدوني ولكنه ينبغي
ان يقول لهم كونوا ربانيين وفيه اقوال احدها ان معناه كونوا فقهاء علماء
عن علي عليه السلام وابن عباس والحسن وثانيها كونوا حكماء علماء عن قتادة
والسدي وابن ابي رزين وثالثها كونوا حكماء اتقياء عن سعيد بن جبير ورابعها
كونوا مدبري امر الناس في الولاية بالاصلاح عن ابن زيد وخامسها كونوا

المعنى لما تقدم ذكر اهل الكتاب
فانه تعالى الآية ما ينبغي به الا الانبياء
وانهم انما ... نزههم الله تعالى عن

معلمين للناس من علمكم كما يقال انفق مما لك اى من مالك عن الزجاج و
روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا
مملوكة الا ولله عليه حق واجب ان يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال
ابو عبيده سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال والحرام والامر
والنهى وما كان وما يكون وقال ابو عبيده لم يعرف العرب الربانى وهذا
فاستدلال ان القران نزل بلغتهم وروى عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات
ابن عباس مات ربانى هذه الامة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل بما كنتم تعلمون
الكتاب اى القران وبما كنتم تدرسون اى الفقه ومن قرا بالتشديد اراد
تعلمونه لسواكم فيفيد انهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر
من كونهم عالمين ودخلت الباء فى قوله بما كنتم تعلمون لاحد ثلثة اشياء
اما ان يريد كونوا معلمى الناس بعلمكم كما يقال انفقوا مما لكم او يريد كونوا
ربانيين فى علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع فى او يريد كونوا ممن يستحق
ان يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بان تعملوا بما علمتم وذلك ان الا
انما يستحق الوصف بانه عالم اذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله انما يخشى الله من
عباده العلماء ولا يامركم اى ولا يامركم الله عن الزجاج وقيل ولا يامركم محمد
عن ابن جريج وقيل ولا يامركم عيسى ومن نصب الراء عطفه على ان يؤتيه الله
فمعناه ولا كان لهذا النبى ان يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
اى آلهة كما فعل الصابئون والنصارى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
الف انكار اصله الاستفهام وانما استعمل فى الانكار لانه مما لو اقر به
المخاطب لظهرت فضيحته فلذلك جاء على السؤال وان لم يكن الغرض تعرف
الجواب ومعناه ان الله تعالى انما يبعث النبى ليدعو الناس الى الايمان

فلا

فلا يبعث يدعو المسلمين الى الكفر **قوله تعالى** واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا
اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى
بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون آيتان **القراءة** قرا حمزة
وحده لما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرا نافع آتيناكم على الجمع
والباقون آتيتكم على التوحيد **الحجة** الوجه فى قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام
انه يتعلق بالاخذ كان المعنى اخذ ميثاقهم لهذا ويكون ما على هذا موصولة
والعائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على صلته وهى قوله جاءكم رسول
مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهو قوله ما معكم لانه فى معنى ما آتوه
من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله انه من يتق ويصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين لانه فى موضع لا يضيع اجرهم ويجوز ان يكون ما على
هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو على من فتح اللام فقال لما
آتيتكم فان ما فيه يحتمل تاويلين احدهما ان يكون موصولة والآخر ان
يكون للجزاء فمن قدرها موصولة فالقول فيما يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول ما تقدم ذكره فى قراءة حمزة واما الراجع
الى الموصول من الجملة الاولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه
واللام فى لما فيمن قدرها موصولة لام الابتداء وهى المتلقية لما اجرى مجرى
القسم من قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وموضعها رفع بالابتداء والخبر
لتؤمنن به ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف والمعنى والله لتؤمنن والذكر
الذى فى به يعود على الذى آتيتكموه الذى هو المبتدأ ونحو قولك لعبد الله

والله لتأتينه والذكر الذي في لتنصرنه يعود على رسول المتقدم ذكره واذا قدرت
ما للجزاء كانت ما في موضع نصب بآتيتكم وآتيتكم في موضع جزم بالشرط و جاءكم
في موضع جزم بالعطف على آتيتكم واللام الداخلة على ما لا يكون المتلقية للقسم
ولكن يكون بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون والمتلقية للقسم
قوله لتؤمنن به كما انها في قوله لئن لم ينته المنافقون قوله لنغرينك
بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها
تارة واثباتها تارة كما قال وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين فتلحق
هذه اللام ان مرة ولا تلحق اخرى كما ان كذلك في قولك والله لو فعلت
لفعلت والله لو فعلت لفعلت **المعنى** لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه
بذكر نبينا صلى الله عليه وآله وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال واذ
اخذ الله ميثاق النبيين العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ اخذ الله
وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذ قالت الملائكة وروي عن امير المؤمنين
عليه السلام وابن عباس وقتادة ان الله تعالى اخذ الميثاق على الانبياء قبل
نبينا صلى الله عليه وآله ان يخبروا اممهم بمبعثه ونعته ويبشروهم به و
يأمروهم بتصديقه وقال طاوس اخذ الله على الانبياء على الاول والآخر
فاخذ الله ميثاق الاول لتؤمنن بما جاء به الآخر وقال الصادق عليه السلام
تقديره واذ اخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاء
هم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا
كثيرا منها وقوله لما آتيتكم بفتح اللام اذا كانت ما موصولة فتقديره للذي
آتيتكموه اي اعطيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول اي نبي وقيل
يعني محمدا صلى الله عليه وآله مصدق لما معكم اي لما آتيتكموه من الكتب

لتؤمنن به اي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه اي يريد ليؤمنن بالذي آتيتكموه
ولتنصرنه اي الرسول فعلى هذا يكون المعنى انه انما اخذ الميثاق على الانبياء
ليصدق بعضهم بعضا ويأمرهم بعضهم بالايمان ببعض ويكون النصرة
بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير وطاوس واذا
كانت ما للجزاء فتقديره اي شيء آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن
به فالشرط هو ايتاؤه اياهم الكتاب والحكمة ومجيء الرسول فالجزاء القسم
والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فاغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وقوله من كتاب من هذه للتبيين لما نحو قولك
ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقديره
ان الله سبحانه قال لهم مهما آتيتكم كتابا وحكمة ثم يجيئكم به رسول مصدق
لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فاقروا
بذلك واعطوا عليه مواثيقهم وهذا اشبه فاذكر ان الميثاق اخذ على
الانبياء ليأخذوه على اممهم بتصديق محمد صلى الله عليه وآله اذا بعث
ويأمرهم بنصرته على اعدائه ان ادركوه وهو المروي عن علي عليه السلام
وابن عباس وقتادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون
معنى قوله جاءكم جاء اممكم وانباءكم وانما خرج الكلام على النبيين لان ما
لزمهم لزم اممهم ومن قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى اخذ الله ميثاقهم
لما اوتوه اي لاجل ما اوتوه من الحكمة والكتاب ولانهم الافاضل وخيار
الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضي ان يكون الانبياء سابقا لاخذ
الميثاق وقوله لتؤمنن به متعلق باخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع
الى معنى الشرط والجزاء وقوله لتنصرنه اي بالبشارة للامم به قال اي قال الله تع

لانبياء اقررتم به وصدقتموه واخذتم على ذلكم اصري ومعناه وقبلتم
على ذلكم عهدي ونظيره فان اوتيتم هذا فخذوه وقيل معناه اخذتم العهد
بذلك على اممكم قالوا اي قال الانبياء واممهم اقررنا بما امرتنا بالاقرار به
قال الله فاشهدوا بذلك على اممكم وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى
اممكم عن علي عليه السلم وقيل فاشهدوا اي فاعلموا ذلك وانا معكم
اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال
الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد
ابن المسيب وهذه الاية من مشكلات ايات القران وقد غاص النحويون
في وجوه اعرابها وتحقيقها وشققوا الشعر في تدقيقها ولا تراها في موضع
اوجز لفظا واكثر فائدة واشد تهذيبا مما ذكرته هنا وبالله التوفيق
فمن تولى بعد ذلك اي فمن اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه واله
بعد هذه الدلالات والحجج وبعد اخذ الميثاق على النبيين الذي ذكره
والمعني بهذا الامم دون النبيين لانهم قد مضى زمانهم وجاز ذلك
لان اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الاخذ على اممهم وقد روي عن علي
عليه السلم قال لم يبعث الله نبيا ادم ومن بعده الا اخذ عليه العهد لئن
بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره بان ياخذ العهد
بذلك على قومه فاولئك هم الفاسقون ولم يقل الكافرون لان
المراد الخارجون في الكفر الى الفحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك ان
اصل الفسق الخروج عن امر الله تعالى وتقدس الى حال توبقه وفي
الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصي ما هو اكبر وما هو
اصغر بالاضافة اليه **قوله تعالى** افغير دين الله يبغون وله اسلم

من في

من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قل
امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من
ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين ثلث ايات
القراءة قرا ابو عمرو يبغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة
وقرا بالياء فيهما عباس وحفص ويعقوب وسهل والباقون بالتاء
فيهما جميعا **الحجة** من قرا بالتاء فيهما فلان اول الاية خطاب للنبي صلى
الله عليه واله ومن قرا بالياء فعلى تقدير قل لهم افغير دين الله يبغون فجاء
على لفظ الغيبة لانهم غيب وقد تقدم القول في ترجعون ويرجعون **الاعراب**
افغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كما لو قيل او غير دين الله يبغون الا
ان الفاء رتبت فكانه قيل ابعد تلك الايات غير دين الله يبغون طوعا
وكرها مصدران وقعا موقع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما تقول
اتاني ركضا اي راكضا ولا يجوز ان تقول اتاني كلاما اي متكلما لان
الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض ضرب منه **النزول** عن ابن
عباس قال اختصموا في هذا الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
فيما اختلفوا بينهم من دين ابرهيم ع كل فرقة زعمت انهم اولى بدينه
فقال النبي صلى الله عليه واله كلا الفريقين بري من دين ابرهيم عليه السلم
فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله
افغير دين الله يبغون **المعنى** لما بين سبحانه بطلان اليهود وسائر
الملل غير الاسلام بين عقبه ان من يتبع غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول

منه فقال طوعاً وكرهاً قيل فيه اقوال احدها ان معناه اسلم من في السموات
والارض افبعد هذه الايات والحجج تطلبون ديناً غير دين الله تعالى وله
اسلم من في السموات والارض افغير دين يبغون يعني افبعد هذه الايات والحجج
تطلبون ديناً غير دين الله تعالى وله اسلم من في السموات والارض طوعاً و
كرهاً قيل فيه اقوال احدها ان معناه اسلم من في السموات والارض بالحالة
الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس وثانيها
اسلم اي اقر بالعبودية وان كان فيهم من اشرك في العبادة كقوله سبحانه
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول
الخلائق من الدعاء الى الاقرار له بالربوبية لينبهوا على ما فيه من الدلالة
عن مجاهد وابي العالية وثالثها اسلم المؤمن طوعاً والكافر به كرهاً عند
قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا عن قتادة واختاره البلخي
ومعناه التحريف لهم من التاخر عما هذه سبيله ورابعها ان معناه
استسلم له بالانقياد والذلة كقوله سبحانه قالت الاعراب آمنا قل
لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا عن الشعبي والجبائي و
الزجاج وخامسها ان معناه اكره اقوام على الاسلام وجاء اقوام طائعين
عن الحسن وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال كرهاً اي فرقاً
من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لاهل السموات خاصة واما
اهل الارض فمنهم من اسلم طوعاً ومنهم من اسلم كرهاً واليه يرجعون
اي الى جزائه تصيرون وبادروا الى دينه ولا تخالفوا الاسلام قل آمنا
بالله خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وامر له بان يقول عن نفسه وعن
امته آمنا بالله وما انزل علينا الاية كما تخاطب رئيس القوم بان يقول

عن نفسه

عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الاية في سورة البقرة فان قيل ما معنى
قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق الاقرار بالايمان على التفصيل قلنا معناه
ونحن له مستسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما امر به ونهى عنه وايضاً فان
اهل الملل المخالفة للاسلام كانوا يقرون كلهم بالايمان ولكن لم يقروا بلفظ
الاسلام فلهذا قال ونحن له مسلمون ومن يبتغ اي يطلب غير الاسلام
ديناً يدين به فلن يقبل منه بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله وهو في الآخرة
من الخاسرين اي من الهالكين لان الخسران ذهاب راس المال وفي هذا
دلالة على ان من ابتغى غير الاسلام ديناً يقبل منه فدل ذلك على ان الدين
والاسلام والايمان واحد وهي عبارات عن معبر واحد قوله تعالى
كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد
ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اربع آيات اللغة الخلود في
اللغة طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقيل للاثافي خوالد
ما دامت في مواضعها فاذا زالت لا تسمى خوالد والفرق بين الخلود والدوام
ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد فلان في الحبس ولا يقتضي
ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود الا ان
الخلود الكفار المراد به التابيد بلا خلاف بين الامة والانظار التاخير
للعبد لينظر في امره والفرق بينه وبين الامهال ان الامهال هو تاخير
لتسهيل ما يتكلفه من عمله الحجة كيف اصله الاستفهام والمراد به

هنا الانكار لان يقع هذه الهداية من الله اى لا يهديهم الله كقوله تعالى كيف
يكون للمشركين عهد اى لا يكون قال الشاعر كيف نومى على الفراش ولا يشمل
الشام غارة شعواء وانما دخله معنى الانكار مع ان اصله الاستفهام
لان المسؤل يسال عن اغراض مختلفة فقد يسال للتعجيز عن اقامة البرهان
وقد يسال للتوبيخ من ما يظهر من معنى الجواب فى السؤال وقد يسال لما
يظهر فيه من الانكار وانما عطف قوله شهدوا وهو فعل على ايمانهم وهو
اسم لان الايمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد ان امنوا وشهدوا
واجمعين تاكيد للناس ودخلت الفاء فى قوله فان الله غفور رحيم لانه
شبه الجزاء اذ كان الكلام قد تضمن تابوا فان الله يغفر لهم ولا يجوز ان
يكون فى موضع خبر الذين لان الذين فى موضع النصب بالاستثناء
من الجملة التى هى قوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الخ ولا نحمل على
المنقطع مع حسن الاتصال لانه الاصل فى الكلام والاسبق الى الافهام
النزول قيل نزلت الايات فى رجل من الانصار يقال له الحارث بن سويد
بن الصامت وكان قتل المجذر بن زياد البلوى غدرا وهرب وارتد
عن الاسلام ولحق بمكة ثم ندم فارسل الى قومه ان يسألوا رسول الله ص
هل لى من توبة فسألوا فنزلت الايات الى قوله الا الذين تابوا فحملها اليه
رجل من قومه فقال انى لاعلم انك لصدوق ورسول الله صلى الله عليه
واله اصدق منك وان الله تعالى اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة
وتاب وحسن اسلامه عن مجاهد والسدى وهو المروى عن ابى عبد الله
عليه السلام وقيل نزلت فى اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى
قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسدا وبغيا عن الحسن والجبائى وابى مسلم

المعنى لما بين الله سبحانه ان الاسلام هو الدين الذى به النجاة بين حال من
خالفه فقال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم فيه وجوه احدها ان
معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالاثابة لهم والثناء عليهم
وقد كفروا بعد ايمانهم وثانيها انه على طريق التبعيد كما يقال كيف اهديك
الى الطريق وقد تركته اى لا طريق يهديهم به الى الايمان الا من الوجه الذى
هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره وثالثها ان المراد كيف يهديهم الله الى
الجنة ويثيبهم والحال هذه وقوله وشهدوا ان الرسول حق عطف على قوله
بعد ايمانهم دون قوله كفروا وتقديره بعد ان امنوا وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات اى البراهين والحجج وقيل القران وقيل جاءهم ما فى
كتبهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه واله والله لا يهدى القوم الظالمين
اى لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يثيبهم ولا يهديهم
الى طريق الجنة لان المراد به الهداية المختصة بالمؤمنين دون الهداية العامة
المرادة فى قوله واما ثمود فهديناهم فالمراد بالايمان ههنا اظهار الايمان
دون الايمان الذى يستحق به الثواب وليس فى الاية ما يدل على انهم قد
كانوا فى باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق
للمخالف به اولئك جزاؤهم على اعمالهم ان عليهم لعنة الله وهى ابعاده اياهم
من رحمته ومغفرته ولعنة الملائكة والناس وهى دعاؤهم عليهم باللعنة
وبان يبعدهم الله من رحمته خالدين فيها اى فى اللعنة بخلودهم فيما استحق
باللعنة وهو العذاب لا يخفف عنهم العذاب اى لا يسهل عليهم ولا هم
ينظرون اى ولا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت الى
وقت اخر وانما نفى انظارهم للتوبة والانابة لما علم من حالهم انهم لا يتوبون

ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التبقية ليست
بواجبة وان علم من حالهم انه لو بقاه لتاب واناب عند اكثر المتكلمين
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اى تابوا من الكفر ورجعوا الى
الايمان واصلحوا ضمائرهم وعزموا على ان يثبتوا على الاسلام وهذا احسن
من قول من قال واصلحوا اعمالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فان ذلك
ليس بشرط فى صحة التوبة اذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمنا
بالاجماع فان الله تعالى غفور يغفر لهم ذنوبهم رحيم فوجب الجنة لهم و
ذكر المغفرة دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه فان ما لا
يجوز المواخذة اصلا به لا يجوز تعليقه بالمغفرة ما يكون له المواخذة به
قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم واولئك هم الضالون اية النزول قيل نزلت فى اهل الكتاب
امنوا برسول الله صلى الله عليه واله قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن
وقيل نزلت فى اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم و
كتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه واله والقران عن قتادة
وعطا وقيل نزلت فى الاحد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث
قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما اردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا
ما نزل فى الحرث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه واله مكة دخل فى
الاسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية المعنى لما تقدم ذكر التوبة المقبولة
عقبه الله سبحانه بما لا تقبل منها فقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا فقد ذكرنا الاختلاف فى سبب نزوله وعلى ذلك يبتنى معناه
وقيل

وقيل كلما نزلت اية كفروا بها وازدادوا كفرا الى كفرهم لن تقبل توبتهم لانها
لم تقع على وجه الاخلاص ويدل عليه قوله واولئك هم الضالون و
لو حققوا فى التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند رؤية
الباس لانها تكون فى حال الالجاء ومعناه انهم لا يتوبون الا عند
حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقتادة والجبائى وقيل لانها اظهرت
الاسلام تورية فاطلع الله تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد
دل السمع على وجوب قبول التوبة اذا حصلت شرائطها وعليه اجماع الامة
واولئك هم الضالون عن الحق والصواب وقيل الهالكون المعذبون
قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب
اليم وما لهم من ناصرين اية اللغة الملء اصله الملء وهو تطفح الاناء
ومنه الملاء الاشراف لانهم يملؤن العين هيبة وجلالة ومنه رجل
ملئ بالامر وهو املأ به من غيره والملء اسم للمقدار الذى يملأ فالملء
المصدر والفدية البدل من الشئ فى ازالة الاذية ومنه فداء الاسير لانه بدل
منه فى ازالة القتل والاسر عنه اذا كسرته واذا فتحت قصرت تقول فداك و
فداءلك ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء افتعال من الفدية
الاعراب ذهبا منصوب على التمييز وانما استحق النصب لاشتغال
العامل بالاضافة او ما عاقبها من النون الزايدة فيجرى ذلك مجرى الحال
فى اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول فى اشتغال العامل عنه
بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زايدة وغلطه الزجاج
لان الكلام اذا امكن حمله على فايدة تحمل عليها ولا تحمل على الزيادة وقال

اذا دخلت الواو فی مثل هذا کان ابلغ فی التاکید کقولک لا ابیک وان
اعطیتنی لانها دخلت لتفصیل نفی القبول بعد الاجمال ولو جعلنا الواو
زایدة لاوهم ذلک انه لا یقبل منه ملاء الارض ذهبا فی الافتداء و
تقبل فی غیره المعنی ان الذین کفروا وماتوا وهم کفار ای علی کفرهم
فلن یقبل من احدهم ملاء الارض ذهبا ای مقدار ما یملا الارض من
الذهب ولو افتدی به بذله عوضا ومعناه ان الکافر الذی یعتقد
الکفر وان اظهر الایمان لا ینفعه الانفاق بمعنی انه لا یوجب له الثواب
قیل معناه انه لا یقبل منه فی الاخرة لو وجد الیه السبیل قال قتادة یجاء
بالکافر یوم القیمة فیقال له ارایت لو کان لک ملا الارض ذهبا الکنت
تفتدی به فیقول نعم فیقال له لقد سئلت ایسر من ذلک فلم تفعل ورواه
ایضا انس عن النبی صلی الله علیه واله اولئک لهم عذاب الیم وما لهم من
ناصرین ذکرنا معناه قوله تعالی لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون
وما تنفقوا من شیء فان الله به علیم ایة اللغة البر اصله من السعة
ومنه البر خلاف البحر والفرق بین البر والخیر ان البر هو النفع الواصل الی
الغیر مع القصد الی ذلک والخیر یکون خیرا وان وقع عن سهو وضد البر
العقوق وضد الخیر الشر المعنی لن تنالوا البر ای لن تدرکوا بر الله سبحانه
باهل طاعته واختلف فی البر هنا فقیل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد
وقیل هو الثواب فی الجنة وقیل هو الطاعة والتقوی عن مقاتل وعطا
وقیل معناه لن تکونوا ابرارا ای صالحین اتقیاء عن الحسن حتی تنفقوا
مما تحبون ای حتی تنفقوا المال وانما کنی بهذا اللفظ عن المال لان جمیع
الناس یحبون المال وقیل معناه ما تحبون من نفایس اموالکم دون

رذالها کقوله سبحانه ولا تیمموا الخبیث منه تنفقون وقیل هو الزکوة الواجبة
وما فرضه الله سبحانه فی الاموال عن ابن عباس والحسن وقیل هو جمیع ما
ینفقه المرء فی سبیل الخیرات عن مجاهد وجماعة فقد روی عن ابی الطفیل
قال اشتری علی علیه السلام ثوبا فاعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول
الله صلی الله علیه واله یقول من اثر علی نفسه اثره الله یوم القیمة بالجنة
ومن احب شیئا فجعله لله قال الله تعالی یوم القیمة قد کان العباد یکافئون
فیما بینهم بالمعروف وانا اکافیک الیوم بالجنة وروی ان ابا طلحة قسم
حایطا له فی اقاربه عند نزول هذه الایة وکان احب امواله الیه فقال
له رسول الله بخ بخ ذلک مال رابح لک وجاء زید بن حارثة بفرس له کان
یحبها فقال هذه فی سبیل الله فحمل علیها رسول الله صلی الله علیه واله وسلم
اسامة بن زید فکان زیدا وجد فی نفسه وقال انما اردت ان اتصدق
به فقال رسول الله ص اما ان الله قد قبلها منک واعتق ابن عمر جاریة کان
یحبها وتلا هذه الایة وقال لولا انی لا اعود فی شیء جعلته لله لنکحتها
وضاف ابا ذر الغفاری ضیف فقال للضیف انی مشغول وان لی ابلا
فاخرج فاتنی بخیرها فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتنی
فقال وجدت خیر الابل فحلها فذکرت یوم حاجتکم الیه فقال ابو ذر
ان یوم حاجتی الیه لیوم اوضع فی حفرتی مع ان الله یقول لن تنالوا
البر الایة وقال ابو ذر فی المال ثلثة شرکاء القدر لا یستامرک ان تذهب
بخیرها او شرها من هلک او موت والوارث ینتظرک ان تضع راسک
ثم یستاقها وانت ذمیم وانت الثالث فان استطعت ان لا تکون
اعجز الثلاثة فلا تکن ان الله تعالی یقول لن تنالوا البر الایة وان هذا

الجمل كان مما احب من مالى فاحببت ان اقدمه لنفسى وقال بعضهم دلهم
سبحانه بهذه الاية على الفتوة فقال لن تنالوا البر اى بركم الا ببركم
باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم ومما تحبون فاذا فعلتم
ذلك نالكم برى وعطفى وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم جاء بالفاء
على جواب الشرط وان كان الله سبحانه يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان
احدهما ان تقديره وما تنفقوا من شئ فان الله يجازيكم به قل او كثر
لانه عليم لا يخفى عليه شئ منه والاخر ان تقديره فانه يعلمه الله موجودا
على الحد الذى يفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال سبحانه
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل
الكلام يخرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالامكان وانما اطلق
على سبيل المبالغة فى الترغيب والاولى ان يكون المراد لن تنالوا البر الكامل
الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون ويروى عن ابن عمر ان النبى
سئل عن هذه الاية فقال هو ان ينفق العبد المال وهو شحيح يامل الدنيا
ويخاف الفقر **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر فى الاية
الاولى لن يقبل من احدهم ملأ الارض ذهبا وصل ذلك بقوله لن تنالوا
البر الاية لئلا يؤدى امتناع غناء الفدية الى الفتور فى الصدقة وما جرى
مجراها من وجوه الطاعة **قوله تعالى** كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا
بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ايتان **اللغة** الافترا
الافتراق الكذب واصله قطع ما قدر من الاديم يقال فرى الاديم

يفريه

يفريه فريا اذا قطعه وعلى للاستعلاء معناه هنا اضافة الكذب الى الله
من جهة انه امر بما لم يامر به الله واوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين من
كذب عليه وكذب له لان من كذب عليه بعند انه كذب فيما يكرهه وكذب
له يجوز ان يكون فيما يريده **النزول** انكر اليهود تحليل النبى صلى الله عليه وآله
لحوم الابل فقال صلى الله عليه وآله كان ذلك حلالا لابرهيم عليه السلم
فقالت اليهود كل شئ نحرمه فانه كان محرما على نوح وابرهيم عم هلم جرا
حتى ينتهى الينا فنزلت الاية عن الكلبى وابى روق **المعنى** كل الطعام
اى كل الماكولات كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل واسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابرهيم الا ما حرم اسرائيل اعنى يعقوب على نفسه واختلفوا فى
ذلك الطعام فقيل ان يعقوب اخذه وجع العرق الذى يقال له النسا فنذر
ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحوم الابل وهو احب الطعام اليه عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم اسرائيل على نفسه لحم
الجزور تعبدا لله وسال الله تعالى ان يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن
الحسن وقيل حرم زايدتى الكبد والكليتين والشحم الا ما حملته الظهور
عن عكرمه واختلف فى انه عم كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد و
قيل بالنذر وقيل بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر فى دينه
من الزهاد اللذة على نفسه من قبل ان تنزل التورية معناه ان كل الطعام
كان حلا لبنى اسرائيل قبل ان تنزل التورية على موسى فانها تضمنت تحريم
بعض ما كان حلالا لبنى اسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد
نزول التورية فقيل انه حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداء
بابيهم يعقوب عن السدى وقيل لم يحرمه الله عليهم فى التورية وانما حرم

عليهم بعد التورية بظلمهم وكفرهم وكانت سواء اسرائيل اذا اصابوا
ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت
وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
عن الكلبي وقيل لم يكن شيئا من ذلك حراما عليهم في التورية وانما
هو شيء حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم واضافوا تحريمه الى الله عن الضحاك
فكذبهم الله تعالى وقال قل يا محمد فاتوا بالتورية حتى يتبين انه كما
قلت لا كما قلتم ان كنتم صادقين في دعواكم فاحتج عليهم بالتورية وامرهم
بالاتيان بها وبان يقرؤا ما فيها فانه كان في التورية انها كانت حلالا
للانبياء وانما حرمها اسرائيل فلم يجسروا على اتيان التورية لعلمهم بصدق
النبي وكذبهم وكان ذلك دليلا ظاهرا على صحة نبوة نبينا صلى الله
عليه واله اذ علم بان في التورية ما يدل على كذبهم من غير ان تعلم
التورية وقراءها فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي فمن افترى
على الله الكذب من بعد ذلك اي ممن افترى الكذب على الله من بعد قيام
الحجة وظهور البينة فاولئك المفترون على الله الكذب هم الظالمون لانفسهم
بفعل ما اوجب العقاب عليهم وانما قال من بعد ذلك مع انه يستحق
الوعيد بالكذب على الله على كل حال لان المراد البيان انه انما يواخذ به بعد
اقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي
لا يستحق الوعيد بكذبه النظم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها
تفصيل للجملة المتقدمة فانه ذكر الترغيب في الانفاق من المحبوب في
الطعام مما يحب فرغب فيه وذكر عن علي بن عيسى وقيل انه لما تقدم محاجتهم
في ملة ابرهيم ع وكان مما انكروا على نبينا صلى الله عليه واله تحليل لحم

الجزور

الجزور وادعوا تحريمه على ابرهيم ع وان ذلك مذكور في التورية فانزل الله
تعالى هذه الآية تكذيبا لهم قوله تعالى قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم
حنيفا مسلما وما كان من المشركين اية اللغة الاتباع لحاق الثاني
بالاول لما له به من التعلق فالقوة للاول والثاني يستمد منه والتابع ثان
متدبر بتدبير الاول متصرف بتصريفه في نفسه واصل الحنيف الاستقامة
وانما وصف المايل القدم بالحنف تفاؤلا وقيل اصله الميل فالحنيف هنا
المايل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع المعنى ثم بين سبحانه ان الصدق
فيما اخبر به فقال قل صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل
الا ما حرم اسرائيل على نفسه وفي ان محمدا على دين ابرهيم ع وان دينه الاسلام
فاتبعوا ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها حنيفا اي مستقيما
على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه وطيب ماكله وتلك الشريعة
هي الحنيفية وقيل مايلا عن سائر الاديان الباطلة الى دين الحق وما كان
من المشركين برا الله سبحانه ابرهيم مما كان ينسبه اليهود والنصارى اليه
بزعمهم انهم على دينه وكذلك مشركو العرب واخبر ان ابرهيم ع كان بريا
من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا صلى الله لم يكن متعبدا بشريعة من
تقدم من الانبياء ولكن وافقت شريعته شريعة ابرهيم فلذلك قال
فاتبعوا ملة ابرهيم وهو الذي اوحيها اليه واوجبها عليه وكانت شريعة
وانما رغب الله سبحانه في شريعة الاسلام بانها ملة ابرهيم لان للصالح
اذا وافقت ما تميل اليه النفس ويقبله العقل بغير كلفة كانت احق
بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون الى اتباع ملة ابرهيم فلذلك خوطبوا
بذلك قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة

مُبٰارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرٰهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ آيتان
القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي بكر وابي جعفر حج البيت بكسر الحا والباقون
بفتحها الحجة قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكرا فحج على هذا مصدر فهذا
حجة لمن كسر الحاء وقال ابو زيد الحج السنون واحدها حجة قال ابو علي يدل
على ذلك قول ثماني حجج قال الحجة من حج البيت الواحدة قال سيبويه قالوا حجة
ارادوا عمل سنة ولم يجيئوا بها على الاصل ولكنه اسم لهم له فقوله لم يجيئوا انها
على الاصل ارادانة للدفعة من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسما لذا المعنى
كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجي فيه الغزوة وكان القياس اللغة
اول الشي ابتداؤه ويجوز ان يكون المبتداله آخر ويجوز ان يكون لا آخر له
لان الواحد اول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم اهل الجنة اول ولا آخر له و
اصل بكة من البك وهو الزحم يقال بكه يبكه بكا اذا زحمه وتباك الناس
اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل
المسجد الحرام وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا
فيها بظلم ولم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون ا
بكة وابدلت الميم من الباء كقولهم ضربة لازب ولازم ويجوز ان يكون
من قولهم امتك الفصيل ما ضرع الناقة اذا مصها مصا شديدا حتى
لا يبقي فيه شيئا ومك المشاش مكا اذا تمشش نقيه فسميت مكة
بذلك لقلة مائها واصل البركة الثبوت ومنه قولهم برك بروكا و
بركا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنموه ومنه البركة شبه

حوض الممسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس تبارك الله لثبوته لم يزل
ولا يزال وحده الاعراب قوله مباركا نصب على الحال بالظرف من ببكة على
معنى الذي استقر ببكة مباركا ويجوز ان يكون من الضمير في وضع كانه
قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز ان يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في
التقدير الاول واما رفع مقام ابرهيم فبانه خبر مبتدا محذوف وتقديره هي
مقام ابرهيم وغير مقام ابرهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من ايات عن ابي
مسلم ومن استطاع اليه سبيلا في موضع جر بدل من الناس وهو بدل
البعض من الكل النزول قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت
المقدس افضل واعظم من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة
وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله عز وجل ان اول بيت وضع للناس
المعنى ان اول بيت وضع للناس اي بني للناس ولم يكن قبله بيت مبني
وانما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله
سبحانه السماء والارض خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة
بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن ابي عبد الله عليه السلم
قال انها كانت مهاة بيضاء يعني درة بيضاء وروى ابو خديجة عليه السلم
قال ان الله تعالى انزل ادم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله الى السماء
وبقي اسه وهي بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا
يرجعون اليه فامر الله سبحانه ابرهيم واسمعيل ببنيان البيت على القواعد
عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل معناه ان اول بيت وضع للعبادة
ولم يكن قبله بيت يحج اليه لبيت الحرام وقد كانت بيوت كثيرة لكنه
اول بيت مبارك وهدى وضع للناس عن علي عليه السلام والحسن

وقيل اول بيت رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا
ان اول شئ خلق الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها
وروى عنيته وقيل بكة موضع البيت والمطاف انّ ابوذر انه سئل النبي صلى الله عليه وآله
عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس للذي ببكة
قيل بكة المسجد ومكة الحرم كله يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل بكة بطن مكة عن ابي عبيدة وقيل
بكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلد وعليه الاكثر وقيل بكة هي
مكة والعرب تبدل الباء ميما مثل سبد براسه وسمده عن مجاهد والضحاك
مباركا يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دائما
حتى يحكى ان الطواف به لا ينقطع ابدا وقيل لانه يضاعف فيه ثواب
العبادة عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لانه يغفر فيه
الذنوب ويجوز حمله على الجميع اذ لا تنافي وهدى للعالمين اي دلالة لهم
على الله سبحانه باهلاك كل من قصده من الجبابرة كاصحاب الفيل
وغيرهم وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذئب ولا ينفر عنه
مع نفرته عنه في غيره من البلاد وبانمحاق الجمار على كثرة الرماد فلولا
انها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستيناس الطيور
فيه بالناس وباستشفاء المريض بالبيت وبان لا يعلوه طير اعظاما
له الى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون به الى جهة
صلوتهم او يهتدون الى الجنة بحجه والطواف به فيه ايات بينات
اي دلالات واضحات والهاء في فيه عائد الى البيت وروى عن ابن عباس
انه قرء فيه اية بينة مقام ابرهيم فجعل مقام ابرهيم وحده هو الاية وقال

انّ

اثر قدميه في المقام اية بينة والاول عليه القراء والمفسرون ارادوا مقام
ابرهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها واركان البيت وازدحام
الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام ابرهيم في سورة البقرة وسئل
الصادق عليه السلام عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الاسود والباب قيل
ولم سمي الحطيم قال لان الناس يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذي فيه تاب
الله على ادم وقال عليه السلام ان تهيا لك ان تصلي صلوتك كلها
الفرايض وغيرها عند الحطيم فافعل فانه افضل بقعة على وجه الارض و
بعده الصلوة في الحجر افضل وروى ابو حمزة الثمالي قال قال لنا علي بن
الحسين عليه السلام اي البقاع افضل فقلنا الله ورسوله وابن رسوله
اعلم فقال لنا افضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما
عمر نوح عليه السلام في قومه الف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار
ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا لم ينفعه
ذلك شيئا وقال الصادق عليه السلام الركن اليماني بابنا الذي يدخل منه
الجنة وروى انه من روى من ماء زمزم احدث له به شفاء وصرف عنه
داء قال المفسرون ومن تلك الايات مقام ابرهيم وامن الداخل فيه
وامن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علا عبد على الكعبة الا عتق
واذا كان الغيث من ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن واذا
كان من ناحية الركن الشامي كان الخصب بالشام واذا عم البيت كان
في جميع البلدان وساير ما ذكرناه قبل من الايات وقوله ومن دخله
كان امنا عطف على مقام ابرهيم وفي مقام ابرهيم دلالة واضحة لانه
حجر صلد يرى فيه اثر القدم ولا يقدر احد على ان يجعل الحجر في لين الطين الا الله

سبحانه وروى عن ابن عباس انه قال ان الحرم كله مقام ابرهيم ومن دخل
مقام ابرهيم يعنى الحرم كان امنا وقيل فيه اقوال احدها ان الله تعالى عطف
قلوب العرب فى الجاهلية على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم والتجاء اليه وان كثرت
جريمته ولم يزده الاسلام الا شده عن الحسن وثانيها انه خبر والمراد به الامر
ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يباع ولا يشارى ولا يعامل
حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروى عن ابى
جعفر الباقر عليه السلم وابى عبد الله عليه السلم وعلى هذا يكون تقديره
ومن دخله فامنوه ثالثها ان معناه من دخله عارفا بجميع ما اوجبه الله عليه
كان امنا بالاخرة من العقاب الدايم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم
واجمعت الامة على من اصاب فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه ثم لما
بين الله فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الاسلام فقال ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومعناه ولله على من استطاع
الى حج البيت اى من وجد اليه طريقا بنفسه وماله واختلف فى الاستطاعة
فقيل هى الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه بلوغ
مكة باى وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول اليه والمروى
عن ائمتنا عليهم السلم انه وجود الزاد والراحلة ونفقة من يلزمه نفقته
والرجوع الى كفاية اما من مال او ضياع او حرفة مع الصحة فى النفس وتخلية
السرب من الموانع وامكان السير ومن كفر معناه ومن جحد فرض الحج ولم
يره واجبا عن ابن عباس والحسن فان الله غنى عن العالمين لم يتعبدهم
بالعبادة لحاجته اليها وانما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل
ان المعنى به اليهود فانه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن

يقبل

يقبل منه قالوا نحن مسلمون فامروا بالحج فلم يحجوا فعلى هذا يكون معنى من كفر
من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غنى عن العالمين وقيل المراد به كفران
النعمة لان امتثال امر الله شكر لنعمته وترك المامور به كفران لنعمته وقد روى
عن ابى امامه عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة
من مرض حابس او سلطان جابر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان
شاء نصرانيا وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى
الله عليه واله الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد
وفى هذه الاية دلالة على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لان
الله تعالى سبحانه اوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع و
ذلك لا يمكن الا قبل فعل الحج **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان
الله سبحانه امر اهل الكتاب باتباع ملة ابرهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام
فذكر سبحانه البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به فى قوله ان اول بيت وضع
للناس **قوله تعالى** قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ايتان
اللغة البغية الطلب يقال بغيت الشى ابغيه قال عبد بنى الحسحاس يقال
وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته امس موعدا اى طلبك وما
نطلبه ويقال ابغنى كذا بكسر الهمزة اى اطلبه لى واصله ابغ لى فحذف اللام
لكثرة الاستعمال واذا قلت ابغنى بفتح الهمزة بمعناه اعنى على طلبه ومثله
احملنى واحملنى واحلبنى واحلبنى اى اعنى على الحلب والعوج بفتح العين
ميل كل شى منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن الاستواء

فى طريق الدين وفى القول وفى الارض ومنه قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا
الاعراب من امن فى موضع نصب بانه مفعول تصدون والكناية فى قوله
تبغونها راجعة الى السبيل **المعنى** ثم عاد الكلام الى حجاج اهل الكتاب فقال
سبحانه مخاطبا للنبى صلى الله عليه وآله يأمره بخطاب اليهود والنصارى
وقيل لليهود خاصة قل يا اهل الكتاب اى قل يا محمد لهم لم تكفرون بايات الله
اى بالمعجزات التى اتاها محمد صلى الله عليه وآله والعلامات التى وافقت
فى صفته ما تقدمت البشارة به وسماهم اهل الكتاب وان يعملوا به لم
يجز مثل ذلك فى اهل القران لوجهين احدهما ان القران اسم خاص لكتاب الله
تعالى واما الكتاب فلا ينبئ عن ذلك بل يجوز ان يراد به يا اهل الكتاب
المحرف من جهته والثانى الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم به فكانه
قيل يا من يقرّ بانه من اهل كتاب الله لم تكفرون بايات الله واللفظ
لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ وانما جاء التوبيخ على لفظ الاستفهام
من حيث انه سؤال تعجيز عن اقامة العذر فكانه قال هاتوا العذر فى
ذلك ان امكنكم والله شهيد على ما تعملون اى حفيظ على اعمالكم محصٍ لها
ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم
فيها وقال عز اسمه فى هذا الموضع قل يا اهل الكتاب وفى موضع آخر
وامر نبيه صلى الله عليه وآله بمخاطبتهم استخفافا بهم لصدهم عن
الحق قل يا محمد يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن اى
لم تمنعون المؤمنين عن دين الاسلام الذى هو دين الله وسبيله
واختلف فى كيفية صدهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يغرون
بين الاوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التى كانت بينهم فى الجاهلية

حتى

يا اهل الكتاب لانه سبحانه خاطبهم فى موضع على جهة التلطف فى استدعائهم الى الايمان واعرض عنهم فى موضع آخر

حتى يدخلهم الحمية والعصبية فيه فيسلخوا عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا
يكون الاية فى اليهود خاصة وقيل الاية فى اليهود والنصارى ومعناها
لم تصدون بالتكذيب بالنبى وان صفته ليست فى كتبكم عن الحسن وقيل
بالتحريف والبهت عن الاصم تبغونها عوجا اى تطلبون لذلك السبيل لا
على وجه الاستقامة اى على غير الوجه الذى ينبغى ان تطلب وقوله وانتم
شهداء فيه قولان احدهما ان معناه انتم شهداء بتقدم البشارة بمحمد فى كتبكم
فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون عدولهم عنه والاخر ان المراد
وانتم عقلاء كما قال سبحانه او القى السمع وهو شهيد اى عاقل وذلك انه
يشهد الدليل الذى يميز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين وما الله
بغافل عما تعملون هذا تهديد لهم على الكفر **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ايتان
اللغة الطاعة موافقة الارادة والجاذبة للفعل بالترغيب فيه والاجابة
موافقة الارادة الداعية الى الفعل ولذلك يجوز ان يكون سبحانه مجيبا
لعبده اذا فعل ما دعى العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له واصل الاعتصام
الامتناع وعصمه يعصمه اذا منعه ولا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع
والعصام الحبل لانه يعتصم به والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال **النزول**
نزلت فى الاوس والخزرج لما اغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم
فى الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدى وقيل نزل قوله
وكيف تكفرون فى مشركى العرب عن الحسن **المعنى** ثم حذر سبحانه المؤمنين

خلفه كما يرى من قدامه ومنها انه كان تنام عينيه ولا ينام قلبه

من قبول قولهم فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله وهو
خطاب للاوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين فى عموم اللفظ ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب معناه ان تطيعوا هولاء اليهود
فى قبول قولهم واحياء الضغاين التى كانت بينكم فى الجاهلية يردوكم بعد
ايمانكم كافرين اى يرجعوكم كفارا بعد ايمانكم ثم اكد سبحانه الامر وعظم
الشان فقال وكيف تكفرون اى وعلى اى حال يقع منكم الكفر وانتم تتلى
عليكم ايات الله وهذا استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بايات
الله سبحانه وفيهم داع يدعوهم الى الايمان وقيل هو على التعجب اى لا ينبغى لكم
ان تكفروا مع ما يقرأ عليكم فى القران المجيد من الايات الدالة على وحدانية
الله تعالى ونبوة نبينا صلى الله عليه واله وفيكم رسوله يعنى محمدا صلى الله
عليه واله ترون معجزاته والكفر وان كان قطيعا فى كل حال فهو فى مثل
هذه الحالة افظع ويجوز ان يكون المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين
كان النبى صلى الله عليه واله بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به
جميع امته لان اثاره وعلاماته من القران وغيره فينا قائمة باقية وذلك
بمنزلة وجوده فينا حيا ومن يعتصم بالله ورسوله اى يتمسك بكتابه واياته
وبدينه وقيل من يمتنع بالله عمن سواه بان يعبده لا يشرك به شيئا وقيل
من يمتنع عن الكفر والهلاك بالايمان بالله وبرسوله فقد هدى الى صراط
مستقيم الى طريق واضح قال قتادة وفى هذه الاية علمان بينان كتاب الله
ونبى الله فاما نبى الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهركم
رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل انهم قد
شاهدوا فى نفسه صلى الله عليه واله معجزات كثيرة منها انه كانت يرى من

خلفه

خلفه كما يرى من قدامه ومنها انه كان تنام عينيه ولا ينام قلبه ومنها
انه ظله لا يقع على الارض ومنها ان الذباب لم يقع عليه ومنها ان الارض
كانت تبلع ما يخرج منه فكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان
لا يطوله احد وان طال ومنها انه كان بين كتفيه خاتم النبوة ومنها انه
كان اذا مر بموضع يعلمه الناس لطيبه ومنها انه كان يسطع نور من جبهته
فى الليلة المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا الى غير ذلك من الايات **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين
الله لكم اياته لعلكم تهتدون ايتان **اللغة** تقاة من وقيت
قال الزجاج يجوز فيه ثلثة اوجه تقاة ووقاة واقاة حمله على قياس وجوه و
اجوه وان كان هذا المثال لم يجئ منه شئ على الاصل نحو تخمة وتكاة غير انه
حمله على الاكثر من نظايره الحبل السبب الذى يوصل به الى البغية كالحبل
الذى يتمسك به للنجاة من بئر او نحوها ومنه الحبل للامان لانه سبب
للنجاة قال الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى اليك
حبالها ومنه الحبل للحمل فى البطن واصل الحبل المفتول قال ذو الرمة هل
حبل خرقاء بعد اليوم مرموم ام هل لها اخر الايام تكليم وشفا الشئ مقصور
حرفه ويثنى شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشئ اشرف عليه واشفى
المريض على الموت من ذلك **الاعراب** قوله وانتم مسلمون جملة فى موضع
الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا اى واعتصموا فى حال اجتماعكم

اى كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا اصله لا تتفرقوا فحذف احدى التائين
كراهة لاجتماع المثلين والمحذوفة الثانية لان الاولى علامة الاستقبال
وهو مجزوم بالنهى وعلامة الجزم سقوط النون وقوله فانقذكم منها الكناية
فى منها عادت الى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج طول الليالى اسرعت
فى نقضى طوين طولى وطوين عرضى فترك الطول واخبر عن الليالى النزول
قال مقاتل افتخر رجلان وترك شفا من الاوس والخزرج ثعلبة بن
غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيمة
بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت
بن افلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى الله
بحكمه فى بنى قريظة وقال الخزرجى منا اربعة احكموا القرآن ابى بن كعب ومعاذ
بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار
ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وتناديا فجاء الاوسى الى
الاوس والخزرجى الى الخزرج ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه
واله فركب حمارا واتاهم فانزل الله الايات فقراها عليهم فاصطلحوا المعنى
لما نهى سبحانه عن قبول اقوال الكافرين بين هذه الايات ما يجب قبوله
فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته معناه واتقوا عذاب الله
اى احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق وكما يجب ان يتقى
وينبغى ان يحترس منه وذكر فى قوله حق تقاته وجوه احدها ان معناه
ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن مسعود والحسن
وقتادة وهو المروى عن ابى عبد الله وثانيها انه اتقاء جميع معاصيه عن
الجبائى وثالثها انه المجاهدة فى الله وان لا تأخذه فيه لومة لائم وان

يقام

يقام له بالقسط فى الخوف والامن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين
احدهما انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدى
وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليه السلام والاخر انه منسوخ عن
ابن عباس وطاوس وانكر الجبائى نسخ الاية لما فيه من اباحة بعض المعاصى
قال الرمانى والذى عندى انه اذا وجه قوله اتقوا الله حق تقاته على ان
يقوموا له بالحق فى الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره ابو على لانه لا يمتنع
ان يكون اوجب عليهم ان يتقوا الله على كل حال ثم اباح ترك الواجب عند
الخوف على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقوله و
لا تموتن الا وانتم مسلمون قد ذكرنا فى سورة البقرة ان معناه لا تتركوا
الاسلام وكونوا عليه حتى اذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه وانما
قال بلفظ النهى عن الموت حيث ان الموت لا بد منه وانما النهى فى الحقيقة
من ترك الاسلام لئلا يهلكوا بالانقطاع عن التمكين منه بالموت
الا انه وضع كل موضع كلام على جهة تصرف الابدال الحسن الاستعادة
وتزال اللبس وروى عن ابى عبد الله عليه السلام وانتم مسلمون بالتشديد
ومعناه مستسلمون لما اتى به النبى عن ابى عبد الله عليه السلام ومنقادون
له واعتصموا بحبل الله اى تمسكوا به وقيل به من غيره وقيل فى معناه حبل
الله اقوال احدها انه القرآن عن ابى سعيد الخدرى وعبد الله وقتادة و
السدى وروى ذلك مرفوعا وثانيها انه دين الله والاسلام عن ابن
عباس وابن زيد وثالثها ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد ع
قال نحن حبل الله الذى قال واعتصموا بحبل الله جميعا والاولى حمله على
الجميع والذى يؤيده ما رواه ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه واله

انه قال ايها الناس انى قد تركت فيكم خليفتين ان اخذتم بهما لن تضلوا
بعدى احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى
اهلبيتى الا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ولا تفرقوا معناه ولا
تتفرقوا عن رسول دين الله الذى امركم فيه بلزوم الجماعة والايتلاف
على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتاده وقيل معناه لا تفرقوا
عن رسول الله عن الحسن وقيل عن القران بترك العمل به واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم قيل اراد ما كان بين الاوس والخزرج
من الحروب التى تطاولت مائة وعشرين سنة الى ان الف الله بين قلوبهم
بالاسلام فزالت تلك الاحقاد عن ابن اسحق وقيل هو ما كان بين مشركى
العرب من الطوايل عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالاسلا
والايتلاف ودفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل
لكم فى العاجل مع ما اعد لكم من الثواب الجزيل فى الاجل اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم بجمعكم على الاسلام ودفع البغضاء والشحنا عن قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا متواصلين واحبابا متحابين بعد ان كنتم متعادين
متحاربين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الاخرين لان اصل الاخ
من توخيت الشى اذا قصدته وطلبته على شفا حفرة من النار اى وكنتم
يا اصحاب محمد على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها الا الموت
فانقذكم الله منها بان ارسل اليكم رسولا هداكم للايمان ودعاكم اليه
فنجوتم باجابته من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها
لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال
ابو الجوزا قرا ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ف
اعرابي

اعرابي يسمع فقال والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال
ابن عباس اكتبوها من غير فقيه كذلك يبين الله اى مثل البيان الذى تلى
عليكم ويبين الله لكم الدلالات والحجج فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم
تهتدون اى لكى تهتدوا الى الحق والصواب **قوله تعالى** ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر و
اولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من
بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم **اللغة** الامة اشتقاقها من الام الذى هو القصد وفى اللغة يستعمل على
ثمانية اوجه منها الجماعة ومنها اتباع الانبياء لاجتماعهم على مقصد واحد
ومنها القدوة لانه ياتم به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله انا وجدنا اباءنا
على امة ومنها الحين والزمان كقوله سبحانه وادكر بعد امة والى امة معدودة
ومنها القامة يقال رجل حسن الامة اى القامة ومنها النعمة ومنها الامة بمعنى
الام **الاعراب** منكم امة من ههنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر
بالمعروف وانكار المنكر ليسا بفرضين على الاعيان وهما من فروض
الكفايات فاى فرقة قامت بهما سقط عن الباقين ومن قال هما من
فروض الاعيان قال ان من ههنا للتبيين ولتخصيص المخاطبين من
بين ساير الاجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقول الشاعر
اخو رغايب يعطيها ويسلبها يعطى الظلامة منه النوافل الزفر اى هو
النوفل الزفر لانه وصفه باعطاء الرغايب والنوفل الكثير الاعطاء و
الزفر الذى يحمل الاثقال **الحجة** ولتكن منكم امة اى جماعة يدعون الى الخير
اى الى الدين ويامرون بالمعروف اى بالطاعة وينهون عن المنكر اى المعصية

واولئك هم المفلحون اى الفايزون وقيل كل ما امر الله ورسوله به فهو معروف
وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلاً او
شرعًا والمنكر ما ينكره الشرع او العقل وهذا يرجع فى المعنى الى الاول وروى عن
ابى عبد الله عليه السلم ولتكن منكم ائمة وكنتم خير ائمة اخرجت للناس وفى
هذه الاية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعظم محلهما
وموقعهما من الدين لانه سبحانه علق الفلاح بهما واكثر المتكلمين على
انهما من فروض الكفايات ومنهم من قال انهما من فروض الاعيان
واختاره الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه والصحيح ان ذلك انما يجب بالسمع
وليس فى العقل ما يدل على ذلك الا اذا كان على سبيل دفع الضرر وقال
ابو على الجبائى يجب عقلاً والسمع يوكده ومما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبى
صلى الله عليه وآله قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله تعالى
فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن بنت ابى لهب قالت جاء
رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير
الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله وارضاهم
وقال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله
عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا
يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا تغفرون
وقال حذيفة يأتى على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم
من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم امر سبحانه بالجماعة
وترك التفرق فقال سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا ايضا وذكرهما
للتاكيد واختلاف اللفظ من قول الشاعر متى ادن منه ينا عنى ويبعد

وقيل

وقيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الديانة من بعد ما
جاءهم البينات اى الحجج والكتب وبين لهم الطرق اولئك لهم عذاب عظيم
عقوبة على تفرقهم واختلافهم بعد مجى الايات والبينات اى الحجج والكتب
وبين وظ الاية تدل على تحريم الاختلاف فى الدين وان ذلك مذموم قبيح منهى
عنه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون و
اما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ايتان
الاعراب العامل فى قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه
ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لانه موصوف قد فصلت صفته بينه وبين
معموله لكن يجوز ان يعمل فيه الجملة لانها فى معنى يعذبون كما يقول المال لزيد يوم
الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما فى قوله فاما الذين اسودت
وجوههم محذوف وتقديره فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم
فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كانه ناطق به وقد يحذف
القول فى مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اى يقولون ربنا ابصرنا لدلالة
التنكيس للراس من المجرمين على سوال الاقالة ومثله كثير المعنى يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب اى ثبت لهم العذاب
فى يوم هذه صفته وانما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الايمان
والطاعة وتسود فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة
ما بعده وهو قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم اى يقال لهم اكفرتم
بعد ايمانكم واختلف فيمن عنى به على اقوال احدها انهم الذين كفروا

بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن وثانيها انهم جميع الكفار لاعراضهم
عما وجب عليهم الاقرار به من التوحيد حين استشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فيمن عنوا به على اقوال احدها
انهم يوم الميثاق عن ابي بن كعب وثالثها انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي
صلى الله عليه واله بعد ايمانهم به اى بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمه
واختاره الزجاج والجبائي ورابعها انهم اهل البدع والاهواء من هذه
الامة عن علي عليه السلم ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد
وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال والذي نفسي بيده ليردن على
الحوض ممن صحبني اقوام حتى اذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن اصيحابي
اصيحابي فيقال لى انك لا تدرى ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على اعقابهم
القهقرى ذكره الثعلبي في تفسيره وقال ابو امامة الباهلي هم الخوارج لا تدرى
ما احدثوا بعد وروى عن النبي صلى الله عليه واله انهم يمرقون من الدين كما
يمرق السهم من الرمية والالف في اكفرتم بعد ايمانكم اصله الاستفهام
والمراد به ههنا التقريع اى لم كفرتم وقيل المراد التقرير اى قد كفرتم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون اى بلفظ الذوق على التوسع ومعناه انظروا
ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله تعالى بما كنتم تكفرون اى بكفركم واما
الذين ابيضت وجوههم وهم المؤمنون ففي رحمة الله اى ثواب الله وقيل
جنة الله هم فيها خالدون اعاد كلمة الظرف وهى قوله فيها تمكين التاكيد
المعنوي في النفس وقيل انما اعادها لانه دل بقوله ففي رحمة الله على ادخاله اياهم
في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها وسمى الله سبحانه الثواب
رحمة والرحمة نعمة تستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل والوجه في ذلك ان

سبب

سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه
تفضلا وقيل انما جاز ان يكون تفضلا لانه بمنزلة انجاز الوعد في انه
تفضل مستحق لان المبتدى به قد كان له ان لا يفعله فلما فعله وجب عليه
الوفاء به لان الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لانه جر اليه تفضل وقال
بعضهم المراد ببياض الوجوه اشراقها واسفارها للسرور بنيل البغية والظفر
بالمنية والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها ظهور اثر الحزن عليها لما يصير اليه
من العقاب كقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة وفي هذا القول عدول عن حقيقة
اللفظ من غير ضرورة والاصح الاول **قوله تعالى** تلك آيات الكتاب
نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور آيتان **المعنى** تلك آيات الله
اى تلك التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيناته نتلوها عليك بالحق فنقرؤها
عليك يا محمد وعلى امتك ونذكرها لك ونعرفك اياها ونقصها عليك
بالحق اى بالحكمة والصواب وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يظلمهم بان
يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه وينقصهم من الثواب عما استحقوها
وانما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او لحاجته اليه من دفع ضرر او جر نفع
تعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وسائر صفات النقص علوا كبيرا وكيف
يجوز ان يظلم احدا وهو الذي خلقهم وانشأهم وابتدعهم وآتاهم من النعم
ما لم يسم اليه هممهم وعرضهم بها لما هو اعظم منها قدرا واجل خطرا وهو
نعيم الاخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال ولله ما في السموات
وما في الارض ملكا وملكا وخلقا والى الله ترجع الامور اختلفوا في

كيفية الرجوع من الامور اليه تعالى فقيل ان الامور تذهب بالفناء ثم
يعيدها الله سبحانه للمجازاة وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده فى الدنيا
امورا وجعل لهم تصرفا ويزول جميع ذلك فى الاخرة ويرجع اليه كله كما قال
سبحانه لمن الملك اليوم وفى وقوع المظهر موضع المضمر فى قوله والى الله
ترجع الامور قولان احدهما ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا
بنفسه والاخر ليكون افخم فى الذكر والموضع موضع تفخيم وليس كقول
الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شىء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لان البيت
مفتقر الى الضمير والاية مستغنية عنه قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون
بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون
واكثرهم الفاسقون اية المعنى لما تقدم ذكر الامر والنهى عقبه
سبحانه بذكر من تصدى للقيام بذلك ومدحهم ترغيبا فى الاقتداء
بهم فقال كنتم خير امة اخرجت للناس قيل فيه اقوال احدها ان معناه
انتم خير امة وانما قال كنتم لتقدم البشارة بهم فى الكتب الماضية عن الحسن
ويعضده ما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال انتم وفيتم سبعين
امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل وثانيها ان المراد كنتم خير امة عند الله
فى اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج وثالثها ان كان ههنا تامة وخير
امة نصب على الحال ومعناه وجدتم كان فى الحقيقة فهى بمنزلة قوله
واذكروا اذ انتم قليل خير امة وخلقتم خير امة ورابعها ان كان مزيدة
دخولها كخروجها الا ان فيها تاكيد الوقوع الامر لا محالة لانه بمنزلة ما قد
كان فى الحقيقة فهى بمنزلة قوله واذكروا اذ انتم قليل وفى موضع اخر اذ كنتم

قليلا فكثركم ونظيره قوله وكان الله غفورا رحيما لان مغفرته المستانفة
كالماضية فى تحقيق الوقوع وخامسها ان كان بمعنى صار كما فى قول الشاعر
بتيهاء قفر والمطى كانها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها
فجز على الاله لم يوسد وقد كان الدماء له خمارا ومعناه صرتم خير امة
خلقت لامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله فتصير هذه
الخصال على هذا القول شرطا فى كونهم خيرا وقد روى عن بعض الصحابة انه
قال من اراد ان يكون خير هذه الامة فليود شرط الله تعالى فيه من الايمان
بالله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واختلف فى المعنى بالخطاب فقيل
هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس والسدى وقيل نزلت فى ابن مسعود
وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة عن عكرمه وقيل
هم اصحاب رسول الله خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة
ولكنه يعم سائر الامة ثم ذكر مناقبهم فلم خص الحسن باسم المعروف
بالطاعات وتنهون عن المنكر عن المعاصى ويسال فيقال ان القبيح ايضا
يعرف انه قبيح فلم خص الحسن باسم المعروف وجوابه ان القبيح جعل
بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليل القدر
يعرف لنباهته وعلو قدره وتومنون بالله اى بتوحيده وعدله ودينه
ولو امن اهل الكتاب اى لو صدقوا بالنبى وبما جاء به لكان خيرا لهم
اى لكان ذلك الايمان خيرا لهم فى الدنيا والاخرة لانهم ينجون بها فى
الدنيا من القتل وفى الاخرة من العذاب ويفوزون بالجنة منهم
اى من اهل الكتاب المومنون المعترفون بما دلت عليه كتبهم فى صفة
نبينا صلى الله عليه واله والبشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه
من النصارى واكثرهم الفاسقون اى الخارجون عن طاعة الله تعالى

تعالى بما بعده

وانما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو اعظم لان الغرض الايذان
بانهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الاقرار بالحق فى نبوة نبينا صلى الله
عليه واله وقيل لانهم فى الكفار بمنزلة الفساق فى العصاة لخروجهم
الى الحال الفاحشة التى هى اشنع وافظع قوله تعالى لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا
بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم
كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اية ان الاعراب الا اذى استثناء
منقطع وقوله اذى فى تقدير النصب ومعناه لن يضروكم الا ضررا يسيرا
فالاذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثناء منقطع لان الاذى ليس
من الضرار كقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
قال على بن عيسى هذا ليس بصحيح لان الكلام اذا امكن فيه الاستثناء
الحقيقى لم يجز حمله على المنقطع وان يقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء وعلامة
الجزم فيهما سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستيناف
ولم يجزم على العطف لان سبب التولية القتال وليس كذلك منع
النصر لان سببه الكفر ولان الرفع اشكل برؤس الاى المتقدمة وهو
مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل فى الباء من قوله بحبل من الله
ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال الا بحبل وقال الفراء
العامل فيه محذوف وتقديره الا ان يعتصموا بحبل من الله وانشد
رانى بحبليها فصدت مخافة وفى الحبل روعاء الفواد فروقة اراد

رانى

منقطل بدل

رانى اقبلت بحبلها فحذف العامل فى الباء وقال اخر فريب الخطو يحسب
من رانى ولست مقيدا انى بقيد اراد انى قيدت بقيد قال على بن عيسى
ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين احدهما ان حذف الموصول عند البصريين
لا يجوز لانه اذا احتاج الى الصلة ليتبين عنه فالحاجة الى البيان عنه بذكره
اشد وانما يجوز حذف الشئ للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه فلو دل
دليل عليه لحذف مع صلته لانه معها بمنزلة شئ واحد والوجه الاخر
ان الكلام اذا صح معناه من غير حذف لم يجز تاويله على الحذف وقيل
فى هذا الاستثناء انه منقطع لان الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى
قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء فعامل الاعراب موجود
والمعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاما فقيل
لذلك الا خطاء وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يتوهم انه من غير
جواز موادعة فقيل الا بحبل من الله وقيل ان الاستثناء متصل لان
عز المسلمين عزلهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة فى انفسهم النزول
قال مقاتل ان رؤس اليهود مثل كعب وابى رافع وابى ياسر وكنانة
وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم كعبد الله سلام واصحابه فانبوهم
لاسلامهم فنزلت الاية المعنى لن يضروكم الا اذى من جهة القول ثم
اختلفوا فى هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل
هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذى وان يقاتلوكم اى
وان تجاوزوا عن الايذاء باللسان الى القتال بالمحاربة يولوكم الادبار
منهزمين ثم لا ينصرون اى لا يعانون لكفرهم وفى هذه الاية دلالة
على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله لوقوع مخبره على وفق خبره

وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة الا الاذى مم

لان يهود المدينة من بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر الذين
حاربوا النبي صلى الله عليه واله والمسلمين لم يبق لهم قط وانهزموا ولم
ينالوا من المسلمين الا بالسب والطعن ضربت عليهم الذلة اى اثبت عليهم
الذلة وانزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب
والخيام عن ابى مسلم وقيل معناه الزموا الذلة فثبتت فيهم من قولهم ضرب
فلان الضريبة على عبده اى الزمها اياه قال الحسن ضرب الذلة على اليهود
فلا يكون لها منعة ابدا وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون
فى موضع الا بالجزية ولقد ادركهم الاسلام وهم يؤدون الجزية الى المجوس
واينما ثقفوا اى وجدوا ويقال اخذوا وظفر بهم الا بحبل من الله اى بعهد
من الله وحبل من الناس وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرها من
وجوه الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسمى العهد حبلا
لانه يعتقد به بالايمان كما يعقد الشئ بالحبل وباؤ بغضب من الله اى
رجعوا بغضب الله الذى هو عقابه ولعنه وقيل معناه استوجبوا غضبا
من الله وضربت عليهم المسكنة اى الذلة لان المسكين لا يكون الا ذليلا
فسمى الذلة مسكنة عن ابى مسلم وقيل لان المراد به الفقر لان اليهود ابدا
يتفاقرون وان كانوا اغنياء وقد ذكرنا تفسير ما بقى من الاية فى سورة
البقرة النظم وجه اتصال الاية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر بها
تقدم الامر بالمجاهدة لان الامر قد تقدم بانكار المنكر وقيل لما تقدم ان
اكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عادتهم
ويؤمن من مضرتهم قوله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب
امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون

بالله

بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين ايات اللغة
قيل فى واحد اناء قولان احدهما انى مثل نحى والاخر انى مثل معى قال الشاعر
حلو ومر كعطف القدح مرته   لكل انى حداه الليل ينتعل وحكى الاخفش
انو بالواو والمسارعة المبادرة ومن السرعة والفرق بين السرعة والعجلة
ان السرعة هى التقدم فيما يجوز ان يتقدم فيه محمودة وضدها الابطاء
وهو مذموم والعجلة هى التقدم فيما لا ينبغى ان يتقدم فيه وهى مذمومة
وضدها الاناة وهى محمودة النزول قيل سبب نزول الاية انه لما اسلم
عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما امن بمحمد الا اشرارنا
فانزل الله تعالى ليسوا سواء الى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة
وابن جريج وقيل انها نزلت فى اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى ع صدقوا محمدا عن
عطا الحجة ليسوا سواء اختلفوا فى تقديره فالقول الصحيح ان هذا وقف تام
وقوله من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ابتداء كلام ومعناه ليس الذين
ذكرنا من اهل الكتاب سواء اى ليس الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واصحابه والذين لم يؤمنوا سواء فى الدرجة والمنزلة ثم
استانف وبين افتراقهم فقال من اهل الكتاب امة قائمة فحصل
بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو اخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان
يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فان منهم من يفعل كذا وكذلك
لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم
الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة

هو على لغة من قال اكلوني البراغيث ومثله قوله ثم عموا وصموا كثير منهم و
قول الشاعر ورأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود
النواضر قال الزجاج والرماني ليس الامر كما قال لان ذكر اهل الكتاب قد
جرى فاخبر الله سبحانه انهم غير متساويين ولان هذه اللغة رديئة في
القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة غير قائمة فحذف
اكتفاء بذكر احد الفريقين كما قال ابو ذويب عصيت اليها القلب اني
لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها ولم يقل ام غي وقال الاخر اراك فلا
ادري اهم هممته وذو الهم قدما خاشع متضائل ولم يقل ام غيره لان حاله
في التغير ينبئ ان الهم غيره ام غيره فعلى هذا يكون رفع امة على معنى الفعل
وتقديره لا يستوي امة هادية وامة ضالة وعلى القول الاول رفع على
الابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال ليست بنا ههنا حاجة الى تقدير
محذوف لان ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون واكثرهم
الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج الى ان تقدروا امة قائمة وقد
تقدم صفتهم في قوله يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء وقوله
امة قائمة فيه وجوه احدها ان معناها جماعة ثابتة على امر الله تعالى عن ابن
عباس وقتادة والربيع وثانيها عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج
وثالثها قائمة بطاعة الله عن السدي ورابعها ان التقدير ذو امة قائمة
اى ذو طريقة من طرائق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لانه
عدول عن الظ وحكم بالحذف من غير دلالة يتلون ايات الله يقرؤون
كتاب الله وهو القران اناء الليل ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع و
قيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل اراد به وقت صلوة العتمة لان

مستقيمة عن الزجاج وانشد للنابغة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع اى ذو طريقة مم

اهل

اهل الكتاب لا يصلونها يعني انهم يصلون صلوة العتمة عن ابن مسعود
وقيل انه الصلوة ما بين المغرب والعشاء الاخرة عن الثوري وهي الساعة التي
تسمى ساعة الغفلة وهم يسجدون قيل اراد السجود المعروف في الصلوة
فعلى هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لعطف جملة
على جملة وقيل معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلوة لان السجود ابلغ
الاركان في التواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لان القراءة لا يكون في
السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال اى يتلون ايات الله بالليل
في صلوتهم وهو قول الجبائي ايضا يؤمنون بالله اى بتوحيده وصفاته
واليوم الاخر المتاخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيمة ويأمرون بالمعروف
بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه واله وينهون عن المنكر عن انكار نبوته
ويسارعون في الخيرات اى يبادرون الى فعل الخيرات والطاعات خوف
الفوات بالموت وقيل معناه يعملون الاعمال الصالحة غير متثاقلين فيها
لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها واولئك من الصالحين اى من
جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما امن به الا اشرارنا وفي هذه الاية
دلالة على عظم موقع صلوة الليل من الله سبحانه وقد صح من النبي صلى الله
عليه واله ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخر خير له من الدنيا
وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال ابو عبد الله عليه السلام
ان البيوت التي يصلى فيها بتلاوة القران يضئ لاهل السماء كما تضئ نجوم
السماء لاهل الارض وقال عليكم بصلوة الليل فانها سنة نبيكم وداب
الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن اجسادكم قوله تعالى وما
تفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين آية القراءة

قراء اهل الكوفة الا ابابكر بالياء فيهما والباقون بالتاء الا اباعمرو فانه كان
يخير الحجة وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم ذكره من اهل الكتاب
ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خلطهم بغيرهم من المكلفين
ويكون خطابا للجميع في ان حكمهم واحد الاعراب وما تفعلوا ما للمجازاة و
تفعلوا مجزوم بالشرط وانما جوزي بما ولم يجاز بكيف لان ما امكن من كيف
لانها تكون معرفة ونكرة لانها للجنس وكيف لا تكون الا نكرة لانها للحال
والحال لا تكون الا نكرة لانها للفائدة المعنى وما تفعلوا من خير اي من
طاعة فلن تكفروه اي لن يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفرا على الاتساع
لانه بمنزلة الجحد والستر له ومعناه لا نجحد طاعتكم ولا نستر بمنع الجزاء وهذا
كما يوصف الله سبحانه بانه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب
الشاكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب
الكفر لان الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة من
المنعم عليه بتضييع حقها والله عليم بالمتقين اي باحوالهم فيجازيهم وانما
خص المتقين بالذكر وان كان عليما بالكل لان الكلام اقتضى ذكر جزاء
المتقين فنبه بذلك على انه لا يضيع شيء من عملهم قل ام كثر لان المجازي
عليم بكل ذلك وهذه الاية تدل على ان شيئا من اعمال الخير والطاعة لا
يبطل البتة خلافا لقول من قال بالاحباط قوله تعالى ان الذين كفروا لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الدنيا كمثل الحيوة
ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اللغة يقال اغنى عنه اذا دفع عنه

ضرارا

ضرار الولاة لنزل به واذا قيل اغناه كذا عن كذا افاد ان احد الشيئين صاد
به عن الاخر نفي الحاجة والغنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فان اختص بمال
ينفي الحاجة فذلك غني وكذلك الغني بالجاه والاصحاب وغير ذلك فاما
الغني في صفات الله سبحانه فهو لاختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه
شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا يجوز عليه الحاجة اصحاب النار
انما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء اصحاب الصحراء اذا كانوا
ملازمين لها وقد يقال اصحاب العقار بمعنى ملاكه واصحاب الرجل اتباعه
واعوانه واصحاب العالم المتعلمون منه فالاضافات مختلفة واصل
الصاحبة الملازمة والنار اصله من النور وهي جسم لطيف فيه حرارة
ونور واعتماد علوي والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة
على النفس وكذلك الارتياح والترويح والراحة من التعب ومنه الروح
لدخول الريح لانها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لان الريح تحملها الى
الحس والصر البرد الشديد واصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج
الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر
صوت الريح الباردة الشديدة وذلك من صفات الشمال فانها توصف
بان لها قعقعة والصرة شدة الصياح المعنى لما تقدم وصف المؤمنين
عقبه سبحانه ببيان حال الكافرين فقال ان الذين كفروا بالله و
رسوله لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب
الله شيئا وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان هذين معتمد الخلق
واعز الاشياء عليهم فاذا لم يغنيا عن الانسان شيئا فغيرهما اغناء
ابعد فاولئك اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون اي

دايمون ثم ضرب مثلا لانفاقهم فقال مثل ما ينفقون اى سفينه مما ينفقون
من اموالهم فى هذه الدنيا قيل هو ما تنفقون على الكفار فى عداوة
الرسول صلى الله عليه واله وقيل هو ما انفقه ابو سفيان واصحابه
ببدر واحد لما تظاهروا على النبى صلى الله عليه واله وقيل هو ما انفقه
وسفلة يهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار و
نفقاتهم فى الدنيا عن مجاهد وفى الاية حذف وتقديره مثل
اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر فحذف اهلاك لدلالة
اخر الكلام عليه وفيه تقدير اخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون
تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرث بالرياح فيها صر قيل برد
شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة
عن ابن عباس ايضا اصابت حرث قوم اى زرع قوم ظلموا انفسهم
بالمعاصى فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم فقيل ظلموا انفسهم
بان زرعوا فى غير موضع الزراعة او فى غير وقتها فجاءت الريح فاهلكته
تاديبا من الله تعالى لهم فى وضع الشئ غير موضعه الذى هو حقه وما
ظلمهم الله فى اهلاك زرعهم لانهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل وما ظلمهم
وسببهم لانهم استحقوها بكفرهم ولكن انفسهم يظلمون حيث فعلوا
ما استحقوا به ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات
ان كنتم تعقلون اية اللغة البطانة خاصة الرجل الذين يستنبطون
امره ماخوذ من بطانة الثوب الذى يلى البدن لقربه منه وهى نقيض

الظهارة

الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمونث قال الشاعر اولئك
خلصانى نعم وبطانتى وهم عيبتى من دون كل قريب لا يالونكم اى لا
يقصرون فى امركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال الى يالو الوا اذا فتر
وضعف وقصر وما الوته خيرا او شرا اى ما قصرت فى فعل ذلك وقال
امرء القيس وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب
ولا ال اى مقصر فى الطلب والخبال الشر والفساد ومنه الخبل بفتح الباء
وسكونها للجنون لانه فساد العقل ورجل مخبل الراى اى فاسد الراى
ومنه الاستخبال طلب اعارة المال لفساد الزمان قال زهير هنالك
ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا واصل
العنت المشقة عنت الرجل يعنت عنتا دخلت عليه المشقة واكمة عنوت
صعبت المسلك لمشقة السلوك فيها واعنت فلان فلانا حمله على
المشقة الشديدة فيما يطالبه به ومنه قوله ولو شاء الله لاعنتكم
الاعراب من دونكم من للتبعيض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين
فى الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين الصفة فكانه قال لا تتخذوا
بطانة من المشركين وهذا اولى لانه اعم ولا يجوز ان يتخذ المومن الكافر
بطانة على كل حال وقيل ان من هنا زايدة وهذا غير حسن لان الحرف
اذا صح حمله على الفايدة لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالا انتصب بانه المفعول
الثانى لان الالو يتعدى الى مفعولين ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى
يخبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عنتم يجوز ان يكون نصبا بانه
صفة البطانة ويجوز ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه استيناف
جملة وما فى قوله ودوا ما عنتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم النزول

نزلت فى رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم
من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل
نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويخالطونهم عن
مجاهد **المعنى** نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوف
الفتنة منهم عليهم فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم اى لا تتخذوا الكافرين اولياء وخواص من دون المؤمنين
يفشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم اى من غير اهل ملتكم ثم بين
سبحانه العلة فى النهى عن مواصلتهم فقال لا يألونكم خبالا اى لا يقصرون
فيما يؤدى الى افساد امركم ولا يدعون جهدهم فى مضرتكم وقال الزجاج
لا يبقون فى الفاسدكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشىء وقوله
ودوا ما عنتم معناه تمنوا ادخال المشقة عليكم وقيل تمنوا اضلالكم عن
دينكم عن السدى وقيل تمنوا ان يفتنوكم فى دينكم اى يحملوكم على المشقة
فيه عن ابن جريج وقوله قد بدت البغضاء من افواههم معناه ظهرت
امارات العداوة لكم على السنتهم وفى فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم وما
تخفى صدورهم من البغضاء اكبر مما يبدونه بالسنتهم قد بينا لكم الايات
اى اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التى بها يتميز الولى من العدو ان
كنتم تعقلون اى تعلمون الفصل بين الولى والعدو وقيل ان كنتم تعلمون
مواعظ الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء فقد اتاكم من الله البيان الشافى

قوله تعالى ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون
بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور

اية

اية **اللغة** العض بالاسنان معروف ومنه العض علف الامصار
لان له مضغة فى العض يسمى علف المال ورجل عض لزاز الخصم لانه يعضه
بالخصومة والانامل اطراف الاصابع واصلها النمل المعروف فهو مشبه
به فى الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اى نمام لانه ينقل الاحاديث
كنقل النملة فى الخفاء والكثرة **الاعراب** قال الازهرى يحتمل ان يكون اولاء
فى معنى الذين كانه قال ها انتم تحبونهم ولا يحبونكم وجائز ان يكون
اولاء منادى تحبونهم حالا وتؤمنون عطف على تحبون ولا يجوز ان يقال
ها قومك اولاء كما جاز ها انتم اولاء لان المضمر احق بها التى للتنبيه لانه
كالمبهم فى عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر **المعنى** ثم بين ما هم عليه
من عداوة المؤمنين تاكيدا للنهى عن مصافاتهم فقال ها انتم اولاء
تحبونهم وقد مر ذكر معناه فى الاعراب وتقديره ها انتم الذين تحبونهم
اولاء او ها انتم محبين لهم اذا قلنا انه بمعنى الحال اى تنبهوا فى حال محبتكم
اياهم ولا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لانكم تريدون
لهم الاسلام وتدعونهم الى الجنة ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر
والضلال وفيه الهلاك وتؤمنون بالكتاب كله الكتاب واحد فى موضع
الجمع لانه اراد به الجنس كما يقال كثر الدرهم فى ايدى الناس ويجوز ان يكون
مصدرا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التى انزلها على انبيائه
وفى افراده ضرب من الايجاز واشعار التفصيل فى الاعتقاد ومعناه
انكم تصدقون بها فى الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون بما انزل على
ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الانبياء وهم لا يصدقون بكتابكم
واذا لقوكم قالوا امنا معناه واذا وافقوكم قالوا صدقنا واذا خلوا مع

بكم

[illegible]

انفسكم عضوا عليكم الانامل اى اطراف الاصابع من الغيظ اى من العضب
والحنق لما يرون من ايتلاف المومنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله اياهم
وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر اذا راونى اطال الله غيظهم
عضوا من الغيظ اطراف الاباهيم وقول ابى طالب يعضون غيظا خلفنا
بالانامل قل يا محمد لهم موتوا بغيظكم صيغة صيغة الامر فالمعنى الدعاء
عليهم وكانه قال اماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لانه لا يجوز ان
يدعى عليهم هذا الدعاء الا وقد استحقوه بما اتوه من القبح وقيل معناه
دام لكم هذا الغيظ لما ترون من علو كلمة الاسلام الى ان تموتوا ان الله عليم
بذات الصدور اى بما يضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين قوله تعالى
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون
محيط اية القراءة قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا يضركم
خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد والراء وقرا
الحسن وابو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء الحجة
من قرا لا يضركم فهو من ضاره يضيره ضيرا ومن قرا لا يضركم فهو من
ضره يضره ضرا والضير والضر بمعنى واحد وقد جاء فى القران لا ضير واذا
مسكم الضر ولا يضركم اصله لا يضرركم نقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد
وادغمت فى الراء الثانية بعد ان ضمت اتباعا لاقرب الحركات اليها والعرب
تدغم فى موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال الزجاج وهذه
الاية جاءت فيها اللغتان جميعا فقوله ان تمسسكم على لغة اهل الحجاز
وقوله لا يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضركم ولا يضركم فمن قال

بالفتح

بالفتح فلان الفتح خفيف مستعمل فى التقاء الساكنين فى التضعيف ومن
قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين اللغة الكيد والمكيدة المكر الذى
يحتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع فى مكروه واصله المشقة
بقول رايت فلانا يكيد بنفسه اى يقاسى المشقة فى سياق المنية ومنه
المكابدة لا يراد ما فيه المشقة المعنى ثم اخبر عن حال من تقدم ذكرهم فقال
ان تمسسكم حسنة اى ان تصبكم ايها المومنون نعمة من الله تعالى
عليكم بها اما من الفة او اجتماع كلمة او ظفر بالاعداء تسؤهم اى تحزنهم
وان تصبكم سيئة اى محنة باصابة العدو منكم لاختلاف الكلمة
وما يودى اليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتادة والربيع
وجميع المفسرين وان تصبروا على اذاهم وعلى طاعة الله وطاعة رسوله و
الجهاد فى سبيله وتتقوا الله بالامتناع عن معاصيه وفعل طاعاته لا
يضركم ايها المومنون كيدهم اى مكر المنافقين وما يحتالون عليكم شيئا
يعنى لا قليلا ولا كثيرا لانه سبحانه ينصركم ويدفع شرهم عنكم ان الله
بما تعملون محيط اى عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لان اصل
المحيط بالشى هو المطيف به من حواليه وذلك من صفات الاجسام
فلا يليق به سبحانه قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوى
المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المومنون
ايتان اللغة التبوئة اتخاذ المواضع للغير يقال بوات القوم منازلهم
وبوات لهم ايضا اى اوطنتهم واسكنتهم اياها وتبوؤوهم اى توطنوها
ومنه المباءة للمراح لانه رجوع الى المستقر المتخذ ومنه بوات بالذنب اى رجعت

به محتملا له والفشل الجبن يقال فشل يفشل فشلاً والفشل الرجل الضعيف
الإعراب العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ غدوت وقيل هو عطف
على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم آية في فئتين اي في نصرة تلك
الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة اذ غدا النبي عن ابي مسلم وقيل العامل
فيه محيط وتقديره والله عالم باحوالكم واحوالهم اذ غدوت من اهلك
وتبوئ حال من غدوت **المعنى** واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك اي
خرجت من المدينة غدوة تبوئ المؤمنين مقاعد اي تهيئ للمؤمنين
مواطن للقتال وقيل معناه تجلسهم وتقعدهم في مواضع القتال ليقفوا
فيها ولا يفارقوها واختلف في اي يوم كان ذلك فقيل يوم احد عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن اسحق وهو المروي عن
ابي جعفر عليه السلم وقيل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر
عن الحسن والله سميع اي سميع لما يقوله النبي صلى الله عليه وآله عليم بما
يضمرونه لانهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار
بالمقام وفيه تزكية للزاكي وتهدد للغاوي وقيل سميع بجميع المسموعات
بصير بجميع المبصرات اذ همت اي قصدت وعزمت طائفتان فرقتان
منكم اي من المسلمين ان تفشلا اي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة
وبنو حارثة حيان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله
والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم
وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار
وكان سبب همهم بالفشل ان عبد الله بن ابي سلول دعاهما الى
الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهمّا به ولم يفعلاه والله

وليهما

وليهما اي ناصرهما روي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما احب انها
لم تكن لقوله والله وليهما وقال بعض المحققين هذا همّ خطرة لا همّ عزيمة
لانه سبحانه مدحهما واخبر انه وليهما ولو كان هم عزيمة وقصد لكان
ذمهما اولى من مدحهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون في جميع احوالهم وامورهم
ذكر غزوة احد عن ابي عبد الله عليه السلم قال كان سبب غزوة احد ان
قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والاسر
لانهم قتل منهم سبعون واسر سبعون قال ابو سفيان يا معشر قريش لا
تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فان الدمعة اذا خرجت اذهبت بالحزن
والعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله فلما غزوا رسول الله يوم احد اذنوا لنسا ئهم
في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا
معهم النساء فلما بلغ رسول الله ص ذلك جمع اصحابه وحثهم على الجهاد
فقال عبد الله بن ابي يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في ازقتها
فيقاتل الرجل الضعيف والمراة والعبد والامة على افواه السكك وعلى
السطوح فما ارادها قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا وما
خرجنا الى عدو لنا قط الا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره
من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون
نعبد الاصنام فكيف يطمعون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقا تلهم
فمن قتل منا كان شهيدا ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله تعالى
فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رايه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوؤن
موضع القتال كما قال سبحانه واذ غدوت الآية وقعد عنه عبد الله بن
ابي وجماعة من الخزرج اتبعوا رايه ووافت قريش الى احد وكان رسول الله

عبّا اصحابه وكانوا سبعمائة رجل ووضع عبد الله بن جبير واصحابه
ان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان
وان رايتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم
ووضع ابو سفيان خالد بن وليد فى مائتى فارس كمينا وقال اذا رايتمونا
قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى يكونوا وراءهم وعبّا
رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين على عليه السلم فحمل الانصار
على مشركى قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله صلى الله عليه
واله فى سوادهم وانحط خالد بن وليد فى مائتى فارس على عبد الله بن جبير
فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه واله ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله
قد غنم اصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان
رسول الله صلى الله عليه واله قد تقدم الينا لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا
ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقى عبد الله بن جبير فى اثنى عشر
رجلا وكانت راية قريش مع طلحة بن ابى طلحة العبدى من عبد الدار
فقتله على عليه السلم فاخذ الراية ابو سعيد بن ابى طلحة فقتله على ع
وسقطت الراية فاخذها مسافع بن ابى طلحة فقتله على عليه السلم حتى
قتل تسعة نفر من بنى عبد الدار حتى صار لواؤهم الى عبد لهم اسود يقال
له صواب فانتهى اليه على عليه السلم فقطع يده فاخذ اللواء باليسرى فضرب
يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابى
سفيان فقال هل اعذرت فى بنى عبد الدار فضربه على علی ع
راسه فسقطت اللواء فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها

والخط

وانحط خالد بن وليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقى فى نفر قليل
فقتلهم على عليه السلم باب الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت
قريش فى هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه واله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون فى الجبال وفى
كل وجه فلما راى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن راسه وقال الىّ
انا رسول الله ص الى اين تفرون عن الله وعن رسوله وكانت هند بنت
عتبة فى وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلا
ومكحلة وقالت انت امراة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب
يحمل على القوم فاذا راوه انهزموا ولم يثبت له احد وكانت هند قد
اعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمدا او عليا او حمزة لاعطينك
كذا وكذا وكان وحشى عبدا لجبير بن مطعم حبشيا فقال وحشى
اما محمد ص فلا اقدر عليه واما على فرايته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع
فيه فكمنت لحمزة قال فرايته يهد الناس هدا فمر بى فوطئ على جرف نهر
فسقط فاخذت حربتى فهززتها ورميتها فوقعت فى خاصرته وخرجت
من ثنته فسقط فاتيته فشققت بطنه واخذت كبده وجئت به
الى هند وقلت هذه كبد حمزة فاخذتها فى فمها فلاكتها فجعله الله فى
فمها مثل الداغصة وهى عظم راس الركبة فلفظتها ورمت بها قال
رسول الله صلى الله عليه واله فبعث الله ملكا فحمله ورده الى موضعه
قال فجاءت اليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يديه ورجليه
ولم يبق مع رسول الله الا ابو دجانة وسماك بن خرشة وعلى عليه السلم
فكلما حملت طايفة على رسول الله صلى الله عليه واله استقبلهم

علي عليه السلام فيدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع اليه رسول الله
سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله صلى الله عليه واله الى ناحية احد
فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم
حتى اصابه في وجهه وراسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة
كذا اورده علي بن ابرهيم في تفسيره فقال جبرئيل ان هذه لهي المواساة
يا محمد فقال محمد صلى الله عليه واله انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا
منكما قال ابو عبد الله عليه السلام نظر رسول الله صلى الله عليه واله الى جبرئيل
بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار
ولا فتى الا علي وروى ان ابن اسحق والسدي والواقدي وابن جرير و
غيرهم قالوا كان المشركون نزلوا باحد يوم الاربعاء في شوال سنة ثلث
من الهجرة وخرج رسول الله اليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت
للنصف من الشهر وكسر رباعيته رسول الله صلى الله عليه واله وشج في وجهه
ثم رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة وقد قتل من المسلمين سبعون
وشد رسول الله بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة
وكان حمزة رض اعظمهم مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابي
وقاص كان يرمي بين يديه وهو يقول له ارم فداك ابي وامي **النظم**
لما امر الله سبحانه بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عقبه بنصره
المؤمنين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم ذكر امتحانهم يوم لما تركوا الصبر
وقيل نظمه ان تصبروا ينصركم الله كنصركم يوم بدر وان لم تصبروا
نزل بكم ما نزل يوم احد حيث خالفهم امر الرسول وذكر ابو مسلم انه
متصل بقوله قد كان لكم اية في فئتين كما تقدم ذكره قوله تعالى

ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون
اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف
من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم
به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اربع ايات
القراءة قرأ ابن عامر منزلين مشددة الزاي وقرأ الاخرون منزلين
مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو وقرأ الباقون
بفتح الواو **الحجة** حجة من قرأ منزلين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل
عليه ملك ولو انزلنا ملكا ولان الانزال يعم التنزيل وغيره وحجة
ابن عامر ما ننزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح لان تنزل مطاوع نزل
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقال ابو الحسن من قرأ مسومين بالكسر
فلانهم سوموا الخيل ومن قال مسومين فلانهم سوموا قال
مسومين معلمين ويكون مرسلين من سوم الخيل اذا ارسلها ومنه
السائمة وقال علي بن عيسى ان الاختيار الكسر لتظاهر الاخبار بانهم
سوموا خيلهم بعلامة وقال رسول الله صلى الله عليه واله سوموا فان
الملائكة قد سومت **المعنى** بدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي
بدرا لان هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمي الموضع باسم صاحبه وقال
الواقدي هو اسم للموضع وكل شيء تم فهو بدر وسمي بدر السماء لتمامه
وامتلائه وعين بدرة ممتلية يقال بدرا استكفيته الامر فكفاني
وكفاك هذا الامر اي حسبك والفرق بين الاكتفاء والاستغناء

ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتيان بما
ينفي الحاجة والامداد هو اعطاء الشيء حالا بعد حال والمد في السير هو
الاستمرار عليه وامتد بهم السير اذا طال واستمر وامددت الجيش بمدد
وامد الجرح فهو ممد اذا صارت فيه المدة ومد النهر ومده فهو آخر
ويقال مده في الشر وامده في الخير واصل الفور فور القدر وهو غليانها
عند شدة الحمى ومنه فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فارت العين
بالماء اي جاشت به ومنه الفوارة لانها تفور بالماء كما تفور القدر
بما فيها ومنه جاء على الفور اي على ابتداء الحمى قبل ان يبرد عنه نفسه وقيل
الفور الغضب الى الشيء بحدة الاعراب وانتم اذلة في موضع نصب على
الحال وان يمدكم ربكم في موضع رفع بانه فاعل يكفيكم وتقديره الن يكفيكم
امدادكم وقوله من فورهم هذا هذا في موضع جر صفة لفورهم وقوله
ولتطمئن به قلوبكم معطوف على قوله بشرى لكم لان تقديره للبشرى
به ولتطمئن المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بهم من النصر يوم بدر
فقال ولقد نصركم الله ايها المؤمنون ببدر بتقوية قلوبكم وبما امدكم
به من الملئكة وبالقاء الرعب في قلوب اعدائكم وانتم اذلة اي
ضعفاء عن المقاومة قليلوا العدد وقليلوا العدة جمع ذليل وروى
عن ابن عباس انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا
والانصار مائتين وستة وثلثين رجلا الجميع ثلثمائة وثلث عشر
رجلا وكان المشركون نحوا من الف رجل وروي عن بعض الصادقين
انه قرأ وانتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بانهم اذلة وفيهم رسول الله
صلى الله عليه وآله وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر

امير المؤمنين

امير المؤمنين علي عليه السلام وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة
وقيل سعد بن معاذ فاتقوا الله اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته
لعلكم تشكرون اي لتقوموا بشكر نعمته واذ تقول خطاب للنبي صلى الله
عليه وآله اي اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة هو اخبار بان النبي صلى الله عليه وآله
قال لقومه الن يكفيكم يوم بدر ان جعل ربكم بثلثة الاف من الملئكة
مددا لكم عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الامداد بالملئكة
كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا
في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة الاف
معناه يمددكم ربكم بتمام خمسة الاف وقال غيره كانوا ثمانية الاف
معناه بخمسة الاف اخر وقيل ان الوعد بالامداد بالملئكة كان يوم
احد وعدهم الله المدد ان صبروا عن عكرمة والضحاك منزلين انزلهم
الله من السماء والارض لنصرتكم بلى تصديق للوعد اي يفعل كما وعد
ويزيدكم ان تصبروا ومعناه ان صبرتم في الجهاد وعلى ما امركم
الله تعالى وتتقوا معاصي الله ومخالفة رسوله ويأتوكم يعني المشركين
ان رجعوا اليكم من فورهم هذا اي من وجههم هذا عن ابن عباس
والحسن وقتادة والربيع والسدي وعلى هذا فانما هو من فور الابل
وهو ابتداؤه وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد والضحاك
وابي صالح وكانوا قد غضبوا يوم احد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور
الغضب وهو غليانه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة اي يعطكم
مددا لكم ونصرة وانما قال ذلك لان الكفار في غزاة احد ندموا

بعد انصرافهم لم يعثروا على المدينة وهموا بالرجوع فاوحى الله الى نبيه صلى الله
عليه وآله ان يامر اصحابه بالتهيؤ للرجوع اليهم وقال لهم ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتم
الكفار امدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فاخذوا في الجهاد
وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فاخبر المشركين من
مر برسول الله صلى الله عليه وآله انه خرج يتبعكم فخاف المشركون ان
رجعوا ان يكون الغلبة للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان
تاخر عنهم وانضم اليهم غيرهم فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعي حتى
يصدهم بتعظيم امر قريش واسرعوا في الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين
امرهم والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين ان جميعهم
ثلثة آلاف وقال الحسن جميعهم خمسة آلاف منهم ثلثة آلاف الذين
على ان الظ يقتضي ان الامداد بثلثة آلاف كان يوم بدر اذ تقول للمؤمنين
الآية يتعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر الآية ثم استانف حكم يوم
احد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا اى اذ رجعوا
اليكم بعد انصرافهم امددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
وهذا قول البلخي رواه عن عمرو ابن دينار عن عكرمة قال لم يمدوا بما في
الآية يوم احد ولا بملك واحد وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين ومتى
يسال كيف لم يمدوا بالملائكة في سائر الحروب فالجواب ان ذلك
تابع للمصلحة فاذا علم الله في امدادهم المصلحة امدهم وقوله مسومين
بالكسر اى معلمين اى اعلموا انفسهم ومسومين بالفتح سومهم الله اى
اعلمهم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم كانوا اعلموا بالصوف

في نواصي

في نواصي الخيل واذنابها وقال عروة نزلت الملائكة يوم بدر على خيل
بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي عليه السلم وابن عباس كانت
عليهم عمائم بيض ارسلوا اذنابها بين اكتافهم قال السدي معنى
مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة اى المرسلة في المرعى و
ما جعله الله الا بشرى لكم اى وما جعل الامداد والوعد به فالهاء
عائدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بالدلالة عليه لان عدد يدل على
الامداد وبشرى لكم اى بشارة لكم لتستبشروا به ولتطمئن قلوبكم فلا
تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عددكم وما النصر اى المعونة الا من
عند الله ومعناه ان الحاجة الى الله سبحانه لازمة في المعونة وان امدكم
بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين في تقوية قلوبكم
وخذلان عدوكم بضعف قلوبهم الى غير ذلك وقيل ان معناه وما
هذا النصر بامداد الملائكة الا من عند الله العزيز القادر على انتقامه من
الكفار بايدي المؤمنين الحكيم في تدبيره للعالمين وانما قال ذلك
لتعلمهم ان حربهم للمشركين انما هو لاعزاز الدين وقيل العزيز المنيع بالاقتدار
والحكيم في تدبيره للخلق **فصل** وجيز في ذكر مغازي رسول الله صلى الله
عليه وآله قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه
ستة وعشرون غزوة غزاها الابواء ثم غزوة بواطة ثم غزوة العشيرة
ثم غزوة بدر الاولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة
السويق ثم غزوة ذي امر ثم غزوة احد ثم غزوة نجران ثم غزوة
الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر
الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قر

اى ولتسكن قلوبكم

ثم غزوة بنی لحیان ثم غزوة بنی قرد ثم غزوة بنی المصطلق ثم غزوة
الحدیبیة ثم غزوة خیبر ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة مكة ثم
غزوة حنین ثم غزوة الطایف ثم غزوة التبوك قاتل صلى الله علیه
وآله منها فی تسع غزوات غزوة بدر الكبرى وهو یوم الجمعة السابع
عشر من شهر رمضان سنة ثنتین من الهجرة واحد وهو فی شوال
سنة ثلث والخندق وبنی قریظة فی شوال سنة اربع وبنی المصطلق
وبنی لحیان فی شعبان سنة خمس وخیبر سنة ست والفتح فی
رمضان سنة ثمان وحنین وطایف فی شوال سنة ثمان فاول
غزوة غزاها بنفسه فقاتل فیها بدر واخرها تبوك واما عدد سرایاه
فست وثلثون سریة على ما عدد فی مواضعه **قوله تعالى** لیقطع طرفا
من الذین كفروا او یكبتهم فینقلبوا خائبین لیس لك من
الامر شیء او یتوب علیهم او یعذبهم فانهم ظالمون ایاه
اللغة الكبت الخزی وهو مصدر كبت الله العدو ای اخزاه واذله قال
الخلیل الكبت صرع الشیء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقیقة الكبت
شدة الوهن الذی یقع فی القلب وربما صرع الانسان لوجهه للخور الذی
یدخله والخائب المنقطع عما امل ولا یكون الخیبة الا بعد الامل لانها
امتناع نیل ما امل والیاس قد یكون قبل الامل وقد یكون بعد الامل و
الیاس والرجا نقیضان یتعاقبان كتعاقب الخیبة والظفر **الاعراب**
نصب او یتوب علیهم على ضربین احدهما ان یكون عطفا على لیقطع
ویكون قوله لیس لك من الامر شیء اعتراضا بین المعطوف والمعطوف
علیه كما تقول ضربت زیدا فافهم ذلك وعمروا والاخر ان یكون او بمعنی

الا فكانه قال لیس لك من الامر شیء الا ان یتوب الله علیهم او
یعذبهم فیكون امرك تابعا لامر الله او رضاك بتدبیره فیهم
لیقطع طرفا من الذین كفروا اختلف فی وجه اتصاله بما قبله فقیل
یتصل بقوله وما النصر الا من عند الله ومعناه اعطاكم الله هذا
وخصكم به لیقطع طائفة من جمیع الذین كفروا بالقتل والاسر وقیل
هو متصل بقوله ولقد نصركم الله ببدر ای ولقد نصركم ببدر لیقطع طرفا
وقیل معناه ذلك التقدیر لیقطع طرفا ای قطعة منهم والمعنى لیهلك
طائفة منهم وقیل لیهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر واما
الیوم الذی قطع الله فیه الطرف من الذین كفروا فیوم بدر قتل فیه صنادید هم
وروسائهم وقادتهم الى الكفر فی قول الحسن والربیع وقتادة وقیل
هو یوم احد قتل منهم فیه ثمانیة عشر رجلا وانما قال لیقطع طرفا منهم
ولم یقل لیقطع وسطا منهم لانه لا یوصل الى الوسط منهم الا بقطع
الطرف ولان الطرف اقرب الى المؤمنین فهو كما قال قاتلوا الذین
یلونكم من الكفار او یكبتهم معناه او یخزیهم بالخیبة مما املوا من
الظفر بكم عن قتادة والربیع وقیل معناه یردهم عنكم منهزمین عن
الجبائی والكلبی وقیل یصرعهم الله على وجوههم وقیل یظهر علیهم
عن المبرد وقیل یلعنهم عن السدی وقیل یهلكهم عن ابی عبیدة فینقلبوا
خائبین لم ینالوا مما املوا شیئا لیس لك من الامر شیء قیل هو متصل
بقوله وما النصر الا من عند الله فیكون معناه نصركم الله لیقطع طرفا
منهم او یكبتهم ولیس لك ولا لغیرك من هذا النصر شیء عن ابی مسلم
وقیل انه اعتراض بین الكلامین وقوله او یتوب علیهم متصل بقوله

ليقطع طرفا فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم او يكبتهم او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم قد استحقوا العذاب وليس لك اى ليس اليك
من هذه الاربعة شيء وذلك الى الله تعالى واختلف في سبب نزوله
فروي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن والربيع وقتادة انه
لما كان من المشركين يوم احد من كسر رباعية النبي صلى الله عليه وآله
وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم
وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلمه الله انه ليس اليه
فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وانما
ذلك الى الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجه في وجهه عتبة بن ابي
وقاص فدعا عليه بان لا يحول الحول عليه حتى يموت كافرا فمات كافرا
قبل حول الحول وادمى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمئة فدعا
عليه فكان حتفه ان سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروي انه
صلى الله عليه وآله كان يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون فعلى هذا يمكن ان يكون صلى الله عليه وآله على وجل من عنادهم
واصرارهم على الكفر فاخبر سبحانه انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ
الرسالة ودعائهم الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك
الآية وقيل انه صلى الله عليه وآله استاذن ربه يوم احد في الدعاء
عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم
يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة بعضهم عن ابي علي الجبائي
وقيل اراد رسول الله ان يدعو على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد
فنهاه الله تعالى عن ذلك وتاب عليهم ونزلت هذه الآية ليس لك

من الامر

من الامر شيء اي ليس لك ان تلعنهم وتدعو عليهم عن عبد الله بن
مسعود وقيل لما راى رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون ما فعل
باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الانوف والآذان وقطع
المذاكير قالوا لئن ادالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا و
لنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد قط فنزلت الآية
عن محمد بن اسحق والشعبي وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون
رجلا من قراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واميرهم المنذر بن
عمرو بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى بئر معونة في صفر سنة
اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القرآن
والعلم فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة
مولى ابي بكر فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك وجدا شديدا
وقنت عليهم شهرا فنزل ليس لك من الامر شيء عن مقاتل والاصح
انها نزلت في احد لان اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام و
انما قال ليس لك من الامر شيء مع ان له صلى الله عليه وآله ان يدعوهم
الى الله ويؤدي اليهم ما امره بتبليغه لان معناه ليس لك شيء من امر
عقابهم او استيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى يقع انابتهم
فجاء الكلام على الايجاز لان المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وايضا
فانه لا يعتد بما له صلى الله عليه وآله في تدبيرهم مع تدبير الله سبحانه
لهم فكانه قال ليس لك من الامر شيء على وجه من الوجوه وقوله
او يتوب عليهم قيل في معناه وجهان احدهما يلطف لهم بما يقع معه
توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والآخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله

سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة الا لله
عز وجل لا سلك الجزاء بالثواب والعقاب او يعذبهم اي يعذبهم
الله اي لم يتوبوا فانهم ظالمون اي مستحقون للعذاب بظلمهم
وفي هذه الاية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة
والتعذيب فانما هو الى الله تعالى وليس الى النبي من ذلك شيء وانما
اليه الهداية والدعاء فكانه سبحانه قال لا يرفع عنهم السيف الى ان يتوبوا
فيتوب عليهم او يقيموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم **قوله تعالى**
وَلِلّهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ اية **الاعراب** انما ذكر لفظ ما
لانها اعم من من فانها يتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها يفيد
الجنس ولو قال من في السموات لم يدخل فيه الا العقلاء الا ان يحمل
على التغليب وذلك ليس بحقيقة **المعنى** لما قال ليس لك من الامر
شيء عقب ذلك بان الامر كله له فقال ولله ما في السموات وما في
الارض ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يتصرف فيهم كيف يشاء في
ايجادا وافناء واعادة يغفر لمن يشاء من المومنين ذنوبهم فلا يواخذهم
بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلا ويعذب من يشاء اي ويعذب
الكافرين ومن يشاء من مذنبي المومنين ان تاب قبل التوبة
عدلا وقيل تعليقه مفسرا قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولولا
ذلك لكنا نجوز العفو عن الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله سبحانه
الامر بالتعذيب والمغفرة فلم يبين من يغفر له ومن يشاء تعذيبه
ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يامن من عذاب الله سبحانه

ولا

ولا ييأس من روح الله اذ الامن من عذاب الله خسر واليأس من رحمته
كفر كما قال سبحانه ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق عليه السلم
لو وزن رجاء المومن وخوفه لاعتدلا وقيل انما علق الغفران والعذاب
بالمشية لان مشيته مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما يقتضي الحكمة مشيته
وسئل بعضهم كيف يعذب الله تعالى عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال
رحمته لا يغلب حكمته اذ لا يكون رحمته برقة القلب كما يكون الرحمة منا
وعن ابن عباس قال المعنى الاية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
ممن لم يتب **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً
مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ثلث ايات
المعنى لما ذكر الله سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء
وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب وهو الربوا فقال
سبحانه يا ايها الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا الربوا
ذكر الاكل لانه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهي
عنه والربوا الزيادة على اصل المال بالتاخير اجلا بعد اجل عن الاجل
الحال وقيل هو ربا الجاهلية عن مجاهد وعطا اضعافا مضاعفة
قيل في معناه قولان احدهما ان يضاعف بالتاخير اجلا بعد اجل
كلما اخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون
به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة
ووجه تحريم الربوا هو المصلحة التي علمها الله سبحانه وذكر فيه وجوه

على وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى
العدل ويحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقراض و
انظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وانما
اعاد سبحانه تحريم الربا بعد ما سبق ذكره في سورة البقرة لامرين احدهما
التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الحظر له
وشدة التحذير منه والثاني لتاكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي
يجري على الاضعاف المضاعفة واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه وقيل
اتقوا عقابه بترك معاصيه لعلكم تفلحون اي لعلكم تنجحوا بادراك ما
تاملونه وتفوزوا بثواب الجنة واتقوا النار اي اتقوا الافعال الموجبة
لدخول النار التي اعدت وهيات واتخذت للكافرين والوجه في
تخصيص الكفار باعداد النار لهم انهم معظم اهل النار فهم العمدة في
اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع فهو
كقوله في صفة الجنة اعدت للمتقين ومعلوم انه قد يدخلها غير المتقين
من الاطفال والمجانين والفساق وقال الحسن تخصيص الكفار باعداد
النار لا يمنع لهم من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص المرتدين
باسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة الكفار اياهم ومثله في القرآن كثير
والاصل ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على ان ما عداه بخلافه و
اطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم لعلكم
ترحمون اي لكي ترحموا فلا يعذبكم ومما يسال على هذا ان يقال اذا كانت
الطاعة اي طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب
شيئان احدهما ان المقصود بها طاعة الرسول فيما دعا اليه مع القصد

بطاعة

بطاعة الله تعالى والثاني انما قال ذلك ليعلم ان من اطاع الله تعالى
فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فيبادر الى ذلك بامر الله **النظم** وقيل
في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان احدهما لاتصال الامر بالطاعة
بالنهي عن اكل الربا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربا
وغيره والثاني ما قاله محمد بن اسحق بن يسار انه معاتبة للذين
عصوا رسول الله صلى الله عليه وآله لما امرهم به يوم احد من لزوم مراكزهم
فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة فكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وآله **قوله تعالى** وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ و
العافين عن الناس والله يحب المحسنين آيتان **القراءة** قرأ
اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون
بالواو وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق **الحجة** والفرق بينهما ان سياق
الكلام اذا كان بغير واو ووصلها لما تقدم اذا قرئ بواو لانه يكون
عطفا على ما تقدم ويجوز ايضا ترك الواو لان الجملة الثانية ملتبسة
بالاولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التنزيل ثلثة
رابعهم كلبهم وقال سبعة وثامنهم كلبهم **اللغة** اصل الكظم
شد راس القربة عن ملئها تقول كظمت القربة اذا ملاتها ماء ثم
شددت راسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتليا حزنا وكذلك
هو في اذا كان ممتليا غضبا لم ينتقم وكظم البعير والناقة اذا لم
يجتر بجرتها والكظامة القناة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلائها

استيناف بدل

تحت الارض في غريب الحديث لابي عبيده عن اوس بن ابي اوس انه
راى النبي صلى الله عليه وآله اتى كظامة قوم فتوضا ومسح على قدميه
ويقول احد يكظمه اى مجرى نفسه لانه موضع الامتلاء بالنفس والفرق
بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب
المستحق بالعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بتكره
ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ
منهم المعنى لما حذر الله عز اسمه عن الافعال الموجبة للعقاب عقبه بالحث
على الافعال الموجبة للثواب فقال وسارعوا اى بادروا الى مغفرة من
ربكم باجتناب معصيته ومعناه الى الاعمال التي توجب المغفرة و
اختلف في ذلك فقيل سارعوا الى الاسلام عن ابن عباس وقيل الى
اداء الفرايض عن علي بن ابي طالب عليه السلام وقيل الى الهجرة عن ابي العالية
وقيل الى التكبيرة الاولى عن انس بن مالك وقيل الى اداء الطاعات
عن سعيد ابن جبير وقيل الى الصلوات الخمس عن يمان وقيل الى الجهاد
عن الضحاك وقيل الى التوبة عن عكرمة وجنة اى الى جنة عرضها السموات
والارض اختلف في معناه على اقوال احدها ان المعنى عرضها كعرض
السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعض ذلك الى بعض عن ابن
عباس والحسن واختاره الجبائي والبلخي وانما ذكر العرض بالعظم
دون الطول لانه يدل على ان الطول اعظم وليس كذلك لو ذكر
الطول دون العرض ومثل الآية قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة ومعناه الا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر
كان عذيرهم بجنوب سلى نعام فاق في بلد قفار اى عذير نعام وقال

انخ

انخ حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق اى صوت
عناق وثانيها ان معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعتا
كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها
وانه لا يساويها شيء وان عظم عن ابي مسلم الاصفهاني وهذا وجه مليح
الا ان فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف
الطول وانما اراد سعتها وعظمتها والعرب اذا وصفت الشيء بالسعة
وصفته بالعرض قال امرؤ القيس بلاد عريضة وارض اريضة مواقع
غيث في فضاء عريض وقال ذو الرمة فاعرض في المكارم واستطالا
اى توسع فيها ويسال فيقال اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض
فاين تكون النار وجوابه انه روي ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن
ذلك فقال سبحان الله اذا جاء النهار فاين الليل وهذه معارضة فيها
اسقاط المسئلة لان القادر على ان يذهب بالليل حيث شاء قادر على ان
يخلق النار حيث شاء ويسال ايضا فيقال اذا كانت الجنة في السماء
فكيف يكون لها هذا العرض فالجواب انه قيل ان الجنة فوق السموات
السبع تحت العرش عن انس بن مالك وقيل ان الجنة فوق السموات السبع
وان النار تحت الارضين السبع عن قتادة وقيل معنى قولهم ان الجنة
في السماء في ناحية السماء وجهة السماء لا ان السماء تحويها ولا ينكر
ان يخلق الله في العلو امثال السموات والارضين فان صح الخبر انها
في السماء الرابعة كان كما يقال في الدار بستان لاتصالها بها وكونه
في ناحية منها او يشرع بابه اليها وان كان اضعاف الدار وقيل ان
الله تعالى يزيد في عرضها يوم القيمة فيكون المراد عرضها السموات و

الارض يوم القيمة لا في الحال عن ابي بكر احمد بن علي مع تسليم انهما في
السماء وقوله اعدت للمتقين اي المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم
المقبحات وفعلهم الطاعات ويجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبة
وانما اضيفت الى المتقين لانهم المقصودون بها وان دخلها غيرهم
من الاطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك حكم الفساق لو عفى
عنهم وقيل معناه انه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة
للامير وهذا يدل على ان الجنة مخلوقة اليوم لانها لا يكون معدة الا
وهي مخلوقة الذين ينفقون في السراء والضراء صفة للمتقين وفي معنى
السراء والضراء قولان احدهما ان معناه في اليسر والعسر عن ابن عباس اي
في حال كثرة المال وقلتها والثاني في حال السرور والاغتمام اي لا يقطعهم
شيء من ذلك عن انفاق المال في وجوه البر والكاظمين الغيظ اي
المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ولا ينتقمون ممن يدخل
عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك والعافين عن الناس يعني الصافحين
عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدي الى الاخلال
بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوكين والله يحب المحسنين اي من
فعل ذلك فهو محسن والله يحبه بايجاب الثواب له ويحتمل ان يكون
الاحسان شرطا مضموما الى هذه الشرائط قال الثوري الاحسان ان
تحسن الى من اساء اليك فاما الى من احسن اليك فانه متاجرة
كنقد السوق خذ مني وهات فصل فاول ما عده الله سبحانه من
اخلاق اهل الجنة السخا ومما يؤيد ذلك من الاخبار ما رواه انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال السخا شجرة في الجنة اغصانها

في

في الدنيا من تعلق ببعض من اغصانها قادته الى الجنة والبخل شجرة في النار
اغصانها في الدنيا فمن تعلق ببعض من اغصانها قادته الى النار وقال
الجنة دار الاسخياء وقال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب
من النار ثم عد سبحانه بعد ذلك من اخلاق اهل الجنة كظم الغيظ ومما
جاء فيه من الاخبار ما رواه ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه و
آله من كظم غيظه وهو يقدر على انفاذه ملاه الله يوم القيمة رضاء وفي
خبر آخر ملاه الله يوم القيمة امنا وايمانا وقال ايضا كاظم الغيظ كضارب
السيف في سبيل الله في وجه عدوه وملا الله قلبه رضا وقال عليه السلام
ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ثم
ذكر سبحانه العافين عن الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وكانوا كثيرا في الامم التي مضت
وفي هذا دليل واضح على ان العفو عن المعاصي مرغب فيه ومندوب اليه
وان لم يكن واجبا وقال النبي صلى الله عليه وآله ما عفى رجل من مظلمة
قط الا زاده الله بها عزا ثم ذكر سبحانه العافين عن الناس ان الله يحب
المحسنين والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح و
يكون المحسن ايضا هو الفاعل للافعال الحسنة من وجوه الطاعات
والقربات وبالله التوفيق وروي ان جارية لعلي بن الحسين عليه السلام
جعلت تسكب عليه الماء ليتهيا للصلوة فسقط الابريق من يدها
فشجه فرفع راسه اليها فقالت الجارية ان الله تعالى يقول الكاظمين الغيظ
فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفى الله

عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعم
قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ونعم اجر العاملين ابيات اللغة اهل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى
عظم القبح او راى العين فيه ولذلك قيل للطويل المفرط انه لفاحش
الطول وافحش فلان اذا افصح بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة
والصرصدة البرد فكانما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه وقيل اصله
الثبات على الشيء وقال الحطيئة يصف الخيل عوابس بالشعث الكماة
اذا ابتغوا علالتها بالمحصدات اصرت اى اذا اختاروا بقية جريها
بالسياط ثبتت على جريها الاعراب والذين عطف على المتقين وقيل
رفع على الاستيناف كانه عطف جملة على جملة فعلى القول الاول هم فرقة
واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعا الى الاولين
ويكون محله رفعا على المدح وقوله الا الله يرتفع الله حملا على المعنى لا على
اللفظ اذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب احد الا الله و
هل راى احد يغفر الذنوب الا الله ومعناه لا يغفر الذنوب الا الله
لان الاستفهام قد يقع موقع النفي ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح
محذوف وتقديره ونعم اجر العاملين اجرهم النزول روي ان قوما
من المومنين قالوا يا رسول الله بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم
اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك

اواذنك

اواذنك افعل ذلك فسكت رسول الله صلى الله عليه واله فنزلت الاية
فقال صلى الله عليه واله الا اخبركم بخير من ذلكم وقرا عليهم هذه الاية
من ابن مسعود وفي ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بني اسرائيل
اذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل نزلت في نبهان التمار اتته امراة
تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه
وذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم واتى النبي صلى الله عليه واله وذكر له ذلك فنزلت الاية عن عطا
المعنى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم اختلفوا في الفاحشة
وظلم النفس فقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ساير المعاصي عن السدي
وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس وقيل الفاحشة اسم لكل
معصية ظاهرة وباطنة الا انها لا تكاد تقع الا على الكبيرة عن علي
بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا ذكروا الله
اى ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية فاستغفروا لذنوبهم
فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم لانهم تعرضوا للذكر وقيل
ذكروا الله بان قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا تبنا نادمين عليها
مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله
سبحانه وبليغ كرمه وجليل منته وهو الغاية في ترغيب العاصين
في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية
رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبده وقد اذنب ذنبا اعتذر
اليك الى ومن يقبل عذرك سواي واذا سئل ان العباد قد يغفر
بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقا

لا يغفرها الا الله سبحانه وايضا فانه اراد سبحانه غفران الكبائر العظا
والاساءة عن بعضنا الى بعض صغيره بالاضافة اليها ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون اى لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم
يلزموها وقال الحسن وهو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول
وذلك لا يكفى فى ان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان
الاستغفار انما يؤثر عند ترك الاصرار وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله
انه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعنى لا تبقى الكبيرة
مع التوبة والاستغفار منه ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفى
تفسير ابن عباس الاصرار السكوت على الذنب بترك التوبة والاستغفار
منه وقوله وهم يعلمون يحتمل وجوها احدها ان معناه وهم يعلمون الخطيئة
ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يعفو للعبد ما نسيه من
ذنوبه وان لم يتب منه بعينه عن الجبائى والسدى وثانيها ان معناه
وهم يعلمون الحجة فى انها خطيئة فاذا لم يعلموا ولا طريق لهم الى العلم
كان الاثم موضوعا عنهم كمن تزوج الله من الرضاع او النسب وهو لا
يعلم به فانه لا يأثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وثالثها ان المراد
وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك اولئك اشارة
الى ما تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء الاية
اى وهو لا جزاؤهم على اعمالهم وتوبتهم مغفرة من ربهم اى ستر
لذنوبهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها تقدم تفسيرها
فى سورة البقرة ونعم اجر العاملين هذا يعنى ما وصفه من الجنات
وانواع الثواب والمغفرة ستر الذنوب حتى كانها تصير ثم تعمل

فى زوال

فى زوال العار بها والعقوبة عليها والله سبحانه متفضل بذلك لان
اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه سبحانه واما استحقاق
الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلا لانه لو لم يكن مستحقا بالتوبة
لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة **النظم** قيل ان الاية اتصلت
بما قبلها لانها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقتان بين سبحانه ان
الجنة للمتقين المنفقين فى السراء والضراء الخ ولمن عصى ثم تاب ولم يصر
قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين ايات **اللغة** السنة الطريقة المجعولة ليقتدى بها ومن ذلك
سنة رسول الله صلى الله عليه واله قال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها وقال سليمن بن قتة وان الاولى بالطف من
آل هاشم تاسوا فسنوا للكرام التاسيا واصل السنة الاستمرار فى جهة
يقال سن الماء اذا اصبه حتى يفيض من الاناء وسن السكين بالمسن
اذا امره عليه لتحديده ومنه السن واحد الاسنان لاستمرارها على
منهاج والسنان لاستمرار الطعن به والسنن استمرار الطريق والعاقبة
ما يؤدى اليها السبب المتقدم وليس كذلك الاخرة لانه قد كان يمكن
ان تجعل هى الاولى فى العدة والموعظة ما يلين القلب وتدعو الى
التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء الى الجميل وقيل الموعظة هو ما
يدعو بالرغبة والرهبة الى الحسنة بدلا من السيئة **المعنى** لما بين سبحانه
ما يفعله بالمؤمن والكافر فى الدنيا والاخرة بين ان ذلك عادته سبحانه
فى خلقه فقال قد خلت اى قد مضت من قبلكم يا اصحاب محمد وقيل هو

خطاب لمن انهزم يوم احد سنن من الله تعالى فى الامم السالفة اذا كذبوا
رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وبقية اثارهم فى البلاد للاتعاظ
والاعتبار عن الحسن وابن اسحق وقيل سنن امثال عن ابن زيد وقيل
سنن امم والسنة الامة عن المفضل قال الشاعر ما عاين الناس من فضل
كفضلكم ولا راوا مثلكم فى سائر السنن وقيل معناه اهل سنن وقيل
معناه قد مضت لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضى الله عنهم عن الكلبى
فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اى تعرفوا اخبار المكذبين
وما نزل بهم لتتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا فى التكذيب
والانكار طريقهم فيحل بكم من العذاب ما حل بهم واراد بالمكذبين
الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاهم الله سبحانه و
تعالى فى الدنيا بعذاب الاستيصال وفى الاخرة باليم العذاب وعظيم
النكال هذا اشارة الى القرآن بيان للناس اى دلالة وحجة لهم كافة عن
الحسن وقتادة وقيل اشارة الى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم
سنن اى هذا الذى عرفتكم بيان للناس عن ابن اسحق واختاره البلخى
والطبرى وهدى قال على بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان
اظهار المعنى للمتقين كائنا ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك
دون طريق الغى وموعظة للمتقين انما خص المتقين به مع كونه بيانا وهدى
وموعظة للناس كافة لان المتقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه
والمتعظون بمواعظه **قوله تعالى** ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ

منكم شهداء والله لا يحب الظالمين اية ان **القراءة** قرأ اهل
الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك قوله من بعد ما اصابهم
القرح والباقون بفتح القاف **الحجة** قال ابو على قرح وقرح مثل الضعف
والضعف والكره والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسن
قرح يقرح قرحا وقرحا فهذا يدل على انهما مصدران ومن قال ان القرح
الجراحات باعيانها والقرح الم الجراحات قبل ذلك منه اذا اتى فيه برواية
لان ذلك مما لا يعلم بالقياس **اللغة** الوهن الضعف والوهن والموهن
ساعة مضى من الليل الاعلون واحدهم الاعلى ومؤنثه العليا وجمعها
العليات والعلى والفرق بين اللمس والمس ان اللمس لصوق باحساس
والمس لصوق فقط والدولة الكرة بنيل المراد لفريق وادال الله فلانا
من فلان اذا جعل الكرة له عليه وتداول قوم الشىء اذا صار من بعضهم
الى بعض وضم الدال فى الدولة وفتحها لغتان وقيل الضم فى المال والفتح
فى الحرب **الاعراب** وانتم الاعلون جملة فى موضع الحال كانه قال لا تحزنوا
عالين اى منصورين على الاعداء ويحتمل ان يكون لا موضع لها من الاعراب
لانها اعتراض بوعد مؤكد وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين
وانتم الاعلون مع ذلك وقوله وليعلم الله العامل فى اللام محذوف
يدل عليه اول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين امنوا نداولها ويجوز
ان يعمل فيه نداولها الذى فى اللفظ وتقديره نداولها بين الناس لضرب
من التدبير وليعلم الله الذين امنوا **النزول** قيل نزلت الاية تسلية للمؤمنين
لما نالهم يوم احد من القتل والجراح عن الزهرى وقتادة وابن ابى نجيح
وقيل لما انهزم المسلمون فى الشعب واقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين

يريد ان يعلوا عليهم الجبل فقال النبى صلى الله عليه وآله اللهم لا تعلن
علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس تعبدك بهذه البلدة
الا هؤلاء النفر فانزل الله الآية وثاب نفر رماة وصعدوا الجبل ورموا
خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله تعالى
وانتم الاعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم احد حين امر
رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه بطلب القوم وقد اصابهم من
الجراح ما اصابهم وقال صلى الله عليه وآله لا يخرج الا من شهد معنا بالامس
فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبى ودليله
قوله ولا تهنوا فى ابتغاء القوم الآية المعنى ثم حث الله تعالى سبحانه على
المسلمين على الجهاد ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة فى الحال
وحسن العاقبة فى المآل فقال ولا تهنوا اى ولا تضعفوا عن قتال عدوكم
ولا تحزنوا بما يصيبكم فى اموالكم وابدانكم وقيل ولا تضعفوا بما نالكم
من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الاخوان وقيل لا
تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وانتم الاعلون
اى الظافرون المنصورون الغالبون عليهم فى العاقبة وقيل اذا انتم
الاعلون فى المكان ان كنتم مؤمنين معناه ان من كان مؤمنا يجب ان
لا يهن ولا يحزن لثقته بالله او يحتمل ان يكون معناه ان كنتم مصدقين
بوعدى لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم اخذ
سبحانه فى تسلية المسلمين فقال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح
مثله معناه ان يصبكم جراح فقد اصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس
وقيل ان يصبكم الم وجراح يوم احد فقد اصاب القوم ذلك يوم بدر

قال

قال انس بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وآله بعلى عليه السلام يومئذ
وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله
يمسحها وهى تلتئم باذن الله تعالى كان لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان
يوم احد صعد ابو سفيان الجبل فقال رسول الله اللهم انه ليس لهم ان
يعلونا فمكث ابو سفيان ساعة وقال يوم بيوم ان الايام دول وان
الحرب سجال فقال صلى الله عليه وآله اجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا فى
الجنة وقتلاكم فى النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه و
آله الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال الله اعلى واجل
وتلك الايام نداولها بين الناس اى نصرفها مرة لفرقة ومرة عليها
عن الحسن وقتادة والربيع والسدى وابن اسحق وانما يصرف الله الايام
بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين احيانا وتشديدها
عليهم احيانا لا بنصرة الكفار عليهم لان الله سبحانه لا ينصر الكفار على
المسلمين لان النصرة تدل على المحبة والله سبحانه لا يحب الكافرين وانما
جعل الله سبحانه الدنيا متقلبة لكى لا يطمئن المسلم اليها ولتقل رغبته
فيها وحرصه عليها اذ تفنى لذاتها ويظعن مقيمها ويسعى للآخرة التى يدوم
نعيمها وانما جعل الدولة مرة للمسلمين ومرة عليهم ليدخل الناس فى الايمان
على الوجه الذى يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحجة فانه لو كانت
الدولة ابدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون فى الايمان على سبيل
اليمن والفال على ان كل موضع حضره النبى صلى الله عليه وآله لم يخل من
ظفر اما فى ابتداء الامر واما فى انتهائه وانما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله
وليعلم الله الذين امنوا متميزين بالايمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم

وليعلم الله الذين امنوا المفعول الثانى ليعلم محذوف وتقديره وتلك الايام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة مم

بمعنى يعرف لانه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعرف
تميزها بالايمان ويجوز ان يكون المعنى ليعلم الله الذين امنوا بما يظهر
من صبرهم على جهاد عدوهم اى يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه
الحال فاذا كان الله تعالى يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما يعلمهم
بعده فانما يعلم قبل الاظهار انهم سيتميزون فاذا اظهروه علمهم متميزين
ويكون التغير حاصلا فى المعلوم لا فى العالم كما ان احدنا يعلم الغد
قبل مجيئه على معنى انه سيجى فاذا جاء علمه جائيا وعلمه يوما لا غدا واذا
انقضى فانما يعلمه امس لا يوما ولا غدا ويكون التغير واقعا فى المعلوم
لا فى العالم وقيل معناه وليعلم اولياء الله الذين امنوا وانما اضاف
الى نفسه تفخيما وقيل معناه وليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع
من يجزع وايمان من يؤمن وقيل ليظهر العالم من الاخلاص والنفاق
وتقديره ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الاخر
وقوله ويتخذ منكم شهداء قيل فيه قولان احدهما ان معناه ليكرم
بالشهادة من قتل يوم احد عن الحسن وقتادة وابن اسحق والاخر
ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم
فى ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة والشهداء تكون جمع شاهد
وجمع شهيد عن ابى على الجبائى وانما سموا شهداء بمشاهدتهم الاعمال
التى يشهدون بها واما فى جمع الشهيد فلانهم بذلوا الروح عنده
شهود الواقعة ولم يفروا والله لا يحب الظالمين ظاهر المعنى وفايدته
انه تعالى يبين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لاحد المعانى
التى ذكرها وليمحص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد قوله تعالى

المعلوم بدل

وليمحص

٥١٨

وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الباطل الكافرين اية اللغة
اصل التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب ومحصته
امحصه محصا اذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا
اى اذهبها عنا لانه تخليص الحسنات بتكفير السيئات واصل المحق فناء
الشئ حالا بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان والمحق الشئ المحاق ومحق
الشئ ومحق اذا ذهبت بركته حالا بعد حال والمحاق فاخر الشهر لذهاب
ضوء الهلال حالا بعد حال المعنى ثم بين سبحانه وجه المصلحة فى مداولة
الايام بين الناس فقال وليمحص الله الذين امنوا قيل فى معنى الاية اقوال
احدها وليمحص الله اى ليبتلى الله الذين امنوا ويمحق الكافرين بنقصهم
عن ابن عباس ومجاهد والسدى وثانيها ليخلص الله ذنوب المؤمنين
عن الزجاج وثالثها ينجى الله الذين امنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك
الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن على بن عيسى وانما قابل بين التمحيص و
المحق لان محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك
انفسهم وهذه مقابلة فى المعنى وفى هذه الاية دلالة على انه سبحانه
انما يداول بين الناس ليمحص ذنوب المؤمنين ويمحق الكافرين وانما
يمحصهم بالمداولة لشيئين احدهما ان فى تخليتهم وتمكين الكافرين
منهم تعريضا اياهم للصبر الذى به يستحقون عظم الاجر ويحط به
عنهم كثيرا من اثقال الوزر والثانى ان فى ذلك لطفا لهم يعصمهم
عن اقتراف الاثم قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون آيتان

اللغة الفرق بين التمني والارادة ان الارادة من افعال القلوب والتمني
قول القائل ليت كان كذا وليت لم يكن وقيل ان التمني معنى في القلب يطابق
هذا القول والصحيح هو الاول **الاعراب** ام في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره
بل احسبتم وهو استفهام على وجه الانكار والفرق بين لم ولما ان لما جواب
لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال واذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كانت
لما اصلها لم مؤكدة بحرف كانت جوابا لما هو مؤكد بحرف وقوله ويعلم الصابرين
نصب على الصرف عن العطف وليس المعنى على نفي الثاني والاول وانما هو
على نفي اجتماع الثاني والاول وتقديره وان يعلم فيكون منصوبا باضمار ان
والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه
قرا ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على الاول **المعنى** لما حث الله سبحانه على
الجهاد ورغب فيه زاد في البيان والاخبار بان الجنة لا تنال الا بالبلوى
والاختبار فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة المراد به الانكار اي اظننتم ايها
المؤمنون انكم تدخلون الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين اي ولما تجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر
الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وانما جاز ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون العلم لما في ذلك من الايجاز في
انتفاء جهادهم لانه لو كان لعلمه وتقديره ولما لم يكن المعلوم من الجهاد
الذي وجب عليكم لان المعنى مفهوم لا يشتبه ولقد كنتم يا اصحاب محمد
تمنون اي تتمنون الموت فحذف احدى التائين للتخفيف وذلك ان
قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل
احد فلما راوه يوم احد اعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله

عا

على قتال عن الحسن ومجاهد والربيع وقتادة والسدي من قبل ان تلقوه
فقد رايتموه الهاء في تلقوه ورايتموه راجعة الى الموت اي من قبل ان تلقوا
اسباب الموت وهو الحرب فقد رايتموها لان الموت لا يرى نحو قول الشاعر
والموت تحت لواء آل محرق اي اسباب الموت وقيل الهاء راجعة الى الجهاد
وانتم تنظرون قيل انه تاكيد للروية كما يقال رايته عيانا ورايته بعيني
وسمعته باذني لئلا توهم روية القلب وسمع العلم وقيل معناه وانتم
تتاملون الحال في ذلك كيف هي فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل
معناه وانتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه واله وفيه حذف اي فلم انهزمتم
لانه موضع عتاب فان قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة
وهل يجوز ذلك قلنا لا يجوز ذلك لان قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز
تمني المعاصي كما لا يجوز ارادتها ولا الامر بها واذا ثبت ذلك فانما تمنوا
الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا **قوله تعالى** وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى اَعْقَابِكُمْ وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ آية
اللغة محمد اخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد
لان التحميد لا يستوجبه الا المستولي على الامر في الكمال فاكرم الله عز اسمه
نبيه وحبيبه باسمين مشتقين من اسمه سبحانه محمد واحمد واليه
اشار حسان بن ثابت في قوله   الم تر ان الله ارسل عبده   ببرهانه
والله اعلى وامجد   وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي اتانا بعد ياس وفترة   من الدين والاوثان في الارض تعبد
الاعراب انما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره انقلبون

ان مات او قتل لان الشرط لما انعقد به صار جملة واحدة وخبرا واحدا
فكان بمنزلة تقديم الاسم على الفعل في الذكر اذا قيل ازيد قايم فكذلك تقدمه
في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر حلفت له
ان تدلج الليل لا يزل امامك بيت من بيوتي سائر النزول قال اهل التفسير
سبب نزول هذه الاية انه لما ارجف بان النبي صلى الله عليه وآله قتل يوم
احد واشيع ذلك قال اناس لو كان نبيا لما قتل وقال اخرون نقاتل على
ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم
وتضعضعهم اخلال الرماة بمكانهم من الشعب وكان رسول الله صلى الله
عليه واله نهاهم عن الاخلال به وامر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات بن
جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين
ما ثبتم بمكانكم وجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن وليد وعلى ميسرتهم
عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدون الاشعار
فقالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق ان تقبلوا نعانق او
تدبروا نفارق فراق غير وامق وكان ابو عامر عبد بن عمرو الصيفي اول
من لقيهم بالاحابيش وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا شديدا وحميت
الحرب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من ياخذ هذا السيف بحقه
ويضرب به العدو حتى يحني فاخذه ابو دجانه سماك بن خرشة الانصاري
فلما اخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر ويقول انا الذي عاهدني
خليلي ان لا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول فقال
رسول الله صلى الله عليه واله انها المشية يبغضها الله الا في هذه الموضع
ثم حمل النبي صلى الله عليه واله واصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن

ابي طالب

ابي طالب عليه السلام اصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصره على المسلمين
قال الزبير فرايت هندا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل بادية
خدامهن ما دون اخذهن شيء فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا
وراوا النبي صلى الله عليه وآله واصحابه ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون
النهب واختلفوا فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله صلى الله عليه وآله
وقال بعضهم ما بقي من الامر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما
فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة وراى
ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبي من خلفهم
فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر وكسر انفه
ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذب
عنهم مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه واله يوم
بدر ويوم احد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه
وقال قتلت محمدا وصاح صائح الا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصائح
كان ابليس فانكفت الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه واله يدعو
الناس ويقول الي عباد الله فاجتمع اليه ثلثون رجلا يحموه حتى كشفوا
عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندمت سية قوسه و
اصيبت يد طلحة بن عبد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن نعمان
يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله ص مكانها فعادت كاحسن
ما كانت فلما انصرف رسول الله ص ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول
لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال

دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله
فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرقا اقتلك عليها فقال رسول الله
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله
الحربة من الحارث ابن الصمة ثم استقبله فطعنه فى عنقه وخدشه خدشة
فتدهدا عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلنى محمد فاحتمله
اصحابه وقالوا ليس عليك باس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر
لقتلتهم اليس قال لى اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى فلم يلبث الا
يوما حتى مات قالوا وفشا فى الناس ان رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين
ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى فيا خذلنا امانا من ابى سفيان وبعضهم
جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمدا قد قتل
فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك انه قال ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله ص
فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ص وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم
انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرا اليك مما جاء به هولاء
يعنى المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه
واله انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله
عليه وآله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت
باعلى صوتى يا معاشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه واله فاشار
الى ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبى على الفرار
فقالوا يا رسول الله فديناك باباءنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول الاية المعنى

يعنى سبحانه انه لا ينبغى ان يترك امر الله تعالى كان الرسول بين اظهرهم
او لم يكن فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعنى انه بشر
اختاره الله لرسالته الى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فادوا الرسالة
ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت
بمستحيل عليه ولا القتل وقيل اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند
موتهم او قتلهم فاقتدوا بهم ثم اكد ذلك فقال سبحانه افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم معناه افان اماته الله او قتله الكفار ارتددتم
كفارا بعد ايمانكم فسمى الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقرى
لان الردة خروج الى اقبح الاديان كما ان الانقلاب خروج الى اقبح ما يكون
من المشى والالف فى قوله افان الف انكار صورته صورة الاستفهام
ومثله اختيار الفساد على الصلاح والخطاء على الصواب وفى قوله مات او
قتل دلالة على ان الموت غير القتل لان الشى لا يعطف على نفسه فالقتل
هو نقض بنية الحيوة والموت افساد البنية التى تحتاج الحيوة اليها بفعل
معان فيه تضاد المعانى التى تحتاج اليها الحيوة وقيل الموت معنى يضاد
الحيوة والصحيح الاول ومن ينقلب على عقبيه يعنى من يرتد عن دينه فلن يضر الله
شيئا لانه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة عليه لانه لا يستحق العقاب
الدائم وسيجزى الله الشاكرين اى يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله
نعم واعترافهم بها وقيل اراد بالشاكرين المطيعين لان الطاعات هى شكر
الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لان قوله فلن
يضر الله شيئا دليل على معنى الوعيد فكانه قال من يرتد دعاه ضرته عليه
ومن شكر وامن فنفعه يعود اليه فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد صلى الله

عليه وآله كانت كفار قريش يسمون مذمما يعنون اسم النبي صلى الله عليه مذمما
وآله فروى ابو هريرة عن النبي ص انه قال الم تروا كيف صرف الله عني لعن قريش
وشتمهم يسمون مذمما وانا محمد وفي مسند علي بن موسى الرضا عليه السلم
عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه و
اوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها وما من قوم كانت لهم مشورة و
معهم من اسمه احمد ومحمد فادخلوه في مشورتهم الا خير لهم وما من مائدة
وضعت فحضرها من اسمه محمد واحمد الا قدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين
وعن انس بن مالك قال كان النبي في السوق فقال الرجل يا ابا القاسم
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الرجل انما ادعو ذاك
فقال رسول الله ص سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي انا ابو القاسم الله
يعطي وانا اقسم ثم رخص في ذلك لعلي وابنه عليه السلم وعن علي بن ابي
طالب عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان ولد لك غلام
نحلته اسمي وكنيتي قوله تعالى وما كان ان تموت الا باذن الله لنفس
كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين آية الاعراب كتابا نصب على
المصدر بفعل محذوف دل عليه اول الكلام مع العلم بان كل ما يكون
فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتابا وقال الاخفش اللام
في قوله وما كان لنفس منقولة عما دخلت عليه الى غيره وتقديره وما
كان نفس لتموت اي لان تموت المعنى وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله ومعناه ما كان نفس لتموت الا باذن الله ومثله وما كان الله

ان يتخذ ولدا اي ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله وما كان لكم ان تنبتوا شجرها
معناها وما كنتم لتنبتوا شجرها لان انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر
ففي الآية اخبار بان الموت لا يكون الا باذن الله وهذا تسلية عما
لحق النفوس بموت النبي صلى الله عليه وآله من جهة انه باذن الله تع
ومعناه انه صلى الله عليه وآله ان مات فانما يموت بامر الله تعالى
وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لاحد في ترك دينه بعد موته وقيل
ان فيه حثا على الجهاد من حيث لا يموت احد الا باذن الله اي فلا
تتركوا الجهاد خشية القتل فان ذلك لا يؤخر اجلا لم يحضر ولا يقدم
الجهاد اجلا لم يحضر فلا معنى للانهزام وقوله باذن الله يحتمل امرين
احدهما بعلم الله والآخر بامر الله وقال ابو علي الجبائي فيه دلالة على
انه لا يقدر على الموت الا الله كما لا يقدر على ضده من الحيوة غير الله
ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه وقوله كتابا مؤجلا معناه
كتب الله لكل حي اجلا وقتا لحيوته ووقتا لموته ولا يستقدم ولا يتأخر
وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما ومن يرد ثواب الدنيا نؤته
منها قيل في معناه اقوال احدها ان المراد من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له
فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن اسحق اي فلا نعجل بحاله في الدنيا وثانيها
من اراد بجهاده ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نؤته منها فبين ان
حصول الدنيا للانسان ليس بموضع غبطة لانها مبذولة للبر والفاجر
عن ابي علي الجبائي وثالثها من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعة
الكبائر جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لاحباط عمله بفسقه وهذا على مذهب
من يقول بالاحباط ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي ومن يرد بالجهاد اعماله

ثواب الاخرة نؤته منها فلا ينبغى لاحد ان يطلب بطاعاته غير ثواب الله
ومثله قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه وقريب قول
النبى صلى الله عليه واله من طلب الدنيا بعمل الاخرة فما له فى الاخرة من نصيب
ومثله قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة ومن فى قوله منها يحتمل ان
يكون زايدة ويحتمل ان يكون للتبعيض لانه انما يستحق الثواب على قدر العمل
وسيجزى الشاكرين اى يعطيهم جزاء الشكر وفى تكراره قولان احدهما انه
للتاكيد وللتنبيه على عظم منزلة الشكر والثانى ان معناه سيجزى الشاكرين
من الرزق فى الدنيا لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطى الكافر من نعيم الدنيا
عن ابن اسحق وروى ابان بن عثمان عن ابى جعفر عليه السلام انه اصاب عليا
يوم احد ستون جراحة وان النبى صلى الله عليه واله امر ام سليم وام
عطية ان تداوياه فقالتا انا لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكان و
قد خفنا عليه فدخل رسول الله صلى الله عليه واله والمسلمون يعودونه
وهو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده ويقول ان رجلا لقى هذا فى الله فقد
ابلى واعذر فكان القرح الذى يمسحه رسول الله يلتئم فقال على عليه السلام
الحمد لله اذ لم افر ولم اول الدبر فشكر الله له ذلك فى موضعين من القرآن
وهو قوله وسيجزى الله الشاكرين وسيجزى الشاكرين قال ابو على الجبائى
وفى هذه الاية دلالة على ان اجل الانسان انما هو اجل واحد وهو الوقت
الذى يموت فيه لانه لا يقطع بالقتل عن الاجل الذى اخبر الله تعالى بانه
اجل لموته قال ابن الاخشيد لا دليل فيه على ذلك لان للانسان اجلين
اجلا يموت فيه لا محالة واجلا هو موهبة من الله تعالى له ومع ذلك فلن
يموت الا عند الاجل الذى جعله الله لموته والاقوى الاول انتصل له

وما كان

وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله بما قبله لانه حث على الجهاد
وقيل لانه تسلية عما لحق النفس من الوجوم بموت النبى صلى الله عليه
واله وقيل للتبيان بان حالهم لا يختلف فى التكليف بان يموت النبى
فينبغى ان يتمسك بامره فى حياته وبعد مماته وكاين من نبى
قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما
ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة والله يحب المحسنين ثلث ايات قرا ابن كثير كائن على
وزن كاعن وابو جعفر بلين الهمزة وهى قراءة الحسن والباقون كاين على
وزن كعين وقرا اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم القاف بغير الالف
وهى قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهى قراءة ابن مسعود
اصل كاين اى دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى ان
من كان وكثر استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة فقلبت قلب الكلمة
الواحدة فصار كيان بحذف الياء الثانية كما حذفت فى كينونة فصار
كيان مثل كيعن ثم ابدلت من الياء الالف كما ابدلت من طاى فصار
كائن ثم لينت الهمزة على قراءة ابى جعفر قال الشاعر وكاين رددنا عنكم
من مدجج يجىء امام الفوج [illegible] مقنعا وقال اخر وكاين بالابلم قادنى
راس فتية جنود او [illegible] كتايبه وقد حذفت الياء من اى
فى قول الفرزدق تنظرت نصرا والسماكين ايهما على من الغيث استهلت
مواطره واما قتل فيجوز ان يكون مسندا الى ضمير نبى واذا اسند الى هذا

الضمير احتمل قوله معه ربيون امرين احدهما ان يكون صفة لنبي صلى الله عليه وآله
فاذا قدرته هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعا بالظرف بلا خلاف لان الظرف
اذا اعتمد على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيبويه ايضا والآخر ان لا يجعله
صفة ولكن حالا من الضمير في قتل والآخر ان يكون الاسم الذي اسند اليه قتل
قوله ربيون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقا بقتل وعلى القبيلين الآخرين
اللذين هما الصفة والحال متعلقا في الاصل بمحذوف وكذلك من قرا قاتل معه
فهو يجوز فيه ما جاز في قراءة من قرا قتل وحجة من قرا قتل قوله افان مات
او قتل وحجة من قرا قاتل ان للمقاتل قد مدح كما مدح المقتول قال سبحانه و
قاتلوا وقتلوا ومن جعل قوله قتل معه ربيون صفة اضمر للمبتداء الذي هو كاين
خبرا وموضع الكاف الجارة في كاين مع المجرور رفع كما ان موضع الكاف في
قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما انه لا معنى للتشبيه في كذا وكذا
الوهن الضعف وانما قال وما ضعفوا من حيث ان الوهن انكسار
الجسد بالخوف ونحوه والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من
الكينة وهي الحالة السيئة يقال فلان بات بكينة اي ببنية السوء وبجيبة
اي حال سوء والاسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدهما التقتير
وقيل الاسراف مجاوزة الحق الى الباطل زيادة او نقصانا والاول اظهر يقال
سرفت الشيء اي نسيته لانه جاوزه الى غيره بالسهو عنه ثم اكد
سبحانه ما تقدم بقوله وكاين من نبي اي وكم من رسول قاتل اي حارب
او قتل معه ربيون كثير ذكرنا تقديره في الحجة وقيل في ربيون اقوال احدها
انهم علماء وفقهاء وصبر عن ابن عباس والحسن وثانيها انهم جموع كثيرة
عن مجاهد وقتادة وثالثها انهم منسوبون الى الرب ومعناه المتمسكون

بعبادة

بعبادة الله عن الاخفش وقال غيره انهم منسوبون الى علم الرب ورابعها
ان الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام و
خامسها ان الربيون الاتباع والربانيون الولاة عن ابن زيد ومن اسند
الضمير الذي في قتل الى نبي فالمعنى كم من نبي قتل ذلك النبي وكان معه جماعة
كثيرة فقاتل اصحابه بعده فما وهنوا وما فتروا ومن اسند قتل الى الربيين
دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن باقيهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله
والى هذا ذهب الحسن لانه كان يقول ما قتل نبي قط في المعركة والى الاول
ذهب ابن اسحق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبي المقتول والذين
معه لا يهنون بين الله سبحانه انه لو كان قتل النبي كما ارجف بذلك يوم احد
لما اوجب ذلك ان يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الانبياء بقتلهم
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم
ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما اصابهم في الجهاد عن دينهم عن ابن
اسحق وقيل فما وهنوا اي فما جبنوا عن قتال عدوهم وما ضعفوا اي ما فتروا
وما استكانوا اي ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج والله يحب الصابرين
في الجهاد وقال ابن الانباري اي فقد كان واجبا عليكم ان تقاتلوا على امر
نبيكم لو قتل كما قاتل امم الانبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم وما كان
قولهم عند لقاء العدو الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا والمعنى ما كان
قولهم الا استغفارهم اي الا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقوله ان قالوا
اسم كان وقولهم خبره والضمير يعود الى النبي ومن معه على احد القولين والى
الربيين في القول الآخر وقوله اغفر لنا ذنوبنا اي استرها علينا بترك
عقابنا وتجاوزاتنا عليها واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد وتفريطنا

وتقصيرنا دعب الله سبحانه اصحاب الرسول فى ان يقولوا هذا القول
ولا تقولوا قولا يدل على الضعف فيطمع الاعداء فيهم وثبت اقدامنا
فى جهاد عدوك بتقويه القلب وفعل الالطاف التى معها تثبت الاقدام
فلا تزول للانهزام وقيل معناه ثبتنا على الدين فتثبت به اقدامنا
وانصرنا واعنا على القوم الكافرين بالقاء الرعب فى قلوبهم وامدادنا
بالملئكة ثم بين سبحانه ما اتاهم عقيب دعائهم فقال واتيهم الله
يعنى الذين وصفهم اعطاهم الله ثواب الدنيا وهو نصرهم على عدوهم
حتى ظفروا بهم وقهروهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب
الاخرة وهو الجنة والمغفرة ويجوز ان يكون ما اتاهم فى الدنيا من الظفر
والفتح والنصر واخذ الغنيمة ثوابا مستحقا لهم على طاعاتهم لان فى ذلك
التعظيم لهم والاجلال ولذلك يقول ان المدح على فعل الطاعة والتسميه
بالاسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز ان يكون سبحانه اعطاهم ذلك
تفضلا منه تعالى او لما لهم فيه من اللطف فيكون تسميته بانه ثواب
مجازا او توسعا والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل
والله يحب المحسنين فى اقوالهم وافعالهم والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن
الذى يحسن الى نفسه بطاعة ربه وقيل الذى يحسن الى غيره
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين بل الله موليكم وهو خير الناصرين اية
الطاعة موافقة الارادة المرغبة فى الفعل وبالترغيب ينفصل من الاجابة
وان كان موافقة الارادة حاصله وفى الناس من قال الطاعة هى موافقة
الامر والاول اصح لان من فعل ما يقتضى العقل وجوبه او حسنه كان مطيعا

شرط فلم يك هناك امر يردوكم جزم لانه جواب الشرط فتنقلبوا عطف
عليه وخاسرين نصب على الحال وبل حقيقته للاضراب عن الاول الى الثانى
قيل نزلت فى المنافقين اذ قالوا للمؤمنين يوم احد عند الهزيمة
ارجعوا الى اخوانكم وارجعوا فى دينهم عن على عليه السلم وقيل هم اليهود والنصارى
عن الحسن وابن جريج ثم امر سبحانه بترك الاستماد لمن يثبطهم عن الجهاد
من الكفار فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله ان تطيعوا الذين
كفروا اى ان اصغيتم الى قول اليهود والمنافقين ان محمدا قتل فارجعوا الى
عشايركم يردوكم على اعقابكم اى يرجعونكم كفارا كما كنتم فتنقلبوا خاسرين
اى ترجعوا خاسرين لانفسكم فلا خسران اعظم من ان يبدل الكفر بالايمان
والنار بالجنة بل الله موليكم اى هو اولى بان تطيعوه وهو اولى بنصركم وهو
خير الناصرين انما قال ذلك وان كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهارا
فى الحجة اى ان اعتد بنصرة غيره فهو خير ناصر لانه لا يجوز ان يغلب وغيره
يجوز ان يغلب وان نصر فهو الناصر فى الحقيقة ان شاء امدكم باهل السماء
وان شاء امدكم باهل الارض وان شاء نصركم بالقاء الرعب فى قلوب اعدائكم
سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين اية
قرا ابو عامر وابو جعفر والكسائى ويعقوب وابو حاتم الرعب
بضمتين والاخرون بتسكين العين وقد تقدم القول فى مثله
السلطان هنا معناه الحجة والبرهان واصله القوة فسلطان الملك قوته
والسلطان البرهان لقوته على دفع الباطل والتسليط على الشئ التقوية
عليه مع الاغراء به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على

ذلك مع ايثار فعله والتسليط الرئيت لقوة استعمار جدته والالقاء اصله
فى الاعيان يدل عليه قوله والقى الالواح فالقوا حبالهم واستعمل فى غير عين
اتساعا اذ ليس الرعب بعين وكذلك قوله والقيت عليك محبة منى ومثل
الالقاء فى ذلك الرمى قال سبحانه والذين يرمون ازواجهم اى بالزنا فهذا
اتساع لانه ليس بعين وكذلك قوله رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا
ومن حول الطوى رمانى والمثوى للمنزل واصله من الثواء وهو طول الاقامة
وام المثوى ربة البيت والثوى الضيف لانه مقيم مع القوم قال السدى
لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة قالوا بئس ما صنعنا
قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما
عزموا على ذلك القى الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وستاتى
هذه القصة فيما بعد فنزلت الاية ثم بين سبحانه ان من جملة نصرته
للمؤمنين القاء الرعب فى قلوب المشركين فقال سنلقى اى سنقذف فى قلوب
الذين كفروا الرعب اى الخوف والفزع بما اشركوا بالله اى بشركهم بالله وقولهم
عليه ما لا يجوز من الند والشريك ما لم ينزل به سلطانا اى برهانا وحجة يعنى
لم يجعل لهم فى ذلك حجة ومأويهم اى مستقرهم النار يعذبون فيها وبئس
مثوى الظالمين معناه وبئس مقام الظالمين النار وروى ان الكفار دخلوا
مكة كالمنهزمين مخافة ان يكون لرسول الله واصحابه الكرة عليهم وقال رسول
الله صلى الله عليه واله نصرت بالرعب مسيرة شهر ولقد
صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
فى الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله
ذو فضل على المؤمنين اية الحس القتل على وجه الاستيصال
واصله من الاحساس ومنه هل تحس منهم من احد وسمى القتل حسا لانه
يبطل الحس والفشل الجبن صدق يتعدى الى المفعولين وجواب
اذا فى قوله حتى اذا فشلتم قيل فيه وجهان احدهما انه محذوف وتقديره حتى
اذا فشلتم امتحنتم والثانى انه على زيادة الواو والتقديم والتاخير وتقديره
حتى اذا تنازعتم فى الامر فشلتم عن الفراء وقال هذا كقوله فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه معناه ناديناه والواو زائدة وحتى اذا جاؤها وفتحت
انشد حتى اذا قملت بطونكم ورأيتم ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان
اللئيم العاجز الخب والبصريون لا يجيزون هذا ويتاولون جميع ما استشهد به
على الحذف لانه ابلغ فى الكلام واحسن ذكر ابن عباس والبراء
بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد المذكور فى الاية كان يوم احد لان المسلمين
كانوا يقتلون المشركين حتى اخل الرماة بمكانهم الذى امرهم الرسول بالمقام
عنده فاتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع
المشركون وقتل من المسلمين سبعين رجلا ونادى مناد قتل محمد ثم من الله
على المسلمين فرجعوا وفى ذلك نزلت الاية ثم بين سبحانه انه صدقهم
وعدهم فقال ولقد صدقكم الله وعده معناه وفى الله لكم بما وعدكم من
النصر على عدوكم وفى قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم الاية وقيل كان الوعد قول رسول الله صلى الله عليه واله للرماة
لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما ثبتم فى مكانكم اذ تحسونهم اى
تقتلونهم باذنه اى بعلمه وقيل بلطفه لان اصل الاذن هو الاطلاق
فى الفعل فاللطف تيسير للفعل كما ان الاذن كذلك فحسن اجراء اسمه حتى

اذا فشلتم معناه جبنتم عن عدوكم وكععتم وتنازعتم فى الامر اى اختلفتم
وعصيتم امر نبيكم فى حفظ المكان من بعد ما اريكم ما تحبون من النصرة على الكفار
وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة واكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد وقال
ابو على الجبائى معناه اذ تحسونهم يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد وتنازعتم
وعصيتم يوم احد من بعد ما اريكم ما تحبون يوم بدر والاولى ان يكون حكاية
عن يوم احد على ما بيناه وجواب اذا هنا محذوف يدل الكلام عليه وتقديره
حتى اذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ودفع النصرة عنكم منكم من يريد الدنيا
يعنى الغنيمة وهم الذين اخلوا المكان الذى رتبهم النبى صلى الله عليه وآله
فيه وامرهم بلزومه ومنكم من يريد الاخرة اراد عبد الله بن جبير ومن ثبت
مكانه اى نقصد بجهاده الى ما عند الله عز وجل وروى عن ابن مسعود قال
ما كنت ادرى ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله يريد الدنيا
حتى نزلت فينا هذه الاية يوم احد ثم صرفكم عنهم قد ذكر فى اضافة انصرافهم
الى الله سبحانه وجوه احدها انهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه ومنهم
من لم يعص لانهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا باذن الله لئلا
يقتلوا لان الله تعالى اوجب ثبات المائة للمائتين فاذا نقصوا لا يجب عليهم
ذلك فجاز ان يذكر الله سبحانه الفريقين بانه صرفهم وعفى عنهم يعنى صرف
بعضهم وعفا عن بعض عن ابى على الجبائى وثانيها ان معناه رفع النصرة عنكم
ووكلكم الى انفسكم بخلافكم للنبى صلى الله عليه واله فانهزمتم عن جعفر بن حرب
وثالثها ان معناه لم يامركم بمعاودتهم من فوركم ليبتليكم بالمظاهرة
فى الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخى وقوله ليبتليكم معناه ليختبركم
اى يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة فى العدل وذلك انه سبحانه انما يجازى

عباده

عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم ولقد عفا عنكم اى صفح عنكم
بعد ان خالفتم امر الرسول وقيل عفا عنكم تتبعهم بعد ان امركم بالتتبع لهم
عن البلخى قالما بلغوا حمراء الاسد عفا عنهم من ذلك وقال ابو على الجبائى
هو خاص بمن لم يعص الله بانصرافه والاولى ان يكون عاما فى الجميع فانه لا يمتنع
ان يكون الله سبحانه قد عفا لهم عن المعصية والله ذو فضل على المؤمنين
اى ذو من ونعمة عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم وقيل
بان لم يستاصلهم كما فعل بمن كان قبلهم وروى الواقدى باسناده عن
سهل بن سعد الساعدى قال جرح رسول الله صلى الله عليه واله يوم احد
وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه فكانت فاطمة بنته تغسل
عنه الدم وعلى بن ابى طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجن فلما رات فاطمة
ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة حصير فاحرقته حتى اذا صار
رماد الزمته الجرح فاستمسك الدم

اذ تصعدون ولا تلوون
على احد والرسول يدعوكم فى اخريكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على
ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ
قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو
كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم
وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ايتان

قرا اهل الكوفة غير عاصم تغشى بالتاء والباقون يغشى بالياء وقرا اهل البصرة

كلّه لله بالرفع والباقون بالنصب قال ابو علي حجة من قرأ يغشى بالياء

قوله اذ يغشيكم النعاس امنة فالنعاس هو الغاشي ولا يغشى او قرب الى النعاس

فاسناد الفعل اليه اولى ويقال غشيني النعاس وغلب على النعاس ولا يسهل

غشيني الامنة وحجة من قرأ بالتاء ان النعاس وان كان بدلا من الامنة فليس

المبدل امنة في طريق ما يسقط من الكلام ويدل ذلك قولهم الذي مررت

به زيد ابو عبد الله وقال وكانه لهق السراة كانه ما حاجبيه معين بسواد فجعل

الخبر على الذي ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة اجمعين في انه للاحاطة

والعموم فالوجه ان لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابي عمرو في رفعه كله و

ابتدائه به انه ولئن وان كان في اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد يبتدئ

بها كما ابتدأ بسائر الاسماء نحو قوله تعم وكلهم آتيه يوم القيمة فردا فابتدأ به

في الآية الفرق بين الاصعاد والصعود ان الاصعاد في مستوي الارض

والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة اذا ابتدأنا السفر منها ومنه قول

الشاعر هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق وروي

عن الحسن انه قرأ تصعدون بفتح التاء والعين وقال انهم صعدوا في الجبل

فرارا وقال الفراء الاصعاد الابتداء في كل سفر والانحدار الرجوع عنه ولا تلوون

اي لا تعرجون على احد كما يفعله المنهزم ولا يذكر هذا الا في النفي لا يقال لويت

على كذا واصله من لي العنق للالتفات والنعاس الوسن وناقة نعوس

توصف بالسماحة في الدر قوله اذ تصعدون العامل في اذ

قوله ولقد عفا عنكم واللام في قوله لكيلا تحزنوا يتعلق به ايضا وقيل

يتعلق بقوله فاثابكم ولا تحزنوا منصوب بكي وامنة مفعول انزل

ونعاسا بدل منها وطائفة الاولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوعة

بالابتداء وخبرها تظنون وقد اهمتهم انفسهم في موضع رفع بالصفة ويجوز

ان يكون قد اهمتهم انفسهم خبرا والواو في وطائفة واو الحال على تقدير

يغشى النعاس طائفة في حال ما اهمت طائفة منهم انفسهم فالجملة في موضع

الحال ويجوز النصب على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا

وعمروا اكرمته فيكون منصوبا على اضمار فعل الذي قد مر تفسيره

ثم ذكر سبحانه المنهزمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد

فقال اذ تصعدون معناه ولقد عفا عنكم اذ تذهبون في وادي احد

للانهزام فرارا من العدو عن قتادة والربيع ولا تلوون على احد اي لا

يقيمون على من خلفتم في الحرب ولا يلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم

على احد والرسول يعني محمدا صلى الله عليه يدعوكم في اخريكم اي يناديكم

من ورائكم فيقول ارجعوا الى عباد الله ارجعوا انا رسول الله يقال جاء

فلان في اخر الناس واخرة الناس واخرى الناس اذا جاء خلفهم فاثابكم

غما بغم اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه جعل مكان ما ترجونه

من الثواب ان غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بغم رسول الله صلى الله عليه

وآله اذ عصيتموه وضيعتم امره فالغم الاول لهم والثاني للنبي صلى

الله عليه وآله واختاره الزجاج وثانيها ان معناه غما على غم او غما مع غم

او غما بعد غم كما يقال نزلت بفلان وعلى فلان حتى فعل كذا ويقال

ما زلت بزيد حتى فعل اي مع زيد فاراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا

وبما اصابهم من الشدائد وانهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله

تعالى وثالثها ان الغم الاول القتل والجراح والثاني الارجاف بقتل

محمد صلى الله عليه وآله عن قتادة والربيع ورابعها اثابكم غما يوم احد

بغم لحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفى هذا القول نظر لان ما لحق المشركين
من الغم يوم بدر من جهة المسلمين انما يوجب المجازات بالكرامة دون الغم
وخامسها ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم
الى حمراء الاسد فجعل هذا الغم عوضا عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين
بن على المغربى وانما قيل فى الغم ثواب لان اصله ما يرجع الى المجازاة على
الفعل طاعة كانت او معصية ثم كثر فى جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر فى
اداني طربا فى اثوهم طرب الواله او كالمخبل وقيل انه مما وضع مكان غيره
كقوله سبحانه فبشرهم بعذاب اليم اى صنعه موضع البشارة فهو كما قال
الشاعر اخاف زيادا ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدجة سمرا
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم معناه فعل بكم هذا الغم لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من الغنيمة ولا تتركوا امر النبى صلى الله عليه واله ولئلا تحزنوا
ايضا على ما اصابكم من الشدايد فى سبيل الله وليكون غمكم بان خالفتم
النبى صلى الله عليه واله فقط تقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن
الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فان
الله تعالى عفو يذهب كل حزن والله خبير بما تعملون فيه ترغيب فى الطاعة
وترهيب عن المعصية ثم ذكر سبحانه ما انعم به عليهم بعد ذلك حين
تراجعوا واقبلوا يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه واله فانزل النعاس
عليهم فى تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الارض وكان المنافقون
لا يستقرون قد طارت عقولهم فقال ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا اى ثم لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب الله لكم ايها المؤمنون
من بعد ما نالكم يوم احد من الغم امنة يعنى امنا نعاسا اى نوما وهو بدل

الاشتمال

الاشتمال عن امنة لان النوم يشتمل على الامن فان الخائف لا ينام ثم بين
سبحانه ان تلك الامنة لم تكن عامة بل كانت لاهل الاخلاص وبقى لاهل
النفاق الخوف والسهر فقال يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين القى عليهم
النوم وكان السبب فى ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع الى القتال فقعد
المسلمون تحت الحجف متهيئين للحرب فانزل الله تعالى الامنة على المؤمنين
فناموا دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بان يرجع الكفار عليهم
او يغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم النوم عن ابن اسحق وابن زيد
وقتادة والربيع وطائفة قد اهمتهم انفسهم اى وجماعة قد شغلتهم
انفسهم وقيل حملتهم على الهم ومنه قول العرب همك ما اهمك ومعناه
كان همهم خلاص انفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل
شغله هم نفسه عن غيره يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية اى يتوهمون
ان الله لا ينصر محمدا واصحابه كظنهم فى الجاهلية وقيل كظن اهل الجاهلية
وهم الكفار المكذبون بوعد الله ووعيده وكان ظن المنافقين كظنهم
وقيل ظنهم بما ذكر بعده من قوله يقولون هل لنا من الامر من شىء فهذا تفسير
لظنهم يعنى يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا
ذلك على سبيل التعجب والانكار اى انطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء اى
ليس لنا من ذلك شىء وقيل ان معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الامر
الينا ما خرجنا عن الحسن وكان هذا القائل عبد الله بن ابى ومعتب بن
قشير واصحابهما عن الزبير بن العوام وابن جريج قل يا محمد ان الامر كله لله
ينصر من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله و
ربما عجل النصر وربما اخره لضرب من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد

بالامر فى الموضعين النضر يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك اى يخفون
فى انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك يقولون لو
كان لنا من الامر اى من الظفر كما وعدنا شئ ما قتلنا ههنا اى ما قتل
اصحابنا شكا منهم فيما وعد الله نبيه صلى الله عليه وآله من الاستعلاء
على اهل الشرك وتكذيبا به قل يا محمد لهم فى جواب ذلك لو كنتم فى بيوتكم
ومنازلكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قيل فيه قولان
احدهما ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون وتخلفتم
عن القتال لخرج الى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين
محتسبين فيقتلون ويقتلون والتقدير لو تخلفتم عن القتال لما تخلف
المؤمنون والثانى ان معناه لو كنتم فى منازلكم لخرج الذين كتب عليهم
القتل اى كتب آجالهم وموتهم وقتلهم فى اللوح المحفوظ فى ذلك الوقت
الى مصارعهم وذلك ان ما علم الله تعالى كونه فانه يكون كما علمه لا محالة
وليس فى ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله
ذلك منهم وكتبه لانه كما علم انهم لا يختارون ذلك علم انهم قادرون
ولو وجب ذلك لوجب ان لا يكون تعالى قادرا على ما علم انه لا يفعله
والقول بذلك كفر وليبتلى الله ما فى صدوركم اى ليختبر الله ما فى صدوركم
باعمالكم لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لان المجازاة انما تقع على ما علمه
مشاهدة لا على ما هو معلوم منه غير معمول عن الزجاج وقيل معناه
ليعاملكم معاملة المبتلين مظاهرة فى العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله
ثم صرفكم عنهم ليبتليكم وليبتلى ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم اى
يخلص وقيل هذا خطاب للمنافقين اى يامركم بالخروج فلا تخرجون فيظهر

للمسلمين

للمسلمين معاداتهم لهم وتنكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم
وقيل معناه وليبتلى اولياء الله ما فى صدوركم كما فى قوله الذين يحادون
الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة نعاسا اى
ليظهر عند هذه الاحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما فى قلوبكم اى
يطهرها من الشك بما يريكم من عجايب صنعه ويخلص نياتكم وهذا
التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين والله عليم بذات الصدور معناه
ان الله لا يبتليكم ليعلم ما فى صدوركم فانه عليم بذلك وانما ابتليكم
ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر
ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد
عفى الله عنهم ان الله غفور حليم آية
ثم ذكر سبحانه الذين
انهزموا يوم احد ايضا فقال ان الذين تولوا منكم اى ان الذين ولوا الدبر
على المشركين باحد منكم ايها المسلمون وسيدهم عن قتادة والربيع وقيل
هم الذين هربوا الى المدينة فى وقت الهزيمة عن السدى يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وسيدهم رسول الله وجمع المشركين ورئيسهم ابو سفيان
انما استزلهم الشيطان اى طلب زلتهم عن القتيبى وقيل ازل واستزل
بمعنى ببعض ما كسبوا من معاصيهم السالفة فلحقهم شومها وقيل
استزلهم بذكر خطايا بمحبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحيوة عن الجبائى
قال وفى ذلك الزجر عما يؤدى الى العقود فيما يلزم من الامور وقيل استزلهم
بذكر خطايا سلفت منهم فكرهوا القتل قيل اخلاص التوبة منها والخروج
من المظلمة فيها عن الزجاج ولقد عفى الله عنهم وعاد سبحانه ذكر العفو
ليدل الطمع للمذنبين فى العفو ومنعا لهم عن اليأس وتحسينا للظنون

المؤمنين ان الله غفور حليم قد مر معناه وذكر ابو القاسم البلخي انه لم يبق مع النبي
يوم احد الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية من الانصار فاما
المهاجرون فعلي وابو بكر وطلحه وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن ابي وقاص
وقد اختلف في الجميع الا في علي عليه السلام وطلحه وقد روي عن عمر ابن الخطاب
انه قال ورايتني اصعد في الجبل كاني اروى ولم يرجع عثمان من الهزيمة الا
بعد ثلث فقال له النبي صلى الله عليه واله لقد ذهبت فيها عريضة اي واسعة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ
مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ثلث ايات

قرا ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء و
قرا نافع واهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر ووافقهم حفص في سائر المواضع
الا ههنا وقرا الباقون بضم الميم وقرا مما يجمعون بالياء حفص عن عاصم
والباقون يجمعون بالتاء قال ابو علي حجة من قرا بالتاء قوله ولا تكونوا
كالذين كفروا وحجة من قرا بالياء ان قبلها ايضا غيبة وهو قوله وقالوا
لاخوانهم وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والاشهر الافشى في متم ضم الميم
والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ فضل يفضل في الصحيح وانشدوا وذكرت
ابن عباس بباب ابن عامر وما مر من عمري ذكرت وما فضل واما يجمعون
بالتاء فالمعنى على تجمعون يا ايها المقتولون في سبيل الله او المائتون ومعنى
الياء انه لمغفرة من الله خير مما يجمعه غيركم الضرب في الارض السير فيها

واصله

واصله الضرب باليد وقيل هو الايغال في السير وغزى جمع غازي نحو ضارب
ضرب وطالب وطلب قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض
وضع اذا موضع اذ لاحد امرين اما لانه متصل بلا تكونوا كهؤلاء اذا ضرب
اخوانهم في الارض واما لان الذي اذا كان مبهما غير موقت يجري مجرى ما في
الجزاء فيقع الماضي فيه موقع المستقبل نحو ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله ومعناه يكفرون ويصدون ويجوز لاكرمن الذي اكرمك
اذا اردته لابهام الذي ولا يجوز لاكرمن هذا الذي اكرمك اذا اردته لتوقيت
الذي من اجل الاشارة اليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك حسرة اللام فيه
يتعلق بلا تكونوا اي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم فيكون
لام العاقبة عن ابي علي وقوله لئن متم يحتمل امرين احدهما ان يكون قتلتم
استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير
وقد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج الى جواب وكان جواب القسم
اولى بالذكر لان له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله ولئن متم يحتمل
امرين احدهما ان يكون خلفا من القسم وتكون اللام في قوله لالى الله جوابا
كقولك والله ان متم او قتلتم لتحشرون الى الله والثاني ان تكون موكدة
لما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها وتكون الثانية جوابا القسم محذوف و
النون لا بد منها في فعل المضارع مع لام القسم لان القسم احق بالتاكيد
من كل ما يدخله النون من جهة ان ذكر القسم دليل على انه من مواضع التاكيد
فاذا جازت في غيره من الامر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما
لزمت في القسم لانه احق من غيره والفرق بين القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء

يصرف الاسم اليه فلا يعمل اللام فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت
ان زيدا ليقوم وليس كذلك لام القسم لانها لا تدخل على الاسم ولا يكرها لها
انحو قد علمت ان زيدا ليقومن وتلزمها النون فى المستقبل ثم نهى الله
المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين فى افعالهم واقوالهم فقال يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يريد عبد الله بن ابى سلول واصحابه من المنافقين
عن السدى ومجاهد وقيل هو عام وقالوا لاخوانهم من اهل النفاق اذا ضربوا
فى الارض اى سافروا فيها للتجارة او طلب معاش فماتوا عن السدى وابن
اسحق وانما خص الارض بالذكر لان اكثر اسفارهم كان فى البر وقيل
اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله سبحانه سرابيل تقيكم الحر وقيل لان الارض
تشتمل على البر والبحر او كانوا غزى اى غزاة محاربين للعدو فقتلوا لو كانوا
مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم معناه
قالوا هذا القتل ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك
وخرجوا ونالوا العز والغنيمة فصار حسرة فى قلوبهم فاللام على هذا فى
ليجعل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار فى هذه المقالة
لكى يجعل تلك المقالة سببا لالزام الحسرة والحزن قلوبهم لما يحصل لهم
من الخيبة فيما املوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة
والله يحيى ويميت اى هو الذى يحيى ويميت فى السفر والحضر عند حضور
الاجل ولا مؤخر لما تقدم ولا مقدم لما تاخر ولا راد لما قضى ولا محيص عما
قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف فى الجهاد وخشية القتل فان
الاحياء والاماتة بالله سبحانه فلا حيوة لمن قدر الله موته ولا موت
لمن قدر الله حيوته والله بما تعملون بصير اى مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن

الترغيب فى الطاعة والترهيب عن المعصية ثم حث سبحانه على الجهاد
او متم قاصدين لمجاهدة الكفار استوجبتم مغفرة الله ورحمته والمغفرة
الصفح عن الذنوب والرحمة الثواب والجنة وهما خير مما يجمعون
من الاموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المسلمين وتسليتهم عما
اصابهم فى سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم
ثم قال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اى سواء متم او قتلتم فان
مرجعكم الى الله تعالى فيجزى كلا منكم كما يستحق المحسن على احسانه والمسئ
على اساءته فاثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضاه من العمل بطاعته
والجهاد فى سبيله ولا تركنوا الى الدنيا وفى هذا المعنى البيت ينسب الى
الحسين عليه السلام فان تكن الابدان للموت انشات فقتل امر
بالسيف والله افضل ان قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته
وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينهما ولا يقول احد الدرة خير من
البعرة فجوابه ان الناس يؤثرون الدنيا على الاخرة حتى انهم يتركون
الجهاد فى سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا والمقام فيها فعلى
هذا جاز ذلك فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين اية الفظ الغليظ الجافى القاسى القلب يقال منه
فظظت تفظ فظاظة وانت فظ على وزن فعل الا انه ادغم كصب
والفظاظة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه
على الطباع فان اصل الفظاظة الجفوة والفظ ماء الكرش والغض بالضاد

تفرّق الشیء والانقطاص انقضاض التفرّق وشاورت مشاورة و (والانبساط)
شوارًا والاسم المشورة وقیل المشورة وفلان حسن السورة والصورة
ای الهیئة واللباس وانه لصیّر وشیّر وهو حسن الشارة ومعنی قولهم
شاورت فلانًا اظهرت فی الرای ما عندی وما عنده وشرت الدابة اشورها
اذا امتحنتها فعرفت هیآتها فی السیر وشرت العسل واشرته اذا اخذته من
مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الاعشی کان القرنفل والزنجبیل
باتا بفیها واریا مشورا وقال عدی بن زید وغناء یاذن الشیخ له وحدیث
مثل ماذی مشار والعزم عقد القلب علی الشیء یرید ان یفعله والعزیمة
کذلک قال ابن درید یقال عزمت علیک بمعنی اقسمت علیک والتوکل
اظهار العجز والاعتماد علی الغیر والتوکل علی الله هو تفویض الامر الیه والثقة بحسن
واصله الاتکال وهو الاکتفا فی فعل ما یحتاج الیه بمن یستند الیه ومنه الوکالة
لانها عقد علی الکفایة بالنیابة والوکیل هو للمتوکل علیه بتفویض الامر الیه
فبما رحمة ما زایدة باجماع المفسرین ومثله عما قلیل جاءت ما موکدة للکلام
ودخولها لحسن النظم کدخولها لاتزان الشعر فی نحو قول عنتره یاشاة ما قنص
لمن حلت له حرمت علیّ ولیتها لم تحرم وقول الفرزدق یا ذئب انک ان
نجوت فبعد ما یاس وقد نظرت الیک شعوب وذلک لیتمکن المعنی فی النفس
فیجری مجری التکریر ثم بیّن سبحانه ان مساهلة النبی صلی الله علیه واله
ایاهم وتجاوزه عنهم من رحمته سبحانه حیث جعله لین العطف حسن
الخلق فقال فبما رحمة ای برحمة من الله لنت لهم ومعناه ان لینک لهم مما
یوجب دخولهم فی الدین لانک تاتیهم مع سماحة اخلاقک وکرم سجیتک
بالحجج والبراهین ولو کنت یا محمد فظا ای جافیا سیّئ الخلق غلیظ القلب

قاسی

قاسی الفؤاد غیر ذی رحمة ولا رافة لانفضوا من حولک ای لتفرق
اصحابک عنک ونفروا منک وقیل الفظاظة الجفوة والغلظة وان
کانا متقاربین لان الفظاظة فی الکلام فنفی الجفاء عن لسانه والقسوة عن
قلبه فاعف عنهم ما بینک وبینهم واستغفر لهم ما بینهم وبینی وقیل
معناه فاعف عنهم فرارهم باحد واستغفر لهم من ذلک الذنب وشاورهم
فی الامر ای استخرج اراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا فی فایدة مشاورته
اياهم مع استغنائه بالوحی عن تعرّف صواب الرای من العباد علی اقوال
احدها ان ذلک علی وجه التطیب لنفوسهم والتالف لهم والرفع من
اقدارهم لیبیّن انهم ممن یوثق باقوالهم ویرجع الی رایهم عن قتادة
والربیع وابن اسحق وثانیها ان ذلک لیقتدی به امته فی المشاورة ولا
یروها نقیصة کما مدحوا بان امرهم شوری بینهم عن سفیان بن عیینه و
ثالثها ان ذلک الامرین لاجلال اصحابه ولیقتدی به امته فی ذلک عن الحسن
والضحاک ورابعها ان ذلک لیمتحنهم بالمشاورة فیتمیز الناصح من الغاش
وخامسها ان ذلک فی امور الدنیا ومکایدة الحرب ولقاء العدو وفی مثل
ذلک یجوز ان یستعین بارائهم عن ابی علی الجبائی فاذا عزمت بالضم
بعلیهن ای فاذا عقدت قلبک علی الفعل وامضائه ورووا عن جعفر بن
محمد علیه السلام وعن جابر بن زید فاذا عزمت بالضم فعلی هذا یکون معناه
فاذا عزمت لک ووفقتک وارشدتک فتوکل علی الله تعالی ای فاعتمد
علی الله تعالی وثق به وفوض امرک الیه ان الله یحب المتوکلین یعنی الواثقین
به والمعتمدین علیه والمنقطعین الیه الواکلین امورهم الی لطفه وتدبیره
وفی هذه الایة دلالة علی اختصاص نبینا صلی الله علیه واله بمکارم الاخلاق

ومحاسن الافعال ومن عجب امره صلى الله عليه واله انه كان اجمع الناس
لدواعي الترفع ثم كان ادناهم الى التواضع وذلك انه صلى الله عليه واله
كان اوسط الناس نسبا واوفرهم حسبا واسخاهم واشجعهم وازكاهم
وافصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع وكان من تواضعه انه كان
يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة
المملوك ويجلس على الارض وياكل على الارض وكان يدعو الى الله من غير
ذي ولا كهر ولا زجر ولقد احسن من مدحه في قوله فما حملت من ناقة فوق
ظهرها ابر واوفى ذمة من محمد وفي الاية ترغيب للمومنين في العفو عن المسيء
وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضا
فيما يعرض لهم من الامور ونهيهم عن الفظاظة في القول والغلظة والجفاء
في الفعل ودعاهم الى التوكل عليه وتفويض الامور اليه وفيها ايضا دلالة على
ما نقول في اللطف لانه سبحانه نبه على انه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع
ولو لم يكن كذلك لما اجابوه فبين ان الامور المنفرة منفية عنه وعن
ساير الانبياء ومن يجري مجراهم في انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم
ايضا عن الكباير لان التنفير في ذلك اكثر ان ينصركم الله
فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المومنون اية لما امر الله سبحانه نبيه بالتوكل بين معنى
وجوب التوكل عليه فقال ان ينصركم الله على من ناواكم فلا غالب لكم
اي فلا يقدر احد على غلبتكم وان كثر عددهم وقل عددكم وان
يخذلكم اي يمنعكم معونته ويخل بينكم وبين اعدائكم لمعصيتكم اياه
فمن ذا الذي ينصركم من بعده الهاء عايدة الى اسم الله على الظاهر والمعنى على

حذف المضاف من بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله
اياكم ومن هنا معناه التقرير بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه وكان
ابلغ لتقرير المخاطب فيه وعلى الله فليتوكل المومنون ظاهر المراد وتضمنت الاية الترغيب
في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان
مع ايجاب التوكل عليه الذي يومن معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا قال
ابو علي الجبائي وفي الاية دلالة على ان من غلبه اعداء الله من الباغين لم ينصره
الله لانه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد
مع تعريض المومنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من
حيث لم يحصل على ايمان من غلبه الفساد وهذا انما هو في النصر بالغلبة فاما
النصر بالحجة فان الله تعالى نصر المومنين من حيث هداهم الى طريق الحق بما
نصب لهم من الادلة الواضحة والبراهين الساطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف
وقال ابو القاسم البلخي المومنون منصورون ابدا ان غلبوا فهم المنصورون
بالغلبة وان غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على
وجه وقال الجبائي النصرة بالغلبة ثواب لانه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين
من حيث لا يريد استعلاهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس بثواب
كيف تصرفت الحال لان الله تعالى قد امرنا ان ننصر الفئة المبغي عليها وقد
لا يكون مستحقة للثواب فاما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان
هو الامتناع من المعونة على العدو في وقت الحاجة اليها لانه لو امتنع انسان
من معونة من يستغني عن معونته لم يكن خاذلا له وما كان
لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل
نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اية قرا ابن كثير وابو عمرو

وعاصم ان يغل بفتح اليا وضم الغين وقرا الباقون بضم اليا وفتح الغين
من قرا يغل فمعنا ه يخون يقال غل في الغنيمة اذا خان فيها و
اغل بمعناه وقال النمر بن تولب جزا الله عنا حمزة ابن نوفل جزا مغل بالامانة
كاذب بما سالت عني الوشاة ليكذبوا علي وقد اوليتها في النوايب
ومن قرا يغل فمعناه على وجهين احدهما ما كان لنبي ان يخون اي ينسب
الى الخيانة اي يقال له غللت كقولك اسقيته اي قلت له سقاك الله تعالى
قال ذو الرمة واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وقال
الكميت وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالت مسيي ومذنب اي
نسبتني الى الكفر والاخر ما كان لنبي ان يخان بمعنى يسرق منه ويوخذ
من الغنيمة التي حازها ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب وقال
ابو علي الفسوي الحجة لمن قرا يغل ان ما جا في التنزيل من هذا النحو اسند
الفعل فيه الى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله وما كان لياخذ اخاه
وما كان الله ليضل قوما وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وما
كان ليطلعكم على الغيب ولا يكاد يقال ما كان لزيد ان يضرب وما كان
ليضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول به فكذلك قوله وما كان لنبي ان
يغل يسند الفعل فيه الى الفاعل وروي عن ابن عباس انه قرا يغل فقيل له
ان عبد الله قرا يغل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروي عن ابن
عباس ايضا انه قال قد كان النبي يقتل فكيف لا يخون واصل الغلول
من الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في اصول الشجر و
الغلول الخيانة لانها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل
كالغلل ومنه الغل الحقد لانه يجري في النفس كالغلل ومنه الغليل حرارة

العطش والغلة كانها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لانها
تغل تحت البدن روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت
في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي اخذها وفي
رواية الضحاك عنه ان رجلا غل بمخيط اي بابرة من غنايم هوازن يوم
حنين فنزلت الاية وعن مقاتل انها نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة
المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيا فهو له
ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنايم فقال صلى الله عليه وآله
اظننتم انا نغل ولا نقسم لكم فانزل الله تعالى الاية وقيل انه قسم المغنم ولم
يقسم للطلايع فلما قدمت الطلايع قالوا قسم الفي ولم يقسم لنا فعرفه الله
تعالى الحكم فيه ونزلت الاية وقيل نزلت في اداء الوحي كان صلى الله عليه و
آله يقرا القران وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسالوه ان يطوي ذلك
فانزل الله الاية لما قدم سبحانه امر الجهاد ذكر بعده ما يتعلق به من حديث
الغنايم والنهي عن الخيانة فيها فقال وما كان لنبي ان يغل وتقديره ما كان
لنبي الغلول لان ان مع الفعل بمعنى المصدر اي لا يجتمع النبوة والخيانة
وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيا من الوحي عن ابن اسحق وتقديره
ما كان له ان يغل امته فيما يوديه اليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما
كان النبي ليغل كقوله ما كان الله ان يتخذ من ولد ومعناه ما كان الله
ليتخذ ولدا وعلى القراة الاخرى ما كان لنبي ان يخون اي ان يخونه اصحابه
او بمعنى يكتمونه شيا من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه صلى الله
عليه وآله بالذكر وان كان لا يجوز ان يغل غيره من امام او امير للمسلمين
لوجهين احدهما لعظم خيانته وانها اعظم من خيانة غيره وهذا كقوله

فاجتنبوا الرجس من الاوثان وان كان اجتناب جميع الارجاس واجبا
والاخوان النبى انما خص بالذكر لانه القايم بامر الغنايم فاذا حرمت الخيانة
عليه وهو صاحب الامر فحرمتها على غيره اولى واجدر وقوله ومن يغلل يات
بما غل يوم القيمة معناه انه يأتى به حاملا على ظهره كما روى فى خبر طويل الا
لا اعرفن احدكم يأتى ببعير له رغاء يوم القيمة على ظهره الا لا اعرفن احدكم بفرس
فياتى به على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد يا محمد فاقول قد بلغت قد بلغت لا املك
لك من الله شيئا عن ابن عباس وابى حميد الساعدى وابن عمر وقتادة وقال
الجبائى وذلك ليفضح به على رؤس الاشهاد وقال البلخى يجوز ان يكون
ما تضمنه الخبر على وجه المثل كان الله تعالى اذا فضحه يوم القيمة جرى
ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت وقد روى فى خبر اخر ان النبى
صلى الله عليه وآله كان يامر مناديا فينادى فى الناس ردوا الخيط والمخيط
فان الغلول عار وشنار يوم القيمة فجاء رجل بكبة من شعر وقال انى اخذتها
لاخيط برذعة بعير لى فقال النبى صلى الله عليه وآله اما نصيبى منها فهو
لك فقال الرجل اما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا حاجة لى فيها فالاولى
ان يكون معناه ومن يغلل يواف بما غل يوم القيمة فيكون حمله غلوله
على عنقه امارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى فى كل من وافى القيمة
بمعصية لم يتب منها فاراد الله سبحانه ان يعامله بالعدل يظهر عليه
من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه اهل القيمة بها ويعلموا سبب
استحقاقه العقوبة كما قال سبحانه فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا
جان وهكذا حكمه سبحانه فى كل من وافى القيمة بطاعة فانه سبحانه
يظهر من طاعته علامة يعرف بها ثم توفى كل نفس ما كسبت اى تعطى

كل

كل نفس جزاء ما عملت تاما وافيا وهم لا يظلمون اى لا ينقص احد عن مقدار
ما استحقه من الثواب ولا يزاد احد عن مقدار ما استحقه من العقاب و
هم لا يظلمون سبق معناه وفى هذه الاية دلالة على فساد قول المجبرة ان
الله تعالى لو عذب اولياءه لم يكن ذلك ظلما منه لانه قد بين انه لو لم يوفها
ما كسبت لكان ظلما أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ
مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ اللغة باء اى رجع يقال باء بذنبه يبوء بوءا
اذا رجع به وبوأته منزلا اى هيأته له لانه يرجع اليه والسخط من الله هو
ارادة العقاب لمستحقه ولعنه وهو مخالف الغيظ لان الغيظ هو هيجان الطبع
وانزعاج النفس فلا يجوز اطلاقه على الله تعالى والمصير المرجع ويفرق بينهما
بان المرجع هو انقلاب الشىء الى حال قد كان عليها والمصير انقلاب
الشىء الى خلاف الحال التى هو عليها نحو مصير الطين خزفا ولا يقال رجع الطين
خزفا لانه لم يكن قبل خزفا والدرجة الرتبة والدرجان مشى الصبى لتقارب
الرتب والترقى فى العلم درجة بعد درجة اى منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة
النزول لما امر رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج الى احد قعد عنه جماعة
من المنافقين واتبعه المؤمنون فانزل الله هذه الاية المعنى لما بين سبحانه
ان كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسب الخير
والشر فقال افمن اتبع رضوان الله وفيه اقوال احدها ان معناه افمن اتبع
رضوان الله فى العمل بطاعة كمن باء بسخط منه فى العمل بمعصيته عن ابن
اسحق وثانيها افمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله
فى فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبرى لانه اشبه بما تقدم

وثالثها افمن اتبع رضوان الله بالجهاد فى سبيله كمن باء بسخط من الله
فى الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائى وهذا الوجه يطابق ما سبق
ذكره من سبب النزول ومأويه جهنم اى مصيره ومرجعه جهنم وبئس المصير
اى المكان الذى صار اليه وللمستقر والاية استفهام والمراد به التقرير و
الفرق بين الفريقين اى ليس من اتبع رضوان الله اى رضاء الله كمن باء
بسخط هم درجات اى هم ذو درجات عند الله فالمؤمنون ذو درجة رفيعة
والكافرون ذو دركة خسيسة وقيل فى معناه قولان احدهما ان المراد اختلاف
مرتبتى اهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعم والكرامة ولاولئك
من العقاب والمهانة وعبر عن ذلك بدرجات مجازا وتوسعا والثانى
ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فان الجنة درجات بعضها اعلى
من بعض كما جاء فى الخبر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى النجوم فى افق
السماء والنار دركات بعضها اسفل من بعض ومثله فى حذف المضاف قول
ابن هرمة انشده سيبويه انصب للمنية تعتريهم رجالى ام هم درج السيول
اى هم ذو درج والله بصير بما تعملون اى عليم وفى هذا ترغيب للناس فى اتباع
مرضات الله تعالى وتحذير هم عما يوجب سخطه واعلام بان اسرار العباد
عنده علانية وفيه توثيق بانه لا يضيع عمل عامل لديه اذ لا يخفى شئ من ذلك
عليه فيثبت على الطاعة ويعاقب على المعصية   لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين الله
اصل المن القطع يقال منه يمنه اذا قطعه والمن النعمة لانه يقطع
بها عن البلية يقال من فلان على بكذا اى استنقذنى به فيما انه فيه والمن

تكدير النعمة لانه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنة القوة لانه يقطع بها
الاعمال   ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثة نبينا صلى الله عليه واله
فقال ولقد من الله اى انعم على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا خص المؤمنين
بالذكر وان كان صلى الله عليه واله مبعوثا الى جميع الخلق لان النعمة عليهم اعظم
لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى
للمتقين وقوله من انفسهم فيه اقوال احدها ان المراد به من رهطهم يعرفون
منشاه وصدقه وامانته وكونه اميا لم يكتب كتابا ولم يقراه ليعلموا ان ما
ياتى به وحى منزل ويكون ذلك شرفا لهم وداعيا اياهم الى الايمان وثانيها
ان المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا
بالعرب وثالثها انه عام لجميع المؤمنين والمراد بانفسهم انه من جنسهم لم
يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث فيهم من عرفوا امره وخبروا
شانه وقوله يتلوا عليهم اياته يعنى القران ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
مضى بيانه فى سورة البقرة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين يعنى انهم كانوا
فى ضلال مبين اى ظاهر اى كفار وكفرهم هو ضلال لهم فانقذهم الله بالنبى
واله   اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم
انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شئ قدير اللغة
انما دخلت الواو فى اولما لعطف جملة على جملة الا انه تقدمها
الف الاستفهام لان له صدر الكلام وانما وصلت هذه الواو الكلام الثانى
بالاول ليدل على تعلقه به فى المعنى وذلك انها وصلت التقريع على الخطيئة
بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة   ثم عاد الكلام الى ذكر الجهاد فقال او
لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها اى حين اصابكم القتل والجرح وذلك
ما اصاب للمسلمين يوم احد فانه قتل منهم سبعون رجلا وكانوا هم اصابوا

من المشركين يوم بدر مثليها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين واسروا
سبعين عن قتاده وعكرمه والربيع والسدى اى قد اصبتم ايها المسلمون
يوم بدر مثليها وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وباحد سبعين عن الزجاج
وهذا ضعيف لانه خلاف ما ذكره اهل السير فانه لا خلاف بينهم انه
قتل منهم باحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور قلتم انى هذا اى ومن اى وجه
اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله صلى الله عليه وآله وينزل علينا
الوحى وهم مشركون وقيل انهم انما استنكروا ذلك لانه وعدهم بالنصر
من الله ان اطاعوا عن الجبائى وقوله قل هو من عند انفسكم اى قل يا محمد
ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند انفسكم اى بخلافكم امره و
ترككم طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وفيه اقوال احدها ان ذلك بمخالفتهم
الرسول صلى الله عليه وآله فى الخروج من المدينة للقتال يوم احد وكان النبى
صلى الله عليه وآله دعاهم الى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى ان يقصدوهم
فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك فى الجاهلية ونحن الآن فى الاسلام وانت يا
رسول الله بيننا احق بالامتناع واعز عن قتاده والربيع وثانيها ان ذلك
باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط
عليهم انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم فى القابل بعدتهم فقالوا رضينا
فانا ناخذ الفداء وننتفع به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن على عليه
السلام وعبيدة السلمانى وهو المروى عن الباقر وثالثها ان ذلك بخلاف
الرماة يوم احد لما امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله به من ملازمة
مراكزهم ان الله على كل شىء قدير اى فهو قادر على نصركم فيما بعد وان لم
ينصركم فى الحال لمخالفتكم   وما اصابكم يوم التقى الجمعان
فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم

تعالوا

تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس
فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون   ابان   الفاء انما دخلت
فى قوله فباذن الله لان خبر ما الذى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء لانه
معلق بالفعل فى الصلة كتعليقه بالفعل فى الشرط كقولك الذى قام من اجل
انه كريم اى لاجل قيامه صح انه كريم ومن اجل كرمه قام   وما اصابكم ايها
المؤمنون يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يعنى يوم احد من النكبة
بقتل من قتل منكم فباذن الله اى بعلم الله ومنه قوله واذان من الله اى اعلام
وقيل بتخلية بينكم وبينهم التى تقوم مقام الاطلاق فى الفعل برفع الموانع و
التمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فان الله تعالى
جعل لكل ذنب عقوبة فكان ذلك عقوبة لهم من الله على ترك امر رسول الله
ولا يجوز ان يكون المراد بالاذن الاباحة والاطلاق كما يقتضيه ظاهر اللفظ لان
الله تعالى لا يبيح المعاصى ولا يطلقها وقتل الكافر للمسلم من اعظم المعاصى فكيف
ياذن فيه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا معناه وليتميز المؤمنين
من المنافقين لان الله سبحانه عالم بالاشياء قبل كونها فلا يجوز ان يعلم
عند ذلك ما لم يكن عالما به الا انه اجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا اى
ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق وقيل لهم اى للمنافقين تعالوا قاتلوا فى
سبيل الله قالوا ان عبد الله بن ابى والمنافقين معه من اصحابه انخزلوا
يوم احد بنحو من ثلثمائة رجل وقالوا علام نقتل انفسنا وقال لهم عبد الله
بن عمرو بن حرام الانصارى تعالوا قاتلوا فى سبيل الله واتقوا الله ولا تخذلوا
نبيكم وادفعوا عن حريمكم وانفسكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله وقيل معناه

او قيموا معنا وكثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود
في الجهاد وبمنزلة القتال قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني قال المنافقون
لو علمنا قتالا لقاتلناهم قالوا ذلك ابلاء لعذرهم في ترك القتال والرجوع
الى المدينة فقال لهم ابعدكم الله يعني عنكم وقيل انما القايل لذلك رسول
الله صلى الله عليه واله يدعوهم الى القتال عن الاصم هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان يعني باظهارهم هذا القول صاروا اقرب الى الكفر اذ كانوا قبل
ذلك في ظاهر احوالهم اقرب الى الايمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم
ما لم يعلموه واللام بمعنى الى يعني هم الى الكفر اقرب منهم الى الايمان كقوله
سبحانه الحمد لله الذي هدانا لهذا اى الى هذا يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم ذكر الافواه تاكيد لان القول قد يضاف اليها وقيل انما ذكر الافواه
فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم
واضمارهم انه لو كان قتال لم تقاتلوا معهم ولم ينصروا النبي وقيل معناه
يقولون بافواههم من التقرب الى الرسول والايمان ما ليس في قلوبهم فان
في قلوبهم الكفر والله اعلم بما يكتمون اى بما يضمرونه من النفاق والشرك

الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا
قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اية الدرا
الدفع يقال درا عنه اى دفع عنه قال تقول اذا درات لها وضيني اهذا دينه
ابدا وديني موضع الذين يحتمل ان يكون رفعا على خبر الابتداء على تقدير هم
الذين قالوا الذين قالوا يعني المنافقين لاخوانهم في النسب لا في الدين
يعني عبد الله بن ابي واصحابه قالوا في قتلى احد وقعودهم يعني هولاء
القائلون عن قتادة وجابر والسدي والربيع لو اطاعونا في القعود في البيت

وترك الخروج الى القتال ما قتلوا قل لهم يا محمد فادرءوا اى فادفعوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لانه يجوز ان
يدخل عليهم العدو فيقتلونهم في قعر بيوتكم وانما الزمهم الله دفع الموت عن
انفسهم بمقالتهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لان من علم الغيب في السلامة
من القتل يجب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغي ان يدفعه هذا
القايل فانه اجدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان ان كل احد يموت
باجله فلا ينبغي ان يجعل ذلك عذرا في القعود عن الجهاد لان المجاهد
ربما يسلم والقاعد ربما يموت فيجب ان يكون على الله سبحانه التكلان

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
ثلث ايات يرزقون اية ويحزنون اية قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد
والباقون بالتخفيف وقرا الكسائي وحده وان الله لا يضيع بكسر الالف
والباقون بالفتح من قرا قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح
للقليل والكثير تقول قتلت القوم فيصلح للكثرة كما تقول ضربت زيدا
ضربة فيصلح للقلة ووجه التثقيل ان المقتولين كثير وفعل يختص به الكثير
دون القليل ووجه الفتح في ان ان المعنى ويستبشرون بان الله لا يضيع
اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير نقص وبخس ووجه
الكسر على الاستيناف اصل البشارة من البشرة لظهور السرور
فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طلب السرور في البشارة فوجده

ولحقت الشيء والحقته غيرى وقيل لحقت والحقت لغتان بمعنى واحد وجاء
فى الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء اى لاحق والنعمة هى المنفعة التى يستحق
بها الشكر اذا كانت خالية من وجوه القبح لان المنفعة على ضربين احدهما
منفعة اغترار وحيلة والاخر منفعة خالصة من شايبة الاساءة والنعمة
تعظم بعظم قدر المنعم كنعمة النبى صلى الله عليه واله على من دعاه الى الاسلام
فاستجاب له لان دعاءه انفع من وجهين احدهما حسن النية فى دعايه الى الحق
ليستجيب له والاخر قصده الدعاء الى الحق بعلمه انه يستجيب له المدعو وانما يستدل
بفعل غير المنعم على موضع النعمة فى الجلالة وعظم المنزلة   احياء وقع لانه
خبر مبتدا محذوف اى بل هم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ولا يجوز النصب فيه بحال
لانه يصير التقدير بل احسبهم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون فى موضع
رفع صفة الاحياء وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو اولى من رفعه
على بل احياء لان النصب ينبئ من اجتماع الرزق والفرح فى حالة واحدة ولو رفع
على الاستيناف لكان جايزا وقال الخليل موضع ان لا خوف عليهم جر بالباء
على تقدير بان لا خوف عليهم وقال غيره موضعه نصب على انه لما حذف حرف
الجر وصل الفعل اليه فنصبه كما قيل امرتك الخير اى بالخير وقيل موضع ان
لا خوف عليهم جر على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتمال
مثل قوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه   قيل نزلت فى شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقيل
نزلت فى شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن
عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش و
سايرهم من الانصار عن ابن مسعود وقتادة والربيع وقال الباقر عليه السلم

وكثير

وكثير من المفسرين انها نزلت فى قتلى بدر واحد معا وقيل نزلت فى شهداء بئر
معونة وكان سبب ذلك على ما رواه محمد بن اسحق بن يسار باسناده عن انس
بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة
وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه واله المدينة واهدى
له هدية فابى رسول الله ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك
فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك وقرا عليه القران فلم يسلم ولم يبعد
وقال يا محمد ان امرك هذا الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من
اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول
الله صلى الله عليه واله انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا جار لهم فابعثهم
فليدعوا الناس الى امرك رجوت فبعث رسول الله المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة
فى سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان
وعروة بن اسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن
فهيرة مولى ابى بكر وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر
من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا فقال بعضهم لبعض ايكم يبلغ
رسالة رسول الله صلى الله عليه واله اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا
فخرج بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر فى كتاب
رسول الله فقال حرام يا اهل بئر معونة انى رسول رسول الله اليكم وانى اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل
من كسر البيت برمح فضربه به فى جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر
فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا
ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا

فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلاً وذكوان فاجابوه الى
ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيف
فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق
فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم
عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم
ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم حول العسكر فقالوا والله
ان لهذا الطير لشأناً فاقبلا لينظرا اليه فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل
التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال
نرى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره الخبر وقال الانصاري
لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل
القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية اسيراً فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه
عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه
فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وآله واخبره الخبر فقال
رسول الله هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً فبلغ ذلك ابا براء
فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن
ثابت يحرض ابا براء على عامر بن الطفيل   بني ام البنين الم يرعكم وانتم
من ذوائب اهل نجد   تهكم عامر بابي براء   ليخفره وما خطأ كعمد   الا
ابلغ ربيعة ذا المساعي   فما احدثت في الحدثان بعدي   ابوك ابو الحروب
ابو براء   وخالك ماجد حكم بن سعد   وقال كعب بن مالك ابن سعد
لقد طارت شعاعاً كل وجه   حفادة ما اجار ابو براء   بني ام البنين اما
سمعتم   دعاء المستغيث مع المساء   وتنويه الصريخ بلى ولكن   عرفتم انه

صدق

صدق اللقاء   فلما بلغ ربيعة ابن ابي البراء قول حسان وقول كعب بن
حمل على عامر ابن الطفيل وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابي براء ان مت فدمي
لعمي ولا يتبعن سواي وان اعش فارى فيه رايي قال فانزل الله في شهداء
بئر معونة قرآناً بلغوا قومنا عنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم
نسخت ورفعت بعد ما قرأناها وانزل الله عز وجل ولا تحسبن الخ
لما حكى الله سبحانه قول المنافقين في المقتولين الشهداء تثبيطاً للمؤمنين
عن جهاد الاعداء ذكر بعده ما اعد الله للشهداء من الكرامة وخصهم به
من النعيم في دار المقامة فقال ولا تحسبن والخطاب للنبي صلى الله عليه
وآله او يكون على معنى لا تحسبن ايها السامع او ايها الانسان الذين قتلوا
في سبيل الله اي في الجهاد بل احياء اي بل هم احياء وقد مر تفسيره في سورة
البقرة عند قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله وقوله عند ربهم فيه وجهان
احدهما انهم بحيث لا يملك لهم احد نفعاً ولا ضراً الا ربهم وليس المراد
بذلك قرب المسافة لان ذلك من صفة الاجسام وذلك يستحيل عليه
سبحانه والآخر انهم عند ربهم فيه وجهان احدهما انهم بحيث احياء
حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابي علي الجبائي وروي عن ابن عباس
وابن مسعود وجابر ان النبي صلى الله عليه وآله قال لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة و
تاكل من ثمارها وروي عنه انه قال لجعفر بن ابي طالب وقد استشهد في غزاة
مؤتة رايته له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وانكر بعضهم حديث
الارواح وقال ان الروح عرض لا يجوز ان تتنعم وهذا لا يصح لان الروح
جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح ويدل على ذلك انه يخرج من البدن

اليه

ويرد عليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن وليست من الحيات في شي

لان ضد الحيوة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى يرزقون

من نعيم الجنة غدوا وعشيا وقيل يرزقون النعيم في قبورهم فرحين بما اتيهم

الله من فضله اي مسرورين بما اتيهم الله من ضروب نعمه في الجنة وقيل في

قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها ويستبشرون

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي يسرون باخوانهم الذين فارقوهم

وهم احياء في الدنيا على مناهجهم من الايمان والجهاد لعلمهم بانهم ان استشهدوا

لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى الى مثل ما صاروا هم اليه يقولون

اخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما اصبنا عن ابن

جريج وقتادة وقيل انه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليهم من اخوانه

فيسر بذلك ويستبشر كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا عن السدي

وقيل معناه لم يلحقوا بهم في الفضل الا ان لهم فضلا عظيما بتصديقهم

وايمانهم عن الزجاج ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي يستبشرون

بان لا خوف عليهم وذلك لانه بدل من قوله الذين لم يلحقوا بهم لان

الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار ههنا انما

يقع لعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه

من ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من اموالهم لان الله

قد اجزل ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لان الله

سبحانه محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا

بالاخرة يستبشرون يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذين وصفهم

بانهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله بنعمة من الله وفضل العفضل

والنعمة

والنعمة عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد وقيل في تكراره قولان احدهما ان

المراد انها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة فالنعمة

بما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم به سبحانه من المضاعفة في الاجر

والاخر انه للتاكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة وان الله لا يضيع اجر

المومنين اي يوفر جزاءهم وانما ذكر ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لانهم

يعلمونه بعد الموت ضرورة وانما يعلم ذلك في دار التكليف استدلالا

وليس الاستدلال كالمشاهدة ولا الخبر كالعيان فان مع الضرورة والعيان

يتضاعف سرورهم ويشتد اغتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق

وان الله لا يبطله البتة وان الاثابة لا تكون الا من قبله سبحانه ولذلك

اضاف نفي الاضاعة الى نفسه وما روي من الاخبار في ثواب الشهداء

اكثر من ان يحصى و... ويحضهم على الجهاد اذ قام اليه شاب فقال يا امير المومنين

اخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال عليه السلم كنت رديف رسول الله

صلى الله عليه واله على ناقته العضباء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل

فسالته عما سالتني عنه فقال صلى الله عليه واله ان الغزاة اذا هموا بالغزو كتب الله

لهم براءة من النار فاذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة فاذا ودعهم

اهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج

الحية من سلخها ويوكل الله عز وجل بكل رجل منهم اربعين ملكا يحفظونه

من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة الا ضعفت

له ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الله الف سنة كل سنة

ثلثمائة وستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا واذا صاروا بحضرة عدوهم

انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله اياهم فاذا برزوا لعدوهم واشرعت

(في الهامش: اعلاها اسنادا ما رواه علي بن موسى الرضا عن ابائه عن علي بن الحسين عليه السلام قال بينا امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام يخطب الناس ويحضهم)

الاسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل الى الرجل حفتهم الملائكة باجنحتها
يدعون الله بالنصرة والتثبيت فنادى مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون
الطعنة والضربة على الشهداء اهون من شرب الماء البارد فى اليوم الصايف
واذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة او ضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله
اليه زوجته من الحور العين فتبشره بما اعد الله له من الكرامة فاذا وصل
الى الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطيب الذى اخرج من البدن الطيب
ابشر فان لك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول
الله عز وجل انا خليفته فى اهله من ارضاهم فقد ارضانى ومن اسخطهم فقد
اسخطنى ويجعل الله روحه فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث تشاء تاكل
من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم
سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين الصنعا والشام
يملا نورها ما بين الخافقين فى كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون
مصراعا من ذهب على كل باب ستون مسبلة وكل غرفة سبعون خيمة فى كل
خيمة سبعون سريرا من ذهب قوايمها الدر والزبرجد مرمولة بقضبان
الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا على كل فراش
زوجة من حور العين عربا اترابا فقال اخبرنى يا امير المومنين عن العربة
فقال هى الغنجة الرضية الشهية لها سبعون الف وصيف وسبعون الف
وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهن تيجان اللولو على رقابهم المناديل بايديهم
الاكوبة والاباريق واذا كان يوم القيمة فوالذى نفسى بيده لو كان الانبيا
على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهايهم حتى ياتوا الى موايد من الجواهر
فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم فى سبعين الفا من اهل بيته وجيرته

حتى ان الجارين يتخاصمان ايهما اقرب جوارا فيقعدون معى ومع ابرهيم على مائدة
الخلد فينظرون الى الله عز وجل فى كل يوم بكرة وعشيا الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم و
اتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم تلك الايات
استجاب واجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الاجابة واجاب فعل
الاجابة والقرح الجرح واصله الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح اى خالص والقراح
من الارض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت
عليه كذا اى اشتهيته عليه لخلوصه على ما تتوق نفسه اليه كانه قال استخلصته
وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن نقص الصغار ببلوغ تلك الحال فالقرح
الجراح لخلوص المه الى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع
الزايد على اقل المقدار حسبنا الله اى كافينا الله واصله من الحساب لان الكفاية
بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحسبان وهو الظن والوكيل الحفيظ
وقيل هو الولى واصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل فى صفات الله هو المتولى
للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم الرحيم بهم وهو فى صفة غيره انما يعقد
بالتوكيل موضع الذين يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الجر على ان يكون
نعتا للمومنين والاحسن والاشبه بالاية ان يكون الرفع على الابتداء و
خبره الجملة التى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ويجوز النصب على
المدح وتقديره اعنى الذين استجابوا واذكروا كذلك القول فى موضع
الذين فى الاية الثانية لانهما نعت لموصوف واحد وقوله لم يمسسهم سوء

في موضع النصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين
والعامل فيه فانقلبوا   لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد الروحا
ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب
اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم
فبلغ ذلك الخبر رسول الله صلى الله عليه واله فاراد ان يرهب العدو ويريهم
من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابو سفيان وقال
الا عصابة تشدد لامر الله تطلب عدوها لانها انكا للعدو وابعد للسمع فانتدب
عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى
منادي رسول الله صلى الله عليه واله الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا
بالامس وانما خرج رسول الله صلى الله عليه واله ليرهب العدو وليبلغهم انه
خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم
فينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على
ثمانية اميال وروى علي بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله صلى الله
عليه واله قال هل من رجل ياتينا بخبر القوم فلم يجبه احد فقال امير المؤمنين
عليه السلم انا اتيك بخبرهم فقال اذهب فان كانوا ركبوا الخيل وجنبوا
الابل فانهم يريدون المدينة وان كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم
يريدون مكة فمضى امير المؤمنين علي عليه السلام على ما به من الالم والجراح
حتى كان قريبا من القوم فراهم قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم
يريدون فرجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه واله فقال صلى الله عليه واله
ارادوا مكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه واله المدينة نزل عليه جبرئيل
فقال يا محمد ان الله عز وجل يامرك ان تخرج ولا يخرج معك الا من به جراحة

فاقبلوا

فاقبلوا يكمدون جراحاتهم ويداوونها فانزل الله على نبيه صلى الله عليه واله
ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون الاية
فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وروى محمد بن
اسحق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السايب ان
رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه واله من بني عبد الاشهل كان شهد
احدا قال شهدت احدا انا واخ لي فرجعنا جريحين فلما اذن مؤذن رسول
الله بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله والله ما لنا
دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل وكنت ايسر جرحا من اخي فكنت اذا غلب
حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله الى حمراء الاسد فمر برسول الله
معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله
صلى الله عليه واله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ومعبد
يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولو
ددنا ان الله كان اعفاك منهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه واله
حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله
عليه واله وقالوا قد اصبنا حد اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم رجعنا
قبل ان نستاصلهم فلما راى ابا سفيان معبد قال ما وراءك يا معبد
قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا
وقد اجتمع اليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم
من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال فانا والله ما
اراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم
لنستاصلهم قال فاني والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت

علي ان قلت ابياتا فيه من شعر قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات
راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل تردى باسد كرام لا تنابلة عند اللقاء
ولا خرق معازيل فظلت عدوا كان الارض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول
وقلت ويل لابن حرب من لقائكم اذا تغطمطت البطحاء بالخيل اني نذير لاهل
البسل ضاحية لكل ذي اربة منهم ومعقول من جيش احمد لا وخش
تنابلة وليس يوصف ما انبت بالقيل قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن
معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة ارسلكم بها اليه واحمل
لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه
فاخبروه انا قد اجمعنا الكرة اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف
ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله وهو بحمراء الاسد فاخبروه
بقول ابي سفيان فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم
انصرف رسول الله الى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعوية
ابن المغيرة ابن العاص وبابي عزة الجمحي هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة
نزلت هذه الايات في غزاة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد
حين اراد ان ينصرف يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل
ان شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله
عليهم الرعب فبدا له من الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا
فقال له ابو سفيان اني واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى
وان هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن

وقد

وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل
بن عمرو فاتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم
بئس الراي رايكم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا شريد فتريدون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه
تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله
في اصحابه حتى وافى بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق
لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر ابا سفيان
وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق و
يقولون انما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا
من المشركين ببدر ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا واصابوا
للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود
عن الباقر عليه السلم   الذين استجابوا لله والرسول اي اطاعوا الله في
اوامره واطاعوا رسوله من بعد ما اصابهم القرح اي نالهم الجراح يوم احد
للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله واجابته الى الغزو
واتقوا معاصي الله ومن هنا للتبيين لا للتبعيض اجر عظيم اي ثواب جزيل
الذين قال لهم الناس في المعنى بالناس الاول ثلثة اقوال احدها انهم الركب
الذين دسهم ابو سفيان الى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من احد لما ارادوا
الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحق وقد مضت قصتهم والثاني انه

نعيم بن مسعود الاشجعي وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام والثالث
انهم المنافقون عن السدي ان الناس قد جمعوا المعني به ابو سفيان واصحابه
عند اكثر المفسرين اي جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل جمعوا الالات والرجال وانما
عبر بلفظ الواحد عن الجمع في قوله قال لهم الناس لامرين احدهما انه قد جاءهم
من جهة الناس فاقيم كلامه مقام كلامهم وسمي باسمهم والاخر انه لتفخيم
الشان فاخشوهم اي خافوهم ثم بين سبحانه ان ذلك القول زادهم ايمانا
وثباتا على دينهم واقامة على نصرة نبيهم بان قال فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
اي كافينا الله ووليّنا وحفيظنا والمتولي لامورنا ونعم الوكيل اي نعم الكافي و
المعتمد والملجا الذي توكل اليه الامور فانقلبوا اي فرجع النبي ومن معه من
اصحابه بنعمة من الله وفضل اي بعافية من السوء وتجارة رابحة لم يمسسهم سوء
اي قتل عن السدي ومجاهد وقيل ان اقل ما يفعله الله بالخلق فهو نعمة وما
زاد على ذلك فهو الموصوف بانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة
لا يكون نعمة الا اذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة
وهذا فهذا لان النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح واتبعوا رضوان
الله بالخروج الى لقاء العدو والله ذو فضل عظيم على المؤمنين وقد تضمنت الاية
التنبيه على ان كل من دهمه امر فينبغي ان يفزع الى هذه الكلمة وقد صحت الرواية
عن الصادق انه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى قوله سبحانه حسبنا الله
ونعم الوكيل فاني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله الاية
وروي عن ابن عباس انه قال اخر كلام ابرهيم على نبينا وعليه السلام حين القي
في النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الاية

انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون

ان كنتم

ان كنتم مؤمنين اية كم من ذلكم للخطاب المحض لا للضمير فلا موضع
له من الاعراب وقوله يخوف يتعدى الى مفعولين يقال خاف زيد القتال
وخوفته القتال ثم ذكر سبحانه ان ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد
من عمل الشيطان يخوف اولياءه والمعنى انما ذلك التخويف كان من نعيم
بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف اولياءه المؤمنين
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج
وابو علي الفارسي وغيرهما ان تقديره يخوفكم اولياءه اي من اوليائه بدلالة
قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم مصدقين بالله فقد
اعلمتكم اني انصركم عليه ومثله قوله لينذر باسا شديدا اي لينذركم بباس
شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين
الذين هم اولياءه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بان يوسوس
اليهم ويرهبهم ويعظم امر العدو في قلوبهم فيقعدوا عن متابعة الرسول
والمسلمون لا يخافونه لانهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره قوله سبحانه انه
ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والاول اصح

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ايتان

قرا نافع في جميع القران يحزن بضم الياء وكسر الزاء الا قوله لا يحزنهم
الفزع الاكبر فانه فتحها وضم الزاي وقرا الباقون في جميع ذلك يحزن بفتح الياء
وضم الزاي وقرا ابو جعفر عكس ما قرا النافع فانه فتح الياء في جميع القران الا
قوله لا يحزنهم فانه ضم الياء قال ابو علي قال سيبويه يقول فتن الرجل

الذی

وفتنته وحزن وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد
ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته اردت
جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول
كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعله على حدة ولم ترد
بفعلته ههنا تغيير قوله حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وافتنته
وقال بعض العرب افتنت الرجل واحزنته اذا جعلته فاتنا وحزينا فغيروا
فعل قال ابو علي فهذا الذي حكاه عن بعض العرب حجة نافع واما قوله
لا يحزنهم الفزع الاكبر فينبغي ان يكون اتبع اثرا واحب الاخذ من وجهين
قوله شيئا نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف
الباء كانه قال بشيء مما يضر به كما يقال ما ضربت زيدا شيئا من نقص
مال وغيره   لما علم الله سبحانه المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان
اياهم خص رسوله بضرب من التعليم في هذه الاية فقال ولا يحزنك ايها
الرسول الذين يسارعون في الكفر يعني المنافقين عن مجاهد وابن اسحق
وقوما من العرب ارتدوا عن الاسلام عن ابي علي الجبائي انهم لن يضروا
الله شيئا بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لان الله سبحانه لا يجوز عليه
المنافع والمضار وانما قال ذلك على جهة التسلية لنبيه صلى الله عليه وآله
لانه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الايمان
ولا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم الى الكفر وامتناعهم عن
الايمان لتفريط حصل من قبله فامنه الله تعالى من ذلك واخبر
ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصور عليهم يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
في الاخرة اي نصيبا في الجنة واذا كانت الارادة تتعلق بما يصح حدوثه

ولا تتعلق

ولا تتعلق بالا يكون الشيء فلا بد من حذف في الكلام ومعناه انه يريد ان
يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له بتكليفهم وان يعاقبهم في الاخرة
على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم ولهم عذاب عظيم ظ المعنى وهذا يدل
على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه نسب اليهم المسارعة الى الكفر واذا
كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبته اليهم ثم استانف سبحانه
الاخبار بان من اشترى الكفر بالايمان وهم جميع الكفار بهذه الصفة
فقال ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوا الكفر بالايمان وقد
بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وانما سمي استبدالهم
الكفر بالايمان بشراء البلغة بالثمن لن يضروا الله شيئا انما كرر هذه لانه
انما ذكر ذلك في الاية الاولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة
الى الضلالة وذكره في هذه الاية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصي
دون المعصي والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة لا يكون الا
قبيحة والمضرة قد تكون حسنة اذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او
فيها نفع يوفي عليها او دفع ضرر اعظم منها ولهم عذاب اليم اي مؤلم

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ
إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ آية

قرا ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون
ولا يحسبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك فلا
يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرا حمزة كلها بالتاء وفتح
السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرا اهل المدينة والشام ويعقوب
كلها بالياء الا قوله فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء الا ان اهل المدينة

ويعقوب كسر السين وفتحها الشامي وقرأ عاصم والكسائي وخلف
كل ما في هذه السورة بالتاء الآخرين ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن
الذين يبخلون فانهما بالياء غير ان عاصما فتح السين وكسرها الكسائي
من قرأ بالياء فالذين في هذه الآية في موضع الرفع بانه فاعل واذا
كان الذين فاعلا ويقتضي حسبت مفعولين او ما يسد مسد المفعولين
الذين يقتضيهما يحسبن وما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى الذي
فيكون التقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان الذي عليه لهم خير لانفسهم و
الآخر ان يكون ما نملي بمنزلة الاملاء فيكون مصدرا واذا كان مصدرا لم
يقتض راجعا اليه قال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح ان ويفتح الكسر مع
الياء وهو جائز على قبحه لان الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع ان
المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد
حسبت ان عبد الله منطلق وقال ابو علي الوجه فيه ان ان يتلقى بها القسم كما
يتلقى بلام الابتداء ويدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكانه قال
هنا لا يحسبن الذين كفروا للآخرة خير لهم واما قراءة حمزة بالتاء من تحسبن
وفتح ان فقد سغطها البصريون في ذلك لانه يصير المعنى ولا تحسبن الذين
كفروا املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى
لا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم ومثله في الشعر وما كان قيس
هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال ابو علي لا يجوز ذلك لانك
اذا ابدلت ان من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيرا من حيث كان المفعول
الثاني ولم تنصبه احد من القراء واذا لم يصح البدل لم يجز فيه الا كسر ان
على ان يكون ان وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن الاملاء

الطالة

الطالة المدة والملي الحين الطويل والملاء الدهر والملوان الليل والنهار
لطول تعاقبهما نزلت في مشركي مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير
عن عطا ثم بين سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم اذا كان يؤدي
الى العقاب فقال ولا يحسبن اي لا تظنن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم اي ان اطالتنا لاعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل
في سبيل الله باحد لان قتل الشهداء اداهم الى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر
يؤديهم الى العقاب ثم استانف سبحانه فقال انما نملي لهم اي نطيل عمرهم
ونترك المعاجلة لعقوبتهم ليزدادوا اثما اي ليكون عاقبة امرهم ازدياد
الاثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وهم انما اخذوه ليكون لهم سرورا وقرة عين ولكن لما
علم الله انه يصير في آخر امره عدوا وحزنا قال كذلك ومثله قول الشاعر
اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الآخر
ام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقول الآخر وللموت تغذوا
الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الآخر لدوا للموت
وابنوا للخراب ولا يجوز ان يكون اللام لام الارادة والغرض لوجهين احدهما
ان ارادة القبيح قبيحة وذلك منه سبحانه منتف والآخر انها لو كان لام الارادة
لوجب ان يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته
وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين والقرآن يصدق بعضه بعضا وعلى هذا انما لا بد من
تخصيص الآية بمن علم منه انه لا يؤمن لانه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم

هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القاسم البلخي معناه ولا يحسبن الذين كفروا
ان املاءنا لهم رضا بافعالهم وقبول لها بل هو شر لهم انما نملي لهم وهم يزدادون
انما يستحقون به العذاب الاليم ومثله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
اي ذرانا كثيرا من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل
لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي الا شرا ووعظي الا فسادا ونظيره
قوله سبحانه حتى انسوكم ذكري ومعلوم ان الرسل ما انسوهم ذكر الله على الحقيقة
وما بعثوا الا للتذكير والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء ليس من فعلهم
فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه انما اضيف اليهم لان دعاءهم اياهم لما كان لا
ينجع فيهم ولا يردهم عن معاصيهم فاضيف الانساء اليهم وفي هذا المعنى قوله
سبحانه حكاية عن نوح فلم يزدهم دعائي الا فرارا وروي عن ابو الحسن الاخفش
والاسكافي انهما قالا ان في الآية تقديما وتأخيرا ولا يحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم ليزدادوا انما انما نملي لهم خير لانفسهم وهذا بعيد لانه لو كان كذلك
لوجب ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانها معمول يحسبن على هذا القول
وان تكون انما الاولى مكسورة الهمزة لانها مبتداة على هذا التقديم والتأخير
لا تغيروا ان الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف ما عليه القراءة لان القراء
اجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الاولى ولهم عذاب مهين يهينهم في نار
جهنم   ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم آية
قراء اهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف
والباقون بالتشديد وضم الياء الاولى   ماز يميز فعل متعد الى مفعول واحد

كما

كما ان ميز فعل متعد الى مفعول واحد يقال ميزته فلم يتميز وزلته فلم يتزل
والتضعيف في ميز ليس للتعدي والنقل كما ان التضعيف في عوض ليس
للنقل من عاض لان عاض متعد الى مفعولين كما في قول الشاعر عاضها الله
غلاما بعد ما شابت الاصداغ والضرس نقد فلو كان التضعيف في عوض
للنقل لتعدى الى ثلثة مفعولين فعوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل
ميز وماز   قيل ان المشركين قالوا لابي طالب ان كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ومن يكفر فان وجدنا مخبره كما اخبر امنا به فذكر ذلك للنبي
صلى الله عليه وآله فانزل الله هذه الآية عن السدي والكلبي وقيل سأل المؤمنون
ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية عن ابي العالية
والضحاك   ما كان الله ليذر اي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين
على ما انتم عليه يا اهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق اي لم
يكن يجوز في حكم الله تعالى ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتعبدكم
حتى يميز الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي
وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد و
ابن اسحق وابن جريج وقيل هي خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله
ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى
هذا فيكون قد رجع من الخبر الى الخطاب كقوله حتى اذا كنتم في الفلك و
جرين بهم واختلف في انه سبحانه باي شيء ميز بين الخبيث والطيب
فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه مما يظهر به الحال كما ظهر يوم
احد بان ثبت المؤمن وتخلف المنافقون عن الجهاد وقيل بالآيات
والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بان ينصر سبحانه المؤمنين ويكرمهم

ويعز الدين ويذل المنافقين والكافرين عن ابي مسلم وقيل بان يفرض
الفرايض فيثبت المؤمن على ايمانه ويتميز ممن ينقلب على عقبيه وما كان الله
ليطلعكم على الغيب اي ما كان الله ليظهر على غيبه احداً منكم فتعلمون ما
في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق ولكن الله يجتبي من رسله اي
يختار للرسالة من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفون على علم الغيب و
يعرفه اياه فآمنوا بالله ورسله كما امركم وان تؤمنوا اي تصدقوا
وتتقوا عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه فلكم في ذلك اجر عظيم وقيل
معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي
وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يصلح جماعة للرسالة فيختار سبحانه منهم
من يشاء اما لانه اصلح وبالتادية اقوم وعن المنفرات ابعد واما لانهم
قد تساووا في جميع الوجوه فيختار من يشاء منهم لان النبوة ليست مستحقة
ولا جزاء وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايمان والتقوى خلافاً لمن
قال انه تفضل ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله
من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير آية
ذكرنا اختلاف القراء فيه فمن قرأ يحسبن بالياء فالذين
يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الاول محذوف عن اللفظ لدلالة اللفظ
عليه وهو مثل قولك من كذب كان شراً له اي كان الكذب شراً له وكذلك
في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله البخل هو خيراً
لهم فدخلت هو فصلاً لان تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ
بالتاء فالفاعل المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وآله والذين يبخلون

مفعول

مفعول اول لتحسبن وخيراً لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره
ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيراً لهم وهو فصل وانما احتيج الى هذا
المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الاول في المعنى لان هذه الافعال انما
تدخل على المبتدا والخبر واذا كان الخبر مفرداً فيجب ان يكون هو المبتدا في المعنى
والبخل هو منع الواجب لانه تعالى توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة
في الاعطاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين
يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب لا تحسبن الباخلون الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله اي اعطاهم الله من فضله اي من الاموال
فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل هو خيراً لهم بل هو شر لهم
وعلى القراءة الاخرى لا تحسبن ايها السامع او لا تظنن يا محمد فالخطاب له
والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيراً لهم بل هو شر لهم اي ليس ذلك كما يظنون
بل ذلك البخل شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اختلف في معناه
فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقاً في عنقه والآية نزلت في مانعي الزكوة وهو
المروي عن ابي جعفر وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي و
غيرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة
ماله الا جعل في عنقه شجاع يوم القيمة ثم تلا هذه الآية وقال عليه السلام ما من
ذي رحم يأتي ذا رحمه يسأله من فضل اعطاه الله اياه فيبخل به عنه الا اخرج
الله له من جهنم شجاع يتلمظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الآية وقيل معناه
يجعل في عنقه يوم القيمة طوق من نار عن النخعي وقيل معناه يكلفون يوم القيمة
ان يأتوا بما بخلوا به من اموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها في نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه يجعل طوقاً في عنقه

بها عن الجبائى وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لاعناقهم
كقوله وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه عن ابى مسلم قال والعرب تعبر
بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله سبحانه فتحرير رقبة وروى عن
ابن عباس ايضا المراد بالاية الذين يبخلون ببيان صفة محمد والفضل هو
التورية التى فيها صفته والاول اليق بسياق الاية ولله ميراث السموات
والارض معناه يموت من فى السموات والارض ويبقى هو جل جلاله لم يزل
ولا يزال فيبطل ملك كل مالك الا ملكه وقد تضمنت الاية الحث على الانفاق
والمنع عن الامساك من قبل ان الاموال اذا كانت تعرض للزوال اما بالموت
او بغيره من الافات فاجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص على امساكه
فيكون عليه وزره ولغيره نفعه والله بما تعملون خبير هذا تاكيد للوعد
والوعيد فى انفاق المال لاحراز الثواب والاجر والسلامة من الاثم والوزر
الوجه فى اتصال الاية بما قبلها هو انهم كما بخلوا بالجهاد بخلوا
بالانفاق والزكوة عن على بن عيسى وقيل انهم مع ما تقدم من احوالهم كتموا
امر محمد وبخلوا ببيانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق
ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله
ليس بظلام للعبيد ايتان قرا حمزه سيكتب بضم الياء وقتلهم
بالرفع ويقول بالياء وقرا الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب
ونقول بالنون الوجه فى قراءة من قرا سيكتب ان النون هنا بعد
الاسم الموضوع للغيبة فهو مثل قوله بل الله موليكم ثم قال سنلقى فى قلوب
الذين كفروا ولو قال سيكتب بالياء لكان فى الافراد كقوله وقذف

فى قلوبهم

فى قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى وقوله نقول معطوف على
سنكتب والوجه فى قراءة حمزه وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو فى موضع
رفع ومن قال وقتلهم فانه عطفه على ما قالوا ايضا وهو فى موضع نصب بانه
مفعول به يقال سمع يسمع سمعا اذا ادرك بحاسة الاذن والله سبحانه
يسمع من غير ادراك بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لاجلها المسموعات
اذا وجدت والسامع المدرك لذلك وقال المحققون ان الله سبحانه سميع
فيما لم يزل وسامعا عند وجود المسموع وكونه سميعا بصيرا ليس بصفة زايدة
على كونه حيا وكونه مدركا صفة زايدة على كونه حيا عالما وكونه سامعا بمعنى
بمعناه وقال ابو القاسم البلخى فايدة كونه سميعا بصيرا انه يعلم المسموعات و
المبصرات وهو لا يثبت للقديم سبحانه صفة الادراك وقال الخليل كلما نزل
بانسان من مكروه فقد ذاقه الا انه توسع وقد جاء فى الخبر حتى يذوقى من
عسيلته ويذوق من عسيلتك كنى بذلك عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة
والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر لقوله حرقت
الشئ بردته بالمبرد موضع الباء فى قوله بما قدمت ايديكم رفع لانها
فى موضع خبر المبتداء وهو ذلك وهى متصلة بالاستقرار كانه قيل ذلك استحق
بما قدمت ايديكم وان الله انما فتح ان لانه معطوف على ما عملت فيه الباء وتقديره
وبان الله فموضعه جر لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وقائله حيى ابن اخطب
من الحسن ومجاهد وقيل كتب النبى صلى الله عليه وآله مع ابى بكر الى يهود بنى
قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فدخل ابو بكر بيت مدارستهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا على رجل

منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم الى الاسلام والصلوة والزكوة فقال
فنحاص ان كان ما يقول حقا فان الله اذا الفقير ونحن اغنياء ولو كان غنيا
لما استقرضنا اموالنا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص فانزل الله تعالى
هذه الاية عن عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق ثم ذكر سبحانه
خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا قيل معناه
ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخى ان الله فقير اى ذو حاجة لانه يستقرض
منا ونحن اغنياء عن الحاجة وقد علموا ان الله لا يطلب القرض وانما ذلك
تلطف فى الاستدعاء الى الانفاق وانما قالوه تلبيسا على عوامهم وقيل
قالوا ان الله فقير لانه يضيق علينا الرزق ونحن اغنياء لانا نوسع الرزق على
اهالينا سنكتب ما قالوا قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن
الحفظ لانه طريق الى الحفظ وقيل نامر بكتب ذلك فى صحايف اعمالهم وانما
نفعل ذلك مبالغة فى الزجر عن المعصية لان المكلف اذا علم ان افعاله و
اقواله مكتوبة فى الصحايف وانه لا بد من عرضها عليه ومن قراته على رؤس
الاشهاد يوم التناد كان ذلك ابلغ له فى الزجر عن الماثم وامنع عن ارتكاب
الجرايم وقتلهم الانبياء بغير حق اى سنكتب قتل اسلافهم الانبياء و
رضاء هؤلاء به فنجازى كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضا بفعل القبيح يجرى
مجراه فى عظم الجرم لان اليهود الذين وصفوا بقتل الانبياء لم يتولوا ذلك بانفسهم
وانما ذموا بذلك لانهم بمنزلة من تولاه فى عظم الاثم ونقول ذوقوا
عذاب الحريق يعنى المحرق وانما الفايدة فيه ان يعلم ان العذاب بالنار
التى تحرق وهى الملتهبة لان ما لم تلتهب لا تسمى حريقا وقد يكون العذاب
بغير النار ويفيد قوله ذوقوا انكم لا تتخلصون من ذلك ويقال ذق هذا

البلاء

البلاء اى انك لست بناج منه ذلك اشارة الى ما سبق اى ذلك العقاب
بما قدمت ايديكم معناه بما كنتم عملتموه وجنيتموه على انفسكم وان الله ليس
بظلام للعبيد اى وان الله لا يظلم احدا من عبيده وانما اضافه الى اليد
وان كان يكتسب الذنوب بجميع الجوارح لان عامة ما يكسبه الانسان
انما يكسبه بيده ولان العادة قد جرت باضافة الافعال التى يلابسها الا نسان
الى اليد وان اكتسبها بجارحة اخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عادتهم وفى
هذا دلالة على بطلان من مذهب المجبرة لانه يدل على انه لو وقع العقاب من
غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف ما يذهبون اليه من
انه سبحانه يعذب الاطفال من غير جرم سلف منهم وانه يخلق فيهم الكفر
ثم يعذبهم عليه لانه لا ظلم اعظم من ذلك وانما ذكر لفظ ظلام وهو للتكثير
تاكيدا لنفى الظلم عنه الذين قالوا ان الله عهد الينا الا
نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من
قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان
كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب
المنير ايتان قرا ابن عامر وحده وبالزبر بالباء وكذلك هى فى
مصاحف الشام كما فى فاطر والباقون بغير باء من حذف فلان واو
العطف اغنت عن تكرار العامل ومن اثبتها فانما كرر العامل تاكيدا وكلاهما
حسن القربان مصدر على وزن عدوان وخسران يقول قربت قربانا
وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل بر يتقرب به العبد الى الله تعالى
سبحانه والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكم فهو زبور قال امرؤ القيس لمن طلل
ابصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى يقال زبرت الكتاب اذا كتبته

وذبرت الرجل اذا زجرته والزبرة مجتمع الشعر على كتف الاسد وزبرت البئر اذا
احكمت طيها بالحجارة فهي مزبورة والزبر العقل والمناجم بين الزبر والكتاب
ومعناهما واحد لان اصلهما مختلف فهو كتاب بضم حروف بعضها الى بعض
وزبور لما فيه من الزجر عن خلاف الحق والمنا سمي زبور داود لكثرة ما فيه من
المواعظ والزواجر الذين قالوا محله جر ردا على الذين قالوا ان الله فقير
على تقدير وسمع قول الذين قيل نزلت الاية في جماعة من اليهود منهم كعب ابن
الاشرف ومالك ابن الصيف ووهب بن يهودا وفنحاص ابن عازورا قالوا
يا محمد ان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله
النار فان زعمت ان الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك فانزل الله تعالى
هذه الاية عن الكلبي وقيل ان الله امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم
تزعم انه نبي فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تاكله النار حتى يأتيكم المسيح و
محمد صلى الله عليه واله فاذا اتياكم فامنوا بهما بغير قربان ثم ذكر سبحانه
قولهم الاخر فقال الذين قالوا لنبيهم صلى الله عليه واله ان الله عهد الينا اي امرنا
وقيل اوصانا في كتبه وعلى السن رسله ان لا نؤمن لرسول اي لا نصدق رسولا
فيما يقوله من انه جاء به من عند الله تعالى حتى يأتينا بقربان اي حتى يجيئنا
بما يتقرب به الى الله تعالى من صدقة او بر يتقبل منه وقوله تاكله النار بيان
لعلامة التقبل فانه كان علامة قبول قربانهم ان تنزل نار من السماء فتاكله و
كان يكون ذلك دلالة على صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس قل يا محمد
لهؤلاء اليهود قد جاءكم رسل من قبلي يعني جاء اسلافكم بالبينات والحجج الدالة
على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم
وبالذي قلتم معناه وبالقربان الذي قلتم فلم قتلتموهم اراد بذلك زكريا و

ويحيى

يحيى وجميع من قتلهم اليهود من الانبياء يعني لم قتلتموهم وانتم مقرون بان
الذي جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فيما عهد اليكم
مما ادعيتموه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى ان النبي صلى
الله عليه واله لو اتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم
يؤمن اباءهم بالانبياء الذين اتوا به وبغيره من المعجزات وانما لم يقطع الله
سبحانه عذرهم بما سألوه من القربان الذي تاكله النار لعلمه سبحانه بان
في الاتيان به مفسدة لهم والمعجزات تابعة للمصالح ولان ذلك اقتراح في
الادلة على الله والذي يلزم في ذلك ان يزيح عللهم بنصب الادلة فقط فان
كذبوك فقد كذب رسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه واله
في تكذيب الكفار اياه وذلك ان الله سبحانه اخبر بانه ليس باول مكذب
من الرسل بل كذب قبله رسل جاؤا بالبينات اي بالمعجزات الباهرات
والزبر اي الكتب التي فيها الحكم والزواجر والكتاب المنير قيل اراد به
التورية والانجيل لان اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت
ما جاء به موسى من صفة النبي صلى الله عليه واله وبدلت عهده اليهم فيه
والنصارى ايضا جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما امرهم به فيه
والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي الى الحق
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
يقال لكل من نجى من هلكة وكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز فتاويل
فاز تباعد من المكروه ولقي ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التفاؤل
وانما المفازة المنجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا

سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازى المكذبين رسله على اعمالهم من حيث حتم الموت
على جميع خلقه فقال كل نفس ذائقة الموت اى ينزل بها الموت لا محالة فكانها
ذائقة وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدايده وسكراته كقوله
حتى اذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا
الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان
القتل لا ينفك عن الموت الذى هو فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالموت هنا
انتفاء الحيوة والقتيل قد انتفت الحيوة عنه فهو داخل فى الاية وانما توفون
اجوركم معناه انما تعطون جزاء اعمالكم وافيا يوم القيمة ان خيرا فخيرا وثوابا
وان شرا فشرا وعقابا فان الدنيا ليست بدار جزاء وانما هى دار عمل والاخرة
دار جزاء وليست بدار عمل فمن زحزح عن النار اى بوعد من نار جهنم ونحى عنها
وادخل الجنة فقد فاز اى نال المنية وظفر بالبغية ونجا من الهلكة وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور معناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها الا امتعة
متعكموها الغرور والخداع المضمحل الذى لا حقيقة له عند الاختبار لانكم
تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا والفجايع فلا تركنوا اليها ولا
تغتروا بها فانما هى غرور وصاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوارير وهو
فى الاصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفى الاية دلالة على ان اقل نعيم من الاخرة
خير من نعيم الدنيا باسره ولذلك قال صلى الله عليه واله موضع سوط فى الجنة
خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حى سيموت ولولا ورد السمع
بذلك لكان يجوز فى العقل ان يتصل حيوتهم الى وقت المجازاة واذا قيل اليس
من قولكم لا بد من قطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك القطع
يجوز ان يحصل مع بقاء الحيوة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد

اختلف

اختلف فى الموت قول ابى على وابى هاشم فعند ابى على الموت معنى يضاد الحيوة و
عند ابى هاشم عدم الحيوة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله فى المقتول
لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور اية
اللام فى قوله لتبلون لام التاكيد
وفيه معنى القسم والنون تاكيد للقسم وانما ضمت الواو فى لتبلون ولم
تكسر لالتقاء الساكنين لانها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها
من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى ولو كانت الواو حرف الاعراب
لفتحت نحو هل تغزون زيدا
نزلت الاية فى كعب بن الاشرف
وكان يهجو النبى صلى الله عليه واله والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم
ويشبب بنساء المسلمين فقال صلى الله عليه واله من لى بابن الاشرف
فقال محمد بن مسلمة انا يا رسول الله فخرج هو وابو نايلة مع جماعة فقتلوه
غيلة واتوا براسه الى النبى صلى الله عليه واله اخر الليل وهو قايم يصلى
عن الزهرى وقيل نزلت فى فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع لما بعث
رسول الله صلى الله عليه واله ابا بكر اليه يستمده وكتب اليه كتابا فلما
قراه قال قد احتاج ربكم الى ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه ثم ذكر قول
النبى صلى الله عليه واله لا تفتاتن بشئ حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل
ثم بين سبحانه ان الدنيا دار محنة وابتلاء وانها انما زويت
عن المؤمنين ليصبروا فيوجروا فقال لتبلون اى لتوقع عليكم المحن و
تلحقكم الشدايد فى اموالكم بذهابها ونقصانها وفى انفسكم ايها المؤمنون
بالقتل والمصايب مثل ما نالكم يوم احد وقيل بفرض الجهاد وغيره من

الفرايض والقرب التي امرنا بها وانما سماه بلوى مجازاً فان حقيقة الاختبار
والتجربة لا يجوز عليها على الله تعالى لانه العالم بالاشياء قبل كونها وانما يفعل
ذلك ليتميز المحق من المبطل عن ابي علي الجبائي ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني كفار
مكة وغيرهم اذى كثيراً اي ما سمعوه من تكذيب النبي صلى الله عليه واله
ومن الكلام الذي يغمهم وان تصبروا وتتقوا يعني ان صبرتم على ذلك
وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعاً يبلغ الاثم فان ذلك من عزم
الامور اي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من
محكم الامور وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ آية قرأ ابن كثير و
ابو عمرو وابو بكر عن عاصم ليبيننه بالياء ولا يكتمونه بالياء ايضاً
والباقون بالتاء فيهما حجة من قرأ بالتاء قوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقد تقدم القول في ذلك ووجه
من قرأ بالياء ان الكلام حمل على الغيبة لانهم غيب ثم حكى سبحانه
عنهم نقض الميثاق والعهود بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسل فقال
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب قيل اراد به اليهود خاصة و
قيل اراد اليهود والنصارى وقيل اراد به كل من اوتي علماً بشيء من الكتب
ليبيننه للناس اي ليظهرنه للناس والهاء عايد الى الكتاب فيدخل فيه
بيان امر النبي صلى الله عليه واله في قول سعيد بن جبير والسدي لانه

فكتموه

في كتابهم ان محمداً رسول الله وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عايدة الى الكتاب
فيدخل فيه بيان امر النبي صلى الله عليه واله لانه في الكتاب عن الحسن وقتادة
ولا يكتمونه اي لا يخفونه عند الحاجة فنبذوه وراء ظهورهم اي طرحوه خلف
ظهورهم ومعناه ضيعوه وتركوه فلم يعملوا به وان كانوا مقرين به عن ابن
عباس ويقال لمن يطرح الشيء ولا يعبأ به رماه بظهر قال الفرزدق
تميم ابن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا على جوابها واشتروا به ثمناً
قليلاً اي استبدلوا بعهد الله عليهم ومخالفته وميثاقه عرضاً يسيراً
من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لانفسهم من الماكل والرشى والهدايا
التي اخذوها من نحوتهم وسفلتهم فبئس ما يشترون اي بئس الشيء
ذلك ان يستحقون به العذاب الاليم وان كان نفعاً عاجلاً ودلت الاية
على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والاحكام و
الفتاوى والشهادات وغير ذلك من الامور التي يختص بها العلماء وروى
الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن ابن عمارة قال اتيت الزهري بعد ان
ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان تحدثني فقال لا اني
تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني
فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن نجم الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب عليه السلام
يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال
فحدثني اربعين حديثاً لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ
الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آية قد ذكرنا اختلاف
القراء في يحسبن وتحسبنهم فيما قبل قال ابو علي من قرأ لا تحسبن

بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بانه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن
على شي قال ابو الحسن لا تعجبني قراءة من قرا الاول بالياء لانه لم يوقعه
على شي ويوجه انه لم يستحسن لا يعدي حسب لانه قد جرى مجرى اليمين في
نحو علم الله ليفعلن وقال ولقد علمت لتأتين منيتي وظنوا ما لهم من محيص
وكما ان القسم لا يتكلم به حتى يتعلق بالمقسم عليه فكذلك ظننت وعلمت في
هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل
المفيدة ومن ثم جاء نحوه وما خلت ابقى بيننا من مودة عراض المذاكي المسيفات
القلائصا وانما هو وما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسبت
الى مفعوليه الذين تقتضيهما لان حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب كما جعل بدلا من الاول وعدي الى مفعوليه استغني بهما عن تعديته
الاول اليهما كما استغني في قوله باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا
علي وتحسب بتعدية احد المفعولين الى المفعولين عن تعدية الاخر اليهما و
الفاء زائدة فالتقدير لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا انفسهم بمفازة
من العذاب واما قراءة فلا يحسبنهم بضم الباء فان فعل الفاعل الذي هو
يحسبن تعدى الى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فان
قيل هلا لم يحذف الواو من يحسبون واثبتها كما يثبت في تمودّ الثوب و
اتحاجوني ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الاول
من زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالقول فيه انه حذفت كما حذفت
مع الخفيفة الا ترى انك لو قلت لا يحسبن زيدا ذاهبا لزمك الحذف فاجري
الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول
الثاني وفيه ذكر للمفعول الاول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى الى ضميره

نفسه نحو ظننتني اخاك لان هذه الافعال لما كانت تدخل على المبتدا والخبر
اشبهت ان واخواتها في دخولهن على المبتداء والخبر كدخول هذه الافعال
عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول اني ذاهب ومما يدل على ذلك
قبح دخول النفس عليهما لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن
اظنني فاعلا فاما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء
فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو الا في قوله فلا
تحسبنهم والمفعولان اللذان تقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين
يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما
جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما فاما قراءة حمزة بالتاء
فيهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه يحسبن لان ما يجي من بعد من
قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب تدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم
بدلا من تحسبن والفاء زائدة كما في قوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
نزلت في اليهود حيث كانوا يجمعون على التخلف يفرحون باجلال
الناس لهم ونسبتهم اياهم الى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق
لانهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله
فاذا رجعوا اعتذروا واحبوا ان يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه
من الايمان عن ابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقيل اتت يهود خيبر
الى النبي صلى الله عليه واله فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك
في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الاية عن قتادة ثم بين سبحانه
خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال ولا تحسبن الذين يفرحون
اي الفارحون الذين يفرحون بالنفاق ويحبون ان يحمدوا بالايمان وقيل

هم اليهود الذين فرحوا بكتمان امر النبي صلى الله عليه وآله ويحبون ان يحمدوا بانهم
ايمة وهم ليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالتاء والياء في الحجة فلا
معنى لاعادته وقال ابو القاسم البلخي ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
واهل الصلوة والصوم وليس باولياء الله ولا احباؤه ولا اهل الصلوة
والصيام ولكنهم اهل شرك ونفاق وهو المروي عن ابي جعفر الباقر
عليه السلام وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد ص
وتكذيبهم به والاقوى ان يكون المعنى بالاية من اخبر الله عنهم انه اخذ
ميثاقهم في ان يبينوا امر محمد صلى الله عليه وآله ولا يكتموه وعليه اكثر
اهل التأويل وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا تظننهم
بنجاة وبعد من النار ولهم عذاب اليم اي مؤلم موجع وَلِلّٰهِ
مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية لما ذكر الله
سبحانه في الاية المتقدمة من فرح بمعصية ركبها واحب ان يحمد بما لم يفعله
واخبر انه لا نجاة لهم من عذابه قال ولله ملك السموات والارض اي هو
مالك ما في السموات وما في الارض بمعنى انه يملك تدبيرهما وتصريفهما
على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال
هذه في الخلاص منه والله على كل شيء قدير فيه تنبيه على انه قادر على اهلاك
من اراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَ
يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ

فقد

فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ
أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا
مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّكَ لَا
تُخْلِفُ الْمِيعَادَ خمس ايات . روى الثعلبي في تفسيره باسناده عن محمد
بن الحنفية عن علي بن ابي طالب عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان
اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات الى قوله فقنا
عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما نزلت
هذه الايات الخمس وقت القيام بالليل قال ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل
ما فيها وورد عن الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله الامر بقراءة هذه الايات
الخمس وقت القيام بالليل للصلوة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى محمد بن
علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معوية
بن وهب قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام وذكر النبي صلى الله عليه وآله قال كان
يؤتى بطهور فيخمر عند راسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله
فاذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء وتلا الايات من آل عمران ان
في خلق السموات الايات ثم يستن ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات
على قدر قراءته ركوعه وسجوده على قدر ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع راسه
ويسجد حتى يقال متى يرفع راسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ
فيجلس فيتلو الايات من آل عمران ويقلب بصره الى السماء ثم يستن ويتطهر
ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه
فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الايات من آل عمران ويقلب بصره
في السماء ثم يستن فيتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين ثم يخرج الى الصلوة

اللب العقل سمي به لانه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره و
خالصه سبحانك معناه تنزيها لك من ان تكون خلقتهما باطلا وبراءة
مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي
والجمد والابرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته واصل البر الاتساع فالبر
الواسع من الارض خلاف البحر والبر الصلة الرحم والبر العمل الصالح والبر
الحنطة وابر الرجل على اصحابه اي زاد عليهم الذين يذكرون في
موضع جر صفة لاولي الالباب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم ايضا
في موضع نصب على الحال ولذلك عطف على قياما وقعودا اي ومضطجعين
لان الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار
يقول مررت برجل على الحايط اي مستقر على الحايط وكذا مررت برجل في الدار
ويقول انا اصير الى فلان ماشيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصبا
على الحال من الضمير في اصير وقوله ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما خلقت هذا
الخلق باطلا ولذلك لم يقل هذه ولا هولاء وباطلا نصب على انه المفعول الثاني
وقيل تقديره بالباطل او للباطل ثم نزع الخافض فوصل الفعل وجزان في قوله
من تدخل النار فقد اخزيته جملة مركبة من الشرط والجزاء والاصل فيهما جملتان
كل واحد منهما من فعل وفاعل لان موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به
وقوله ان امنوا يحتمل ان يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة
للفعل لانه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بان امنوا لما بين سبحانه
بان له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالة على ذلك فقال ان في
خلق السموات والارض اي في ايجادهما بما فيهما من العجايب والبدايع واختلاف
الليل والنهار اي تعاقبهما ومجيء كل منهما خلف الاخر لايات اي دلالات على

توحيد الله وصفاته العلى لاولي الالباب لذوي البصاير والعقول ووجه الدلالة
في خلق السموات والارض ان وجودهما مضمن باعراض حادثة وما لا ينفك
عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه ويوجده وموجد
فكان وجودهما وحدوثهما على ان لهما محدثا قادرا ودل ابداعهما بما فيهما من
البدايع والامور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان مبدعهما عالم
لان الفعل المحكم المنتظم لا يصح الا من عالم كما ان الايجاد لا يصح الا من قادر
ودل ذلك ايضا على ان صانعهما قديم لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج
الى محدث فيودي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار ان
في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان
كل واحد منهما عن الاخر في حال وزيادته عليه في حال وازدياد احدهما بقدر
نقصان الاخر دلالة ظاهرة على ان لهما صانعا قادرا حكيما لا يدركه عجز ولا
يلحقه سهو ثم وصف سبحانه ذوي الالباب فقال الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي هولاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلقه
السموات والارض هم الذين يذكرون الله قايمين قاعدين ومضطجعين
اي في ساير الاحوال لان احوال المكلفين لا تخلو من هذه الاحوال الثلثة وقد
امروا بذكر الله سبحانه في جميعها وقيل معناه يصلون على قدر امكانهم في
صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قايما والمريض جالسا وعلى جنبه اي مضطجعا
فسمى الصلوة ذكرا رواه علي بن ابرهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين فانه
غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الاحوال وهم في الصلوة وهو قول ابن جريج
وقتاده ويتفكرون في خلق السموات والارض اي ومن صفة اولي الالباب
يتفكرون في خلق السموات والارض ويتدبرون في ذلك ليستدلوا به

على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون ربنا ما خلقت
هذا باطلاً اى ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته
لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلاً على وحدانيتك وحجة على كمال
حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصاً بذاته فيقولون
سبحانك اى تنزيهاً لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثاً ولا لعباً
بل تعريضاً للثواب بدلاً من العقاب فقنا عذاب النار بلطفك الذى
نتمسك معه بطاعتك وفى هذه الآية دلالة على ان الكفر والضلال و
القبائح ليست خلقاً لله تعالى لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا خلاف
وقد نفى الله سبحانه ذلك بحكايته عن اولى الالباب الذين رضى اقوالهم بانه
لا باطل فيما خلقه سبحانه فيجب بذلك القطع على ان القبائح كلها غير مضافة
اليه سبحانه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ثم حكى عن
اولى الالباب الذين وصفهم بانهم ايضاً يقولون ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته قيل فيه وجوه احدها ان معناه فضحته واهنته فيكون منقولاً
من الخزى ونظيره قوله تعالى ولا تخزون فى ضيفى وثانيها قال المفضل ان معناه
اهلكته وانشد اخزى الاله من الصليب الهه واللابسين ملابس الرهبان
وثالثها ان معناه احللته محلاً ووقفته موقفاً يستحيى منه فيكون منقولاً
من الخزاية التى معناها الاستحياء وقال ذو الرمة خزاية ادركته بعد جولته
من جانب الحبل مخلوطاً بها الغضب واختلف اهل التأويل فى المعنى بهذه
الآية فروى عن انس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج
ان الاخزاء يكون بالتأبيد فى النار وهى خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن
عبد الله ان الخزى يكون بالدخول فيها وروى عن عمرو بن دينار وعطا انه قال لما

اخزاه

اخزاه من احرقه بالنار ان دون ذا الخزيا وهذا هو الاقوى لان الخزى انما هو
هتك المخزى وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف
لما نذهب اليه من جواز العفو عن المذنبين لان على قول من قال الخزى هو بالخلود
فى النار فمن عفى الله عنه لا يكون اخزاه وان ادخله النار ثم اخرجه منها بعد
استيفاء العقاب وعلى قول من اثبت الخزى بنفس الدخول فانه وان كان
خزياً فليس كمثل خزى الكفار ويجوز حمل قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين
آمنوا على كلا الوجهين وعلى قول من جعله من الخزاية التى هى الاستحيا فيكون
اخزاء المؤمنين محمولاً على الحياء واخزاء الكافرين على الاهانة والخلود فى النار
وقوله وما للظالمين من انصار اى ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه
المغالبة والقهر لان الناصر هو الذى يدفع عن المنصور على وجه المغالبة
ولا ينافى ذلك ما صح من شفاعة النبى صلى الله عليه وآله والاولياء
لاهل الكبائر لان الشفاعة هى على سبيل المسئلة والخضوع والتضرع الى الله
تعالى وليست من النصرة فى شىء وصح عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
ليصيبن اقواماً سفع بذنوب اصابوها ثم يخرجون فيسميهم اهل الجنة و
الجهنميين رواه البخارى فى الصحيح باسناده عن انس بن مالك وفيما رواه
ابو سعيد الخدرى عنه عليه السلم قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا فحما
فيلقون فى نهر يقال له نهر الحيوة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة فى
حميل السيل رواه البخارى ومسلم ايضاً فى الصحيح وما روى فى مثل ذلك من
الاخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح فى وقوع العفو على مرتكبى الكبائر ربنا
اننا سمعنا منادياً قيل ان المنادى محمد صلى الله عليه وآله عن ابن مسعود وابن
عباس وابن جريج واختاره الجبائى وقيل انه القرآن عن محمد بن كعب القرظى

وقتادة واختاره الطبرى قال لانه ليس يسمع كل واحد قول النبى ولا يراه والقران
سمعه من يراه ومن لم يره كما قال سبحانه مخبرا عن الجن انا سمعنا قرانا عجبا
يهدى الى الرشد ولمن نصر القول الاول ان يقول من بلغه قول النبى صلى الله عليه و
اله ودعوته جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله
سمعنا مناديا ينادى منادا لان المنادى لا يسمع وقوله ينادى للايمان معناه الى
الى الايمان كقوله سبحانه الحمد لله الذى هدانا لهذا ومعناه الى هذا وقول الراجز
اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت ومثله قوله بان ربك
اوحى لها فالمعنى ربنا اننا سمعنا مناديا داعيا يدعو الى الايمان والتصديق
بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله ان
امنوا بربكم معناه بان امنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال الا امنوا
بربكم فامنا اى صدقنا الداعى فيما دعى اليه من التوحيد والدين واجبناه
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيمة على
روس الاشهاد بعقوبتك وكفر عنا سياتنا وقد اغنى عنه معناه امحها
بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك فى جملة
الابرار واحشرنا معهم فان قيل ما معنى قوله وكفر عنا سياتنا وقد اغنى عنه
قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدهما ان معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء
بلا توبة وكفر عنا ان تناول الثانى ان معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر
عنا باجتناب الكباير السيات لان الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب والتكفير
لا يكون الا عند فعل من العبد والاول اليق بمذهبنا ربنا واتنا ما وعدتنا
على رسلك هذه حكاية عمن تقدم وصفهم بانهم يقولون اعطنا ما وعدتنا
على لسان رسلك من الثواب ولا تخزنا اى لا تفضحنا او لا تهلكنا يوم القيمة

انك

انك لا تخلف الميعاد وهو كلام مستانف بدلالة انه كران والمعنى انك وعدت
الجنة لمن امن بك وانت لا تخلف وعدك فان قيل لما وجد المسئلة فى انجاز
الوعد والمعلوم انه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه احدها ان ذلك على وجه
الانقطاع الى الله تعالى والتضرع له والتعبد كما قال سبحانه وقل رب احكم
بالحق واختاره على بن عيسى والجبائى والثانى ان الكلام خرج مخرج المسئلة
والمراد الخبر اى توفنا مع الابرار لتوتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة لانهم علموا ان ما وعد الله به حق ولا بد ان ينجزه والثالث ان
معناه السوال والدعاء بان يجعلهم ممن اتاهم ما وعدهم من الكرامة على
السن رسله لانهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله فى انفسهم ثم
سئلوه ان يوتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لانه
لو كان كذا لكانوا قد زكوا انفسهم وشهدوا بانها تستوجب كرامة الله تعالى
ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المومنين والرابع انهم انما سئلوا ذلك
على وجه الرغبة منهم الى الله فى ان يوتيهم ما وعدهم من النصر على اعدائهم من
اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم لانه لا يجوز ان يكونوا مع
ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد
فرغبوا اليه فى تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم
فى ذلك وقت فرغبوا اليه فى تعجيل ذلك لهم لما لهم فى ذلك من السرور
بالظفر وهو اختيار الطبرى وقال الاية مختصة بمن هاجر من اصحاب
النبى صلى الله عليه واله وسلم الذين رغبوا فى تعجيل النصرة على اعدائهم
وقالوا لا صبر لنا على اناتك وحلمك وقوى ذلك بما بعد هذه الاية
من قوله فاستجاب لهم ربهم الايات والى هذا اوحى ابو القاسم البلخى ايضا

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّي لَا اُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثَى بَعْضُكُمْ
مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَاُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاُوذُوا فِي سَبِيلِي
وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَاُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ

قرا حمزه والكسائى وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبنى للمفعول به على وجه الفعل المبنى للفاعل والتخفيف وقرا الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر اما تقديم قاتلوا على قتلوا فلان القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرر القتل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قتلوا فلان فعلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد لتكرر القتل فهو مثل يختص بالكثير واما تقديم قتلوا فلان المعطوف بالواو يجوز اولا في المعنى وان كان موخرا فى اللفظ ويمكن ان يكون الوجه فيه ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذى وقع بهم كقوله سبحانه فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله الاضاعة الاهلاك ضاع الشئ يضيع ضياعا اذا هلك واضاع وضيع بمعنى ومنه الضيعة للقرية واما قولهم وكل رجل وضيعته فان الضيعة هنا بمعنى الحرفة هاجر فاعل من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار الى دار اى تركوا الاولى للثانية وتهجر الرجل تشبه بالمهاجرين

من فى قوله من ذكر او انثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا اضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث فهو بيان لجنس من اضيف العمل اليه ويقال انها موكدة بمعنى النفى فى لا اضيع اى لا اضيع عمل ذكر وانثى منكم وبعضكم مبتداء وقوله من بعض فى موضع رفع بانه خبر مبتداء وثوابا

ان يكون م

مصدر

مصدر موكد لان معنى ولادخلنهم جنات لاثيبنهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لان معنى قوله حرمت عليكم امهاتكم كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر موكد روى ان ام سلمه قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون فى الهجرة دون النساء فانزل الله تعالى هذه الاية قال البلخى نزلت الاية وما قبلها فى المتبعين للنبى صلى الله عليه واله والمهاجرين معه ثم هى فى جميع من سلك سبيلهم واحذوهم من المسلمين . ثم عقب سبحانه دعوة المومنين بذكر الاجابة فقال فاستجاب لهم ربهم اى اجاب المومنين الذين تقدم الخبر عنهم انى لا اضيع اى بانى لا ابطل عمل واحد منكم لانفاقكم فى صفة الايمان وهذا يتضمن الحث على مواظبة الادعية التى فى الايات المتقدمة والاشارة الى انها مما تعبد الله بها وندب اليها وذلك لانه تضمن الاجابة لمن دعا بها فالذين هاجروا الى المدينة وفارقوا قومهم من اهل الكفر واخرجوا من ديارهم اخرجهم المشركون من مكة واوذوا فى سبيلى اى فى طاعتى وعبادتى ودينى وذلك هو سبيل الله فتحملوا الاذى لاجل الدين وقاتلوا فى سبيل الله وقتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم يعنى لامحونها عنهم ولاتفضلن عليهم بعفوى ومغفرتى ورحمتى وهذا يدل على ان اسقاط العذاب تفضل من الله تعالى ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت ابنيتها واشجارها ثوابا اى جزاء لهم من عند الله على اعمالهم والله عنده حسن الثواب اى عنده من حسن الجزاء على الاعمال ما لا يبلغه وصف واصف ولا يدركه نعت ناعت مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب وقيل حسن الثواب فى دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدر

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم
جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ثلث
ايات

قرا يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطمنكم
ولا يستخفنك فاما نذهبن بك او نرينك خفيفة النون في الجميع والباقون
بالتشديد فيها وقرا ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن
بالتخفيف

الغرور ايهام حال السرور فيما الامر بخلافه في المعلوم
وليس كل ايهام غرورا لانه قد يتوهم مخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والغرر
نظير الخطر والفرق بينهما ان الغرر قبيح كله لانه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوقى
منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لانه من العظم ومن قولهم رجل خطير
اي عظيم والمتاع النفع الذي يتعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون به
اللذ... المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد الذي يسكن
فيه الانسان ويفترشه وواحد الابرار بر وبار تقول بررت والدي
فانا بر واصله برر ولكن ال... دغمت للتضعيف

بني المضارع
مع نون التاكيد لانه بمنزلة ضم اسم الى اسم كخمسة عشر ونحوه ومتاع خبر
مبتدا محذوف تقديره تقلبهم متاع قليل وحذف المبتدا لدلالة ما
تقدم عليه وبئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدم
عليه تقديره بئس المهاد جهنم ونزلا مصدر مؤكد ايضا مثل ما تقدم ذكره
في قوله ثوابا من عند الله لان خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كانه قال
نزلوها نزلا وهو بمعنى انزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما يقال

هولك

هو لك هبة او صدقة عن الفراء وخالدين فيها منصوب على الحال اي مقدرا
لهم الخلود فيها النزول نزلت في مشركي العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون بها
فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش بالرخاء وقد هلكنا من الجوع
فنزلت الاية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال
فانزل الله سبحانه لا يغرنك الاية المعنى لا يغرنك يا محمد الخطاب له والمراد
غيره وقيل المراد لا يغرنك ايها الانسان او السامع تقلب الذين كفروا
اي تصرفهم في البلاد سالمين غانمين غير مؤاخذين باجرامهم اعلم الله
سبحانه ان ذلك مما لا ينبغي ان يغبطوا به لان ماويهم ومصيرهم ومرجعهم
الى النار ولا خير بعده النار وقوله متاع قليل تصرفهم في البلاد و
التنعم متاع قليل اي يتنعمون بذلك قليلا ثم يزول وسماه متاعا لانهم متعوا
به في الدنيا ثم ماويهم اي مصيرهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد اي ساء
المستقر هي ثم اعلم سبحانه ان من اراد الله واتقاه فله الجنة فقال لكن الذين
اتقوا ربهم ولفظة لكن للاستدراك ... يكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه
ليس للكفار عاقبة خير انما هي للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات
وترك المعاصي لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للابرار و
النزل ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب وما عند الله
من الثواب والكرامة خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا لان ذلك عن
قريب سيزول وما عند الله سبحانه دائم لا يزول وروي عن عبد الله بن مسعود
انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا فالموت خير لها من الحيوة ...
فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار واما الفجار فقد ...

كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم الاية وقوله فى النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما
يعنى بذلك اذا كانت تدوم على فجورها **قوله تعالى** وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله
ثمنا قليلا اوليك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب اية واحدة
اللغة اصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهى سهولة فى الرمل كالربوة
من الارض الذى لا يهتدى له لان الرمل يعفى اثاره والخاشع الخاضع ببصره والخشوع
هو التذلل خلاف التصعب **الاعراب** خاشعين نصب على الحال من الضمير فى
يؤمن وهو عايد الى من وقيل هو حال من الضمير فى انزل اليهم المجرور بالى والاول
النزول اختلفوا فى نزولها فقيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمه
بالعربى عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل لرسول الله صلى الله عليه
فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات
ارض [illegible] قالوا ومن قال النجاشى فخرج رسول الله صلى الله عليه واله الى البقيع
من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى حبشى لم يره قط وليس على دينه فانزل
الله هذه الاية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وقتاده والحسن وقيل
نزلت فى اربعين رجلا من اهل نجران من بنى الحرث بن كعب واثنين وثلثين
من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فامنوا بالنبى صلى
الله عليه واله عن عطا وقيل نزلت فى جماعة من اليهود كانوا اسلموا منهم
عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريج وابن زيد وابن اسحق وقيل
نزلت فى مومنى اهل الكتاب كلهم عن مجاهد لان الاية نزلت على سبب
فكل ما يتنا وعن مجاهد **المعنى** لما ذم سبحانه اهل الكتاب
فيما

٥٦٣

ايفة منهم بالايمان واظهار الحق والصدق فقال
[illegible] اى من اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله اى يصدق بالله
[illegible] انزل اليكم ايها المؤمنون وهو القران وما انزل اليهم
خاشعين لله اى خاضعين له مستكينين بالطاعة متذللين
[illegible] التذلل الخائف وقال الخشوع الخوف اللازم للقلب من
[illegible] الله ثمنا قليلا اى لا ياخذون عوضا يسيرا على تحريف
[illegible] من الرشى والماكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم سبحانه بقوله
[illegible] الضلالة بالهدى لكن ينقادون للحق ويعملون
[illegible] ون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعنى هؤلاء الذين وصفنا هم
[illegible] معناه لهم ثواب اعمالهم واجر طاعاتهم عند الله مذخور
[illegible] القيمة ان الله سريع الحساب وصف الحساب بالسرعة
الجزاء عمن يستحقه لطول الحساب لانه لا يخفى عليه شى
[illegible] ها وبعد ان عملوها فلا حاجة به الى الاحصاء والعد
[illegible] معناه انه يحاسب كل الخلق معا فاذا حاسب واحدا
[illegible] قادر على ان يكلمهم فى حالة واحدة كل واحد بكلام
[illegible] نفسه عن ابى على الجبائى وانما خص الله سبحانه هذه
[illegible] بين ان جزا [illegible] موفر عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم
[illegible] الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
[illegible] تفلحون اية **اللغة** اصل الرباط ارتباط الخيل
[illegible] منه قولهم ربط الله على قلبه [illegible] الصبر ثم استعمل
[illegible]
ووراءه من ام [illegible]

المعنى لما حكى الله سبحانه احوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث
على الصبر على الطاعة ولزوم الدين والجهاد في سبيل الله فقال يا ايها الذين
امنوا صدق الله ورسوله اصبروا وصابروا ورابطوا اختلف في معناها على
ان المعنى اصبروا على دينكم اي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم
عن الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا
الله سبحانه عن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم في الحق
على قتالكم في الباطل وانما اتى بلفظ صابروا هنا لان فاعل انما ياتي
بين اثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين ايضا يعني اعدوا
ما يعدونه لكم كقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وثا
المراد اصبروا على دينكم وصابروا وعدي اياكم ورابطوا عدوي وعد
محمد بن كعب القرظي وثالثها ان المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن ا
ان المعنى رابطوا اي رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد
لان المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي عليه السلام وعن جابر بن عبد
سلمه بن عبد الرحمن وروي عن النبي انه سئل عن افضل الاعمال فقال
الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد ا
فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال معناه اصبروا
المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الا
واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ان تخالفوا الله فيما يامركم
بهم الابد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب
وتفوزوا بنيل المنى ... البغية والوصول الى النجح في الطلبة و
... بكل ما ياتينا ...
... تاولها التكليف لان قوله اصبروا